

مركز دراسات الوحدة العربية

التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية

بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية

محمد المنجي الصيادي
محيي الدين صابر
الطاهر لبيب
عبد العزيز بنعبد الله
عبد الكريم غلاب
صبحي الصالح
عبد العزيز عاشوري
فاطمة الجامعي الحبابي
مصطفى الفيلالي
حسن احمد يوسف
عبدالله العروي
الحبيب الجنحاني
عفيف دمشقية
ابراهيم السامرائي



مركز دراسات الوحدة العربية

التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية

محمد المنجي الصيادي
محيي الدين صابر
الطاهر لبيب
عبد العزيز بنعبد الله
عبد الكريم غلاب
صبحي الصالح
عبد العزيز عاشوري

فاطمة الجامعي الحبابي
مصطفى الفيلالي
حسن احمد يوسف
عبدالله العروي
الحبيب الجنحاني
عفيف دمشقية
ابراهيم السامرائي

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص . ب . : ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً : «مرعربي»
تلكس : ٢٣١١٤ مارابي

الطبعة الاولى : بيروت : ايار/مايو ١٩٨٢
الطبعة الثانية : بيروت : حزيران/يونيو ١٩٨٦

المحتويات

المشاركـــون ٩
مقدمـــــة ١٣
كلمات الافتتاح .... مصطفى الفيلالي ١٥
محيي الدين صابر ١٨
خير الدين حسيب ٢٠

القسم الأول
اطار التعريب العام ومفاهيمه

الفصـل الأول : التعريب في الوطن العربي .... محمد المنجي الصيادي ٢٩
التعقيبات .... مدثر عبد الرحيم ٤٥
محمد عزيز الحبابي ٥٠
المناقشات ٥٥

الفصـل الثاني : الابعاد الحضارية للتعريب .... محيي الدين صابر ٦٩
التعقيبات .... سعد الدين ابراهيم ٨٠
محمد رضا محرم ٨٣
المناقشات ٨٦

الفصـل الثالث : البعد السياسي للتعريب وصلته بالوحدة والديمقراطية . . الطاهر لبيب ٩٧

التعقيبات .... احمد عبد الحليم ١٠٣
هشام بو قمرة ١٠٥
المناقشات ١٠٨

الفصل الرابع : مؤسسات التعريب في الوطن العربي :
عرض وتحليل وتقويم نقدي .... عبد العزيز بنعبد الله ١١٣
التعقيبات .... عبد الكريم خليفة ١٣٠
صبحي الصالح ١٤١
المناقشات ١٤٤

القسم الثاني
تجارب التعريب

الفصل الخامس : التعريب ودوره في حركات التحرر
في المغرب العربي .... عبد الكريم غلاب ١٥٣
التعقيبات .... هشام جعيط ١٦٨
سعد الدين ابراهيم ١٧١
هشام بو قمرة ١٧٤
المناقشات ١٧٨

الفصل السادس : تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي ... صبحي الصالح ٢٠١
التعقيبات .... مصطفى الفيلالي ٢١٠
شاكر مصطفى ٢١٤
المناقشات ٢٢٢

الفصل السابع : محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس .. عبد العزيز عاشوري ٢٢٩
التعقيبات .... احمد العايد ٢٥٢
احمد العزعوزي ٢٥٩
المناقشات ٢٦٢

الفصل الثامن : تقويم تجربة التعريب في المغرب .... فاطمة الجامعي الحبابي ٢٦٩
التعقيب .... محمد عزيز الحبابي ٢٨٥
المناقشات ٢٨٨

الفصل التاسع : تقويم تجربة التعريب في الجزائر .... مصطفى الفيلالي ٢٩٣
التعقيب .... محمد دويدار ٢٩٨
المناقشات ٣٠٠

الفصل العاشر : التعريب في الاقطار العربية ذات
الاوضاع الثقافية الخاصة .... حسن احمد يوسف ٣٠٩
التعقيبات .... طه حسن النور ٣٢٤
احمد عبد الحليم ٣٢٨
المناقشات ٣٣٢

القسم الثالث
اشكاليات التعريب ومستقبله

الفصل الحادي عشر : التعريب وخصائص الوجود العربي
والوحدة العربية .... عبد الله العروي ٣٤٥
التعقيبات ....محمد الباقي الهرماسي ٣٦١
عفيف دمشقية ٣٦٥
عبد العزيز عاشوري ٣٦٧
مدثر عبد الرحيم ٣٦٩
المناقشات ٣٧٢

الفصل الثاني عشر : التعريب والاصالة الثقافية والمعاصرة .. الحبيب الجنحاني ٣٧٩
التعقيبات .... سهيل أدريس ٣٩١
هشام جعيط ٣٩٤
المناقشات ٣٩٨

الفصل الثالث عشر : ادوات التعريب المواكب ووسائله
من منظور وحدوي .... عفيف دمشقية ٤٠٧
التعقيبات .... عبد العزيز بنعبدالله ٤١٩
اسامة أمين الخولي ٤٢٢
المناقشات ٤٢٦

الفصل الرابع عشر : تعريب الوسائل وتيسير تعلم العربية ... ابراهيم السامرائي ٤٣١

التعقيبات .... محمد المنجي الصيادي ٤٥١
عفيف دمشقية ٤٥٦
المناقشات ٤٥٩

الفصل الخامس عشر : نحو استراتيجية للتعريب في الوطن العربي مصطفى الفيلالي ٤٦٧
التعقيبات .... محيي الدين صابر ٤٨٠
عبدالله العروي ٤٨٢
سعد الدين ابراهيم ٤٨٥
المناقشات ٤٨٨

تعقيب ختامي .... هشام جعيط ٤٩٤
ملحق : برنامج الندوة ٤٩٦
فهرس عام ٥

المشاركون (*)

الدكتور ابراهيم السامرائي	أستاذ في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة بغداد (بغداد)
الدكتور أحمد العايد	استاذ في كلية الآداب - الجامعة التونسية (تونس)
احمد عبد الحليم	مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية(الخرطوم)
احمد العزعوزي	موظف - التنظيم العائلي (تونس)
الدكتور اسامة امين الخولي	خبير في معهد الكويت للابحاث العلمية(الكويت)
الدكتور الحبيب الجنحاني	استاذ في كلية الآداب - الجامعة التونسية(تونس)
حسن احمد يوسف	مدير المكتب الاقليمي لشرق افريقيا - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مقديشيو)
الدكتور خير الدين حسيب	المدير العام - مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)
الدكتور سعد الدين ابراهيم	استاذ علم الاجتماع في الجامعة الامريكية (القاهرة)
الدكتور سلطان الشاوي	امين عام - اتحاد الجامعات العربية (الرياض)
الدكتور سهيل ادريس	صاحب مجلة الآداب ودار الآداب (بيروت)
الدكتور شاكر مصطفى	استاذ في قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الكويت (الكويت)
الدكتور صبحي الصالح	رئيس قسم اللغة العربية وآدابها - الجامعة اللبنانية (بيروت)

(*) المعلومات المذكورة عن الاساتذة المشاركين هي كما حددها كل منهم على بطاقة اشتراكه . (المحرر)

الدكتور الطاهر لبيب	استاذ في قسم الاجتماع ـ كلية الآداب ـ الجامعة التونسية (تونس)
الدكتور طه حسن النور	المشرف على صندوق تنمية الثقافة العربية في الخارج ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(تونس)
عبد العزيز بنعبدالله	مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (الرباط)
عبد العزيز عاشوري	مدير ادارة الآداب ـ وزارة الثقافة والعلوم(تونس)
الدكتور عبد الكريم خليفة	رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ورئيس قسم اللغة العربية ـ الجامعة الاردنية(عمان)
عبد الكريم غلاب	مدير جريدة العَلَم وعضو مجلس النواب في المغرب (الرباط)
عبدالله آدم	مستشار الامين العام لجامعة الدول العربية ـ والمدير التنفيذي للصندوق العربي للمعونة الفنية للدول العربية والافريقية (تونس)
الدكتور عبدالله العروي	استاذ تاريخ ـ جامعة محمد الخامس(الرباط)
الدكتور عفيف دمشقية	استاذ في كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ الجامعة اللبنانية (بيروت)
الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي	استاذة في المدرسة المحمدية للمهندسين وفي كلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس (الرباط)
الدكتور محمد الباقي الهرماسي	استاذ في الجامعة التونسية (تونس)
الدكتور محمد دويدار	خبير في الجامعة العربية ـ الامانة العامة ـ جامعة الدول العربية (تونس)
الدكتور محمد رضا محرم	استاذ مساعد في كلية الهندسة ـ جامعة الازهر (القاهرة)
الدكتور محمد السعداني	السفير في وزارة الشؤون الخارجية (الرباط)
الدكتور محمد عزيز الحبابي	باحث وعضو أكاديمية المملكة المغربية(الرباط)
الدكتور محمد المنجي الصيادي	باحث جامعي (تونس)
الدكتور محمد الهادي الشريف	استاذ محاضر في كلية الآداب ـ الجامعة التونسية (تونس)
الدكتور محيي الدين صابر	المدير العام ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)
الدكتور مدثر عبد الرحيم	استاذ كرسي العلوم السياسية ـ جامعة الخرطوم(الخرطوم)

الدكتور مصطفى الفيلالي	ممثل تونس لدى اللجنة الاستشارية للمغرب العربي (تونس)
الدكتور هشام بو قمرة	استاذ في الجامعة التونسية (تونس)
الدكتور هشام جعيط	استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب ـ الجامعة التونسية (تونس) .

مُقدّمــة

« التعريب » قديم جديد . هو قديم قدم بروز العرب على الساحة العالمية (بالمعنى الذي كان معروفاً في بدايات التاريخ) ، واحتكاكهم بمختلف الحضارات القائمة آنذاك وتمثّلها على مستوى الادارة والمجتمع والفكر بالوسائل والطرق التي تملكها الامم الحيّة المتطلعة الى اضافة مداميك جديدة الى صرح الحضارة الانسانية الشاملة . وجديد جدّة نهضة العرب حديثاً بعد سبات طال عمره بفعل ظروف القهر والطغيان الغاشمة التي تألبت عليهم من كل صوب ، وعزمهم على اللحاق بالركب الحضاري العالمي للمشاركة في المسيرة بما يليق بهم كقوة بشرية ذات طاقات وموارد لا يستهان بها ، وتاريخ مجيد حافل بالمآثر .

وإذا كان « التعريب » قديماً احادي الجانب ، بمعنى أنه كان اقتراضاً وعملاً على صهر المقترض ليصبح من صميم المعدن العربي ، فإنه اليوم متعدد الجوانب لانعكاس الادوار ، وتحوّل العربي من صانع للحضارة الى مستهلك لها متطلّع في الوقت نفسه الى الاسهام فيها بما هو خليق أن يسهم به . متعدد الجوانب لأنه :

١ ـ سعى لاستعادة الهوية العربية التي عمل الاستعمار على سلبها بشكل مباشر وقح في بعض اقطار العروبة ، متستّر متكتّم في بعضها الآخر .

٢ ـ عمل على التوحّد والتكاتف بعد التشرذم الذي خلقته الظرفية السياسية العالمية لضعضعة القوة المتمثلة في وحدة العرب طاقة بشرية ومادية .

٣ ـ تطلّع الى القضاء على التخلّف بكل مظاهره ومجاليه ، والتخلص من الدور الذي رسم للعرب ليكونوا مستهلكين تابعين بدل أن يكونوا منتجين متحررين .

٤ ـ صبوة ودأب لفك الطوق عن الفكر العربي واطلاقه في مجالات الخلق والابداع بعد هجعة طويلة في نفق الجمود والتحجّر .

٥ ـ ارادة لا تلين للتخلص من رواسب الماضي القريب الذي فرض فيه على ابناء العروبة تلقي المعارف بلغات غير لغتهم بحجة قصور هذه اللغة عن اداء تلك المعارف وعدم صلاحها الا للادبيات الاخوانية والوجدانية .

وتطول القائمة حتى لا تكاد تنتهي . . .

ويتنادى ابناء العروبة من المحيط الى الخليج يتدارسون شؤونهم وينظرون في شجونهم . وتعقد المؤتمرات والندوات يتبادلون فيها وجهات النظر ويتفاعلون للوصول الى ما فيه خيرهم وصلاحهم ، مؤكدين بتحركهم المتواصل وسعيهم الدائب انهم ما زالوا ـ كالعهد بهم ـ امة جديرة بكل معطيات الوجود . وما ندوة « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ما بين الثالث والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ والسادس والعشرين منه في مدينة تونس ، الا حلقة من حلقات هذه السلسلة المباركة التي ستعود على الامة العربية ولا ريب بأجزل الخير وأعمّ النفع .

مركز دراسات الوحدة العربية

كلمة الافتتاح الأولى ¹

مصطفى الفيلالي

اول واجباتي في مطلع هذه الندوة أن اتوجه بالشكر لمن عمل على انعقادها ، في آجالها المضروبة وحسب برامجها المقدرة . وأحق الناس بهذا الشكر مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور محيي الدين صابر ، الذي تحمس لمشروع الندوة ، وشمله برعاية المنظمة وامدّه بالعون والتشجيع . وان العمل على نشر العربية وتيسير السبل لنهضتها لم يزل من الاهتمامات الثابتة للمنظمة العربية ولمديرها العام . وقد تجلّى ذلك مرة اخرى في المؤتمر التأسيسي الذي شهدته مدينة تونس منذ اسبوعين لتخطيط تنمية الثقافة العربية الاسلامية بالوطن العربي الاسلامي وخارجه ، وأسفر هذا اللقاء العريض عن توصيات هامة لتعزيز العناية بنشر الثقافة العربية ـ الاسلامية ولتوفير الوسائل التأسيسية والمالية لخدمتها . والدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، حقيق بالثناء الاخوي على قدر ما يقدمه من جهده ووقته في خدمة القضايا العربية ، فقد رحّب بمشروع هذه الندوة عندما طرحت في مجلس امناء المركز عند انعقاد دورته في ابو ظبي منذ ثلاث سنوات ، ورسمها في جدول الابحاث المقرّرة ، وعمل على أن يوظّف لها الوسائل المالية والبشرية الكفيلة بما نحن شهداء عليه من تحقيق . وقد دعا الدكتور خير الدين حسيب الى عقد ندوة تحضيرية ، تمّ التئامها في تونس منذ ستة اشهر في مكاتب المنظمة العربية للتربية برعاية الدكتور محيي الدين صابر ، وقع الاتفاق فيها على مشروع جدول الاعمال للابحاث الخمسة عشر التي بين ايدينا ، وعلى تقاسم الاعمال بين الباحثين والمعقبين الذين سيتولون التعقيب على الابحاث . ومن اطيب الواجبات في كلمة الافتتاح اسداء آيات الشكر والثناء للاساتذة الاجلاء وللاخوان الكرام الذين ساهموا بفكرهم وجهدهم لوضع الابحاث المقررة في الآجال الموعودة وحسب الصيغ المتفق عليها . كما اتوجه بالشكر للاساتذة الكرام الذين رضوا بدور المعقب على هذه الابحاث ، وقد يكون دوراً غير مريح في كثير من الحالات .

نحاول أن نعالج في ثلاثة ايام ونصف قضية التعريب بالاعتماد على ثلاثة محاور متلازمة ، يقوم بينها نوعان من الترابط : الترابط الزماني اولاً ، إذ يرجع بنا التحليل الى ملامح التعريب في الزمان الماضي ، قبل أن تحلل التجارب القائمة في الحاضر ، وقبل أن نخلص من ذلك الى استشراف المستقبل ، وما ينبغي أن يتوفر له من اسباب فنية ومن وسائل تقنية ، وما لا بدّ من اعتماده من استراتيجية على الامد الطويل. اما الترابط الثاني فيتمثل في مضامين قضية التعريب وما تشتمل عليه من جوانب فنية لغوية ، واخرى اجتماعية ، وثالثة فكرية ثقافية ، ورابعة سياسية حضارية ، تكتنف جميعها تجربة التعريب وتجعل منها احد العناصر البارزة فيما يحق أن نطلق عليه اسم اشكالية النهضة العربية .

ولعل الاتفاق قد اصبح مؤكداً اليوم اكثر من ذي قبل على ملمحين اثنين من ملامح قضية التعريب ، منزلة منزلتها الجليلة بين قضايا القومية العربية ؛ الملمح الاول هو تعددية الجوانب التي تتعلق بالتعريب وتكتنفه طرداً وعكساً . إذ التعريب قضية لغوية ـ السنية ولا ريب ، وهي قضية فكرية ـ ثقافية ، ما في ذلك من شك . ولكنها من جانب آخر قضية فنية تقنية تتصل بتطورات فينات الحاسوب الالكتروني ، اما جوانبها السياسية فلا سبيل الى جحدها ، وابعادها الاقتصادية والحضارية تزداد كل يوم وضوحاً . الملمح الثاني يكمن في تلازم هذه التعددية ، فيما بين جوانبها من قنوات الترابط الحركي الفعال .

وقد ترتب على هذا التلازم وتلك التعددية ـ في تنزيل قضية التعريب ـ انواع جديدة من المعالجة نراها واضحة في كثير من ابحاث الندوة كبحث الدكتور محيي الدين صابر عن البعد الاجتماعي والاقتصادي للتعريب ودوره في التنمية ، وبحث الدكتور الطاهر لبيب عن البعد السياسي وصلته بالوحدة والديمقراطية ، وبحث الدكتور عبد الكريم غلاب عن دور التعريب في حركات التحرر بالمغرب ، وبحث الدكتور الحبيب الجنحاني عن جوانب الاصالة الثقافية والمعاصرة ، وكأبحاث اخرى صدرت في الاعداد القريبة الماضية من مجلة المستقبل العربي ، مثل بحث د. عبد العزيز عاشوري بعنوان «اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب » ومقال د. الطاهر لبيب بعنوان « العجز عن التعريب في مجتمع تابع » .

هذا اللون الجديد من الجدلية في معالجة قضية التعريب هو اقرب وفاء بمطلب ترشيد القضايا الكبرى للقومية العربية ، فنحن اليوم في عصر خرج الفكر فيه من التحليل القائم على وحدة التعليل ، واصبح يأخذ باشكالية تعدد العناصر المتضافرة لتعليل قضايا الانسان . وهكذا زالت او ضعفت الفواصل العازلة التي كانت مضروبة حول كل قضية بمفردها ، وقامت قناطر الترابط والتلازم بين مختلف القضايا الانسانية في حال تعاصر المجتمع الانساني ، وبمفعول عوامل تضامنه الموضوعي .

وايماننا ، في مركز دراسات الوحدة العربية ، يقتضينا أن نسلك الطريق الوعرة في بحث قضايا الامة العربية ، فلا واحدة من هذه القضايا يمكن في نظرنا او يجوز أن تنزل

منزلة الجسم الكيماوي البسيط المفرد الخلية ، بل اخذنا على انفسنا فيما نقدم على بحثه من قضايا الامة العربية من منظور الوحدة القومية أن نطلب معالجتها من زاوية تراكم العوامل المكوّنة لها ، وتداخل العناصر المؤثرة فيها ، وتعدد النتائج المترتبة عليها ، عسانا نكون بأبحاثنا هذه وبطريقتنا في معالجتها أقرب الى الغاية الجليلة التي نصبو الى تحقيقها من خلال جميع ما نشرناه من ابحاث وما عقدناه من ندوات ، وتلك الغاية هي أن يكون بحثنا الاكتنافي التعددي لاوضاعنا العربية اوفر احاطة بمعوقات النهضة جميعها ، واضمن سبيلاً لترشيد التغيير الذي نطمع أن يسدّد الله به خطانا .

كلمة الافتتاح الثانية

محيي الدين صابر

ايها الاخوة الكرام

في هذا المقام الذي يتحدث فيه عن نفسه ، ليست لي كلمة سوى كلمة الشكر والتهنئة ، الشكر لمركز دراسات الوحدة العربية ولمديره العام الاخ الزميل الصديق الدكتور خير الدين حسيب ، والعاملين في هذا المركز والمشرفين عليه للدور القومي والثقافي الكبير الذي يقوم به في اخصاب وانضاج فكرة الشخصية العربية والقومية العربية ، وتأكيد حقيقة الوحدة العربية من الجوانب المختلفة ومعالجة هذه القضية وتناولها من الجوانب الفكرية والعلمية الموضوعية بعيداً عن الافق او المنهج العاطفي الذي كان يعالج به الناس هذه القضية الحيوية. وان الجهد الموصول الذي يقوم به المركز في ما يصدره من دراسات رصينة وفي ما يعقده من ندوات علمية قومية هامة وفي ما يصدره من مطبوعات هي في واقع الامر ، دعم ورفد للفكر العربي ، كل هذه الاشياء تجعلنا نحن في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، نحس بالدور الكبير الذي يقوم به المركز كجهاز قومي يعبّر عن الرأي العام العربي تعبيراً حراً واميناً ، وتعبيراً فوق ذلك كله ملتزماً . فهذه خصائص في واقع الامر نعتز بها اعتزازاً كبيراً ونحن في المنظمة نعتبر المركز عوناً لنا ورافداً من الروافد الاساسية نعتمد عليه . ونعتقد بأننا نتكامل في كثير من الوجوه ونشعر في الوقت نفسه بأننا مقصّرون فيما كان يجب ان نقدمه لهذا المركز من دعم يتفق مع رسالته الجليلة .

هذا الذي نشهده جميعاً اليوم ، هذه الندوة ، هي صورة من الصور اليومية ولون من الوان النشاط المقرّر الذي يمارسه المركز في حياته باعتبار هذا النشاط وغيره الوسيلة العلمية والعملية في آن لتنفيذ برامجه الطموحة التي اطلعتم عليها جميعاً .

إنني إذ اشكر واهنىء في الوقت نفسه على هذا النجاح ؛ فإنني اتقدم ايضاً بالشكر الى الزميل الصديق الاخ الاستاذ الكبير الدكتور الفيلالي على الكلمات الطيبة التي فاض بها

طبعه الكريم على شخصي وعلى المنظمة ، منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وما قمنا به سوى الواجب الادنى ، وارجو لكم الاقامة الطيبة في تونس العربية الجميلة، وفي ضيافة شعبها وحكومتها ، وارجو أن تتمخض هذه الندوة كما تمخضت الندوات الاخرى عن زاد فكري وحصيلة ثقافية ، تدفع بالمد الوحدوي والمد التنموي العربي الى الامام ، وشكراً جزيلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الافتتاح الثالثة

خير الدين حسيب

اخواتـي واخواني

يسعدني أن ارحب بكم جميعاً ، وأن أعبر باسم مجلس الامناء واللجنة التنفيذية لمركز دراسات الوحدة العربية عن اعتزاز عميق بمشاركتكم في هذه الندوة ، والدور الايجابي الذي تمثله اسهاماتكم الفكرية فيها كقوة دفع لنشاط هذا المركز ودوره ورسالته .

لقد كان من امنيات مركز دراسات الوحدة العربية، اضافة الى اهدافه ، أن يتسع نشاطه ويمتد الى المغرب العربي وأن يعقد بعض ندواته ونشاطاته فيه ، وتأتي هذه الندوة التي تعقد اليوم في تونس لتمثل اول ندوة يعقدها المركز في المغرب العربي ، ولتمثل ، اضافة الى موضوعها ، تعبيراً عن نقل الأماني وترجمتها الى انجاز فعلي .

ويضاعف من أهمية هذه الندوة أن موضوعها هو « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » ، فاللغة ، كما يقول استاذنا الدكتور محيي الدين صابر « ليست رموزاً ولا مواصفات فنية وحسب ، ولكنها الى جانب ذلك ، وفي الاساس ، منهج فكر وطريقة نظر واسلوب تصور . هي رؤ ية متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة ويرفدها تكوين نفسي مميز . فالذي يتكلم لغة ، هو في واقع الامر يفكر بها ، فهي تحمل في كيانها تجارب اهلها وخبرتهم وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم . . . » . كما أن مشكل التعريب ، كما يقول الاستاذ عبد الكريم غلاّب في بحثه المقدم الى هذه الندوة « لا يهم المغرب العربي فحسب ، نظراً للظروف الاستعمارية (التي مر بها) ، ولكنها قضية العرب أجمعين . ولذلك يجب التفكير بها كمشكلة عربية وليس كمشكلة خاصة بالمغرب العربي . وبهذا نفكر جميعاً وبمنطق علمي في التعريب ، لا كمشكلة عاطفية ، ولكن كمشكلة لها صلة بالوحدة العربية في اطارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وبالتوجه العربي ازاء الشرق والغرب ، وبمستقبل العرب كأمة موحدة لا يفرقها اختلاف في لغة التعليم او في لغة الادارة والحياة العامة » .

لهذا كله تحتل هذه الندوة ، موضوعاً ومكاناً ، مكانتها الخاصة في نشاط مركز

دراسات الوحدة العربية . وقد حرص المركز ، وفاء للتقاليد العلمية التي يحرص عليها ، أن يدعو لهذه الندوات من الباحثين والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع ممن يمكن أن يعكسوا وينقلوا الى هذه الندوة تجارب وخبرات جوانب واقطار وأجيال مختلفة حول هذا الموضوع . كما كان المركز حريصاً على أن تعرض وتناقش ، ما أمكن ، وجهات النظر المختلفة حول هذا الموضوع ، ايماناً منه بأنه من خلال البحث والمناقشة العلمية والموضوعية فقط يمكن تشخيص المشاكل ومعالجتها ، وأن الحوار العقلاني والموضوعي هو الوسيلة الاكثر فائدة في تحقيق قدر اكبر من تفهم وجهات النظر المختلفة وتفاعلها وتطورها. ومن هنا فإن المركز حريص على أن تسود في هذه الندوة ، كما كان الحال في ندواته السابقة ، الحرية الفكرية الكاملة للباحثين والمعقبين والمناقشين ، وأن يشعر الجميع أنهم يستطيعون أن يفكروا بصوت عال دون خشية من سوء فهم او قصد او تأويل . إن المجال مفتوح بكل - وليس اقل من كل - الحرية للعقل العلمي ليبحث ، ليحلل ، لينقد ، ليتنبأ . وتجربة ثماني ندوات سابقة للمركز تمدنا بزاد مشجع على التمسك بحرية المناقشة العقلانية غير المقيدة بحساسيات او انفعالات او تحيزات غير موضوعية .

وتمثل ندوتكم الحالية ، الندوة التاسعة التي نظمها المركز خلال السنوات الثلاث الماضية ، سبقتها منذ العام ١٩٧٩ ندوات : دور التعليم في الوحدة العربية ؛ والقومية العربية في الفكر والممارسة ؛ ودور الأدب في الوعي القومي ودعم الوحدة العربية ؛ ومتطلبات التكامل الاقتصادي العربي في المجال النقدي ، والقومية العربية والاسلام ؛ وتجربة دولة الامارات العربية المتحدة ؛ والمواصلات في الوطن العربي ؛ واخيراً ، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية . وقد استطاع المركز أن يرتفع بأداء اسلوب الحلقات الدراسية والندوات ، كأسلوب بحثي ونقاشي للقضايا الفكرية الهامة ، الى مستوى عال ومتميز بالمقاييس العربية والدولية معا، واننا اذ نعتز بما وصلنا اليه، فإننا نتوقع لندوتكم هذه أن تشكل اضافة جديدة وهامة لمستوى الاداء الفكري والتنظيمي لندوات المركز .

لقد حرص المركز باستمرار على أن تتسع دائرة المشاركة في ندواته ، وأن يكون القدر الاكبر من المشاركين في كل ندوة ممن لم يسبق لهم المشاركة في ندوات سابقة للمركز ، كما يحرص المركز بقدر متزايد على أن تعكس المشاركة في ندواته خبرات وافكار واتجاهات اكثر من جيل من المفكرين والباحثين العرب ، لتتاح الفرصة للتفاعل والاستفادة من تجارب هذه الاجيال واستمرارية الاتصال بينها . ويسعدني أن يكون المركز قد كسب - من خلال هذه الندوة - اصدقاء جدداً يعتز بهم ، يعتز بانضمامهم الى الأسرة الواسعة العضوية التي يكونها فيما بينهم كل المتعاونين مع مركز دراسات الوحدة العربية،دارسين وباحثين وكتّاباً ومستشارين. وإن مجموعة كبيرة من الذين يشرّفون المركز باشتراكهم وحضورهم في هذه الندوة هم اعضاء جدد في هذه الأسرة، لم يسبق أن منحوا المركز شرف التعاون معه ، ويتوقع المركز أن يكون اسهامهم في ندوتكم هذه بداية لطريق طويل من التعاون الثقافي والفكري في اطار قضيتنا الأم . قضية الوحدة العربية . فليسمح لي اعضاء الأسرة القدامى بأن

ارحب معهم بأعضاء الأسرة الجدد لننضم معاً الى حوار هذه الندوة . . . والى الحوار المتواصل الأوسع والأكثر تنوعاً ، الذي يمثله برنامج عمل هذا المركز ونشاطاته في الندوات والدراسات وفي مجلتكم المستقبل العربي .

ولأن اغلب الحاضرين في هذه الندوة ، كما قلت ، يحضرون ندوات المركز لأول مرة ، وأغلبهم يدخل لأول مرة في تجربة تعاون معه ، نرجو أن تستمر وتتسع وتتعمق ، فإنني وجدت من المفيد أن اطلب منكم أن تسمحوا لي بوقفة قصيرة وسريعة استعرض فيها معكم آمال وهموم مركزكم .

١ ـ لقد كان في طليعة آمال المركز التي تم التأكيد عليها في البيان التأسيسي له هي :
« ان تتسع حلقة المساهمة فيه لتشمل اكبر عدد ممكن من المواطنين العرب من ذوي الكفايات والاهتمام ، المؤمنين بجدوى هذا العمل الثقافي والمستعدين لتحمل مسؤوليات الاشتراك في نشاطه » .

كما جاء فيه « سيحاول المركز أن تمتد المشاركة بنشاطه الى جميع الأقطار العربية من خلال قيام اكبر عدد ممكن من المثقفين العرب الاختصاصيين في مختلف الحقول بمجهودات فكرية ضمن نطاق مهمته » . وتم التأكيد فيه على « أن المساهمة في عمل المركز لا تشترط شروطاً مسبقة من حيث هوية المثقف ولا تتطلب الا ان يكون مؤمناً بالوحدة العربية ، بغض النظر عن المعتقدات والنظريات التي يؤمن بها » . ولذلك قال البيان التأسيسي « فإن المثقفين العرب من مختلف الاتجاهات والآراء والاختصاصات مدعوون للمساهمة ، فمجال العمل يتسع لمختلف الاجتهادات ويتحمل وجود اكثر من رأي في كيفية تحقيق الوحدة ، وبذلك سيكون المركز مفتوحاً للحوار العلمي العقلاني » .

وانطلاقاً من ذلك عمل المركز خلال السنوات الاربع الماضية على توسيع دائـرة المشاركة في نشاطاته المختلفة ، ابتداء من الكتابة في المجلة ، ثم في اعداد دراسات مختلفة لحساب المركز ، انتقالاً الى المساهمة في التخطيط لبرامج المركز القادمة ، في مشاريعه الداخلية. وبقدر ما يشعر المركز باعتزاز وتقدير للمساهمات المختلفة والعون المستمر الذي يلقاه من عدد كبير من الاخوة في مختلف نشاطاته ، الا أنه على وعي ايضاً بأن دائرة المشاركة والتفاعل لا بد لها أن تتسع افقياً وعمودياً ، على المستوى الجغرافي للوطن العربي وداخل القطر العربي الواحد ، وبصورة خاصة مع اقطار المغرب العربي .

٢ ـ ومن الأمور التي كانت موضع حرص دائم من المركز « المحافظة على استقلالية المركز » . وقد كان البيان التأسيسي للمركز اكثر من حريص على ذلك ، حيث جاء فيه « ان هذا العمل لا يهدف اطلاقاً الى تكوين تجمع سياسي او حزب او جبهة سياسية ، وإنما يهدف فحسب الى اعادة الزخم الى التيار الفكري الوحدوي آملاً في أن تترجم الجماهير والمؤسسات والقوى العربية هذا التيار الى حقيقة ملموسة » . وأضاف البيان التأسيسي « ان ابحاث المركز ونشاطاته لا تتناول الاوضاع السياسية القائمة في الوطن العربي ، كما أن المركز لا يتخذ اية مواقف سياسية مباشرة ، ولا يساهم في النشاط

السياسي ولا يدخل في الصراعات او الخلافات السياسية ، ولا يرتبط بأية حكومة ولا يتبنى أي نظام ولا يدخل في محاور او تحالفات او جبهات » .

ولم يكن تنفيذ ذلك امراً سهلاً ، في محيط عربي وفي مدينة ندر أن توجد فيها مؤسسات علمية مستقلة بالمعنى الصحيح ، الا باستثناءات اقل من القليل . ولكن هذا الجانب من اهتمامات وهموم المركز كان من الاهداف التي تطلبت في كثير من الاحيان ممارسات يومية تؤكدها وتعززها . واستطاع المركز عن طريق مجلته **المستقبل العربي** ابتداء ، وما طرحته واكدته من استقلال فكري ، ثم عن طريق الدراسات التي نشرها ، وبالطريقة التي سار فيها قارب المركز وسط العواصف العربية العاتية خلال السنوات الاربع الاخيرة استطاع أن يؤكد ويثبت استقلاليته الفكرية والسياسية الفعلية ، وهو امر سيظل المركز حريصاً عليه ويعمل على دعمه مهما اثيرت في طريقه من عقبات .

ولعل الاخوة الذين اتيح لهم التعامل والتعاون مع المركز عن قرب ، وبعض منهم بينكم ، شعروا ووثقوا بصورة مباشرة بهذه الاستقلالية الفعلية للمركز . ويسعدني ان اقول ان هذه القناعة في استقلالية المركز التي توصلت اليها ايضاً معظم الانظمة العربية ، قد ساعدت المركز ايضاً ، وكثيراً ، في نشر امور كثيرة في **المستقبل العربي** وفي كتب المركز والسماح بدخولها الاقطار العربية ؛ مع ما فيها من جرعات ثقيلة على معظمها احياناً ، والتي ما كان من الممكن تقبلها من تلك الانظمة لولا قناعتها باستقلالية المركز وموضوعيته .

٣ ـ والمركز على وعي بأن استمرار استقلاليته وتدعيمها ودوام المركز نفسه رهن بتحقيق استقلاله المالي. ومنذ البدء اشار البيان التأسيسي الى « ان المركز سيعتمد في تمويل نشاطاته وفعالياته على التبرعات والمساعدات التي يمكن أن يحصل عليها من الحكومات والمؤسسات والاشخاص في الوطن العربي التي تبدي الرغبة في تقديم تلك المساعدة بدون فرض شروط وقيود على المركز واهدافه وخطه الثقافي » . واستطيع أن اؤكد أنه حتى الآن فإن المركز كان حريصاً على تطبيق كل حرف من ذلك . ولكن واجب الانصاف يتطلب مني القول أيضاً أنه اذا كانت هناك حالات قليلة جداً بذلت فيها محاولات ، لكنها رفضت ، لربط مساعدة المركز المادية بشروط اخرى ، الا أن ذاك كان هو الاستثناء النادر ، وان كل المساعدات المادية التي تلقاها المركز كانت غير مشروطة بأية شروط او قيود مهما كانت .

وقد ساهمت حتى الآن في تقديم مساعدات للمركز ، حسب تاريخ تقديمها ، دولة الامارات العربية المتحدة ، والكويت ، والعراق ، وقطر ، وليبيا ، والبحرين ، وعدد من المؤسسات والاشخاص ، مما مكّن المركز من الاستمرار في توسيع نشاطه . وقد تبرعت بعض هذه الاقطار للمركز اكثر من مرة . كما يقوم المركز باتصالات مع باقي الاقطار العربية الاخرى لهذا الغرض . وقد وضع المركز لنفسه هدفاً مالياً يسعى من ورائه الى تحقيق حد ادنى من الاستقلال المالي خلال فترة سنة او سنتين ، بحيث يتوفر له مبلغ من

الوفر (وقفية) تكفي الايرادات من استثمارها لسد العجز بين مصروفات المركز وايراداته السنوية . وقد قطع المركز شوطاً لا بأس به في هذا المجال ، وسيظل هذا احد اهتماماته وهمومه الرئيسية .

٤ - كما حاول المركز أن يتبنى في نشاطاته وفي عمله اليومي المقاييس العلمية والموضوعية ، وان يعمل لتثبيت مقاييس خلقية في عمله وفي تعامله مع الآخرين . كما حرص المركز بشدة على التركيز على شخصية المركز وعدم الربط بين نشاطاته وبين اي شخص او اشخاص فيه اياً كان موقعهم في مسؤولياته وعمله ، وهو مقياس وطريقة في العمل لم يعتد عليها العمل العربي المؤسسي كثيراً ويصادف تثبيتها وترسيخها صعوبات ولكنها لن تثني المركز عن الاستمرار فيها . ومن أجل ذلك وبسببه هناك تعتيم اعلامي مقصود على اسماء المسؤولين عن المركز اياً كانت مواقعهم فيه . كما اختط المركز لنفسه بقصد،اسلوباً متواضعاً في الاعلام عن نشاطاته الفكرية والثقافية ، بحيث تتحدد الحدود القصوى للجانب الاعلامي بالحد الادنى المطلوب للاعلام عن منشوراته الفكرية والثقافية ليطلع عليها القارىء .

واستطيع أن ألخص النتائج التي حققها المركز حتى الآن بما يلي :

١ - إن مكانة المركز العلمية والادبية واستقلاليته اصبحت حقيقة قائمة وراسخة ، وانه ، مع كفاءة الاداء ، اصبح نموذجاً متواضعاً وموضع اهتمام وتقدير وربما مصدراً لبعض الاشعاع .

٢ - إن ما قدمه المركز ، من خلال مجلته وكتبه وندواته ، قد مثل اضافة هامة وواضحة في الفكر القومي والوحدوي العربي ، ساهمت بقدر متواضع في بداية لتحريك الفكر القومي وتفاعله وفي تحديد ومعالجة مشاكل المجتمع العربي والوحدة العربية . وان المركز بدأ يشق له ويرسخ مكانة علمية وادبية متواضعة ولكنها هامة في الاوساط الفكرية والثقافية العربية ، واصبح من المراكز العلمية الفكرية الوحدوية المعروفة وموضع اهتمام قطاع غير قليل من المفكرين والمثقفين الوحدويين . وقد تكون الكتب التي صدرت وستصدر عن المركز حتى نهاية عام ١٩٨١ ، والبالغة اربعة وعشرين كتاباً ، والتي يطبع اربعة آلاف نسخة من كل منها عادة ، ومن الاعداد الاربعة والثلاثين التي صدرت من المجلة حداً ادنى هاماً لأية مكتبة او باحث عربي في قضايا الوحدة العربية المختلفة لا يمكن الاستغناء عنه ، والذي لا شك سيكون له تأثيره الواضح في الفكر العربي الوحدوي .

٣ - إن مجلة المركز **المستقبل العربي** اصبحت تمثل ، من حيث المستوى ، المكانة الأولى بين المجلات الفكرية العربية ، ووصل توزيعها الى حوالى اثني عشر الف نسخة شهرياً .

٤ - تزايد الاقبال على مطبوعات المركز المختلفة ووصولها الى عدد متزايد من القراء ، كما

تعكس ذلك مبيعات المطبوعات وصدور طبعة ثانية من معظم كتب المركز ، وطبعة ثالثة من بعض كتبه . وهو يعكس كله ثقة القارىء العربي بموضوعية وجدية ما ينشره المركز .

٥ ـ نجاح المركز في ايصال مطبوعاته عموماً الى جميع الاقطار العربية ، والايجابية العامة لأنظمة رقابة المطبوعات العربية تجاه مطبوعات المركز ، باستثناءات قليلة منعت فيها بعض اعداد المجلة او بعض كتبه هنا وهناك ولكنها لم تؤثر على الموقف العام الايجابي تجاه مطبوعات المركز او تـؤدِ الى اتخاذ تلك الاقطار موقفاً سلبياً من المركز .

٦ ـ التعاون مع عدد من المنظمات الاقليمية العربية والدولية ، بما يخدم اهداف المركز ، ويساعد على تمويل بعض دراساته وندواته .

٧ ـ تطور وزيادة الموارد الداخلية الذاتية للمركز ، من مبيعات مطبوعاته المختلفة ، ومن الدراسات التي يقوم بها لحساب بعض المنظمات الاقليمية العربية والدولية والتي تقع ضمن اهداف المركز ، ولكن دون أن يصل الى مرحلة الاستقلال المالي بعد .

٨ ـ نجاح المركز في تكوين جهاز له ذي كفاية عالية جداً رغم صغر حجمه وتثبيت مقاييس موضوعية للعمل والكفاية عكست نفسها في تجربة ناجحة في العمل المشترك بين مواطنين من اقطار عربية واديان ومذاهب مختلفة .

هذا ولا يفوتني أن أشير انه اضافة الى ما اصدره المركز حتى الآن من دراسات ، فإنه يجري حالياً العمل على تنفيذ واعداد اكثر من عشرين دراسة اخرى ، يتوقع أن ينشر منها خلال عام ١٩٨٢ ما لا يقل عن عشر دراسات . تلك كانت صورة سريعة عن المركز ، عن همومه وانجازاته ، آمل انها استطاعت اعطاءكم صورة عامة واضحة عنه ، وارجو أنها كانت موضوعية .

الاخوة المشاركون ،

إن المركز يقدر لكم تكبدكم المشاق ابتداء من المشاركة بالوقت ، الى المشاركة بالجهد الفكري ، الى المشاركة بالانتقال الى مقر الندوة ، فيما يدرك المركز كثافة شواغلكم ، كل في مجاله وفي موقعه الفكري والعملي . كما يدرك أنه قد حمّلكم عبئاً كبيراً بمتطلباته ، ولكن جرأتنا في هذه المتطلبات ، التي حملتها بيننا وبينكم عشرات الرسائل والبرقيات ، إنما هي تعبير عن شعورنا بالمسؤولية التي يحمّلنا اياها شرف اسهامكم في نشاط هذا المركز وبرنامجه .

وثمة شكر واجب الاداء ـ وهو واجب مستحب نؤديه بكل مودة واعتزاز ـ أعني شكر المركز للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وللأخ الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العالم للمنظمة ، على تشجيعها ورعايتها لفكرة الندوة ابتداء واستضافة اللجنة التحضيرية لها في مقرها ، ثم على ما قدمته من تسهيلات واسهام لتمكين المركز من عقد هذه الندوة

في تونس ، وما عبّر عنه هذا الاسهام الكريم من ثقة وتقدير ، ليس فقط لقيمة واهمية هذه الندوة ، وإنما ايضاً لعمل المركز واسلوبه واهدافه ، وهوما نعتز به .

مرة اخرى ، ولكن تكون يقيناً مرة اخيرة ، يسجل لكم المركز عرفاناً لجهدكم الخلاق في مساعدته على اداء رسالته ، وانكم مكنتم المركز من كسب مزيد من الاصدقاء ، والتعرف الى اعضاء آخرين في **الأسرة الوحدوية العربية** في اكثر فروعها امتداداً في الجذور . . . فرعها المفكر ، الباحث ، العالم .

إن تلبيتكم دعوة المركز ومتطلباته دين ، او هي امانة في اعناقنا . . . وعهدنا لكم أن نظل امينين على عطائكم الفكري نضعه في اطاره الصحيح . . . في موقعه اللائق بمكانتكم وبجهودكم .

وفقكم الله في هذه الندوة الى نجاح انتم الأقدر على ابداعه .

القسم الأول

اطار التعريب العام ومفاهيمه

الفصل الأول

التعريب في الوطن العربي

محمّد المنجي الصيادي

أولاً : خلفية التعريب التاريخية

١ ـ محتوى التعريب في الماضي

من المبهج حقاً أن يلتئم هذا الجمع من نخبة المتخصصين في قضايا لغتنا العربية . وكم هو عسير على المرء ، أن يضيف جديداً لسامعين ارهفوا احساسهم ووعيهم خدمة لهذه اللغة المعطاء ، طبق مفاهيم أقرها العلم وبلورتها جهودكم الموفقة . ومن وجهة منهجية البحث ، فلا يغيب عن بالنا ، أن كل مفهوم يمر بفترات تحبسه او تطوره ، فتجعل منه حركة متحفزة أو قالباً جاهزاً ، وربما يكون مآله التجميد في ظرفية معينة . ومن المعلوم أن تحديد الكيان العربي اعتمد أول ما اعتمد اللغة العربية مقياساً دقيقاً وأداة للفصاحة والقول المبين كما عرفه العرب من قديم ، وكما دونه القرآن وأكده ، وكما تلوّن بعد ذلك على مر العصور وتغير الاوضاع الاجتماعية والسياسية . فمن عربية خالصة تحدّد انتشارها بين مكة وخليج البحرين جنوباً ، وبين يثرب (المدينة) وشمال الحيرة ، الى أن بدأ التناقض يدب حتى في هذا المجال الضيق بين لغة الحجاز القرشية ولغة تميم شرقي بلاد العرب .

وتجلت هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي الى أن برزت لغة مشتركة مهدت لظهور لغة القرآن . وقد أكد التدوين اللغوي ما قام به فقهاء اللغة من جهود كان لها مفعول ايجابي تمثل في اضفاء الصفة الرسمية على هذه الاداة الموحدة للناطقين بها . وأكد التاريخ هذا المنحى لأن العرب لم يفتحوا البلاد الاخرى بدافع تغليب جنسهم ونمط عيشهم العربي المحض، بل فعلوا ذلك بوازع ديني دعمه عامل اللغة . فكان هذا المظهر بمثابة المفهوم الاولي للتعريب الذي دخل على محيط ساميّ يسّر رسوخ العربية ، وهو المفهوم الذي التبس بالتشريق ، ونشر النظام الحياتي المتداول عند الساميين Semitization ، (التسييم) ، ذلك النظام الذي عمل على نشر حضارة المدن بفارس وبلاد الروم ثم الاشعاع نحو البوادي . وقد أدى فقدان هذا العامل التعريبي التشريقي احياناً الى نشوب مواجهات مع المناطق المعزولة عن التعريب . وقصدنا من هذا العرض محاولة الاحاطة بمفهوم

التعريب الذي تزايدت تلوناته وتشعبت آفاقه عبر العصور ، كما اتسع حجمه الدلالي .

وبقدر ما نعمل على استعراض وتدقيق المفاهيم العربية وضبطها ، نكون قد اسهمنا اسهاماً جاداً في طرح القضايا المصيرية التي ينبغي مناقشتها وايجاد الحلول النسبية لها في العصر الحاضر ، والتي تفيد في المستقبل ، ان قبلنا بسنّة التطور الطارىء باستمرار على المفاهيم . وعلى هذا الاساس فإن رأينا أن الاوضاع العامة في العصور العربية القديمة اكتست طابعاً يندرج ضمن الاسرة السامية الكبيرة . وهذا ينفي قطيعة عربية عن الحضارات المحيطة ببلاد العرب الذين كثيراً ما قدموا على أنهم خرجوا من صحرائهم غزاة يدفعهم الى ذلك حب النهب والركض وراء الغنائم . بل ان الاستناد الى الظاهرة السامية البارزة في الحضارة العربية مهما كانت بدائية ، يؤكد أن العرب ساروا على هدي جملة من المفاهيم الاخلاقية والمقدسات والشعارات الكونية والأطر الذهنية التي بلورها الدين الاسلامي بفضل اداته المعبرة ، الا وهي اللغة العربية التي نشرت بين اهالي الشام وبلاد ما بين النهرين تصورات قارّة صالحة للسلوك الفردي ، خاصة بين العناصر الرائدة ، الموجودة في الحواضر ، التي تراكمت عليها طبقات متوالية من الاصناف الحضارية القديمة المتميزة بالدقة والتفنن ، فأكسبتها الادوات الفكرية والاقتصادية الضرورية للعيش والاستقرار ضمن نظام قائم الذات متين الدعامات . والدليل الثاني الذي ينفي العامل العرقي في الفتوحات العربية المبكرة هو أن الفتح بدأ بعرب الصحراء لا مراء ، ولكنه تمادى مع البربر الرحل ثم مع الاجناس الاخرى كالاتراك والاكراد والديلم . وبما أن الحضارة الجديدة قامت من الصحراء ورسخت في المدن ، فمن الطبيعي أن يتفوق العامل اللغوي على غيره ، لما تكتسبه النشاطات في المدن من حركة بشرية واقتصادية مستمرة متسعة ، وما يتطلبه هذا الواقع من وفرة لغوية إن قامت على الآرامية في بدايتها في بلاد الشام ، فقد عوضتها العربية وافادت منها لتجانس اصولها الثلاثية وغياب الحركات فيهما عند الكتابة ، وتضمنهما لهجاء أساسي واحد .

لقد تفوقت العربية في القرن التاسع الميلادي حتى أن الناطقين بالآرامية سابقاً تبنوها في كلامهم . وقد كانت العربية منذ القرن الثامن الميلادي لغة الدين الاسلامي والحكم السياسي الذي فرضها ، فصارت لغة مؤدية لرسالة التعريب ، وعربت الدواوين في الشام ، وحتى في الاندلس حيث لم يقع القضاء على العربية الا بعد نزوح العرب بقرون . وبذلك وقع التخلي عن اليونانية والفهلوية ، وبقيت السريانية لغة الشعائر والطقوس الدينية . وأما العربية فقد اتسع اشعاعها الفعلي الى التجارة والمبادلات البعيدة ، كما قامت برسالة الادب والعلم ، فنقل عن طريقها الفكر اليوناني والفارسي والهندي ، مع العلم أنها كانت فرعاً من اللغات السامية ، رقعة انتشارها ضيقة محصورة في بعض القبائل العربية . بل ان العربية ستتخطى في القرون التالية حدودها الاسلامية وتستخدم لغة للتجارة العالمية في اوروبا وآسيا وافريقيا ، وتصبح بذلك سبباً في نشوء عدة لغات محلية (سواحلية ، صغدية ، ماليزية) . ذلك أن الدافع السياسي العربي الذي فرض العربية لغة الدين الجديد منذ الفتوحات الاولى تمادى ورسخ الى أن صارت العربية لغة رسمية حكومية في العصر الاموي . وقد صار التعريب العلامة الاساسية للسلطة الجديدة ، خاصة وان الامويين حققوه بترو ، اذ لم يتم فعلاً الا بعد نصف قرن من قيام دولتهم . وقد امر عبد الملك

ابن مروان بن الحكم (٦٨٥ ـ ٧٠٥) باستعمال العربية في المراسلات الرسمية ودواوين الخراج ، فتم الاصلاح الهادف الى تسيير دفة الحكم بأيد عربية ، فشمل العراق قبل نهاية القرن السابع الميلادي ، والشام في مطلع القرن الثامن الميلادي ، ومصر بعد سنوات من ذلك ، لوجود اللغة القبطية منذ امد بعيد . وتأكد التعريب في مصر عند دخول عرب من قيس ، واتسع مداه بعد فتح بلاد النوبة (٣٢٠ هـ) . وفي الاندلس تأكدت ارادة التعريب بعد سنة ٧١٩م ، اذ جاءت كرد فعل على اتجاه بعض الامراء الى الاهالي من غير العرب ، فشمل التعريب الارض والبشر (تعريب البربر الوافدين) كما تعربت عدة مناطق اوروبية لغوياً وحضارياً بمحض اختيارها ، مستنكفة عن تعلم اللاتينية .

وبذلك تجلت آفاق العربية ، وطمحت الى أن تصير لغة المعرفة الانسانية الرائجة في تلك العصور . وقد عمل الخلفاء العباسيون من أجل بلوغ هذا الهدف ، ففرضت العربية وجودها واستخدمت لنشر العلوم والحضارة الاسلامية بمختلف مظاهرها ، وهي الفترة التي اتجهت فيها العلوم الى التجريب (فيكون ابن الهيثم بذلك قد سبق بيكون في هذا الباب) ، وظهرت خلالها الى الوجود لغة علمية عربية سلسة ، فوقع تجاوز الفترة العلمية النظرية كما كانت معروفة في عصر افلاطون . وكان لمجهود ترجمة العلم الاعجمي الى العربية (عبر السريانية) المقام الاول، ووقع العزوف عن الترجمة الادبية والحضارية لحاجة العرب الى المبتكرات العلمية ، ولوفرة الكتابات الادبية بلغتهم . فانكب المترجمون من السريان خاصة على البحث والتنقيب لايجاد المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية . وبذلك يتضح أن الترجمة التي انيطت بمختصين ، ربما رصدت الالفاظ دون المعاني والاساليب التي ضبطها الفصحاء وقاموا بتعريبها . وما جد في الماضي ، وفي القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، شاهد على تسرب الاساليب الاجنبية الى العربية بحيث امكن للاسلوب العربي الحديث أن يتبلور بالاحتكاك بالاساليب الاخرى (في الماضي كان الاسلوب الفارسي واضحاً في كليلة ودمنة) ، وهي ظاهرة لا مفر منها قديماً وحديثاً ، لأنها تنبثق عن ترجمة النصوص . ونحن اليوم ازاء الظاهرة نفسها وقد صارت من تقاليد الكتابة الادبية والعلمية .

٢ ـ محتوى التعريب حاضراً

الملاحظ لأول وهلة أن حركة التعريب التي تجمدت في عصور الانحطاط، بسبب توقف الاجتهاد اللغوي ، وانحسار العربية وانغلاقها في قوالب محنطة ، عادت الى النشاط من جديد حالما بدأت العربية تتجدد في القرن التاسع عشر ، ومنذ أن فشلت عملية التتريك التي استهدفت اول ما استهدفت القضاء على التعامل بالعربية سياسياً داخل الدولة العثمانية . وكان القرن الماضي يمثل مرحلة انتقالية مورست خلالها الترجمة الادبية الثقافية من اللغتين المسيطرتين في الاقطار العربية ، نعني الفرنسية والانكليزية اللتين رافقتا ودعمتا الحضور الاجنبي والقهر المسلط على الامكانات الناشئة للنهضة العربية المتحفزة ، وذلك بقصد شل انطلاقتها الحقيقية . وكان السبق الى الترجمة

الشعرية والروائية والمسرحية ظاهرة طغت على الادب العربي الحديث فوقع اغفال النقل العلمي الى حين لفائدة التعريب الحضاري الشامل رداً على التتريك ، واتاح ذلك فرصاً متجددة لكي يتمكن الاديب والفنان العربي من الخلق والابداع .

وكما كان التتريك في مواجهة مع التعريب ، تعريب الآداب والفنون الغربية ، والزامية التعليم الثانوي في مصر منذ مطلع القرن العشرين ، وتعريب كلية الطب في سورية منذ ١٩١٩ مسبوقة بتعريب مدرسة الطب في مصر (١٨٢٦ - ١٨٨٧) منذ عصر محمد علي ، كذلك كان التعريب العلمي رداً على ظهور الغرب بمظهر المتفوق علمياً وتقنياً وهو الذي غزا الاقطار العربية بمفاهيمه الحضارية . ولنلاحظ أن هذه المؤسسات تحققت في جو متعسف من التتريك الذي لم يفرد العربية الا ببعض الميادين التقليدية ، محتكراً لنفسه التعليم وتكوين الاجيال باللغة التركية . ذلك أن الوعي العلمي العربي تجسم منذ ان أسس مجمع دمشق سنة ١٩١٩ ، وبعده مجمع القاهرة سنة ١٩٣٢ . وتبين أن النجاعة العلمية المنتقلة الى العربية لن ترسخ الا بتطوير هذه اللغة وتدريسها بروح العصر ضمن مؤسسات علمية كدار العلوم في مصر وجمعية العلماء في الجزائر وجمعية ابن خلدون في تونس . فصار الارتباط واضحاً بين التطور العلمي والتطور اللغوي التعليمي . ومصطفى الشهابي الذي رأس مجمع دمشق لاحظ أن المقررات في تدريس الطب مثلاً تقدم بالعربية لكن الاختلاف يبدأ عند التنفيذ ، كأن تقدم الدروس الجاهزة بالفصحى والشروح المرتجلة بالعامية وحتى باللغة الاجنبية . فهل ترتب على ذلك انخفاض في مستوى المعرفة التي يكتسبها الطلاب ؟ كان الاقتناع الوارد الشائع أن الاساليب البالية التي تلقن بها العربية في المؤسسات التعليمية التقليدية (طريقة الحفظ ، الشروح والمتون) سبب مانع لانتشار العلوم بالعربية . وكان الأزهر مثالاً حياً على عزوف الطلاب عن اكتساب العربية بطرق رديئة علق عليها ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر .

وعلى الرغم من محاولات التحسين التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر ، فقد بقي التعليم اللغوي العربي شفوياًنظرياً لا يستند الى التدريبات والتمارين اللغوية (تحرير بعد تعليم تركيب الجمل) ، فاقتصر الطلاب على حفظ خلاصات غامضة يمليها عليهم المشايخ . وقد تشعبت المعلومات اللغوية والتبست عليهم بسبب ما يضاف اليها من شروح نحوية وبلاغية وغيرها من استطرادات . ويقابل هذا المنهج السيء ما تقوم به اللغات الاجنبية من تشويقات لجلب المعلمين الى تقبل المعلومات اللغوية بأساليب واضحة محفزة ترسخ القواعد في الاذهان بعد فهمها وامكان استعمالها فوراً ، حتى قيل أن التعليم اللغوي الحديث اكتسى اغراضاً نفعية عاجلة ، ذلك أن الدول الاخرى دأبت على تحبيب لغاتها ، وابتكرت لهذا الغرض أساليب تعليم جيدة في حين أن العربية لم تتحرك لمعالجة ما يعوقها ويقف في سبيل تطورها . وقد اوضح ذلك علي الجارم في المؤتمر الثقافي العربي الاول (١٩٤٦) قائلاً : « كره الطلاب العربية وأرغموا على تعلمها ارغاماً » . ذلك أن هذه اللغة بالاضافة الى عقم اساليبها ، ما انفكت تنقل الافكار القديمة ، وتلقن بطريقة بالية لا تستجيب لرغائب الطلاب الذين انكبوا على مطالعة التآليف الأجنبية ، مفضلين الانفصال عن

روائع الادب العربي ، حتى أنه وجد تعريب مواز لمسايرة هذا التيار تمثل في العمل على نقل القصص الغربية بأحداثها وأبطالها واقحامها في محيط عربي بتعريب اسماء الامكنة والاشخاص .

أ ـ خصائص التعريب في المشرق العربي

اتصف التعريب في الشرق بعدة مميزات حددها الخبراء في الخاصية اللفظية الجزئية ، باعتبار انه عمل مؤقت فني يستهدف متابعة المستجدات العلمية وإستكمالها . هذا من وجهة المنهجية التي سار عليها . واما من حيث الاداة اللغوية فقد تأثر بالمفاهيم المستخدمة في اللغة الانكليزية ، مع أنه لم يكن خالياً من مفاهيم علمية اخرى مقتبسة من الفرنسية والالمانية ، وشاعت في السنوات الاخيرة المفاهيم الروسية بصورة محتشمة لقلة العارفين بهذه اللغة .

ولم يحل هذا التيار التعريبي دون بلورة الشخصية الثقافية العربية بمفهومها القومي الشامل . والدليل أنه لم يعوز أقطار المشرق الاساتذة لتدريس الآداب والحقوق ، وحتى علم الحياة والكيمياء والطب والعلوم التقنية . فقد اقترح مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق (١٩٥٥) تعليم لغة اجنبية في المدارس الثانوية والاستمرار على ذلك في الكليات العلمية ، وحتى السماح لمدرسين اجانب بتدريس هذه المواد بلغاتهم ، فيكون ذلك بمثابة اللقاح للفكر من شأنه أن يرسخ المصطلحات العلمية الاعجمية ومقابلاتها بالعربية . وعرض ساطع الحصري مقترحاً لحصر المصطلحات الاجنبية بين الخبراء في حين يتمادى الجمهور المثقف في الافادة من التعريب ، اي من التصرف العلمي باللغة العربية . ووجدت حلول اخرى توختها المجامع الموجودة في اقطار المشرق (القاهرة، دمشق ، بغداد ، عمان) كما اجتهد الافراد ، وعلى رأسهم الصحفيون ، في ابتكار الكلمات التي هم في حاجة اليها كل يوم ، تعبيراً عن مفاهيم العصر .

وبهذا المنظار يسجل في التعريب المشرقي تناوب بين الحلول التخصصية المنعزلة عن الرأي العام ، والمستندة الى خبرة اعضاء المجامع التي تسلمت قضايا التعريب ، وبين الحلول المطروحة على الجماهير عن طريق الصحف السيارة . وكانت عملية مد وجزر بين هذين التيارين ، ادخلت ما ادخلت من الفوضى والتنافر في العمل الاصطلاحي ، فحال هذا الاضطراب دون استقرار المصطلحات العلمية المعربة ، وادراجها في معجم الاستعمال اليومي بعد توحيدها وتنسيقها ، وهي المهمة التي ستناط بمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي المنبثق عن وفاق عربي تمخض عن أول مؤتمر للتعريب (١٩٦١ ، الرباط) . وهكذا بدأ التعريب مشرقاً عملاً فردياً وتدرج الى مستوى الوطن ثم استقر الآن على الصعيد القومي العربي . وإذا كان عملاً فنياً وجزءاً من التعريب الشامل ، استناداً الى المفهوم القديم الذي حدد للتعريب اتجاهاً لفظياً باعتبار أن الأصل يتمثل في اقحام اللفظة بذاتها ومادتها في العربية ، فقد فك الوعي العروبي الشامل هذا الحدّ واحاطه احاطة قومية برزت حدتها في المفهوم الذي راج في اقطار المغرب .

ب ـ خصائص التعريب في المغرب العربي

يستند التعريب في المغرب بمعناه العام الى نقل كل ما هو اجنبي الى العربية . وقد استعرضنا هذه المفارقات والتلونات في دراستنا عن « التعريب وتنسيقه في الوطن العربي » التي تفضل بنشرها مركز دراسات الوحدة العربية المنظم لهذه الندوة[1] . وعلى هذا ، يشكل التعريب المغربي قضية شاملة تتعلق بنسب متفاوتة بالهوية الوطنية والتراث والشخصية والاصالة العربية الاسلامية التي تنتسب اليها اقطار المغرب العربي ، كما أنه يتضمن ظاهرة التفتح على الحضارة الاجنبية ، ولاسيما الثقافة الفرنسية ، طلباً للاثراء الفكري .

وهو ايضاً اختيار يتناول الفكر والمناهج ، ويعتمد تجارب المشرق ويستفيد منها لانجاز التعريب الوطني ، بعد وضعها على محك النقد وتطويرها عند الضرورة ، وتكييفها على كل حال والواقع التعريبي المحلي . وتتسع هذه القاعدة المعممة للتعريب الفاعل الى خطة كبرى تستهدف احلال العربية محل غيرها من اللغات الاجنبية ، على الاقل من وجهة المبدأ ، وهو ما عرف بالازدواجية الاستعمارية . ونحن نفضل تسمية هذا الواقع اللغوي الذي ما زالت تعيشه نسبياً اقطار المغرب « الثنائية اللغوية » في التعليم والادارة والمجتمع ، علماً واثباتاً لواقع المواجهة القائمة بين العربية والفرنسية . ولنصطلح على تسمية الاختلاط الموجود بين الفصحى والعامية « الازدواجية العربية » . ولا يفوتنا أن نلاحظ في هذا الباب التفاعل القائم بين مظهري اللغة العربية وكذلك التفاعل المتواصل بين العربية الفصحى وبعض اللغات الاجنبية خاصة الانكليزية (والامريكية) والفرنسية ، سواء أكان في اقتباس الكلمات الحضارية والعلمية ، او في انتقال التراكيب وأساليب الكتابة الى المعاني المحدثة .

لا فائدة من استعراض الامور المعروفة اليوم التي وعى المغرب العربي أخطارها ، نعني اصرار الغزو الثقافي الاجنبي منذ أن استقر الحكم الفرنسي بشمال افريقيا ، معتمداً على خلفية تاريخية تعود الى الاحقاب الماضية ، وتستند الى احياء الحضارة الرومانية الغابرة في الربوع المغربية ، خاصة وأن الرومان غزوا هذه المنطقة قبل حلول الفتح العربي . وهي تبدو عملية للأخذ بالثأر الحضاري واحياء حضارة طمسها الاسلام ، وفي احيائها تكريس للاوضاع الاستعمارية بأنواعها . وهذا ما يدعم ويعلل الاندفاع الى تحقيق التعريب بصفته رد فعل حضارياً ينتمي الى مقومات عربية اسلامية ، اراد قبل الاستقلال واستمر بعده في المطالبة بالتعريب الشامل الفوري ، فجسم احد مطامح الجماهير التي ترى في الاستمرار بمعاشرة اللغة الاجنبية في المدرسة والمجتمع والادارة ، ترفاً لا قبل لها به وتبذيراً للجهود والاموال التي تنفق مضاعفة لتأمين تعليم ذي وجهين متنافرين . وهنا تبرز المواجهة بين تيار التعريب وتيار التغريب الذي تبرره النخبة المتشبّعة بالثقافة

---

(١) محمد المنجي الصيادي ، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠) ، ص ١٠٣ خاصة .

الاجنبية ، بعامل السرعة والنجاعة الضروريتين في عملية التنمية ، اضافة الى التفتح على العالم المحيط بواسطة اللغة الاجنبية . فالتعريب نابع من ارادة الجماهير ، وفي استطاعته القضاء على التبعية الثقافية المجحفة على الاقل ، لكونها شكلاً أو مضموناً في اعتقاد الطبقات الفوقية المرتبطة بمصالح خارجة عن البعد الثقافي الوطني ، وهي مصالح ذات ارتباطات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية .

وعلى هذا ، يمكن ادراك الجهود المبذولة من أجل اعادة بناء الهوية الثقافية على أسس وطنية وقومية عربية ، وأحسن ما تجسم فيها التعريب . وهي ما زالت تطمح الى القضاء على بنى التبعية التقليدية القائمة بين الدولة الاجنبية والدولة الباحثة عن اسباب الرقي والثراء الفكري . فنشأت ونمت في ضوء هذا الوضع جدلية بين الاتجاهين ، اتجاه جماهيري عروبي واتجاه نخبوي وطني انتقائي يميل الى المحافظة على الاوضاع القائمة في التعليم والادارة ويعيش في محيط اجتماعي شبه مغلق على الواقع المحلي و « متفتح » على الحضارة الاوروبية بابعادها الفرنسية دون غيرها من الخيارات الحضارية الموجودة في العالم ، وذلك ترسيخاً لمصالحه المكتسبة وتكريساً لطموحاته المقبلة . ويتمخض عن هذا السلوك الانفرادي العازل غير السوي نفسانياً ، التخلي عن القيم الاصيلة في المدى القريب ، وتفسخ الشخصية الوطنية والقومية في المدى البعيد . لكن حتميات التربية ووقائعها المعيشة يومياً حتمت الابقاء على اللغة الاجنبية ولو بصورة انتقالية الى أن تتحقق الآمال المعقودة على منجزات التعريب الجزئي ، ترقباً لتنفيذ التعريب الشامل الذي يبدو مطلباً عسير المنال في الوقت الحاضر .

ثانياً : الاحاطة بمفهوم التعريب وتصوراتنا له

١ ـ تصورات متلونة بالظرفيات والاجتهادات

تكون الاحاطة بمفهوم التعريب عن طريق استعراض بعض التعريفات الواردة رسمياً ، مغرباً ومشرقاً ، بمناسبة انعقاد الندوات الخاصة بهذا الميدان . وهي تتلون وتتطور بحسب ما جدوما يجد من ظرفيات قطرية وعربية ، ومنها الظرفية السياسية الاجتماعية التي يعيشها كل قطر عربي ، وبحسب ما يروج من اجتهادات فردية وجماعية . فقد صنف التعريب اصنافاً حسب المجالات التي استخدم فيها ، فبدأ لا محالة تعريباً قطرياً محلياً محاطاً بجميع الملابسات ، واحياناً المساومات ، التي تعوق التنفيذ ، سواء في ميدان التعليم او الادارة او المجتمع . والدافع المحلي الاهم يتمثل في مواجهة اللغة الاجنبية المسيطرة ومحاولة بسط اللغة العربية ومن خلالها ترسيخ الحق في الوجود العربي الاسلامي ، وفي طلب العلم باللغة القومية (تعريب التعليم) ، واثبات الهوية والشخصية الوطنية ، وهو أهم مطمح من مطامح التحرر من ربقة التيار التغريبي وضغط الثقافة الاجنبية المكتسحة . والبحث عن الهوية العربية على صعيد قطر واحد او على صعيد اقليمي ، وحتى على صعيد قومي ، انما يعني ايضاً الطموح الى المشاركة بقسط في النهوض بالثقافة العربية واقتحام البعد الحضاري الكامن فيها ، والتسلح به لخوض المواجهة الدائرة بين اللغات

والحضارات في العالم . فقد اعتبر في مصر مثلاً طريقة للاتصال بالحضارات الاخرى في حين كان قضية مصير في الجزائر . وهي فعلاً كذلك في الجزائر حيث اكتست عند التنفيذ الواناً من الصراع الداخلي الهامشي ، فأثيرت قضايا مفتعلة ، تطلب العناية بثقافة ولغة البربر، وإحياء تراثهم ولهجاتهم ، رداً على قرار شمولية التعريب وباعتبار أن المعربين كانوا قلة وان اغلبية السكان تتحدث بالبربرية . فلا موجب لفرض اللغة والثقافة العربية ، لكونها لغة تكرس الماضي ولا تستجيب لمتطلبات العصر ، في حين أن الفرنسية لغة العيش والمستقبل .

٢ ـ الدوافع

وقد نشأ عن التردد في تنفيذ خطط التعريب في اقطار المغرب اضطراب في الحلول الخاصة بالتعليم وبناء المجتمع ، يضاف الى ذلك ما طرأ على التعريب من تصنيفات وتلونات . فالتعريب مطلب عربي في شموليته ، لكننا ندرك أنه لا يمكن السهر على تنفيذه جزئياً او كلياً الا على الصعيد القطري . وهناك أيضاً يكتسي التعريب خصوصيات محلية لا قبل لنا بحصرها كلها . وعلى سبيل المثال ، نجد بداية التعريب التجريبي الظرفي المتعلق بمادة من مواد التعليم ، خاصة المواد العلمية التي لا يقبل المسؤولون على تدريسها بالعربية الا بعد ممارسة ذلك في بعض الفصول او المدارس المنتقاة ، وربما في جهة من جهات القطر ، ثم نستخلص نتائج التجربة وفي ضوء محصولها وإيجابياتها ، يتخذ قرار التعريب وهو واقع عاشته عدة اقطار لما كان التعريب في بدايته . وكان يعلّل بعدم المخاطرة بمستوى التعليم ومستقبل المتعلمين وفقدان التنسيق وتبادل الخبرات بين الاقطار العربية والاستفادة من تجاربها الخاصة مما جعل عدة قرارات تعريبية تجهض لفقدان السند النفساني والعلمي ، وحمل الاقطار المعرّبة على سلوك نهج مستقل والانطلاق من لا شيء ، وكأنه لا وجود لخبرات سابقة يمكن استغلالها وتطويرها وربطها بالظرفية المحلية . كما أن التعريب يكون ظرفياً سياسياً يستجيب لرغبات ملحة صادرة عن الرأي العام الذي يضغط بهذه الصورة على القرار الحكومي ويوجهه وجهة معينة ، فيجعل منه خياراً سياسياً عاماً .

وتجاوزا للصبغة التجريبية والظرفية المتقلبة ، خططت البرامج التعريبية تمشياً مع تعميم التعليم وانتشار اللغة العربية في المجتمع ، واحتلالها تدريجياً مكان اللغة الاجنبية . فصارت العربية عامل توحيد وطني واداة تثقيف ومعرفة وتوجيه سياسي وتنظيم اجتماعي واقتصادي ، وبذلك اصبحت أداة التوعية الوطنية الشاملة . وظهرت المخططات المدروسة خاصة في المغرب العربي فوجد التعريب الافقي المتجه الى تعليم المواد بالعربية في مرحلة كاملة من التعليم . وهي عملية نادرة ، وقد رسخ اعتبارها مجازفة بمصير الاجيال ومغامرة لغوية انها مقولة نابعة من المسؤولية النظرية اكثر منها صادرة عن ارادة وتصميم على تنفيذ الخطة . ذلك أنه قبل أن تقترح خطة تعريب التعليم بنيّة احلال العربية محل اللغة الاجنبية ، كان يجب حتماً اعداد الاطر المعرّبة التي تقوم بدورها بتعريب المعلمين ، ويقع في آن واحد اعداد الكتب الدراسية التي تخدم التعليم المعرب . ومن باب التناقض الواضح الاقدام على التعريب المدرسي وهو الامر المستعجل والرئيسي في وقت

واحد ، دون أن يستند هذا القرار الى خلفية تعريبية تعضده . اما الاستجابة العشوائية لطلب الرأي العام الذي لم يطالب الا بقبول مبدأ التعريب تاركاً للمسؤولين تقرير ذلك ، فلا ينتج عنها الا الاخفاق الذي يستعمله معارضو التعريب سلاحاً يشهرونه في وجه المعربين . والرأي العام لا نتصوره يطالب بالتعريب الفوري في مرحلة كاملة من التعليم ، بل نراه يؤيد التعريب التدريجي بشرط أن تستمر السلطة في تنفيذ ما اتفق عليه دون وجل ، وهو ما عرف بالتعريب العمودي الذي يتجه الى سنوات التعليم سنة بعد اخرى . والملاحظ أن المنطلق في التعريب هو التعليم بجميع مراحله ، لما يوفره من مجال فسيح للاختبار والتجريب والتخطيط للمستقبل . وهو مجال محدد بالمناهج والمقررات التعليمية بحيث تعم الفائدة من تحقيقه ، لكون المدرسة تخضع لنظام معين ، فلا توجد فرصة للمغامرة اللغوية او الضبابية التعليمية .

وموضوع التردد في مجال التعريب يؤيد العمل من اجل المراجعة والبلورة المستمرة لهذا المفهوم ، حتى لا نترك فرصة لرسوخ الادعاء القائل باستحالة تبليغ العلوم بالعربية في الوقت الحاضر، في حين أن الحضارة العلمية العربية في الماضي والتجارب الحديثة اثبتت العكس ، وأيدت امكانية التعريب العلمي . والامر العسير هو الخيار السياسي والاجتماعي المتمثل في السلوك التعريبي الواعي ، طبقاً لرغبة الجماهير وتأييداً لحقها في الوجود الكريم ، وفي طلب المعرفة بلغتها القومية ، وهو اعظم دافع للاقدام على هذا الحل والنهج على اقطار نجحت الى حد ما في تحقيق التعريب .

والحقيقة أن التردد ظاهرة نفسية تشل قرار المسؤولين في اتجاه تعميم التعريب وتجعلهم ينتقلون بين المد والجزر التعريبي ، وهو امر ملحوظ في اقطار المغرب منذ الاستقلال . وكان آنذاك واقعاً له ما يبرره نظراً للحضور الثقافي الاجنبي المكثف . وبعد مرور فترة هامة من التجريب والتقدم شوطاً مهماً في تعميم التعليم ، صار خيار التعريب يفرض نفسه لا بدافع العاطفة الجامحة التي تكون لها نتائج سالبة والتي تكون تأييداً لجانب اعداء التعريب ، بل لأنه خيار الكيف الذي صار في المقام الأول .

٣ ـ المفهوم الرسمي

لا غرو ان تكاثرت المفاهيم وتقاربت ، وهي في الحقيقة تعريفات حاولت الاحاطة بهذه الظاهرة النابعة منذ القديم من الوجود العربي . وان اتجهت في الماضي الى تعريب ما هو غير عربي ، اي أعجمي ، فهي منذ بداية هذا القرن تعمل على اعادة الهوية العربية الى سالف نصاعتها ، وتخليصها مما علق بها من رسوبات غريبة عنها ، كانت قد تراكمت على هيكلها خلال الحكم التركي والغربي . وبذلك يعني التعريب اليوم رد الهوية العربية الاصيلة الى العربي وانقاذه مما يتخبط فيه من تناقضات وتذبذب حيال العالم المعاصر .

وقد استعرضنا في دراستنا السابقة الذكر المدلول اللغوي كما شاع قديماً وحديثاً فأضفى على معنى التعريب تلونات متميزة . ولنذكر أن التعريب في المغرب هو أساساً تعميم اللغة العربية في

التعليم ، واقصاء اللغة الاجنبية عنه كلما سنحت الفرصة . واما المعنى الاصلي للتعريب في المشرق ، فهو يرمز الى اقحام اللفظ الاعجمي بذاته ومادته في العربية ، وهو المفهوم المدعم بما حدده ابن منظور والزبيدي من أن تعريب الاسم الاعجمي ، أن تتفوه به العرب على منهاجها ، وأن يدرج في اوزانها . وتؤيد الاصول اللغوية القديمة هذا المدلول الشرقي الذي يبدو مخصصاً للجانب الفني من عملية التعريب التي يراها المغرب عملية شاملة تعني اللغة والفكر ، والا كان التعريب لفظياً يدل اصلاً وعملياً على دخول العربية لفظة لم تكن معروفة قبل ذلك عند العرب ، فتعرب ويصطلح على استعمالها ضمن احد الاوزان القارّة . ذلك هو المفهوم الرسمي الذي رشحه مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ، ضمن تقرير عن نشاطه قدمه الى مؤتمر وزراء التربية العرب (صنعاء ، ١٩٧٢) ، حيث ذكر أن المقصد من التعريب « صياغة المصطلح الاجنبي على المقاييس الصرفية العربية بحيث يصبح قابلاً للتعريف واخذ الاسم منه والفعل واسم الفاعل واسم المفعول واسم الآلة . . . » . لا شك أنه تعريف فني متواتر عن الماضي ، وهو يكتسي صبغة رسمية اذ تبنته مؤسسة عربية متخصصة في مراجعة المصطلحات ومطابقتها للاوزان العربية .

ويقابل هذا التحديد التعريف القطري للتعريب ، وقد ورد بوثيقة رسمية صادرة عن وزارة التربية الوطنية بالمغرب قدمت لمؤتمر التعريب الاول (الرباط ، ١٩٦١) ، وهو ان « التعريب بالمغرب هو احلال اللغة العربية في التعليم محل اللغات الاجنبية ، وتوسيع اللغة العربية بادخال مصطلحات جديدة عليها ، والزام الادارة بعدم استعمال لغة دون اللغة العربية ، والعمل على أن تكون لغة التخاطب اللغة العربية وحدها ، والدعاية لها ، ومقاومة كل الذين يناهضون لغتهم للتفاهم في ما بينهم بلغة اجنبية . وبالجملة فإن التعريب هو جعل اللغة العربية اداة صالحة للتعبير عن كل ما يقع تحت الحس وعن العواطف والافكار والمعاني التي تختلج في ضمير الانسان الذي يعيش في عصر الذرة والصواريخ » . انه لبرنامج شامل يقرر من الوجهة المبدئية ، المنهجية الواجب سلوكها للوصول بالتعريب الى غاياته الانسانية الحضارية القصوى ، وهو الاطار الذي به يريد اقطار المغرب استرداد هويتهم العربية ، ولذلك فهو يدرج العمل الفني اللغوي المتعارف عليه مشرقاً ضمن اهدافه .

وعلى هذا ، يكون المفهوم المغربي نابعاً من منطلقات قومية شاملة ويشكل منهجاً قائم الذات ، ويقترح مخططاً كاملاً لتحقيق التعريب . فهل كان التعريب في المشرق عملياً ، واتصف في المغرب بالمنهجية والنظريات اكثر مما هو تصور لمجهود اصطلاحي لغوي ؟ لا شك أن الترابط الطبيعي العضوي قائم بين الاتجاهين . فالتعريب الاصطلاحي بالمشرق يكون الزاد الذي يعوز المغرب لتنفيذ خططه التعريبية . وإن كانت المجامع قائمة في المشرق ، وكانت تعمل على الصعيد القطري ، فهي الآن تعمل متناسقة الجهود ضمن اتحاد المجامع . كما أن مجمل الجهود التعريبية تتبلور في مؤتمرات التعريب الدورية ، فلا تناقض بين النشاط الدائر لفائدة التعريب في المشرق مطعّماً باستمرار المشاريع التعريبية المغربية ، وبين ما تطلبه اقطار المغرب من مساعدات اصطلاحية وبشرية للاستمرار في العمل التعريبي . كما أن المشرق عرف قديماً الترجمة التي كانت تعنى بنقل العلوم الى العربية ، واستنباط المصطلحات لذلك عن طريق ترجمة الكتب الاعجمية . وفي العصر الحديث ، وبفضل انشاء المجامع ، اتاح الاتصال بين اللغويين العرب رفع الغموض عن ماهية

التعريب بمعناه الحديث المتداول ، مع أن الشرق تمادى في وضع المصطلحات العلمية والحضارية ، على أساس أن العربية تسيطر على الحياة الفكرية في الاقطار العربية المشرقية ، فليس لها الا أن تستكمل العمل الفني الذي تشرف عليه المجامع . وأتى التعريب اللفظي لدعم التعريب في المغرب ، لكونه حصيلة جاهزة ، منطلقاً الى البحث والتروي في تعريب المناهج العلمية واعتبار التعريب بحثاً مستمراً عن الهوية العربية ومشاركة في الحضارة المعاصرة بأداة لغوية قومية .

٤ ـ الاعتراضات على التعريب

تنبع الاعتراضات على التعريب من دوافع وخيارات متنوعة . فإذا درس المدرسون العلميون وتثقفوا باللغات الاجنبية ، فقد يستحيل عليهم التدريس باللغة العربية . ومن باب نجاعة العمل التربوي أن نعفيهم من ذلك ولو كان الامر يخص التعليم الثانوي ، حتى لا يقال ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ان التعريب لصيق بانخفاض المستوى العام للتعليم ، وحتى لا ينجم عن ذلك بث الفوضى والتردد في اذهان الطلاب ، لأن المدرس المتخصص في علم من العلوم لم يجد فرصاً سانحة للاستمرار في معاشرة العربية فكرياً ولغوياً ، ولا احد يبرر موقفه او سلوكه طبعاً . كما انه لا يمكن تحميله اية تبعات ، اذ يجب تعريب المدرس فكرياً قبل تعريبه لغوياً . واذا تمّ اعداده محلياً ، فإن المناهج المعمول بها في دور المعلمين هي المسؤولة عن الوضع ، لانها لم تعرب مقرراتها . وان درس المدرس خارج الوطن العربي في تخصص مفقود في وطنه ، فلا مفر من أن يدرس باللغة الاجنبية . وتردد القرارات الرسمية وضبابيتها يحولان دون ايجاد الحلول الملائمة المدروسة . فبالنسبة للمتخرجين قطرياً ، يمكن تدريبهم على المصطلحات العربية في سنة تخرجهم . اما المحصّلون في الخارج ، فيمكن أن تهيأ لهم دورات تعريبية قبل تقرير انتدابهم للتعليم . وللسلطة المعنية أن تستنبط الحلول المستجيبة لخيار تعريبي قارّ ، باعتبار أن كفاءة المدرس الذي اتقن اعداده قادرة على التغلب على اضطراب المصطلحات . فلو كان المشروع التعريبي متصفاً بالاستمرارية وطول النفس ، لما وجد المعترضون عليه الثغرات التي افحموا بها المعربين ، ومنها أن التدريس باللغة الاجنبية مباشرة يوفر على الدولة النفقات والجهود اللازمة للعمل التعريبي .

ومع ذلك يمكن الرد على هذا الموقف السلبي في حد ذاته بأنه ينبغي على كل قطر أن يتخلى ايضاً عن مشاريعه الانمائية لانها تتطلب اموالاً وفيرة وجهوداً مضنية ، وبذلك نبين لهم ما اتصفت به مواقفهم من رجعية . ولاحظ المعترضون أن الفصحى لغة ملقنة مثلها مثل اللغة الاجنبية ، وأن العامية تشكل في الواقع لغة الحياة الطبيعية التي تلقنها الام لابنها ، فهل هذه دعوة الى احياء العامية من جديد ، اذ لا علاقة لها بقضية التعريب ؟ ومع موافقة المعترضين على أن العلم رائج الآن بعدة لغات عالمية ، فلا يبرر هذا الواقع التخلي عن العمل من اجل أن تكون العربية لغة علمية ، حتى وان كانت لغة متأخرة عن ركب الحضارة المعاصرة لما تلاقيه من صعوبات في وضع المصطلحات فوراً او بصورة موحدة والالقاء بها بين يدي المستعملين ، يضاف الى ذلك قلة مراجعها العلمية وضعف البحث العلمي والتقني المنشور بالعربية . وحسب زعمهم ، فالعربية تضيق عن استيعاب

كل انواع المصطلحات ، لفقدانها الادوات الصرفية المتممة كالصدور واللواحق اللاتينية واليونانية وصعوبة النحت فيها . لكن ما نشاهده يومياً من انتاج اصطلاحي عربي ينفي هذا الزعم ، مع الاعتراف بأن العربية لا تستسيغ كل المعربات ، وبذلك قصرت عن استيعاب كل ما يستجد من مفاهيم علمية جديدة ، لا لعجز كامن فيها بل لتحرج اللغويين القدامى والمعاصرين من تعجيم اللغة . واما الحجة القائلة بأن العلماء العرب انصرفوا عن الابتكار العلمي لانشغالهم بالتعريب ، ففيها نظر لأن تدقيق الالفاظ العلمية بعدة لغات في اختصاص الخبير ، انما يدفع به الى تعميق ابحاثه ومقارنة الفروق الواردة بين المفاهيم العلمية المتلونة بالخصوصيات المحلية ، وهذا امر معروف في تحديد اصناف الحيوان والنبات . ويعترضون كذلك على الجامعات العربية بأنها تفتقد الى برامج التخصص العالي جداً ، وانها تقتصر في الوقت الحاضر على التلقين العلمي الذي لا يكفي لبلوغ اوج الاختراعات والابداع . والجواب أن الترابط العلمي بين الدول يقتضي ، بل يحتم ، وضع مثل هذه البرامج موضع التنفيذ ، بحيث لا يمنع اي عالم عربي من المشاركة في دورات تدريبية ، والتخصص واستكمال ما ينقصه من خبرات .

٥ ـ الدفاع عن التعريب

وانبرى المؤيدون للتعريب طبعاً يدافعون عن ثراء اللغة العربية بكلماتها القديمة والحديثة ، وانها اللغة القومية الموحدة لكل الناطقين بها ، وأن تدريس كل المواد بالعربية يخدم النهوض بها على المدى البعيد . كما أن تطويعها لذلك الغرض عامل حاسم لعصرنتها ، لأن القول بأنها غير معدّة لنشر العلوم من جهة وتعطيل منطلقات رقيها من جهة اخرى ، يتضمن تناقضاً غريباً، وأن الماضي يؤيد ما لها من قدرات حاضراً ومستقبلاً ، لان الارادة العربية الماضية فرضتها فرضاً في جميع مجالات الحياة . ثم ان النجاعة فرضت علينا العدول عن تنفيذ التعريب الكامل واستبداله بالتعريب الظرفي لأنه اقرب منالاً ، وحتى لا يقال اننا عربنا بصورة متهورة لا تحسب حساباً للمستقبل . ويقع العدول عن التعريب الجزئي اذا تنافى مع الاهداف الوطنية والقومية (مثلاً في تدريس التاريخ والجغرافيا) . فلا خوف اذن على العربية من اقتحام التعبير العلمي وممارستها لوضع المصطلحات ومجاراة اللغات العلمية الاخرى في هذا السبيل ، خاصة وان الجهود الفردية التي بذلتها الصحف العربية أكدت ظهور لغة عربية حديثة قادرة على استيعاب العبارة العلمية الدقيقة التي لا ينقصها الا التوحيد والترويج على صعيد عربي .

لكن ابعاد التعريب اعمق من مجرد الوقوف عند قضية المصطلحات ووضوحها وتوحيدها وربط ذلك بوجوب احترام مستوى التعليم العربي ، والرفع من المحصول العلمي والحضاري للطالب العربي . ومبتغانا هو فك حلقة التبعية الثقافية المجحفة ، والتأكيد بأنها تكتسي صبغة وقتية . ذلك أن مبدأ هذه التبعية لا يمكن أن يكون عاماً شاملاً ، بل له صبغة نسبية مرتبطة بالوضع السياسي لكل قطر عربي . هذا ولا يمكن لمجتمع أن يخضع برمته للنهل من الثقافة الاجنبية ، مهما توخت من اساليب تشويقية للوصول الى عقله ووجدانه ، لان الثقافة مجموعة من القيم الحضارية

لا تستساغ اذا كانت غريبة عن المقبل عليها . وينطلق البحث في مفهوم التبعية من افتراض وجود ظواهر منها مغروسة بين افراد او جموع تلقوها واستوعبوها بدرجات متفاوتة . ويأتي التعريب درعاً واقياً من التفكك الثقافي ، لأنه يرمي الى غرس عروبة الفكر والمحيط ، فيكون سباقاً متجهاً الى الجموع الغفيرة من المواطنين العرب (برامج اذاعية وتلفزية ذات ابعاد عربية مثلاً) . ويطمح التعريب الى استرداد الهوية القومية ، فيشكل بذلك المعركة الاخيرة للتحرر الوطني والقومي من وجهة الفكر والوعي . وتحتل العربية الدور الحاسم كأداة معقلنة ممنطقة توحد بين الاقاليم العربية ، وتعمل للقضاء على الشذوذ السلوكي لافراد من النخبة ينتمون لقيم حضارية اجنبية تتنافى وحتميات النهوض العربي . وانها لظاهرة متقطعة لكنها موجودة فعلاً في الواقع العربي ، وهي تؤكد الانتماء الى ثقافات اخرى فكرياً وشعورياً ، وينبغي على التعريب حسمها لصالح التوحيد العربي بوسائل مقنعة (ضمان مصالح ومستقبل اولئك الافراد واقحامهم في المسؤوليات الوطنية الى أن ينتفي عنهم الشعور بالنبذ ضمن مجتمع معرب) .

وهكذا تكون العربية بمثابة الاداة الموحدة القاضية على الفروق المفتعلة ثقافياً واجتماعياً وقد خلقتها ظرفية سياسية طارئة من القوى الاجنبية . فيكون التعريب بهذه الصورة اسقاطاً لهذه الحركات المتناسقة ، ويرمي في جوهره الى رد الطاقة الخلاقة الى العربية كأداة معبرة عن كيان حضاري قائم الذات . ذلك أن شحنة الثقافة هي اللغة التي تقوم بالوظيفة العاملة الموجودة في الكلام . هذا من الناحية المنهجية التي تستهدف من التعريب دافعاً اقوى متمثلاً في استرجاع القيم الثقافية العربية التي حرم العرب من تقمصها حيناً من الدهر ، خاصة في عهد جمع بين الحكم التركي والحكم الاجنبي . فقد مر الوطن العربي بأزمة تراثية جعلته يتعطش الى القيم المنبثة في شعار العروبة والاصالة والحنين الى التراث لمواجهة ومغالبة الغزو الفكري الاجنبي . فوجب اذن التمييز بين التوق الى الهوية العربية والبحث عن مطلب الحق في التعلم بواقع وجداني . فلا مناص من الخروج من دوامة نشر العلم باللغة الاجنبية ، لأن تعميم الدراسة على جميع المواطنين يفترض تبليغ المعرفة بأيسر السبل . وذلك يعني استخدام الطاقة الوجدانية الكامنة في اللغة العربية كاحدى مقومات الشخصية لفائدة ترسيخ التعريب العلمي خاصة .

فالتعريب المدروس القومي يتطلب اعداد ادوات عمل كالمعاجم ، وهذه مهمة ملقاة على عاتق المجامع العاملة بمعية اهل الاختصاص والخبراء ومساندتهم ، لتحديث العربية عبر معاجمها وكتبها العلمية ، وجعلها قادرة معبرة عن الحاجات العلمية ، مستجيبة للطلبات المتنوعة . وقد مرت محاولات توحيدية (الجزائر ، ١٩٦٣) على صعيد عربي استهدفت مجانسة المصطلحات والمعاجم ، وما زالت مستمرة الى اليوم . وقد أكدت مرة اخرى هذا الاتجاه ندوة الرباط (فبراير ١٩٨١) المخصصة لتوحيد منهجيات المصطلحات العلمية الخاضعة لعملية الانتقاء والفرز التي يجب أن تستخدم التقنيات الحديثة لتوحيد ما اضطرب منها ، وذلك باخضاع المصطلح لدلالة واحدة مثله في ذلك مثل المصطلح الدولي ، بمساعدة الوسائل المتاحة في الصرف العربي التي ينبغي مراعاتها عند تعريب الالفاظ الاجنبية . كما أن مؤتمر التعريب الرابع (نيسان / ابريل ١٩٨١)

المنعقد بطنجة اقر في الفقرة الرابعة من توصياته أن « التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية ولا زلفى لها ، ولكنه كذلك استجابة للحقائق التربوية التي اثبتت أن تعليم الانسان بلغته اقوى مردوداً وابعد اثراً وانه احفل بالنتائج الخيرة من الكمية والذاتية » ، خاصة وان العمل بهذا المنهج يوفر ، كما أكد المؤتمر ، الاسباب المؤيدة لقضية التعريب التي لم تبلغ غاياتها المنشودة الى الآن .

إن الالتفاف حول الفصحى الموحدة ومفاهيمها ومصطلحاتها العلمية والحضارية يقود حتماً الى توحيد المجتمعات العربية على الصعيد الفكري . وهذا أعظم عامل يؤيد الالتحام والانسجام والتنسيق والتكامل بين الجهود العربية في المجالات الاخرى . وبذلك قد يشكل التعريب اعظم رهان عرفته العروبة في العقود الاخيرة . وهو ثمرة يانعة ملموسة للجهد العربي الثقافي المشترك المدعم بالموقف السياسي المتضامن والنهج الاقتصادي المتآزر المتكامل . وهو جهد لا ينفي ولا يستنكف من استخدام اللغات الاجنبية ، شريطة الا يرتبط مصير التعليم والادارة والحياة الاجتماعية بقيم غريبة تبثها تلك اللغات . والفائدة المرجوة تحمل على العمل من اجل استخدام المادة الايجابية المستخلصة من كل لغة عالمية ، اذ تقدر على مواجهة المعرفة العلمية . والتعريب الصحيح لن يكون بالقضاء على الامكانات التي تتيحها اللغات الاخرى لازالة الزعم القائل بخطورتها على الفكر العربي ونقلها قيماً مخالفة له . واستغلالها يكون لفائدة نشر العربية وتطويرها وتسخيرها للنهضة العلمية . كما أن حسن الافادة من اللغات الاخرى يجعل من التعريب قوة تحيي الطاقة الفكرية الخلاقة .

ويمكن القول تجاوزاً ان التعريب دعم للغات الاجنبية التي تستخدم حسب مقاييس عربية لا دخل فيها للسياسة الثقافية التي تخطها الدول العاملة على نشر لغاتها في الاقطار العربية . والتساؤل يدور حول الصيغة التي بها تنقل المعرفة من هذه اللغات . فهل تقتصر على المعرفة العلمية الصرف دون المادة الفكرية التثقيفية ، ام تقدم اللغة الاجنبية للمتعلمين كأداة للحضارة والتثقيف ؟ الحل يبدو في توضيح الخيارات المرتبطة بقضية التعريب . وقد تأكد عبر الخبرة السياسية العربية أن الاقطار العربية سلمت بمعرفة المستعمر ولغاته وقاومته بمفاهيم نشرتها تلك اللغات . وما بلغته اليوم تلك الاقطار من نضج سياسي وفكري يسمح لها باستيعاب قضية التعريب بكامل أبعادها ، وبوعي الخطر الكامن في القيم الاجنبية . وقد تأكد أن لا خطر من الثقافة الاجنبية اذا كانت الخيارات المرتبطة بالتعريب مدروسة ، حتى وإن طعمت تلك الثقافة بشحنة من الثقافة العربية .

وقد أصدر مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي (بغداد ، ١٩٧٨) توصيات منها وجوب مراعاة واقع التعريب بحيث يدرس الطالب لغة علمية اجنبية بأيسر السبل المتاحة ، لمتابعة المعرفة العلمية في الكتب والدوريات ، وجعله قادراً على الغرف من اللغة الاجنبية التي يمكن أن يدرس بها الاستاذ احدى المواد المقررة ، واختبار معرفة الطالب بتلك اللغة الاجنبية . هذه التيسيرات لا تعاكس حركة التعريب بل تتيح فرصاً للعربية لكي تنمو وتفتق طاقتها الخلاقة ، ليتمكن الفكر العربي من القيام بدور وظيفي فاعل في العلم والحضارة العالمية . وذلك عن طريق تنشيط التبادل العلمي بينها وبين اللغات الاخرى .

وهكذا نكون قد حاولنا توضيح مدلولات التعريب من الوجهة التاريخية التي تجسمت في الماضي في ترجمة كتب العلم وابتكار الالفاظ والمخترعات التي ازدهرت في العصر العباسي ، وبقيت مخلفاتها الثمينة تدل على مدى ما بلغته الحضارة العربية من تقدم . ذلك أن اشعاع العربية لم يتحقق بتلك البساطة ، رغم خنق القوى الخارجية لامكاناتها ، والعمل على حصرها في الشعائر الدينية وتعجيزها في الميادين الاخرى المرتبطة بمسايرة المدنية المعاصرة . والانتفاضة الفكرية الناشئة مع النهضة العربية الحديثة دليل على ذلك ، وقد أفادت منها بعد ذلك حركة التعريب الى حد أن اقطار المشرق تعتبره عملاً فنياً مستنداً الى ما جدّ من ازدهار فكري شامل بحيث لم تثر قضية الهوية اللغوية بنفس الحدة التي ظهرت بها في المغرب . ويمكن القول ان الظرفية السياسية حددت في كل قطر عربي قضية التعريب بسماتها المتميزة ، فتعين البحث عنها هناك والخروج بالملامح العامة للمفهوم التعريبي الى حيز الوضوح .

على أن الندوة ربما خصصت للقضايا النظرية المنهجية المحيطة بالتعريب وبلورته حتى يبدو كموقف رفض للواقع الثقافي والفكري الراهن ، وحتى يتيح فرز المواجهة القائمة والصراع الطبقي الذي يتواجه فيه مناهضو ومؤيدو التعريب والمعربون المستندون الى قيم العروبة كمجموعة من الدعائم الحضارية الموثوق بها والمستصغرون في سلم الرقي الاجتماعي وتحمل المسؤوليات ، لغلبة العناصر المفرنجة التي تدعي النجاعة والتفوق المادي ، والتي تعمل من اجل استقرار مصالحها الحالية والمقبلة . والمعتقد أن على هذه الندوة تبني لقاءات اخرى تبحث في دور وسائل الاعلام في التوعية بقضية التعريب جملة وتفصيلاً ، ومدى تدخلها لترويج المصطلحات العلمية والحضارية في الحياة اليومية ، ضمن حصص اذاعية وغيرها مدروسة هادفة تعمل على ترسيخ المعرفة العلمية بالكلمة والصورة . كما أن ندوات اخرى حرية بأن تجمع بين عدد من الباحثات المؤمنات بالتعريب ، يقمن على ابتكار الحلول الملموسة لمساعدة الامهات على خدمة العربية وغرسها السليم في وعي الطفل ليبلغ بها مستوى التعبير التلقائي عن خوالج نفسه وعما يحيط به في عالم يجب أن يعده لسنة ٢٠٠٠ .

المراجع

العربية

جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب ، ٤ ، صنعاء ، ٢٣ ـ ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ . **المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، ٢٣ ـ ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٢** . القاهرة : الجامعة ، ١٩٧٢ . ٥١٩ ص . « تعريب التعليم . »، و « تقرير مكتب تنسيق التعريب بالرباط . » .

الصيادي ، محمد المنجي . **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي** . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠ . ٦١٦ ص .

الاجنبية

Monteil, Vincent. *L'Arabe moderne.* Etudes arabes et islamiques. Sér. 3, études et documents. Paris: Klinchsiek, 1960.

Petit, Odette. «Langue, culture et participation du monde arabe contemporain.» *IBLA* (Institut des belles lettres arabes-Tunisie): vol.34, no. 127 (Première semestre 1971). pp. 259-292.

Sayadi, Mongi, *Al-Jam'iyya al-khalduniyya 1896-1958, la première association national moderne en Tunisie.* Préface de Jacques Berque. Tunisie: Maison tunisienne de l'édition, 1975. 269 p.

تعقيب ١

مدثر عبد الرحيم

كما قد يتوقع من صاحب دراسة مستفيضة عن « التعريب وتنسيقه في الوطن العربي » كالتي اتحفنا بها د. الصيادي السنة الماضية ، فإن البحث الذي يستهل به هذه الندوة يمكن أن يوصف - حقاً - بأنه شامل يقوم على قدر كبير من المعرفة بجذور الموضوع ومشكلاته ، كما ينبىء عن تفكير طويل في تفاصيله وخلفياته . ومن ثم فإن التعليقات التي اتيح لي ان اسهم بها في مناقشة هذا البحث - وإن لم تخل من بعض التساؤلات والاستدراكات - يمكن أن توصف ، اجمالاً ، بأنها ادخل في باب التأييد والتأكيد منها في باب النقد والتفنيد .

وأول ما استوقفني من حديثه الاشارة التي وردت في مطلع بحثه الى أن الفتوحات الاسلامية التي هيأت للعربية سبل الانتشار من المحيط الى الخليج لم تبدأ ولم تتم لأن العرب ارادوا بها تغليب جنسهم وفرض سيادتهم على غيرهم من العباد والبلاد ، وإنما لدافع ديني هو أنهم ارادوا تبليغ الرسالة ونشر الاسلام بين العالمين .

ولّما كانت العربية لغة القرآن ولغة المبشرين برسالته أجمعين فقد كان طبيعياً أن يتلازم انتشار الاسلام والتعريب ، فتستعرب جماعات كبيرة ممن استجابوا لدعوته استعراباً كاملاً تخلّت به عن لغاتها القديمة او كادت ، واتخذت بدلاً عنها لغة القرآن والاسلام ، بينما تأثرت جماعات اخرى منهم بالقرآن ولغته ، وإن لم تستعرب كلية ، فأدخلت في لغاتها عبارات وتراكيب عربية كثيرة كما كتبت آدابها بالحروف العربية . وعلّ من ابرز امثلة ذلك اللغات الكبرى في افريقيا الاسلامية (الهوسوية ، والسواحلية ، والفلانية ، والصومالية . . . الخ) وهي اكبر لغات القارة الافريقية اطلاقاً . ثم ما كان من امر الفارسية ، والعثمانية ، والاوردية ، والجاوية وغيرها من اللغات الاسلامية الآسيوية .

يستنتج مما تقدم ان السبب الاساسي في انتشار العربية هو انها - كما قال الباحث - كانت « لغة الدين الاسلامي » . ولكن يستنتج منه ايضاً - وخلافاً لما ذكره بعد ذلك مباشرة وفي موضعين

من بحثه ـ ان انتشار العربية لم يحدث اساساً لأنها كانت لغة « الحكم السياسي الذي فرضها » فرضاً .

فالتعريب لم يفرض فرضاً رغم اهمية القرارات التي اتخذها عمر وعبد الملك بجعل العربية لغة الدواوين والمراسلات ، وإنما حدث استعراباً واختياراً بعد أن آمن الناس بالاسلام ورسالته فأرادوا أن يوثقوا معرفتهم به ومكانتهم فيه ، ولاسباب منها أن لغة القرآن قد صارت بعدُ لغة الحضارة والتجارة ، حتى بعد أن ضعف وانحسر سلطان العرب في السياسة والادارة انحساراً تاماً .

بل ان الاستعراب ـ الكلي او الجزئي ـ قد استمر وحدث في جهات لم يبسط عليها العرب سلطانهم السياسي ابداً . ولعل من اوضح امثلة ذلك بلاد النوبة التي يقول الباحث انها فتحت عام ٣٢٠ هـ : بينما الحقيقة أن عبدالله بن ابي السرح وبعض من خلفه في مصر غزوا ارض النوبة ولكن تعسّر عليهم فتحها فارتدوا عنها صلحاً وتركوها لأهلها الذين سموهم ـ فيما روى البلاذري وغيره من متقدمي المؤرخين ـ « رماة الحدق » كناية عن مهارتهم في الرمي بالنبال دفاعاً عنها . غير أن النوبة ـ شأنهم شأن شعوب كثيرة غيرهم ـ قد اسلموا بعد ذلك واستعربوا تدريجياً ـ لا لأن احداً فرض عليهم الاسلام او العربية فرضاً ، بل لاسباب من اهمها (الى جانب ما امتاز به الاسلام من صفات ذاتية وتوافق مع الفطرة البشرية) تضعضع الكنيسة المسيحية في بلادهم ، وانتشار الدعاة المسلمين خاصة من شيوخ الطرق الصوفية بينهم ، وتدفق الهجرات العربية المتتالية عليهم واختلاطهم بهم وتزاوجهم معهم .

ويتصل بهذه النقطة امر ثان في البحث هو ربط الباحث ـ بل تسويته فيما يبدو ـ بين سياسة التتريك التي اتبعها القوميون الاتراك اواخر ايام الدولة العثمانية في الولايات العربية المتبقية الى ذلك العهد في دائرة سلطتهم ، وبين السيطرة السياسية والثقافية التي ضربت على تلك الولايات بعد انهزام الاتراك عنها ، وعلى بقية البلدان العربية قبل ذلك وبعده من قبل المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين .

ومع التسليم بتماثل الاهداف التي رمت اليها تلك السياسات من بعض الوجوه ، فإن وضع القضية بالصورة التي عرضت بها في البحث ينطوي على نوع من التبسيط الشديد الذي يصل فيما يبدو لي الى درجة الاجحاف والتشويه للحقائق التاريخية الخاصة بالعلاقات العربية ـ التركية . ذلك أن الاتراك العثمانيين بوصفهم مسلمين ـ بل حماة مستميتين في الدفاع عن ديار الاسلام والمسلمين مما حدا بكثير من هؤلاء للاستنجاد بهم والانضواء طواعية تحت رايتهم ـ كانوا قد تخلوا عبر القرون عن لغتهم التركية الخاصة ، واتخذوا بدلاً عنها اللغة العثمانية . وقد كانت هذه ، كما هو معلوم ، خليطاً من التركية والعربية والفارسية كما أنها كانت تكتب بالحروف العربية شأن كثير غيرها من اللغات الاسلامية التي كانت قد تعربت الى حد بعيد او قريب كما تقدم .

وسار الحال على ذلك المنوال منذ نشأت الدولة العثمانية على الثغور الاسلامية المتاخمة للدول

الاوروبية الشرقية اواسط القرن الثالث عشر الميلادي ، ثم بعد أن ضموا الولايات العربية بعد تغلبهم على حكامها المماليك في الشام ومصر اوائل القرن السادس عشر الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، اذ تحولوا ـ تحت ضغط الدول الاستعمارية الاوروبية ، ونتيجة تضعضع دولتهم الداخلي ـ عن رابطة الاسلام السياسية القائمة على المساواة والتوحيد بين مختلف شعوب الملة والامة ، واتخذوا بدلاً عنها مبدأ القومية (وهو ، بموازين المتقدمين من المسلمين ، اشبه بالشعوبية والعنجهية العنصرية اللتين نبذهما الاسلام ونهى عن الركون اليهما) .

وكما هو معلوم فإن فكرة القومية (ورصيفتها العلمانية) كانت قد نشأت اولاً في اوروبا الغربية ثم انتشرت تدريجياً بين المسيحيين من شعوب اوروبا الشرقية التي كانت عندئذ ولايات عثمانية ، ثم تلقفتها بعد ذلك جماعات من العثمانيين المسلمين الذين راحوا لذلك يدعون الى تتريك الدولة العثمانية واعادة صياغتها بحيث تصبح دولة قومية تركية علمانية على النمط الاوروبي الحديث . وفي هذا الاطار التاريخي ، وفي تلك الفترة المتأخرة من عصر الدولة العثمانية نشطت دعوة القوميين الاتراك لطرح اللغة العثمانية بما اشتملت عليه من آثار عربية وفارسية عميقة ، ولابتعاث اللغة التركية القديمة واحلالها محل العثمانية ، ثم لاعادة كتابتها بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية .

وفي هذه الظروف ـ وقد اوشكت الدولة العثمانية على الانهيار ـ راح دعاة القومية من الاتراك يعملون لتتريك انفسهم ودولتهم ولتتريك ما تبقى تحت سيطرتهم من ولايات عربية ، كانت بدورها ، قد اخذت تسير في دروب القومية والعلمانية اللتين كان المسيحيون من العرب روادهما الاولين ثم تبعهم كثير من المسلمين ، كما حدث من قبل بين الشعوب العثمانية في الولايات الاوروبية .

في ضوء ما تقدم ، ونظراً لما كان بين العرب والاتراك من علاقات تاريخية عبر القرون ، ونظراً لما كان قد لحق الاتراك العثمانيين من استعراب جزئي عميق استتبعه اسلامهم ودورهم التاريخي في الذود عن دار الاسلام (خاصة الشمال الافريقي في مواجهة الاسبان والبرتغاليين) ؛ ونظراً لأن حركة التتريك التي قام بها دعاة القومية من الاتراك لم تظهر الا في أواخر عهود الدولة العثمانية وقد اوشكت على الانهيار بعد عمر مديد جاوز الستة قرون ؛ ونظراً لان تلك السياسة (وإن لم يكن ثمة شك في عدوانها على العرب والعربية في جزء هام من الوطن العربي) لم يكن لها من الآثار السلبية على العربية وآدابها ما يمكن أن يقارن أو يشبه بسياسات المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين وما خلفت من آثار ما زلنا نعاني منها حتى اليوم ـ نظراً لكل تلك الاعتبارات فإن ادراج تلك السياسة مع هاتين (في « نفس واحد » كما يقول الانكليز) وكأنها صنو لهما امر ينطوي على كثير من التبسيط ومجافاة الدقة والعدل .

امر ثالث استرعى انتباهي في البحث هو اشارته الى مناهج المترجمين الاقدمين في نقل العلوم من اليونانية والسريانية الى العربية ايام العباسيين وكيف أن اؤلئك المترجمين ـ وخاصة من السريانيين ـ قد انكبوا على ايجاد المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية دون كبير اهتمام

بالاساليب البيانية ، وكيف أن اهل الفصاحة والبيان قد تلافوا ذلك النقص حتى اثمرت مساعيهم لغة علمية عربية سلسـة مكنتهم من امتلاك ناصية العلوم ومهدت لهم سبل السبق والتوسع فيها .

وتزداد اهمية هذه الاشارة وضوحاً اذا ما ربطنا بينها وبين اشارة اخرى اوردها الباحث فيما بعد هي أن التعريب في المشرق قد نحا نحواً تخصصياً يستند على خبرة اعضاء المجامع مما يمكننا من أن نشبهه بمنحى المترجمين السريان المتقدمين وانكبابهم على صياغة المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية وانعزالهم عن حاجة الحياة العلمية والحضارية اليومية لاساليب عربية بيانية تتسم بالدقة والمرونة والحيوية ، الامر الذي نتج عنه احتلال الحلبة من قبل افواج متكاثرة من الاعلاميين والكتاب الامين يندر بينهم من يمكن نسبته للتمكن من اصول العربية وعلومها ، او التمرّس بالاساليب العالية في آدابها وفنونها . بل إن كثيراً منهم يسفون في كثرة اخطائهم اللغوية واساليبهم البيانية اسفافاً يخرجون به الى محض الرطانة والعجمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً . على انهم ـ رغم كل ذلك ـ اصحاب الاثر الاكبر في تكييف اذواق النشء وغيرهم بما في ذلك نسبة عالية من الاساتذة الذين لم يهيء لهم تعليمهم واطلاعهم فرص الالمام بقواعد العربية واساليب البلاغة فيها .

ولكي نتدارك الامر وتستقيم لنا لغة عربية سلسـة تفي بحاجات العلوم الحديثة والحياة المتحضرة المتجددة يلزمنا ـ اضافة الى الاعمال الهامة التي يقوم بها المتخصصون في تعريب المصطلحات وتبسيط النحو واصلاح الكتابة والخط ـ أن نعيد النظر في نظمنا التعليمية والاعلامية بما يمكننا من اكتساب السلاسة والبيان . ولا يكون ذلك ـ فيما يبدو لي ناظراً لواقعنا القائم وتجاربنا الماضية ـ الا باستعادة ما فقدناه من الفة حميمة بأساليب البيان العربي المتمثلة في القرآن الكريم ثم في ادبنا العالي القديم منه والحديث . فبدون اكتساب القدرة على البيان بالعودة الى تلك المنابع والنهل من معينها ، لن تجدينا القواميس والمصطلحات مهما عظمت ودقت ، ولن تجدينا المجامع والمطابع مهما نشطت وانتجت .

واذا كبحنا جماح الاستطراد تعليقاً على هذه وتلك من الجزئيات والتفصيلات وعدنا للاساسيات والكليات التي تناولها هذا البحث القيم فلن يكون في وسع المعلق الا أن يؤكد اتفاقه مجدداً مع الباحث المقتدر وشكره له ولمنظمي الندوة على اتاحتهم هذه الفرصة الطيبة للنظر في امر هام، بالغ الاهمية كموضوع التعريب .

وأود أن اؤكد اتفاقي والباحث على نقطتين اثنتين على وجه الخصوص اوجز القول فيهما ـ ختاماً ـ على النحو التالي :

١ ـ ان الغايات الاساسية التي نرمي اليها اذ نسعى لتحقيق التعريب تتلخص في انهاء حالة الاستلاب الحضاري والتبعية الثقافية (وما تجر في ذيولها من تبعية سياسية واقتصادية) واسترداد الهوية القومية لشعبنا وتأكيد مكانته في العالمين ؛ ثم ، داخلياً ، القضاء على حالة الفصام الثقافي والطبقية الاجتماعية التي تكرسها الاوضاع التعليمية والثقافية القائمة في مجتمعنا اليوم ، وتمكين

شعبنا من امتلاك ناصية العلوم الحديثة وفتح الباب امامه للابداع فيها وللمشاركة الخلاقة في حياة العصر المتحضرة المتجددة . ولا يكون ذلك طبعاً الا اذا يسرت سبل التعليم وممارسة الحياة بلغة الشعب القومية التي تمكن ابناءه من استيعاب العلوم والتقنيات والآداب والفنون ، كما تمكنه من المشاركة الاصلية فيها تفكيراً وتعبيراً وتطويراً .

٢ ـ إن شيئاً من تلك الاهداف السامية لا يمكن أن يدرك او يحقق اندفاعاً عاطفياً او عملاً عشوائياً . فنتيجة العاطفة والعشوائية كما ابان باحثنا لن تكون سوى الاخفاق الذي يترقب اعداء التعريب في الداخل والخارج وقوع اي بادرة منه ليستغلوها تثبيطاً للهمم واحباطاً للجهود . فلا بد اذن من التخطيط المحكم ، والنفس الطويل ،والعمل الذكي الدؤوب . . . ومن سار على الدرب وصل !

تعقيب ٢

محمّد عزيز الحبابي

طُلب مني التعقيب على عرض د. محمد المنجي الصيادي . ولكن اللجنة المنظمة للندوة لم تعرب عما يقصد بـ « التعقيب » ، فتركت للباحثين حرية التأويل واستعملت حقي في الاجتهاد ، شاكراً .

عنون الصديق بحثه بـ « التعريب في الوطن العربي » . وان عنواناً كهذا مخيف لأنه متسع جداً ويفترض ، مسبقاً ، وجود ابحاث يحلل كل واحد منها وضع التعريب في كل بلد من بلدان العروبة ، وهو ما لم يتم بعد ، لذلك جعلته لجنة الندوة من المباحث لهذا الملتقى وأول ما يفاجىء في الفقرة الاولى من الصفحة الاولى من البحث تفاؤله بأحوال التعريب اذ يقول :

« كم هو عسير على المرء أن يضيف جديداً . . . خدمة لهذه اللغة المعطاء » .

ويحق أن نتساءل : ولماذا جئنا من اوطان مختلفة لنجتمع حول قضايا اللسان العربي وقد اصبح عسيراً أن يضيف اي منا اي شيء ؟ والجواب على هذا السؤال ، وبدون تشاؤم ، هو أن اللغة العربية في اشد الحاجة الى تشخيص كامل او الى تكييف مع مجريات العصر ، والى تغييرات جذرية لبعض الجوانب .

يقول الباحث ان العرب طبقوا « مفاهيم اقرها العلم وبلورتها جهودهم الموفقة » . نعم ، اننا نستعمل مفاهيم ، ولكنها ويا للاسف غير منسقة . وانها لكثيرة وتتشابك فيما بينها . وهو يرى ان « العرب لم يفتحوا البلاد الاخرى بدافع تغليب جنسهم ونمط عيشهم العربي المحض ، بل فعلوا ذلك بوازع ديني دعمه عامل اللغة . فكان هذا المظهر بمثابة المفهوم الاولي للتعريب » .

ولكن ما يؤكده التاريخ ، حسب ما نعلم ، هو أن الفرس احتفظوا بلغتهم ، كما احتفظ الامازيغ بلغاتهم ، فالمغارب[1] لم تتعرب ، الا بعد الفتح الاسلامي بقرون . واما في المشرق ،

---

(١) المقصود هو ما يطلق عليه « المغرب العربي » او « المغرب الكبير » في مقابل المشارق .

فقد مر نصف قرن على تأسيس الخلافة الاموية ومحيطها المباشر غير معرب .

ويرى الصيادي أنه بقدر ما نعمل على استعراض وتدقيق المفاهيم العربية وضبطها« نكون قد اسهمنا اسهاماً جاداً في طرح القضايا المصيرية التي ينبغي مناقشتها وايجاد الحلول النسبية لها في العصر الحاضر » . هذا مشروع مهم ، لأن تعثر الفكر العربي حاضراً يتأتى من الابهام الذي يعتري المفاهيم المستعملة . ويبقى أن نحدد الطريقة لتنفيذ هذا المشروع المهم . فحتى الساعة ، نشاهد مبادرات متعددة ، بيد أنها تنقصها المنهجية ، وذلك بسبب اجهاضها جميعاً . فيجب بكل سرعة والحاح أن نقوم بدراسة نقدية للمناهج المتبعة التي كانت العلة في الاجهاض ، والتي تنمي الابهام فتعوق عن الدقة والايضاح ، في الفكر وفي المفاهيم . فإذا نحن لم نفعل ، بقينا نبذر الطاقات والجهود . فحتى في ورقة الباحث نفسه هناك تعابير مبهمة . فمثلاً « الشعارات الكونية » ، « الاطر الذهنية » ، وكذلك جملة « صارت اللغة العربية لغة مؤدية لرسالة التعريب » . وهاكم نموذجاً آخر من الجمل المبهمة« كانت القناعة الواردة الشائعة أن الاساليب البالية التي تلقن بها العربية سبب مانع لانتشار العلوم بالعربية» .

إن استعمال **قناعة** في هذه الجملة ، يدخل عليها بلبلة . فمضمون الجملة يفرض استعمال **اقتناع** . لأن قناعة مصطلح اخلاقي ، في حين **اقتناع** مفهوم منطقي . فاستعمال احدهما مكان الآخر يدخل التباساً في الفكر المقصود ايصاله . وكذلك استعمال « تتريك » (نسبة الى تركيا) خلط والتباس الجذر (ت . ر . ك) الذي اشتقت منه تريكة او ترك ، اي خلف (ومنه تتريك في الفقه = مصادرة) .

ولا شك أن الباحث اراد أن يحملنا معاني ولكن التعابير التي استعملها تفتقد الدقة والوضوح . وكلنا نتعامل مع المفاهيم والتراكيب بشيء من التساهل ، على حساب التوضيح والدقة فيحصل الابهام واللاتفاهم .

يذكرنا الباحث بأن مصر عربت مدرسة الطب في عهد محمد علي سنة ١٨٢٦م . ولكن يجب أن لا ننسى أن التجربة لم تنجح اذ تراجعت مصر عن تدريس الطب بالعربية . فقد كان الاساتذة يلقون دروسهم ، في السنوات الاولى بالكليات ، بالعربية . وفي السبعينات ، استعاضوا عن العربية باللغة الانكليزية وفعلوا الشيء نفسه في كلية الهندسة . انها ردة !

اما لماذا نتفق مع الباحث حينها يتحدث عن تشعب المعلومات اللغوية بسبب ما يضاف اليها من شروح نحوية وبلاغية وغيرها من استطرادات ، فلأنه لن تصبح العربية لغة متحركة ودقيقة الا عندما يقضى على الحشو . فالعناية بالفصاحة والبلاغة ، اكثر من اللازم ، عرقلت المسيرة ، فأصبحت البلاغة مبالغات . ولا محالة أن الباحث على حق عندما يؤكد أن العربية« لم تتحرك لمعالجة ما يعوقها ويقف في سبيل تطورها » . نستنتج من هذا ان العربية ليست بخير ، ويا للأسف ! ، خلافاً لما ادعاه المؤلف في بداية ورقته . وبودنا لو حدثنا عن اسباب توقف العربية عن التطور ، وعن الطرق الناجعة لاكسابها دينامية ونفساً جديداً . ويضيف الاستاذ ان الاضطراب

الذي تعانيه المصطلحات العلمية المعرّبة يحول دون ادراجها « في معجم الاستعمال اليومي بعد توحيدها وتنسيقها ». وددنا لو تصدى الى هذا الخلل ، متلمساً علله ومقترحاً العلاج . لأن المؤمل فيه ليس أن يوصف لنا مثلاً ، « مركز تنسيق التعريب في العالم العربي » بل أن يقوّم اعمال هذا المركز ، متسائلاً عن مدى ما قام به من تنسيق ، ومقترحاً ما يمكن ان يسهم في انجاح ذلك المركز . واذا كنا نلح عليه ان يتخذ مواقف مثل هذه ، فلأنه متخصص في التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، كما يشير الى ذلك الهامش .

وقد استوقفتنا عبارة « ازدواجية استعمارية » . فهل هي مرادفة لـ « الثنائية اللغوية » ؟ كما تستوقفنا عبارة « الازدواجية العربية » ، بمعنى الاختلاط الموجود بين الفصحى والعامية . انها عبارة هي ايضاً غير واضحة . ومن جهة اخرى ، فإن في كل لغات الدنيا ازدواجية من هذا النوع ، عامية ولغة نخبوية ، لغة الثدي والمهد ، ولغة المدرسة والكتاب . بيد اننا امام مشاكل عويصة بالنسبة للعربية . فلغة الجامعة والمعاهد العليا ليست لغة الصحافة والاذاعة والتلفزة رغم كونهما تكتبان معاً ، فلغة الصحفيين والمذيعين لغة ثالثة . اذن من الممكن أن نقول : ان للعرب « ثلاثية اللغة » . على أن اللغة الثلاثية ليست مشتركة كلياً بين العرب . فحينما يقوم مذيع بالتعليق على مباراة لكرة القدم ، من تلفزة القاهرة ، مثلاً ، يقول « فاول » و « اوفسايد » . . . في حين يستعمل مذيع الرباط « حارس » و « شرود » .

كذلك يشير الباحث الى قضية ثقافية تستلزم شيئاً من التحليل . فهو يعتبر أن احياء الحضارة الرومانية في الربوع المغاربية « تبدو عملية للاخذ بالثأر الحضاري واحياء حضارة طمسها الاسلام » . واقول اولاً : لقد حافظ الاسلام على ما وجد في مختلف البلدان التي فتحها ، فكيّفها واضاف اليها . لهذا فإن كل الآثار القديمة ما زالت حية الى اليوم ، كما أن الامازيغ ما زالوا يتحدثون بلهجاتهم وهم على عاداتهم(كسكوس ، حلق الرؤوس ، ولباس البرنوس . . .) ، وعلى اعيادهم الفصلية (العنصرة وحكوزة . . .) . فالاسلام لم يكن يهدم الا الاوثان . ولهذا لا نقول مع الباحث ان في احياء الحضارة الرومانية « تكريساً للاوضاع الاستعمارية بأنواعها » . ثم انه يبني على المقولة السابقة ضرورة التعريب باعتباره تحدياً . فيؤكد ان احياء الحضارة الرومانية : « يدعم ويعلل الاندفاع الى تحقيق التعريب بصفته رد فعل حضاري ينتمي الى مقومات عربية اسلامية » .

ونظن ، ان ما تمتاز به الثقافة العربية الاسلامية هو تنوع اصولها . فهي ارث انساني انتقائي ، هضم بعد أن مزج باضافات ، اي أنه كيّف وعرّب . وقد اتى الاسلام بثورة نتجت عنها ثقافة من مثاقفات ، لا من خلق عفوي[٢] . وفي الفقرة نفسها فكرة اخرى تحتاج الى ايضاح . فالباحث يقابل بين تعريب وتغريب ، في حين أن المفهومين لا تربطهما مقابلة ، خصوصاً اذا اخذنا تغريب في المعنى الذي يعطيه هو : « تبرز المواجهة بين تيار التعريب وتيار التغريب الذي تبرره

---

(٢) انظر في هذا الصدد مؤلف الاب تيسيري : *Tolède carrefour des civilisations.*

النخبة المتشعّبة بالثقافة الاجنبية » إن الباحث نفسه متشبع بالثقافة الاجنبية ، ومع ذلك يغار على العربية ويدافع عن التعريب ، وهو لم يصب بتغريب . والتجربة الحية تظهر ان الذين يخدمون العربية ويوظفونها في العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية معاً هم مزدوجو الثقافة . طه حسين اضحى عميد الادب العربي بعد ان اوفده الازهر الى اوروبا وعاد ذا ثقافتين . ومحمد المزالي ، صاحب مجلة الفكر واحد كبار الملتزمين بالتعريب خريج السوربون . كما أن جل الكتاب بالعربية والجامعيين ذوي الشأن مزدوجو الثقافة . ان الاغتراب هو الحرمان من الثقافة القومية والذوبان في ثقافة الغرب ، وهو موجود ، ولكن لدى اقلية منا .

ومهما يكن من شيء ، فإن انتشار الثقافة العربية الاسلامية وتعمقها في المجتمعات العربية يقتضي ، مسبقاً ، لساناً عربياً قابلاً للفهم والتفهيم والتفهم ، خطاباً وكتابة . فهل تلبي العربية هذا المطلب الاساسي ؟ الجواب على هذا السؤال هو ما كان بودي ان اجده في العرض عن « التعريب في الوطن العربي» . غير أنه ، عوضاً عن ذلك ، جال بنا في تاريخ التعريب ، وهو شيء مهم الا أنه لا يفيدنا في المعركة من أجل تعريب فعلي اجرائي وفي الحال . واني لا اشاطر الباحث ما جاء في خاتمة الفصل الاول عن خلفيات التعريب التاريخية اذ يقول بأن تنفيذ « التعريب الشامل يبدو مطلباً عسير المنال ، في الوقت الحاضر » (ثانياً ـ ١) . ان كل شيء ممكن اذا اسندت الامور الى من يحسن تدبيرها ، واذا تهيأ منهج علمي . فلماذا نجحت اسرائيل في احياء العبرية وتمكينها من الطاقة اللازمة للنهوض ، في كل الميادين ، في حين تتعثر تجاربنا ، خطوة الى الامام في ثانية ، وتوقف لمدة ساعات ، ثم رجوع بخطوات الى الوراء دون وعي ؟

المسرح العربي ، في جل عروضه ، بالعاميات ، وجل الاغاني في البلدان العربية بالعاميات ، وبعض الدروس ، حتى الجامعية منها ، بالعاميات . والسينما ، تجهل العربية ، الا في افلام شاذة .

وبعد ؟ يجتمع مثقفون عرب من بلدان مختلفة ، وبعد التحيات الكثيرة بالعربية ، والتقديم (دون تناسي صيغ المبالغة والالقاب : الاستاذ الدكتور ، او الفنان البارع ، او الصحفي القدير ، و . . . بالعربية) تبدأ المحادثة بالدارجات او بلغة اجنبية .

نصل الى موضوع « الاحاطة بمفهوم التعريب »(ثانياً) .وهنا يتبع العرض طريقاً وصفياً،وهو جيد ، لكن يغلب على ظني أنه يصف التجربة التونسية لا تجارب « التعريب في الوطن العربي » .

وهناك شيء آخر يلفت النظر هو أن تعريف الصيادي للتعريب في المغرب ، نصف صحيح . فهو يقول فيه « التعريب . . . تعميم اللغة العربية في التعليم ، واقصاء اللغة الاجنبية عنه كلما سنحت الفرصة » .

والتعديل الممكن الذي يجب ادخاله على هذا التعريف هو أن اقصاء اللغات الاجنبية غير وارد ، بل الذي ترتئيه النخبة المثقفة والمسؤولون عن التعليم هو الحرص على تعليم اللغات

الاجنبية ما أمكن ، ولكن بوصفها لغات اجنبية (اصبحت الفرنسية في شعبة واحدة مع الانكليزية والاسبانية . . . ، بعد أن كانت لها شعبة خاصة) .

لقد قدم نص لمؤتمر الرباط (١٩٦١) عن التعريب ، وددت لو حلله الباحث ، وفحص ما تحقق من هذا البرنامج وما لم يتحقق ، واسباب ذلك . ولو قام بذلك النقد البناء لاستحق امتنان المركز وكل المجندين من أجل التعريب .

ويفاجئنا الزميل بمقولة غريبة . فهل حقاً أن الدارسين والمثقفين باللغات الاجنبية « يستحيل عليهم التدريس باللغة العربية ومن نجاعة العمل التربوي أن نعفيهم من ذلك » ؟ ان معنى هذا الا ندرس اطلاقاً بالعربية علوم الطبيعة والطب . لانه ليس في الأزهر وفي الزيتونة وفي القرويين من يتقن هذه المواد . فهي من اختصاص من تثقفوا باللغات الاجنبية . وبالفعل فإن تدريس المواد العلمية المعرّبة ، في الثانويات والكليات ، من مهام المثقفين المزدوجي الثقافة . بل ، من الممكن أن نزيد : ان **التعريب** ، هو نفسه من اختصاصهم . وهنا ، وفي هذه القاعة ، اساتذة مزدوجو اللغة يدرسون بالجامعات مستعملين اللغة العربية بكامل الوضوح والايضاح في دروسهم . انهم يتقنون اللغات الغربية (ومنهم من يعدون شعراء وكتاب مرموقين في تلك اللغات) ، ويكتبون وينظمون الشعر بالعربية ، بلا حرج . فمن المفارقات أن يقال عنهم انهم يبثون « الفوضى والتردد في اذهان الطلاب » وانهم لا يجدون فرصاً سانحة للاستمرار في معاشرة العربية فكرياً ولغوياً .

واخيراً ، شكراً للزميل على عرضه الثري ، واعتقد أن معركة التعريب مصيرية ، معركة بين الإنيّة والاداة الحميمة للتعبير عنها . ان اللغة لم تغد وسيلة كأي وسيلة اخرى ، وجمودها يجمد الفكر ، وتفتحها ينمي الفكر ، والتفكير هو قبل كل شيء عمليات بلغة ، فلا تفكير سليم بلغة غير سليمة .

لقد خلقنا مهيئين للكلام ، فبترونا من اللغة ، فبتنا نعاني بُكماً يفصل بين الذات وطرق وعيها . فمتى نستعيد عربيتنا حية دفاقة ؟

المناقشات

عبد العزيز بنعبد الله : لن اتحدث عن مفهوم التعريب بل اقتصر على ثلاث ملاحظات :

١ ـ كثيراً ما يتحدث الناس عن عجمة المغرب الكبير قبل دخول الاسلام ، وان العربية لم تدخل الى المغرب الا مع الاسلام . وهو غلط لان الكنعانية دخلت مع الفينيقيين الذين اسسوا مدينة قرطاج اي « قرية حداش » (القرية الحديثة) منذ عام ٨١٤ قبل الميلاد ، ثم تحولت الى لغة بونيقية اتحدت هويتها مع العامية المغربية الحالية كما يتجلى ذلك من كتابات حجرية عثر عليها في بلاد البرازيل تحمل تاريخ ١٢٥ قبل الميلاد ، تحدث عنها كتاب امريكيون وصدرت عنها دراسات وابحاث باللغتين الانكليزية والاسبانية ، وهي تتوافق مع التاريخ لان الفينيقيين ارتحلوا بعد هدم قرطاج عام ١٤٦ قبل الميلاد رحلوا خلال جولتهم ثلاث سنوات عبر المحيط الاطلسي الى جنوب امريكا .

٢ ـ التحدث عن ضرورة البدء باصدار معجم تاريخي ومعجم تأصيلي (اشتقاقي) فيه نظر لأن الدول الغربية التي تحاول اليوم منهجة التنسيق تقوم بوضع النوعين من المعاجم معاً . ونحن العرب احوج ما نكون لذلك لأن التخلص من الفرنسة وغيرها من التأثيرات الاجنبية لا يقتضي الاقتصار على الدراسات التاريخية او البدء بها بل وضع المصطلح البديل للمصطلح العلمي والتقني الاجنبي الذي ما زلنا نستعمله مع تعزيزه بعامية محلية .

٣ ـ الملاحظة الثالثة هي أننا منذ القسم الاول من جلستنا هذه قد ارتكب بعضنا اخطاء لغوية ونحوية احصيت منها نحو الاربعين وهو شيء استحي أن اشير اليه .

عبد العزيز عاشوري : تضمنت ورقة د. الصيادي تتبعاً لمفاهيم « التعريب » ، وصنّف هذه المفاهيم الى مشرقية ومغربية ، وبنى على ذلك جملة من الاستنتاجات . والمؤكد أن « التعريب » قد تحمّل اكثر من معنى ، وأدت المفاهيم التي قدمها الباحث ، وربما أدى غيرها ايضاً . . . لكن يبدو أن هذه المفاهيم ليست مشرقية او مغربية ، وإنما نشأت في فترات مختلفة ، وفي سياقات

متنوعة ، فأدت كلمة « التعريب » معاني متعددة سواء بالمشرق او بالمغرب .

ولم تزل كلمة التعريب تؤدي هذه المعاني في المشرق والمغرب معاً فتنصرف تارة الى تعريب مصطلحات اجنبية الى اللغة العربية ، وتؤدي اخرى معنى الترجمة من لغة اجنبية الى العربية(عرّب نصاً = ترجمه الى اللغة العربية) كما تؤدي في سياق آخر استعادة العربية لمنزلتها الطبيعية كلغة قومية تعتمد بصورة رئيسية اساسية في كافة مجالات العمل والبحث والتعليم والادارة وسائر مرافق الحياة .

قد يكون هذا المعنى او ذاك قد شاع اكثر من غيره بالمشرق او بالمغرب ، لكن المفاهيم المشار اليها مستعملة في المشرق والمغرب معاً ، ولا احسب انها مشرقية او مغربية الا من حيث نشأتها الاولى وبدء استعمالها . على أن بعض هذه المفاهيم قديم يعود الى التراث العربي المشترك ، ولذلك كان من المفيد ، في نظري ، لو تناولت الورقة هذه القضية من حيث التأريخ لهذه المفاهيم وملابسات نشأتها لا من حيث نسبتها الى المشرق او الى المغرب .

عبد الكريم خليفة : اثار د. الصيادي والاساتذة الذين عقبوا على بحثه القيم ، قضايا متعددة ، ونظراً لضيق الوقت اود أن اصنف ملاحظاتي بصورة عامة في مجالين : الاول يتعلق بالمفاهيم التي انطلق منها الباحث . فقد انطلق مع الاسف من مفاهيم حديثة في معالجته لتفسير الظاهرة الاجتماعية في انتشار اللغة العربية ، بعيداً عن مفهومها الحقيقي من حيث ان اللغة العربية لغة القرآن الكريم وانها تخص جميع الشعوب التي اعتنقت الاسلام . وان قوله « ان الدافع السياسي العربي الذي فرض العربية لغة للدين الجديد . . . » يوحي بالمفهوم الحديث الذي عملت من خلاله الدول الاستعمارية ، مثل انكلترا وفرنسا وغيرهما ، على نشر لغاتها ، ويبتعد كلياً عن المفهوم الحقيقي في انتشار اللغة العربية في مجالها التاريخي . . . . اما المجال الآخر الذي تدور حوله ملاحظاتي فيتعلق بجزئيات علمية من الممكن تصويبها ، في مقاييسها العلمية وذلك مثل : « الاساليب الفارسية في كليلة ودمنة . . . ومجيء التعريب في الاندلس كردّ فعل على اتجاه بعض الأمراء ». . . . الخ .

لقد طرح البحث والتعليقات التي تبعته ، كثيراً من القضايا الجوهرية التي تمس التعريب وقضاياه ، وان ضيق الوقت المخصص لي يدفعني الى أن اشير الى قضيتين اساسيتين ، اثارهما الباحث وهما : حديثه عن « ظهور لغة حديثة . . . » وتحدثه بعد ذلك عن موضوع « الفصحى والعامية » .

ويجدر بنا ونحن نبدأ هذه الندوة القيمة حول « التعريب » أن نحدد بعض المفاهيم منذ البداية ، لكي نستطيع أن نتكلم جميعاً لغة واحدة . ومن هنا فإنني اود أن ابدأ من قول الاستاذ الحبابي : « العربية هي الجامع الوحيد الباقي ، فإذا فرطنا فيه لم يبق لنا جامع . . . . . . » اود هنا أن احدد مفهوم هذه العربية ، فإنني اقول ، وبصورة علمية موضوعية بعيدة كل البعد عن الانفعال والتحيز ، وان كان شيئاً طبيعياً ان ينحاز الانسان الى لغته ، اقول ، انني لا اعرف أن هنالك لغة لنا غير اللغة العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم . فهي الدعامة الاساسية لوحدة امتنا ، وهي

اللغة التي تربط امتنا من مشرقها الى مغربها في الوقت الحاضر ، وهي ايضاً التي تمكننا من الاتصال بتراث امتنا عبر القرون الماضية . وهذه ميزة تمتاز بها امتنا العربية عن جميع الامم الاخرى . فالمثقف الانكليزي او الفرنسي لا يستطيع مثلاً أن يتصل بآداب امته وتراثها من القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . . . الخ ، الا اذا ترجمت الى اللغة الانكليزية الحديثة او اللغة الفرنسية الحديثة ، في حين أن المثقف العربي يستطيع من خلال هذه اللغة الفصيحة أن يتصل بجميع هذا التراث الضاربة جذوره في اعماق التاريخ .

ومن ناحية اخرى ، اودّ أن اقول ان لغتنا العربية الفصيحة لغة متطورة من حيث اساليبها ومفرداتها ومصطلحاتها ، ولكنها ثابتة من حيث نحوها وصرفها وطبيعة تركيبها الذي يكوّن جوهر اللغة . . . اليست اساليب الجاحظ مثلاً تختلف الى حد كبير عن الاساليب في صدر الاسلام ، وكذلك اساليب القرن الرابع والخامس والقرون التالية ؟ . . . . وان اولئك الباحثين الذين يزعمون مع الاسف بأن هذه اللغة الفصيحة « لغة محنطة » و « لغة جامدة » ، قد جانبهم الصواب في احكام بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فكيف يمكن أن يزعم هؤلاء الذين ينادون بتجاوز هذه « اللغة المحنطة » على حد تعبيرهم الى لغة مختلفة في النحو والصرف ، وعلى صورة لا يستطيعون أن يتنبأوا بها، اقول كيف يمكن لباحث ان يقول كلاماً من هذا النوع ، يزعم بأنه في الوقت ذاته انه يدعو الى « وحدة عربية » ؟ . . . وكيف يمكن أن تتم وحدة الاقطار ذاتها دون هذه اللغة الفصيحة ؟

اما قضية العامية والفصحى ، فإنني اشعر أن الباحث قد عالجها من حيث هي ظاهرة تقف عند الواقع ، وبالتالي فقد اصبح الحديث مهولاً عن هذه الثنائية بين العامية والفصحى . وان حقيقة الأمر ابسط بكثير ، فإن القضية كما اعتقد متصلة اتصالاً وثيقاً بالقضية التعليمية في الوطن العربي ، وبديمقراطية التعليم ، وان التعليم اصبح حقاً لجميع جماهير الامة في مختلف طبقاتها . ولذا فإننا نلاحظ بأن الفجوة بين العامية والفصحى ستتضاءل كلما انتشر التعليم وشمل جماهير الامة . وهذا هو الطريق الصحيح والوحيد من اجل رفع مستوى جماهير امتنا في اللغة المحكية لكي تضيق الفجوة بينها وبين اللغة الفصحى ، لغتنا القوية ، لغة القرآن الكريم من حيث الاصل والجوهر .

صبحي الصالح : ليس تدخلي دفاعاً عن هذا البحث القيم الذي قدمه الدكتور محمد المنجي الصيادي عن «التعريب في الوطن العربي» بل احاول فقط ان اورد بعض الملحوظات على ما عقب به بعض الزملاء ، وخصوصاً الدكتور محمد عزيز الحبابي، في نقاط معينة ، اهمها قضية ادوات العمل الضرورية للتعريب ، في القواميس والمعجمات الحديثة « الاحادية والثنائية » .

فالزميل يرى ان كل القواميس التي بين ايدينا لا تتفق على معنى ، وان كل المجامع العربية العاملة لم تجد المنهج المنشود . واذا كان هذا الامر واقعاً فهو يتعلق بتقصير الافراد والمؤسسات ، ولكن اسلوب المبالغة والتعميم فيه يفضي بنا الى تعطيل ادوات العمل ، كأن المقصود الوحيد منه تثبيط هممنا وضرب جميع محاولاتنا في هذا الصدد ، خصوصاً اذا وجدنا في جهود الافراد

والمؤسسات ما يعارض تعليقه معارضة شديدة . فلما ظهر « المنهل » المعجم الثنائي ـ الفرنسي العربي (تأليف الدكتور سهيل ادريس الحاضر بيننا الآن ، وزميله الدكتور جبور عبد النور) تناولناه بدراسة نقدية مسهبة بعنوان « ثورة منهجية وثروة لغوية » وابرزنا ما فيه من تنويع للمعاني والدلالات واستجابة لمطالب الحياة العصرية في كثير من المصطلحات العلمية والفنية .

وقد أكد الباحث في سياق بحثه نفسه عن ادوات العمل المعجمية ان ادوات التعريب في التدريس والتعليم والشرح المعجمي لم تعد كما كانت في السابق صيغاً انفعالية ، وذلك ما صرح به منذ اشهر في نيسان / ابريل ١٩٨١ مؤتمر التعريب الرابع في مدينة طنجة « من أن التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية ولا زلفى بها ، ولكنه كذلك استجابة للحقائق التربوية التي اثبتت ان تعليم الانسان بلغته اقوى مردوداً وابعد اثراً وانه احفل بالنتائج الخيرة من الكمية والذاتية » .

من هنا يستحسن تجنب التعميم في كل ما نثبته او ننفيه من القضايا المتعلقة تعلقاً مباشراً باستكمال عمليات التعريب . ومن الغريب أن يأخذ المعقب الثاني على الباحث تعبيره « بالتتريك » بمعنى تكوين الاجيال العربية باللغة التركية ، لمجرّد أن لفظ التتريك في نظره ينحصر في معنى « المصادرة » الفقهي . وقد فاته أن المعنى الفقهي نفسه يرتد الى اعلان افلاس التاجر في سوق الاتراك ، وهذا واضح الاثر في المغرب حتى اليوم ، وهو من جهة اخرى انعكاس من بعض الصور الحضارية الاندلسية على المغرب العربي بوجه خاص . وذلك يعني أن معنى المصادرة الفقهي ليس قديماً كما يتصوره ، وان علاقة هذا المعنى بجذر « ت ر ك » الذي يفيد الاهمال والهجر هي علاقة واهية جداً . وعندما يكون « التتريك » مصدراً لفعل « ترّك » بتشديد الراء لن يلتبس في مثل مقامنا بالمفهوم الفقهي الذي سبقت الاشارة اليه ، على فرض أن ذلك المفهوم كان قديماً في تعابير فقهائنا .

ومن المعروف على كل حال أن جميع اللغات ومنها العربية ، تشتمل على المشتركات اللفظية وهذا الاشتراك في العربية ايجابي في المشترك اللفظي ، وسلبي في مشكلة التضاد في العربية ، وليس هذا او ذاك من ضروب التزويق اللفظي في جميع الاحوال ، اذ يمكن استخلاص بعض الضرورات اليه في ميادين كثيرة ، حين تعطى القيمة للجوهر لا للشكل .

واخيراً اثار المعقب قضية العاميات في المسرح العربي ووسائل الاعلام ، وكأنه يرى فيها خطراً على عمليات التعريب . اما نحن فنوافق الباحث على الاسلوب الذي عرض به لهذه المظاهر الاعلامية ، ولمدى علاقتها بالتعريب ، فإن في هذا كله اثراء حضارياً وفنياً منقطع النظير عن طريق « الفولكلور » الشعبي الذي لن يمس شيئاً من سلامة العربية الفصحى ، بل هي تزداد به حيوية وتدفقاً . ولذلك نؤكد رأي من قال : ان العربية بخير وعافية ، اما التعريب فمريض . وعندما ندعو الى التخلي عن القوالب « المحنطة » فإن « التحنيط » الذي نرمي الى تجنبه هو تلك الحال « المَرضية » عند الناطقين بالعربية وليس في اللغة العربية التي تزداد ثراء حضارياً يوماً بعد يوم .

هشام جعيط : اسمحوا لي بأن اسهم ببعض الملاحظات على ورقة د. الصيادي التي اتفق

معه في تخطيطها العام . واود اولاً أن اعبر عن اسفي لغياب د. الدوري لأن النظرة التاريخية تنقصنا في موضوع يدخل فيه التاريخ القديم والمعاصر على السواء بدرجة كبيرة . هناك فعلاً اخطاء من وجهة الحقيقة التاريخية في الدراسة ، وكلنا يعلم أن العقل العربي في اشد الاحتياج الى التوضيح التاريخي . واضرب على هذا مثلاً هاماً ورد في الورقة والتعقيبات وهي مشكلة الفتوحات الاسلامية التي تقدم وكأنها فتوحات تبشيرية لا يرمى من ورائها الا الى السيادة. والحقيقة مخالفة لهذا طبعاً ، فهي غزوات عسكرية خلقت امبراطورية وان وقع التعريب فيها بعد وكذلك الاسلمة ودامت العملية اربعة قرون . كان العرب الفاتحون في البدء هم المتكلمين بالعربية وهم المسلمين ، وكان المحيط غير معرب وان تعرب فيها بعد . وفي هذا المجال ليس صحيحاً أن الامويين قاموا بتعريب شامل للجسم الاجتماعي اذ لم يتجاوز التعريب الدواوين والادارة، وبالطبع كان عرب الامصار يتكلمون العربية ، لكن يغلب على ظني أنهم كانوا يتعاملون باللهجات ، هذه اللهجات التي اقتحمت البلاد المفتوحة والتي نحن ورثتها في لغاتنا المحكية. ولعل الفصحى لم تتجاوز اوساط الاشراف والعلماء والقادة السياسيين ، وهذا شأن جميع اللغات . وزيادة على هذا امتزجت الامصار بالالسن الاجنبية كما يشهد على هذا الجاحظ وغيره .

ونتمادى في التصحيح التاريخي فنقول ، ان الورقة اهملت مجهود النهضة التي سبقت ما يسمى بالتتريك اذ قام هذاالمجهود قبل بدايةالقرن .وقد انصب هذا المجهود على تنقية اللغة والقفز من فوق قرون شهدت فيها العربية زخرفة مجحفة . ونحن في نهضتنا الثانية منذ عقدين نعيش الى حد كبير على هذا المجهود . اما التتريك فقد لعب دوراً في مدة قصيرة ولم يؤثر الا على الفكرة القومية من الوجهة السياسية في بدئها لا على مصائر اللغة العربية ، ولقد عادت فكرة التتريك شعاراً احتيج اليه ودخل لماهية الفتوحات الاسلامية. وهنا نواجه الاحتياج الى نظرة ذاتية بالتدقيق المعرفي وهو امر طبيعي الا انا مطالبون بعدم الاجحاف في تعميق الهوة بين الحقيقة التاريخية والحقيقة الوجدانية المعيشة .

لقد دار الكلام ايضاً على ما اسمي « بجمود اللغة العربية » . والحقيقة أن النهضة الثانيةأثرت الى درجة كبيرة معجم المفردات العربية . واننا نلحظ تحولاً ضخماً في العربية المكتوبة الآن عبر المجلات والكتب نستشف منه تقبلاً رحباً للمفاهيم الحديثة الغربية الاصل ، وفي هذا دلالة على القابلية على التطور وتفنيد لكل فكرة عن عجز العربية على مواكبة العصر . وقد وصل الامر في هذا الاحتضان الى درجة ان العارف بالعربية القديمة قد لا يفهم هذه العربية الجديدة . ومن هنا نجد الى حد ما قطعاً للاستمرارية التاريخية التي تجعل العربي يفهم القرآن واحدث ما يصدر في دور النشر في آن . ولعل هذا التحديث جعل ايضاً من العربية الفكرية شبه اللغة المترجمة . الحقيقة أن مشكلة العربية هي مشكلة ثقافة غير خلاقة ـ ولكنها تواقة وطموحة الى ولوج الحقائق ـ اكثر مما هي مشكلة لغة . والممارسة هي التي ستحل الكثير من المشاكل وهي في سبيل التكثف بتكاثف وسائل الاتصال العصرية . وقد يؤوّل قولي هذا بأنه تفاؤل كبير لكني شاعر بالمشاكل وسأطرحها فيما بعد .

هشام بوقمرة : سوف يكون هذا التدخل قصيراً لأن كثيراً من النقاط التي اثيرت في التعقيبين والمناقشات ستكون لنا فرصة للعودة اليها بالتفصيل في ورقات لاحقة .

الملاحظة الأولى حول الورقة المعنية تتصل بأن الزميل الصيادي قد غلب عليه المفهوم المغربي للتعريب . وهو مفهوم له خصوصياته المحلية سواء في بنيته الاولى او في توجهاته نحو الحل . وكان المنتظر منه تقديم نظرة تأليفية لموضوع التعريب مع بعد تاريخي له ، اذ أن قضية انتشار الاسلام وارتباطه بانتشار اللغة العربية وتعريب المجتمعات التي دخلت الاسلام ، جزء من هذا البعد يختلف حوله التقدير .

وهنا لا بد من الاشارة الى أن هذه النقطة التاريخية قد استحوذت على اهتمام غالب المناقشين ، وكأننا لا نزال حتى الآن مشدودين الى الماضي ، ولا يزال ثقل قيوده يفوق كثيراً ضرورة الصحوة المطلوبة على الحاضر ، الأمر الذي يفسر الاستغراب المشروع حول عدم الاهتمام من قبل المناقشين بالجزء الثاني من الورقة المتعلق بحاضر التعريب وآفاقه .

الملاحظة الثانية تتعلق بالدعوة التي استمعنا اليها الى العودة الى « لغة القرآن » و« اكتساب السلاسة » و« البيان » و« الأساليب العالية » ، وهي دعوة مشتركة بين معقبين وباحثين منطلقاتهم مختلفة تماماً . هذه دعوة غريبة ، تنفي تطور اللغة ، ووجود لغة عربية حديثة . فالمؤكد أن لغة المدن والاوساط المختلفة والامصار في القرون الاولى لم تكن الفصحى لغة القرآن . ويكفي أن نقرأ الآثار المكتوبة منذ القرن الثالث للهجرة لنلاحظ الاختلاف الجذري بينها وبين ما يدعى لغة القرآن . ويصبح التعقيب سلبياً بالطبع عندما نحدد بأن المقصود بلغة القرآن هو هيكل العربية الذي لا ينفي اختلاف الاساليب وثراء اللغة عبر العصور بفعل الاحتكاك والنمو الذاتي والتوسع في الاستعمال .

الملاحظة الثالثة تتعلق باستعمال عبارات عصور الانحطاط والعصور الوسطى ، وهي عبارات غريبة وضعت للدلالة على عصور من التاريخ الغربي وتحمل مفاهيم حضارية مغايرة . ويبدو لي أن هنالك حيفاً كبيراً في نقلها زمنياً كما هي الى التاريخ الاسلامي . ويكفي أن نشير مثلاً الى أن ابن خلدون والغزالي وابن الاثير وغيرهم من المفكرين والكتاب المبدعين لم يظهروا في فترة السيادة العربية الاسلامية ـ سياسياً ـ وإنما ظهروا في الفترة التي تطابق العصور الوسطى في الغرب ومرحلة التفكك السياسي في الدولة العربية الاسلامية .

محمد رضا محرم : اقدم هذه المداخلة الجزئية باعتباري ابتداء مواطناً عربياً مشرقياً تستغرقه التكنولوجيا وتستغرقه حرفة التعليم العالي لكونه محاضراً للعلوم الهندسية في جامعة مصرية .

فيما يتعلق بخصوصيات التعريب في المشرق العربي ، تضمنت ورقة الدكتور الصيادي ما يفيد بأن جهود التعريب في المشرق قد انتهت الى فوضى وتنافر في العمل الاصطلاحي ، نتيجة الفهم الفني لعملية التعريب باعتبارها اقحاماً للمصطلح الفني والعلمي الاجنبي على العربية ،

ولكون اغلب الاجتهادات بدأت فردية ، دونما تنسيق ودونما محاولات جماعية (قومية) لتوحيد المصطلح .

والمستخلص الذي انتهى اليه الباحث صحيح ، ولكنه تشخيص لازمة التعريب في المشرق العربي أدنى من الحقيقة الفعلية المعيشة هناك . فالمشكلة في المشرق العربي ، وفي المقدمة مصر ، قد تجاوزت ازمة العثور على المصطلح او توحيده ، **واصبحت تتعلق باللغة العلمية ككل ، خاصة في مراحل التعليم العالي** . فالاطر والهيئات القائمة على عملية التعليم العالي في المشرق فقدت تملكها لناصية اللغة الاجنبية التي كانت سائدة من قبل ، والانكليزية على وجه الخصوص . ونشأ ذلك عن اعتبارات عدة في مقدمتها :

١ - الدور الثانوي الذي اعطي للغات الاجنبية في ممارسة الحياة القومية وفي مستويات التعليم قبل العالي عقب نجاح جهود الاستقلال والتحرير .

٢ - تنوع الجهات التي اوفد اليها المبعوثون للتأهيل للمشاركة في اعمال التعليم والبحث الجامعي العالي ، حيث لم يبق الايفاد قاصراً على دولة بعينها ، مثلما كان الحال مع انكلترا او فرنسا ، وحيث نشط ايضاً اعداد الاطر والكوادر محلياً .

٣ - تدهور نسبي في مستويات الاداء ببعض المراحل الدراسية ، نتيجة ظروف عدة اجتماعية واقتصادية ، ليس ها هنا مكان سردها ، وقد كان هذا التدهور اوضح ما يكون في مقررات اللغات الاجنبية .

وحيث أن اجراءات وجهوداً مكثفة واعية لم تتخذ لتحويل العربية الى لغة علم وتعليم وحضارة بشكل جذري ، وفي غياب خطة محكمة وشاملة للترجمة العلمية الحضارية الى العربية ضماناً للتواصل مع العالم ، فقد وجدنا أنفسنا في المشرق غير قادرين على التحلل من التبعية للغرب ، وفي الوقت نفسه غير قادرين على التواصل مع هذا الغرب المتقدم ، بما يعنيه ذلك من انهيار لكفاية الاداء التعليمي ، وانخفاض لمستويات التحصيل العلمي للاجيال الجديدة ، ومن ثم زيادة اتساع الفجوة الحضارية (خاصة في جوانبها التقنية) بيننا وبين قطاعات العالم المتقدمة .

سهيل ادريس : سأقصر كلمتي على تعليق قصير على ما ورد في مناقشة الدكتور الحبابي لبحث الدكتور الصيادي . فقد تضمنت هذه المناقشة هجومين أساسيين ، الاول على الجهود التي بذلت في المجامع وعلى ايدي الافراد في اطار القواميس ، وتهمة معممة بعدم وجود مناهج في التعريب . وهو على سبيل المثال خطأ في المعاجم جعْل كلمة معادلة تجاه الكلمة الاجنبية . وفي هذا انكار لما تضمنته المعاجم الثنائية الحديثة من تفريع وتنويع واغناء بالامثلة في ايراد جميع تلوينات الكلمة ، ولو أن المناقش اطلع على قاموسي « المورد » الانكليزي / العربي ، و « المنهل » الفرنسي / العربي وما اتبعاه من منهج في التعريب لما كان حكمه تعميمياً بهذا الشكل .

وتأتي بعد ذلك على لسان المناقش تهمة المثقفين العرب بالخيانة . . . لماذا؟ لانهم يستعملون العامية في المسرح والاغاني والتدريس والسينما . . . الخ ، ولانهم حين يجتمعون يتكلمون باللغة الدارجة واللغة الاجنبية . . . وهذا ايضاً تعميم مجاني كنا نربأ باستاذ كبير مثله أن يطلقه على هذا النحو . فهناك كثير من المسرحيات التي كتبت وقدمت باللغة الفصحى ، سواء على المسارح او السينما او التلفزيون . . . كما أن اللغة التي يتحدث بها المثقفون حين يجتمعون تختلف كثيراً عن العامية التي يتكلمها العامة في السوق ، وان الأمر امر تطور وتقدم وممارسة وانتشار للعلم والثقافة بحيث لا يمر وقت طويل الا وتقترب العامية نفسها في الوطن العربي اقتراباً متزايداً من الفصحى المتداولة .

ثم ان المناقش يتهم العربية بأنها غير متطورة ، ويطالب بعربيّة حيّة دفاقة ، ولست ادري علام بنى هذا الحكم، ولا كيف يفسّر ان العربية اليوم تتدفق بالحياة وتتغلغل في جميع الصفوف ويستعملها المثقفون والادباء والشعراء كأوسع واعمق ما يكون الاستعمال. . . ثم هو نفسه ، الم يكن يتكلم عربية متدفقة حية هي اكبر دليل على عافية العربية المتطورة ؟

محمد عزيز الحبابي : ابدأ فأقول للاستاذ عبد العزيز بنعبدالله ان الاطروحة التي قدمها هذا الصباح عن كون اللغة العربية دخلت المغرب قبل الاسلام اطروحة في حاجة الى تحر وأن الوثائق غير متوفرة . فلا تكفي قرائن ضعيفة جداً لنبني عليها نظرة تاريخية . فبدون تحر سنفعل كالصحافي الانكليزي الذي رأى من سطح الباخرة وقد توقفت في مرسيليا فتاة شقراء فأخذ مذكرته وكتب فيها : « كل فتيات فرنسا شقراوات » . ويغلب على الظن أن الفتاة الشقراء التي رآها الانكليزي كانت هي نفسها انكليزية في رحلة سياحية الى فرنسا . على كل حال اترك القضية للمؤرخين ، واعلق حكمي الى أن نجد اطروحة تقوم على وثائق جدية .

اما ما جاء عن الاغلاط النحوية التي احصاها (وقد بلغت الاربعين او اكثر) فيفرض علي الاعجاب به لاحسانه علم الاحصاء والغيرة على اللغة العربية من الاغلاط . وما اظن أن بيننا هنا من يهتم بما يرتكبه زميله من الاغلاط ، نحوية او صرفية او لغوية او غيرها ، لاننا جميعاً جئنا في مناقشة فكرية ودراسات لواقع التعريب . وليس بيننا من يحاول أن يقلد « ذهنية اركز » ، اي ذهنية الولع بالشكليات على حساب المضامين الفكرية . فمن اسباب تخلف التفكير العربي الهيام بالادوات لا بمردوديتها .

والآن أتوجه الى د. صبحي الصالح ، وكان بودي أن لا أعلق على ما قاله ، لأنه في جملته اعادة لما سبق أن قيل هنا . وإنما اريد أن اشير اشارة عابرة الى امرين في كلامه :

١ ـ إني اعارض نوعاً خاصاً من المعاجم هو قوائم بمصطلاحات تجعل كلمة عربية وامامها كلمة انكليزية او فرنسية . واؤكد أن هذه القوائم التي يسميها اصحابها معاجم تضر ولا تنفع . واعتقد أن معجم الصديق سهيل ادريس من طائفة المعاجم الجيدة .

٢ ـ لم أتعرض للمصطلحات ، وكلنا نعلم أن المصطلحات يضعها المفكرون . الا أن كل مصطلح يستوجب أن يسجل ويفحص وينسق .

٣ ـ المجامع مكان احترام وتقدير . لكن أن نقول انها ما زالت في حاجة الى تصحيح منهاجها في العمل لا يعد انتقاصاً من قيمتها .

٤ ـ تتريك . . لك حول هذا اللفظ رأي يخالف رأيي . لكن أن تدافع عنه بفصاحة بالغة فأمر لا يؤيد رأيك !

٥ ـ إن وضعنا هو كما يلي : ازدواجية عربية ـ فرنسية / انكليزية ، كما حلله الصيادي ، وازدواجية عربية ـ عربية (عامية وعربية) . واسمحوا لي أن اضيف ازدواجية ثالثة : عربية الجامعة والتدريس والتأليف وعربية الاعلام .

واخيراً اقول للاستاذ هشام بوقمرة جواباً على سؤاله عن الحياة الدافقة ، انها هي التي تماشي الحياة اليومية للتعبير في الدار والسوق . . . وفي البحث العلمي ، وفي الرياضة البدنية وفي الفنون . . . وهذا معناه حياة ، بالنسبة للغة ، اما الدافقة فهي أن تكون اللغة متفتحة على التكيف طبقاً للتطور العام ، مع قابلية للاشتقاقات والتبسيط والتعصر ، فتبقى حليفة للصيرورة التاريخية .

اختم هذه الاجوبة بكلمة للدكتور سهيل ادريس فأقول له اني مثلك يا عزيزي اعرف أن هنالك مسرحيات بالعربية الفصحى . ولهذا قلت في عرضي حين تحدثت عن المسرح : جل العروض واكثرية الاسطوانات . ولم اقل قط أن اللغة العربية غير متطورة .

محمد المنجي الصيادي : إن القضية الكبرى ، بل المحورية ، في العمل الفكري العربي الجماعي تتمثل اساساً في المنهجية . وهي بدورها ترتبط بتعابيرنا عن رؤى واضحة مدروسة وبصراحة مواقفنا . فسواء كنا باحثين أم معقبين ام مناقشين ام متدخلين ، وهي المراسم المتبعة في التظاهرات الفكرية من ندوات وملتقيات ومؤتمرات ، فعلينا تجنب القاء الاحكام المطلقة المؤسسة على الآراء الشائعة التي لا نخشى من ترددها لتيقننا من انها صارت من المكاسب الفكرية المتفق على صحتها . ولكن الباحث الذي رسخت قدمه في البحث العلمي لا يمكنه الا أن يخضع ما يكتب الى وجهة نظره النسبية التي تستند الى تكوينه الفكري واستعداده للتجاوب مع التيارات المختلفة بمضامينها الكاملة ، تلك المضامين المؤثرة على وجهة ، او وجهات ، نظره التي من حقه العلمي أن يكونها بالسياق الذي يفكر به في محيطه . والباحث النزيه يكون بموقفه هذا قد تواضع للعلم ولا يملك الحقيقة المطلقة الازلية لأن الحقيقة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها . بهذا المعنى تكون نسبية التفكير العلمي في كامل امتداده واقصى حجمه . والقاعدة المثلى التي يقوم عليها البحث الجاد ، والنتائج الفكرية او الحسية التي يصل اليها كل عمل علمي قابلة دوماً للمراجعة

والتجدد لأن العلم عبارة عن بناء يشيّد باستمرار . والحقائق التي يتوصل اليها الباحث او المعقب او أي انسان يعمل فكره ويتدبر امور حياته لا يبلغ في خاتمة طوافه الا حقائق محدودة قدرته على بلورتها ، ثم يأتي غيره ، ويأخذ المشعل من يده ويواصل مسيرة البحث عن الحقيقة . وهكذا تكون قضيتنا الكبرى ملتزمة بسلوك المنهجية العلمية واستخدامها في كل الميادين التي نريد استطلاع ما اكتنفها من غموض ، وبذلك نكون قد سددنا الطريق امام اعتباطية التفكير والارتجال في تسليط الاحكام .

ثم ان كل تأليف يخضع لاختيارات ، وكل اختيار يمثل نوعاً من الاعتباط ، اذ نجد هذا ينتقي بين عناصر ما ويشكل منها موضوعه الذي الف بين اجزائه ، وذاك يخالف في هذه المؤ الفة ، ولكل إنسان حرية الانتقاء ، فنعود مرة اخرى الى أن العالم لا يملك سوى جزء يسير من حقائق هذا الكون .

بعد هذه التوطئة التي نرجو أن تكون لها بعض الفائدة في استكمال معايير اعمالنا العلمية واعطاء البحث العلمي العربي ما يستحق من عناية، نبدأ في معالجة الملحوظات التي تكرم بها المعقبون فنقول ان على المعقب في رأينا الا يقتصر على مطالعة النص الذي يعرض عليه للتعليق بل أن يضيف الى هذا الجهد المشكور محاولة التفكير بالمقاييس التي توخاها مؤلف البحث وأن يتعود على القراءة بين السطور. فمثلاً، الم يتسرع الاخ المعقب(د. مدثرعبدالرحيم)في القول بوجود عسف وتشويه في المقابلة (التي لم تقصد لذاتها) بين الحكم التركي والحكم الاستعماري الغربي في الاقطار العربية؟من رأينا أنه ينبغي ربط هذه المقابلة ـ إن وجدت ـ بالسياق التاريخي الذي يؤ يد ما ذهبنا اليه من أن العهد الذي حكم خلاله آل عثمان بقيمهم التركية معظم الاقطار العربية ، قد ناوأ وأبدى عداءه لكل محاولة من شأنها أن تعاكس عملية التتريك الحضاري الذي سلطته الدولة العثمانية على الامة العربية . وهذا الواقع لا ينفي طبعاً انتساب الاتراك الى الاسلام والاخوة الاسلامية التي تضامن فيها العرب والاتراك امام الغائلات الخارجية الداهمة . ولكن لا بد من التأكيد ان التتريك كان موقفاً سياسياً قبل كل شيء ناصب العرب العداء وكان في مواجهة قاسية مع تيار القومية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر . وقد اشتدت حدته في بلاد الشام التي ردت الفعل ودافعت بكل قواها عن امجادها العربية . وللنظام التركي ككل نظام سياسي مواقف دافع فيها عن الاسلام وعن العرب ايضاً، وحماهم عدة قرون من الغزو الاجنبي، الى ان انهار«الرجل المريض » (السلطنة العثمانية) ، وترك الارض العربية مفتوحة امام الغزو الاجنبي . ولعل العرب قد ساعدوا على ذلك بما ابدوه من عداء باغت الاتراك ، وحرضت عليه انكلترا خاصة . وعلى كل فقد كان لثورة أتاتورك على النظام الخلافي في تركيا ان انفصلت تركيا مؤ قتاً عن الحضارة الاسلامية بحثاً عن هويتها في قيم الحضارة الاوروبية . وهو ايضاً عمل سياسي لا يمكن تقويمه تقويماً اخلاقياً اذ لا دخل للقيم الاخلاقية في المواقف السياسية التي تخضع لجملة من الاعتبارات والدوافع

المختلفة في محتواها وفي غاياتها . فقيام النظام التركي الجديد الذي أراد لنفسه أن يكون علمانياً جمهورياً هو واقع تاريخي لا يمكن اغفال اية جزئية من جزئياته ، والا وجب علينا تمزيق صفحات من التاريخ الاسلامي العربي . ولا ينبغي مرة اخرى إغفال ما كان للدولة العثمانية من دور تاريخي عظيم اكّده المعقب ، وفي بسط الحضارة الاسلامية في ربوع أوروبا الشرقية ، وبلوغ الجيوش التركية الى عاصمة النمسا .

أما عن فتح بلاد النوبة فإن الفترة الاولى التي تم فيها غزو هذه الارض بقيادة عبدالله بن ابي سرح فلم يكن فتحاً بالمعنى المعروف بل تحسساً لمنطقة مجهولة لدى الجيش العربي الذي أراد استطلاع الاوضاع السائدة هناك الى أن أتى وقت تعريبها في الفترة التي ذكرنا ، مع الاحتراز العلمي المعهود على التواريخ القديمة التي تتناقلها الروايات الموالية دون تمحيص وتحر . كانت لا تقول به العصور القديمة المتعطشة الى المظهر العجائبي الاسطوري الكامن في البطولات العربية التي فتحت الأراضي البعيدة .

والمقصود من استعمال كلمة (فرض) الموحية والمشحونة بشحنة دلالية ساطعة يرتبط مباشرة بالاسلام ، لأن هذه اللفظة شاعت أول ما شاعت مصطلحاً دينياً شعائرياً . وهكذا فرض الواقع اللغوي نفسه لأسباب تتعلق بالحضور العربي في البلدان المفتوحة ، وما يتصل بهذا الحضور من اوضاع جديدة على الاهالي حملتهم على تعلم العربية لاندثار لغاتهم المحلية ، لأن دخولهم في الاسلام يعني اكتساب العربية كأداة معبرة عن الدين والدنيا ، وهو فرض حتمته الحياة ، فكان على من أراد العيش في المحيط الاسلامي أن يقبل على تعلم العربية . فالفرض نابع من نفسه وقد التزم به عن طواعية ودراية . قطعاً كانت العربية في نظر الاهالي الذين استظلوا بالحكم الاسلامي ، لغة السلطة الحاكمة وهذا لا يغمطها شيئاً من امكانياتها ، فنوافق المعقب حين قال انها لغة اختيار لكنه اختيار فرضه الواقع السياسي والاداري الجديد الذي ادخل تغييرات جذرية حضارية وثقافية على نمط عيش السكان .

وبخصوص الطريقة التي بها توخى المعقب الثاني تعليقه على البحث (اعني الدكتور الحبابي) : بداية لا افهم لماذا يجب التشاؤم في مفتتح هذه الندوة ، تثبيطاً لعزائم زملائي ، فاجعلهم يعتقدون أني انظر نظرة سوداوية لقضايانا العربية في حين أن الأمل والتفاؤل يشكلان نبراس الحياة السوية ولا يمنعان من العمل الجاد ؟ وهل التشاؤم بمصير قضية التعريب (وهو موقف سالب كل السلبية) يؤدي الى حل اشكالاتها او أنه يقود الى اكساء البحث كساء الجدية العلمية ؟ فمن آداب الندوات مهما كانت جافة في علميتها ، الاستهلال بعبارات تفاؤلية لا تنقص شيئاً من القيمة العلمية لكل مشارك من المشاركين .

كذلك قضية العنوان الذي لا يكون قيماً الا اذا اكتسى اقصى قدر من التعميم . وقد غاب عن المعقب انه من اختيار اللجنة التحضيرية التي اعدت لهذه الندوة . ثم ان العبرة في النقد تكون

في المظروف لا في الظرف . ويا حبذا لو يقترح حضرة المعقب منهجية في ضبط عناوين المواضيع المطروقة في الندوات لتكون ملحوظته ايجابية . وبهذه المناسبة اقترح عند طبع الكتاب المقرر نشره والمتضمن لوقائع ندوة التعريب ، أن ينقح العنوان تنقيحاً طفيفاً، فيكون على النحو الآتي : « ظاهرة التعريب في الوطن العربي » .

من ناحية اخرى الا يريد أن يقنعنا باستعماله للفظة تشخيص بأن العربية لغة مريضة ؟ وهل مرضها هذا المزعوم حال دون اقبال الفرس عليها اذ كانت لغتهم تؤدي قيماً حضارية ، فلم يروا حاجة الى تعلم لغة اخرى ؟ نعم لم يقبلوا بالعربية لغة يومية لكنها كانت راسخة في اعماق ضمائرهم ، بقيمها الاسلامية ، وها هي اليوم الثورة الايرانية تنزل بشعاراتها الاسلامية العربية الى سوق الاعلام الجماهيرية وتزرع بذورها حيثما شاءت .

إن قضية الابهام في العربية لا تقتصر على هذه اللغة وحدها ، لكنها تبرز فيها خاصة لان العربية قطعت اشواطاً في المجال الحضاري والعلمي ، وهي تعتبر فترة انتقالية تساعدها على تجديد مفاهيمها وبلورتها . وهذا يقودنا الى القول بأننا لا نجاري المعقب اذ رام ايهامنا بأن العربية غير قادرة على أداء المفاهيم والافكار اداء واضحاً لا لبس فيه . وقد طالبناه في تقديم البحث كمتخصص في مسائل الفلسفة ، بافادتنا في شأن تولد المفاهيم في الفكر عامة حتى نحاول تكييف ذلك بالفكر العربي . ومن اليسير طبعاً القاء الاماني العريضة وايراد سلسلة من « الينبغيات » والموجبات . أما الطريقة التي توحي بما يجب فعله وما ينبغي تركه فلا قبل لنا بالعمل بها في الندوات العلمية . هذا وان رواج مفاهيم مثل « قناعة » و « اقتناع » وما يكون بينهما من مد وجزر يذكرنا باحد الاقوال المعروفة « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » . فعلاً ان لفظة اقتناع ترد الى ذات الشخص المقتنع ، لكن الكلمة الاصلية (ق ن ع) اكثر دلالة لأنها تشكل الجذر الأول الذي اشتقت منه المزيدات الاخرى . فلا يمكن معاكسة رواج الدلالة المستقرة لدى الناطقين والا نكون قد قاومنا كل تطور في معاني الكلمات العربية . ويعني ذلك الاعتراض على التطور اللغوي الذي ما انفك المعقب الفاضل يقول به ويتحمس له باستمرار . فلا مفر من كسر الاطواق التي تحبس دلالة الكلمات العربية في معان موقفة لا تترك ، في حين أن الواقع اللغوي اليومي يحملنا قسراً على مجاراة الاستعمال الشائع . وكذلك الامر بشأن مصطلح « تتريك » الذي شاع اولاً بمعناه الفقهي ثم ارتبط في القرن العشرين بتيار سياسي اراد الاتراك فرضه على العرب .

أما بخصوص الثنائية اللغوية فهناك ظاهرة التفاعل القائم بين العربية ولغة أخرى ، وسماها بعضهم الازدواجية الاستعمارية . وقد ذكرنا في البحث تفضيلنا لكلمة ثنائية مقابل bilinguisme ، وابقاء كلمة ازدواجية للتداخل القائم بين الفصحى والعامية وذلك مقابل diglossie . وهذا اجتهاد اصطلاحي الى أن يجدّ اجتهاد آخر ينقضه او يضيف اليه . ولنذكر أن اجتهادنا يقودنا الى القول ان احياء الحضارة الرومانية في شمال افريقيا محاولة ماسخة ارادها

المستعمر لمسخ القيم الاسلامية العربية في المغرب ، ولنذكر ايضاً ان وراء كل عمل سياسي دوافع وخلفيات . ولم يصل الى علمنا أن محاولة احياء معالم هذه الحضارة الغابرة من طرف المستعمر بالذات ، لم تكن محاولة لطمس الحضارة واللغة العربية في هذه الربوع . ذلك أن كل عمل احيائي يكون مستساغاً لو تم على ايدي ابناء البلاد وبافكارهم لا بتأييد من الدخلاء . ثم لماذا عمل المستعمر على تشجيع كل عمل متجه في هذا السبيل ، مستثنياً الحضارات التي سبقت وتلت الحضور الروماني في المغرب ، لولا أن هذا الحضور مرتبط اصلاً بالحضارة واللغات اللاتينية في الوقت الحاضر ؟ ؟ كان بودنا أن نسمع منه تعليلاً شافياً في هذا الموضوع . طبعاً الاغتراب موجود ، وقد أكدنا ذلك عند الحديث عن النخبة ، وهو واضح في المحيط الاجتماعي لا كظاهرة عامة بل في بيئة معينة . وفي معنى « تغريب » نجد ظاهرة مجتمعية تدل على التقليد الفكري والحياتي للنسق الغربي القائم الذات في انماط عيش بعض افراد النخبة المغربية الذين ينقلون ذلك الى افراد اسرهم (مثلاً تسجيل الابناء بالمدارس الاجنبية) . فلا دخل اذن للتحدث عمن ازدوجت ثقافته وكان محافظاً على سمات شخصيته العربية . والتزام الباحث يقضي بالاستجابة لمراحل البحث ومنها أن عناصره تضمنت النظر في الخلفية التاريخية للتعريب طبعاً ، كما أن الواقع اللغوي المعيش في البلاد العربية اليوم يفرض علينا الاعتراف بأنه لا توجد امكانات فورية لانجاز التعريب الشامل ، فسواء كانت البادرات مؤيدة او معترضة على التعريب فلا مجال للمقامرة باجيال لا ذنب لهم سوى الاقبال على التعليم فالآباء يمنحون ثقتهم دون احتراز للمدرسة العربية في مختلف مراحل التعليم، ولا يمكن بحال أن نستغني عن هذه الثقة في التعليم العربي سواء أكان معرباً في مواده او في محتواه . وفي هذا الصدد نؤكد من الناحية النفسانية استحالة قيام المعلمين المؤهلين خارج اقطارهم العربية بالتدريس المعرّب بمفردهم ، اذ ينبغي تدريبهم مسبقاً على متطلبات التدريس العلمي خاصة بمواده الصحيحة التي لا تقبل المعربات التقريبية . وهذا لا ينفي استخدام اللغات الاجنبية التي يتقنها هؤلاء ، والتي يمكن استغلالها لتكون جسراً يؤدي الى تعريب المواد العلمية . وفي هذا المعنى لما عرفنا التعريب بأنه اقصاء للغة الاجنبية وتعويضها بالعربية كلما سنحت الفرصة، فإن ذلك هو الواقع التعريبي اذ كيف يمكن أن نعرب تعليمنا وادارتنا دون زحزحة اللغات الاجنبية لفائدة بسط نفوذ العربية الى اقصى امتداد ممكن افقياً ورأسياً ؟ ثم هل يعني الاقصاء سوى الابعاد لا النفي والحذف ؟

لا يمكننا الا أن نخرج بانطباع خاص للطريقة المسلوكة في هذا التعليق التي استبعدت تسليط الفكر المركز في نظرة شاملة تتطلع الى مضمون البحث ككل ، ولا تجعله اشلاء من الملحوظات التي لا تبرز الصلة العضوية المرغوب فيها بين ما تثيره من مسائل جزئية قامت في تراكم الافكار الفرعية التي اوردها المعقب بشأن هذا البحث . لقد اردنا الاقتراب من مفهوم التعريب الشائك ، الذي نشأ مع نشوء الحضارة العربية . ويا حبذا لو تطرق المعلق الى المضمون بصورة مكثفة وساعد المشاركين على الخروج بنظرة مبلورة لجملة الافكار التي ابداها .

الفصل الثاني

الأبعاد الحضارية للتعريب

محيي الدين صابر

مقدمـــة

للتعريب، مفهوما ، قضايا فنية واجتماعية وقومية وسياسية فيتداخل مفهوم التعريب في مفهوم الترجمة ، وتعرض حينئذ فنيات هذا الامر حول طبيعة اللغة وقدرتها الدلالية والاستيعابية ، وحول المترجمين واعدادهم الى غير ذلك . وفي هذا الاطار تكون قضية التعريب ، قضية علاقات فكرية باللغات الاخرى . ولكن للتعريب جانبا مهماً ، في اطار هذه الندوة ، وهو أن التعريب المقصود هنا لتدعيم الوجود العربي والوحدة القومية ، هو تعريب عربي ، بمعنى التصدي لقضايا شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه ، على المستوى الجغرافي والقطاعي ، وبخاصة في التعليم والبحوث والادارة . وهكذا فقد يعني التعريب قطاعا من قطاعات المعرفة ، كتعريب العلوم الطبيعية والرياضية، اي نقلها من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية ؛ وقد يعني تعريب مؤسسات تربوية ، كتعريب لغة التعليم العام في بعض البلاد العربية ، أو تعريب لغة التعليم الجامعي والعالي ومراكز البحوث العلمية في كل البلاد العربية . وقد يعني التعريب توحيد المصطلح العربي في البلاد العربية ، والاقتصار على كلمة عربية واحدة لكل العرب ، لكل مفهوم ، في مختلف جوانب المعرفة العلمية والتكنولوجية .

وقد يعني التعريب تعريب لغة الادارة الرسمية ، بما في ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي ؛ وقد يعني تعريب لغة التعليم ولغة المجتمع معا ، أو على الاقل جعله لغة تفاهم ممكنة شعبيا ، وذلك في بعض البلاد العربية انتماء وتاريخا ومصيرا ـ وهي اعضاء في جامعة الدول العربية ـ ولكن للغة العربية فيها وضعا خاصا ، هو من صنع التسلط الاجنبي الذي فرض لغته ، وحارب الثقافة العربية ، لاجيال متعددة ، فصلا لتلك الشعوب عن تراثها وأصولها الحضارية .

وللتعريب ، وظيفة ومنهجا كذلك ، قضايا . فهل تكون وظيفة التعريب نقل المعرفة البشرية ، والخبرات الانسانية ، عن طريق الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ، بطريقة مقصودة ، أم أن تلك الوظيفة تتحقق ، في اشكال اخرى متعددة من التماس الحضاري العالمي ، عن طريق وسائل الاعلام ، والتفاعل السياسي ، والتعامل التجاري والمالي ، والنشاط الفني العالمي ، بكل ما يعقب هذه الظاهرة من آثار ، على المستوى الاجتماعي للمجتمعات والأفراد ؟

من هنا ينبغي تأطير دراسة الابعاد الحضارية للتعريب ، تخليصا لها من العلاقات ذات الطبائع المختلفة لقضية التعريب ، على مستوى المفهوم والوظيفة ، وتركيزا لها في جانب محدد ، هو الاثر الحضاري للتعريب في مجمل مفهومه ووظيفته ومنهجه .

وهنا ينبغي أن نشير الى أننا نعالج هذا الامر على مستويين ، مستوى الواقع ومستوى الطموح ، فنتعرض ـ حيث يكون ذلك نافعا ـ للواقع وطرق مواجهته ، واحيانا يكون هناك تصور لما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع ، وما يمكن أن يعقبه من آثار ، وهو أمر لا مناص منه ، لأن التعريب في واقع الامر لم يتم بعد على الساحة العربية بما يتحقق به هدف الوحدة ، وبما يتم به هدف التنمية . فالوحدة القائمة والراسخة في الوطن العربي هي الوحدة الثقافية ، ووحدة اللسان ، وهي وحدة ترسخ وتقوى مع الايام ، قطريا وقوميا ، حتى لتكون دعامة الوحدة الشاملة المتكاملة .

أولاً : في اللغة والوحدة

١ ـ وخطر اللسان العربي ، في وحدة هذه الأمة ، وشأنه فيها ، حقيقتان تاريخيتان ؛ فهو الذي أصّل هذه الوحدة وحفظها وقام عليها رغم تعدد اشكال الحكم وأنواع السلطة . فالوحدة الثقافية في الامة العربية موصولة لم ينقطع سندها ، على مر العصور بسبب هذا اللسان الجامع . كان ذلك في الزمن الذي مضى ، وسيكون في الزمن الذي يأتي . واللغات في كل الأمم هي وسيلة التعبير الاجتماعي الشامل ، ووسيلة الاتصال الكبرى . ولكن هناك اجتماعيا وسائل اخرى غير اللغة لنقل المعرفة والخبرة الانسانية ، وتوصيلها بين الجماعات والافراد .

٢ ـ وهنا لا بد من التعرض في ايجاز الى الصلة بين اللسان القومي والوحدة العربية . فالوحدة القومية ظلت مستمرة في كل عصر ، لغويا وثقافيا . ولكن التعبير السياسي لهذه الوحدة خضع لكثير من التغيير ، اختلف درجة ونوعا طبقا للمفاهيم السائدة ، في العصور المختلفة ، فكريا وعقائديا ،وسياسيا . وفي العصر الحديث ، عصر القوميات ، بدأت الأمة العربية المجتمعة حول لسانها وتراثها ، تتلمس الطريق الى وحدتها انطلاقا من اكبر قاعدة تاريخية وفكرية واجتماعية موحدة هي اللغة العربية وميراثها الحضاري الضخم الموصول في نهر متدفق

عريض ، مخضر الضفاف أبدا ، وان كان مجراه المتسع يضيق أحيانا في مرحلة من مراحل المسيرة الدائمة .

٣ ـ وهكذا ، ارتبطت الوحدة العربية ، في مضمونها ، بهذا التراث الحضاري الخصب ، كمّاً وكيفاً ، المتصل زمانا ومكاناً ، الذي ظل اللسان العربي وعاءه ومستقره . وكان أمرا مشروعا ، فكريا وتاريخيا ، أن تتجمع الدعوة الوحدوية حول اللسان العربي بكل تراثه الفكري والروحي والعلمي ، الى جانب الحقائق الجغرافية والسياسية الأخرى ، فاعتمدت فيها اعتمدت الحقيقتين الجوهريتين في حياة الامة العربية ، اي التلاحم المكاني والتوحّد اللغوي . وهما وان كانتا حقيقتين في ميدانين تختلف طبيعتها ، فاحداهما طبيعية ، والأخرى اجتماعية . الا أنهما من الثبات الواقعي ، والديمومة التاريخية ، بما لا يترك مجالا للجدل في معطياتهما .

٤ ـ وأمام هذا الموقف ، وفي مواجهة اسس الوحدة العربية ، حرص الاستعمار على أن يتجه الى مهاجمة الاساس الفكري والاجتماعي الذي يمكن التأثير فيه لانه يتصل بالانسان المحدود بقاؤه على الارض ، الذي تتجدد خبراته ويتوالى اكتسابها جيلا بعد جيل ، فعمد الى ضرب اللغة العربية ، توهينا للاواصر الباقية ، وفصلا للاجيال العربية المتواصلة ، وتغريبا عن الذاتية الملهمة .

أ ـ ولقد أصابت هذه الخطة هدفها ، ونجحت نجاحا كاملا خارج الوطن العربي وبين الشعوب ذات الرحم الدنيا بالامة العربية عقيدة وثقافة ، وهي الشعوب التي كانت اللغة العربية لغتها العلمية والفكرية ، والتي انتج ابناؤها بها كثيراً من الآثار القيمة في مختلف فروع المعرفة ، مما تشهد به آلاف المخطوطات المحفوظة في دور الكتب العالمية ؛ الى جانب محاربة الحرف العربي الذي تبنّته عشرات اللغات الافريقية والآسيوية في عالم التدوين والكتابة واحلال الحرف اللاتيني مكانه ، وفرضه على تلك اللغات ، قطعا للصلات الثقافية ، وتجهيلا للاجيال الجديدة بتراثهم الباقي . ذلك كله حدث في آسيا وافريقيا بوجه خاص .

ب ـ أما في الوطن العربي فقد اختلفت درجة نجاح هذه الخطط باختلاف المناهج الاستعمارية الأوروبية التي راوحت بين المحاولة الاستيعابية الكاملة للشعوب المستمرة في لغتها وثقافتها ، كما هو الحال في الاستعمار اللاتيني ، وبين المحاولة التهميشية للغات والثقافات المحلية وتسييد لغة المستعمر وثقافته في مجالات الحياة العامة ، في السياسة والادارة والاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا . ويتمثل ذلك ، بصفة خاصة ، في الاستعمار البريطاني في مرحلته الثانية ، بعدما اعتمد السياسة الاستيعابية في مرحلته الاولى ، في امريكا الشمالية وكندا ، ثم اقلع عنها بعد استقلال الولايات المتحدة .

ج ـ والى جانب السياسة الاستعمارية الاوروبية تجاه اللغات الوطنية ، كانت هناك عوامل أخرى . كان هناك عامل الزمن في طول بقاء الاستعمار او قصره ، الى جانب عنصر المقاومة المحلية المتمثلة في المؤسسات الثقافية الوطنية التي وقفت في وجه العدوان الثقافي واللغوي الى

حدّ كبير ، وحققت تواصل الاجيال . فقد كان دور الجامعات العربية التقليدية كبيرا في هذا المقام ، كجامعات الازهر ، والزيتونة ، والقرويين وغيرها في سائر البلاد العربية . وهو دور لم يقوّم تقويما حقا ، ولم ينل العناية المستحقة من الدراسة .

د ـ والى جانب طرد اللغة من الحياة العامة ، واجهاض وظيفتها الاجتماعية في محاولة لايداعها المتحف ، وحصر دورها في اداء الشعائر الدينية ، كان هنالك سعي ماكر لتفتيت الوحدة اللغوية، تحت شعارات مختلفة، وباسم المنهجية العلمية التي استعيرت احياناً كثيرة للتضليل ، فقامت الدعوات التي تخلط بين اللغة واللهجة ، واعتبرت اللهجات العربية القطرية لغات انشئت لها المعاجم ، وقننت لها القواعد ، ونظر الى اللغة العربية المكتوبة بين تلك اللغات التي زعموا على أنها لغة جامدة ، لأن قواعدها النحوية لا تتغير ، وبنيانها الصرفي لا يتحول . . . الخ .

٥ ـ وقد لا يكون مثل هذا الطرح لقضية اللغة العربية منصفا . فهو فضلا عن أن علميته مشكوك فيها ، فإن في تاريخية اللغة العربية ، وصلتها بالاسلام ، خصوصية تتمثل في أن القرآن الكريم الذي نزل باللسان العربي ، والذي نشأت حوله علوم العربية جميعا ، يظل المثل الاعلى لسلامة هذه اللغة . وسيظل هذا التراث الانساني الكبير الذي ضمته هذه اللغة مصدر الهام للوحدة الموصولة . وليس من الخيارات المعقولة الدعوة الى تدميره ، في الوقت الذي يحفل الاوروبيون الذين هم المثل الاعلى للكثيرين من مثقفي العالم الثالث بالتراثين اليوناني والروماني، ويجعلونه منطلق الفكر الانساني والتقدم البشري . ونسارع الى القول ، بمعزل عن كل حكم تقويمي مسبق على التراثين اليوناني والروماني ، ان هذه الظاهرة قد تنفع في ايقاظ الداعين الى وأد التراث العربي .

هذا الى جانب أن اللغة العربية لم تنفرد بين اللغات بالفروق القائمة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ولا بالفروق بين اللغات القطاعية ومصطلحاتها ، في اطار تقسيم العمل الاجتماعي . فعلم ذلك كله مبسوط في ابجديات العلوم اللسانية .

٦ ـ ومهما تكن الحصيلة النهائية لهذا العدوان الاجنبي ، نتيجة العوامل التي بسطت في السطور السابقة ، فإن هناك ظاهرة اجتماعية ذات شأن وخطر ، نشأت واستقرت خلال هذا السعي الاجنبي ، وهي ظاهرة سادت حتى في البلاد التي حافظت على كيانها اللغوي، أو التي اخترق فيها ذلك الكيان ، بدرجات متفاوتة ، وفي مستويات مختلفة . تلك الظاهرة هي تهميش اللغة العربية ، وخلق اتجاه سلبي نحوها ، وربطها بمظاهر التخلف بطردها من المواقع المتقدمة في الحياة المعاصرة . وهكذا اصبح الحراك الاجتماعي للافراد في المجتمع العربي نفسه ، مرتبطا ارتباطا عضويا باللغات الاجنبية التي اصبحت ، هي وحدها ، مناط المكانة الاجتماعية ، والدور الاجتماعي . وقد ادى ذلك الى نتيجة خطيرة هي فقدان الكبرياء الفكرية للامة العربية ، وتشكيك ابنائها في شخصيتهم الحضارية وذاتيتهم الثقافية، وحملهم على احتقار تراثهم ولغتهم . وهذا فيما نرى هو موضع الداء في هذه القضية . فقد قام في ذهن المثقفين العرب

تلازم بين مفهوم التخلف الاجتماعي والتكنولوجي وبين الثقافة العربية ، وفي أساسها اللسان العربي . . . وهكذا أتيت الامة العربية من مأمنها !

٧ ـ ومن هنا كان رد الفعل ، وارتباط حركتي التحرر والوحدة بالنهضة الادبية التي كانت تعبيرا عن نضال اللغة العربية للدفاع عن ذاتها ، مما أتاح فرصة جديدة لاعدائها ليتخذوا من هذا الدور الوظيفي الايجابي فرصة جديدة لمهاجمة اللغة العربية ، واتهامها بأنها لغة ادب ، وليست لغة علم ، ولا لغة تكنولوجيا . وذلك في سياق تأكيد ربط اللغة العربية بالتخلف . وليست اللغة العربية بدعا في هذا ؛ فكل الحركات القومية ،نشأت وترعرعت في كنف لغاتها ، وبالهامها . وهذا باب ، من أبواب الدراسة ، واسع ، ليس هذا مجاله .

ثانياً : التعريب والوحدة

١ ـ ومواصلة لعرض هذا الجانب عن اللغة والوحدة ، وفي اطار المعنى المباشر للتعريب بمعنى سيادة اللغة القومية في الوطن العربي، فإن المعطيات الواقعية للبلدان العربية تشير الى اوضاع مختلفة لهذه السيادة في المدلولين الاجتماعي والسياسي . ومن السهل أن نميز تلك الاوضاع ، فهناك :

أ ـ بلدان عربية وجود اللغة العربية فيها وجود قانوني ، سياسيا ، ولكنها غائبة ثقافيا وعمليا ، أو شبه غائبة . ومثالها البلدان العربية ذات الانتماء الحضاري العربي والمصير العربي ، وهي بعض البلدان الاعضاء في جامعة الدول العربية التي تعتبر سيادة اللغة العربية فيها شرطا لقبول عضويتها . فكل بلد عضو في الجامعة لا بد من أن تكون لغته الرسمية هي العربية . ولظروف تاريخية تعود الى وجود الاستعمار فيها فترة طويلة ، والى سياسة الثقافة الاستيعابية ، اقصيت اللغة العربية في تلك البلدان العربية من الميدان ، بأساليب مختلفة .

والتعريب هنا ضرورة على مستويين : على المستوى القطري للدولة لتحقيق الوحدة الوطنية بين أبنائها الذين يتحدثون ، في الغالب ، اكثر من لغة محلية ، الى جانب اللغة الاجنبية السائدة ؛ وعلى المستوى القومي لاستكمال عناصر الوحدة فكريا وثقافيا . وهذا لا يعني ، في كل الاحوال ، أن تقوم اللغة العربية بالدور الذي قامت به اللغات الاجنبية في تدمير التراث المحلي . ولكن عليها أن تتعايش مع اللغات المحلية الأخرى التي هي وعاء لخبرات انسانية . وعليها ، الى جانب هذا ، ان تؤدي وظيفتها القومية تعبيرا عن الارادة السياسية المرتبطة بالحقائق الحضارية لتلك الشعوب العربية . وهذه المشكلة يختلف حجمها من بلد الى آخر . فهي في بعض البلدان شبه شاملة ، وفي بعضها الآخر جزئية ، بمعنى أن جزءاً من سكانه هم الذين ينطبق عليهم هذا الوضع .

ب ـ بلدان عربية وجود العربية فيها وجود حي وكامل في القاعدة الشعبية ، وفي بناء الحياة الاجتماعية ، ولكنها تعاني حالة من الازدواجية التي يطلق عليها البعض انفصام

الشخصية الثقافية . ذلك أن اللغات الاجنبية لا يزال سلطانها سائدا في الادارة والاقتصاد والتعليم ، وذلك للاسباب التي بسطت من قبل . ولكن مدّ التعريب يتسع فيها ويقوى .

ج ـ بلدان عربية وجود العربية فيها وجود متكامل ، شعبيا واداريا في كل المستويات ، ولكن فيها تخلف قطاعي يتمثل في لغة التعليم الجامعي والعالي في بعض الكليات العلمية والمهنية ، وفي مراكز البحوث . وهذا هو الوضع السائد في المشرق العربي . والمشكلة هنا مشكلة متصلة بتدريب الأطر العليا الذين تلقوا تعلمهم في البلاد الاجنبية، ومرنوا على استعمال المصطلحات الاجنبية، وتعودوا عليها ، والعادة هي الطبيعة الثانية للانسان .

٢ ـ هذه الاوضاع المختلفة للتعريب في الوطن العربي في هذه المرحلة في حاجة لمواجهتها بخطط مدروسة على مختلف المستويات القطرية ، وفي مختلف المجالات ، ومن خلال مختلف المؤسسات ، الاعلامية منها والتربوية والادارية والاقتصادية . ومع هذا يظل الدور القومي في كل الحالات كبيرا، على مستوى التنظيم والتنسيق ، من خلال الاجهزة الرسمية ، واتحاد المجامع القومية والعلمية العربية ، والمؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحوث ، ومن خلال المنظمات المهنية العاملة على مستوى قومي . وذلك ضمانا لوحدة الاستعمال اللغوي ، وبخاصة فيما يتصل بالمصطلحات العلمية ، والالفاظ المنحوتة والمطوعة عربيا .

أ ـ ويدخل في هذا الباب كل ما يتصل بقضايا التعريب ، وفي مقدمتها الترجمة ، ووضع سياسة قومية للتنسيق وتبادل المعلومات حول المواد المنقولة الى العربية من اللغات الاجنبية . وقد تكون هناك خطة لهذا النشاط ، كما هي الحال في الدول المتقدمة (مثل اليابان والاتحاد السوفياتي) التي تتعاقد مع دور النشر الاجنبية الكبرى لترجمة مطبوعاتها في مختلف ميادين المعرفة أولا بأول بحيث تصدر ترجمة المؤلفات احيانا الى تلك اللغات في الوقت التي تصدر فيها بلغتها . وقد بدأت هذه الفكرة تأخذ طريقها في اللغة العربية . وسوف يتم ذلك في نطاق الخطة الرامية الى التنسيق في قطاع الترجمة قوميا التي تتخذ الخطوات لتنفيذها عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ومن الخطوات المعينة في هذا المجال قيام الموسوعة العربية التي تقرر ، بعد طول دراسة ، أن تقوم في اطار المنظمة ايضا ، مما يضع القارىء العربي في صورة المعرفة العالمية ، ويغنيه عن التماسها في المظان الاجنبية، ان كان قادرا على ذلك ، ويدفع عنه الحرمان منها ، ان لم يكن مستطيعا بسبب عدم التمكن من اللغات الاجنبية . وانشاء المكتبة العربية المركزية صورة اخرى من صور توسيع وعاء المعرفة العربية ، وهو يدخل في وظيفة التعريب . والفكرة في طور الدراسة الجادة .

ب ـ على أن انتشار التعليم ، واقرار الزامية التعليم الاساسي ، وانجاز محو الامية ، عوامل اساسية في هذا الاتجاه . وقد تقرر في قمة عمان أن يكون الى جانب الجهد القطري جهد عربي مشترك لتحقيق فكرة قومية المعرفة ، وأن تكون خطة الزامية التعليم الاساسي للاطفال

العرب ومحو الامية ، جزءاً في عقد التنمية العربية ضمن اطار استراتيجية العمل العربي المشترك . وفي هذا المقام سوف يعين اطلاق القمر الصناعي العربي للاتصالات الفضائية كثيرا على عمليات التعريب من خلال البرامج التعليمية ، والثقافية التي سوف تبث من تلك الاجهزة .

ج ـ هذا ولوسائل الاتصال الجماهيرية الكبرى ، كالاذاعات المسموعة والمرئية ، وبرامجها الفنية والثقافية ، وللافلام السينمائية في مختلف صورها ، الوثائقية والدرامية ، دور كبير في نشر اللغة العربية ، وترسيخ استعمالاتها ، وتطوير لغة عربية ميسرة للجميع .. على أن تشجيع الكتاب العربي ودعمه ، واصدار طبعات شعبية من كتب التراث والانتاج المعاصر ، من عوامل التعريب وخلق قاعدة عريضة من القراء . هذا فيما يتصل بالتعريب المباشر، وتوظيف اللغة والثقافة العربيتين في عمليات تحديث المجتمع العربي وتطويره .

د ـ يضاف الى هذا كله الجهد العام في خطط التنمية الشاملة قطريا وقوميا . فهي كلها تصب في عملية التعريب ، بالمعنى المستوعب الذي يهدف الى احداث تغييرات في بناء المجتمع العربي وهياكله التنظيمية ، وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية ، بما يحقق هدف المعاصرة الايجابية للمجتمع العربي ، وادخاله في الدورة الحضارية العالمية .

٣ ـ وهكذا فإن للتعريب دورين متلازمين في حياة الامة العربية احدهما هو الوحدة العربية ، والآخر هو تأصيل هذه الوحدة بالمعاصرة ، وتحريرها من التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية ، والارتفاع بها في حضارة العصر الى مستوى المشاركة الايجابية . فالوحدة تجميع كمّي وكيفي للطاقات والامكانات العربية ، مما يعطيها قدرة اكبر على الانفلات من قبضة التخلف . وهذا يعني أن يعين التعريب على تحقيق الوحدة ، وأن تعين الوحدة على تحقيق التقدم .

ثالثاً : الأبعاد الحضارية للتعريب

١ ـ التعريب ، مأخوذ في سياق التفاعل الحضاري ، وفي اطار دعم الوجود العربي والوحدة العربية ، يفوق ما ينقل من معرفة وخبرة عن طريق الترجمة ، في صورها المختلفة ، الى اللغة العربية ، وان ظل لهذه الوسيلة شأنها الكبير . فالتعريب في المعنى الذي يراد هنا يشمل كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويعضونه في نسيج حياته ، وكل ما يتلقاه بصورة من صور التلقي الفكري والمادي من أهداف وقيم ووسائل ، للانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي ، انتاجا وعلاقات وتأثيرا ، أخذا وعطاء ، وبصفة عامة ، رؤية متكاملة للحياة ، وقدرة ذاتية على ممارستها .

٢ ـ قدرة اللغة ، أي لغة ، وعبقريتها ، ليستا سبيلا الى التقدم الحضاري آليا ، وإن كان اتساع اللغة ، وغناها من مظاهر التقدم بمعنى من المعاني . ولقد ظل التقدم نفسه قيمة من القيم

التي خضعت وتخضع للنسبية ، ويستند الحكم عليها الى الزاوية التي يرى منها . ومع ذلك، فإن هناك اجماعا على أن اشباع الحاجات الطبيعية الاساسية ، والحاجات الاجتماعية ، بصورة رشيدة ، وعلى مستوى شامل يحقق العدالة بين المجموعات البشرية ، يمكن أن يكون معيارا مقبولا .

٣ ـ والامة العربية، هي جزء من العالم النامي، تعاني مشكلتين متلازمتين، احداهما التخلف الاقتصادي والاجتماعي في سياق الحضارة المعاصرة ، وهي مشكلة تتقاسمها مع كل دول العالم الثالث . والأخرى هي مشكلة التجزئة ، وهي مشكلة قومية . وهذه التجزئة مرتبطة بأسباب التخلف ، وناشئة عنها . فهي شكل من اشكال التخلف السياسي الذي صنعته الدول الاستعمارية المسؤولة تاريخيا وفي الاساس عن صورة العالم واوضاعه على هذا الكوكب ، دون أن يكون ذلك مبررا للاسباب الاخرى المتصلة بالدول النامية نفسها .

وإذا كنا نرى في التعريب بمعناه المباشر ، معنى سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحد المشاعر العربية ، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها ، عاملا جوهريا على تحقيق الوحدة ، فإن التعريب بمعناه الاشمل هو الذي يعطي هذه الوحدة مضمونها الحضاري المعاصر ، ويعينها على كسر طوق التخلف ، والتحرر من أنواع التبعيات الثقافية والاقتصادية .

٤ ـ ذلك ان الامة تتمكن حينئذ من بلوغ هدفين أساسيين لتحقيق المعاصرة الايجابية ، معاصرة المشاركة المنتجة ، لا معاصرة المعاصرة المستهلكة ، ولا معاصرة التقليد . فأما الهدف الأول فهو خلق شخصية ابداعية وذلك لا يكون الا بامتلاك القدرة الذاتية على الانتاج . وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها ، وإنما المناخ العلمي كذلك . والمناخ العلمي يتضمن عددا من الظروف المواتية لامتلاك تلك القدرةالذاتية ، وهي ظروف متعددة الجوانب . فمنها ما هو سياسي ، وما هو تشريعي ، وما هو تنظيمي ، وما هو اجتماعي ، وما هو مالي . . . الخ . واما الهدف الثاني فهو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز . ذلك أن التبادل لا يكون بين الاشياء المتماثلة . فالتكنولوجيا وان كانت بطبيعتها العلمية ، نمطية ، فإنها تخضع ايضا للتخصص والابداع . . فهناك التكنولوجيا الاوروبية ، واليابانية ، والروسية، والصينية . . . الخ . وهكذا يمكن للامة العربية أن تساهم في الحضارة العالمية المعاصرة ، متجاوزة عقبات التخلف ، وان تصنع تكنولوجيا عربية .

٥ ـ التعريب اذن يساوي في هذا السياق التفتح العربي على الحضارة العالمية ، اكتسابا للقدرة الذاتية ، وذلك عن طريق التعاون القائم على الاختيار الواعي لمصادر القدرة العالمية ، واستيعابها وعضونتها في نسيج الحياة العربية ، لتصبح قدرة ابداعية جديدة ، حتى لا يكون التعاون تقليدا عقيما هو تعميق للتبعية وتوثيق لها .

والتعريب في هذا المعنى هو سبيل امتلاك القدرة العلمية ، وسبيل خلق المناخ العلمي الذي يستدعي مشاركة المجتمع كله ، لا طبقة واحدة او فئة معينة . فهناك العمال والفنيون والاداريون والمنظمون الذين يساهمون في هذه القدرة. والذين عليهم أن يستوعبوها في لغتهم .

وهنالك المستهلكون أنفسهم . فالقدرة على الاتقان التكنولوجي تستلزم قدرا من الاستيعاب . ففي كل سلعة تكنولوجية عقارا طبيا كانت ، او آلة ، تعليمات مكتوبة بمختلف اللغات لشرح مكوناتها وتوضيح طرق استعمالاتها ، وهكذا . ومن هنا اهمية التعريب بالمعنيين في عمليتي الوحدة والتقدم ، وهما عمليتان متلازمتان ، لأن الأولى هي التحرر من التخلف السياسي ، من التجزئة ، والاخرى التحرر من التخلف التكنولوجي ، من التبعية الاقتصادية والثقافية .

٦ ـ والمثل التقليدي في هذا المقام هو المثل الياباني منذ عصر الميجي حتى عصر الثورة الالكترونية والحاسبات الآلية . وانما وصلت اليابان الى هذه المنزلة العالية في التقدم في الحضارة المعاصرة ، لا لأن اسلافهم كانوا أوروبيين من اثينا او روما ، ولا لأن لغتهم هي اللغة الأولى أو الثانية في العالم ، ولكن لأنهم استطاعوا استيعاب المعرفة العالمية استيعابا اجتماعيا فجعلوها جزءاً من نسيج الحياة اليابانية ، ثم انطلقوا يبدعون فيها بما بزّوا به كثيرا من المجتمعات الصناعية المتقدمة المعاصرة ، مع الاحتفاظ بقوام حياتهم الاجتماعية .

٧ ـ ومن هنا يتضح أن أي ربط للغة ـ اي لغة ـ بالتخلف شيء لا معنى له علميا ، وان ما يردده البعض ، عن حسن نية ، نقلا عن مراجع تصدر عن سوء نية حول طبيعة اللغة العربية وانها لغة ادبية ، ولغة شعر غنائي ، وانها غير قادرة على استيعاب العلوم الدقيقة ، لا يعدو أن يكون امرا من امرين : اما جهل قبيح بتاريخ هذه الامة وما أنتج فيها وأبدع من انواع العلوم الطبيعية ، والرياضية ، مما فتح الطريق امام النهضة الاوروبية الحديثة ، وان الحضارة المعاصرة ، حضارة الثورة العلمية والتكنولوجية ، هي الحصاد التاريخي للعطاء العربي ، الذي حالت الظروف السياسية التي مر بها دون مواصلة ذلك الجهد العلمي ؛ واما عدوان صريح، على هذه الثقافة الانسانية التي تملك تراثا لم يكد يتاح للغة غيرها ، لا حجما ولا كيفا ولا تنوعا . ولعل مثل هذا الرأي الذي طال ترداده حتى أوشك أن يكون مسلمة من المسلمات عند العرب أنفسهم ، عن عجز اللغة العربية وعدم علميتها ، وعن غنائيتها. . .الخ . هو ايضا قريب الشبه من الآراء السائدة في المجتمع العربي بأن مستقر العلم والتكنولوجيا هو اللغة الاوروبية ، وبصفة خاصة ، الانجليزية والفرنسية والالمانية !! ولا يكادون يذكرون اللغة اليابانية او الروسية او السويدية ! بل لا يكادون يصدقون احيانا أن أمم الأرض جميعا تدرس بلغاتها القومية الهندسة والطب والزراعة . . . الخ . وهذا الموقف يؤكد حقيقة اولية هي أن اللغات هي الوسائل الانسانية لحمل المعرفة ونقلها وتوصيلها ، وانها تتسع وتغني بقدر ما تملك من الخبرات والمضامين الحضارية ، وان اللغة العربية هي من بين اللغات القادرة على حمل رسالة التقدم الفكري والعلمي . فلقد أدت من قبل للحضارة البشرية رسالات غيّرت من مسار التاريخ . انها لغة الاسلام ، وهي ايضا لغة العلم والثقافة في العصر الوسيط ، وقد كانت اكبر اللغات انتشارا . وهي اليوم احدى اللغات الرسمية في الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة متخذة بذلك منزلة اللغة السادسة في العالم ، متقدمة على لغات كثير من البلاد .

٨ ـ إن التعريب ليس جهدا لغويا لتطوير اللغة العربية وحسب ، ولكنه ايضا جهد

حضاري ، واللغة وسيلة جوهرية من وسائل تحقيق اهدافه . فاللغة القومية ، باعتبارها وعاء الفكر العربي ، هي سبيل تحقيق الذاتية المبدعة التي بها يتم التحاور أساسا مع العالم الخارجي معرفة وخبرة . ومع هذا ، فإن الابعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للتعريب لا تقل شأنا ولا خطرا عن البعد اللغوي في هذا المجال . إن التعريب ، في سياق نقل المجتمع العربي من مجتمع مقلد ومستهلك ، الى مجتمع مبدع ومنتج في الحضارة المعاصرة ، ينبغي أن يتم من خلال جعل القدرة العربية مسيطرة على ساحة النشاط العربي في كل مجالاته . بمعنى أن تكون الامة العربية قادرةعن طريق تكامل طاقاتها البشرية والمادية على مواجهة متطلبات التنمية في طريق المشاركة الايجابية في تطوير الحياة البشرية عالميا .

٩ ـ والمجتمع العربي ، مجتمعا ناميا ، يحمل وحده ، فوق عبء التخلف والتبعية ، عبء التجزئة . وعليه أن يتجاوز بالجهد المضاعف كل العقبات لتحقيق اهداف المعاصرة .

والمعاصرة بالنسبة الى المجتمعات النامية ، سبيلها خطط التنمية الشاملة المعلنة في كل مجتمع . غير أن هذه الخطط في ظروف تصورها وتنفيذها ، في حدود واقع تلك المجتمعات ، تنتهي في اغلب الحالات الى تحقيق « المشاكلة » مع المجتمعات المتقدمة ، او بعبارة اخرى تحقيق التشبّه بها ، مما يزيد في اشكال التبعية .

وفي الحالات الاكثر طموحا ؛ تهدف الى تحقيق المماثلة . والمماثلة ليست اضافة كيفية ، وإنما هي زيادة كمية . وحين تصل المجتمعات المتخلفة الى تلك المماثلة ، تكون المجتمعات المتقدمة انتقلت الى مرحلة اخرى ؛ ذلك اذا اتيح لها اصلا أن تبلغ تلك المماثلة . وما يدور من صراع حول قضية نقل التكنولوجيا ، وحوار الشمال والجنوب ، دليل على ذلك بليغ .

واما الحالة المثلى التي ينبغي أن تصل اليها المجتمعات النامية التي تهدف الى تحقيق المعاصرة الحقيقية ، فهي الوصول الى مرحلة المشاركة ، وهي مرحلة متقدمة على المماثلة . وهذا هو طريق التقدم الموازي ، لا طريق التقدم المتتابع . وهو لا يتم الا عن طريق الابداع الذي ينطلق من الذاتية الخلاقة التي تتم ، في حالة المجتمع العربي ، عن طريق التعريب ، تعريب المجتمع ، في كل انظمته وهياكله وعلاقاته ، واهدافه ، بحيث يكون عطاؤه العالمي عطاء نوعياً ، يضيف جديداً في جانب من جوانب الحضارة الانسانية . وهكذا فإن التعريب يفضي ، في عاقبة الامر ، الى خلق واقع حضاري جديد على المستويين القومي والحضاري .

١٠ ـ إن آثار التعريب في الوحدة قوميا ، وفي التقدم عالميا ، تتصل تلقائيا بالعلاقات العربية الحضارية ، في مختلف المجالات . ولعل الثقافة العربية ، واهم ادواتها وأقواها اللسان العربي ، مجال من المجالات التي سوف تكون بطبيعة وظيفتها التبليغية طليعة تلك الآثار ، وأهم وسائل التفاعل والتعاون مع العالم الخارجي . فنمو اللغة العربية ذاتيا ، وشمولية توظيفها قوميا ، واستعمالها لغة رسمية عالميا ، امور تعين ـ ضرورة ـ على اغنائها واثرائها ونشرها ، وترفع من قوة اشعاعها . وهكذا يتكون حول الوطن العربي حزام ثقافي عربي كان قائما لقرون ، في آسيا

وافريقيا ، الى جانب الحوار مع اللغات العالمية الأخرى . . الامر الذي يتحقق به تعاون ثقافي دولي عربي يكون مظهرا من مظاهر الشخصية الثقافية العربية المشاركة في الساحة العالمية .

خاتمـــة

إن التعريب ، في المعنى المباشر الدلالة ، يشمل كل صور النشاط الفكري المنقول الى اللغة العربية من اللغات الاخرى . وهو في هذا المعنى ، قد يعني الترجمة في المقام الاول . ولكن الامر على العكس من ذلك . فالتعريب هنا يعني الدور القومي للغة العربية ، وسيادتها الفكرية في الوطن العربي نفسه جغرافيا وقطاعيا . بمعنى أن تكون هناك شمولية في استعمالها ، فيكون لها دور في تدعيم الوجود القومي والوحدة العربية . غير أن التعريب الى جانب هذا ، يحتمل أيضا معنى آخر فيدل على كل ما يستوعبه المجتمع العربي بمختلف وسائل التلقي ، ويتمثله ، ويعضونه في نسيجه الاجتماعي ، بحيث يصبح عطاء عربيا ، وجهدا عربيا . وهذا يمكن أن يحدث بصور مختلفة ، اهمها اللغة ، الى جانب وسائل التبليغ والاعلام الاخرى .

وإذا كان للتعريب اللساني دور في بناء الوحدة ، فإن دور التعريب الاجتماعي اساسي في اعطاء هذه الوحدة معنى المعاصرة والتقدم ، والمشاركة في صناعة الحضارة ؛ تعبيرا عن ذاتية ثقافية قادرة ، متلقية مرسلة . وقد أبدى هذا العرض اهتماما بدور التعريب الاجتماعي باعتباره منطلقا لبناء القوة الذاتية التي يتم عن طريقها تبادل التعاون مع العالم الخارجي. على أن التعريب الاجتماعي مرتبط بالتعريب اللساني ، وكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به .

واذا كان التعريب في مدلوله المعجمي دعما للوحدة العربية ، وركنا من اركانها ، فإن الوحدة العربية نفسها دعم للتعريب في مدلوله الاجتماعي الذي يعني امتلاك القدرة الذاتية على التقدم . وبهذا يغدو التعريب دعامة الوجود العربي وجودا حضاريا متقدماً .

تعقيب ١

سعد الدين ابراهيم

إنني أجد صعوبة بالغة في التعقيب على ورقة استاذنا الدكتور محيي الدين صابر . فليس هناك ما يمكن أن اختلف معه فيه ، وليس هناك ما يمكن أن أضيفه . فالورقة غنية بشكلها ومضمونها واتساعها وعمقها . وقد تناولت قضية التعريب من كل جوانبها ، وربطت ربطاً محكماً ومقنعاً بين التعريب وكل هموم الوطن العربي .

لذلك سأقتصر في هذا التعقيب الموجز على ابراز بعض ما تناوله الباحث صراحة او ضمناً ، وذلك لأهميته القصوى في تقديري .

١ ـ التأكيد أن التعريب بمعناه الشامل هو جزء لا يتجزأ من معركة تحرير الانسان العربي والأمة العربية . وليست هذه العبارة من قبيل الطنطنة الدعائية او الطقوسية الخاوية . فالتحرير الحقيقي يعني الاستقلال والاصالة الحضارية ، بقدر ما يعني الاستقلال السياسي والاقتصادي . وكما أن الاستقلال السياسي والاقتصادي لا يعني الانغلاق داخل الحدود ، فكذلك لا يعني الاستقلال والاصالة الحضارية انغلاق العقول ، أو الانغلاق داخل التراث . ان التعريب ـ اذن ـ ينطوي على تأكيد نقطة البداية ولكنه لا ينطوي على تحديد نقطة النهاية . ينطوي على ترسيخ ارضية صلبة ، ولكنه لا ينطوي على اقامة سقف مسلح . باختصار ، التعريب هو الوعاء الرمزي لحركة انطلاق حضارية مستقلة مواكبة لحركة الانطلاق من اجل التحرر الاقتصادي والسياسي .

٢ ـ ان ما حدث من تشوه في هياكل المجتمع العربي السياسية والاقتصادية نتيجة الاستعمار واكبها تشوه مواز ومشابه ، وربما أخطر وأعمق ، في هياكل المجتمع العربي الثقافية ، وفي مقدمتها لغته العربية . ورغم زوال الاستعمار بشكليه السياسي والعسكري السافرين، الا أن التشوهات التي احدثها في هياكل المجتمع العربي ما زالت ماثلة ، تعرقل وتعقد مسيرة هذا المجتمع الى الامام . وبينما يمكننا أن نضع ايدينا بسهولة على المواقع

والمظاهر المادية لهذه التشوهات ، بل ويمكننا في اكثر الاحوال أن نخلق اجماعاً شعبياً على ضرورة التصدي لها ، فإن الامر اكثر صعوبة بالنسبة للتشوهات الثقافية غير المادية التي احدثها الاستعمار. فقبل ان يرحل هذا الاستعمار كان قد نجح في أن يخترق عقول الصفوة الوطنية والطبقة المسيطرة ، وأن يصادر لسانها وولاءها الثقافي ، حتى حينما حاربت هذه الصفوة عن وعي هيمنته السياسية السافرة . ومن هنا نكب بعض اقطارنا العربية بوجود « جالية » من ابناء الوطن ومن صلب تربته تعمل على بقاء التبعية الثقافية لدول المركز او « المتروبول » . وقد تمكنت هذه « الجالية ـ الطبقة» من أن تمسك بأيديها مفاتيح الثروة والسلطة ، وتحتل المواقع السابقة التي كان يشغلها الاجنبي . لقد تحولت « الجالية ـ الطبقة » من مناهضة للاستعمار السافر قبل الاستقلال الى سمسار حضاري له بعد رحيله المادي . وبقدر ما كان سهلاً خلق اجماع شعبي ضد المظاهر المادية للاستعمار ، كان سهلاً خلق الاجماع ضد سماسرته الحضاريين من أهل البلاد . بل ان الطامة الكبرى ـ كما يلمح الدكتور محيي الدين صابر ـ هو أن فئات وطنية اخرى غير « الجالية ـ الطبقة » اصبحت تجد أن أملها في الحراك الاجتماعي الى أعلى يرتبط ارتباطاً عضوياً بتعلمها وتبنيها للغة أجنبية ، وادارة ظهرها للغتها القومية ، بل وتنكرها احياناً للثقافة العربية .

٣ ـ معركة التعريب ـ اذن ـ هي في الواقع جزء من حرب ضروس ضد التبعية والتخلف ، وضد سيطرة « الجالية ـ الطبقة » واستغلالها . وبذلك تتجاوز معركة التعريب الاشكالية اللغوية التقنية ، مثل الترجمة واشتقاق الالفاظ والمصطلحات الجديدة . وتتجاوز الاشكالية التنظيمية ، مثل توفير الكوادر والاجهزة الفنية اللازمة ، لتنطوي في المقام الاول على تأميم « الجالية ـ الطبقة » ، او ازاحتها من المواقع الحاكمة في هياكل السلطة والثروة والثقافة . ولذلك يصبح احد معايير التنمية الحقيقية تقليص التبعية الثقافية وتأكيد الأصالة الثقافية . ويصبح مؤشر هذه الاصالة الثقافية هو الانتاج والاستهلاك الفكري بلغتنا العربية القومية . وليس هناك من مانع ـ منطقي او ميتافيزيقي ـ يحول بيننا وبين هذا النوع من التنمية الكيفية ، كما برهن على ذلك الدكتور صابر من خلال استشهاداته بتجارب اليابان وروسيا . ونضيف اليها تجربة الصين ، بل تجربة مصر محمد علي في وطننا العربي .

٤ ـ اللغة في اي مجتمع هي وعاء ثقافته ومحرك حضارته. ولكن اللغة العربية تزيد عن ذلك في أنها لغة دين عالمي وكتاب سماوي ورباط وحدة قومية . وهي رغم ما لحق بها وبثقافتها من تشوهات هنا وهناك ، ومن جمود هنا وهناك ، ظلت توحد الادراكات والمشاعر من المحيط الى الخليج . وبسببها ، ومن خلال رموزها ، عبّرت جماهير الامة عن افراحها واتراحها ، ليس في الماضي البعيد فقط ، وإنما في الحاضر القريب كذلك . واتفق تماماً مع د. محيي الدين صابر في أن اللغة العربية عامل دافع للوحدة العربية ، وأن الوحدة العربية بدورها عامل مدعم للتعريب وللثقافة العربية ، وأن التجزئة عامل اضعاف ، ليس فقط للامة ولاقطارها كل على حدة ، وإنما للعربية وللتعريب ايضاً . ومن هنا يصبح النضال من

أجل التعريب نضالاً من اجل الوحدة العربية ، والكفاح من أجل الوحدة كفاحاً من أجل التعريب.

تلكم هي النقاط الاربع الرئيسية التي أوحت لي ورقة الدكتور صابر بتأكيدها . وهي، كما قلت في البداية، تضع معركة التعريب في موضعها الصحيح في سياق حرب العرب مع التبعية والتخلف والتجزئة . ولا يفوتني اخيراً أن انوّه بمهارات الدكتور محيي الدين صابر في اثباته العملي لقدرة اللغة العربية على المرونة وعلى أن تكون طيعة خلاقة . فقد اتحفنا ببعض الاشتقاقات والاستخدامات الجديدة لالفاظ عربية اصيلة مثل « المشاكلة » و « المماثلة » ، و « العضونة » و « يعضون» ، وببعض مفاهيم جديدة مثل « التقدم الموازي » و « التقدم المتتابع » و « الاحزمة الثقافية » . . . وما الى ذلك .

تعقيب ٢

محمّد رضا محرَّم

أحسبني أتفق مع د. محيي الدين صابر، مثلما يتفق معه كثيرون، حول صحة أغلب الجزئيات التي تضمنتها الورقة المقدمة منه. فالتعريف الذي قدمه للتعريب على أنه أوسع من ترجمة المعارف الانسانية الى العربية، وأنه يعني شمولية استخدام اللغة العربية على كافة المستويات الحياتية في الوطن العربي، موضع قبول. وتقديمه للتعريب على أنه استيعاب عربي بمختلف وسائل التلقي، وأنه تمثل قومي لكافة العطاءات العلمية والفكرية المعاصرة، هو ايضاً موضع اتفاق. وانتهاؤه الى أن التعريب اللساني له دور رئيسي في بناء الوحدة، مثلما أن التعريب الاجتماعي هو السبيل لاعطاء هذه الوحدة طابع المعاصرة والتقدم (بمعنى معايشة العصر والتفاعل معه)، هو ايضاً مقولة على قدر من الصحة كبير.

وتقريره أن التعريب في مدلوله المعجمي دعم للوحدة العربية، مثلما الوحدة العربية نفسها دعم للتعريب في مدلوله الاجتماعي (بمعنى وجود علاقة تبادلية او جدلية بينهما)، يعبر هو الآخر عن مستخلص صحيح. ولكن رغم كل هذا الاتفاق بشأن هذه الجزئيات جميعها، وبشأن جزئيات اخرى كثيرة تضمنتها الورقة، فإن ملاحظات كثيرة ترد. وبعض هذه الملاحظات منهجي، اي يتعلق بمنهج اعداد الورقة، وبعضها الآخر ينصرف الى صحة بعض المستخلصات التي انتهت اليها الورقة.

وفيما يتعلق بالمنهج فإنه يبدو أن الورقة قد جعلت من العروبة كلغة، ومن التعريب كاشكالية تواجه المجتمعات العربية مهما تباينت صور ومستويات هذه الاشكالية، اطاراً عاماً تنظّر وتقوّم من خلاله مشكلات الوطن العربي، وفي المقدمة منها مشكلات التجزئة، والتخلف، والذيلية في دنيا الانجازات الحضارية والتكنولوجية. ومن هنا فإن الورقة قد ربطت بالنجاح العربي في مسألة التعريب تحقيقاً آلياً لانجازات كثيرة ليس أقلها تملك القدرة العلمية، وخلق المناخ العلمي في المجتمع بأسره، والتحرر من التخلف التكنولوجي، بل

والانتقال من مجتمع مقلد مستهلك الى مجتمع مبدع ومنتج في الحضارة المعاصرة ، بما يفضي في النهاية الى خلق واقع حضاري جديد .

وإذا كان النجاح الحقيقي في مواجهة « تحدي التعريب » ، كما هو الحال مع كافة المشكلات والقضايا ، رهناً بالتشخيص الدقيق لموقع هذا التحدي المشكل ، في اطار الازمة الاعم او الاشمل التي تتضمنه ، فإن منهجية اخرى للنظر في هذا الامر قد تكون مطلوبة ، وعسى أن تكون أكثر ملاءمة . إن الازمة الحقيقية التي يواجهها الوطن العربي ازمة تخلّف تعبر عن نفسها في بعدين رئيسيين . أولهما التبعية ، بالارادة أو بالاستهواء ، على عدة مستويات فكرية وثقافية وعلمية ، بل واقتصادية وسياسية ايضاً . وثانيهما الذيلية الحضارية ، او الغياب الحضاري ، بمعنى أن مجتمعاتنا العربية هي في أحسن احوالها مستهلكة لابداعات الآخرين المادية والفكرية ، وليست خالقة لابداعات مقابلة . وبالطبع فإن هذا الغياب الحضاري يجعلنا نقف على الجانب السلبي من جوانب الفجوة الحضارية والتكنولوجية التي تفصل بين الدول المتقدمة وبين الدول المسماة تأدباً بالدول النامية . **وقد يكون للتبعية مظاهر ثقافية ، أو على وجه التحديد لغوية ، تتجسم في الدور الهامشي الذي يعطى للغة القومية كوسيلة تعامل حياتي ، أو وسيلة تعليم وتعلم . كذلك فإن الذيلية الحضارية ، او الغياب الحضاري ، قد يتّخذ مظهره اللغوي في عجز - او ادعاء عجز - اللغة القومية عن التواصل مع اللغات والمجتمعات الاخرى لتنقل عنها انجازاتها ، وتتمثلها ، وتغذي بها العقلية القومية .**

وليس يعنينا هنا أن نخوض المتاهات المتعلقة بالبحث عن اسباب ازمة التخلف التي يواجهها العالم العربي، وعما اذا كانت موروثة من عهود الاستعمار، أو ناشئة عن تقدير متدن بالقدرات القومية ، او مترتبة على المحاولات الامبريالية المستمرة للسيطرة على المنطقة العربية ، **ولكن الذي يجب تأكيده هو أن التعريب كمشكلة انما هو مظهر ، او صدى ، او منتج لظاهرة التخلف التي هي الأزمة الحقيقية للمجتمع العربي .**

واذا كان الخروج الحقيقي من دائرة التخلف (بمعناه الواسع) لا يمكن أن يتحقق عن غير طريق التنمية المستقلة الشاملة ، في اطار وحدوي ، فإن ذلك يعني أن « تحدي التعريب » لا يمكن اجتيازه ، ولا النجاح فيه الا من الطريق عينه . ويغلب الظن أن اعادة ترتيب الامور على هذا النمط السابق ، ووفقاً للمنهجية السابقة ، يضاعف من احتمالات النجاح في مجال التعريب ، كما يحول التعامل مع المشكلة الى ممارسة فعلية وحقيقية ، لا الى نوع من التمني او التعاطف مع العربية والعروبة لا يملك قدرة الفعل ، ولا فعالية التغيير .

أما عن الملاحظات المتعلقة ببعض المستخلصات التي انتهت اليها ورقة الدكتور محيي الدين صابر ، والتي قد لا تكون موضع قبول كامل ، فإنني اكتفي بالتعرض لمسألتين .

الأولى تتعلق بدفاع تقليدي عن العربية ، وفيه يقال دائماً ان مقياس صلاحية العربية انها لغة القرآن ، وأنها وسعت كتاب الله لفظاً ومعنى ، كما أنها قد استوعبت كافة المعارف

العلمية التي قدمها العلماء العرب في عصور الازدهار الاسلامي واستجابت لها . ورغم صحة هذه الصياغة تاريخياً ، ومع الاقرار الكامل بفصاحة القرآن وطاقات التعبير الضخمة في آياته ، الا أن الوقوف عند هذا الدليل ليس بذي جدوى في وقتنا المعاصر . فالمشكلة الآن ليست أن اللغة العربية كانت تسع كافة الانشطة القديمة وتملك قدرات التعبير عنها ، **ولكن القضية الآن أن تكون العربية قادرة على الفعل في الوقت المعاصر للقيام بوظيفة حضارية** . . . وتلك مسألة لا تتم بغير الممارسة العملية والحياتية بالعربية المعاصرة في جميع مجالات العلوم والمعارف . . . وها هنا على وجه التحديد تكمن مسؤولية اصحاب اللسان العربي لتحويل لغتهم القومية الى لغة حضارة (ولا أقول لغة حية) بدلاً من التباهي ، او التباكي ، بأنها كانت من قبل هكذا ! . . . هذا مع التأكيد بأن العجز او القدرة ليسا من بنية اللغة نفسها ، ولكنها في حقيقة الامر كامنان في عزائم اصحاب اللغة انفسهم .

اما الملاحظة الثانية فتنصرف الى مجموعة من الصياغات التي تضمنتها الورقة ، ويستخلص منها أن مجرد اتمام التعريب يحقق آليا التحرر من التخلف التكنولوجي والتبعية الاقتصادية والثقافية ، مثلما ينتقل بالمجتمع العربي نقلات حضارية كبيرة لانجاز الابداع والانتاج الحضاري الذاتي . . . الخ ، وكلها نتائج لا نحسب الوصول اليها ممكناً عن غير جهود تنموية شاملة كما أوضحت من قبل . . . وليس أدل على هذا من أن التعريب قد قطع أشواطاً كبيرة في بعض دول المشرق العربي حيث لا توجد معوقات للتعريب شديدة . الا أن تحقيق أي من هذه المستهدفات التي ربطتها الورقة آلياً بالتقدم في أعمال التعريب لا يزال يبدو بعيداً للغاية .

تبقى مسألة اخيرة أعضد بشأنها الدكتور محيي الدين صابر ، وأرجو أن تكون موضع عناية خاصة في هذه الندوة ، تتعلق بتضمين ورقته مطالبة بانتهاج سياسة قومية ، وكذلك وضع خطة قومية للترجمة من اللغات الاخرى النشطة حضارياً وتقنياً الى العربية . **ذلك لأن الانتقال الى العربية كلغة علم وحضارة يفك رباط التبعية للآخرين . أما اعتماد الترجمة وسيلة لنقل معارف الآخرين فإنه يبقي على امكانيات التواصل مع العلم والفكر العالميين حتى يمكن أن نحقق بالتالي وجوداً حضارياً فعالاً في هذا العالم ، خاصة وأن صلة العرب باللغات الاجنبية سوف تضعف نتيجة التحول الكامل الى العربية ، وهي الظاهرة التي اصبحنا نعاني منها الى حد ما في دول المشرق العربي** . هذا مع التذكير بأن أعظم تجربتين في تاريخنا العربي للتواصل مع المعطيات الفكرية والعلمية العالمية ، ثم الاسهام في تشكيل الحضارة الانسانية ـ وأعني بهما الجهود التي بذلت في العصر العباسي الاول ، خاصة في أيام الخليفة المأمون ، والاجتهادات التي تمت في عهد محمد علي في مصر ـ كانت الترجمة ركيزة اساسية لانجاح كل منهما ، وكان بيت الحكمة في التجربة الاولى ، وقلم الترجمة ومدرسة الألسن في التجربة الثانية .

المناقشات

سلطان الشاوي : لا شك أن التعريب يقصد به استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم ،واستخدام هذه اللغة في التعليم بجميع مراحله ، والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاته ، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة .

إن اللغة تعبير عن رؤية للواقع تكونت عَبْر التاريخ ، تحمل بين حناياها تجارب الأمة الثقافية والحضارية ، بمعنى آخر ، فإن اللغة هي ذاكرة الأمة ، تخزن فيها تراثها ومفاهيمها وقيمها ، وهي علاوة على ذلك وسيلة مهمة في تطور الأمة وتجديد كيانها المعاصر من خلال استفادتها من تجارب الامم الاخرى وتفاعلها معها دون تفريط بشخصيتها المتميزة .

واللغة العربية لغة الامة القومية . فهي العنصر الاساسي لهويتها الثقافية ، تعكس عَبْرَ مسيرتها الطويلة تجاربها في مختلف مظاهر حياتها الفكرية : العلمية والادبية والفنية والسياسية . وبالتالي فإن التنكر للغة العربية يؤدي الى اجتثاث الشخصية العربية من مسارها التاريخي فتغدو ضائعة بدون هوية . ومن هذا المنطلق يصبح التعريب ضرورة قومية لادراك الامة ذاتها وفهم حضارتها طبقاً للاسباب التالية :

١ ـ تمتاز اللغة العربية بين اللغات العالمية الكبرى بأنها قديمة وحديثة في آن . عاصرت اليونانية واللاتينية في الغرب، السنسكريتية والفارسية في الشرق ، واستطاعت بما تملك من مرونة وخصائص متنوعة ـ كالترادف والاشتقاق والقياس ـ ان تستمر الى اليوم . واذا كان العرب قد قصروا ـ لاسباب متعددة ـ عن خدمة لغتهم واثرائها ، فإن هذا لا يعني أنها ليست غنية ولا اصيلة ، فعدم معرفة العرب المعاصرين حدود لغتهم وسبر اعماقها ، لا يلزم بالضرورة ان يبقى حكم الناس عليها اسيراً لهذا الواقع الذي فرضوه عليها ولم تفرضه هي عليهم .

٢ ـ تتوفر في اللغة العربية خاصيّة ثانية لا نجدها في اللغات الاخرى كعنصر من عناصر القوة والديمومة ، هي أنها لغة القرآن الكريم ولغة الرسول العربي الامين ، فكان ذلك ترسيخاً لاركانها وتقديراً لمنزلتها . وأصبحت العربية منذ ظهور الاسلام لغة عالمية استطاعت ان تستجيب لمطالب الرسالة الجديدة واستوعبت تجارب امم وشعوب ذات مصادر ثقافية وفكرية مختلفة وعبرت عن كل ذلك الغنى الفكري بكفاية ، فكانت وسيلة مهمة للمعرفة الانسانية . وهكذا اصبح للاسلام مدلول لغوي ، فيكفي أن يذكر الاسلام ليقترن في الاذهان مباشرة بالعربية . لقد كانت الحضارة الاسلامية عربية في جوهرها ، لأن العربية لسانها الذي عرفت به ونقلت عنها الحضارة الغربية باللسان نفسه .

٣ ـ استطاع العرب بعد أقل من قرن على بداية العصر العباسي أن يدونوا خلاصة الحضارات اليونانية والهندية والفارسية باللغة العربية ، بعد أن وجدوها أهلاً لهذا الفضل وقادرة عليه ومتمكنة منه ، فعربوا العلوم والآداب والفنون على اختلاف اصنافها ، فتخلصوا من حاجز اللغة ، ومزجوا هذه العلوم المختلفة بالحضارة العربية ، فتجاوز العربي اسار اللغة الاجنبية وانطلق الى آفاق الابتكار والتجديد والتعديل والاضافة .

وهكذا يظهر بوضوح أن مسألة التعريب ليست وليدة اليوم ، فقد قام به العرب ونهضوا له منذ القدم ، فطوعوا الثقافات المختلفة ، كما طوعوا اللغة لتعبر عن أدق المعاني . ولم تكن جهود التعريب فردية ، وإنما تعاون عليها المفكرون والفلاسفة العرب والمستعربون .

٤ ـ إن تحقيق الذاتية الثقافية يتوقف على سيادة اللغة العربية في مجال التعليم العالي والبحث العلمي . وهذه المسؤولية تقع أساساً على عاتق الاساتذة الجامعيين والعلماء والباحثين في الوطن العربي . إن عدم استعمال اللغة العربية في التعليم والبحث العلمي عزل لهذه اللغة ووأد لها ، وامعان في سياسة التقصير ازاءها ، يؤدي الى قصور اللغة نفسها .

ومما تجدر ملاحظته أنه لا توجد لغة متخلفة من حيث الاساس ، وإنما هناك شعب متخلف وآخر متحضر . والشعوب المتخلفة تعكس نفسها على لغتها فتضعف وتنهار . وبالعكس كانت اللغة الصينية قبل ثورة الصين عام ١٩٤٩ لغة متخلفة ، وها نحن نجدها الآن قد تحولت الى لغة حية يستخدمها الصينيون في التعليم والبحث العلمي . والشيء نفسه يقال بالنسبة للغة اليابانية .

إن اللغة العربية قد جمدت وتخلفت عندما ابتعد العرب عن العلم وتخلفوا حضارياً وفكرياً . وعندما كانوا عاكفين على العلم غائصين في اعماقه ، تطورت اللغة العربية ، وفرضت نفسها على جميع البقاع المتحضرة ، واصبحت معرفتها من الشروط الاساسية المطلوبة في الأوروبي المثقف . وان حركة الترجمة عن العربية التي بدأت منذ القرن الثاني

عشر الميلادي كانت احد المعابر الرئيسية التي نقلت الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب الاوروبي ، ومنطلقاً للنهضة الاوروبية الحديثة بعد ذلك في القرن الخامس عشر .

والامكانية الذاتية للغة العربية من حيث الترادف والاشتقاق والقياس والنحت وغيرها من الوسائل لا مجال للنقاش حولها . فقد درست هذه المسألة من قبل اللغويين المعنيين واثبتت التجربة لفترات طويلة مرونة هذه اللغة وقدرتها على التكيف والاستيعاب والاداء . فالقضية لا تتعلق باللغة نفسها ، بأنها لغة متقدمة أو متأخرة ، قدر تعلقها بحياة المجتمع الذي يتخذها لغة قومية ، فهي متقدمة إن تقدم المجتمع وتغدو متخلفة إن تخلّف .

وانطلاقاً مما تقدم ، لا يقبل الادعاء الذي يروج له الاستعمار واعداء الامة من أن اللغة العربية متخلفة وقاصرة عن مواكبة التطور العلمي الحديث بحجة افتقارها للمصطلحات العلمية الواضحة والشاملة لفروع المعرفة العلمية المختلفة ، للاسباب التالية :

ـ إن التراث العلمي العربي حافل بمصطلحات العلوم المختلفة . وهذه المصطلحات حين تفرز وتنظم في جداول حسب مواضيعها بامكانها أن تزود الدارس والباحث بكثير من الالفاظ التي يتلمسها للدلالة على معان جديدة عليه . وتمتاز هذه الالفاظ على غيرها بأنها اكتسبت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية دلالات وايحاءات لا يمكن أن تكون لالفاظ اخرى ، علاوة على أنها استخدمت في ظل حضارة وقيم عربية وطرائق عريقة في الحياة .

ـ إن جهود المجامع العلمية العربية والترجمة والتأليف في بعض الجامعات العربية قد أثمر معاجم علمية تضمنت الوفاً من المصطلحات في مختلف فروع المعرفة وتطبيقاتها . وبالرغم من أن المعاجم المذكورة ليست جامعة للمصطلحات العلمية الحديثة كافة ، الا أنها تكون اساساً قوياً ، ومنطلقاً لبدء حركة تعريب للعلوم ، فيما اذا صدق الايمان بالتعريب .

ـ لا يمكن للمصطلح العلمي أن يحيا بدون الاستعمال . فالعمل العلمي ومصطلحه يسيران معاً ولا يسبق احدهما الآخر . والتعريب عملية متحركة تنمو عبر الممارسة التي تساعد على ايجاد المصطلحات العربية تدريجياً ، وتستعين بمصطلحات اجنبية اذا اقتضى الامر . ولكنها ترمي في النهاية الى تحقيق التعريب الكامل عن طريق التشذيب والتنسيق المتواصل . إن استعمال الالفاظ اللغوية هو الذي يرسخها ويحكم دلالتها . اذ ما الفائدة من تكديس المصطلحات والمعجمات الغنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال ، بينما نستمر في تعليمنا وفي بحثنا العلمي في مؤسساتنا العلمية باللغة الاجنبية .

إن قدرة اللغة العربية (أو عجزها) على اداء مفاهيم جديدة مرتبط اشد الارتباط بالاستعمال الفعلي في التعبير عن هذه المفاهيم ، أي بتنفيذ التعريب وتطبيقه . والا فما قيمة وضع المصطلحات العلمية اذا لم تأخذ طريقها الى الممارسة والاستخدام الحقيقي في المجالات التي ينبغي ان تضطلع بها اللغة العربية . واذا أريد للغة العربية أن تتطور فيجب

على العرب أن يطوروا أنفسهم ويستعملوا لغتهم في جميع مناحي حياتهم . ولا يكون تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الامم الا بلغتها . ولذلك فإن الحاق الاقطار العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها ، ثم مشاركتها فيها ، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، واعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك . إن تجارب الجماعات الانسانية تشير بوضوح الى أن حركة الفكر الانساني لا تنمو الا من خلال حركة الفكر القومي ، وان الانسانية لا وجود لها على شكل مجرد ، وإنما هي في التقاء هذه الافكار القومية المختلفة ، وفي استعمالها في الحياة ، ثم في تكوينها لهذا المجرى الانساني المشترك .

هشام جعيط : احب أن اثير قضايا جديدة من خلال امور وردت في بحث الدكتور صابر والتعقيبين عليه ، وانا موافق عليها مبدئياً . اننا كثيراً ما نلتقي ونردد كلاماً صحيحاً ، معقولاً ومقنعاً ، نحن منذ البداية مقتنعون به . اما المشكلة فهي في أن نثير قضايا جديدة ونحفز العقل ونستنهضه .

يقول الدكتور صابر ، وغيره في اوراق اخرى ، انه كان للاستعمار دور في محو العربية ، الى غير ذلك . ويبدو الاستعمار هنا كبش فداء . فالقضية التي يجب أن نثيرها هي : لماذا استعمرت الرقعة العربية ، ولم تستعمر رقاع اخرى كالصين والهند واليابان وروسيا مثلاً ؟ ذلك لأن العرب فقدوا في الحقيقة دور الزعامة التاريخية منذ عهد المعتصم .

لا بد لنا من العودة الى التاريخ واللغة ، فكلاهما مرتبط بالآخر . كما لا بد من فهم التاريخ العام ، لا العربي فقط . فما هو هذا التاريخ ؟ إنه جدلية بين اللقاح والرفض . وعندما ندرس تاريخ الشرق القديم، مهد العروبة والارضية التي اقامت عليها سلطانها ، نرى فيه تحويرات ضخمة كالتغييرات اللغوية مثلاً في العراق : الاكادية ثم الآرامية ثم العربية ومعها شيء جديد. وقد يكون مثل هذا التحول مأسوياً في نظر بعض الناس . اما نحن فلا ندرك ذلك . وكعملية (الهلننة) ـ او اقحام العنصر الهليني ـ لمدة قرون في هذا الشرق القديم الذي هو الآن عربي او اسلامي .

كما لا بد أن نعترف بأننا لا نملك مطالبة التاريخ بتقبل العروبة والاسلام بوصفهما امرين جديدين ، ثم نطالب الاستعمار الغربي بأن يخسر . فلماذا نعرّب الناس ولماذا لا يتغربون ؟ نحن في المغرب لم نكن منذ ١٥ قرناً عرباً وقد اصبحنا . وللصيرورة معنى كبير . لماذا نصير ؟ إنها مشكلة تاريخية لو فكرنا فيها لقلنا اننا لا يمكن أن نصبح غربيين مثلاً . وانه كان من الممكن، من ناحية تاريخية نسبية ، ان تمحى العروبة ـ كما امحت جميع الحضارات ، لأن الحضارات قابلة لأن تمحى ـ لولا الحداثة وما خلقته من شعور بالمحافظة . فالمسألة اذن فكرية كما قال الدكتور محيي الدين صابر . وليست مشكلة التعريب مشكلة واقعية . فالشعب يتكلم لغته دون وعي ، والحقيقة البشرية حقيقة غير واعية . والمثقفون والساسة وقادة الامم هم الذين يعون ـ الى حد ما ـ مشاكل هي في الواقع مشاكل

بسيكولوجية اكثر مما هي مشاكل واقعية . ولكن للمشاكل البسيكولوجية وقعاً على حياة الانسانية ، بحيث ان كلامنا على الاستعمار اللغة . . . الخ قد يبدو بعد الف سنة مثيراً للضحك الى حد كبير . فلماذا نتبنى ابن سينا ونفخر بأنه يكتب بالعربية ، ولا نرضى لانسان اسمه « محمد » أن يكتب اليوم بالانكليزية او الفرنسية وينصهر تمام الانصهار في ثقافتيهما ؟

هناك امر لا يسير على ما يرام من الناحية المنطقية البحت . لكن ما ينقذ موقف الدكتور صابر ومواقفنا جميعاً هو أن العالم المعاصر قد خلق ثقافة ومبادىء سياسية جديدة تجعل الشعوب ترفض السحق والانهيار ، وهو فتح للحداثة لم يكن في السابق . وقد خلقت اوروبا منذ قرنين او ثلاثة وعياً جعل التاريخ يسير الى حد كبير في مآزق . وها نحن الآن في مأزق . ولو كنا نعيش منذ مائتي سنة لما قامت مشكلة قوامها هل نتعرب او نتفرنس أو . . . أو . . . لأنه كان من الممكن أن نعيش في النسيان . اما اليوم فلا يمكن ذلك ، لأن هناك شيئاً جديداً قد برز. ولهذا كان التوتر بين عنصرين جديدين لا بد من التركيز عليهما ، العروبة والثقافات الأخرى .

نقطة اخرى لا بد من الاشارة اليها تتعلق بالنهضة واختلاط الكفاح الوطني بالكفاح اللغوي . فأنا شخصياً لا اعتقد بصحة هذا الامر ، لأن معظم رواد النهضة ماتوا قبل عهد الاستعمار الذي بدأ في عام ١٨٨١ / ١٨٨٢م . وقد تعاملت النهضة مع اوروبا ما قبل الصناعية وما قبل الامبريالية . ومعظم رواد النهضة ماتوا ما بين ١٨٨٢ و ١٨٩٠ م ، ولم ينتموا الى شعوب مقهورة بالاستعمار ، بل الى حضارة عربية ـ اسلامية كانت لا تزال تشعر باستقلاليتها . وهناك فرق بين رواد النهضة والاصلاح القدامى ـ امثال جمال الدين الافغاني ـ ورواد النهضة الحالية التي عاصرت الاستعمار . ثم كيف نطالب الناس بأن يمحوا جانباً من حياتهم التاريخية ؟ كيف يمكن أن نطالب الجزائريين بأن يمحوا بجرة قلم ١٣٠ سنة من الحضور الفرنسي ـ ولا سيما في فترة معاصرة كثيفة تاريخياً ـ ونطالبهم في الوقت نفسه بأن لا يمحوا ثلاثة عشر قرناً من الوجود العربي ؟ هذا ما يجب أن نفكر فيه لتعميق نظرتنا الى الامر . والذي قاله الدكتور صابر من أن المشكلة مشكلة مثقفين صحيح ، لكن الصحيح كذلك هو أنها مشكلة سياسيين . فكيف يمكن أن نطالب المثقفين والسياسيين بأن يكونوا غير ما هم عليه الآن ، وأن نلومهم على محافظتهم على مواقفهم ومواقعهم في المجتمع او في الحكم . انه لشيء طبيعي أن يحافظوا عليها ، لأن المسألة مسألة صراع وعراك ، وهي في النهاية مسألة صدفة . فقد تأتي ظروف تاريخية ذات يوم فتقلب الامور رأساً على عقب .

من ناحية اخرى تكلم الدكتور محيي الدين صابر على الطب البلغاري ، وانا لا اوافقه تماماً لأني لا أثق مع الاسف في هذا الطب . ومن الناحية العلمية فإن لي احترازات كثيرة ، اذ لا يمكن في نظري أن يكون هناك طب باللغة البلغارية ، واذا كان فما قيمته ؟

اما بالنسبة الى ما جاء في تعقيب الدكتور سعد الدين ابراهيم فإني اوافق عليه ، لكني اعود الى فكرتي وهي أن التاريخ مجبول من الانصهار ، من التعامل ، من الأخذ والعطاء . وقد تقع في بعض الاحيان ردات فعل قوية استجابة لمطلب الهوية ـ وهذا هو واقعنا اليوم في الوطن العربي ـ ولكن على حساب الثراء والخلق . وهذه امور يجب أن نعيها جيداً ، وأن نعي أن اللغة تخلقها العزائم ، وان هذه العزائم لا تكون بطولية دائماً ، ولا بد ايضاً من ظروف ، والظروف غير موجودة مع الاسف .

والمفارقة الكبيرة هي أن العربية والوجود العربي يحاولان تكوين مصيرهما على حساب الثقافة . فساستنا في جميع الوطن العربي يمارسون علينا قيماً سوقية هي في الجملة قيم القوة والوجود السياسي دون أي اعتبار للطموح الثقافي .

تبقى نقطة اخيرة هي مسألة القرآن ومسألة خصوصية الوضع العربي بالذات . أجل هناك خصوصية بالمعنيين السلبي والايجابي . فالسلبية هي في التصاق هذه الخصوصية بمشكلة المطلق ، والايجابية هي في أنه لا يمكن أن تقوم حضارة في الماضي او في الحاضر الا بنوع من التوق الى المطلق لا بشكل براغماتي. ونحن عمّ نبحث دائماً ؟ عما اذا كان سيكون لنا قوة في الوجود العالمي . مسألة براغماتية . انما لا يمكن أن تجد القوة الا اذا فكرت في ما هو غير القوة .

صبحي الصالح : من الواضح أن الدكتور محيي الدين صابر يؤمن بأن اللغات الانسانية (ومنها لغتنا العربية) ليست اكثر من اداة او وسيلة لنقل المعرفة وايصالها الى أكبر قدر ممكن من القادرين على فهمها والتفاهم بها . ولذلك تتسع هذه اللغات وتزداد غنى كلما احتوت وتملكت واستوعبت الوان الخبرات والمضمونات الحضارية . لذلك ربط د. صابر مفهوم الوحدة الثقافية العربية بمفهوم الحضارة العالمية . فللتعريب اللساني في نظره دور كبير في ترسيخ الوحدة ، ولا سيما اذا كان هذا الدور اجتماعياً يقوم أساساً على المشاركة في صنع الحضارة وعلى خلق الشخصية الابداعية للانسان العربي من طريق توضيح مفهوم المعاصرة التي يدعو الدكتور صابر الى أن تكون معاصرة منتجة وايجابية لا مقلدة استهلاكية .

إن هذا الربط الوثيق بين مفهوم التعريب وقضايا المشاركة في صنع الحضارة هو الذي اتمنى أن يكون المعيار الذي في ضوئه نستكمل مختلف نظراتنا الى الموضوعات الداخلة في صميم مشكلة التعريب في ندوتنا الحاضرة فلا بد من الاعتراف أولاً وآخراً بأن تقدم كل لغة ، ومنها لغتنا العربية ، رهن بمدى اسهامها في الواقع الحضاري ومدى تفاعلها مع قضاياه الاساسية من غير أن نغفل العناصر المتعلقة بأصالة فكرنا ومعالم شخصيتنا العربية الاسلامية التي نريد أن نحيطها بجميع الضمانات الكفيلة بتنقية اصولنا وجذورنا مما قد يشوهها ويذهب بجمالها .

المهم في ندوتنا هذه أن نقرن مثل هذه النظريات ببعض الأعمال التطبيقية عند القادرين منا على الارتفاع بها الى من يصدرون قرارهم بوضع الممكن منها موضع التنفيذ. وذلك ما اتوقعه من الصديق الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

محمد عزيز الحبابي: اقترح التفرقة بين **مجتمعي** و **اجتماعي**. فعندنا معطيات مجتمعية (تتصل بالمجتمع) نحللها بطرق اجتماعية. وهكذا يكون مجتمعي يقابل (Social) واجتماعي يقابل (Sociologique).

١ - يود الباحث «تسييد» اللغة العربية في قطاعات مختلفة، الا أنه لم يقل كيف يمكن أن يتم التسييد. ان هذا الكيف هو الاشكالية الكبرى.

٢ - حينما يقال: التعريب عامل على الوحدة العربية، والوحدة العربية عامل على التعريب، تفترض هذه المقولة شيئين:

أ - إن التعريب موجود، والوحدة العربية كذلك موجودة.

ب - انهما مترابطان ارتباطاً متضايفاً. و «التضايف» عند المناطقة، هو أن وجود طرف يشترط وجود الآخر، فلا ابن دون أب، ولا اب دون ابن. يقول العامة عندنا: «الحاج موسى، موسى الحاج». تلك معادلة تدل على كسل فكري، اذ كل طرف يرمي بالآخر دون أن يترك اي صدى في الذهن. إنها اصابة يرفضها الحكم، يتبعها تصفيق من الجمهور، بلا فائدة.

فأكثر ما أخاف أن نجعل تحقق الوحدة العربية متوقفاً على التعريب، وأن يتوقف التعريب الى أن تتم الوحدة العربية. انه موقف يذكرنا بحمار (بوردان). كان الحمار يئن من الجوع، ويئن من العطش. وعندما بلغ الجوع والعطش حدهما الأقصى، جيء للحيوان بعلف وماء، فصار يتساءل وهو فرحان: «هل ابدأ بالأكل؟ لا يجب أن ابدأ بالماء». **ويتأمل** ثم يقول: لو بدأت بالماء لكان أجدى... لكن قد يكون العكس هو الصواب...». بقي الحمار يتردد حتى مات دون أكل ولا شرب.

عندما أعلن محمد بن عبد الكريم الخطابي ثورته، قال له بعض رفاقه: فلننتظر حتى تكون لنا اسلحة... فأجاب: تحولوا الى مجاهدين، تأتيكم الأسلحة. السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب.

محمد الهادي الشريف: طرح د. محيي الدين صابر منذ البداية سؤالاً مهماً جداً: لماذا ما انفكت مشكلة التعريب مطروحة في البلاد العربية؟ أود أن ارجع الى هذا السؤال وانطلق منه لطرح سؤال إضافي: ما هي العوامل المعرقلة لعملية التعريب ومن المسؤول عن هذه العرقلة؟

لقد ذكر الباحث العامل الاستعماري ، وهو بدون شك اهم عامل في مناهضة الثقافة واللغة العربية سابقاً وحاضراً . وانا أشاطره هذا التحليل ، ولكنني اتساءل : هل هو العامل الوحيد ؟ اظن شخصياً أن هناك اوضاعاً تاريخية جعلت الخلق التكنولوجي والعلمي وغيره ينفرد به الغرب ، وجعلتنا نستورد البضائع والتقنيات والمعارف العصرية من الغرب فاستوردنا معها المصطلحات الاجنبية وهذا امر طبيعي ، لاسيما وان الاستعمار ـ في شكله القديم او الجديد ـ يلعب دوراً فعّالاً .

وهناك أيضاً مسؤولية النخب المحلية التي تستعمل اللغة الاجنبية لاكتساب « المعرفة » العصرية كي تدعم مكانتها الاجتماعية . فاللغة الاجنبية هي وسيلة من وسائل الهيمنة الاجتماعية والسياسية . وخلاصة تدخلي أن المشكلة التي اثارها الباحث في بداية كلمته هي مشكلة معقدة متعددة الجوانب اقترح ادراجها من الآن كموضوع ملتقى مقبل .

محيي الدين صابر : في واقع الامر أنا سعيد غاية السعادة بأن استمع الى هذه التعليقات الجيدة والمفيدة . وقد استمتعت كثيراً واستفدت منها بالتأكيد ، لأن الذي كتب انما كان فعلاً طرحاً لا يرقى الى مستوى البحث ولا الى مستوى الدراسة . ودائماً ، وحتى اثناء تناول هذا العمل كنت اسميه عرضاً ، فهذا يعني بأن الذي بين ايديكم هو اقرب الى مقالة منه الى دراسة ، ولذلك حين تكلم الاخوة عن المنهجية كانوا على حق فيما ذهبوا اليه لأنني لم اصمم هذه الدراسة كما يجب أن تصمم او آخذها بالمأخذ الاكاديمي .

اشكر الدكتور سعد الدين واوافقه تماماً على كلمته . والقضايا التي عرضها هي فعلاً قضايا موضع اتفاق خاصة وأن عملية التعريب ليست النهاية ، لكنها البداية . وهذا شيء صحيح وتفكير اساسي ايضاً لأن التعريب قاعدة ووسيلة .

أعتقد أن موضوع التبعية وموضوع التخلف نتيجة وسبب لما نحن فيه . انهما نتيجة للوضع ، وسبب ايضاً في هذا الوضع ، ولأننا لا نستطيع الخروج وكسر الطوق ، فهذه هي الحلقة الخبيثة المفرغة التي نعيش فيها مع اخواننا في العالم الثالث .

واتفق كذلك مع د. سعد الدين على نوعية العلاقات القائمة بين التعريب والوحدة والقومية . فأنا لم اقل اطلاقاً انها علاقات ضرورية ومتتابعة . اما تبادل الادوار والترتيبات ، فهذه المسألة واردة . ولكن من ناحية العرض المنطقي يبدو ايضاً أن مفهوماً يقود الى مفهوم آخر ، او ظاهرة تقود الى ظاهرة اخرى، كما يمكن أن يحدث العكس تماماً في بعض الاحيان ، وذلك تبعاً لظروف مختلفة .

وكون الشيء منطقياً ليس معناه ، بوجه عام ، أن ينفي اي سبب آخر ، اي ليس هذا الكلام حصراً ، وإنما هو احتمال . فالوقائع هي أني اتعامل مع مفاهيم موجودة امامي : عندي التعريب ، والوحدة العربية ، والوجود العربي . ثلاثة اشياء امرنا أن نتكلم فيها، مع أن هنالك اشياء اخرى كثيرة جداً كما تفضل الاخ الدكتور رضا. هناك التبعية،

والاستعمار ، واشياء اخرى كثيرة جداً . هناك النظريات الاجتماعية ، والتجارة الخارجية ، وقضايا كثيرة ، ولكن نحن لم ندع الا للتحدث في اشياء محددة . وارتباط التبعية بهذه الاشياء ارتباط واضح . ولذا سألت اولاً سؤالاً وهو : لماذا نناقش موضوع التعريب ؟ انا لم اسأل هذا السؤال لوجه الله سبحانه وتعالى ، وإنما سألته لأني اعرف أن هذا الموضوع مرتبط بقضايا اخرى . ولكني كلفت بشيء محدد ويجب أن التزم بهذا التحديد . فإذا تكلمت كما اريد التكلم او كما يجب التكلم ، فقد تتهمونني ، او يتهمني الآخرون بالخروج عن الموضوع . واخواننا الذين علقوا قالوا فعلاً بأني خرجت عن الموضوع ، فالمفروض فيّ أن أتكلم عن التعريب والتبعية والاستعمار وهذا غير مطلوب مني ، يعني أن يقع الواحد منا في محظور ما داخل ما كلف به افضل من أن يذهب ويطلب المحظور في الخارج ، فنحن قد طلبنا المحظور في الداخل بدل أن نسعى الى المحظور في مكمنه ونذهب اليه ونقول له بأننا قد اتينا .

فالواقع ، اعتقد بأن ما وجهه الاخ رضا من كلام منطقي ومعقول ، ولكنه لم يكن مطلوباً مني التكلم عن التبعية . ولعل الأخ رضا يعلم ، ان الواحد منا يعرف أن هذه القضية مرتبطة بالتبعية والتخلف . . . الخ . فهذه مسألة لا تغيب عن الخواطر كثيراً .

هناك موضوع الاطار المنهجي ، اطار البحث ، فأنا لم استعمل اللغة كسبب من اسباب التخلف . فكما قلت بأن الموضوع الذي طرح علي محدّد . ولم يطلب مني أن اتكلم في اسباب التخلف او في الاسباب التي اوصلت اللغة العربية الى هذا الوضع ، لذلك فالاطار الذي تكلمت ضمنه والذي كان محدداً لي ليس اطار التخلف او اطار التبعية . لقد تكونت لغة لا هي فرنسية ، ولا هي عربية ، ولا قبلية ، وانما خليط « كوكتيل » . لا نقول بأنهم قد علمونا ، لماذا ؟ ان اول دفعة تخرجت من المدرسة الحديثة ، وهنا اصف هذه الجماعة ، لأننا نظن بأنهم قد استلبوا ، وأنهم قد تعلموا لغة غربية فتغربوا ذهنياً وعقلياً ، ذهب افرادها الى فرنسا ، فماذا فعلوا هناك ؟ أسسوا ما هو في العرف الطلابي والمثقف بـ ١١٥ ، اي في شارع سان ميشال في الحي اللاتيني ، اول جمعية لمحيط شمال افريقيا ، أسسها طلبة من المغرب والجزائر وتونس ، وكانت مركزاً للسياسة . وأسسوا ايضاً مجلة اسمها (مغرب) بالفرنسية وذلك بالتحالف مع بعض التقدميين الفرنسيين ، واخذوا يهاجمون النظام الفرنسي ، فاغتاظت فرنسا من ذلك . وعندما تأسست حكومة (الجبهة الوطنية) ـ ليون بلوم عام ١٩٣٧ او عام ١٩٣٦ ـ اتصل اولئك الشباب المتخرجون من المدرسة الفرنسية بالاشتراكيين وكوّنوا معهم علاقات ، فبدأ المستعمرون يحتجّون لأن الشباب المغربي استطاع أن يبينّ الاوضاع لأولئك .

ثم هناك نقطة غريبة هي أن النقابة مثلاً في الجزائر ما كانت تعمل على تكوين النقابيين الاهليين . فكان هناك العامل الفرنسي ، وبعده الاسباني ، والطبقة الثالثة هي العربي . وحينما طلب الحزب الشيوعي مرة في مؤتمره أن يؤتى ببعض العمال الاهليين ، أجابته النقابة بأنهم سيفتحون عيونهم ونحن لا نريد ذلك . هذا هو الوضع في نظري .

واختتم ببعض الاشياء التكميلية وبسرعة ، اي بشكل رؤوس اقلام ، فأقول للاستاذ صبحي الصالح ، انني لست ضد الادب الشعبي ، بل ضد ارساله للشعوب العربية الاخرى ، لاننا نحمّل ابناءنا اكثر مما يحملون . فالشاب في الاطلس يتعلم اللهجات البربرية ، والعربية اللغة الوطنية ، ولغة اجنبية ، ونضيف اليه الدارجة المصرية والدارجة اللبنانية والعراقية ، وهذا شيء لا تطيقه البيداغوجية . .

ثم هناك قضايا يمكننا كمراكز للتعريب أن نقوم بها ، وذلك انه يجب علينا أن نتخذ مواقف من المحيط اللازم للتعريب . ففي بيوتنا جل الآباء والامهات يتحدثون باللغة الاجنبية وفي السوق يسمع هؤلاء الابناء لغة رديئة، فكيف تريدون أن يتعربوا ؟

الفصل الثالث

البُعد السّياسيّ للتعريب وَصِلته بالوحدة والديمقراطية

الطاهر لبيب

مقدمــة

هل التعريب « مشكل » يطرحه المجتمع العربي على نفسه باعتباره قادرا على حله ؟

حديث المثقفين عن التعريب يعني أنه مشكلة اكثر مما يعني أنه مشروع قابل للتنفيذ . وصاحبة المشروع ، حتى الآن ، هي سلطات سياسية عاجزة عن تنفيذه . اما الجماهير المعنية به ، أساسا ، فلم تجعل منه مطلبا من مطالبها . على الاقل منذ استقلال بلدانها . هذا رغم تحملها تبعات التبعية الثقافية عموما ، والازدواجية اللغوية خصوصا في كل مستويات حياتها اليومية . وكل هذا يعني أن التعريب مشروع لا ينفذه المجتمع العربي الا ضمن بديل اجتماعي سياسي تحرري وطني . هذه قناعتنا .

اولاً : دلالية الحديث عن التعريب

ان يكون الحديث عن التعريب حديث مثقفين اساسا ، لا يعني ، بالضرورة، أنه مشكل مفتعل . فهو مشكل قائم مستمر طرحته القوى السياسية بشكل مباشر او غير مباشر في اطار ثقافة وطنية حافزة على التصدي للاستعمار . وابرز ظاهرة في هذا المجال تراجع عام ـ داخله مد وجزر ـ في حدة الطرح ، وفي التحمس للمشروع منذ الاستقلال . ومن اغرب الظواهر استمرارية الحجج الموالية والمناهضة للتعريب ، رغم تغير المعطيات : نوع من حرب المواقع مع بقاء في نفس المكان (ونفس الزمان !)، ومع المحافظة على نفس الاسلحة . . . يضاف الى هذه الصورة أن الدفاع عن التعريب رد فعل اكثر مما هو مبادرة . ولقد كان نفيا للتهمة عن العربية وعن انصارها اكثر مما كان اثباتاً لامكانية التعريب ولقدرة اهل العربية عليه . وهذه الاستمرارية في الطرح والمحاجّة تعني أن مشروع التعريب لم يرتبط بمشروع مجتمعي اعم ، وأن مقترحي

المشاريع المجتمعية البديلة (من اليسار المغربي على الاقل) امسكوا ـ لاسباب تتصل بماضي تكوينهم ـ عن طرح مسألة التعريب .

أما بوادر الطرح الجديد فهي نتيجة لتعمق الوعي بتبعية المجتمع العربي ، ولتبلور الرؤية الشمولية للتاريخ ، ولتطور المقاربات المنهجية ايضا . ومن هنا كانت محاولات الربط بين وضع العربية كلغة وطنية (قبل الحديث عن التعريب) ووضع التخلف المجتمعي ، بما في ذلك طبيعة السلطة السياسية في البلاد العربية . نقول « بما في ذلك السلطة السياسية » تجاوزا لسهولة تحميل هذه السلطة كل المسؤولية في ذلك . وقد قلنا ان الجماهير (او طلائعها) لم تعبر عن مطالبتها بالتعريب ، وأن اليسار عموما لم يطرح القضية ، ولم يدخل السجن احد من أجل العربية . ونضيف أن الدفاع عن التعريب عند بعض المثقفين هو تخلص من عقدة « الذنب بعدم المشاركة » اكثر مما هو ايمان بقضية . ولذلك ، فهم لا يمارسون من افكارهم ، ولا يعرضون من مصالحهم الا بقدر ما يسمح بتصنيفهم . وواضح أن في هذا اشارة الى حدود خطابنا كمثقفين .

ثانياً : التعريب ـ الاسطورة

صحيح أن السلطة السياسية وضعت مشروع التعريب فوق الواقع الاجتماعي محيطة اياه بمجموعة مستمرة ثابتة من المفاهيم المجردة تستساغ جماهيريا دون التزام عملي بمضمونها الغامض ، ولكن خطاب بعض المنادين بالتغيير ساعد على تجريده من علاقته بالواقع التجريبي الممكن لسيطرة العاطفة فيه الى حد الرومنطيقية . وهذه الاشارة لا تنفي اهمية البعد العاطفي في قضية انتمائية كهذه ، ولا اسقاطات الموقف الحالم أو المثالي الطوباوي الذي قد يكون ارهاصا بمبادرة تاريخية . بل لا احد ينفي أن ما قد يبدو اسطوريا اليوم قد يتحقق ذات يوم . والمقصود من الاشارة هو أن الخطاب المنادي بالتعريب غالباً ما اصبح يدور حول نفسه ، فانحصر تقريبا في المقولة التالية : « التعريب ضروري وممكن ، ومن قال غير هذا فقد خان » ، وذلك دون تدليل . ولهذا بدا التعريب كصخرة سيزيف كلما رفعها أهلها اسقطها عجزهم عن اقناع غيرهم (داخل السلطة وخارجها) بجدوى العملية ، عجز هو في نهاية الأمر عجز مجتمع يعيشون فيه .

ثالثاً : التعريب ـ الواقع او العجز عن التعريب

١ ـ إن معظم الاقطار العربية لم تعرف قرارا سياسيا حازما بشأن التعريب . ولكن لم يجرؤ فيها خطاب سياسي واحد على رفض هذا التعريب . فالموقف اذا هو « نعم ، ولكن . . . » او هو ثنائية في التمييز بين المبدأ والتطبيق ، ثنائية طرفاها ، هما أيضا ، ثابتان في خطاب ما بعد الاستقلال .

وليس المهم في هذا المجال نزاهة الانظمة العربية او عدم نزاهتها . المهم أن نعرف ما اذا

كانت هذه الانظمة قادرة على انجاز مشروع التعريب ، واذا كانت قادرة ، فعلى اي تعريب ؟ وهنا نصوغ مقولتنا الاساسية بشكل مباشر خام ، ومفادها أن المجتمعات العربية التابعة عاجزة بنيوياً عن انجاز مشروع التعريب ، حتى ولو تبنته انظمتها سياسيا[1] . واذا كانت التبريرات التقنية اولى عوارض هذا العجز البنيوي فإنها تخفي وراءها القوة الاجتماعية السياسية المتزايدة كمّا ونوعا وتأثيرا ، المرتبطة مصالحها بـ « انفتاح اقتصادي » ينتج عنه ، ويدعمه في الوقت نفسه ، استهلاك فكري وسلوك ثقافي واستعمال وظيفي للغة اجنبية اكثر مردوداً ونفعاً .

٢ ـ إن هذه القوى الباحثة عن ربح مباشر ، التي تمثل اللغة الاجنبية بالنسبة اليها وسيلة اتصال سهلة وناجعة ، ترى في التعريب تعقيدا لمسالك ربحها ، وتشويشا لآفاق توسعها . ولذلك فإن اقوى حجة تقدمها هي « ارتفاع ثمن » التعريب اقتصادياً ، وكذلك عملية التحديث . وهذه القوى التي تلعب دور الوسيط ، او الطرف التجاري ، او الصناعي ، تجد المؤازرة لدى شرائح واسعة من التكنوقراطيين والبيروقراطيين ، وتستفيد من تذبذب البورجوازيات العربية الصغيرة عموماً .

وضعف الامل في أن تساند هذه القوى الجديدة نسبياً مشروع التعريب مأتاه أنها نشأت وتبلورت في ظل ثقافة تابعة ، فارتبطت مصالحها في ذهنها منذ البداية بمصير الثقافة الاجنبية ولغتها . ولذلك فإن طرح بديل الثقافة الوطنية يعتبر « مجازفة » بالنسبة اليها . هذا طبعا بالاضافة الى أن الممارسة الاجتماعية جعلت من استعمال اللغة الاجنبية شرطا في الحراك الاجتماعي ، وفي قضاء المآرب ، وحاجة نفسية يلبيها المدافع عن استعمال اللغة القومية نفسه .

٣ ـ من هذه الوجهة التي يبرز فيها المضمون الاجتماعي للموقف من التعريب ، تضيق حدود التحمس ، او المبادرة الفردية التي قد تكون داخل جهاز الدولة نفسه ، وكما تتضح حدود الطروحات التي تفكر في المطلق ، او برجوع استدلالي الى الماضي ، او التي تطمح الى تسيير العجز القائم ، تتضح كذلك ضرورة التساؤل عن السياق الاجتماعي السياسي لتعريب ممكن .

والمقاربة التجريبية الوحيدة للموضوع هي معاينة التطابق العام بين الاتجاه الوطني التحرري وبين الاقدام على مشروع التعريب كاختيار سياسي . فنحن لا نقيّم التجربة ، وإنما نعاين أن تبنّي مشروع التعريب سياسيا باصدار قرارات في شأنه قد ارتبط ، في بعض الاقطار العربية ، بمشروع اجتماعي من جملة اهدافه المرسومة تقليص التبعية . واذا كان التعريب ـ حسب هذه المقولة ـ مشروعا لا ينجزه مجتمع عربي الا ضمن صيرورة تحرره الوطني ، وضمن ثقافة وطنية ، فإن هذا لا يعني أن كل تعريب هو تحرري بالضرورة . فقد يكون التعريب مكرسا

---

(١) هذه المقولة يقوم عليها مقال سابق للمؤلف ، انظر : الطاهر لبيب ، « العجز عن التعريب في مجتمع تابع ،» المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٢٩ (تموز / يوليو ١٩٨١) .

للتبعية ، ناشرا لها ، وقد يكون تصديا محافظا للفكر التقدمي العالمي ، كما قد يكون ، ظرفيا ، وسيلة تعامل مع رأس مال عربي ، . . . الخ . وهذه جميعا اشكال من التعريب لا يعجز اي مجتمع عن انجازها . واذا كانت هذه الاشكال واردة ، فإن التساؤ ل عما اذا كان التعريب في نهاية الامر عملا ضروريا ، هو ايضا تساؤ ل وارد له ما يبرره .

رابعاً : التعريب الممكن : الديمقراطية والوحدة

١ ـ تساءلنا لماذا عجزت الانظمة العربية عن التعريب ؟ واذا جعلنا السؤ ال : « كيف استطاعت الانظمة العربية أن تتملّص في اطار تبعيتها من التعريب ؟ » برز لنا « غياب » كنا قد اشرنا اليه . فلغياب المجموعات الضاغطة دور حاسم في ذلك ولا ريب ، لأن التعريب مطلب مفقود خارج الكتابات الفردية لبعض المثقفين . والسلطة السياسية اكثر تعاملا بالعربية في مخاطبتها للجماهير ، وهي التي بادرت بتعريب اكثر اجهزتها اتصالا بها ، كالعدالة والداخلية ، وهي التي تحدد المناسبة والظروف التي يمكن طرح موضوع التعريب فيها . ومهما يكن من اسباب غياب هذا المطلب ، فإن مجتمعاً ترتفع فيه نسبة الامية ، والعربية فيه هي اللغة الوحيدة للجماهير العريضة ، لا يمكن أن يطمح الى حد ادنى من الديمقراطية الفكرية او السياسية دون أن تكون اللغة السائدة في المؤ سسات ، وفي المحيط ، لغة تفهمها الجماهير وتمارسها .

أ ـ وأنه لمن المفارقة حقاً أن يكون المفكر او السياسي العربي ديمقراطي النزعة وأن يستهين مع ذلك بمشكل اللغة ، وبما ينجم عنه من تعميق للتمايز بين ثقافة النخبة وثقافة الجماهير تعميقاً يزيد بدوره التمايز الاجتماعي . ومن الغريب كذلك أن يكون العربي ثورياً في السياسة ، رجعيا ازاء اللغة . ومن المفارقة ايضاً أن يكون الحديث عن وعي الجماهير ولا يهتم باللغة وسيلة اولية لتوعيتها ومساعدتها على التعبير عن وعيها . فكيف يمكن للديمقراطية أن تنمو ، وللجماهير أن تشارك وتبدع في مجتمع عاجز عن التعبير ؟ بل كيف يمكن تثقيف الجماهير دون اهتمام بتطوير لغتها بشكل يضمن احتواء التثقيف على « ثقافة » ؟

ب ـ هناك تساؤ لات كثيرة نتوقف عند واحد منها يتعلق بمفهوم « التفتح » لشيوعه في الخطاب السياسي ، ولارتباطه بالتعريب . إن الانفتاح الاقتصادي يصاحبه خوف من الانغلاق الثقافي شاع أن التعريب من ابرز مؤ شراته . فما من شك في أن اللغة الاجنبية ، من وجهة نظر نخبوية ، تسمح في الوضع الراهن بتفتح اوسع مما تسمح به العربية في وضعها الحالي! تفتح على الثقافة الاجنبية ، طبعا ، لا على الثقافة العربية ، وهو امر غير وارد في الحديث عن التفتح ، كما لا يرد تفتح الجماهير العربية بعضها على بعض . ولكن هذا التفتح ليس تفتحاً على الثقافة الانسانية بقدر ما هو تفتح نخبة مثقفة على نمط من انماط الثقافة الاجنبية هي اساسا ثقافة المستعمر القديم . وهذا صحيح في برامج التعليم ووسائل الاتصال وفي الاكل واللباس والسلوك . واذا كان صحيحا ، فإن التفتح الفعلي على الثقافة الانسانية كتجاوز لانفتاح تبعي لا

يمكن أن يتحقق الا بالتعريب . وهذه المقولة معاكسة للتداعي الآلي المعهود بين التعريب والانغلاق الفكري ، اعتمادا على التجريبي دون الممكن . فالتعريب نظريا (ونحن لا نتطرق لطبيعة الجهد الذي يجب أن يبذل) يمكن أن يسمح بادخال الارادة الحقيقية في اختيار سبل التفتح ومضامينه ، ولا شيء يمنع مبدئيا من تصور مرحلة تستوعب فيها اللغة العربية ثقافات متنوعة بلغات مختلفة . فالمسألة مسألة جهد مناسب في سياق مناسب .

ج ـ إن البعد الجماهيري للغة العربية قطريا وقوميا قد يبدو من البديهيات ، ولكنه حيوي بالنسبة لمن يؤمن بديمقراطية الثقافة . وعقدة التفتح في الفكر الليبرالي العربي يجب أن لا تحول دون وضع السؤال : من يتفتح ؟ وعلى من وماذا ؟ ومهما كانت الاجابة فإنه من البديهي أن الجماهير ، وإن تحملت تبعية الانفتاح الاقتصادي ، لا يمكن موضوعيا أن تتفتح بلغة لا تفهمها .

والتعريب من هذه الوجهة بعد من ابعاد النضال من اجل الديمقراطية في البلاد العربية . انه شرط غير كاف طبعا ، ولكنه شرط ضروري لذلك . ولعل بعض البوادر ، ولا سيما في الاوساط الطلابية المسيّسة ، تشير الى حصول هذه القناعة . فهناك اتجاه الى التخلص من عقدة التخاطب بلغة اجنبية ، والى استخدام العربية في الخطاب السياسي . وبالمناسبة فإن النظرة السكونية ، او الحكم على العربية من خلالها ، لا تلتفت الى التطور الجاري في العربية بفضل الممارسة السياسية والاعلامية ، وحتى العلمية . وقد تكون هذه البوادر نتيجة اهتمام اكبر بالقضايا العربية ، او بالاسلام ، او نتيجة اقتراب اكثر من الجماهير . ولكنها تبدو على كل حال ايضا ، موازية لتبلور القناعة باهمية الصراع الفكري والايديولوجي داخل « المجتمع المدني » ، ونحن نعتقد أن هذا الصراع من اجل الديمقراطية لا يكون الا لصالح العربية والتعريب ، كما أن التعريب لا يكون الا لصالح الديمقراطية في البلاد العربية .

٢ ـ هل التعريب ضروري للوحدة والوحدة ضرورية للتعريب ؟ هذا في اعتقادنا سؤال غير مجد . واذا كان مجديا فليس بالاجابة عنه بنعم او بلا . المهم هو أن نعرف أي تعريب نعني واية وحدة ؟ هناك تعريب ممكن ، ولا شك ، بدون وحدة ، وآخر غير ممكن بدونها . كما أن هناك وحدة قد لا تحتاج الى تعريب واخرى لا تتم بدونه .

إن ما سبق من أن التعريب مشروع لا ينفذه مجتمع عربي تابع متخلف ، او غير ديمقراطي فكريا وسياسيا ، هو طرح ضمني لمشكل البديل ، وربط لمصير التعريب بطبيعة القوى العاملة في المستقبل العربي . وهذا يعني ، على الصعيد العربي ، أن الوحدة قد تكون هي ايضا وحدة مجتمع تابع ، ثقافته القومية مهزومة ، وكذلك لغته . وهذا احتمال وارد نظريا . وفي هذه الحالة ايضا يكون العجز عن التعريب أو التعريب العاجز . اما اذا كانت الوحدة العربية تحررية ديمقراطية فعلا ، فإن التعريب يطرح نفسه كوسيلة من وسائلها وكانجاز ضروري من انجازاتها في آن واحد .

خاتمـــة

من مآسي وضع التعريب الحالي ـ كمشروع عربي لا وجود لسلطة سياسية تتبناه وتنفذه على الصعيد القومي ـ انه يتوقف على جهد عربي منسق متكامل هو ، عمليا ، غير موجود . فالظروف السياسية المحلية هي التي تحدد عمليا الموقف من التعريب في كل قطر . بل أن الموقف السياسي من التعريب ـ وهو ايضاً موقف بل رؤية للعرب والعروبة ـ كثيرا ما يتأثر بعلاقته الظرفية بنظام عربي معين . ايكون ـ بعد هذا ـ افراطا في التخيل غير المستساغ افتراض أن « عروبة » بعض الاقطار هي مصدر من مصادر تخلف التعريب فيها ؟ الا يمكن افتراض أن سلطة سياسية واحدة (ولو في حجم قطر واحد) كان بامكانها ان تنجز انجازا اكثر عمقا مما انجزت انظمة مشتركة في القول ، متفرقة في العمل ؟ ومهما يكن ، فإن ما انجزته بعض الاقطار في التعريب لم تنجزه ، حتى الآن ، بفضل جهد عربي مشترك !

إن طرح البديل داخل الوضع العربي القائم غير وارد في تساؤلاتنا السابقة . وقد يكون هذا مجديا وقد لا يكون . وربط مصير التعريب تصورا وانجازا بمرحلة لم يبلغها المجتمع العربي قد لا يساعد على البحث عن حل عملي مباشر . واذا كان الامر كذلك فإن الربط يشير ، على الاقل ، الى الحدود الموضوعية لهذا الحل .

تعقيب ١

أحمد عبد الحليم

اولاً أود أن اعتذر لكون ما سأقدمه جملة من ملاحظات قامت على قراءة سريعة لبحث اصولي هام . ومرد ذلك لسببين ، أولهما اني قد دعيت للتعقيب وانا مشغول بكتابة تعقيب على بحث آخر . وثانيهما اني كنت اطمع في استثمار فترة الظهيرة لكتابة هذا التعقيب ولكن قدم موعده للفترة الصباحية بسبب تغيير في جدول الندوة .

لقد ادهشني هذا البحث اول وهلة لأنه يأتي باحكام قاطعة ويصمم الرأي حول تجربة قطرية واحدة ليصبغ به كل التجربة العربية في مجال التعريب مفهوماً ، وموقفاً ونتيجة . وقد اعدت النظر فيما قرأت فالفيته تعبيراً مكثفاً جداً عن قضية محورية كلية لا يستقيم امر التعريب الا بادراكها، وهي قضية السياق الاجتماعي الذي تم في اطاره التعريب بصورته المثلى . وفي تناولي لهذا البحث لن اقف عند التفاصيل، على اهميتها لكونها مستقاة من تجربة عربية واحدة لها ظروفها وخصوصياتها .

إن القضية الجوهرية التي يثيرها البحث هي ان المجتمع التابع لا يقدر على تحقيق الاصالة ، ويعجز عن تنفيذ مشروع التعريب بمعناه الحضاري الاجتماعي الشامل ، وان التعريب مشروع لا ينفذه المجتمع العربي الا ضمن بديل اجتماعي سياسي تحرري وطني ، وفي اطار ثقافة وطنية محفزة على التصدي للاستعمار . واوافق الاخ الطاهر لبيب فيما ذهب اليه ، اذ أن التعريب الشامل والامثل لا يمكن أن يحققه مجتمع تكبله التبعية التي هي نقيض الاصالة وسبب العجز عن تحقيق كل هدف وطني بالصورة والمدى المطلوبين. وطرح الاخ الباحث بهذا التوجه يعين على ادراك السبب الحقيقي وراء التردد العملي ازاء قضية التعريب في كثير من اقطارنا العربية ، كما أنه يعرض البديل الذي يمكن للتعريب الامثل ان ينجز ضمنه وفي اطاره .

يطور الباحث مقولته الاساسية في شأن سبب العجز عن تنفيذ مشروع التعريب بصرامة

حيث يقول « المجتمعات العربية التابعة عاجزة بنيوياً عن انجاز مشروع التعريب حتى ولو تبنته انظمتها سياسياً . واذا كانت التبريرات التقنية أول عوارض هذا العجز البنيوي فإنها تخفي وراءها القوة الاجتماعية السياسية المتزايدة كما ونوعاً وتأثيراً التي ترتبط مصالحها بـ « انفتاح اقتصادي » ينتج عنه وبدعمه في الوقت نفسه استهلاك فكري وسلوك ثقافي واستعمال وظيفي للغة اجنبية اكثر مردوداً ونفعاً » .

ولقد أشارت بحوث عديدة مطروحة على ندوتنا الى المواقف الطبقية والفئوية التي عرقلت مسيرة التعريب في المغرب العربي ، بسبب نشأتها في احضان ثقافة تابعة ، فارتبطت مصالحها في ذهنها منذ البداية بمصير الثقافة الاجنبية التي الفت بلغة تلك الثقافة ، وساقت مبررات عدة ، وسلكت مسالك مختلفة ، ظاهرة ومستترة ، لتعطيل اجراءات التعريب ، رغم أنها لم تجرؤ على الاعتراض عليه صراحة .

إن موقف هذه الفئات ، وحقيقة ارتباط مصالحها ، ولو مؤقتاً ، بثقافة الدولة المستعمرة السابقة ولغتها ، حتى بعد انجاز الاستقلال ، وسيطرة نظرتها ومدى تغلغلها في مواقع القرار والتأثير ، مسألة لا بد من أخذها في الاعتبار عند التخطيط للتعريب وحين تنفيذه . ولعل واحدة من وسائل مغالبة مواقف هذه الفئة ، هي الاصرار على تعريب الادارة ـ الاداة الحكومية ـ مثل ما نصر على تعريب التعليم ، وسائر وجوه المجتمع الاخرى ، لما للادارة من خطر في نجاعة او عرقلة جهود التعريب .

ان اهتمام الباحث بقضية محو الامية لتمليك الجماهير مفتاح المعرفة والقدرة على مجابهة المواقف الجديدة بالمعرفة المتجددة ، له ما يبرره . ذلك أن الجماهير لا تستطيع المشاركة في حوار لا تملك ادواته ، وان سيادة الامية تحرمها من حق اساس . فالعربية هي اللغة الوحيدة التي تعبر بها الجماهير ، وتمارس بها الديمقراطية الفكرية والسياسية . ولقد ظللت اؤكد ضرورة المجابهة الحضارية الشاملة للامية بوصفها مُقعِداً اجتماعياً اساسياً . فالجماهير تكون حقاً عاجزة عن المشاركة في مجتمع تسيطر عليه ثقافة بعيدة عن وجدانها ولغة بعيدة عن لسانها ، لأنها في مثل هذه الاوضاع عاجزة عن الابداع في مجتمع عاجز عن التعبير . وكذلك فإن الحديث يظل دون مدلول فعلي حين يرد عن وعي الجماهير دون أن يرد عن الاهتمام باللغة كوسيلة اولية لتوعيتها والتعبير عن وعيها . وهكذا فإن قضيتي الاهتمام باللغة ومحو الامية قضيتان أساسيتان في تأصيل الديمقراطية .

وكان تأكيده حقيقة قدرة اللغة العربية على التطور ، وانها حقاً قد تطورت بفضل الممارسات السياسية والاعلامية والعلمية ، رداً علمياً على الذين يقولون ان هذه اللغة المنطقية العظيمة عاجزة عن التطور . كما أني اشاطره ما ذهب اليه في تبيان العلاقة الجدلية بين الديمقراطية والتعريب ، وبين الوحدة والتعريب . ويتضح من هذا كله انني اشاركه الرأي في طرحه الاساسي . ولكن هذه المشاركة قائمة على اساس ادراك أن هذا هو الوضع الامثل الذي نظل مشدودين اليه ونحن نغالب الواقع نشداناً لتحقيقه ، اذ أن الاخذ بغير هذا يثير سؤالاً كبيراً حول طرح الاخ الباحث : اهو من المرجئة ؟ ظني واملي أنه ليس كذلك ، وله فرصة لتوضيح رأيه عند الرد على المناقشة .

تعقيب ٢

هشام بوقمرة

منذ البدء ، تفاجئنا الورقة بتأكيدات صارمة : « صاحبة مشروع التعريب حتى الآن هي سلطات سياسية عاجزة عن تنفيذه . اما الجماهير المعنية به اساساً فلم تجعل منه مطلباً من مطالبها ، على الاقل منذ استقلال بلدانها » ! طبعاً ليس التعريب خبزاً ولا ارتفاعاً في اسعار تذاكر الركوب في القطارات ، ولكن اخراجه من مطالب الجماهير قبل الاستقلال وبعده هو في نظري حيف تاريخي واضح يدل عليه تأكيد المؤلف نفسه في الفقرة التالية بأنه « مشكل قائم ، مستمر ، طرحته القوى السياسية بشكل مباشر او غير مباشر في اطار ثقافة وطنية محفزة على التصدي للاستعمار » . صحيح اذن ان التعريب وحده لم يكوّن حافزاً جماهيرياً مستقلاً ، ولم يكن شأنه أن يكون كذلك ، لأنه يدخل ضمن منظور ثقافي وحضاري عام . ولذلك فليس صحيحاً التأكيد فيما بعد بأن « مشروع التعريب لم يرتبط بمشروع مجتمعي اعم ، وان مقترحي المشاريع المجتمعية البديلة ، من اليسار المغربي على الاقل ، امسكوا لاسباب تتصل بماضي تكوينهم عن طرح مسألة التعريب » . فالمحرج في مثل هذه الاطلاقات انها في آن واحد صحيحة وخاطئة ! وذلك لأنها تلقى كحكم عام ، في حين انها اشارة الى فترة زمنية معينة ومحدودة يجري اغفالها لاضفاء الشمولية على الرأي .

لنتأمل التاريخ قليلاً :فمنذ اول هذا القرن ، وبالتحديد منذ سنة ١٩٠٥ ، شهدت تونس صراعاً علنياً ـ وجماهيرياً ايضاً لمشاركة فئات واسعة من الطلاب فيه ـ بين مشروعين مجتمعيين متقابلين لكل منهما نطاقه الحضاري ونموذجه ومراجعه وتصوره الثقافي والاقتصادي . وكان موضوع التعريب بالذات ، وقضية اللغة القومية اساسا ، الساحة العلنية التي تقابل فيها انصار المشروعين . وكانت تدافع عن المشروع الاول فئة واسعة من المجموعة التي عرفت بتونس الفتاة ، ويتزعمها علي باش حامبه ، وكان يقوم على اعتبار اللغة الفرنسية اللغة الاساسية والرسمية ؛ واعتبار النمط الاوروبي ـ الفرنسي خاصة ـ هدف الاصلاح ؛ واقامة مجتمع رأسمالي ليبرالي ؛ والاعتراف بالحماية الفرنسية واعتبار مشاركة التونسيين في شؤون الدولة الهدف الاول للمطالبة

السياسية ؛ ورفض الحضارة العربية والعلاقات مع المشرق ، مقابل تمجيد الحضارة الغربية والارتباط باوروبا .

وكانت تدافع عن المشروع الثاني مجموعة تتألف من عناصر منشقة عن تونس الفتاة تتمثّل في خيرالله بن مصطفى وطلبة جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية . وكان يقوم على اعتبار اللغة العربية اللغة الاساسية ، على أن تكون الفرنسية او غيرها من اللغات لغة ثانية ؛ وتأكيد الاصالة العربية الاسلامية للمجتمع التونسي ، في نطاق الجامعة الاسلامية ، او في نطاق الارتباط بالمشرق العربي ؛ والمطالبة بالاستقلال عن فرنسا ؛ ورفض الحضارة الاوروبية حسب النمط الاستعماري السائد .

وكان ان قام بين هذين المشروعين جدل علني خلفيته الاتجاهات المتباينة ، وواجهته قضية التعريب بالذات . ففي حين دافعت المجموعة الاولى عن « المدرسة الفرنسية العربية » التي تكون فيها اللغة الفرنسية لغة العلم والثقافة ، بينما تدرس العربية كلغة ثانية فقط ، رفضت المجموعة الثانية هذه المدرسة الاستعمارية ، وطالبت بمدرسة معربة تماماً ، بل انها بادرت بنفسها الى انشاء هذه المدرسة الابتدائية المعربة تماماً ، واستوردت لها الكتب من المشرق ، وقامت بأول اضراب سياسي في تونس سنة ١٩١١ ، في جامع الزيتونة ، كان التعريب من مطالبه الاساسية .

ولذلك يكون التأكيد بأن « احداً لم يدخل السجن من اجل العربية » مجحفاً تاريخياً . لأن الذين دخلوا السجن من اجلها ـ بل واستشهدوا في ساحات تونس العامة ـ كثيرون ، نشير منهم فقط الى شهداء صوت الطالب الزيتوني في اوائل الخمسينات .

واعرف أن صديقنا الباحث غير غافل عن هذه المعطيات التاريخية ، ولكن الواقع الراهن يسيطر على ملاحظته فيجعلها صائبة ، ولكن . . . ، على حدّ تعبيره . ويبقى بالتأكيد صائباً وبدون « لكن » ان العجز عن التعريب مرتبط بتبعية المجتمعات العربية ، وان التحرر شرط من شروط تحقيق التعريب الممكن .

واخيراً بعض الملاحظات العابرة التي لم يسمح ضيق الوقت بتعميقها :

جيد جداً أن التعريب بعد من ابعاد النضال من اجل الديمقراطية ، ولكني اقول : ان النضال من اجل الديمقراطية لا يمكن أن يكون بغير العربية ، رداً على الذين لا يزالون يعتقدون ـ ويمارسون ـ ان الهدف الاساسي هو النضال من أجل الديمقراطية بقطع النظر عن الوسيلة اللغوية . وليس من باب الصدفة هنا أن حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ومجموعة « الرأي » تصدران جريدتين احداهما بالعربية والاخرى بالفرنسية، بينما اقتنعت مجموعات اخرى ـ ذات طابع يساري وتحرري اوضح ـ بالاستغناء عن اللغة الفرنسية ، واصبحت الفئات الطلابية المسيسة تصر على استعمال العربية فقط في خطابها السياسي ، وتعتبر استعمال الفرنسيـة رجعياً ، على عكس ما كان سائداً قبل عشر سنوات .

ان وحدة المجتمع المهزوم المتخلف التابع ليست فقط واردة نظرياً ، بل هي واقعة فعلياً . وتدل تجربة من تجارب الوحدة القائمة حالياً على أن « التبعية » تستطيع ايضاً أن تتوحد ولكن لتحقيق المزيد من التبعية ، وترسيخ الهيمنة الاجنبية المباشرة . وهو الأمر الذي يجعل القوى الدولية تمنع قيام اية وحدة تحررية تقدمية ديمقراطية ، وتساعد في الوقت نفسه على قيام الوحدات التابعة التي تحميها .

المناقشات

احمد العزعوزي : العجز البنيوي كما يطرحه صاحب الورقة د. لبيب يعني أن تصلب البنية الاقتصادية والاجتماعية اعاق توفر ارادة سياسية للشروع في التعريب، لأن التشكيلة الاجتماعية تنتج مصالح، اصحابها مرتبطون بالمتروبول ارتباطاً يجعلهم يتخذون اللغة الفرنسية لنسج هذه الروابط وتمتينها .

إن تشكل بنى فوقية ضمن التبعية الاقتصادية في فترة ما بعد الاستقلال جعل هذه البنى تتصلب امام انتشار ثقافة وطنية تحررية ، فأصبح استعمال اللغة الفرنسية واستهلاك الثقافة الغربية امراً من الامور الموضوعية يوازي ويرافق تناسق المصالح وتناغم اصحابها مع مواقعهم في السلم الاجتماعي . وبالتالي فإن التعريب باعتباره مشروعاً ثقافياً وطنياً لا يمكن أن ينجز حتى نهايته ـ اي كمشروع تحرري ثقافي يحمل في مضمونه الانعتاق الوطني ـ الا ضمن مشروع اجتماعي تحرري يجعل من الثقافة الوطنية اداة لايقاظ الوعي ، ويجعل اللغة العربية تجد في الممارسة بُعدها وتقدّم كل امكانياتها .

عبد العزيز عاشوري : ورقة د. لبيب مهمة باسلوبها في طرح مشكل التعريب ضمن اشكالية معينة ، وبما تمخضت عنه من استنتاجات هامة تتقدم بما ينضح به الفكر العربي ازاء قضية التعريب ، وان لم تقدم بديلاً ولم تقترح حلاً . ومع ذلك ففي الورقة مقولات لم تناقش ضمن التعقيبين المقدمين ، وربما كانت بحاجة الى النظر والنقاش . واكتفي من ذلك باثارة نقطتين :

١ ـ استمرار الحجج الموالية والمضادة للتعريب رغم تغيّر الظروف من مثل : « خطاب التعريب يدور حول نفسه » ، و « التعريب ضروري وممكن » .

ربما كانت هذه المقولة سليمة اذا اتجهت الى كثير من المقالات الصحفية السريعة التي تكتسي طابع مطالبة بالتعريب او بتعطيله ، ولا تجاوز ذلك الى مستوى النظر والبحث ، لكن ينبغي الا

نتجاهل ، في الوقت نفسه ، ما حصل من تطور على المستوى النظري والفكري ازاء قضية التعريب .

واقتصر هنا على الاشارة الى التجربة التونسية فاذكر بأن دراسات ميدانية في مجال التعريب قد انجزت منذ اواخر الستينات (دراسة الاستاذ الشاذلي الفيتوري مثلاً عن الازدواجية) وقدمت دعماً جديداً لاختيار التعريب على المستوى النظري على الاقل ، وان مقالات كثيرة ودراسات متعددة قد عالجت قضية الازدواجية اللغوية ونتائجها في تكوين التلاميذ والطلبة بتونس (دراسة الباحثة زهرة الرياحي مثلاً التي نشرها مركز الدراسات والابحاث الاجتماعية والاقتصادية بالفرنسية) . فهذه الدراسات ، وغيرها كثير ، قد ساهمت فعلاً في تطور لا ينكر في التعريب كقضية فكرية ثقافية تربوية . وقد نشرت مقالات كثيرة هامة عن العلاقة بين البعد الوطني والبعد القومي للتعريب ، وكان « التونسة والتعريب » مثلاً عنواناً لدراسات كثيرة .

٢ ـ امسك اليسار المغربي عن مشكلة التعريب . واقول ان الامر يتعلق بمرحلة معينة ، ولكنه يتجاوز الامساك الى المناهضة . وقد حصل تطور واضح في وجوه المناهضة واسلوبها وادلتها ، علماً بأن الموقف قد تغير لدى كثيرين من مفكري اليسار المغربي .

محمدعزيزالحبابي : ورقةد. لبيب مهمة لما بها من تحليلات على مستويات مختلفة. انها لبيبة وتتسم بروح اللطف . والسؤال الأول الذي وضعه الاستاذ صاحب الورقة هو : « هل العالم العربي قادر على حل مشكل التعريب ؟» واجيبه : نعم اذا توفر له منهج وارادة . وسيكتمل التعريب حينما تتحرر الاقطار العربية من التبعية الاقتصادية . على أن العرب لم يطرحوا المشكل الا لأنهم اصبحوا يعونه . ومن يعي مشكلا ويحاول مواجهته قادر لا محالة على أن ينتصر ، جزئياً أو كلياً .

يرفض صاحب الورقة أن نبرهن على قابلية العربية على التطور ، ويرى أن البرهنة بأن العربية كانت في زمان العلم العربي ، والفن العربي ، والفلسفة العربية حية لا يسمح بأن يدعى انها صالحة لأن تلعب ادواراً مماثلة اليوم . واظن أنه جائز ، منطقياً وتاريخياً ، أن تقوم اللغة العربية حالياً بأدوار مماثلة لما قامت به في الماضي ، شرط أن نمكنها مما تتطلبه من اصلاحات وتكييف .

ثم يقول اخيراً أن اليسار المغربي كان معارضاً للتعريب . وقد وددت لو حدد لنا ما المقصود باليسار المغربي . فاليسار في المغرب الاقصى والجزائر جعل في برنامجه السياسي ضرورة التعريب وبعث اللغة القومية . فقضية التعريب قد حصل حولها اجماع اليمين واليسار بالمغرب .

اخيراً اظن أن معارضة التعريب ترجع في كثير من الاحيان الى عدم الثقة بالنفس . فمثلاً عندما انعقد في تونس العاصمة مؤتمر حول تعريب الفلسفة اخذت جماعة من الاساتذة تحتج مدعية ان معرفتها بالعربية ضئيلة ومن الصعب التدريس بهذه اللغة . ولاحظت أن المعارضين كانوا يتحدثون بلغة واضحة وسليمة ، فتدخلت مؤكداً : « أيها الاخوة اني مقتنع أن الذي يعوقكم عن التحمس

لتعريب الفلسفة ليس الجهل بالعربية بل الخوف من انفسكم ، وعدم التعود على استعمالها . ودليلي هو انتم واحاديثكم ومداخلاتكم هنا » .

محمد الهادي الشريف : اريد ان اركز تدخلي في ثلاث نقاط :

١ ـ اعبر عن شكري للاخ لبيب لطرحه بعض المشاكل الحقيقية العملية واخراجنا من الشعارات ومن النظريات المثالية .

٢ ـ اجيب على نقطة ذكرها الزميل هشام بو قمرة وهي موقف «تونس الفتاة » من قضية اللغتين العربية والفرنسية ، بأن رواد هذه الحركة لم ينادوا بفرنسة التعليم بل بتطعيمه بالمعلومات العصرية ، ومن ضمنها اللغة الفرنسية . وكانت في ذلك التاريخ (حوالى ١٩٠٤ و ١٩٠٥ و ١٩٠٦) السلطة الفرنسية هي التي ترمي الى حشر الشباب التونسي في المدارس القرآنية العربية اللغة .

٣ ـ لا ننس ان اضراب طلبة جامع الزيتونة الذي ذكره الزميل هشام بو قمرة ـ وقد وقع عام ١٩١٠ لا عام ١٩١١ ـ كان من اجل ادخال المعلومات العصرية في برامج تعليم جامع الزيتونة ، لا من أجل الدفاع عن اللغة العربية التي كانت في الاوساط التونسية مهيمنة غير مهددة (الا بالظلاميات) .

محمد الباقي الهرماسي : انني اوافق على الكثير مما قيل . فبديهي ان مجتمعاً تبعياً ، ومعناه : مجتمع مجزأ الاقتصاد ، منقوص السيادة ، لا يمكن أن يكون موحد الثقافة .

ولكنني اخشى البديهيات عندما نتكلم على العلاقات بين التعريب والديمقراطية والوحدة . فأنا اعتبر أن الاشياء اكثر تعقيداً مع الاسف . فكلكم يعلم أن الهند استطاعت أن تتقدم وتكون ديموقراطية بدون أن تعتمد على لغة قومية .

ولهذا فنحن في حاجة الى أن ننظر الى هذا الموضوع باستعمال منهجية مقارنة . كما اود ان ننظر الى الاشياء في السياق العالمي . ولو فعلنا ذلك لأدركنا أوجه التعقيد ، ولوضعنا اصابعنا على الصعوبات الحقيقية التي تواجه البناء السياسي والثقافي . وسوف اكتفي بمثال بسيط، بأنه نظراً لغلبة الغرب على الصعيدين العلمي والتقني اصبح من الصعب على المجتمعات المتخلفة ان تكتفي مثلاً باستعمال لغة واحدة .

هذا هو الواقع العالمي وهو يتضارب فعلاً مع مشاريعنا . ولن نتمكن من تحقيق طموحاتنا دون أن نأخذ هذه الابعاد بعين الاعتبار . ومع هذا فأنا أشكر الاخ الطاهر لبيب على طرح المشكل بشجاعة ، متحاشياً الطرق السهلة التي يلجأ اليها بعضهم في هذه الندوة .

خير الدين حسيب : اشار الاخ الطاهر لبيب في دراسته المركزة المهمة الى علاقة التعريب بالديمقراطية ، واعتبر التعريب (بما يعنيه من نشر التعليم بالعربية وتعلم القراءة والكتابة) احد الشروط الضرورية لقيام الديمقراطية ونجاحها . واعتقد أنه من المهم والمفيد معاً التفريق والتمييز

بين الوعي السياسي، وهو لازم وضروري لممارسة الديمقراطية ونجاحها، وبين التعريب او معرفة القراءة والكتابة والتعليم بالعربية . فهناك قطاعات واسعة من الجماهير لديها الوعي السياسي رغم أن أغلبيتها أمية ، كما أن هناك قطاعات مثقفة ومتعلمة محدودة الوعي السياسي ، بل انه شبه معدوم لديها رغم تعليمها . فقد لعبت وسائل الاعلام الحديثة السمعية والبصرية من راديو وتلفزة دورا في التوعية العامة والسياسية لقطاع كبير من جماهير الشعب الامية ، رغم أميتها . وانني اقرّ بأن التعليم والتعريب يمكن أن يساعدا، اذا سُوّيت الاشياء الاخرى ، على توفير امكانات اكبر لنجاح ممارسة الديمقراطية ، ولكنهما ليسا شرطا ضرورياً لا بد منه لقيام الديمقراطية ، بل شرط مساعد .

أقول ذلك ، لأنني اخشى أن تتخذ امية الجماهير ذريعة في تبرير عدم ممارسة الديمقراطية في كثير من الاقطار العربية ، وأن علينا أن نعلّم ونعرّب الجماهير أولاً قبل أن نطبّق الديمقراطية . فالديمقراطية يتم تعلّمها بالممارسة ، وجماهير الشعب واعية بقدر ما ، رغم امية اغلبيتها ، اذا ما اتيحت لها ممارسة الديمقراطية . ولسوف تمكنها هذه الممارسة ايضاً من التعبير عن مصالحها وحاجاتها ، كما تمكنها من المطالبة بتعليمها وتعريبها وفرض الاستجابة لهذه المطالبة .

لقد بـرر كثير من الاقطار العربية ، بعد الثورات التي حدثت فيها ، الفترات الانتقالية التي فرضتها بعد تلك الثورات ، وعدم ممارسة الديمقراطية ، بأنها مؤقتة ريثما يستكمل الشعب المقومات اللازمة لممارسة الديمقراطية ويبلغ « سن الرشد » . ولكن رغم مضي عقدين او اكثر على عدد من تلك الثورات ، فإن الفترات الانتقالية استمرت ولم يبلغ الشعب « سن الرشد » بعد .

كما أود أن أشير الى أن تجربة الديمقراطية في الهند ، ذات النسبة العالية من الأمية بالمقارنة مع البلاد العربية ، ورغم كل ما تكوّن لنا من ملاحظات حولها ، تشير بشكل واضح الى أن الامية ليست ، ولا يجب أن تكون ، سبباً في عدم ممارسة الديمقراطية .

مدثر عبد الرحيم : سمعنا اثناء هذه المناقشة اقوالاً متضاربة عن موقف اليساريين في بلاد المغرب العربي تجاه قضية التعريب ، فقيل انهم قد عارضوا التعريب وما زالوا يعارضونه سراً وعلانية ، كما قيل غير ذلك وعكسه .

فأرجو ان يتفضل الاخوة المغاربة الموجودون بيننا ـ على اختلاف اوطانهم ـ باعانتنا على ما يلي :

١ ـ الوقوف على حقيقة الأمر ، او حقائقه ، وهل عارض اليسار دعوة التعريب ام أيّدها ؟ ام اتخذ منها موقفاً لا هو هذا ولا ذاك ؟ واين يقف اليوم منها ؟

٢ ـ بصرف النظر عن نوعية الاجابات المقدمة على هذه التساؤلات ، ارجو ان يتفضل اخوتنا مشكورين ببيان العلة ، او العلل ، في تضارب ما سمعنا من اقوال تتصل بموضوع كان يفترض فيه أصلاً أن يكون واضحاً ومعلوماً في ذاته بمعزل عن مقدماته ودلالاته .

الطاهر لبيب : هل أنا من المرجئة ؟ لست ادري . المهم اني لا اقول بضرورة ، او بحتمية ، ترقب التغير . فالتغير جار، والمحاولات المبذولة في المؤسسات وعلى المستوى الفردي

ليست بلا جدوى . ولكن اذا كان التعريب جهداً حضارياً وقدرة ابداعية ذاتية ، كما قلت ، واسترداداً للغة الوطنية ، وممارسة لها في كل مستويات الواقع الاجتماعي ، اذا كان هذا هو التعريب ، فأنا اقول بأنه لا يمكن أن يتم الا ضمن مشروع مجتمعي عربي جديد يخلص المجتمع العربي من تبعيته الحالية . وبالمناسبة فإن الامثلة التي تقترح عادة للدلالة على اهمية التعريب في الوضع الحالي ـ مثال اليابان أو روسيا او بلدان اخرى ـ قد تغفل ان ما انجزت هذه البلدان انما انجزته عبر صيرورة تخلصها من التبعية . ولذلك فهذه الامثلة اقرب الى التدليل على ما ذهبت اليه .

هذا عن تساؤل الدكتور عبد الحليم . اما بالنسبة للدكتور بو قمرة ، فالاختلاف بيني وبينه اختلاف في الموجة . فقد اخذ علي قولي بغياب المطالبة الجماهيرية بالتعريب ، ولكنه لمّا اراد اعطاء امثلة رجع الى عهد ما قبل الاستعمار ، في حين اني اشير الى مرحلة ما بعد الاستقلال .

واما الاستاذ الحبابي فقد تنبه الى مصدر السؤال الذي بدأت به عرضي : هل التعريب مشكل يطرحه المجتمع العربي على نفسه باعتباره قادراً على حله ؟ هو يقول : ولم لا ؟ واعتقد ان ما قلته كان اجابة على هذا السؤال . لقد حاولت ، على وجه التحديد ، ان اعرض بعض العوامل التي جعلت المجتمع العربي عاجزاً ـ واضيف بنيوياً ـ عن انجاز مشروع التعريب . اما عندما يقول ، عكساً لما ذهبت اليه ، بامكانية الرجوع الاستدلالي الى الماضي لاثبات امكانية التعريب ، فالملاحظ انه علل ذلك بأن اللغة العربية استطاعت ماضياً كذا وكذا ، في حين ان صعوبة الرجوع الاستدلالي هي نتيجة تغير معطيات خارج اللغة ، وأنا لا اتحدث عن قدرة اللغة داخلياً ، فهذا ليس من اختصاصي ، وإنما اتحدث عن عوامل سياقية خارج اللغة .

وأما عن العلاقة بين التعريب والديمقراطية وما ذهب اليه الدكتور الهرماسي من أنه يمكن أن تكون هناك ديمقراطية دون استعمال للغة الوطنية فلا اعرف مثلاً لذلك . واما مثال الهند الذي ذكره فلست متأكداً من أن هذا هو رأي المفكرين في الهند التي لا تكاد تتوقف فيها الاضطرابات يوماً .

واما ما أشار اليه د. خيرالدين حسيب من تمييز بين الوعي السياسي والمستوى الفكري فإن عمليتي التعريب والديمقراطية عمليتان متلازمتان فعلاً . واذا قلت غير هذا في عرضي فذلك من قبيل الاساءة في التعبير .

اختم بموافقة د. عاشوري على أن في قولي بأن الخطاب حول التعريب اصبح يدور حول نفسه شيئاً من الحيف . ولعله يحتاج الى بعض التعديل يدعو اليه ايضاً وجودنا هنا لطرح القضية طرحاً جديداً .

الفصل الرابع

مؤسسات التعريب في الوطن العربي: عرض وتحليل وتقويم نقدي

عبد العزيز بنعبد الله

مقدمة

هذه نظرة مكبرة عن المجامع العربية والاتحادات والهيئات اللسانية العربية التي تهتم باللغة العربية في العالم المعاصر ، وخاصة مجامع اللغة العربية بالقاهرة وبغداد ودمشق وعمان ، وأكاديمية المملكة المغربية بالرباط ، والاتحاد العلمي العربي ، مع تعريف كل هيئة تعريفاً دقيقاً من خلال رسالته السامية وأبعادها ، وبعض منجزاته ، وأساليب التنسيق بينها من خلال اتحاد المجامع العربية ، وكذلك مؤتمرات التعريب التي تشرف عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الاليكسو) ويعد لها مكتبها لتنسيق التعريب في الوطن العربي انطلاقاً من لجنة المكتب الاستشارية التي تضم رؤ ساء المجامع والاتحادات وبعض الهيئات اللسانية في الوطن العربي . ويهدف هذا البحث الى غايتين :

أولاهما ، اعطاء صورة عن الجهد الذي تبذله كل هيئة في مجال الاختصاص الموحد ، وهو اثراء اللغة العربية واحلالها المكانة اللائقة بها كلغة للحضارة والتكنولوجيا والعلم مع استيفاء المفاهيم المتجددة . وثانيتهما تنسيق كل هذه الجهود حتى لا يقع فراغ او تكرار . كل ذلك من خلال تنميط علمي تقني يتبلور في الرصيد اللغوي الضخم الذي بدأ مكتب تنسيق التعريب يخزنه في البنوك العالمية للمصطلحات الدولية موحداً مشكولاً يساعد على توحيد المصطلح العربي وضبطه ، لتنضبط بذلك الترجمة من العربية واليها في المحافل الدولية التي اصبحت لغة الضاد احدى لغات العمل بها .

أولاً : تنسيق التعريب

إن مكتب تنسيق التعريب المنبثق عن مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد بالرباط في شهر

نيسان / ابريل من عام ١٩٦١ ، هو الذي وجد من أجل تنسيق جهود الاقطار العربية في ميدان التعريب تحت اشراف جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) . وللمكتب منهجية في توحيد المصطلح العلمي العربي يحاول جاهداً وضع صيغة موحدة لها بالاتفاق مع كافة الهيئات المهتمة بالتعريب في الوطن العربي ، ومن ضمنها المجامع والجامعات . وقد عقد المكتب لهذه الغاية ندوة خصصت لتوحيد المنهجيات المتبعة في هذه الجهات حضرتها اكثر من عشرين هيئة مختصة في الوطن العربي ، الى جانب بعض فقهاء اللغة في العالم الاسلامي .

ويهدف مكتب تنسيق التعريب الى المساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ، ومواكبتها للعصر ، واستجابتها لمطالبه ، وتتبع ما تنتهي اليه بحوث المجامع اللغوية والعلماء ونشاط الادباء والمترجمين ، وجمع ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه تمهيداً لعرضه على مؤتمرات التعريب التي انعقد منها ، حتى الآن ، اربعة خصص الاول منها لتأسيس المكتب، واهتم الثاني بتوحيد مصطلحات التعليم العلمي (الكيمياء ، الجيولوجيا ، الرياضيات ، النبات ، الحيوان ، الفيزياء) ، كما وحد المؤتمر الثالث المعاجم التي تهم التعليم العام وهي : الجغرافية ، التاريخ ، الفلسفة ، الفلك ، الرياضيات ، الصحة ، الاحصاء . وأما الرابع فقد درس مشروعات معاجم التعليم المهني والتقني والتعليم العالي : (الطباعة ، الميكانيكا ، التجارة ، المحاسبة ، النجارة ، الكهرباء ، الهندسة المعمارية ، النفطيات ، الجيولوجيا ، الحاسبات الالكترونية) . ويقوم المكتب بمتابعة تنفيذ مصطلحات هذه المعاجم بالاتصال المستمر بوزراء التربية والتعليم في الاقطار العربية وكافة الجهات التي يعنيها الأمر قصد الالتزام بالمصطلحات الواردة في هذه المعاجم من قبل المدرسين والكتاب والمشتغلين بالاعلام في كل انحاء الوطن العربي .

وتعقد مؤتمرات التعريب مرة على الاقل كل ثلاث سنوات في احد الاقطار العربية لدراسة ما يقدمه اليها المكتب من ابحاث ومقترحات تتعلق بالتعريب، ويدعى للمشاركة فيها ، بالاضافة الى ممثلي الحكومات العربية ، ممثلون عن المجامع والجامعات والاتحادات العلمية والمنظمات والهيئات المختصة المعنيّة بالموضوعات المعروضة على المؤتمر ، بالاضافة الى العلماء اللغويين والافراد العلميين . ولمكتب تنسيق التعريب لجنة استشارية تتألف من سبعة اعضاء على الاقل واثني عشر عضواً على الاكثر تمثل فيها خاصة المجامع والاتحادات ، وتتولى اقتراح خطط عمل المكتب وبرامجه ، وتقويم ما يتم انجازه منها ، وتقديم الاقتراحات ، والنظر في مشروع الميزانية ، وتجتمع مرة كل سنة . كما أن دور لجان التعريب المشكلة في نحو خمسين جامعة عربية دور فعال في مساعدة المكتب لربط الاتصال بمختلف الاقسام العلمية في هذه الجامعات ، وموافاة المكتب بكل ما يتجمع لديها من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون ، بالاضافة الى المراسلين في اهم الهيئات العلمية ومختلف الكليات في الوطن العربي الذين يوافون المكتب بكل ما يعنّ لهم من مصطلحات او ملاحظات وتوجيهات .

وعمل المكتب ونشاطه لا ينحصران في نطاق الوطن العربي بل يتعديانه الى ربط العلاقات

التقنية ، وتبادل المنفعات العلمية في ميدان المصطلحات بينه وبين بعض المؤسسات الدولية المشابهة او المهتمة باللغة العربية ، وخزن المصطلحات في البنوك الدولية للمصطلحات كمؤسسة (ISO) في جنيف و (INFOTERM) في فيينا و (F.I.T.) في فرسوفيا و (SEMENS) و (INTERPART) في المانيا و (C.I.L.F.) في فرنسا،وغيرها من المؤسسات الدولية العاملة في حقل المصطلحات وتوثيقها ، كوكالة الرابط الدولي في روما ، وجمعية الجامعات في باريس ، والبنك الاقليمي للكلمات في كندا . وكل هذه المنظمات تمتلك بنوكاً للكلمات تستخدم في تجميع المصطلحات العلمية والتقنية وتنظيمها بتنسيق مع المكتب فيما يتعلق بالمصطلح العلمي العربي . واما الهيئات العربية المختصة فإن للمكتب روابط وثيقة مع كل من مركز التوثيق في جامعة الموصل ، ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط ، ومعهد اللسانيات بالجزائر ، ومعهد بورقيبة للغات الحية بتونس .

وهذا العمل الجماعي يؤدي حتماً الى تنميط جماعي في اطار مؤتمرات التعريب التي تعتبر الهيئة التشريعية في هذا المجال ، نظراً لاجماع الحكومات العربية المسؤولة الى جانب المجامع والجامعات ، ذلك الاجماع المتبلور في المشاركة الفعلية بأعداد متكاثفة من المتخصصين ، لا في تلك المؤتمرات فحسب ، بل في مجموع الندوات التي تدرس ورقات العمل المهيأة من قبل المكتب انطلاقاً مما نشرته وما توافيه به كل تلك الهيئات . واكبر دليل على وحدة هذا الاتجاه تبني كل من مجمعي بغداد ودمشق طبع المعاجم العلمية المصدق على مصطلحاتها عام ١٩٧٣ بالجزائر . كما أن هذا التنسيق في العمل لا يقف عند حد التنميط والتوحيد ،بل يظل التواكب مستمراً من خلال لجان المتابعة التي تسهر على ضمان حياة الكلمة الموحدة بتغذيتها بكل ما يستجد من مفاهيم تتطور بتطور العلم ، علاوة على ضرورة استيفاء المضامين العلمية بتقصي جداول وكشوف الدلالات التقنية التي تتزايد حسب وتيرة قد تصل يومياً الى عشرات المفردات . فالمجامع اذن ، تنسق عملها بدءاً بتواصلها الدوري ضمن اتحاد المجامع ، فيكون عملها منطلقاً رصيناً لتنسيق أوسع مع الجامعات عموماً ، ومع الاتحادات العلمية والتقنية ، كاتحاد الفيزيائيين والكيماويين والمهندسين ، والمنظمات العروبية المتخصصة في نطاق جامعة الدول العربية ، كمنظمات العمل والعلوم الادارية والاتحاد البريدي والطيران المدني وغيرها ، مما يساعد ، بادراتها الطيبة واسهاماتها البناءة ، على بلورة النمط الموحد في نسق يتسع شيئاً فشيئاً ، حسما لفوضى المترادفات وخلل الفراغات . وبذلك يملأ المكتب دورياً الخانات المخصصة للغة الضاد في الاشرطة المغنطية داخل البنوك العالمية للمصطلحات الدولية التي عيّن مدير المكتب اخيراً نائب رئيس بنك منها تابع لليونسكو .

ثانياً ـ المجامع والجامعات

وبهذا يتضح أن نشاط المجامع والجامعات في مجال حيوي كحقل التنميط اللغوي ليس نشاطاً فوضوياً حشوياً ، وإنما هو عمل منسق يستهدف تجنب التكرار والفراغ معاً ، استجابة

لداعي التطور ومقتضى الوضع الجديد للغتنا كأداة عمل في هيئة الامم المتحدة وفروعها في العالم . وان لغتنا ـ لغة القرآن ـ قد برهنت عبر العصور ، وخاصة عندما كانت لغة العلم والحضارة ، انها المنطلق الصحيح ـ كما يقول الاستاذ الفرنسي ماسينون ـ للمصطلح العلمي انبثق عنها أول ما انبثق ومن خلالها ليشع على العالم . ولكن تقاعسنا عن متابعة الرسالة التي اضطلع بها سلفنا من رواد الفكر في مختلف العلوم والمعارف هو الذي خلق هذه الحلقة المفقودة التي بدأت المجامع والجامعات تحقق وصلتها باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على منبر تتواكب فيه الطاقات والكفايات .

ويجدر بنا هنا التعريف بأهم لبنات هذا الكيان الضخم ، المجامع والاتحادات :

١ ـ المجمع السوري للغة العربية

تأسس المجمع العلمي العربي السوري عام ١٩١٩ أي قبل اثنين وخمسين عاماً ، وضمت اليه دار الكتب الظاهرية ، وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى . وقد مهد تأسيس مجمع دمشق السبيل لتأسيس مجامع علمية في اقطار عربية اخرى ، كالاردن ولبنان ، وان لم يكتب لمجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة الذي اصبح سباقاً الى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية . كما يقوم مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو أقدم المجامع في الوطن العربي ، ولا سيما أن اللغة العربية ، شأنها شأن سائر اللغات الاخرى ، لا تقوم على جهد فرد او افراد ، وانما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً . كما أن خدمتها والسهر على سلامتها يعود نفعهما على افراد أسرتها جميعاً لا على فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يصلها من علماء العربية في الاقطار كافة ، وترحب دائماً بالابحاث القيّمة والمقالات الرصينة . وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث ، وساعد المجمع على طبع بعض ما حققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم اغراضه ، وهي بعث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على القاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب على الاستماع اليها الرجال والنساء . وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة . كما جعل المجمع في جملة جهوده مراقبة الأقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الاقلام) فكان لهذه الناحية اثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام . وطبع المجمع منذ تأسيسه عشرات الكتب من عيون تراثنا الأدبي القديم حقق اكثرها اعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الاقطار العربية والاجنبية ، علاوة على عشرات المجلدات من مجلته .

٢ ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة

انشيء « مجمع اللغة العربية » في كانون الاول / ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وبدأ انعقاده في

تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٣٤ . ومنذ السنة الاولى من حياته ظل يعمل على تحقيق الاغراض التي انشيء من أجلها ، وأهمها المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . واتسعت اعمال المجمع سنة بعد اخرى ، وتنوعت نواحي نشاطه ؛ فمنها القرارات العلمية التي تنصب على ظواهر اللغة ، كالقياس والتضمين والنحت والتوليد والتعريب وترجمة المصطلحات وما اليها ، والقرارات التنظيمية التي توجه سير العمل في لجانه وهيئاته ، وتعين على تنفيذ خططه ومشروعاته ، والبحوث التي يلقيها اعضاء المجمع في مجلسه او في مؤتمره السنوي او التي تعد للنشر في المجلة ، والمصطلحات العلمية والفنية والفاظ الحضارة التي تقترحها لجانه ، او تعرضها عليه الهيئات العلمية والثقافية المختلفة في مصر او في غيرها من الاقطار العربية للمراجعة والاقرار . ومنها المشروعات المختلفة التي وجدت طريقها الى التجربة والتنفيذ ، كتيسير النحو والصرف ، وتيسير الكتابة العربية ، واختصار حروف الطباعة ، ووضع المعاجم المختلفة ، وانشاء الجوائز اللغوية والأدبية وما اليها .

وقد والت مجلة المجمع نشر كثير من هذه الاعمال ، وصدرت مجموعات خاصة بما تم اقراره من الوف المصطلحات العلمية والفنية ، وخرجت مجموعات بحوثه ومحاضراته في المؤتمرات الاخيرة ، ومعجمه الوسيط بجزأيه ، وثلاثة أجزاء من معجم ألفاظ القرآن ، وجزء يعد نموذجاً من المعجم الكبير . وقد جاءت القرارات ثمرة حركة دائبة في دورات متفرقة ، وجرى عليها من التمحيص واعادة النظر ما عدل في بعضها وأضاف جديداً الى بعضها الآخر ، على هدي من الترجمة او وجهات النظر المختلفة . ومن المفيد للمعنيين بهذه القرارات ومجالات تطبيقها أن يرجعوا الى البحوث المستفيضة التي القيت في شأنها ، والنقاش الذي دار حولها ، وما اثبتته مضابط المجمع من الاحتجاج لها . وسيجد المتتبع لها أن المجمع لم يبتدع فيها قواعد جديدة ، ولم يخرج بها عن طبيعة اللغة العربية ونظامها الموروث ، بل كانت وجهة الاجتهاد في تفسير ظواهر اللغة ، والمواءمة بين طبيعتها ومقتضيات الحياة الجديدة ، على أساس من الآراء والنظريات التي خلفها علماء ومؤلفون لهم مكانتهم في التراث العلمي العربي . وأوسع ابواب تلك القرارات واهمها :

أ ـ الباب الاول الذي عنون له بعنوان « في اقيسة اللغة واوضاعها العامة » ، وهو الذي اتجه فيه المجمع الى زيادة ثروة اللغة ، وتطويعها لمسايرة الحياة العربية الحديثة في علومها وفنونها وشؤ ون معيشتها اليومية ، واغنائها ما أمكن عن الاستعانة بالدخيل ، وذلك بالتوسع في صيغها ، والأخذ بمبدأ القياس في اشتقاقاتها ، استناداً الى ما قرره بعض الأقدمين من كبار علماء العربية من أن ما قيس على الوارد الكثير من كلام العرب فهو من كلام العرب .

ب ـ ومن أوائل الظواهر التي عالجها المجمع في دوراته الاولى ظاهرة « التضمين » ، وهو باب من ابواب التصرف في اللغة ، مؤداه التوسع في استعمال لفظ مكان لفظ آخر مناسب له لتحقيق فائدة بلاغية ـ على مثال ما كان يفعل العرب ـ فيعطي الاول حكم الثاني في التعدي

واللزوم . وقد قصد المجمع بالتنبيه الى هذا التصرف اللغوي الحد من ولوع بعض المعجميين المحدثين منذ مطلع القرن الحاضر ـ ولاسيما في مصر والشام ـ بتعقب ما زعموه اخطاء لغوية في كتابات كبار المؤلفين والكتاب والشعراء ، مما يدور في معظمه حول مسائل لزوم الفعل ، او تعديه بحرف جر خاص دون آخر . وكان النقاد في هذا يعتمدون الاعتماد كله على ما يجدون مثبتاً فيما بين أيديهم من معاجم اللغة . ومن الواضح ـ كما جاء في الاحتجاج لهذا القرار ـ ان في قياسية التضمين ، بشروطها التي استخلصها المجمع من كلام علماء النحو والبلاغة ، توسيعاً على المشتغلين بالتأليف والكتابة ، وتخفيفاً من غلواء الاقتصار على ما ورد في المعاجم .

ج ـ والناحية الثانية المهمة من نواحي هذا الباب محاولة التغلب على العقبات التي كانت تعترض سبيل العاملين على ايجاد اسماء عربية للمسميات الحديثة . ومن بين تلك العقبات الخلاف بين العلماء في القياسي والسماعي من المشتقات والمصادر . لذلك رأى المجمع ضرورة البت في هذه الناحية واجازة القياس فيها قبل الشروع في وضع مصطلحات العلوم ، وأسماء الآلات والأدوات الحديثة ، وأسماء الحرف والصناعات التي لم تكن تعرفها العرب ولا الدول الاسلامية الاولى ، او عرفتها ولم يضع علماؤ ها لها اسماء . فكان من ذلك القرارات الخاصة بقياسية بعض الصيغ ، مثل مصدر فعالة (بكسر الفاء) من الفعل اللازم المفتوح العين للدلالة على الحرفة أو شبهها ، وصيغة فعال (بضم الفاء) من الفعل اللازم المفتوح العين للدلالة على المرض ، وغيرهما مما جاء في القرارات . وقد أوضح الاحتجاج لهذا القياس أن ما قرر في هذه الصيغ وامثالها يوسع ابواب الوضع اللغوي ، ويعين اللغة على الاستجابة الناجحة لمطالب العلم والحياة الحديثة ، فيمكن مثلاً أن يصاغ على وزن « الفعالة » للحرفة : الدلاكة (لصناعة الدلك) ، والشعاعة (لصناعة التصوير بالاشعة) ، والوساطة (لصناعة القومسيونية) ، والصحافة ، والطباعة . . . الخ . وصيغة « فعلان » ـ بما تدل عليه من التقلب والاضطراب ـ تعين على استحداث مصطلحات لما يستلزمه كثير من الظواهر الطبيعية والكيميائية من احداث يصحبها زعزعة واهتزاز واضطراب ، كالجيشان والغليان والخفقان ، والموجان (لتتالي الموجات الكهربية في الاثير) والطرفان (لعمل من يطرف بعينيه كثيراً لمرض او خوف) . وصيغتا « فعال » و « فعيل » للصوت تساعدان على سد حاجات مبحث من اهم مباحث علم الطبيعة واكثرها تفريعاً وهو الصوت . والمصدر الصناعي الذي يصاغ باضافة الياء والتاء الى اسم الجنس يفيد في التعبير عن الهيئات والاحوال الدقيقة التي تتصل بحقائق الاجناس : كالحرية والانسانية والحيوانية والمفهومية والخصوصية وما اليها . ومثل هذا يقال في قياسية الاشتقاق ـ في لغة العلم ـ من اسماء الأعيان ، ففيها سد للحاجة الشديدة الى ايجاد افعال وصفات من غير المصادر : كأسماء الأعيان والجواهر المحسوسة في علوم الطبيعة والكيمياء والطب ، وفي الصناعات المختلفة ، فيقال مثلاً : مبلّر (من البلور) ، ومكهرب ممغطس . . . وهكذا . وقد نبّه المجمع في احتجاجه لهذا القرار الى أنه لم تقم عقبة في سبيل وضع اصطلاحات العلوم الكيميائية الطبيعية والطبية والحيوية اصعب من منع الاشتقاق من الاعيان ، وأنه ـ بقراره هذا ـ قد صان العربية عن العجز والاستخذاء امام المعاني العلمية الحديثة .

د ـ ومن القرارات الكبيرة المغزى في هذا الباب قرار قياسية تعدية الفعل الثلاثي بالهمزة .

فالفعل الثلاثي هو معظم افعال اللغة العربية ، وبه وبمصدره وبمشتقاته يؤدى كثير من اغراض المتكلمين باللغة ، وبخاصة اهل العلوم والصناعات . واختلاف معاني الفعل من حيث اللزوم والتعدي من اهم العوارض التي تعرض له . لهذا اتجه المجمع الى صيغة مختصرة تكفل تعدي الفعل فلم يجد اقيس ولا اخصر من التعدية بالهمزة .

هـ ـ ومما عني به المجمع في هذه القرارات احياء ما اهملت ذكره كتب اللغة من مصادر او افعال او مشتقات من غير الافعال ، وذلك بقراره تكملة فروع مادة لغوية ، ثم تعيين ما اهملت المعاجم النص عليه من جموع التكسير ، وذلك باقرار قياسية الغالب منها ، وتطبيق ذلك في معجمات لغوية تمتاز بذكر جمع لكل مفرد لم يمنع من جمعه نص قديم ، حتى تصبح معجماتنا غاية في الصحة والابانة ، ومراجع صادقة للعربية .

و ـ وكان من الطبيعي ـ والضروري ـ أن يعرض المجمع في دراساته وقراراته لموضوع الفصيح والمولد ، وأن يبت فيما دار من النقاش قديماً وحديثاً حول المولدين ، وما يمكن أن يحتج به من الالفاظ التي استعملوها ، فوضع في هذا قراراً فصل فيه بين ما يسوغ وما لا يسوغ من استعمالات المولدين . ومن قرارات هذا الباب المهمة قرار الاستشهاد بالحديث في اللغة ، وهو قرار له اثره البالغ في افساح مجال البحث في علوم اللغة ، وفي حسن الافادة من الثروة الضخمة التي تضمنتها كتب الحديث وغريبه . فقد استند القدماء من علماء العربية في اثبات الألفاظ اللغوية وتقرير الاصول النحوية الى القرآن المجيد وكلام العرب الخلص ، وجرى بينهم الخلاف في الاحتجاج بما يروى من الاحاديث النبوية ، ففريق لم يجيزوا الاستشهاد بها محتجين بأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، وبأن اللحن قد وقع كثيراً فيما يروى من الاحاديث . وفريق جوزوه محتجين بما انعقد عليه الاجماع من أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لهجة ، وان الاحاديث اصح سنداً مما ينقل من اشعار العرب ، وان الأصل في الحديث روايته على نحو ما سمع ، وان اهم العلماء قد شددوا في ضبط الفاظ الحديث وتحري نقله . وقد عني المجمع بأن يكون قراره في هذا شاملاً مفصلاً قائماً على تعرف الاوضاع الصحيحة لتراثنا الديني واللغوي .

ز ـ اما الباب الثاني من هذا التصنيف فقد ضم قرارات المجمع في الترجمة والتعريب وكتابة الاعلام الاجنبية . وموضوع الترجمة والتعريب يشكل جهازاً من أجهزة اللغة في زيادة ثروتها وتمكينها من التطور المخصب في وسائل تعبيرها . ولهذا الموضوع جوانب متعددة ناقشها المجمع وفصل فيها . فهناك مصطلحات وضع لها العرب قديماً الفاظاً عربية ، واخرى عرّبوها ونطقوا بها على صورة حفظتها الكتب ، ومصطلحات جدّت على المعرفة في العصور الحديثة . وهناك الطرق المختلفة بين البلاد العربية المعاصرة في التعريب او الترجمة ، ثم هناك طرائق اللغات الغربية فيما تضيف للألفاظ من صدور او تلحق بها من كاسعات او لواحق تستمدها غالباً من اللغتين اليونانية واللاتينية للدلالة على شبه ، او مبالغة ، او نقص ، او سلب ، او توليد ، او قياس ، او كشف ، او امتزاج، او غير ذلك مما تحفل به مصطلحات العلوم في العصر الحاضر . وقد اصدر المجمع في

كل هذا قرارات يسرت مهمة رجال العلم من العرب وهيأت اللغة القومية للاضطلاع بوظيفتها في تدريس العلوم في الكليات والمعاهد العربية .

وقد القى تعريب التعليم في الجامعات العربية على « مجمع اللغة العربية » عبئاً كبيراً ، واوحى اليه أن يخصص الشطر الاكبر من جهده ووقته في لجانه وفي مجلسه ومؤتمره لاقرار مصطلحات العلم ـ من مترجم ومعرّب وموضوع ـ والتنسيق فيها بين جهود الهيئات العلمية ، والعمل على توحيدها في البلاد العربية جميعاً . ولا يزال امام المجمع في هذا الباب مجال فسيح للعمل ، فالعلم الحديث يعدو عدواً في تقدمه ، والمعارف والمخترعات في ازدياد مطرد ، والامة العربية ماضية في نهضتها ، متطلعة الى ان تستعيد سابق مكانتها في رقي المعارف البشرية ، مصممة على ان تعود لغتها ـ كما كانت في القديم ـ في طليعة اللغات الاكبرى وفاء بمطالب العلم والفن والحياة .

ويتصل بموضوع التعريب كتابة الاعلام الاجنبية من تاريخية وجغرافية وغيرها . وهذا الموضوع يثير جملة من المشكلات والمسائل . فالأمم مختلفة طرائقها في نطق الاصوات والالفاظ ، وقد احتك العرب في القديم بحضارات تأثروا بها ، ودخل في استعمالهم الكثير من الاعلام الأجنبية من يونانية ولاتينية وفارسية وغيرها . وهم في حياتهم الحديثة دائبو الاحتكاك بالأمم المعاصرة من شرقية وغربية ، وحاجتهم اليوم الى تنظيم كتابة الأعلام الأجنبية في لغتهم تفوق حاجة اسلافهم فيها . ولذلك عني المجمع بأن يضع قواعد تسهل على المعربين الأعلام الأجنبية بما يقرب جرسها في اللغة العربية من نطقها في لغاتها الاصلية القديمة او الحديثة ، وأقر ادخال حروف جديدة في الابجدية العربية يشار بها الى الأصوات غير الموجودة في لغة العرب .

والباب الثالث يحتوي شقه الاول على القرارات التي اراد بها المجمع اصدار معاجم حديثة متنوعة تسد حاجة مختلف طوائف الناس والمثقفين ، كالمعجم الوسيط ، والمعجم الكبير ، ومعجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم الثياب ، والمعجم العلمي الصغير للتعليم الثانوي . ويجمع الشق الآخر من هذا الباب طائفة من التوجيهات الخاصة باختيار المصطلحات ، او وضعها وتعريفها ، وتهيئتها للاستعمال العام . وهذه التوجيهات تدور كلها حول الربط بين قديم اللغة وجديدها ، والافادة مما ضمّته الكتب العربية القديمة من مصطلحات علمية وفنية وحضارية ، واستقاء العناصر المعبرة من الفاظ الحياة اليومية من البيئات التي تستعملها ، وعرض الالفاظ والمصطلحات المختارة على الهيئات العلمية جمهرة الناس لترى فيها رأيها وتنقدها ، واشاعة الالفاظ التي يتم تمحيصها والموافقة عليها في دوائر التعليم ، وعن طريق الصحافة والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام . وكثير من قرارات هذا الباب ينحو منحى التوجيه للجان المجمع وخبرائه فيما يقومون به من جمع المصطلحات واختيارها وتعريفها وعرضها واعدادها لأن تأخذ أمكنتها في مختلف المعاجم .

ح ـ وتيسير النحو والصرف ، وتيسير الكتابة ، هما موضوع الباب الرابع . ففي تيسير النحو والصرف وجّه المجمع عنايته الى الزاوية التعليمية ، وحدد لنفسه ان يكون الهدف تيسير القواعد على صغار المتعلمين ، لا احداث اي تغيير في جوهر اللغة وأوضاعها العامة . فكان مما أقره الاستغناء عن الصيغ المألوفة في اعراب المبنيات والاسم الذي تقدر عليه الحركات ، والصيغ المألوفة

في الدلالة على العلامات التي تنوب عن الحركات الاصلية ، وعدم تكليف المبتدئين تقدير المتعلق العام للظرف وللجار والمجرور ، وعد كل ما يذكر في الجملة غير المسند اليه تكملة منصوبة (الا اذا كان مضافاً اليه او مسبوقاً بحرف جر او تابعاً من التوابع) ، ورأى الاكتفاء في اعراب المفاعيل (غير المفعول به) بذكر اغراضها جملة ، واختصار اعراب اساليب التعجيب والتحذير والاغراء ، مع توجيه العناية في دراستها الى بيان معانيها وطرق استعمالها ، ثم اختصار القدر الذي يدرس للمبتدئين من مسائل علم الصرف ، اذ أن اكثرها من بحوث فقه اللغة التي لا يحتاجها البادىء بل لا يصل اليها فهمه . وفي ضوء من هذه المفاهيم اقر المجمع منهجاً لأبواب النحو والصرف لتعليم تلاميذ المدارس ، ودعا الى تأليف كتاب على أساسه يعرض على مجلس المجمع لمواجهة واستكمال ما قد ينقصه .

واما تيسير الكتابة فقد عالجه المجمع في نواح ثلاث ، الاولى قواعد ضبط الهمزة وتنظيم كتابتها . فطالما كانت الهمزة وكيف تكتب باختلاف مواقعها في الكلمة مثار حيرة واضطراب بين المعلمين والمتعلمين وحملة الأقلام . وقد استقر رأي الجميع ، بعد محاولات متعددة ، على قواعد ميّسرة لا تخرج على ما انتهى اليه ائمة العربية من رسوم في شأنها ، ولكنها تستخلص من اقرب ما انتهوا اليه تناولاً ، وابعده عن تكليف المكاتبين ما يشق عليهم ملاحظته في رسم الهمزة .

والناحية الثانية ناحية وضع الشكل ، او ضبط الكلمات بالحركات . وقد كان هذا ايضاً مدار اختلاف فيما تخرج المطابع من كتب التعليم ، فبينما يخلو بعضها من الشكل خلواً تاماً ، يشكل بعضها شكلاً كاملاً . ومن الكتب ما يتفاوت فيه الشكل على غير نظام مرسوم تقضي به الحاجة ويتحقق النفع . ولعلاج هذه المشكلة وضع المجمع قواعد تنظيم ادخال الشكل في الكتب المدرسية مبيّناً ما يتبع في كل مرحلة من مراحل التعليم . وقد ابلغت هذه القواعد وزارة التربية والتعليم فأقرت وضعها موضع التنفيذ .

والناحية الثالثة ناحية تيسير الكتابة . وقد عني المجمع بهذه الناحية عناية متصلة منذ ١٩٣٨ حتى اتت ثمرتها بعد جهود مستمرة ومحالاوت مختلفة . والطريقة التي انتهى اليها المجمع اخيراً تقوم على أساس اختصار صور الحروف في صندوق الطباعة مع تنظيم الهمزات وتعديل بعض صور الأرقام .

٣ ـ المجمع العلمي العراقي

أ ـ مقره بغداد ، وله شخصية معنوية واستقلال مالي واداري ، ويرتبط بوزير التعليم العالي والبحث العلمي . ويسعى هذا المجمع الى تحقيق النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي والأدبي ، والمحافظة على سلامة اللغة العربية ، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون ؛ وسلامة اللغة الكردية ، والعمل على انمائها ووفائها بمطالب الحياة ؛ واللغة السريانية ، والعمل على انمائها وحفظ التراث السرياني ؛ واحياء التراث العربي

والاسلامي في العلوم والآداب والفنون ؛ والعناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه ؛ ونشر البحوث الاصيلة ، وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب والفنون .

ب ـ كما يتخذ المجمع العلمي العراقي الوسائل الملائمة لتحقيق اغراضه ، ومنها وضع مجمعات لغوية وعلمية ؛ ونشر الكتب والوثائق والنصوص القديمة ؛ واصدار المجلات والنشرات ؛ وتوثيق الصلات بالمجامع العلمية والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها ؛ والدعوة الى التأليف والترجمة في المواضيع التي يختارها ؛ واقامة الندوات للتدارس ؛ وانماء مكتبات المجمع واستكمال شؤون الطباعة فيه .

ج ـ ويتألف المجمع من : اعضاء عاملين ، وعددهم ثمانية وثلاثون عضواً ، واعضاء مؤازرين ، واعضاء شرف . ويشترط في العضو العامل ، أن يكون عراقياً لا يقل عمره عن ثلاثين عاماً ، وله اطلاع حسن في قواعد اللغة العربية ، واطلاع واسع في فرع ، او اكثر ، من فروع المعرفة ، ونتاج اصيل فيه ، واتقان للغة العربية وتضلع في احدى اللغات الحية او القديمة ، وقدرة على تحديد المصطلحات واختيارها ؛ وفي العضو المؤازر ، أن يكون ذا اطلاع حسن في قواعد اللغة العربية ، او في لغة الهيئة الخاصة به ، واحاطة بالغة في فرع من فروع المعرفة ، وله نتاج حسن فيه . وفي عضو الشرف ، أن يكون ممن قدم خدمة جليلة للعلم . وتتم عضويته بترشيح احد اعضاء المجمع العاملين ، وموافقة الاكثرية في جلسة صحيحة ، ولا تكون جلسة الانتخاب قانونية ، الا اذا حضرها ثلثا الأعضاء العاملين على الأقل .

ويرشح العضو العامل ، بتزكية مكتوبة من عضوين عاملين ، يعرضان فيها صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية او الادبية ، ويتم انتخابه بالاكثرية المطلقة للاعضاء العاملين ، وبالاقتراع السري ، ويصدر مرسوم جمهوري بتعيينه بعد انتخابه .

وينتخب العضو المؤازر ، بتزكية مكتوبة من عضوين عاملين ، يعرضان فيها صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية او الأدبية او اللغوية لعضوية المؤازرة ، وتتم عضويته بموافقة اكثرية الاعضاء الحاضرين بالانتخاب السري في جلسة صحيحة ، ولا تعتبر جلسة الانتخاب صحيحة ، الا بحضور ثلثي الاعضاء العاملين على الاقل .

د ـ وللمجمع ديوان للرئاسة ، يتألف من الرئيس ونائبين ، اول وثان ، ورئيس هيئة اللغة الكردية ، ورئيس هيئة اللغة السريانية ، وعضوين عاملين ، ويعمل على تحقيق اهداف المجمع ، وفقاً لما نص عليه القانون . وينتخب هذا الديوان من بين الاعضاء العاملين بجلسة صحيحة ، وبالتصويت السري ، لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . ولرئيس المجمع الاختصاصات والصلاحيات المخولة للوزير المختص في جميع القوانين والأنظمة ذات العلاقة . ويقوم النائب الاول مقام الرئيس عند غيابه ، فإذا غاب كلاهما قام النائب الثاني مقام الرئيس ، فإذا غابوا قام اكبر الاعضاء سناً مقام الرئيس .

وللمجمع امين عام يختار من بين اعضاء المجمع او من غيرهم بترشيح من ديوان الرئاسة ،

وهو مقرر لهذا الديوان ، ومسؤول عن تدوين محاضر جلسات المجمع ومقرراته وحفظها ، وتبليغ دعوات اجتماعه وتنظيم مراسلاته .

ويتولى الشؤون الادارية والمالية في المجمع ، مدير عام ذو شهادة عالية في القانون او الادارة ، وخبرة لا تقل عن خمس عشرة سنة في مجال اختصاصه ، ويمارس الصلاحيات الممنوحة لرئيس الدائرة بموجب القوانين والانظمة ذات العلاقة .

هـ ـ وللمجمع لجان دائمة تختص كل منها بفرع من فروع المعرفة ، وله أن يؤلف لجاناً مؤقتة من الاعضاء العاملين او من سواهم ، يعهد اليهم ببعض الاعمال . وتكون هذه اللجان الدائمة والمؤقتة من الاعضاء العاملين ، ويجوز له أن يضم اليهم من يختارهم من غيرهم . وتنتخب كل لجنة مقرراً لها من الاعضاء العاملين. ولا يجوز أن يشترك العضو العامل في اكثر من ثلاث لجان .

و ـ وقد قام المجمع بطبع مجموعة من الكتب على حسابه الخاص واشترى حق تأليفها. وبلغ عدد هذه الكتب حتى نهاية عام ١٩٦٩ اكثر من مائة بينها معاجم ومخطوطات محققة عن تاريخ بغداد وباقي البلاد العربية . كما اهتم بمجلته اهتماماً خاصاً واولاها عنايته لكي تقوم باداء المهمة التي توخيت من اصدارها وهي خدمة اغراض المجمع في نشر البحوث اللغوية والأدبية والتاريخية والعلمية .

٤ ـ مجمع اللغة العربية الاردني

أ ـ كان قد تألف منذ عام ١٩٥٧ مجلس لتوجيه سياسة البحث العلمي في الاردن يتم تمويله من الهبات الخارجية التي يحصل عليها ، بالاضافة الى ميزانيته الخاصة الممنوحة له من الدولة ، ويرأسه عادة وزير التربية وفيه تسع لجان هي : اللجنة التنفيذية ، واللجنة المالية ، واللجنة الزراعية ، واللجنة الصحية ، ولجنة العلوم والطبيعة ، ولجنة العلوم والهندسة ، ولجنة الأبحاث الاقتصادية ، ولجنة العلوم الاجتماعية ، ولجنة ابحاث الطاقة الذرية ، ويتكون مجلس الامانة العامة فيه من خمسة اعضاء .

ب ـ وفي تموز / يوليو سنة ١٩٧٦ صدر (قانون مجمع اللغة العربية الأردني) ، وهو ينص على أن يؤسس في المملكة الاردنية الهاشمية مجمع يسمى « مجمع اللغة العربية الاردني » يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي واداري . وقد تمت الخطوات التأسيسية الاولى للمجمع الذي حرص على أن يجعل من نفسه نافذة مفتوحة على النهضة الثقافية في الاردن ، وعلى الاوساط المثقفة والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها ، باقامة المواسم والندوات الثقافية .

ج ـ وتحقيقاً لهذه المشاركة الواسعة كان أهم قرارات المجمع : حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية ، ضمن مشروع لتوحيدها في العالم العربي ؛ وترجمة الكتب العلمية الجامعية

ضمن حملة مركزة لأجل تعريب التعليم العلمي الجامعي . وتعريب المصطلحات العلمية والفنية الاجنبية المستعملة في مختلف الدوائر والمرافق الحيوية في الاردن . وسعى المجمع ، بعد الفراغ من تعريب هذه المصطلحات ، الى الاستئناس بآراء المجامع الزميلة ، ورأي مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، من اجل توحيدها في الوطن العربي برمته منعا للازدواج والتعدد في المصطلحات .

وهكذا نرى المجمع يعمل لاشاعة الوعي اللغوي ، والحفاظ على سلامة اللغة العربية التي هي أساس في الكيان القومي ، ولا سيما حين يرتبط المجمع بالمؤسسات التعلبمية وبالأوساط الثقافية ، يعطيها ويتلقى منها ويتفاعل معها ، ويتعاون مع الجامعتين الاردنيتين القائمتين في تعريب العلوم ، ولا سيما بعد أن تعددت الكليات العلمية بالاردن ، واصبح من الضروري تذليل الصعوبات التي تعترض تعريب التعليم العلمي الجامعي .

د ـ كما أن نشاط هذا المجمع دليل على أن وجود المجامع الثلاثة السابقة لا يغني عن قيام مجمع في كل بلد عربي . فالمصطلحات والكتب العلمية التي نحتاج الى تعريبها وترجمتها لاجل اللحاق بالعصر ، اكثر بكثير من أن تكفي لها ثلاثة مجامع عربية . وان اي مجمع جديد ، في أي بلد عربي آخر ، سيكون عوناً كبيراً لتقدم اللغة العربية في حقول المصطلحات العلمية والفنية والمهنية المتعددة . ومن الأدلة البارزة على أهمية وجود المجامع اللغوية العربية أن مجمع دمشق ، حينما انشىء في عهد الحكومة الفيصلية ، كان عاملاً كبير الأهمية في تعريب الادارة ولغة الدوائر الحكومية ولغة التدريس . فلقد أخذت الدوائر المختلفة ، ابتداء بدائرة المعارف ، ثم الزراعة ، ثم الشرطة وغيرها ، تبعث اليه بالمصطلحات التركية فيحولها الى مصطلحات عربية . وبفضله استطاعت سوريا الانتقال من العهد التركي الى العهد العربي[1] .

هـ ـ ويعمل المجمع على تحقيق الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة ؛ وتوحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون ، ووضع المعاجم فيها بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها ؛ واحياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والآداب والفنون . وتحقيقاً لهذه الغايات يقوم المجمع بالدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية ، وتشجيع التأليف والترجمة والنشر ، واجراء المسابقات لذلك ، وانشاء مكتبة للمجمع ، وترجمة الروائع العالمية ، ونشر الكتب المترجمة الى العربية ومنها ، وعقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها ، واقامة المواسم والندوات الثقافية . ونشر المصطلحات الجديدة التي يتم توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الاعلام ، وتعميمها على أجهزة الدولة ، واصدار مجلة دورية تعرف باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني) .

و ـ وقد شاء المجمع أن يقطع الطريق على المنادين بتعليم العلوم بلغة اجنبية ، متذرعين

---

(١) راجع تقرير المجمع الاردني لعامه الأول .

بعدم وجود كتب لهذا الغرض باللغة العربية ، وان العربية ليست لغة علم وحضارة ، فعمد الى اختيار بعض كتب العلوم التي تدرس في السنة الأولى في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك . وعهد بترجمتها الى العربية الى لجان من اعضاء الهيئات التدريسية . وكان من أثر التشجيع الواسع الذي لقيته هذه الخطوة الجريئة ، ان المجمع أخذ يفكر في أن يستمر في اغناء اللغة العربية بمثل هذه الترجمات العلمية النافعة للكتب التي تدرس في الجامعات من جهة ، ومن جهة اخرى لكتب المراجع العلمية ، لتوفيرها للدارسين والمدرسين . وبهذا يكون المجمع قد وضع الأساس العلمي لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات ، والافكار العلمية والتقنية معاً ، وجعلها تقف على قدم المساواة مع لغات العلم في العالم .

٥ ـ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

تأسس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في ٣٠ نيسان / ابريل ١٩٧٠ ، وله شخصية معنوية مستقلة ، ومقره القاهرة . ويتألف الاتحاد من : مجمع اللغة العربية في دمشق ، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، وكل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله . وأهدافه : تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية ، وتنسيق جهودها في الامور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

أ ـ يدير اعمال الاتحاد مجلس يسمى « مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية » ، ويتألف من عضوين من كل مجمع لغوي ، يختارهما المجمع العضو ، لمدة اربع سنوات قابلة للتجديد . وينتخب اعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين مساعدين ، لمدة اربع سنوات قابلة للتجديد ، ويجتمعون مرة على الاقل كل سنة في دورة عادية يحدد مكانها وزمانها بقرار من المجلس . ويجوز أن يجتمع بدعوة من امين عام الاتحاد بناء على طلب مجمعين على الاقل في دورة غير عادية عند الضرورة .

ب ـ ويهتم المجلس بصورة خاصة بالنظر في الاعمال السنوية لمكتب الاتحاد واقرارها ؛ وتنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها ؛ والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها المجامع المختلفة ، واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك ؛ ووضع المشروعات التي تحقق اهدافه ، والاشراف على اعمال مكتب الاتحاد ؛ والنظر في الاقتراحات المتصلة باهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في الوطن العربي او خارجه ؛ وتنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق اهداف الاتحاد تشترك فيها المجامع الاعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

٦ ـ الاتحاد العلمي العربي

يضم الاتحاد العلمي العربي عدداً كبيراً من الجمعيات العلمية ، يرجع تاريخ بعضها الى اكثر من قرن ونصف من الزمان ، مثل المجمع العلمي المصري . وأغلبها مصاحب للنهضة العلمية الحديثة التي زامنت انشاء الجامعات الحديثة في البلاد العربية منذ عشرينات القرن الحالي ، وكثير منها انما رأى النور في اربعيناته او خمسيناته ، وما زال بعضها يولد . ويمكن القول ، بصفة عامة ، انها متأخرة عن نظائرها في اوروبا بقرنين او ثلاثة قرون ، وان عدت وثباً لتلحق بها في الانتاج بل لتحتذيها وتواكبها بفضل اولي العزم من رجالها والقائمين بالامر فيها .

تم انشاء هذا الاتحاد العلمي العربي منذ عام ١٩٥٣ لتحقيق نهضة علمية شاملة في البلاد العربية ، وتكونت له لجنة تأسيسية ، وتم اقراره في بيت مري بلبنان سنة ١٩٥٤ . وهو هيئة علمية مركزية ، مقرها القاهرة ولها شعبة في كل قطر عربي ، تهدف الى جمع شمل العلماء العرب ، افراداً وهيئات ، وتنسيق جهودهم وتنمية الانتاج العلمي في البلاد العربية بكافة الوسائل لتحقيق نهضة شاملة . ويديره مجلس مؤلف على الاكثر من ثلاثة اعضاء منتخبين ومدة عضويتهم ثلاث سنوات . ويضم هذا الاتحاد :

أ ـ الاتحاد العلمي المصري الذي هو الشعبة المصرية فيه ، وكانت تضم عام ١٩٥٥ عشرين جمعية علمية هي المجمع العلمي المصري ، والاكاديمية المصرية للعلوم ، والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية ، والجمعية الطبية المصرية ، والجمعية المصرية لعلم الحشرات ، والجمعية الكيميائية المصرية ، وجمعية المهندسين المصريين ، وجمعية خريجي المعاهد الزراعية ، والجمعية الجيولوجية المصرية ، وجمعية خريجي كليات العلوم ، والجمعية النباتية المصرية ، والجمعية المصرية للعلوم الوراثية ، والجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، والجمعية المصرية لعلم الحيوان ، والمجمع المصري للثقافة العلمية ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الطبيعة ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الجيولوجيا ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الفلك ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلوم الحياة .

ثم ضمت اليه ثماني جمعيات هي الجمعية المصرية للصحة العقلية ، والجمعية المصرية للانتاج الحيواني ، والجمعية المصرية للتأمين ، والجمعية المصرية للعلوم المكروبيولوجية ، وجمعية علم الحيوان بالجمهورية العربية المتحدة ، وجمعية الملاحة الفلكية ، والجمعية المصرية للنظائر المشعة ، والجمعية البيطرية المصرية .

ب ـ الاتحاد العلمي الاردني الذي يضم الجمعية الاردنية للعلوم ، وجمعية الزراعيين الفنيين الاردنية ، وجمعية المهندسين الاردنية .

ج ـ الاتحاد العلمي السوري الذي يضم جمعية العلوم الرياضية السورية ، وجمعية العلوم الفيزيائية السورية ، والجمعية الكيمياوية السورية .

د ـ الاتحاد العلمي العراقي الذي يضم الجمعية الطبية العراقية ، والجمعية الزراعية العراقية ، وجمعية علوم الحياة العراقية ، وجمعية العلوم الرياضية والفيزيائية ، وجمعية المهندسين العراقية ، وجمعية الاطباء البيطريين العراقية ، والجمعية الكيميائية العراقية ، وجمعية الكيميائيين الصناعية ، وجمعية البحوث العلمية العراقية .

هـ ـ واننا لنأمل أن يكون في قيام الاتحاد العلمي العربي وشعبه في البلاد العربية ، تكتيل للقوى العلمية في البلاد العربية ، لتعمل على تحقيق نهضة علمية شاملة ، تدعم الكيان القومي في الامة العربية ، وترفع مستوى الحياة بين شعوبها باستغلال كافة امكانياتها ، وتحدث في الوطن العربي من اقصى الخليج في الشرق الى شاطىء المحيط في الغرب ، نهضة علمية عارمة تواكب ركب الحضارة وتدفعه بالمناكب وتحتذيه ، ان لم تسبقه لتكون في الطليعة فتعيد مجد الامة العربية حين سطعت حضارتها في سماء الحضارة الانسانية ، وسيطرت على العالم المتحضر آنئذ ، وقادت النهضة الانسانية ابرع قيادة . كما نرجو أن تسارع الاقطار العربية التي لم تشترك بعد في الاتحاد في تكوين شعبها ، حتى تأخذ نصيبها في تحقيق النهضة المرموقة(٢) .

٧ ـ اكاديمية المملكة المغربية اكاديمية شرقية افريقية متوسطية

تتميّز هذه الاكاديمية بالطابع الحضاري والعلمي ، « لتضطلع بدور يجعلها صلة وصل واداة ربط وعامل تأليف بين الأمم والحضارات في أوروبا وافريقيا وعالمي البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي » . وهذه نظرة موجزة عن الاسباب الأساسية التي جعلت تلك المؤسسة الدولية تحظى بالمكانة المرموقة التي تحتلها . فإنه :

« نظراً الى موقع المغرب الجغرافي في مفترق القارات الذي يحدد وجهته التاريخية ويفرض عليه أن يضطلع بدور يجعله صلة وصل واداة ربط وعالم تأليف بين الامم والحضارات في اوروبا وافريقيا وفي عالمي البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي ،

« ونظراً الى أنه يجب القيام بهذا الدور ايضاً بين الماضي والمستقبل وبين مستلزمات التقاليد ومتطلبات التقدم ،

« ونظراً الى العمل الجليل الذي يمكن للمغرب أن يقوم به داخل حظيرة الاسلام وخارجها في سبيل الدفاع عن القيم الروحية ضاماً في ذلك جهوده الى جهود جميع الذين يجعلون من هذه القيم أساساً لسلوكهم كيفما كانت معتقداتهم في شكلها وأسلوب التعبير عنها ،

« ونظراً الى المكانة الراجحة التي تحتلها العلوم التجريبية والتقنيات في العالم الحديث ، والى المنافع التي يمكن أن تجلبها لجميع الشعوب السائرة في طريق التطور بشرط أن تأتمر في طريق استعمالها ومختلف فتوحاتها بما تقتضيه القيم الخلقية السامية ، وان تخضع لقانون صادر عن تبصر وحكمة ،

---

(٢) راجع بحثاً للدكتور عبد الحليم منتصر الامين العام السابق للاتحاد في العدد الاول من مجلة اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط .

« ونظراً الى الفوائد والمكتسبات السليمة التي هي ثمرة التبادل العلمي بين الأقطاب الذين يمثلون مختلف الثقافات ومجالات التخصص ،

« ونظراً الى أن سلطان الدولة يجب أن يعترف بسلطان الفكر ويحيطه بما هو اهل له من اجلال واكرام ،

«وشعوراً منا بالخير الذي يمكن لشعبنا العزيز وللشعوب القريبة والبعيدة التي تربطه بها روابط التاريخ والصداقة او الأمل أن تجنيه من وجود مؤسسة عليا تستطيع بحكم طبيعتها الذاتية أن تضمن بكيفية فعّالة تحقيق المبادىء المشار اليها أعلاه،

« ورغبة منا في أن تتخذ هذه المؤسسة شكل أكاديمية وتحمل هذا الاسم وتستظل بحمايتنا ورعايتنا المباشرة ،

« ورغبة منا في أن تتألف هذه الاكاديمية من رجال بلغوا بفضل دراساتهم وانتاجهم وأعمالهم اسمى الرتب ، واكتسبوا اكبر كفاية في جميع الميادين، وأسدوا الى بلادهم أجل الخدمات ، وحققوا لها أعلى مراتب الشفوف ،

« ورغبة منا ايضاً في أن تتكون من هؤلاء الرجال جمعية تسود المساواة بين افرادها وتختار اعضاءها بكامل الحرية دون مراعاة اي اعتبار كان ، سوى الاستحقاق الشخصي ، ودون أن تتقيّد صحة انتخابهم بأي شرط عدا قبول جلالتنا الشريفة ،

« قررنا : احداث جوائز ومكافآت لتكريم او تشريف المنتجات والاعمال والاشخاص المتوفرين بصفة خاصة على مميزات الجدارة والاستحقاق في مجال الثقافة والحضارة ، والسهر ، بتعاون مع الهيئات المختصة في الميدان المقصود ، على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب ، وعلى اتقان الترجمة من اللغة العربية واليها وابداء الآراء السديدة في هذا الموضوع ، وتقديم تقارير او نظريات حول جميع المسائل الداخلية في اختصاص الاكاديمية التي يتفضل جلالة الملك بعرضها عليها ،

« تتألف الاكاديمية من ستين عضواً من بينهم ثلاثون من مواطني المملكة الذين يحملون صفة اعضاء مقيمين ، وثلاثون من الشخصيات المنتمية لجنسية أجنبية يخولون صفة اعضاء مشاركين » .

٨ ـ المجمع العلمي الهندي

يتخذ المجمع العلمي الهندي جامعة عليكرة الاسلامية بالهند مقراً له ، ويهدف الى تشجيع الدراسات العربية الاسلامية وتطويرها . ويصدر منذ سنة ١٩٧٦ مجلة بإسمه مرتين في السنة يسهم في تحريرها نخبة من ابرز المستشرقين والمستعربين في العالم تتطرق الى مشاكل اللغة العربية ووسائل تطويرها كلغة لكل مسلم في العالم .

ويتألف المجمع العلمي الهندي من اثني عشر عضواً عاملاً وعدد من الأعضاء المراسلين ومن ضمنهم الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، واستاذ بجامعة القرويين ودار الحديث الحسنية .

خاتمــــة

ونختم البحث بالحديث عن مشكل الالتزامية في تطبيق المصطلحات الموحدة ، وهو مشكل مهم جداً أثاره المكتب منذ عام ١٩٧٣ بمناسبة تصديق مؤتمر التعريب الثاني على المصطلحات العلمية للسلك الثانوي في ست مواد . وكان وزير التربية الجزائري آنذاك قد أعلن رسمياً التزام الجزائر بتطبيق كل مصطلح يتم تنميطه في احد مؤتمرات التعريب .وأشار جنابه آنذاك الى نداء وجهه فخامة الرئيس هواري بومدين الذي تعهد باثارة القضية على أعلى المستويات خلال احدى دورات اجتماع القمة لملوك ورؤساء الاقطار العربية . غير أن شيئاً من ذلك لم يتم ، فاضطر المكتب أن يثير القضية من جديد على صعيد رسمي بمناسبة اجتماع وزراء التربية والتعليم العرب في المؤتمر العام الذي انعقد بالخرطوم عام ١٩٧٨ . وقد قدمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم آنذاك مشروع قرار بهذا الصدد للمؤتمر ، ولم تكتف منظمة « الاليكسو » بهذا ، بل ضربت المثل باشرافها ، عن طريق ادارة العلوم ، على تصنيف سلسلة من الكتب الدراسية الثانوية في المواد التي وحدت مصطلحاتها ، وهي الكيمياء ، والفيزياء ، والرياضيات ، والنبات ، والحيوان ، والجيولوجيا . وقد صدر فعلاً جزء كبير من هذه السلسلة حققت فيها المنظمة هدفين اثنين بتوحيد المناهج العلمية في الوطن العربي على المستوى الانساني والالتزام في آن واحد باستعمال المصطلحات الموحدة . وقد طبع جزء كبير من هذه المصنفات ووزع في الوطن العربي الذي لا يستعمل سواها . وهذه اول مرة في تاريخ الوطن العربي يشعر المواطن العربي بأنه يستعمل نفس الكتاب ، بنفس المضمون ونفس المصطلحات ، في مجال اصبحت الوحدة فيه ضرورة حتمية ، لأن العلم لا يتحمل اي لبس أو غموض ، ولأن الدقة هي المعيار الاساسي لتطور الفكر العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي المعاصر . على أن المنظمة العربية للتربية والتربية والثقافة والعلوم لم تكتف بهذا ، بل اهتبلت كل فرصة سانحة لتذكير المسؤولين في الوطن العربي بواجبهم في هذا الباب . وتوجد في كل مؤتمر للتعريب ضمن جدول الأعمال مادة اساسية هي تقارير الاقطار العربية بخصوص تطبيق ما تم توحيده من المصطلحات الموحدة .

وقد بدأت هذه الجهود تؤتي أكلها ، وآخر ما توصلنا اليه في الموضوع هو رسالة من وزارة التربية السعودية تؤكد فيها أن جميع الاجهزة التابعة لها تطبق المصطلحات الموحدة وتلتزم بها . على أنه ليس من السهل ضمان الزامية ما في هذا الباب الا بعد فترة من المخاض يطبق خلالها المصطلح المختار ويقتنع الكتّاب والعلماء العرب بصلاحيته وفعاليته قبل أن يدخل تلقائياً في الاستعمال اليومي الموحد .

تعقيب ١

عبد الكريم خليفة

كان من دواعي سروري أن يقوم مركز دراسات الوحدة العربية بدعوتي ، للمشاركة في هذه الندوة « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » ، وان يطلب الي أن أعقب على بحث الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله : « مؤسسات التعريب في الوطن العربي عرض وتحليل وتقويم نقدي » .

لقد قدم الاستاذ الجليل بحثه في ثلاث صفحات ، تحدّث في معظمها عن « مكتب تنسيق التعريب » ، ثم عرض نشوء مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وعمان ، وأكاديمية المملكة المغربية في الرباط ، والاتحاد العلمي العربي ، خلال بعض النصوص من قوانينها وأنظمتها في معظم الاحوال . ولدى قراءتي هذا البحث القيّم ، وجدت أن الاستاذ الجليل قد نأى بنفسه عن جوانب « التحليل والتقويم النقدي » . وانني أشاركه في وجهة النظر هذه ، اذ ان تحليل اعمال مجامعنا التي نعتز بها ، وتقويمها النقدي ، مهمة شاقة يجب أن يتولاها كل مجمع على حدة ، بتكليف بعض الباحثين المتخصصين القيام بدراسات علمية موضوعية يكون هدفها التحليل والتقويم النقدي . وربما كان « اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية » هو الجهة المدعوة للقيام بمثل هذه الدراسات وتنظيمها ، ولاسيما اننا ننظر بآمال كبيرة الى اليوم الذي يقوم فيه مجمع واحد للغة العربية في جميع ارجاء الوطن العربي .

ومن هذا المنطلق سأتجه في تعقيبي لاستدراك ما فات الباحث ، وتصويب بعض الحقائق ، متمنياً على أجهزة الطباعة والتدقيق أن تبذل جهدها للتقليل من الاخطاء اللغوية والمطبعية . ونحن في احاديثنا عن « التعريب » نقصد معناه الشائع الذي اكتسبه في العصر الحديث ، من حيث جعل اللغة العربية لغة الثقافة والعلم والتقنيات الحديثة . ولا شك أن تحرر الامة واستقلالها لا يمكن أن يتم الا باستعادة هويتها ، وتحقيق شخصيتها من خلال لغتها واحياء تراثها ، لكي تصل ماضيها بحاضرها ، وتصبح بالتالي قادرة على رؤية المستقبل . ولذا نجد أن اللغة العربية كانت من أهم

القضايا التي عني بها مفكرو العرب منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين . ويستطيع المؤرخ أن يرى مدى مسايرة التعريب ، والعناية باللغة العربية ، لتيار التحرير من نير الاستعمار بجوانبه المتعددة ، وبناء نهضة العرب الحديثة وتحقيق وحدتهم عبر أقوى واصدق روابط الانتماء وتكوين وحدة الأمم .

بدأ كل قطر عربي يتحرر ، مركّزاً اهتمامه على استعادة هويته من خلال استعادة اللغة العربية ، لا لأنها لغته القومية فقط ، ولكن لأنها لغة القرآن الكريم وتراثه الاسلامي الذي يمتد عبر القرون . ان هذه اللغة الفصيحة التي حفظها النص القرآني لتشكل بحق جوهر وحدة هذه الامة . ولقد نشأت مؤسسات تعنى بالتعريب في اقطار الوطن العربي ، وكانت هذه المؤسسات تكثر وتقل ، وتنشط وتتراجع وفقاً للاوضاع السياسية التي تجتاحها . ومن أهم هذه المؤسسات ، وأسبقها في التطور، المجامع اللغوية ، والجامعات والمعاهد ، والمنظمات العربية الوحدوية .

وكان أول هذه المجامع « المجمع العلمي العربي » بدمشق . وقد سها الاستاذ بنعبدالله في بحثه ، فجعله « المجمع السوري للغة العربية » ، ثم بدأ الحديث فقال : تأسس المجمع العلمي العربي السوري . . . . الخ . ونحن نرى تحديد الاسم في المنشور العام الذي صدر باسم رئيس المجمع العلمي في شهر ايلول / سبتمبر ١٩١٩ باللغتين العربية والفرنسية ، وأرسل الى المجلات والمجامع في الشرق والغرب ، لتبادل الافكار وتوثيق العلاقات بينه وبينها . وقد جاء في اعلى الصفحة : الحكومة العربية ، المجمع العلمي العربي بدمشق Academie Arabe à Damas .

بدأ المنشور بقوله : « تألف مجتمعنا العلمي العربي في اوائل ١٩١٩ . . . . الخ » ويظهر جلياً أن لفظة « المجمع » وضعت مقابلاً للفظة الفرنسية Academie وهي بدورها مأخوذة عن اللاتينية Academia نقلاً عن اليونانية ، نسبة الى البطل الاثيني اكاديميوس الذي كانت له حديقة يجتمع فيها الفلاسفة ، ومنهم سقراط وافلاطون . ولهذا سمي كل مجتمع للتعليم والمناقشة والخطابة اكاديمية[1] . ويلاحظ أن وصف هذا المجمع بكلمة (العلمي) لا يراد به الاختصاص بالعلوم (Sciences) بمعناها الحديث ، وانما يعني هذا المفهوم في التراث العربي الحديث عن « العلوم اللغوية والادبية وغيرها . . . . . . » . وأما وصفه (بالعربي) ، وعلى حد تعبير الاستاذ الفتيح ، فلأن المجمع اسس في عهد الحكومة العربية الاولى في العصر الحديث .

وكان بودي أن يتوقف الباحث الجليل عند هذا المجمع الرائد في الوطن العربي ، سواء من حيث تاريخ نشوئه ، او من حيث الدور الكبير الذي اضطلع به مع الجامعة السورية بدمشق في مجال تعريب العلوم ، وتدريس الطب والحقوق باللغة العربية ، منذ اكثر من ستين عاماً .

من ناحية أخرى ، كان نشوء المجمع العلمي العربي « بدمشق » صورة فعلية لمدى مسيرة التعريب وتوافقها مع مسيرة حركة التحرر والانعتاق من نير الاجنبي ، والعمل على تحقيق الوحدة

(١) انظر : احمد الفتيح ، تاريخ المجمع العلمي العربي (دمشق: المجمع العلمي العربي ،١٩٥٦)، ص١.

العربية ، سواء أكان ذلك في عهد الحكومة العربية ، أم في عهد الانتداب ، ام في عهد الاستقلال . فلما قامت الثورة العربية عـام ١٩١٦ ، وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية في ربوع الشام في ٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩١٨ ، واجهت فيما واجهت من الصعوبات قضية اللغة العربية ، لأن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية في البلاد . فأنشأت الحكومة العسكرية ، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني / نوفمـبر ١٩١٨ ، الشعبة الاولى للترجمة والتأليف ، ومهمتها تدبر أمر اللغة العربية الرسمية، ونشر الثقافة بين الموظفين ، واستبدال المصطلحات العربية بالتركية . وكانت هذه الشعبة نواة المجمع بدمشق في ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٨ . وهكذا مر هذا المجمع بأدوار وتسميات فقد كان اسمه لدى تأسيسه « الشعبة الاولى للترجمة والتأليف » ، ثم تحول اسمه الى « ديوان المعارف » في الثاني عشر من شباط / فبـراير ١٩١٩ . وكان هذا الديوان يشمل اعمال المعارف العامة ، وأعمال المكتبات ، والآثار ، والشؤون اللغوية العربية . وفي ٨ حزيران / يونيـو ١٩١٩ ، اطلق على هذا الديوان اسم « المجمع العلمي العربي » في دمشق . وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر ، وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة ، صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم ١١٤٤ سنة ١٩٦٠ ، بانشاء مجمع اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة . وقد جاء في المادة الاولى : « ينشأ مجمع اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ، ويكوّن هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية واستقلال مالي واداري ، مقره القاهرة وله فرعان احدهما في القاهرة ، والآخر في دمشق ...» ومنذ ذلك التاريخ اصبح اسم المجمع : مجمع اللغة العربية في دمشق[٢] .

وقد تركزت اعمال المجمع منذ انشائه في خدمة اللغة العربية في مختلف المجالات الحكومية والشعبية ، والمؤسسات العلمية ، وأولى اهتماماً كبيراً لدار الكتب الظاهـرية وفهـرست المخطوطات التاريخية . واصدر العدد الاول من مجلته في اول كانون الثاني / ينايـر ١٩٢١ الموافق ٢١ ربيع الثاني ١٣٣٩ هـ . اما مطبوعاته فتكاد تنحصر في تحقيق التراث ونشره ، ولا سيما المجال الأدبي والتاريخي . وكان المجمع في جهوده الكبيرة التي بذلها من أجل وضع مقابلات عربية لألفاظ اعجمية قد اتّبع القاعدة اللغوية التالية :

« اذا كانت اللفظة مما عرفه العرب واستعملوه فيجب البحث عنها ونشرها . واذا كانت مما استحدث بعد العرب ولم يكن في الفاظهم ما يشبهها بأقل ملابسة ، نظر فيها . فإن وافقت الاوزان والحروف العربية استعملت كما هي ، والا غيّر بعض حروفها أو حركاتها لتوازن العربية ، ويسهل التلفظ بها جرياً على قاعدة التعريب » . ومن المعروف أن هذه القاعدة اللغوية كانت قد اتبعت في عصور اللغة العربية الزاهرة .

إن كل دارس لاعمال هذا المجمع لا يستطيع أن يفصل بين منجزاته والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بالقطر الشقيق . وقد عبّر عن ذلك الامير مصطفى الشهابي بقوله : « والمجمع الذي قاوم صروف الدهر واحداثه ، من ضيق في البيئة ، وشح في الحكومة، وجهل في سواد

(٢) في تاريخ تطور هذا المجمع وطبيعة تكوينه والمراحل التي مر بها ، انظر : المصدر نفسه ؛ عدنان الخطيب ، **المجمع العلمي العربي ، مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً** (دمشق : مطبعة الترقي ، [١٩٦٩]) **ومجمع اللغة العربية (الجمهورية العربية المتحدة)** (القاهرة : ١٩٦١) .

الشعب ، وعدم اكتراث من ارباب الوجاهة والمال ، هو المجمع العلمي العربي بدمشق . . . »[٣] .

ثم تحدث الباحث عن مجمع القاهرة ، ولكن البحث يكاد يتركز حول القرارات التي اتخذها المجمع خلال ثلاثين عاماً ، وكانت ثمرة حركة دائبة في دورات متفرقة، وجرى عليها كثير من التمحيص واعادة النظر . وقام مجمع اللغة العربية بالقاهرة بنشرها (مجموعة القرارات العلمية) في جزء خاص[٤] . وفي مجال انجازات هذا المجمع في مجال المصطلحات العلمية ، يقول الشهابي : « إن جهد الافراد في وضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية فاق جهد الجماعات إجمالاً ، حتى اذا انشىء مجمع مصر للغة العربية ، بزَّ الجميع ، لا بالكمية ، بل بالكيفية ؛ اي بدقة المصطلحات التي وضعها او حققها »[٥] . وقد نبتت فكرة تأسيس مجمع لغوي ينقي اللغة العربية ، ويضع معجماً دقيقاً لها سنة ١٨٩٢ في بيت السيد محمد توفيق البكرى . وفي كانون الاول / ديسمبر ١٩٣٢ اصدر الملك فؤاد مرسوماً يقضي بتأسيس مجمع ملكي للغة العربية في القاهرة . . . . ومنذ ذلك اليوم ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة يقدم خدمات جليلة الى اللغة العربية والى تراث أمتنا . ونحن نستطيع أن نلاحظ خلال مراحل تطور هذا المجمع منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، مدى العلاقة الوثيقة التي تربط بين الاهتمام باللغة العربية وجعلها تساير متطلبات العصر ، وبين حركة التحرر والانعتاق من نير الاستعمار في أشكاله المختلفة[٦] .

ويمكننا أن نلخص اهم الاعمال التي أنجزها هذا المجمع الجليل على الوجه التالي :

١ ـ وضع المجمع قرارات مهمة تيّسر عمل العلماء الذين يضعون مصطلحات علمية ، او يضعون ألفاظاً تفي بحاجات الحياة العصرية .

٢ ـ وضع المجمع الألوف من المصطلحات العلمية ، وحقق عدداً كبيراً من الالفاظ التي وضعها الآخرون ، وهو يقوم بنشر المصطلحات العلمية التي يقرها في مؤتمراته السنوية بكتب خاصة .

٣ ـ عكف المجمع منذ عدة سنين على وضع « المعجم الكبير » في اللغة العربية لكي يكون مرجعاً أوفى وأدق مما سبقه من المعاجم .

٤ ـ أصدر منذ سنين « المعجم الوسيط » ، وهو من أهم المعاجم الحديثة اليوم ، باعتباره مرجعاً سهلاً للباحثين .

---

(٣) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، ط ٢ منقحة ومزيدة (دمشق : المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٥) .

(٤) محمد احمد خلف الله احمد ومحمد شوقي امين ، معدّان ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، ١٩٣٢ - ١٩٦٢ ، تصدير ابراهيم مدكور ، ٣ ج (القاهرة : مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٣) ، ج٣ : مجموعة القرارات العلمية من الدورة الاولى الى الدورة الثامنة والعشرين .

(٥) الشهابي ، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، ص ٥٣ .

(٦) في مراحل تطور مجمع القاهرة ، انظر : احمد وامين ، معدان ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، ١٩٣٢ـ ١٩٦٢ ، والشهابي ، المصدر نفسه .

٥ ـ وضع المجمع معجماً لألفاظ القرآن الكريم .
٦ ـ يصدر مجلة تحتوي على بحوث لغوية جليلة .

وركز الباحث حديثه عن « المجمع العلمي العراقي » على بعض النصوص من قانون هذا المجمع . وقد كانت أول محاولة لتأسيس (مجمع علمي) سنة ١٩٢١ ، ومن ثم جرى تشكيل لجنة سنة ١٩٢٥ من أجل تأسيس مجمع علمي . . . ما لبثت أن عصفت بها ريح الضياع . وقد أشار الى ذلك الأمير الشهابي بقوله : « لم تطل أيام المجامع التي كانت أنشئت في بيروت وبغداد وعمان بعد الحرب الكبرى الاولى ، ويعزى قصر عمرها اما لحبس الحكومات المال عنها ، وإما لأنه يعوزها غير المال »(٧) .

وفي سنة ١٩٤٥ ، ارتأت وزارة المعارف العراقية تأسيس لجنة لمؤازرة المؤلفين والمترجمين والناشرين ، دعتها « لجنة التأليف والنشر » ، واستمرت حتى سنة ١٩٤٧ . وفي ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٤٧ انشىء « المجمع العلمي العراقي »(٨) الذي يمكن انجاز اعماله على الوجه التالي :

ـ كان ينظّم موسماً في كل عام لالقاء المحاضرات .
ـ أصدر « مجلته » ابتداء من عام ١٩٥٠ .
ـ جعل وكده ـ منذ نشأته ـ نشر آثار السلف نشراً علمياً دقيقاً . وقد تمكن من نشر جملة من الآثار شملت ضروباً من المعارف والفنون من التراث العربي الاسلامي .
ـ قام المجمع بوضع الكثير من المصطلحات العلمية ونشرها .

وتحدث الباحث عن « المجمع الاردني » معتمداً على تقريره لعامه الاول ، اي منذ صدور قانون مجمع اللغة العربية الاردني في تموز / يوليو ١٩٧٦ . ولكن المقدمة التي تناولت « تشكيل مجلس لتوجيه سياسة البحث العلمي في الاردن منذ سنة ١٩٥٧ » ، لم يكن لها اي علاقة بفكرة تأسيس هذا المجمع . وحقيقة الأمر ، أنه جرى التفكير في انشاء مجمع لغوي في الاردن لأول مرة سنة ١٩٢٤ ، اذ اصدر الامير عبدالله بن الحسين أمره بتأسيس مجمع علمي في عمان(٩) . وقد حددت اهدافه اذ ذاك باحياء اللغة العربية ونشر المدارس والمؤلفات ، والقاء المحاضرات ، وانشاء دار الكتب ، واصدار مجلة شهرية .

ولم تطل ايام هذا المجمع ، فقد صدق عليه ما ذكره الامير الشهابي سابقاً عن المجامع التي انشئت بعد الحرب الكبرى الاولى في بيروت وبغداد وعمان . وفي سنة ١٩٦١ تأسست في وزارة التربية والتعليم الاردنية : « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » ، تنفيذاً للقرار الذي

---

(٧) الشهابي ، المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٨) وفي مراحل تطور هذا المجمع واعماله انظر : عبدالله الجبوري ، **المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، اعضاؤه ، اعماله** (بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٦٥) .

(٩) انظر : مجمع اللغة العربية الاردني ، **التقرير السنوي الاول ، ١٩٧٧** (عمان : المجمع ، ١٩٧٧) ، ص ١ .

اتخذه مؤتمر التعريب الاول المنعقد في الرباط في شهر نيسان / ابريل ١٩٦١. فقد كان من جملة قراراته انشاء شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي ، ترتبط بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط . واستمرت هذه اللجنة منذ انشائها تبذل اقصى الجهد ، في ظروف صعبة ، من أجل المساهمة مع المؤسسات العربية الشقيقة لخدمة لغتنا العربية ، لكي تصبح كما كانت لغة العلم والحضارة . واستمرت هذه اللجنة بأعمالها حتى صدر قانون مجمع اللغة العربية الاردني رقم (٤٠) سنة ١٩٧٦ . وبموجب هذا القانون باشر المجمع مهامه ابتداء من ١/١٠/ ١٩٧٦ .

ويمكننا أن نلخص اهم الأعمال التي أولاها هذا المجمع الحديث عنايته على الوجه التالي :

١ ـ تعريب المصطلحات الاجنبية المستعملة في مختلف الوزارات والدوائر والمؤسسات في الاردن ، ووضع المقابلات العربية لها .

٢ ـ معالجة اسباب ضعفنا في اللغة العربية بالتعاون مع أجهزة وزارة التربية والتعليم ، ووزارة الاعلام في الاذاعة ، والتلفزة ، والصحف .

٣ ـ المشاركة في حملة تعريب التعليم العلمي الجامعي ، فتبنى المجمع مشروعاً محدداً ضمن امكاناته المادية المحدودة ، يقضي بترجمة الكتب العلمية التي تدرّس في السنة الاولى في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك في مجالات الفيزياء ، والرياضيات ، والكيمياء ، والاحياء ، والجيولوجيا . . . . . وقد انهى المرحلة الاولى ترجمة ونشراً وبدأ بالمرحلة الثانية .

٤ ـ اصدر مجلته التي يحرص على أن تكون مجلة متخصصة ، وهي تصدر مرتين في كل عام .

اما اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية فيضم الآن المجامع اللغوية في دمشق والقاهرة وبغداد وعمان . ونحن نتطلع لكي يتطور هذا الاتحاد في المستقبل فيصبح مجمعاً واحداً للغة العربية تشارك فيه الاقطار العربية خلال مؤسساتها الخاصة . وكانت آخر ندوة عقدها الاتحاد في عمان من ٣١ / ١٠ الى ٣ / ١١ / ١٩٧٨ ، وكان موضوعها « اللغة العربية خلال ربع قرن » . ودارت الابحاث القيمة التي القيت في هذه الندوة حول معالجة ظاهرة الضعف الذي نلمسه في التعبير بلغتنا العربية .

وبعد ذلك ، تناول البحث « مؤسسات التعريب في الوطن العربي » موضوع الاتحاد العلمي العربي ، وفصل القول في اسماء الجمعيات التي تؤلف الاتحاد العلمي المصري ، والاتحاد العلمي الاردني ، والاتحاد العلمي السوري ، والاتحاد العلمي العراقي ، متمنياً أن يكون في قيام هذا الاتحاد تكتيل للقوى العلمية في البلاد العربية . ثم تحدث عن « أكاديمية المملكة المغربية أكاديمية شرقية افريقية متوسطة ، من حيث اضطلاعها بدور يجعلها صلة وصل ، وأداة ربط وعامل تأليف بين الامم ، والحضارات في أوروبا وافريقية ، وعالمي البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي » . وكنت اتمنى ، لو أن الباحث الجليل تحدث عن دور هذه الاكاديمية في التعريب موضوع البحث . وعلى كل ، فإننا لا نملك ، مع الاسف ، بين ايدينا أي معلومات كافية عنها . اما الاشارة في نهاية البحث الى المجمع العلمي الهندي فاشارة طيبة ، وإن كان الموضوع يحدد الحديث بالمؤسسات في الوطن العربي .

وقد انتهى البحث بإثارة مشكلة أساسية في مسيرة عملية التعريب هي مشكلة الالتزامية في تطبيق المصطلحات الموحدة . ونحن نرجو أن تحتل هذه القضية المكانة الاولى في سياسة التعريب، سواء أكان ذلك في مؤتمرات التعريب ، أم في قرارات سياسية ملزمة تتخذها الاقطار العربية في أعلى أجهزتها التشريعية والتنفيذية .

وأخيراً ، أود أن أشيد بالجهد الذي بذله الباحث ولكنني ارى لزاماً علي أن استكمل هذه الصورة بالاشارة الى عدد آخر من المؤسسات العربية التي كان لجهودها الخيّرة آثار عميقة في مسيرة عملية التعريب التي تسير جنباً الى جنب مع نهضة امتنا وتحررها وتقدمها في ميادين المعرفة . ومن هذه المؤسسات :

١ ـ الجامعة السورية ، وتسمى اليوم « جامعة دمشق » . فقد تأسست كلية الطب في دمشق بأمر من الملك فيصل الأول ، وقامت على انقاض كلية الطب التركية ، واختير لها اساتذة من الاطباء العرب ، معظمهم يتقنون العربية ، وبعضهم لا يتقنونها ، ولكنهم جميعاً تعاهدوا على الاضطلاع بمهمة التدريس باللغة العربية وجعلها تتسع للعلوم الطبية ، كما اتسعت للعلوم الحقوقية في « معهد الحقوق » . وراحوا يتدارسون المصطلحات التي جاءت في كتب الطب القديمة ، وفي الكتب الاخرى . وعكف كل استاذ في علمه على نخل تلك المصطلحات ووضع مصطلح جديد لكل لفظ أعجمي لم يذكر القدماء له مصطلحاً عربياً . . وألّف الاساتذة شبه مجمع لغوي ينظر فيما يعرضه عليه كل استاذ من الفاظ العلم الذي يدرسه . وهكذا استطاع اساتذة هذه الكلية أن يؤلفوا كتباً جليلة في فروع الطب المختلفة ، وفي الكيمياء ، والفيزياء ، وغيرها من العلوم ، وأن يجعلوا في آخر كل كتاب مسرداً لمصطلحاته بالعربية والفرنسية . وقد تناولت هذه السياسة جميع الكليات والفروع العلمية التي استكملتها الجامعة السورية بعد عهد الاستقلال ، فأصبحت العلوم كافة تدرس باللغة العربية في هذه الجامعة الرائدة منذ أكثر من ستين عاماً .

٢ ـ جهود المنظمات العربية في نطاق جامعة الدول العربية ، ومنها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد اقتصرت الدراسة التي قدمها الباحث على دور مكتب تنسيق التعريب ، في حين باتت المنظمة العربية (اليكسو) منذ السنوات القليلة الماضية تبذل جهوداً مثمرة في مضمار حركة التعريب بصورة عامة ، وتعريب العلوم والتقنيات الحديثة بصورة خاصة . ومما يجدر ذكره ان هذه المنظمة العربية تعتبر تطوراً للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية . ومن أبرز اعمالها مؤتمرات التعريب التي عقدت في الرباط ، والجزائر ، وطرابلس الغرب ، وطنجة ، وكان لمكتب تنسيق التعريب بالرباط جهود مشكورة في تنظيمها والتنسيق بين مختلف الآراء ، والعمل على نشرها . وصدر عن هذه المؤتمرات المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام ، وقد شارك في طباعته المجمع العلمي العراقي ، ومجمع اللغة العربية بدمشق ، وغيرهما من المؤسسات العلمية في الوطن العربي. كما أن جامعة الدول العربية كانت قد اصدرت المعجم العسكري الموحد ، القسم الأول انكليزي ـ عربي ، الذي اعدته لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية مصر ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ .

ومنها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس التي تقوم امانتها بتجميع المصطلحات الفنية المستخدمة في مجال التقييس ، وفق تعليمات اصدرتها بكراس تضمن وصفاً للبطاقات المستعملة ، ولأسلوب العمل المتبع في اختيار ووضع المصطلحات . وهي تتعاون تعاوناً وثيقاً مع اللجنة الفنية لعلم المصطلح التي شكلتها المنظمة العربية ، وكذلك مع المجامع اللغوية العربية ، ومع مكتب تنسيق التعريب في الرباط . وتهدف هذه المنظمة الى اعداد معاجم متخصصة ثلاثية اللغة (عربية ، فرنسية ، انكليزية) في جميع مجالات التقييس ، تسهيلاً لأعمال اللجان الفنية ، سواء المنبثقة عن المنظمة أو عن هيئات التقييس العرضية ، في اعداد المواصفات القياسية . ومن اهم أعمالها في مجال التعريب :

١ ـ دليل مصطلحات المواصفات القياسية العربية ، في ثلاثة اجزاء . وهو دراسة قديمة قامت بها المنظمة قبل وضع المنهجية الجديدة التي تعمل بموجبها حالياً .

٢ ـ الدليل العربي لمصطلحات جودة الانتاج (١٩٧١) .

٣ ـ مشروع قاموس المترولوجيا القانونية .

٤ ـ مشروع توحيد المصطلحات المستخدمة في مجال التقييس .

ومنها المنظمة العربية للعلوم الادارية التي أصدرت « المعجم العربي الموحد لمصطلحات الحاسبات الالكترونية (انكليزي ، فرنسي ، عربي ، عمان / ١٩٨١) . وهي تقوم الآن بجرد ونقل اثنين واربعين الف مصطلح باللغات الثلاث ، في نطاق مشاريع مختلفة ، تمهيداً لدراستها مع الجهات المختصة . وما يبشر بالخير العميم أن النقابات المهنية والعلمية واتحاداتها في الوطن العربي باتت ترى أن استعمال اللغة العربية في مختلف هذه المجالات اصبح ضرورة حياتية بالنسبة لأمتنا العربية . بل لقد اوصى بعض هذه المؤتمرات باعتبار التعريب وسيلة أساسية من الوسائل التنموية .

ومن الاتحادات نذكر اتحاد الاطباء العرب الذي قام سنة/١٩٦٦بتأليف لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية تضم صفوة المؤمنين بوجود التوحيد ، المتمكنين من المعرفة بالطب واللغة ، من الأقطار العربية التي فيها كليات طب وطنية راسخة القدم ، وعهد اليها أن تنهض باعداد معجم موحد للمصطلحات الطبية يضم من الكلم أكثرها تداولاً في التعليم والتأليف والممارسة . وقد وجدت اللجنة نفسها تجاه فيض من الالفاظ المترادفة للمعنى الواحد ، وكثير من الالفاظ الدخيلة الاعجمية البناء . وواجهها كذلك تعدد المعاني للفظ الواحد في المعاجم العربية ، مما اقتضاها أن تختط لها خطة واضحة وتلتزم بأسس ومبادىء علمية اوردتها في مقدمة عملها الجليل الموسوم : « المعجم الطبي الموحد » . وكانت هذه المصطلحات تطبع منجمة في مطبعة المجمع العلمي العراقي ، وتوزع على الهيئات والمؤسسات العلمية المعنية بأمر المصطلحات الطبية . وظهرت من هذا المعجم طبعة خاصة (انكليزي ـ عربي)[١٠] .

---

(١٠) اتحاد الاطباء العرب ، المعجم الطبي الموحد (بغداد: ١٩٧٣) .

وما زالت هذه اللجنة ، توالي اجتماعاتها في العواصم العربية ، بغية ملاحقة التطور في العلوم الطبية ، وما يجدّ فيها ، تبعاً لما يقضي به التطور العلمي والاستعمال وطول الممارسة والنقد البناء . وفي اثناء كتابة هذه السطور يعقد « اتحاد الاطباء العرب » مؤتمره التاسع عشر بعمان الذي افتتح بتاريخ ١٣/ ١٠ / ١٩٨١ ، واشترك فيه نحو الف طبيب ، والقيت فيه ابحاث علمية مهمة بلغات مختلفة . ومما يجدر ذكره أن ابحاثاً عدة باللغة العربية القيت في هذا المؤتمر ؛ فقد وجد المؤتمرون أنفسهم أن اللغة العربية هي بالضرورة اللغة الوحيدة التي يمكن أن تكون لغة مشتركة امام اختلاف ثقافاتهم واللغات الاجنبية التي درسوا بها الطب ، من فرنسية وانكليزية والمانية وروسية واسبانية وايطالية وتركية . . الخ ونحن نتطلع الى اليوم الذي ستكون فيه اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع كليات الطب في الوطن العربي .

واتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب الذي خصص في برنامج مؤتمره المعقود بعمان في ربيع ١٩٨١ ندوة خاصة للتعريب . وقد شاركت شخصياً في هذه الندوة مع بعض الاخوة العلماء ، وكان من أهم التوصيات التي اتخذها مؤتمر العلماء العرب من الفيزيائيين والرياضيين وجوب تعريب هذه العلوم الاساسية .

واتحاد اطباء وجراحي الفم والأسنان العرب . فقد تقدمت اللجنة الدائمة لتوحيد وتعريب مصطلحات طب الفم والاسنان ، من مجمع اللغة العربية الاردني بدراسة وتقويم للمشاريع التالية :

- مشروع معجم امراض اللثة والفم .
- مشروع الكشف المبكر عن سرطان الفم .
- مشروع الوجيز في امراض الفم .

وهناك اتحادات اخرى لا نملك معلومات كافية عن جهودها الخيرة في عملية التعريب، مثل اتحادالصيادلة العرب، واتحاد نقابات العمال العرب ، واتحادات الغرف الصناعية والتجارية . ولم نشر الى اتحاد الحقوقيين العرب ، وذلك لما أنجزه اعلام الحقوقيين من العلماء الأجلاء منذ وقت مبكر في جعل هذه العلوم اصيلة في تعرّبها وشائعة وذائعة في مختلف الاقطار العربية فضلاً عن جامعاتها .

وعلى الرغم من شعوري بأن المجال الذي حدد لهذا التعقيب قد ضاق كثيراً ، فإنني ارى أن أشير ايضاً الى بعض المؤسسات الاخرى التي أنجز بعضها اعمالاً جليلة ، تدعو الى الاعجاب والتقدير ، ومنها :

معهد الدراسات والابحاث بالرباط وقد حدّد هذا المعهد اهدافه بحصر المشاكل التي تعترض احلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية في جميع الميادين ، ثم دراستها دراسة علمية ، فضبط الحلول الحقيقية لها ، والعمل على تطبيقها . كل هذا على أساس الفصحى والتوحيد

ومواكبة سير العلوم والتكنولوجيا الحديثة[11] . ومن أهم منجزاته المعاجم والقواميس ، والرصيد اللغوي الوظيفي ، وتعليم اللغة العربية ، والطريقة المعيارية للطباعة العربية .

وهناك ايضاً « معهد اللسانيات » في الجزائر ، وهو يؤدي خدمات علمية جليلة الى اللغة العربية لكي تساير معطيات العصر في استخدام التقنيات الحديثة لدراسة مشكلاتها الصوتية واللغوية . ولدى زيارتي لهذا المعهد كان اعجابي شديداً بالجهود الكبيرة التي يبذلها علماؤنا الاجلاء في الجزائر الشقيقة من أجل تعريب التعليم واستعادة الهوية الحقيقية لهذا الشعب المناضل من خلال جعل اللغة العربية لغة التراث ، والقرآن الكريم ، والبحث العلمي ، والتدريس في جميع مراحل التعليم . ومن اعماله المهمة ، قيامه بالعمل الرئيسي في مجال مشروع « الرصيد اللغوي الوظيفي » ، الذي لم يعد مقتصراً على دول المغرب العربي فقط ، بل اصبح شاملاً معظم البلدان العربية في المغرب والمشرق . فقد انبرى بعض الجامعات العربية في السنوات الاخيرة للعمل الجاد المنظم من اجل تعريب التعليم الجامعي ، فانعقد مثلاً : « مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي » في جامعة بغداد من ٢٤ الى ٢٧ ربيع الاول الموافق ٤ الى ٧ آذار / مارس ١٩٧٨ .

وأخيراً ، لا بد من أن أشير بالاحترام والتقدير الى « اتحاد الجامعات العربية » الذي قرر مجلسه أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر الرابع للاتحاد : « تعريب التعليم الجامعي » . وكذلك الى الجهود التي كان يبذلها بعض الاقسام في جامعة الخرطوم ، ولا سيما قسم اللغة العربية ، من أجل تدعيم حركة تعريب التعليم الجامعي في السودان الشقيق . وانه لمن دواعي سرورنا أن تظهر الى حيّز الوجود « اللجنة السودانية للتعريب » ، وقد تأسست بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٨٠ . وهي تعمل حالياً على مراجعة المناهج المعرّبة ، وتعريب التعليم العالي ، وخلق نواة قومية للتعريب في المجتمع السوداني . وهناك مكاتبات وصلات وثيقة بين اللجنة السودانية للتعريب ومجمع اللغة العربية الاردني ، نرجو أن تدعم وتوثق على الدوام .

إن هذا العرض الشامل لمؤسسات التعريب في الوطن العربي يدل بلا ادنى شك على ادراك جميع الاقطار العربية اهمية جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس الجامعي ، ولغة التقنيات الحديثة ، وأنها الطريق الوحيد للتقدم والابداع والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الانسانية . وان استعادة العربية مكانتها الاصيلة في هذه الاقطار هي استعادة الأمة هويتها ، واستكمال حريتها ، وتحررها من حال التبعية العلمية والثقافية . ولا شك أن هذا كله يفسر انتشار هذا التيار الذي يجتاح الوطن العربي من أجل تعريب التعليم في جميع مراحله . ولكي تصبح اللغة العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، لغة العلم والحضارة ، ينبغي أن تكون اللغة المشتركة ، لا بين ابناء الوطن العربي فقط ، ولكن بين جميع الشعوب الاسلامية . وقد حفظ القرآن هذه اللغة

---

(١١) انظر في هذا الموضوع : تعريف موجز باعمال معهد الدراسات والابحاث للتعريب (الرباط : معهد الدراسات والابحاث للتعريب) .

على مر العصور ، ولولاه لما كانت هنالك لغة عربية اليوم ، وبالتالي لما كانت هناك أمة عربية . وان كل مؤامرة كانت تستهدف وجود امتنا ، كانت أول ما تستهدف النيل من هذه اللغة الشريفة تحت ستار من الحجج الواهية .

وهكذا نستطيع أن نقول ، وبموضوعية متجردة ، ان التعريب هو أساس جوهري في تدعيم الوجود العربي وبناء الوحدة العربية . ونحن على يقين ان شاء الله من انه لن تحين نهاية القرن العشرين حتى تصبح اللغة العربية لغة الحضارة والعلم والبحث العلمي في جميع مجالاته .

تعقيب ٢

صبحي الصالح

أولاً : عندما يكتب مثل الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي عن « مؤسسات التعريب في الوطن العربي » يتهيب كثيرون من الرد والتعقيب عليه ، لأنه بحكم خبرته وممارسته الطويلة لقضايا التعريب قادر على استيعاب الموضوع من جميع جوانبه . على أن المطلع على هذا البحث القيم ربما يستنتج أن الباحث اقتصر فيه على عرض الوقائع بايجاز شديد واصطلح اصطلاحاً شخصياً على الا يكلف نفسه عناء التقويم النقدي، ولا حتى مجرد التحليل .

وقد يكون السبب في ذلك ما استشعره من جهل الكثيرين جمهرة الشؤون الأولية المتعلقة بالمجامع العربية والاتحادات والهيئات اللسانية العربية المعنية بتعزيز العربية ونشرها في اقطار العروبة . ولذلك اكتفى غالباً باعطائنا صورة عن اهداف كل مؤسسة على النحو الذي نجده باطلاعنا على انظمتها الداخلية .

والحق أن مثل هذا البحث أدق من ذلك بكثير . فالمطلوب التقويم والتحليل لا للمجامع والجامعات القائمة ، ولا لمجامع القاهرة وبغداد ودمشق ، ولا لمجمع اللغة العربية في القاهرة بوجه اكثر خصوصية ، لمجرد أنه أكبرها وأكثرها تنوعاً في مسائل اللغة ، بل لدورها جميعاً في عملية « التعقيل » و « الترشيد » والاسهام في تنسيق الجهود العربية وتوحيد الثقافة عن طريق هذا التوحيد .

ثانياً : طبيعة البحث « التوثيقية » قد تحول دون شرح المقصود بمفهوم التعريب الذي يجب أن تتولاه تلك المؤسسات الرسمية والوطنية ، ولو كانت عنايتها بهذا الشأن غير مباشرة . وما من ريب في أن « التوثيق » لا ينحصر في دائرة « التنميط » التي قد يطيب لبعضهم أن يغلو في وصفها مصراً على أن فيها ضرباً من « التحنيط » ، متناسياً أن مكتب التعريب نفسه يتبادل منذ مدة غير قصيرة العلاقات التقنية في ميدان المصطلحات عن طريق خزن ألوف من الكلمات تم تنسيقها في بنوك الكلمات العالمية .

ثالثاً : لم يعن الباحث عناية كافية بمساعي مكتب تنسيق التعريب في الرباط بشأن اتخاذ قرار « وحدوي » حول اسلوب الشروع في تطبيق ما تم توحيده من المصطلحات ، وحول الالتزام الرسمي بهذا التطبيق ، فضلاً عن الاسهام المالي في المشروعات الآيلة الى مزيد من النجاح فيه .

وما قيل عن مكتب تنسيق التعريب الذي يديره الباحث الجليل يمكن قوله ايضاً عن اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذي تأسس في القاهرة في ٣٠ نيسان / ابريل سنة ١٩٧٠ . فقد مر به الباحث مروراً سريعاً، ولم يقدم امثلة حية يبرز من خلالها ما يتوقعه من هذا الاتحاد، في مستقبل قريب ، من خلق القدرة على صناعة القرار الذي يخلص الانسان العربي من الشعور بعقدة النقص ، ويعلمه الا يكتفي بالتغني بلغته وهو قادر على استكمال شروط الاصالة الحقيقية لتبؤ هذه اللغة مكانتها في مجتمع الاستهلاك الحديث .

رابعاً : ركز الباحث كثيراً على الجانب اللغوي من تلك المؤسسات ، ولذلك أفاض عند الحديث عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في شرح بعض ظواهر اللغة التي اتخذ فيها هذا المجمع قرارات علمية ،صرفية او نحوية او لغوية ، كمسائل القياس والتضمين والنحت والتوليد . وهذه البحوث كلها لم نر واحداً منها انتهى الى صياغة تحليلية تمهد لقيام استراتيجية قومية للتعريب كما يجب أن يفهم في المجتمعات العربية التي يقلقها موضوع ثنائية اللغة ، او بتعبير أدق تفرد اللغة الأجنبية بغزو مدارسنا وجامعاتنا ومجتمعاتنا ، وعلى الأقل بتشجيع اللهجات واللغات المتفرعة كلياً او جزئياً عن العربية على منافسة الفصحى في ميادين الاعلام والتعليم .

خامساً : عرض الباحث في أسطر عابرة لخمسين جامعة عربية تقدم العون الكبير للمجامع القائمة ، قديمها وحديثها ، ولمكتب تنسيق التعريب بوجه خاص . وكان في وسعه الحديث بشيء من التفصيل والايضاح عن النماذج الحية التي تمثلها هذه الجامعات في تدريس العلوم الانسانية وكثير من العلوم الصحيحة كلياً او جزئياً بالعربية الفصحى ، ليعطينا في الوقت نفسه صورة حقيقية عن المعضلات التي لا مناص لنا من التغلب عليها عندما نصل الى مرحلة التطبيق والتنفيذ .

سادساً : ذكر الباحث المجمع العلمي الهندي الذي هو عضو فيه ، لأنه يهدف الى تشجيع الدراسات العربية والاسلامية ، واشار الى عناية المجمع العلمي العراقي بكل من اللغة الكردية واللغة السريانية ، ولكنه لم يبرز هنا الأبعاد الحضارية التي تساعد على تعميق التفاعل بين العرب وغيرهم من مساكنيهم الذين يعيشون على ارضهم . ومع ذلك اكتفى عند الحديث عن اكاديمية المملكة المغربية التي نشاركه شرف عضويتها بقوله عنها : انها شرقية افريقية متوسطية ، ونقل عبارات من الظهير الملكي المتعلق بكيفية تأسيسها وتوضيح اهدافها ، من غير أن يصور ما تضمه تلك الكلمات الملكية السامية من مفهومات التفاعل الحضاري التي تثري في المغرب موضوع التعريب اثراء منقطع النظير .

والخلاصة ، أن تكليف صاحب البحث تقرير واقع الحال العربية في مؤسسات التعريب لم

يقيض له ما قيض لغيره من تناول الأبعاد الحضارية وجوانب « الترشيد » و« التعقيل » للرأي العام العربي ، فاضطر الى وصف هذه الشؤ ون على حالها الساكنة الراكدة التي يريد أن تتغلب عليها في اقرب فرصة عقلية الشعوب العربية بعد أن انطلقت في وعيها لذاتها تلغي الحدود والسدود ، وتحطم الأغلال والقيود .

المناقشات

محمد رضا محرم : تتضمن الورقة المقدمة مسحاً جيداً لمؤسسات التعريب في الوطن العربي ، كما تتضمن عرضاً للمجهودات التي بذلتها هذه المؤسسات والنتائج التي انتهت اليها . وقد اثرى مقدم الورقة محتواها المكتوب بالاضافات الجديدة القولية التي قدمها اثناء عرضه .

وأنه ليسعدنا أن تكون هذه المؤسسات المجمعية ، المهتمة بالمشكلات الفنية اللغوية عادة ، قد أحدثت كل التراكمات المعجمية التي تحدث عنها الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله ، كما يسعدنا ايضاً أن تجري محاولات لتخزين البيانات المعجمية وضبطها باستخدام الحاسبات الالكترونية ، وتنظيم تبادلها مع الجهات المتخصصة الاجنبية وتسريعه باستخدام الاقمار الصناعية . . . الخ .

ولكن الواقع يؤكد أن اتصال هذه المؤسسات بمواقع الممارسة العملية في الجامعات العربية ليست على المستوى المطلوب . وليس يكفي ان يقال أن هناك لجاناً للتعريب قد تشكلت في اكثر من خمسين جامعة عربية . ذلك أن قيام هذه الاجهزة العلوية لا يعني أن اشكالية تداول المصطلحات بين عامة المتخصصين قد تحققت .

ومن موقع الممارسة ، وانطلاقاً من اعتبارات عملية عادية ، فإنني أؤكد أن أغلب محاولات التعريب التي يمارسها اساتذة جامعيون كثيرون تتم بناء على اجتهادات فردية ، ودونما اعتماد على حصيلة المصطلحات المعربة التي ابدعتها او اقرتها المجامع اللغوية ومؤسسات التعريب .

ومن الانصاف القول ان الاساتذة الجامعيين لهم عذرهم عادة . **ونحسب أن محدودية مستويات التوزيع والانتشار لاعمال المجامع والمؤسسات ، وكذلك ضيق سبل الاتصال بالاقسام العلمية الجامعية ، هي الأسباب الحقيقية وراء عدم استفادة الممارسين لعمليات التعريب من هذه الاعمال** . وهي القضية التي يجب أن نوليها الاهتمام الاكبر مستقبلاً ، والتي نتمنى أن تكون موضع بحث ومعالجة من مكتب تنسيق التعريب الذي يتولى الباحث مسؤولية اداراته .

عبد العزيز عاشوري : تحمل ورقة الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله عنوان « مؤسسات التعريب في الوطن العربي - عرض وتحليل وتقويم نقدي » . والواقع أن الورقة لا تتضمن ، في اغلبها على الاقل ، تحليلاً ولا تقويماً نقدياً ، وإنما هي عرض تقديري لمعلومات اولية اساسية عن عدد من المجامع اللغوية العربية واتحاد المجامع اللغوية العربية .

وقد ذكر الباحث في بداية عرضه ان ما تتضمنه الورقة انما هو مجرد سرد طلب من احد معاونيه تحريره . . ! وانني لا اشك في قيمة المعلومات التقريرية المقدمة ، لكنها ربما كانت اولى بأن تكون من ملاحق الدراسة او البحث . وهي على اية حال لا تمثل تحليلاً ولا تقويماً نقدياً ولا تتلاءم مع عنوان الورقة .

٢ - ركز العرض الشفوي للورقة بشكل خاص على نشاطات مركز تنسيق التعريب بالرباط ، وقدم معلومات عن منجزاته واساليب عمله . ويظل من المهم أن نستمع الى دراسة نقدية تحليلية عن هذا المركز ، والدور الذي يؤديه ، والعراقيل التي يواجهها ، واسلوبه في معالجتها ، وما يطمح اليه من اسهام في دعم افضل لمشروع التعريب .

٣ - ما هي جدوى المصطلحات والالفاظ والمعاجم اذ لم يقع استعمالها فعلاً ، خاصة وقد اكد الباحث ان المصطلح ينبغي أن يراجع كل خمس سنوات على اقصى تقدير . الا نخشى أن نضع قواميس ومصطلحات ونعيد النظر فيها ونعالجها دون أن تجد سبيلها الفعلي الى الحياة عن طريق الاستعمال ؟

٤ - لماذا لا تصل هذه النتائج الهامة الى عامة المثقفين العرب بيسر . ليسمح لي الباحث أن اقول له : انني شخصياً لا ارى نتائج هذه الاعمال الجليلة على المستوى العلمي في المكتبة ، في ما يكتب الناس ويبدعون يومياً ، في شكل مجلات اووسائل للاعلام الثقافي ، وبهذا الاسلوب او ذاك ، وقد يكون هذا لنقص في متابعتي ، لكنني اعتبر أن العمل الثقافي العربي اليومي في ما ننجزه على مستوى الابداع والترجمة والدراسة والبحث . . . اجدر بالانتفاع بهذه الجهود من الهيئات الاجنبية ، وأولى من خزنها في البنوك الدولية او تحويلها الى اقمار صناعية .

٥ - انني متأكد ان الباحث كان سيفيدنا لو أنه ركز ورقته ، او جانباً منها ، على علاقة مركز تنسيق التعريب بالحياة الثقافية العربية المعاصرة . وانني كقارىء اود مثلاً أن ارى موسوعة عربية تتوج كل هذه الجهود التي نسمع عنها ولا نستفيد منها ، او اننا على الاقل لا نعرف اننا نستفيد منها . واود كذلك ان ارى في اسواق الكتاب دورية تثري امكاناتنا اللغوية وتنمي معلوماتنا بشكل يتناسب مع الجهود الجليلة التي يبذلها المركز .

فاطمة الجامعي الحبابي : إن تدخلي هذا عبارة عن تساؤلات اطرحها قصد المزيد من التوضيح .

لقد استمعنا الى عرض الاستاذ عبدالعزيز بنعبدالله والى تعقيب الاستاذ عبد الكريم خليفة الذي فاق طولاً نص العرض ، الشيء الذي جعلني اتساءل نظراً لما لاحظناه من تدفق السيل

التأريخي للمجامع العربية على لسان الاستاذين ، ألم يكن يحسن أن يخصص يوم بكامله للتأريخ للمجامع ، دون اقحام فكرة النقد والتحليل التي لم يتعرض اليها اي واحد من الاستاذين ، حتى يستطيعا عرض ما يعرفانه عن تاريخ هذه المجامع ؟ أما كان من الممكن أن نعفى من ذلك لسهولة الاطلاع عليه ؟ إن ما تفضلا به لا يخلو من الإفاضة التي كنا في غنى عنها .

وانتقل الى ملاحظات حول ما جاء في عرض صاحب الورقة . لقد ذيل حديثه بوقفة عند اكاديمية المملكة المغربية اباح لنفسه فيها تفصيل الاسباب التي دعت الى انشائها ولّما تدع الى ذلك الحاجة . فالاكاديمية المذكورة فتية جداً ولم تسهم بعد بشيء في موضوع التعريب او نشر العربية . وبالاضافة الى ذلك ، الم يكن يليق بالعرض ان يشير الى جهود مكتب الدراسات والابحاث للتعريب وهو اقدم من الاكاديمية بكثير وله مساهمات . لا اقف عندها اليوم لأنني سأتعرض لذلك في عرضي غداً بحول الله ؟

انتقل الى التساؤ ل عن مدى المساهمة الفعالة لمكتب تنسيق التعريب في التعريب العملي ، ونسبة ما يروج من الكلمات التي وضعها ، وهل بلغت مثلاً ٢٠ بالمائة مما جاء في المائة معجم كما سماه الباحث وافضل تسميتها بقوائم مصطلحات ؟ وهل قام أحد ببحث ميداني يحصي مدى شيوع تلك المصطلحات ؟ إن الميدان الذي يعطي صورة حية عن استخدام تلك الحصيلة من المصطلحات هو ميدان التنمية والاقتصاد ، فلن يتم الاستعمال الفعلي للمصطلحات خارج هذا المجال . وكصورة لهذا البحث الميداني ، ما نسبة ما يستعمل من مصطلحات النفـط ، ومجموعها كما قال ستة آلاف مصطلح؟ وما هي اللغة التي يتم بها التراسل بين البلدان العربية في هذا المجال إن لم تكن الانكليزية او الفرنسية ؟

إن اللغة استهلاك كأية مادة غذائية ، وليست ادخاراً للمصطلحات في طيات القواميس .

واضيف ملاحظة اخرى . فقد اشار الاستاذ الى أن المكتب اخرج مائة معجم . ونعلم أن ما يزيد منها على الخمسين كله من انجاز شخص واحد ، فكيف يتسنى ذلك علماً بأن ظروف الحياة اليوم تجعل هذه الشخصيات يقضون ثلثي وقتهم في سفريات بين مؤتمرات وندوات من اقصى الكرة الأرضية الى اقصاها ؟ ثم كيف يستوعب شخص واحد ميادين اختصاص مختلفة ، من الطيران الى الكهرو حرارة ، فالمرأة واللباس والطاقة ، والفيزياء ؟ وأية مقدرة هذه في عصر تشعبت فيه انواع الاختصاص ؟

انتقل اخيراً الى قضية تخزين مصطلحات المكتب في البنوك باستعمال الحاسب الالكتروني فأقول ان الغرب ، او الدول المتقدمة تكنولوجياً ، اذا انشأ بنوكاً للكلمات فليس لتخزينها وإنما لغاية استثمار ما يخزن في وضع مختلف القواميس المتخصصة ، ولكن يستطيـع اي باحث الحصول على اية كلمة في اي ميدان بمجرد الضغط على زر ، اي في أوجز ظرف . فالغاية اذن هي عملية تسهيل الاستهلاك والاستثمار ، لا الادخار من أجل الادخار . ولذا يجب أن يفهم أولاً ماذا يراد من انشاء بنوك الكلمات .

هشام بو قمرة : أجد نفسي في هذا التدخل اطرح تقريباً السؤال الذي كنت طرحته قبل

اكثر من عشرين عاماً على استاذنا الذي بيننا الدكتور صبحي الصالح لما كان يدرسنا فقه اللغة العربية : ما الفائدة من كل هذه المجامع العربية ؟ ولم تكن عند ذلك تفوق الثمانية ، ما بين مجامع ولجان ، وها هي اليوم تفوق الخمسين ، وانا لم ازل اقول كما قال عنترة : هل غادر الشعراء من متردم ؟! بل اني ربما اصبحت في وضع ذلك الخطيب الفرنسي الذي كان يدعو الى انتخابه في دائرته ، فخاطب المجتمعين قائلاً : ان الحكومة الحالية قد وضعتنا على حافة الهاوية ، اما أنا فاعدكم بأننا سنقفز معاً خطوة الى الامام .

السؤال هو : هل تعدّد هذه المؤسسات ظاهرة صحة ، ظاهرة وحدة ، ام هو شيء آخر ؟ اليس تعددها انعكاساً لتعدد السيادات التي تريد كل واحدة منها ان يكون لها مجمعها اللغوي ؟ كما لها حدودها وعلمها ونشيدها الوطني ؟ انه اذن تعبير عن واقع السيادات الاقليمية الانفرادية ، ولا يمكن أن يكون له تأثير الا بتحقيق شرطين ، وحدة القرار السياسي ، ووحدة القرار اللغوي .

وأثر المؤسسات المجمعية اليوم قليل جداً في الحياة العلمية والفكرية . والسيد المحاضر نفسه يعترف بأنه لا يستطيع ايصال مطبوعات مركزه الى الجهات التي يتصور انها تهمها . ومن الملاحظ أنه خلال الثلاثينات كان تأثير المجمع العلمي العربي بدمشق ثم مجمع اللغة العربية بالقاهرة واضحاً في الحياة الثقافية في مشرق الوطن العربي ومغربه ، لأنه لم تكن قد وجدت هذه الحدود السيادية الصارمة ، او ربما لان الاستعمار كان أرأف منا بانفسنا اليوم .

هنالك بالطبع شيء آخر . فأنا لا ادري لماذا انحصر الاهتمام بالمؤسسات الرسمية المجمعية ، مع أن المؤسسات الاخرى الموازية ، وهي ذات طابع شعبي فكري ، قد أثرت اكثر من المجامع العلمية في نشر الثقافة اللغوية وخلق اللغة العربية المعاصرة ، اقصد الصحافة من مجلات ودوريات ، والاذاعة ، والمترجمات ، وغيرها .

وليس الهدف من هذا التساؤل نسف المجامع واللجان المشابهة لها ، وإنما السؤال عن جدواها ، اي استعمال ما تصل اليه من قراراتها ومصطلحاتها . فاللغة استعمال ، والمهم في المصطلح مثلاً ليس طبعه في مجلدات ولوائح ، ولا خزنه في بنوك المعلومات ، وإنما ايصاله الى المعنيين به . فالمصطلح العلمي لا بد أن يصل الى الاساتذة المعنيين ، وأن يستعمل بصفة موحدة . وهنا تأتي قضية الالزام بالاستعمال . لقد ذكر الباحث أن الرئيس بومدين كان قد اعتزم عرض قضية الالزام باستعمال المصطلحات الموحدة على قمة عربية ففاجأه الموت قبل ذلك . وذكر ايضاً أن الالكسو تفضل اتباع ديمقراطية الاستعمال . وانه لمن المحزن ان يكون ذكر لنا موقف الرئيس بومدين هذا منذ خمس سنوات بكثير من الاعجاب في محاضرة بتونس ، وان يفضل عليه اليوم ديمقراطية الالكسو .

محمد عزيز الحبابي : انها مجرد شهادة . فهناك شخصية عربية في دمشق ، هو حسني سمح ، يكتب دراسة للمصطلح الطبي ، في كل عدد من اعداد المجلة . وهناك عدد من الاصدقاء يدرسون الطب في الجزائر والمغرب يتهافتون على مقالات ذاك الدكتور لأن المصطلحات التي يضعها تلائمهم . لماذا ؟ لأنه استاذ في الطب ، ولأنه يتقن العربية ويتكلف فيها يعرف . وفي المغرب تصدر مجلة ، ولست ادري اذا كانت ما تزال تصدر حتى الآن ، يكتبون فيها مقالات حول بعض

الامراض ونصائح للجمهور ، والاعتماد فيها على المصطلحات التي يقرها الاستاذ سمح ، لماذا ؟ لأنه اعطيت القضية لمن يحسنها . كذلك بالنسبة للفلسفة. فعندما كان جميل صليبا يعطي في نفس المجلة بدمشق ، في المجمع العلمي ، المصطلحات ويحللها لأنه يحياها قبل أن يخرجها للناس ، كان يتعامل معها بذاتيته كلها ، فلما اخرج قاموسه الفلسفي في جزئين اصبح بمثابة حجة . والقضية هي اما أن نسند مواد لغير اصحابها ، او نسندها لعلماء متخصصين في مادة من المواد . فلو تخصص كل مجمع في ناحية من النواحي ، كأن يقوم المجمع العلمي العربي في الاردن بترجمة كتب من لغات اجنبية الى العربية ، وترجمة بعض الكتب التي تعطي صورة عن احوالنا حالياً من العربية الى اللغات الاجنبية ، لكان هذا مفيداً . ويتخصص مجمع العربية مثلاً في اللغة العربية . . . الخ . اما الآن فالجهود تتبعثر ، ونسند اشياء لغير اصحابها ، ولهذا فنحن نخبط خبط عشواء .

طه حسن النور : سمعت اليوم الكثير عن « التعبير اللغوي الحي » ، و « اللغة المواكبة للحياة العصرية » ، و « اللغة العربية السلسة » ، و « وضع المعاجيم » (او المعجمات) ، و« قوائم الكلمات او المفردات » . . . الخ . واود أن اتساءل بدافع الاهتمام بالجغرافية السياسية للوطن العربي والعالم الاسلامي والوحدة العربية الاسلامية ، عن المقاييس العلمية التي يعتمد عليها في تأليف الكتب والمعاجم ، وفي جعل اللغة العربية حية سلسة .

كما أن هنالك اسئلة ملحة لا بد من الاجابة عليها بشأن سيولة الكتب بانواعها في جميع البلدان العربية . فالمفردة الواحدة تحمل اكثر من معنى ، او معاني غير مفهومة من كل مواطني البلاد العربية . ومن هنا اسأل الاساتذة : هل آن الاوان لانشاء مؤسسة تعنى برصيد لغوي علمي للمفردات العربية تجمع على اساس الشيوع والفصاحة من اللغة المستعملة في اجهزة الاعلام الجماهيرية ، ومن الكتب المدرسية ، واللغة المستعملة في الحياة اليومية وغيرها ، ويمكن الافادة منها في تأليف كتب ومعجمات يجري تداولها في جميع البلدان العربية في يسر وسهولة ؟

خير الدين حسيب : لقد قيل كلام كثير حول مدى استفادة الذين يهتمون بتعريب المصطلحات الاجنبية من الجهد الضخم الذي تقوم به مؤسسات التعريب ومكتب تنسيق التعريب . واظن انه قبل سبعة اشهر عندما التقينا الاستاذ عبدالعزيز بنعبدالله في تونس جرى بحث هذا الموضوع ، وكنت قد بينت له انه ليس المهم فقط تأليف الكتاب ، وانما المهم أن يصل الكتاب الى المستفيد الاول منه ، وبالتالي فعملية التوزيع هي عملية اساسية ويجب أن تعطى الاهتمام الكامل . واقترحت عليه في ذلك الوقت الأخذ بأحد الاقتراحين : اما أن تتولى احدى دور النشر نشر هذه القواميس بحيث تباع تجارياً وتكون متاحة للذين يستفيدون منها ، واما أن يتولى مكتب تنسيق التعريب طباعتها ثم يعطيها الى احدى مؤسسات التوزيع التجارية فتتولى توزيعها . واعتقد بأنه لا يزال هناك حاجة ملحة الى ان يتولى مكتب تنسيق التعريب ايجاد وسائل غير الوسائل الرسمية لايصال هذا الجهد الضخم الذي يقوم به الى الناس ليستفيدوا منه .

عبد العزيز بنعبدالله : الواقع أنني لا اريد ان اطيل في كل هذا ، ولكن اريد أن اشكر كل الاخوان الذين ساهموا في هذا الحوار بملاحظاتهم . وكما قلت لكم فإننا في مكتب تنسيق التعريب ما

زلنا نتحسس ونتلمس ونبحث عن الحقيقة . فإذا كانت المجامع وقد ولد بعضها منذ العشرينات ما زالت تتلمس وتتحسس طريقها ، فماذا نقول نحن وعمرنا لا يزيد على ٢٠ سنة ، وقد اقحمنا في ميدان كنا فيه بين امرين : العمل او ان نخرج معترفين بالعجز والقصور ، لا عجزنا نحن بل عجز اللغة العربية عن مواجهة التيار .

والواقع أنه قد عرضت علي مناصب عليا منذ عشرين عاماً ، واثناء العشرين عاماً ، ولكني بقيت متمسكاً بمكتب التعريب لا لشيء الا لأدلّل على اننا نحن القاصرون لا اللغة العربية . فما زلت الى الآن اواجه مشاكل خطيرة جداً لا علاقة لها بارادة المنظمة ، ولا بارادة المكتب ، بل تدخل في خضم تيار شامل ، فأتساءل مثلاً : لماذا لا يقرأ الاخوان التونسيون شيئاً ولا يمكن أن يقرأوا شيئاً عما نكتبه في المغرب الاقصى ؟ ولماذا نحن في المغرب الاقصى لا نقرأ شيئاً عما تكتبونه انتم هنا في تونس ؟ الكتاب غير موجود في السوق، وهنالك مشكلة توزيع ، فهل المشكلة مثلاً هي بين تونس وبين المغربي ، وهل يجب على المغربي أن يتوقف عن الانتاج ؟ او على التونسي أن يتوقف عن الانتاج ؟ نحن نؤمن ونعترف دائماً بأنه ليس لدينا الامكانات المادية لطبع اكثر من ٧ آلاف نسخة من معاجمنا نوزعها . ولو طبعنا ١٠٠ الف نسخة لما كانت كافية ، ولو طبعنا مليون نسخة فربما كفت وربما لم تكف ، لأن جميع الاساتذة في العلوم الثانوية يطالبوننا بالمعاجم ، وجميع الاساتذة في التعليم العالي يطالبوننا ايضاً بالمعاجم ، ولا نوجه معاجمنا لا الى اساتذة التعليم العالي ولا الى اساتذة الثانوي ، انما نوجهها الى المكتبات العالمية ، وذلك لقلة عددها ، والى المكتبات الجامعية ، والى مكتبات بعض الكليات مع العلم بأن البريد العربي تعرفون احواله ، وان كثيراً من ارسالياتنا تضيع في الطريق . ففي لبنان، تعود الينا كل الارساليات ، بل اكثرها ، ومن حسن الحظ أنها ترجع الينا . وهكذا فإن جميع الاخوان في لبنان لم يحظوا بمعجم واحد مما يجب أن يوجه اليهم .

أما عن قضية الاستهلاك والترويج ومدى المردودية وهل تفيد المعاجم ام لا ؟ فهذه كلها اسئلة تعود لشيء واحد وهو أن العالم العربي ينقصه شيئان اساسيان الاول هو الاعلام . فالاعلام غير موجود في العالم العربي، ولذلك فكل ما نقوم به يذوب بين هذا وذاك دون الوصول الى هدفه ، ثم لا يوجد لدينا توزيع ، فقد كتبت عدة كتب باللغة الفرنسية في مواضيع حية ، ثم بعد ذلك طلب مني أن اتحدث عن مؤسسات التعريب ، في الوطن العربي ، فقبلت بعد تردد ، ولكن قررت أن لا اعرض تقويماً لهذا لأنه لا يمكن لفرد أن يقيّم عمل المجامع بل حتى أن هذه المجامع نفسها لا يمكن أن يقوّم عملها قلة من رجالها انفسهم ، ولذلك قمت بعرض لسرد اعمال هذه المجامع وربما لم استكملها كلها .

بالنسبة للاكاديمية المغربية ، فقد ذكرت الدكتورة الاخت فاطمة بأن الاكاديمية المغربية لم تقم بأي شيء فيما يتعلق بالتعريب الى الآن ، وهذا شيء واضح ، لأن الاكاديمية هي وليدة عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ وما زلنا متأرجحين في وضع منهجية العمل ، وقد تم تشكيل لجنة اللغة وانا احد اعضائها وذلك منذ عدة شهور فقط ولم تعقد هذه اللجنة سوى اجتماع واحد ، لأن هنالك اعضاء اجانب . وهذه من مميزات الاكاديمية ، فهنالك عضو في لبنان ، في تونس ، في القاهرة ، في الجزائر ، بحيث اننا لا نجتمع الا مرة واحدة كل ٦ اشهر ، فإذا اجتمعنا يكون هنالك موضوع

حضاري يستقطب عملنا ، وقد كان موضوع القدس في الدورة السابقة وقد القينا فيه محاضرة ، وفي الاسبوع المقبل ستنعقد دورة جديدة موضوعها « قيام الازمات الفكرية : حقيقتها واسبابها » . فنحن اذن بعيدون في هذه الاكاديمية الحضارية عن الاشتغال بالتعريب .

يجب التأكيد هنا لمن استفسر عن علاقة معهد التعريب بمكتب التعريب وعن فائدة وجود معهدين في بلد واحد ، بل في مدينة واحدة . ان معهد الدراسات والتعريب هو معهد وطني مغربي لا علاقة له اطلاقاً بمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، وان وجود مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، هو من قبيل الصدفة ، لأن المغرب كان اول من دعا الى تأسيس هذا المكتب ، فعلاقة مكتب تنسيق التعريب بمعهد التعريب لا تزيد على علاقة معهد التعريب بمجمع القاهرة ، او بمجمع الاردن ، او بمعهد التعريب في الجزائر او غير ذلك من المؤسسات في الوطن العربي . اثير موضوع ، كذلك ، وهو ان الذي يجب أن يضع المعاجم هم الاخصائيون . فهذا هو الواقع ، وهي فكرة وجيهة ، وهو المنهج الذي سار عليه لا سيما في التعليم العالي ، لأن المكتب يستفيد حالياً من ٥٠ جامعة ، واذا قلت هناك ٥٠ جامعة فلا يعني هذا أنها استجابت كلها . فهي لم تستجب الا لتشكيل اللجان . الا ان اهم هذه الجامعات في القاهرة ، في دمشق ، في العراق، في الاردن ، الخ ، وقد تشكلت بالفعل هذه اللجان وبدأت عملها ، الا أنه بطيء جداً ، ونحن نكتفي بهذا البطء لأنه خير من عدم العمل .

والواقع أننا نواجه في مكتب التعريب تيارات وحواجز مذهلة ، لأن هناك ظاهرة جوهرية ، ما اردت الاشارة اليها ولا التحدث عنها ، وهي أن المجاذبات السياسية تنعكس على عملنا الثقافي ، ولذلك فإن الكثير من اعمالنا يعرقل ، الا أنه لا يعرقل عن قصد بل لعدم وجود صلات وروابط بين هذا القطر العربي وذاك ، لأن هنالك حواجز هامشية لا علاقة لها لا بالثقافة ولا بأي شيء، قد حالت دون استكمال عمل المكتب . ولهذا فإن ما وحّد عام ١٩٧٣ في الجزائر ، وكان مطلوباً من بعض المجامع التي تكفلت بطبعه أن ترسله الى المكتب بعد ٦ اشهر ، ما زلنا ننتظر وصوله الى الآن . فكيف يمكن أن نوحد ، وان نوزع المصطلحات المصدّق عليها ؟ كيف يمكن أن نحقق غرضا في مثل هذا الجو؟ وما قيل عن خزن المصطلحات في البنوك الدولية وتحنيطها وتجميدها فيه مجازفة، لأننا لا نعتمد الى حد ما على هذا الخزن الا من ناحية واحدة هي جعل المنظمات الدولية على صلة وثيقة بالمصطلحات وبالمقابلات العربية حتى تستعملها هي نفسها في حين اننا لا نعتمد على هذا فقط ، بل كما قلت لكم نصدر كتباً في العلوم نستعمل فيها المصطلحات الموحدة ، وذلك لأن العالم العربي ما زال الى الآن ، وهو الذي وحد هذه المصطلحات ، لم يطبقها ، بل حدث شيء خطير جداً وهو أن حكومة الجزائر التي بحثت فيها هذه المصطلحات في كل اجتماع للمجلس التنفيذي للمنظمة لم تحصل على هذه المعاجم الموحدة . فنحن لسنا مسؤولين ، ولا المنظمة هي المسؤولة ، بل المجامع التي تكفلت بطبعها هي المسؤولة عن ايصال هذه المعاجم . هنالك مشاكل كثيرة جداً لا اريد ان ادخل فيها ولا اردت الدخول فيها ، وانما قد قدمت اليكم عرضاً مقتضباً تحدثت فيه عن عملنا في مكتب تنسيق التعريب ، فنحن نُعَدّ الاداة ولسنا مسؤولين عن التنفيذ .

القسم الثاني

تجارب التعريب

الفصل الخامس

التعريب ودوره في حركات التحرّر في المغرب العربي

عبدالكريم غلاب

مقدمة

لو أن باحثا غربيا مثلا فكر او بحث في موضوع (الفرنسة) او (النجلزة) في فرنسا او انكلترا لدعا تفكيره او بحثه الى استغراب ، وربما الى سخرية ، لأن احدا في فرنسا او انكلترا لا يمكن أن يفكر في فرنسة بلاده او نجلزتها . ولكننا في الوطن العربي نعتبر البحث في هذه المشكلة من صميم تأكيد الذات العربية ، ومن صميم معركة التحرر التي يقودها الوطن العربي للتخلص من التخلف ورواسبه ، ومن الاستعمار ورواسبه .

وقد لا يشعر عموم العرب في الجزء المشرقي من الوطن العربي بضرورة التعريب كمعركة يجب أن تخوضها كل قطاعات العمل الفكرية والتعليمية والاقتصادية والادارية والاجتماعية كما يشعر بذلك عموم العرب في الجزء المغربي من الوطن العربي . ذلك لأن النهضة العربية في المشرق العربي سبقت مثيلتها في المغرب العربي ، ولم يكن الاتصال ميسورا في اواخر القرن الماضي ، والثلث الأول من هذا القرن . ولذلك استمر تخلف اللغة العربية في بلاد المغرب ، ولم تستطع أن تساير حضارة العصر ـ ولو نسبيا ـ رغم وجود اقدم جامعة عربية اسلامية في فاس التي كانت ـ حتى في فترات التخلف ـ تشع على المنطقة الغربية بما فيها الجزائر وغرب افريقيا ، ورغم وجود جامع الزيتونة في تونس الذي كان يشع على المنطقة الشرقية بما فيها ليبيا وشرق الجزائر .

ثم اتى الاستعمار الفرنسي بعد فترة تخلف فحاول بنجاح أن يبعد اللغة العربية عن ميدان التفكير والممارسة ، الشيء الذي لم يحاوله بنفس الجدية والنجاح في سوريا ولبنان ، ولم يحاوله الاستعمار الانجليزي بنفس الحدة في بقية البلاد العربية . فكان التعليم في المغرب العربي ـ على ضآلته ـ يعتمد اللغة الفرنسية في كل مراحله ، ولكل مواده الادبية والاجتماعية والرياضية والعلمية . وربط ـ كما هو طبيعي ـ بين التعليم وكل ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية

والادارية . وفي وقت وجيز لم يتعد بضع سنوات ، اصبحت الفرنسية هي اللغة الرسمية في التعليم والعمل والتفكير في كل البلاد التي دخلها الحكم الفرنسي . واصبحت اللغة العربية لا تسعف حتى في كتابة عنوان رسالة الى عربي يسكن في قرية مجهولة في اعماق المغرب او الجزائر او تونس .

اولاً : لغة المستعمر

لم تكن اللغة الفرنسية (والاسبانية) ، بهذا الاستعمال ، وسيلة للتعليم والثقافة ، بل كانت وسيلة عملية :

١ ـ للغزو الفكري ، بحيث يدور الفكر العربي بالمغرب في فلكي فرنسا واسبانيا. وسبيل ذلك هي المادة التي تلقن في المدرسة ، عن طريق دراسة تاريخ فرنسا وجغرافيتها واقتصادها وادبها وتاريخ علمائها (واسبانيا بالتبعية) . ومن ثم تصبح فرنسا واسبانيا قطبي العالم في فكر المتعلم المغربي ، اذا اجتاز ـ وقليل من اجتازوا ـ مرحلة التعليم الابتدائي او الاعدادي .

والغزو الفكري كان يستهدف تكوين المواطن المغربي على مثال الانسان المستعمر . ولا يقصد بذلك تحويل المغربي الى فرنسي او اسباني ، فتلك مرتبة لا ينبغي أن يبلغها (الاهلي) ـ كما كان يسمى ـ لأنه من مرتبة ثالثة او رابعة ، وانما يراد منه أن يصبح مستلبا فكريا عن طريق محو الشخصية العربية الاسلامية ، وبالتالي يصبح انسانا تابعا لا كيان له ، سواء في ذلك الكيان الوطني او القومي او الديني . ولا يهم أن يظل اسمه محمدا ـ مثلا ـ وجنسيته من المغرب الفرنسي او الجزائر الفرنسية او تونس الفرنسية ، وانما الذي يهم أن يكون محمد هذا مستلب الفكر ، عديم الشخصية ، خادما في المزرعة او المعمل ، او موظفا صغيرا يقوم بالمهمة التي لا يقوم بها السيد المستعمِر .

واستلاب اللغة عن طريق الغزو الفكري هو احدى وسائل استلاب الشخصية . والدليل على ذلك أن كثيرا من المنظرين الاستعماريين ، وكثيرا من الممارسين للسياسة الاستعمارية في الجزائر مثلا ،كانوا يأبون على الجزائري أن يصبح فرنسيا له حقوق الفرنسيين وعليه واجباتهم . فقد كان جزائريا عليه واجبات الفرنسيين ، وبخاصة الواجبات المدنية والمالية ، كخدمة العلم الفرنسي في الجندية ، وكل الواجبات الضريبية المفروضة في فرنسا نفسها دون أن يكون له حتى ابسط الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي .

والشيء نفسه كان يراد أن يطبق في تونس عندما شنت فرنسا حملة للتجنيس في اوائل الثلاثينات . وكان احد منطلقات الحركة الوطنية التونسية مقاومتها والاصطدام بالاستعمار الفرنسي لتحطيمها . ولم يكن يراد من وراء تلك الحملة اعطاء المواطن التونسي حقوق المواطن الفرنسي ، وانما محو شخصيته . وهذا ما نعنيه حينما نقول : إن الغزو الفكري كان يستهدف

تكوين المواطن المغربي على مثال المواطن الفرنسي ، لا جعله مواطنا فرنسيا ، وكانت اللغة التي لا ترقى به الى مستوى التعليم العالي او التقني هي السبيل الأولي الى محو هذه الشخصية .

٢ ـ لتكوين المساعدين الثانويين لخدمة الادارة الفرنسية والاسبانية في المناصب التافهة (بائع طوابع البريد او موزعه ، ترجمان في مكتب بقرية يفترض في سكانها الا يتحدثوا بالفرنسية او الاسبانية ، مساعد محصل الضرائب على الانتاج الفلاحي مثلاً . . .) .

٣ ـ لربط الاقتصاد المغربي بالاقتصادين الفرنسي والاسباني، بامتلاك الأرض والموارد المغربية واستغلالها في التصدير والاستيراد . وبذلك يصبح اقتصاد المغرب العربي مكملا للاقتصادين الفرنسي والاسباني ، ومزودا لفرنسا واسبانيا بكل ممكناته من المواد الاولية ، وموئل هجرة لمئات الآلاف من الذين تضيق فرنسا واسبانيا عن تلبية حاجاتهم من المزارعين والعمال والرأسماليين والموظفين والباحثين عن عمل ، ولو من خدام المقاهي ، وطهاة المطاعم ، وسائقي الحافلات والشاحنات . ومثل ذلك يقال في اسبانيا بالنسبة لشمال المغرب وصحرائه

كان هذا هو الهدف الاساسي . ومن ذلك ندرك أن اللغة الاجنبية في المغرب العربي لم تكن في عهد الاستعمار وسيلة تثقيف او تنمية للمعرفة ، بل كانت وسيلة لمحو الشخصية العربية المغربية . وقد كان المنظرون الاستعماريون يؤكدون ان الاسلام واللغة العربية هما ركيزتا هذه الشخصية . وكما حاولوا أن يهدموا الركيزة الأولى عن طريق ما سمي بالسياسة البربرية في الجزائر والمغرب بالنسبة للاسلام ، حاولوا أن يهدموا الركيزة الثانية باحلال اللغتين الاجنبيتين (الفرنسية والاسبانية) محل اللغة العربية للقضاء على الذاتية .

ثانياً : العربية ووحدة الثقافة

وتتمثل الذاتية العربية ايضا في الوحدة الفكرية والثقافية للشعب في المغرب العربي . ويدعم الوحدة الفكرية والثقافية فيه منذ ثلاثة عشر قرنا الاسلام واللغة العربية . فمنذ عرفت هذه البلاد الاسلام التأم شملها وتكونت كوطن وكجزء قائم الذات من امة اسلامية ، او امة عربية . وكل المظاهر الاخرى ، كالقبلية ، والعرقية ، والاقليمية ، تراجعت ـ بالنسبة للتأثير في الوحدة ولو انها ظلت قائمة كمظهر اجتماعي يعكس مختلف مجتمعات العصر ـ نقول تراجعت امام الاسلام كدين ، والعربية كلغة ، لتطبع المجتمع المغربي الذي امتد في بعض فترات من التاريخ الاسلامي حتى شمل الاندلس ، كما شمل جزءاً من افريقيا الغربية .

١ ـ حقيقة أن اللهجات البربرية منتشرة في المغرب العربي بنسب مختلفة في منطقة القبائل والاطلس والريف ، ولكن العربية متأصلة في الفكر والممارسة الثقافية في المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي . وليست هناك عقد بالنسبة للفكر العربي منذ البداية . فقد تعلم الشعب المغربي الممتزج الذي اصبح من الصعب أن تفصل فيه بين عربي وبربري تعلم اللغة العربية

وفكر بها واستعملها لغة تعليم وثقافة وتجارة وادارة وعقود وتدوين . ونبغ علماء امازيغيون في علوم العربية : لغة ونحوا وادبا ، فالفوا فيها ، وكتبوا شعرهم ومحاضراتهم وكتبهم العلمية والادبية بهذه اللغة ، بل دافعوا عنها باعتبارها لغة دين وعلم وحضارة دون الشعور بأية عقدة ، في الوقت الذي احتفظت اللهجات البربرية بتراثها الفني في الشعر والغناء والموسيقى ، وبمكانتها كلهجة خطاب لملايين السكان في الجزائر والمغرب وتونس وليبيا ، وإن كانت في الجزائر والمغرب اكثر منها في ليبيا وتونس .

ومكانة البربرية لم تقف في وجه تعريب هذه البلاد فكريا ، كما لم يقف البربر كعنصر في وجه امتزاج اصول سكان المغرب العربي وفروعه ، ولا وقفت اللغة والعنصر في وجه ارتباط المغرب العربي بعالم العروبة على مر التاريخ الاسلامي ، وحتى في عهد الاستعمار ، رغم الجهود التي بذلها .

٢ ـ بل ان اللغة العربية كانت هي الوسيلة لنشر الاسلام وعلوم العربية في افريقيا الغربية . فقد اصبحت لغة الثقافة والعلم والحياة العامة ، رغم اللهجات البربرية التي كانت منتشرة في شمال افريقيا من ليبيا حتى جنوب موريتانيا . وكانت الوسيلة لنقل الاسلام والثقافة العربية الى غرب افريقيا ، من نيجيريا حتى النيجر وتشاد ومالي والسنغال وساحل العاج ، مثلما حدث من تأثير مصر وجنوب الجزيرة في شرق افريقيا كالصومال واثيوبيا واوغندا . ودخلت الالفاظ العربية اللهجات الافريقية في غرب افريقيا ، كالحسانية التي هي اقرب اللهجات الى العربية ويتحدث بها في الصحراء المغربية وموريتانيا ، وكالهوسة المنتشرة في غرب افريقيا ، مثل ما حدث من تأثير للغة العربية في اللغة السواحلية المنتشرة في شرق افريقيا عن طريق مصر والسودان وجنوب الجزيرة العربية .

٣ ـ وما من شك في أن الاسلام كان له اثر كبير في وحدة الفكر العربي ووحدة التفكير والممارسة الفكرية والادارية والحياتية بلغة واحدة هي العربية . فقد اكتسبت هذه اللغة قداسة شبه دينية بالاضافة الى قدرتها على الاستجابة لكل متطلبات الفكر والممارسة . كما كان للاسلام ايضا اثره في وحدة الفكر العربي في المشرق والمغرب عن طريق اللغة التي اكتسبت نفس القداسة في كل الوطن العربي ، واصبحت بفضل القرآن اللغة المشتركة بين جزء من شبه الجزيرة العربية التي خرج منها قلة من العرب مجاهدين ومعلمين ، وبقية البلاد (في شرقها وغربها) التي تعربت مع الاسلام وحمت اللغة العربية حينما جعلتها لغة الثقافة والعلم والممارسة الحياتية .

٤ ـ في المغرب العربي امتزج معنى الاسلام بمعنى العروبة ، واصبح من الصعب التمييز بين العربي والمسلم ، نظرا لمكانة اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن . ونظرا لانعدام الاقليات غير المسلمة التي تتحدث العربية ، الا اليهود الذين كانوا ينطقون العربية بلهجة خاصة تنم عنهم ، ثم نظرا لقلة الاقليات المسلمة التي لا تعرف العربية او يتثقف المثقفون منها بغير العربية . ورغم الاصول البربرية ، فإن التاريخ لم يشهد حركة عنصرية ولا صراعات عرقية الا الصراعات القبلية المعروفة في مختلف انحاء العالم في العصور الوسطى . وقد حاول الاستعمار في الجزائر في

العشرينات من هذا القرن أن يقسم البلاد على اساس عرقي . والشيء نفسه حاوله في المغرب في القانون الذي اصدره في ١٦ ايار / مايو ١٩٣٠ واستهدف التفريق بين المناطق التي يسكنها العرب ، والمناطق التي يسكنها البربر ، وهو تقسيم شبه اداري ، لأن الامتزاج كان كاملا كما قلنا . ويقوم التفريق على اساس اللغة والحكم والقضاء وقانون الاحكام بما فيها الاحوال الشخصية ، ثم محاولة نشر المسيحية في المناطق التي تسكنها أغلبية من البربر ، وصبغ التعليم بصبغة خاصة في لغته ومواده .

٥ ـ وهذه المحاولة التي أحبطتها الحركة الوطنية التي انتشرت منذ ذلك التاريخ في مختلف مناطق المغرب ، بما فيها المناطق التي يسكنها اغلبية البربر ، كانت مدعومة بتنظير فكري تقوم به جماعة من العلماء الفرنسيين الجامعيين الذين لا يزالون حتى الآن يرعون هذه النظرية ويشجعونها بما يكتبونه من ابحاث ذات شكل علمي تتناول الجانب العرقي واللغوي والفني والتاريخي للامازيغيين ، لإثبات نظرية مسبقة هي انفصال البربر عن العرب في كل هذه المقومات . ومن المؤسف أنهم يطبعون ابحاثهم هذه بطابع سياسي قوامه اثارة العداء والصراع بين العنصرين العربي والبربري في المغرب العربي . وما تزال مجموعة من هؤلاء الباحثين المنظرين متركزة في المركز الجامعي للبحث العلمي في جامعة اكس ـ آن ـ بروفانس AIX - EN - PROVANCE ـ بفرنسا . وعن هذا المركز تصدر الابحاث والدراسات التي توجه الفكر الى انفصال البربر عن العرب عنصرا وحضارة ولغة ، بكل ما يعنيه ذلك من توجيه خطير لتمزيق وحدة شعوب المغرب العربي .

ثالثاً : ملامح المؤامرة على الشخصية العربية

من كل ذلك تتضح الحقائق التالية :

١ ـ ان العربية اصيلة في الفكر والممارسة الثقافية والحياتية والادارية في المغرب العربي .

٢ ـ إن هذه البلاد واجهت وضعية احلال اللغة الاجنبية محل اللغة العربية في التعليم والادارة والاقتصاد والحياة العامة . وكانت اللغة الاجنبية هي الاقوى بسند السلطة اولا ، وبسند الفاعلية ومنهاجية التعليم واساليبه البيداغوجية الحديثة وقدرة اساتذته ثانياً ، ثم بالمردودية العملية ، لأن خريج المدرسة الفرنسية ـ ولو في مرحلتها الابتدائية ـ كان يجد مجالا للعمل في الادارة او في الاعمال الحرة ، وقد يغتني اذا عرف كيف يستغل اللغة التي يتخاطب بها في الاعمال التجارية ، وفي الاقتصاد الذي كان يرتبط بفرنسا .

٣ ـ ان المغرب العربي واجه الاستلاب الفكري ومحاولة محو الشخصية العربية الاسلامية المغربية ، وكانت اللغة احدى وسائل الاستلاب ومحو الشخصية .

٤ ـ ان المغرب العربي واجه معركة مصطنعة لتمزيق وحدته وانفصام شخصيته هي ما يسمى

بالصراع العربي البربري . وهو صراع لم تكن له جذور في المجتمع المغربي ، ولكنه اصطنع بالسلطة والادارة والقانون ، تحت غطاء علمي لوضع المغرب العربي امام الامر الواقع من جهة ، وللتمكين للغة الأقوى التي تتمتع بامكانيات ذاتية مهمة ، وبالسند السلطوي ، لتحل محل اللغة العربية . ولأن اللهجات البربرية لا يمكنها أن تواجهها ، فمعنى ذلك أنها ستصبح اللغة الرسمية بحكم ممكناتها وسلطتها في الثقافة والاقتصاد والادارة والحياة العامة . وهذا وحده سيعزل اللغة العربية ويفقدها مكانتها تمهيدا للقضاء عليها . والامثلة الواضحة امام المنظرين الاستعماريين هي اللهجات الأفريقية التي تراجعت عن مكانها ـ رغم قوة بعضها ـ لتفسح المجال امام اللغات الاوروبية ، حتى اصبحت افريقيا ، رغم استقلالها ، مقسمة الى فرانكو فون وانكلوفون ولا مجال فيها لاية لهجة او لغة افريقية اصيلة ، ولتصبح اللغات الاوروبية اللغات الرسمية في الثقافة والعلم والادارة .

٥ ـ ان اللغة الاجنبية مكنت للاستيطان الاجنبي في المغرب العربي . ذلك لأن الجاليات الاجنبية ، الفرنسية والاسبانية ، لم تجد صعوبة تذكر في استيطان هذه البلاد ، وايجاد مستوطنات زراعية كبيرة ، وشبه مستوطنات صناعية . وتمكنت نخبة من الكفاءات من الاقامة اقامة دائمة ـ حتى أن بعض الشباب منهم لم يكونوا يعرفون بلادهم الاصلية الا عن طريق ما يقرأون وما يسمعون ـ واصبحوا ينتمون الى الجزائر او المغرب او تونس ، رغم أن البلدين الاخيرين لم يكونا مرتبطين بفرنسا الا بمعاهدة حماية او شبه حماية .

وكان لهذا الاستعمار الاستيطاني اثره في الحياة العامة ، وفي الحياة الاقتصادية بصفة خاصة . بل كان يهدف الى أن يكون له اثر في تحويل انتماء المغرب العربي لعالم العروبة والاسلام ، لأن اللغة والدين اصبحا مهددين كما اوضحنا ، ولأن ارادة الاستعمار كانت متجهة الى فرْنسة المغرب العربي ، وكانت اللغة والدين اهم وسيلة لهذه الفرنسة .

والملاحظة البديهية هي تبادل التأثير بين هذا الاستعمار الاستيطاني واللغة الاستعمارية بحيث اثرت اللغة في تدعيم الاستيطان ، واثر الاستيطان في تدعيم اللغة الاجنبية . وكانت الضحية هي اللغة العربية والشخصية العربية والاسلامية في المغرب العربي .

٦ ـ إن الشعب العربي المعرّب في المغرب اصبح على الهامش نتيجة السيطرة الاقتصادية والادارية والحكمية التي تمكن لها جميعا اللغة الاجنبية . ومن هنا كان يمكن أن تذوي شخصيته وتضيع على مر الاعوام ، او هذا على الاقل ما اريد له مثل ما حدث لشعوب القارة الامريكية واستراليا وما كان يراد لشعوب جنوب افريقيا . فتلك هي النتيجة الطبيعية للاستعمار الاستيطاني ، وسبيله الاولي هي اللغة .

رابعاً : جهود حركة التحرير

لقد بدأت هذه الحركة ثورية حربية على يد الامير عبد القادر في الجزائر ، وعمر بن عثمان

في تونس ، وعبد الكريم الخطابي في المغرب . ولم يكتب لهذه الحركات الثورية ان تنتصر حتى تحقق اهدافها في الحفاظ على الشخصية القومية ، واللغة في مقدمة مظاهرها . ولذلك فإنه حينما توقفت الحركة الثورية بدأت الحركة الوطنية ، ممثلة في المثقفين ، تعمل للحفاظ على الشخصية الجزائرية والتونسية والمغربية ضد قوانين الفرنسة والتجنيس[1] والبربرة . وقد ظهرت هذه الحركة على يد حركة نجم الشمال الافريقي التي كان يرئسها مصالحي الحاج ، والتي كانت تطالب في مقدمة ما تطالب به الاعتراف باللغة العربية لغة قومية في الجزائر . وتطورت على يد جمعية العلماء الجزائريين التي تبنت الافكار الاسلامية والعربية ، وقامت بنشاط عملي ملحوظ في نشر التعليم العربي عن طريق تأسيس المدارس العربية في مواجهة المدارس الفرنسية ، وفي بث الثقافة العربية الاسلامية لمواجهة الثقافة الفرنسية التي كان لها من التأثير ما دفع بعض المثقفين الجزائريين آنذاك الى أن ينكروا كل وجود للشخصية الجزائرية او للقومية الجزائرية .

خامساً : مقاومة الغربة اللغوية

وظهرت هذه الحركة التعريبية في تونس ردا على حركة التغريب في وقت مبكر ، وبدأ الشعور بالغربة اللغوية منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر . وهذا الشعور أساسه الغلبة ، اذ أن التونسيين احسوا بالضعف وبالخطر المهدد ، فكان ذلك حافزا على الوعي بالامر ، وهو الذي دعا احمد باشا بمساعدة الشيخ محمود قابادو الذي دبت فيه اول ما دبت الغربة اللغوية الى تأسيس مدرسة باردو ، وعهد الى الشيخ قابادو بالاشتراك مع المدير الايطالي ولجنة من طلبة المدرسة ، بتحرير خلاصة دروس الاساتذة الاجانب وترجمة كتب اوروبية في الفنون الحربية[2] . وقد تطور هذا الاتجاه على يد الوزير التونسي المصلح خير الدين الذي انشأ المدرسة الصادقية سنة ١٨٧٤ لتحتفظ بمكانة اللغة العربية في وجه الغزو اللغوي الاجنبي الذي اخذ يهدد شخصية البلاد . كما اصلح التعليم في الزيتونة التي كانت منار اللغة العربية وعلومها في هذا الجزء من المغرب العربي (كما كانت القرويين في فاس في الجزء الأول من الوطن العربي) وأنشأ المكتبات وشجع حياة الطباعة والنشر .

---

(١) عملت الحكومة الفرنسية على تجنيس الجزائريين ، وبالاخص اليهود ، منذ مرسوم لويس فيليب الذي اعتبر الجزائر جزءاً من فرنسا سنة ١٨٣٤ ، ثم قرار سنة ١٨٤٦ الذي اعتبر الجزائريين فرنسيين - ويهدف هذا القرار الى القضاء (قانونياً) على الشخصية الجزائرية - ثم بقانون ١٨٧١ الذي اعطى صفة المواطن الفرنسي لليهود الجزائريين لتكثير السواد الفرنسي . ولقد اتبعوا نفس سياسة التجنيس في تونس، فدفعوا باليهود الى المطالبة بالجنسية الفرنسية سنة ١٩٠٧ ، وهي السياسة التي قاومها الزعيم التونسي علي باشا حامبة وجماعة تونس الفتاة . وكانت انطلاقة مهمة للحركة الوطنية التونسية وللمحافظة على الشخصية التونسية من خلال الجنسية التونسية .

(٢) انظر في هذا الصدد : البشير بن سلامة ، **الشخصية التونسية** ، ص ١٤٣ ، ومحمد الفاضل بن عاشور ، **اركان النهضة الادبية بتونس** (تونس : مكتبة النجاح ، ١٩٦١) .

وتطورت هذه المقاومة الايجابية للغربة اللغوية على يد جماعة الحاضرة التي انطلقت منذ سنة ١٩٠٥ وحاولت الاحتفاظ بالشخصية التونسية في اللغة والدين عن طريق ربط تونس بحركة الجامعة الاسلامية ، ونشر الافكار التحررية معتمدة على الروح التي بثها زعماء الاصلاح الديني والسياسي في مصر والوطن العربي من امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده[٣] .

وقد خيمت ظاهرة الغربة اللغوية على تونس طوال فترة الحماية نتيجة اصطباغ التعليم والادارة والحياة العامة باللغة الغالبة القوية . وذلك رغم وجود الزيتونة واستمراررسالتها على قدر ما تستطيع اداء هذه الرسالة في الظروف السيئة التي انحدر اليها التعليم العربي في المغرب العربي عموما ، وعلى الرغم من وجود مدارس قامت أساسا للحفاظ على الشخصية اللغوية في تونس ، كالمدرسة الصادقية . وكان من نتيجة هذه الغربة اللغوية الاثر الذي تركته الازدواجية في اطارها السلبي ، والتي يصفها الاستاذ البشير بن سلامة قائلا ان هذه الآفة من شأنها أن تنهك الاذهان وتتعب العقول وتستنفد الطاقات ، فلا تبرح ترافق المتعلم حتى تعصره عصرا وتفتر حماسته وتلفظه من عالم الحياة الحية لفظا كما تلفظ النواة ، فتراه عندما يفارق الدرس يحمل مرارة في نفسه تنفره من كل ما هو كتاب ، وتجعله يقبل على الكسب من دون تطور وتطوير[٤] .

من هذا المنطلق سارت الحركة الوطنية في تونس للعمل على استعادة الشخصية التونسية ارضا واقتصادا وفكرا ولغة ، حتى حققت الاستقلال السياسي . وسنرى أن المعركة ما تزال مستمرة في تونس ، كما هي في سائر اقطار المغرب العربي ، لتحقيق الاستقلال الفكري عن طريق الخروج من الغربة اللغوية التي هي سبيل الاستعمار الفكري .

سادساً : دور التعليم المعرب في مقاومة الاحتلال

١ ـ وربما كانت مقاومة الغربة اللغوية في المغرب على يد الحركة الوطنية المتمثلة في حزب الاستقلال اقوى منها في البلدين الشقيقين . ذلك لأن المغرب ، بحكم وصول الاحتلالين الفرنسي والاسباني اليه متأخرين عنه في الجزائر وتونس، وبحكم ارتباط الحركة الوطنية فيه بشكل اوثق بالحركة الوطنية في الشرق العربي واستفادتها من تجاربها ، وبحكم تطبيق الاستعمار في المغرب نتائج ما استفاده مما قام به في الجزائر وتونس ، وبخاصة في احلال اللغة الاجنبية محل اللغة العربية في التعليم والادارة والحياة العامة ، بحكم كل ذلك ، قامت الحركة الوطنية في المغرب على أسس في مقدمتها استعادة مكانة اللغة العربية ، والحفاظ على الشخصية العربية من خلال المحافظة على اللغة .

---

(٣) انظر : علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي (القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٤٩ ؛ طنجة : عبد السلام جسوس [١٩٤٨])، ص ٤٢ .

(٤) بن سلامة ، الشخصية التونسية، ص ١٨٥ .

٢ ـ وقد ظلت جامعة القرويين تقوم بالدور التاريخي الذي اضطلعت به طوال احد عشر قرنا ، وفي مقدمته الحفاظ على العربية لغة علم وادارة وحياة ، وظل تأثيرها قويا ، رغم محاولة الاستعمار السريعة والقوية التي استفادت من تجاربها في الجزائر وتونس وافريقيا الغربية . ومع ذلك كانت الفرنسية (والاسبانية) اللغة الرئيسية في التعليم الذي قدمته الادارة الفرنسية للمغرب ، وتحولت الادارة المغربية بكاملها الى ادارة فرنسية واسبانية ، وبدأت الحياة الاقتصادية الجديدة تعتمد على الفرنسيين والاسبانيين ، وترغم المغاربة عمليا على أن يتعاملوا معها باللغة التي تمارس بها العمل . ولم يكد يمر العقد الاول من عمر الحماية التي فرضت على المغرب سنة ١٩١٢ حتى بدأت اللغة العربية تتراجع عن مكانتها للغة الدخيلة في التعليم والادارة والحياة العامة كما قلنا .

٣ ـ كان ذلك انذارا مبكرا للنخبة الصغيرة المفكرة من الشباب الذين انهارت آمالهم بفشل ثورة الاطلس على يد موحى وحمو الزياني والمجاهدين من صحبه الذين كانوا يطوقون الاطلس المتوسط ، ثم فشل حرب التحرير المجيدة التي شنها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٢٥ .

والتفكير الوطني السياسي الذي كان شبه بديل للثورة الريفية بدأ شموليا ، فلم تفكر النخبة الصغيرة التي قامت بعبء الحركة الوطنية فيما بعد ـ ومعظم افرادها من طلبة القرويين وتلاميذ المدارس الثانوية آنذاك ـ في قلب نظام الحماية عن طريق الثورة العسكرية نتيجة انهزام التجربة ، وتفوّق الاحتلال العسكري بقوته وامكاناته وخبرته . ولم تفكر الحركة الوطنية بالعمل السياسي المجرد ، ولكنها بدأت تفكر في الفراغ الثقافي الذي تركه التخلف حتى مهد الطريق امام الاحتلال ، ثم في الاسس التي يقوم عليها الاحتلالان الفرنسي والاسباني للمغرب ، وفي مقدمتها الاستلاب الفكري عن طريق استلاب اللغة .

٤ـ وحوالى سنة ١٩٢٥ اتجهت الحركة الوطنية الى انشاء المدارس الابتدائية المعربة التي وضعت برامجها على أن تكون العربية لغة التلقين ، في مواجهة المدارس التي اصبحت لغتها الفرنسية او الاسبانية . وبدأ الاقبال عليها شديدا . ولم تكن تحمل المعنى البسيط العادي للمدرسة وانما كانت تحمل معنى الحفاظ على الشخصية العربية المغربية وتخريج جيل من المقاومين للاستلاب اللغوي والغزو الفكري . وهذا هو المفهوم الذي اعطاه الاستعمار للمدرسة الوطنية منذ البداية ، فقاومها بالعنف الذي كان يقاوم به الافكار الوطنية ، فأقفل عددا من المدارس ، ونفى المشرفين عليها الى اماكن نائية ، وشرد تلاميذها واساتذتها ، وفرض رقابة شديدة على بعضها الآخر ، وحاول زرع الشك لدى المواطنين في مدارسهم التي حظيت باهتمامهم لأنهم رأوا فيها البديل لمدارس الغربة اللغوية .

٥ ـ ومن الواضح أن المقاومة التي عرفتها المدارس المعربة كان لها مردود عكسي ، لأنها اكدت للمواطنين حقيقتين :

أ ـ انها المدارس المثال التي كان يجب أن يؤسسها النظام التعليمي الجديد بالمغرب ، لأنها تعتمد اللغة القومية لغة تلقين .

ب ـ انها بلورت مقاومة الاستعمار على الاساس الفكري والقومي الى جانب الاساس الوطني والسياسي . فلم يعد الاستعمار يعني احتلال الارض فحسب ، وانما اصبح يعني كذلك استلاب الشخصية ، ولم تعد مقاومة الاستعمار تعني اخراج الاحتلال من الأرض فحسب ، وانما اصبحت تعني كذلك تحرير الفكر من الغزو ، وتحرير اللغة من الاستلاب .

٦ ـ ويمكن أن نؤكد أن الحركة الوطنية بالمغرب استمرت في خطة تعريب التعليم بالطرق العملية ، اي بانشاء المدارس الوطنية في كل مدينة وقرية طوال عهد الحماية حتى فرضت عمليا ما سمي بالتعليم المعرب ، واضطرت الحماية الى شبه اعتراف به ، فراقبت براجمه وامتحاناته ، ولو انها لم تعترف بشهاداته ، ولم تقدم له اية منحة ، ولو عن طريق انتداب بعض الاساتذة . واسهم هذا التعريب في ارسال كثير من خريجيه الى جامعات مصر وسوريا والعراق ، وجامعات اوروبية وامريكية . وكان كثير منهم أطرا للتعليم الثانوي والجامعي وللادارة المغربية ، بما فيها الادارات العليا بعد الاستقلال .

٧ ـ واذا كان هذا التعليم المعرب قد ساهم بحظ وافر في الحفاظ على الشخصية العربية والاسلامية في المغرب العربي ، فقد ساهم بحظ وافر في استمرار الرابطة التي حاول الاستعمار أن يفصمها عن مشرق الوطن العربي ومغربه . فمن الواضح أن فرض اللغة الاجنبية في التعليم لم يستهدف فقط رفض ربط المغرب بالدولة المستعمرة (التي كانت تسمى في الاصطلاح الاستعماري ام الوطن) ، وانما استهدف ايضا فصل المغرب عن المشرق ، لأن الرابطة بين شقي الوطن العربي هي التي تمكن لفكرة الوحدة التي تجمع بين المحيط والخليج ، وهي الوحدة التي اقضت مضاجع الذين هاجموا الوطن العربي شرقه وغربه من الصليبيين في المشرق الى الاسبان والبرتغاليين في المغرب ، وهي التي انتهت بالاحتلال الغربي وانقسام هذا الوطن بين الانجليز والفرنسيين والاسبانيين في القرن الماضي واوائل هذا القرن .

٨ ـ كان هدف الاستعمار هو وضع المغرب العربي امام المثل الوحيد وهو الغرب الاستعماري لربط مستقبل هذه البلاد به . وكان هدف التعليم العربي بالمغرب العربي سد الطريق امام هذا المثل في الفكر والحضارة والاقتصاد والادارة والحياة العامة ، وربطه مقابل ذلك بالوطن العربي . ولذلك لم يقتصر العمل على التعريب التقليدي المدرسي ، وانما كانت هذه المدارس خلايا لتكوين المواطن الجديد المرتبط بالعروبة والاسلام فكريا وعمليا ، عن طريق تدعيم روح الاصالة في فكره ، ولوضع المثل العربي امامه في الفكر بتقديم نماذج من المثقفين والمفكرين والادباء العرب من العراق وسوريا ولبنان ومصر ، وربطه بانتاج هؤلاء الفكري والادبي . وبذلك يجد البديل العربي للنماذج الفرنسية والاسبانية التي يقدمها التعليم في المدارس الرسمية فرنسية او اسبانية .

٩ ـ هذا المنطلق طبع الصراع الاستقلالي في المغرب العربي في الربع الثاني من هذا القرن . ولذلك لم يكن النضال الوطني يعني التحرر من الاحتلال فقط ، وانما كان يعني ، الى جانب ذلك ، الارتباط بالوطن العربي عن طريق التعريب ، والتحرر من فكرة التغريب التي كان الفكر الاستعماري يجاهد لبثّها بين المواطنين في المغرب العربي .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان كثيرا من الفضل في الحفاظ على الروح القومية العربية في المغرب العربي يعود الى هذا الجهد الذي بذلته الحركة الوطنية التحريرية في تعريب التعليم وذلك يعني أيضا التحرر من الانتماء الغربي الذي كان يدعم اسسه التعليم الاجنبي ، ومقاومة سياسة الاندماج التي كانت تتبع في الجزائر ، حتى ان بعض الجزائريين انفسهم كانوا يستعجلونها ليتخلصوا من سياسة التمييز ، كما يعني تحطيم احلام الفرنسيين ـ على الاخص ـ الذين كانوا يحلمون بامبراطورية تمتد من (ام الوطن) الى (فرنسا ما وراء البحار) ، وكذلك التحرر من الارتباط الفكري والسيطرة الاقتصادية التي تنتهي دائما بالتبعية الاقتصادية .

سابعاً : تعريب التعليم بعد الاستقلال

١ ـ المعركة التي خاضتها الحركة الوطنية في اثناء الاحتلال استمرت بعد الاستقلال . ذلك أن التعليم الاجنبي توسع نسبيا بفعل المنافسة للتعليم المعرب ، وكوّن هذا التعليم الاجنبي اطرا قليلة جدا ، ولكنها كانت رصيد الدولة التي تسلمت الاستقلال في الاقطار الثلاثة المغربية . ثم ان هذا التعليم التغريبي المعتمد على اللغة الاجنبية اوجد هياكل ادارية له ، وتقاليد وطرقا بيداغوجية ، ومنهجا مستمدا من المنهج الفرنسي ، ومعلمين واساتذة لهم ارتباط قانوني بوزارة التربية . كل ذلك جعل من الصعب التحرر من استمرار يستند الى قرن وثلث قرن في الجزائر ، وثلاثة ارباع القرن في تونس ، واربعا واربعين سنة في المغرب ، كما كان من الصعب القفز على هذا التاريخ بجرة قلم . ولذلك تجددت معركة التعريب بعد الاستقلال بشكلها الجديد ، ولكن بنفس الروح ، ولنفس الاهداف ، ومن نفس الهيئات التي قادت معركة التحرر الوطني .

٢ ـ انه لم يتم تعريب التعليم في مختلف مراحله حتى الآن ، ولو أن الاقطار الثلاثة تسير في الطريق .

لماذا ؟ اذا كنت قد اجملت الاسباب في الفقرة السابقة فإني بسبيلي الى بعض التفصيل لتأكيد حقيقة اساسية هي ان المغرب العربي ما يزال يناضل ـ استمراراً لنضاله في عهد الاستعمار ـ في سبيل تعريب التعليم كوسيلة لتعريب الفكر وتأكيد الانتماء القومي العربي .

وأول الاسباب الاساسية ، أن الاستعمار ربط منهجية التعليم في المغرب العربي بمنهجية التعليم الفرنسية وفلسفته واسلوبه . وقد اشفق المسؤولون في المغرب العربي من محاولة التغيير الفجائي ، او التغيير قبل الدراسة والاختيار خوفا من انهيار نظام قائم قبل تعويضه بنظام يقام .

ومن المؤكد أن الاستمرارية كان لها الاثر في عدم الاقدام على احداث انقلاب في منهجية التعليم واسلوبه . والارتباط بين الفلسفة والمنهجية والاسلوب من جهة ، واللغة من جهة اخرى ، لا يحتاج الى توضيح . وثاني الاسباب ، قلة الاطر التعليمية المعربة ، وبخاصة في المواد الرياضية والعلمية ، في بلاد يتضاعف فيها كل سنة الاقبال على التعليم ، ولا تستطيع الدولة ان تلبي الحاجة الى تعليم ما ، بل ايجاد اطر لتعليم جديد في لغته وما يتبع اللغة من منهجية جديدة وفلسفة جديدة . وثالث الاسباب ، أن بعض المشرفين على قطاع التربية في بعض فترات هذه الحقبة القصيرة من عمر الاستقلال لم يقتنعوا بضرورة التعريب : بعضهم اندفاعا وراء الفكرة المسبقة من أن اللغة العربية ما تزال قاصرة عن الاستجابة للتطور العلمي والتقني ، وبعضهم تخوفا من انهيار ما هو قائم عملا فيما سيقام ، وبعضهم تخوفا من ضعف المستوى ، وبعضهم استنادا الى الواقع الذي لا يستطيع الفكاك منه وهو قلة الاطر ، وبعضهم تحسبا لإثارة نزعات امازيغية ، وبعضهم لكل هذه الاسباب مجتمعة . وذلك رغم ما يتذرع به بعض هؤلاء واولئك من أن التعريب هو هدف لا يمكن أن يتنكر له احد .

٣ ـ ومع كل هذا فإن تعريب التعليم ما يزال معركة يخوضها المغرب العربي في وجه كل التحديات الواقعية والوهمية كاستمرار لمعركة التحرر الوطني من رواسب الاستعمار ومعركة التحرر القومي من رواسب القطيعة والتمزق والتشرذم .

ومن المهم أن نؤكد أن المغرب العربي اجتاز مرحلة الحيرة والتردد فيما يخص قرار تعريب التعليم ، ووضع تخطيطا للسير في طريق التنفيذ . فقد اكدت الدراسات الميدانية التي قام بها المسؤولون في المغرب العربي ـ كل فيما يخص القطر الذي يهمه ـ أن استمرار فرنسة التعليم يكلف الدولة ويرهقها على حساب توسيع نطاقه وتعميقه ، نظرا للتكاليف الباهظة التي تتطلبها استعارة الاساتذة من الدول الناطقة بالفرنسية ، ونظرا لقلة هؤلاء الاساتذة، اذ اصبحت فرنسا نفسها عاجزة عن تلبية رغبات الدول التي تستعمل الفرنسية في تعليمها بمدّها بهم نتيجة التوسع في التعليم .

٤ ـ وقد درست وزارات التربية المشكل من جانبه التربوي ومردوديته فانتهت الى عدة حقائق :

أ ـ ان الاستمرار في الازدواجية يهدد مستوى التعليم . ذلك أن مستوى اللغة الفرنسية لدى التلاميذ قد انحط نتيجة انحطاط مستوى الاساتذة ، مغاربة كانوا ام فرنسيين ، لأن المعارين من اساتذة اللغة الفرنسية لم يعودوا في المستوى الذي كانوا عليه . وفرنسا نفسها تستعين بالمجندين في اطار الخدمة المدنية لاعارتهم للبلاد التي تحتاج الى اساتذة ، وهم في الغالب غير مؤهلين علميا وبيداغوجيا لتعليم اللغة الفرنسية . وبذلك اصبحت اللغة الفرنسية لا تستجيب لتلقين التلاميذ مواد علمية فكيف بالمواد الاجتماعية والادبية ؟

ب ـ الارهاق الذي يعانيه التلاميذ الممزقون بين لغتين : احداهما تحمل جانب القداسة

باعتبارها اللغة الام ولغة المنزل والشارع ، والثانية تحمل جانب القوة باعتبارها اللغة الاقوى ولغة العمل والكسب اي لغة المستقبل . يضاف الى ذلك أن تعليم لغتين لطفل دون العاشرة يرهق قواه العقلية ، وقد يصيبه بالتخلف فيهما معا ، لا نتيجة غباوة ، ولكن نتيجة عقدة الجهد الذي يبذله للتغلب على مشاكلهما معا .

ج ـ ان التلاميذ الذين لا يتقنون لغة اجنبية ، كما هو الواقع الآن بالنسبة للفرنسية ، يجهدون أنفسهم وهم يتلقون العلوم الرياضية والتجريبية مثلا ، او حتى الحقائق التاريخية والفلسفية اذا كانت تدرس باللغة الاجنبية ، يجهدون انفسهم في تفهم حقائق علمية قد تكون بسيطة او عادية بلغة هم بحاجة الى فك رموزها ، فيتمزق فكرهم بين ما يطلب منهم أن يفهموه من حقائق ، واللغة التي يفهمون بها . وذلك ما يصيب التعليم بضعف المستوى وقلة المردودية . من أجل ذلك كله اصبح تعريب التعليم قرارا اتخذته الاقطار الثلاثة وينفذ الآن وفق مخطط متكامل في منهجيته وتكوين اطره .

ه ـ ولما كان تعريب التعليم لا يعني الانعزال عن الثقافات العالمية والفكر الاجنبي ، ولا الفكر القومي يعني التقوقع والغربة الفكرية ، فإن اقطار المغرب العربي حريصة على أن تفسح المجال لتعلم اللغات ، كما تفسح المجال في الجامعات لمختلف العلوم وبمختلف اللغات . وهكذا ستصبح لغة التلقين في المدارس الابتدائية والثانوية هي العربية ، بينما تعطى للغات الاجنبية حظوظ وافرة حتى يخرج التلميذ وهو اقدر على القراءة والتعبير ومسايرة العصر في ثقافاته وعلومه وتقنياته .

واستطيع أن اؤكد أن هذا القرار ـ تعريب التعليم ـ لم تمله مصلحة تيسير التعليم والتخفيف من اعبائه فقط ، ولا التوجيه البيداغوجي فحسب ، ولكن املاه كذلك الروح القومي الذي يستجيب لتاريخ المغرب العربي ومستقبله وارتباطه العضوي بالامة العربية .

ثامناً : تعريب الادارة

ومشكلة الازدواجية ـ أو لنقل فردية اللغة الاجنبية ـ في المغرب العربي لم تقتصر على لغة التعليم ، ولكنها تعدت ذلك الى الادارة والحياة العامة . وهو شيء امتاز به الاستعمار في المغرب العربي من بين اقطار الوطن العربي . فقد نظم الحياة في هذه البلاد على أساس التسيير الفرنسي والاسباني ، لأن الفرنسيين والاسبانيين هم المعنيون بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والمغاربة تبع يسيرون خلف القافلة ، وعليهم أن يتعاملوا مع الادارة وما يتبعها من مؤسسات اقتصادية واجتماعية باللغة التي تسير بها الادارة ان ارادوا لحياتهم أن تسير . وقد دخلت الفرنسية والاسبانية في كل مجال وانزوت العربية حتى عن مكتب بريد في قرية صغيرة .

وقد ركزت هذه الادارة المغرّبة تقاليدها واطرها ولغتها واصلاحاتها ومفاهيمها التي ترتبط

بالفكر الغربي ، واشعت بقوتها هذه ، وبقوة السلطة ، على كل مظاهر الحياة العامة الاقتصادية والاجتماعية والخدمات ، حتى اصبح الرجل الذي لا يتعامل بالفرنسية مثلا لا يستطيع أن يعيش الا منزويا في عمل تافه يجتر فقره وبؤسه وغربته ، بينها العالم المتحرك يضج من حوله بالنشاط والحركة والتطور . وواضح أنه كان من الصعب احداث انقلاب في هذه الادارة على اثر الاستقلال مباشرة ، لأن عملية مغربة الادارة والاقتصاد اخذت وقتا طويلا نظرا لقلة الاطر الوطنية كما اوضحنا . ولكن هذه الصعوبة تجلت اكثر فأكثر حينما اصبحت الاطر المغربية في الادارة والاقتصاد والحياة العامة تسلك نفس طريق الادارة القديمة متبنية نفس اللغة والتقاليد والاصلاحات والادوات .

كان ذلك طبيعيا لأن التعليم لم يتعرب ، فكانت الاطر التي يمد بها الادارة مغربة ، واللغة هي التي تتحكم فيما بقي من تقاليد الادارة ومظاهر الحياة العامة . وقد سار التعريب في هذا الباب ببطء شديد .

كان القضاء اول ما تعرب بقرار رسمي . وبدأ بعض الادارات يأخذ سبيله الى التعريب ، ببطء ، ولكن الادارة في عمومها لا تزال مغربة نتيجة الارتباط بتقاليد متحكمة ، ونتيجة التعليم المزدوج الذي يمد الادارة باطر لا نقول عاجزة عن استعمال العربية ، ولكنها قادرة على استعمال الفرنسية ، ما لم تحول رسميا عن هذا الاتجاه .

خاتمـــة

نستخلص من هذا العرض بعض الحقائق نجملها بما يلي :

ـ الحركة الوطنية التي حققت الاستقلال ما تزال تشع في منظماتها وفي فكرها وايديولوجيتها على الحياة في المغرب العربي . وقد انطلقت في نضالها الوطني من منطلق قومي يستند الى التاريخ والحاضر والى ضرورة بناء مستقبل موحد للامة العربية .

ـ النضال الوطني ضد الاستعمار السياسي والعسكري اقترن بالنضال ضد الغزو الفكري والتغريب في التعليم والادارة والحياة العامة . والرواسب التي ما تزال متجذرة في المغرب العربي ، رغم ربع قرن من الاستقلال ، إنما تفرضها ظروف صعوبة الانتقال السريع من تعليم وادارة استعماريتين بكل ممكناتها وقدرتها وتقاليدهما الى تعليم وادارة بلاد عربية مستقلة.

ـ الارتباط قوي بين الصحوة العربية في المشرق والمغرب العربيين . ولذلك فلا مجال للتفكير في أن الحياة في احد جناحي الوطن العربي قد تسير في طريق غير طريق الجناح الآخر سواء لاعتبارات الاستعمار أو مخلفاته مما زرعه من فكر انعزالي او عنصري .

ـ اؤمن بأن مشكل التعريب لا يهم المغرب العربي وحده ، نظرا للظروف الاستعمارية التي شرحنا ، بل هو قضية العرب اجمعين . ولذلك يجب التفكير فيها كمشكلة عربية ، لا كمشكلة خاصة بالمغرب العربي. وبهذا نفكر جميعا وبمنطق علمي في التعريب، لا بوصفه مشكلة

عاطفية ، وانما بوصفه مشكلة لها صلة بالوحدة العربية في اطارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وبالتوجه العربي ازاء الشرق والغرب ، وبمستقبل العرب كأمة موحدة لا يفرقها اختلاف في لغة التعليم او في لغة الادارة والحياة العامة .

ـ مشكلة التعريب ليست قضية اكاديمية او مجمعية او قاموسية ، رغم اهمية تعريب المصطلحات واثراء العربية بالكلمات التي تعبر عن المفاهيم الحديثة ، علمية وصناعية وتقنية ، وانما هي مشكلة وضع العربية في المكان الذي يتطلبه مقامها كلغة لأمة واحدة ، لا تشاركها فيه لغة اخرى ، حتى لو امتازت بالقوة والنفوذ والانتشار والتاريخ الذي وضعته لنفسها ـ اغتصابا ـ في بلادنا .

من كل ذلك ندرك أن معركة التعريب التي كانت جزءاً من معركة التحرر في المغرب العربي لم تنته بعد ، وانها معركة العرب جميعهم ، وان التحرر الفكري عن طريق تحرر اللغة هو جزء مهم من التحرر الوطني والقومي ، وسبيل من سبل تحقيق الوحدة العربية .

تعقيب ١

هشام جعيط

كيف السبيل الى عدم الاتفاق مع اطروحة الاستاذ عبد الكريم غلّاب التي تعبّر بكلّ حماسة واقتناع وروية عن مأساة الاستلاب الفكري الذي سلّط على المغرب العربي من قبل فرنسا نتيجة استعمار استيطاني لم يشهد مثله اخواننا بالمشرق ؟ ان دراسته تؤجّج نار الم قاسى منه مغربنا الى درجة كادت تبتلع الجزائر فتمحى منها شخصيتها العربية الاسلامية نهائياً لولا حرب التحرير البطولية التي خاضتها فاضحت بلد المليون ونصف المليون شهيد . لقد كان الاستعمار الفرنسي يمثّل الى حد بعيد تهديداً مطلقاً للهوية الثقافية العربية بالمغرب ، ذاك المغرب الذي هدّد في الماضي من اوروبا ، وكاد يشهد مصير الاندلس وغرناطة البائسة التي ما زال يذكر التاريخ ثورتها الدرامية الدامية في سبيل الهوية الثقافية . اقول كاد يشهد هذا المصير في ماض قديم لولا تدخل العثمانيين . والحقيقة ان فرنسا في غزوها الاستعماري لم تكن تمثل نفسها فقط ، وانما شاءت ، عن مخطط مبيّت ، ان تسكن الجنس الابيض المتوسطي في ديارنا وتزيحنا تدريجاً عن اراضينا . انها كانت تسعى لاوربة الشمال الافريقي والحاقه بالقارة الاوروبية كما فهم هذا هيغل وتمنّاه بعد ما شهد قبيل وفاته دخول فرنسا الجزائر العاصمة .

ومما ابرزه الاستاذ غلاب ويجب تأكيده ان الاستعمار الفرنسي لم يسع - سوى في لحظة معينة خاطفة ايام نابليون الثالث - الى ادماج العنصر العربي - البربري في نطاق حضارة فرنسية رحبة الصدر على قدم المساواة ، وانما كان يرمي الى الاستعباد والاقصاء والتحقير .

واذا صح ان هذا الاستعمار لم يشأ الاتلاف الجسدي فإنه هيمن وطغى وزعزع الشخصية وحطّم ركائز المجتمع المغربي في مؤسساته واقتصاده وجعل من الشعوب المغربية شعوباً فاقدة للوجود التاريخي ، مهددة اكثر فأكثر بمصير اتنولوجي . كل هذا في عالم معتزّ بانتمائه العريق الى حضارة سبق أن كانت من اعظم حضارات الدنيا ، وليس ذلك في بقعة من الدنيا مهمشة او مهملة . حقيقة قاسية اذن وقع تجاوزها بنجاح الحركات الوطنية بالمغرب الاقصى وتونس وبالثورة

الجزائرية الباسلة . على أن التفسير الذي يقدمه الباحث للمقاومة والصمود في وجه الفرنسة يعتمد بالخصوص على المجهود الذي قام به مناضلون ثقافيون في سبيل الاصرار على حضور اللغة العربية بوصفها المعقل الاساسي للهوية الوطنية . فمن المدارس القرآنية بتونس ، الى المدارس المغربية ، مروراً بحركة العلماء الجزائريين ، ومن الزيتونة والصادقية والخلدونية الى القرويين ، كان تيار المبادرة الثقافية في الحفاظ على تراث العربية ـ سواء في ثوب قديم او مجدد ـ يلعب نفس الدور في الصمود الدؤوب الطويل النفس في وجه الاهمال والتحقير . وصحيح أن الحركات الوطنية التي توجت بمعارك سياسية او عسكرية اعتمدت على رصيد مجهود ثقافي صامد بقدر ما هو صامت نشط طويل النفس ، لكن وراء هذه الصورة الواضحة البينة تكمن تعقيدات في الواقع التاريخي قد لا يكون تنبّه اليها المؤلف . وهنا تبرز نواقص في العرض ونقاط ضعف .

١ ـ اذا كان صحيحاً أن الاستعمار لم يلتفت الى مصير ابناء المغرب بل همّشهم وحقّرهم وضعّفهم في عقر ديارهم ، واذا صح انه لم يحاول البتة الحاقهم بركب حضارته فهو قد مكّن بصفة غير ارادية الوجود المغربي من أن يحافظ على ذاته في التقوقع وراء جدران حضارته الخاصة . فالمدينة العربية بقيت الى حد بعيد المدينة العربية ، وكذلك الاسرة . وليس من شك في أن الاستعمار لم يمسّ ، على الاقل في تونس والمغرب الاقصى ، الجهاز والمعتقد الدينيين ، لكنها حضارة ودين في حالة حصار وتدهور . وباسترجاع الوجود الوطني نمت دينامية حقيقية فجرت هذا الواقع حقاً ، ولكنها هددت التوازن القديم ، وكأن باب التاريخ لا يولج الا عن طريق تهديد جديد للهوية اتى من الداخل في هذه المرة .

٢ ـ قضية الاستلاب الثقافي ليست اذن زمن الاستعمار بالبداهة الناصعة التي يراها الباحث . الهوية كانت مهددة لا بصفة مباشرة تماماً ، ولا عن نيّة مقصودة ، ولكن بعزلها عن حقل التاريخ ، وباضعاف اسسها المادية الطبيعية . ومن الادلة على هذا ان الفرنسيين عندما حاولوا القيام بعملية التجنيس فانهم استهووا به اقلية من المسلمين ولم يعتبروا من مصلحتهم تعميمه .

٣ ـ العنصر الغائب في هذا التحليل هو اذن ماهية الاستعمار والتعريف به على انه سيادة سياسية عسكرية واقتصادية وعرقية قبل كل شيء . ولم تكن لتقوى على مجابهتها الا حركة سياسية او عسكرية . ولم يكن اساس المقاومة مقاومة ثقافية بحتة ، وانما ، كما قلنا ، فرش الصمود الثقافي الارضية التي سينطلق منها العمل على الساحة الواقعية .

٤ ـ العروبة اللغوية كانت مقترنة في الاذهان بالاسلام وهو دين الحماسة بصفة جذرية ، وقد لعب دوراً حاسماً في بعث الحمية الوطنية . والخطاب السياسي الرامي الى تخليص وطن معين كان يستقيم أساساً على الشعور العربي الاسلامي قبل أن يستوحي شعاراته من الفكرة الوطنية البحتة . ولكن هذا الخطاب، وان اتجه الى واقع نفساني لا جدال فيه ، كان يغطّي ايضاً الثورة العارمة على البؤس الانساني الشامل .

٥ ـ من الانصاف ، او دقة التحليل على الاقل ، الا يتغافل المرء عن فكرة ان الاستعمار تظاهر بمظهر صاحب الرسالة التحضيرية التثقيفية وان هذا المظهر لم يكن مزيفاً تماماً .

٦ ـ بخصوص الاستعمار الفرنسي بالذات فإن العنصر الثقافي والتثقيفي يبرز بصفة اوضح مما يبرز لدى الاستعمار الانكليزي ، لشعور الفرنسيين بعالمية ثقافتهم . واذا كان من تهديد فيكون عن طريق الجاذبية لا عن طريق القهر فحسب .

٧ ـ لم يطرح المؤلف السؤال التالي : هل اضاع المغرب فيما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ فرصة اختيار جذري في منحى التعريب الشامل ، وحتى في منحى الوحدة المغربية ؟ وهنا في الحقيقة يتهرّب مؤلفنا من هذا التساؤل الخطير ويتخذ منهجه اكثر فأكثر وجهاً توفيقياً ، بل وتبريرياً، امام تقاعس النظم عن التعريب الفوري الارادي يتناقض تماماً مع اللهجة الحماسية الاولى .

٨ ـ واخيراً ليس من بد من لفت النظر الى اخطاء تاريخية واضحة وان جزئية ، وهي متعددة لاينفسح المجال لتفصيلها .

تعقيب ٢

سعد الدين ابراهيم

ورقة الاستاذ غلاب تمثل اغناء للمناقشات التي بدأت امس حول قضية التعريب وعلاقته بهموم العرب الكبرى في العصر الحديث . وقيمتها الاساسية بالنسبة لي انها تناولت مشكلة التعريب في المغرب العربي الكبير كجانب من التشوه الثقافي والحضاري الذي لحق بهذا الجزء من الوطن العربي نتيجة الظاهرة الاستعمارية التي شوهت التطور المجتمعي العام للمغرب في كل جوانبه ومظاهره .

ولم تقف الورقة عند العموميات المتواترة ، ولكنها حاولت الربط المتسلسل بين الاسباب والنتائج على عدة مستويات . فالهجمة الامبريالية على عالمنا العربي لم تكن فقط بهدف الاستغلال الاقتصادي والهيمنة السياسية والاستراتيجية ، ولكنها انطوت أيضاً على ما يشبه حرب الابادة الحضارية الثقافية (Cultural genocide) . واستهدفت اعادة صوغ « شخصية رقيقية » مسلوبة الارادة ، منقطعة الصلة بجذورها التاريخية ، ذليلة خانعة ، غير قادرة على الانبثاق والتطور المتكافىء .

وإذا كان ذلك ينطبق عموماً على كل اجزاء الوطن العربي ، أو حتى كل العالم الثالث الذي تعرض لتلك الهجمة الامبريالية ، فإن بشاعة المظاهر والنتائج كانت أشد حدة واعمق غوراً في حالة المغرب العربي الذي اخذت فيه الهجمة الامبريالية شكل الاستعمار الاستيطاني. ففي هذا النوع من الاستعمار ـ كما نعلم جميعاً ـ لا يقتصر الامر على احتلال عسكري وسيطرة سياسية واستقلال اقتصادي يصادر فائض القيمة من المستعمرات الى المركز الاوروبي ، ولكنه ينطوي ايضاً على نقل نواة بشرية مدنية من المركز وزرعها في المستعمرات . ويقدم لعناصر هذه النواة من « المعمرين » كل أسباب الحياة والحماية والامتيازات على حساب اهل البلاد الاصليين . وتصبح هذه « النواة الجنينية » بمثابة السياج او خط الدفاع الثاني الذي يحمي بدوره الوجود العسكري المحتل ، ويدعم عملية الاستغلال ويرشدها بحيث يرفع من كفاية مصادره واستنزاف فائض القيمة من المستعمرات .

إن ديناميات هذا الاستعمار الاستيطاني وآلياته معروفة ، ولا داعي للافاضة فيها . ويكفي أن نلاحظ مع الأستاذ الباحث انها في حالة المغرب قد أدت الى خلق سياج تال او خط دفاع اول من اهالي البلاد الذين تعاملوا مع المجتمع الاستيطاني الاوروبي من خلال مؤسساته التعليمية أولاً ، ثم من خلال مؤسساته التجارية والادارية، واصبحوا بمثابة الشريك الاصغر في عملية النهب والاستغلال . وكان لزاماً في هذه المعادلة أن تقوض كل دعائم المؤسسات الوطنية ، ابتداء من المقاومة العسكرية الى المدرسة العربية الاسلامية التقليدية . ويلاحظ الدارس بحق أن اللغة والدين ، وهما خط الدفاع الاخير بالنسبة للمجتمع المغربي ، يمثلان النسق الرمزي والنسق الروحي . وقد استهدفهما الاستعمار الاوروبي ونجح في اختراقهما بدرجات متفاوتة في اقطار المغرب الثلاثة . وبهذا الاختراق تدهورت اللغة العربية ، وانحسرت بتدهورها الثقافة العربية ، لتحل محلها اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية .

هذا كله من جانب الاستعمار الاستيطاني ، فماذا عن أساليب المقاومة من جانب المجتمع المغربي؟ لقد عرض صاحب البحث تطور المقاومة ومظاهرها في بلدان المغرب الثلاثة منذ ١٨٣٠ في الجزائر الى أن رحل الاستعمار بشكله السافر في منتصف القرن العشرين . ويمكن أن نستشف من المعالجة المركزة في الورقة لتلك الحقبة التي تصل الى اكثر من قرن زمني أن الطور الاول للمقاومة ـ اي في بدء الاحتلال ـ تزعمته قيادات تقليدية يمكن وصفها تجاوزا « بالسلفية » ، وكان يرمز اليها الامير عبد القادر في الجزائر ، وعمر بن عثمان في تونس ، وعبد الكريم الخطابي في المغرب .

كما كان الرمز المؤسسي التقليدي لتلك المقاومة حضارياً وثقافياً هو جمعية العلماء والزيتونة وجامعة القرويين في البلدان الثلاثة على التوالي . ورغم بسالة تلك المقاومة عسكرياً وثقافياً الا أنها في النهاية كانت تمثل الصيحة الاخيرة لمجتمع عربي اسلامي تقليدي في مواجهة مجتمع اوروبي غربي حديث . وكانت المواجهة بكل ما انطوت عليه من دراما تاريخية وحضارية مواجهة غير عادلة وغير متكافئة . لقد كانت بين مجتمع انعزل نسبياً عن المجرى الرئيسي للحضارة العالمية ولم يطور مؤسساته وانماطه الانتاجية وقيمة معاييره بالقدر الكافي طوال اربعة قرون سابقة من ناحية ، ومجتمع انجز في تلك القرون الاربعة نفسها ثوراته الكبرى الاجتماعية والسياسية والصناعية . وكانت نتيجة المواجهة معروفة مسبقاً . انهزم المجتمع التقليدي . انهزم بقياداته رغم كل بسالتها ، وبمؤسساته رغم طول تاريخها وعراقته ، وبثقافته ولغته رغم كل تراثها وغناها .

وخاض المجتمع المغربي جولته الثانية في المقاومة في النصف الاول من هذا القرن . ولكن بقيادات وقوى اجتماعية ومؤسسات صاعدة جديدة ، برموز مثل حزب الاستقلال ، والحزب الدستوري ، وحركة نجم الشمال الافريقي ، والمدرسة الصادقية ، وعشرات المدارس العربية الاهلية التي أنشأتها تلك الحركات في مواجهة معاهد التعليم الاوروبية التي فرضها الاستعمار .

ورغم ان القوى الجديدة هي التي قادت بلاد المغرب الى الاستقلال ، ورغم انها كانت قد شددت على العربية تراثاً وثقافة ولغة كمطالب وأهداف ، الا انها في الواقع لم تحوّل هذا كله الى

برامج ومؤسسات عملية كافية لاستيعاب مجتمع ما بعد الاستقلال وصياغته . بل ان تلك القوى الجديدة كان وما يزال يخالجها في اعماقها الشك والتردد في صحة ما كانت وما تزال تدعو اليه وصلاحه وامكانه ، ونقصد به تعريب بلادها ثقافة ولغة واسلوب حكم وادارة وحياة .

وقد ضاعف من هذا الشك والتردد في الاعماق وجود ما سميناه بالامس « الجالية ـ الطبقة » . وهي السياج الثاني الذي كان قد خلقه المستعمر حول نفسه في اثناء اقامته الطويلة في المغرب . فهذه « الجالية ـ الطبقة » ذات ارتباطات مصلحية وفكرية وروحية بالمركز الاوروبي (المتروبول) . وهي بحكم مواقعها الاستراتيجية ، في اجهزة السلطة والاقتصاد والادارة والثقافة ، تجد دائماً الف ذريعة وذريعة لاعاقة التعريب بمعناه الواسع في اقطار المغرب . ونفس هذه « الجالية ـ الطبقة » موجودة في المشرق ايضاً ولكنها تدير معركتها تحت شعارات اقرب وبوسائل اخرى .

ولكن القوى صاحبة المصلحة الحقيقية في التعريب تواجه معضلة حقيقية لا ينبغي ان نقلل من اهميتها . وقد مرت عليها ورقة البحث مرور الكرام . ونقصد بذلك اشكالية محتوى التعريب ومضمونه .

واذا ظل التعريب يعني بعث التراث والدوران حوله دون فحصه نقدياً وتطويره بحيث لا يظل تراثاً ، فإن معركة التعريب خاسرة لا محالة . واذا اصبح التعريب مرادفاً « للتقنية » . وللسطحية ، وللاغراق في الشكليات والطقوسيات التراثية ، فلا امل في كسب معركة التعريب . ان كسب معركة التعريب يتوقف في نظرنا على ربط محتواه وشكله بمطالب وهموم « اوسع الجماهير » في المغرب . لماذا فهم الناس في المغرب وفي كل الوطن العربي لغة جمال عبد الناصر العربية مع ان الرجل كان يتحدث باللهجة العربية المصرية ؟ لماذا فهم الناس في المغرب وفي كل الوطن العربي مسرحية « ضيعة تشرين » وقد كان ابطالها يتحدثون باللهجة العربية السورية ؟

ان اللغة ـ سواء أكانت خطاباً سياسياً ام فنياً ـ تستقبل ، وتفهم ، وتضرب بجذورها بقدر ما تستجيب لاحتياجات الناس اليومية ولآمالهم المستقبلية . تلكم هي القضية التي لم تقترب ورقة الباحث منها بالدرجة الكافية . ولكنها تظل في رأيي جوهر قضية التعريب .

تعقيب ٣

هشام بوقمرة

يتوزع بحث الاستاذ عبد الكريم غلاب على ثلاثة اقسام رئيسية ، أولها يصف الوضع الذي واجهته حركة التحرير في المغرب العربي عند انطلاقها ، وثانيها يستعرض الجهود التي بذلتها الحركة التحريرية من أجل التعريب في الاقطار الثلاثة ، تونس والجزائر والمغرب ، وثالثها يحاول أن يجيب عن التساؤلات المطروحة حول تعثر تنفيذ التعريب في المغرب العربي بعدما مر حوالى ربع قرن على استقلاله عن الاستعمار الفرنسي .

والقسم الاول من البحث يكرر بشكل عام الطروحات السائدة لدى الدارسين المغاربة ، وهي لا تدعو الى نقاش مستفيض . ومع ذلك يحسن التوقف عند نقطتين اساسيتين قد يختلف حولهما الرأي في التقويم ، وهما قضية امتزاج الاسلام بالعروبة ، وقضية اللغة البربرية . انه ليس من شك ، تاريخياً ، في الارتباط العضوي بين الاسلام وعروبة المغرب العربي ، وليس من شك أيضاً في أن الاسلام الذي يحمل معه اللغة العربية ، يؤدي حتماً الى تعريب المجتمعات التي اعتنقته . والملابسة تأتي ـ خلال هذا القرن على الاقل ـ من الاستعمال السياسي لهذه المقولة من قبيل فئات متنافرة المنشأ والمنزع . فالمعروف أن بعض طوائف حركات التحرير كانت علمانية الفكر ، وكان هدفها انشاء دولة « عصرية » ، اي على مثال الدولة الغربية التي تفصل بين الدين والدولة . ولكن هذه الطوائف استعملت الاسلام دائماً وسيلة لاحتواء الشعور العام ، في عملية احتيال مؤقت ومقصود. وفي الوقت نفسه كانت طوائف اخرى تستعمل نفس المقولة لرفض اي تغيير اجتماعي وحضاري يستفيد من التجربة الانسانية . اذاً قد يكون من المناسب تمحيص هذه العلاقة بين الاسلام والعروبة ، وهل هما شيء واحد ام هما متكاملان ام متنافران؟بخاصة اذا علمنا أن اسلامية المغرب تقود الى عروبته وهذه تقود الى قوميته . ولا يمكن في الوقت نفسه رفع اسلامية المغرب لرفض قوميته . ويصبح الاسلام بهذا المعنى وسيلة لتبرير الانعزالية والاقليمية عبر قنوات مختلفة ، منها مثلاً ما يسمى بالاسلام المغربي ،

تمهيداً لعروبته خاصة ، هدفها قمع الفكر القومي وتبرير الحلول الاقليمية باسم الخصوصية .

بالنسبة لقضية اللغة البربرية ، لم يهمل الباحث الاشارة الصائبة الى نسبيتها واختلاف درجة حدّتها من قطر مغربي الى آخر ، والى كونها في اول الامر ونهايته اصطناعاً استعمارياً يتواصل تمريره من خلال مؤسسات غربية للبحث (فريق اكس آن بروفانس، مثلاً ، باسم التجرد العلمي) . ونحن لا نزال نرسل ابناءنا يدرسون في هذه المؤسسة مع علمنا بهويتها . هذا فضلاً عن التعايش الفصلي بين اللغتين العربية والبربرية خلال قرون طويلة ، جعل الاولى تصبح لغة الفكر والثقافة والممارسة الادارية . ولكن السؤال الذي قد يحسن طرحه هو التالي : هل وجود لغة ثانية كاللغة البربرية يطرح بالفعل قضية حقيقية علمية يمكن أن تؤدي الى تصدع الكيان الاجتماعي للمجموعة البشرية الموجودة في المغرب العربي ، أو هو فقط قضية وهمية اصبحت فعلية ؟ علمياً وواقعياً لم يمنع وجود اكثر من لغة واحدة قيام مجموعات ودول متماسكة منيعة في العالم الغربي الذي يعتبره كثير من مفكرينا نموذج التوجه الحضاري المنشود ! بالعكس ، يمكن الجزم بأنه يندر وجود دولة واحدة ذات لغة واحدة . فلماذا اذن يصبح هذا الشيء الطبيعي في البلدان الغربية ازمة فعلية في اقطارنا ؟ هنالك بالطبع عوامل مختلفة ليس اقلها شأناً محاولات التفرقة الداخلية التي تمارسها الامبرياليات الاقتصادية والفكرية الحديثة . ولكن اهمها في نظرنا هو انعدام الديمقراطية في مجتمعاتنا ، وهو انعدام يحيل كثيراً من القضايا الوهمية الى ازمات فعلية .

أما القسم الثاني من البحث فإنه يدعو اكثر من السابق الى النقاش والتساؤل ، بينما كنت شخصياً انتظر منه تعميق معلوماتنا بشكل افضل عن حركات التحرر في المغرب العربي ، نظراً للخبرة الشخصية للمؤلف ومواكبته لكافة المواقف الحديثة . واود أولاً أن اعبر عن نفوري من البحوث التمجيدية التي تنطلق مثلاً من أن كل حركة تحرر هي بطبيعتها نظيفة صافية المعين ، مناضلة من أجل القيم النبيلة كافة . هذه النظرة هي التي تسيطر على هذا الجزء من البحث الذي نحن بصدد مناقشته ، وهي مواصلة للفكر الرسمي السائد الذي يحيط بالتقديس كل تحركات الوطنيين واتجاهاتهم .

والذي يهمنا نحن ، وبصورة متجردة تماماً ، هو أن نعرف هل اعتنقت كافة حركات التحرر في المغرب العربي قضية التعريب وحملتها معها وسعت الى الدفاع عنها ، بل الى تجسيمها ؟ يكون الجواب طبعاً بالايجاب عندما نقارب الموضوع من زاوية التعميم واعتبار كل الحركات كما لو انها شيء واحد منضبط متناسق ، وهو ما فعله الاستاذ غلاب . وهو في ذلك منسجم تماماً مع ما اراده لبحثه ، وان كان سياق استشهاداته يوحي بوجود تناقضات حقيقية .

إن الامر الذي كان يمكن أن ينير هذا الموضوع باضاءات قوية هو ، على الاقل ، محاولة الكشف عن الاصول الاجتماعية والفكرية لفئات حركات التحرير في المغرب

العربي ، سعياً وراء تحديد مختلف مواقفها من قضية التعريب . والمقام هنا ليس مقام افاضة ، وانما نكتفي بملامح عامة . فمن المعروف أن ما يسمى بالبورجوازية الوطنية هي التي مولت حركات التحرير بأهم عناصرها وكوادرها . وهذه البورجوازية تندرج فكرياً في خطين واسعين ، يضم الاول العناصر المتخرجة من المؤسسات التقليدية للمعرفة كالزيتونة والقرويين ، ويضم الثاني العناصر المتخرجة من المدارس الحديثة كـالصادقيـة في تونس والمعاهد التي احدثها الاستعمار الفرنسي .

وقد كانت العناصر الاولى التي تحركت سياسياً في نطاق الجامعة الاسلامية عناصر تعريبية بحكم نشأتها الاجتماعية والفكرية ناضلت على امتداد المغرب العربي كله من اجل التعريب والعربية ثـم من أجل العروبة والقومية . وأما العناصر الثانية ذات المنشأ الفكري الغربي فإن مواقفها لم تكن موحدة ، ولكن التعريب لم يكن بالتأكيد من مطالبها الاساسية . وتحليل الاستشهاد بعلي باش حامبة ومجموعة تونس الفتاة ـ وهو وارد في البحث ـ كاف لابراز هذه الحقيقة .

لقد عرفت مجموعة « تـونس الفتاة » في اول هـذا القرن ، من خـلال جريـدتها الاسبوعية « التونسي » الناطقة بالفرنسية ، على أنها مجموعة اصلاحية تضم عناصر تونسية متخرجة اساساً من المدرسة الصادقية او من المعاهد الفرنسية المستحدثة . وحين انطلقت مشكلة التعريب لاول مرة بشكل جدل علني سنة ١٩٠٧ ، تبناها خريجو الزيتونة والمدرسة الخلدونية وبعض العناصر الصادقية ، على رأسهم خيرالله بن مصطفى الذي أنشأ اول مدرسة ابتدائية معربة في تونس واستعمل فيها كتباً مشرقية (من سورية ومصر أساساً) . وهذه المبادرة العملية كانت موضوع هجوم مركز قام به علي باش حامبة في جريـدته « التونسي » ضد التعريب طارحاً كبديل لها « المدرسة الفرنسية العربية » التي تكون فيها اللغة الفرنسية لغة العلم والثقافة ، وتعلم فيها اللغة العربية كلغة ثانية ، من خلال شعاره المعروف : « يجب أن يكون التثقيف باللغة الفرنسية وان تعلم اللغة العربية : Il faut instruire en français et enseigner l'arabe » . مضيفاً ـ ليكون البديل متكاملاً ـ ان لغـة الاقتصـاد والادارة يجب أن تكون الفـرنسيـة ، وأن هـدف الاصـلاح هـو تحقيق « المشاركة » ، ونموذجها التنظيم الرأسمالي الغربي .

فإذا عرفنا أن مجموعة تونس الفتاة هي المصدر الروحي لأهم رجال الحركة الوطنية في تونس ، ادركنا لماذا تعثر التعريب بعد الاستقلال . وهذه الملاحظة تسلمنا مباشرة الى الجزء الثالث من البحث الذي تناول اسباب عدم الانتهاء من تعريب التعليم في مختلف مراحله حتى الآن ، والتي هي مختلفة ، عدّد منها الباحث ثلاثاً ذات طابع نفساني او تقني .

ومن الواضح أن معالجة الاستاذ غلاب معـالجة تبـريريـة تنتهي ، ككل معـالجة تبريرية ، الى خاتمة تفاؤلية ، وتطالعنا فيها بعض العبارات المريحة مثل « اشفاق المسؤولين من محاولة التغيير الفجائي » ، وتأكيدات وطمأنة الى أن « المغرب العربي اجتاز مرحلة الحيرة والتردد

فيما يخص قرار تعريب التعليم ووضع تخطيطاً للسير في طريق التنفيذ » . وكل ما هو وارد في هذا الجزء من البحث يصبح صحيحاً اذا سلمنا بأن التعريب مشكلة تقنية فقط ، وتصبح التعلات الرسمية لارجاء التعريب ، مساوية تماماً لمخططات الذين يلغونه في الحقيقة تماماً لاقتناعهم بأن المصير الازدواجي هو النمط الوحيد للمصير المنشود . ولكن الواقع في نظرنا يختلف قليلاً وربما كثيراً عن هذا ! فالتعريب في حقيقة الامر هو سلاح لتغيير ضمير المجموعة ومحيطها . وببساطة فإنه يؤدي حتماً الى مجتمع عربي يؤدي بدوره الى ترسيخ التوجه القومي العربي ، وهو ما يخشاه انصار السيادات المنفصلة . وهنالك دليل من التاريخ مؤثر ومؤشر . فبعد الاستقلال في تونس احدثت شعبة في التعليم الثانوي دعيت بالشعبة القارة ، اي المعدة لأن تعمم فيما بعد على كل شعب التعليم الثانوي ، وكانت هذه الشعبة معربة بشكل كامل . وفي خضم المنافسة السياسية التي كانت قائمة في الوطن العربي بين الناصرية ومناوئيها ، اكتشف في اثناء محاكمة شهيرة في اواخر الستينات ان عناصر الاتجاه القومي كافة ، ناصرياً كان ام بعثياً ، هم اما من الدارسين في جامعات المشرق العربي ، او من خريجي الشعبة القارة المعربة . وكان هذا الاكتشاف كافياً لانهاء تجربة الشعبة القارّة ووقف كل تكوين او ايفاد رسمي لطلبة تونسيين الى الجامعات الشرقية .

البعد السياسي اذن واضح ، لدى الناصريين كما لدى المعارضين ، وهو بعد واحد . وما عدا ذلك فأسباب لها احياناً وجاهة انسانية ، ولكنها غالباً كالأكمة التي تخفي وراءها شيئاً .

المناقشات

عبدالله العروي : اطرح سؤالين ؛ الاول يتعلق بعلاقة الاسلام بالتعريب ، وهل كان للزعماء العرب في اثناء الفتوحات الاسلامية سياسة تعريبية حقيقية؟ولا اعني بالسياسة التعريبية ما ينجم عن التساكن والتأثير المتبادلين ، بل اعني الخطة الواعية المدروسة كما كانت السياسة الفرنسية في الشمال الافريقي في اثناء الاحتلال الفرنسي .

والسؤال الثاني هو ما مدى تعريب المجتمع في المغرب الكبير قبل الاحتلال الفرنسي ؟ ولا ننسى أن اكبر الاسر الحاكمة في الشمال الافريقي كانت بربرية . فمعنى ذلك ان اللسان الرسمي لم يكن اللسان العربي ، مهما كان دور هذا اللسان مهماً في الميدان الديني . ودام هذا الوضع حتى القرن الخامس عشر الميلادي . ثم بعد هذه الفترة جاء الحكم العثماني في الجزائر وتونس . ولست مقتنعاً تماماً بأن اللغة العربية كانت اقل انتشاراً ايام الحكم الفرنسي منها في الفترات السابقة . ولا بد من دراسة هذه النقطة لكي نحكم بموضوعية على ما انجز وما لم ينجز في السنوات الاخيرة . فكثير من اخواننا في المشرق يظنون ان المغرب كان معرّباً لغوياً قبل الهجمة الامبريالية في القرن التاسع عشر، وانه ما علينا الا القضاء على رواسب السياسة الاستعمارية لكي نسترجع تلك الحال المحببة لقلوبنا . ان الأمور اكثر تعقيداً من هذا التصور . واما اذا نظرنا الى التطور من منظور تاريخي ، فلا بد من أن نعترف بأن مسيرة التعريب حققت في المغرب الكبير في السنوات الاخيرة نتائج مهمة جداً ، رغم كل الصعوبات والعوائق ، ورغم ما نراه من تردّد المسؤولين .

مصطفى الفيلالي : تعليقاً على الباب الثالث من بحث د. عبد الكريم غلاب اود ان أبدي بعض الملاحظات بشأن الاسباب التي يمكن أن تعين على فهم ظاهرة التعثر التي

اصابت قضية التعريب ببلاد المغرب غداة الاستقلال . واقتصر في ذلك على اربعة اسباب :

الاول: تهميش معاقل العربية غداة الاستقلال : الزيتونة والخلدونية والصادقية في تونس ، والقرويين بالمغرب الاقصى ، باعتبارها مراكز اشعاع فكري كان يمتد اثرها داخل البلاد المغربية وخارجها . اذ لا ينبغي ان ننسى ان تعريب الشعوب الافريقية جنوب الصحراء الكبرى ، ودخولها الاسلام انما كانا بفضل العمل الذي انطلق من هذه المعاقل . كما انه كانت لهذه المراكز العملية وظائف كبرى اخرى تمثلت في الحفاظ على اللغة العربية والدين الاسلامي وحمايتها من عوامل الاستلاب والتزييف ايام الاستعمار الاجنبي . داخل البلاد المغربية طوال الاستعمارات الاجنبية . وكذلك ظلت تمثل عرى الاستمرار لترابط الصلة الثقافية والدينية بين المشرق والمغرب . والجدير بالذكر ايضاً ان هذه المعاقل كانت تمثل المواقع الاولى لحركة التعريب العصري قبيل الاستقلال . فقد انطلقت المحاولات الجدية لتعريب العلوم الصحيحة في الزيتونة على ايدي قلة من اساتذة المدرسة الصادقية .

وثاني العوامل الكبرى التي قد تعين على فهم تهميش التعريب بعد الاستقلال ، التقسيم الطبقي الجديد الذي برز في المجتمع المغربي . فقد ارتقت البرجوازية المتوسطة والكبرى ارتقاء ادارياً واقتصادياً اصبحت لها بموجبه مصالح مرتبطة ارتباطاً موضوعياً بمصالح الاستعمار السابق ، ولم يعد من المتأكد لديهم الاسراع بالتعريب ، لما في ذلك من تهديد لمصالحهم .

والسبب الثالث في هذا السياق هو ما نشهده اليوم من جانب الاحزاب السياسية والحركات القيادية والتنظيمات الجماهيرية اذ هي تخلت عن قضية التعريب او تركت الالتزام بها مثلما كانت تفعل ايام الكفاح التحريري . ولا يتسع الوقت لتحليل اسباب هذا التحول في المواقف .

العامل الاخير ، المرتبط بالعامل الثالث السابق يتمثل في ضعف دور الرأي العام وتهميشه ، وقلة تأثيره على القيادات الوطنية وعلى نوع القرارات المهيمنة على الحياة العامة . واكبر الاسباب وادعاها للنقاش لتأويل هذه المنزلة الهامشية للرأي العام هو وضع ادوات الاعلام، وقلة التزامها بواجب الاخبار الموضوعي وواجب تثقيف الرأي العام .

محمد الهادي الشريف : لي بعض الملاحظات التاريخية :

١ ـ اشاطر د. عبدالله العروي رأيه في أن اللغة العربية لم تكن منتشرة كل الانتشار قبل عهد الاستعمار ، بل كانت اللهجات العامية هي المسيطرة في مستوى الجماهير الشعبية ، وان اللغات الاجنبية ـ ومنها التركية ـ هي التي كانت مستعملة من قبل الطبقات الحاكمة . ولم تنتشر اللغة العربية الفصحى الا انطلاقاً من حركة النهضة ، اي انطلاقاً من اواخر القرن التاسع عشر .

٢ ـ علينا أن نتفحّص بدقة ما كانت عليه السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي . فحسب ما اعلم لم يطالب بتثقيف الاهالي ثقافة فرنسية ونشر اللغة الفرنسية بينهم الا الليبراليون الفرنسيون والمؤمنون « بالرسالة الحضارية الفرنسية » . وكان قصدهم الحاق الاهالي المغاربة بركب الحضارة العصرية . اما الاوساط الاستعمارية في شمال افريقية والاوساط اليمينية في فرنسا فكانت سياستها مناهضة لسياسة نشر الثقافة الفرنسية في المستعمرات وبين الاهالي (لاسباب مالية واكثر من ذلك لاسباب سياسية) . ولذا طالبت النخب المسيسة (في تونس على الاقل) كما طالبت الاوساط الاجتماعية الاهلية المرتبطة بالعالم العصري (الرأسمالي) بتلقين ابنائهم اللغة الفرنسية .

فماذا كانت النتيجة النهائية لهذه التيارات المتضاربة ؟ لقد وقع بث اللغة والثقافة الفرنسية بين ابناء النخب ثم في الطبقات الوسطى الاهلية ، وتركت الجماهير والمؤسسات التعليمية التقليدية وشأنها فوقع تهميش الثقافة واللغة العربيتين وعزلهما عن تيارات العصر ، لا محاربتهما بصفة مفضوحة .

احمد العايد : تكملة لكلام د. الفيلالي فيما يخص « تهميش معاقل التعريب بتونس » ، بدأ تعريب العلوم في دار المعلمين (معهد تكوين المعلمين) عهد لوسيان باي (المدير العام للتعليم بتونس) في الخمسينات . لكن ما راعنا الا أن توقف هذا التيار لدى الاستقلال فتوقف تكوين المعلمين من ذوي اللسان العربي المتكامل لتلقين العلوم الانسانية والمحلية وشرع في تكوين معلمين من ذوي اللسانين العربي والفرنسي .

واشارة الى رأي ذكره الاستاذ عبد الكريم غلاب في ورقته « من اجل كل ذلك فقد اصبح تعريب التعليم قراراً اتخذته الاقطار الثلاثة وينفذ الآن وفق مخطط متكامل في منهجيته وتكوين اطره » ، اريد ان اضيف ان في المغرب العربي هيكلاً يتمثل في مؤتمر وزراء التربية والتعليم ، ولجنة استشارية للتربية والتعليم في اقطار المغرب العربي ، ولجان مختصة تشرف عليها هذه اللجنة الاستشارية ، هي لجنة التاريخ والجغرافية، ولجنة البرامج (او المناهج) ولجنة الرصيد اللغوي المغربي .

وقد اجتمع وزراء التربية والتعليم لاقطار المغرب العربي الاربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) سنة ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٩ ، ثم انعزلت ليبيا عن المجموعة سنة ١٩٦٩ بعد ثورة سبتمبر وإذا بوزراء تونس والجزائر والمغرب يجتمعون آخر مرة في شهر شباط / فبراير ١٩٧٥ بتونس .

واما اللجنة الاستشارية للتربية والتعليم في اقطار المغرب العربي فلئن كان برنامجها الاول سنة ١٩٦٦ وسنة ١٩٦٧ طموحاً وحدوياً تنسيقياً فإنها لم تستطع الا أن تتابع نشاط لجنة واحدة بقيت تعمل في نفس طويل الا وهي « لجنة الرصيد اللغوي » . وقد نشطت هذه اللجنة لتكامل خلايا لغوية ثلاث : قسم اللسانيات بتونس ، ومعهد العلوم اللسانية

والصوتية بالجزائر ، ومركز الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط . كما نشطت لتحمس المندوبين الدائمين الثلاثة الاساتذة احمد الاخضر غزال بالمغرب ، وعبد الرحمن الحاج صالح بالجزائر ، واحمد العايد بتونس ، فإذا بالرصيد ينجز ويطبع بالطريقة المعيارية ويطبق بصفة رسمية في الاقطار الثلاثة في الصفوف الثلاثة الاولى من التعليم الابتدائي منذ ١٩٧٦ .

الا أن هذا الرصيد الموحّد لم يواكبه توحيد في البرامج (او المناهج) ولا تنسيق بين سنوات الدراسة (ما زال الابتدائي خمس سنوات (او صفوف) في المغرب وست سنوات في الجزائر وتونس) . وهكذا فإن قول الباحث « بأن القرار ينفذ وفق مخطط متكامل » يحسن تقويمه بعض التقويم، ولاسيما ان الخلافات السياسية قد تحول احياناً دون التخطيط الموحد والتنفيذ المنسجم فتؤخر ما يؤمل . وهكذا ما زلنا نعيش بالامل والالم اذ « لا امل بلا الم ولا الم لا يتبعه أمل » .

الحبيب الجنحاني : اود أن ابدي الملاحظات التالية :

١ ـ اثار د. سعد الدين ابراهيم قضية مهمة هي مسألة محتوى التعريب حتى لا ينقلب الى تسطيح ، وهذه ملاحظة صحيحة ، ولكن حذار من الوقوع في فخ اعداء التعريب بحجة انه سيؤدي حتماً الى الهزال الفكري والتسطيح . فنحن لم نصل بعد الى مرحلة تحديد محتوى التعريب في كل من المغرب الاقصى وتونس ، بل ما زلنا نطالب باتخاذ قرار سياسي للشروع فعلاً ، وضبط تخطيط مراحل التنفيذ .

٢ ـ اثار د. عبدالله العروي تساؤلين خطيرين ، سأعود لمناقشتهما في مناسبة اخرى . واكتفي هنا ـ انطلاقاً من النصوص التاريخية ـ بالاشارة الى أن المراكز الثقافية المغربية في العصر الوسيط كانت لغتها هي العربية ، وان هذه اللغة كانت ايضاً لغة الدواوين ، حتى في الامارات التي كانت السلطة فيها بأيدي العصبية القبلية البربرية مثل الامارة المدرارية في سجلماسة ، او الدولة الرسمية في تاهرت . وكذلك كان الأمر في هياكل ومدن المغرب في العصر المرابطي والموحدي ، وهي الأمثلة التي اشار اليها الاستاذ المناقش .

عبد الكريم خليفة : تعقيباً على د. العروي في مقولته بأنه غير مقتنع بأن العربية كانت اقل حظاً في زمن الاستعمار الفرنسي مما كانت عليه في زمن الاستعمار التركي ، والعلاقة بين الاسلام والتعريب ـ وهو يطرح هذا السؤال باعتباره مؤرخاً ـ اقول ان الدافع التاريخي يغاير هذه المقولة كل المغايرة . فقد جاء الاسلام ودستوره القرآن الكريم ، والعربية هي لغة القرآن ، وكانت الفتوحات الاسلامية مختلفة اختلافاً جوهرياً عن الفتوحات التي عرفها التاريخ ، كالفتوحات اليونانية والرومانية والفارسية، اذ كانت هذه الفتوحات تمثل سيطرة امة على امم اخرى ، وبالتالي فرض لغتها وثقافتها على الامم المقهورة ، في حين أن الفتوحات الاسلامية كانت حركة تحرير الامم وهدايتها ونقل هذه المبادىء التي نادت بمساواة الاجناس جميعها والالوان جميعها ، « فالناس سواسية كاسنان

المشط » ، و « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، و« لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » . ومن هنا فقد كان دور العرب حمل راية هذه العقيدة والمبادىء السامية الى الامم الاخرى التي تولت هي بدورها نقلها الى امم اخرى ، كما نرى ذلك في فتح شبه الجزيرة الايبيرية « اسبانيا » وتعربها .

وأنه من الطبيعي والمنطقي ان من يدخل في الاسلام ، ان ينشيء ابناءه من خلال النص القرآني والحديث النبوي الشريف ، ولغتهما هي العربية . ولذا فإنه لم يكن يمر جيلان او ثلاثة حتى تصبح العربية لغة اصيلة لهؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام . بل ان المصادر التي بين أيدينا تقول مثلاً في الحديث عن تعرّب الاندلس ، اننا لا نكاد نصل الى مشارف القرن الثالث الهجري حتى نرى اللغة العربية ، لغة الفكر والادب ، بل ولغة الحياة اليومية ، وان الامر قد تعدى الجماهير التي دخلت في الاسلام واعتنقت مبادئه من الاسبان الاصليين باجناسهم ولغاتهم المختلفة من قوط شرقيين وقوط غربيين ، وسويف ، وفاندال وروماني ، ويونان وغيرهم ، أقول تحدثنا المصادر عن الشكوى التي اطلقها القس « الفارو » القرطبي الذي عاش في النصف الاول من القرن الثالث الهجري في الاندلس ، من أن العربية قد اصبحت لغة ابناء جنسه ممن بقوا على نصرانيتهم . فقد اصبح هؤلاء النصارى انفسهم يستخدمون اللغة العربية وينظمون بها الشعر ، وهو على يقين من انه لا يوجد واحد بالالف منهم يتقن اللغة اللاتينية . ولا شك أن الاسلام لم يفرض العربية بصورة قهرية ، ولا قال بوجوب اختفاء لغات الشعوب الاخرى ، وانما هي اجناس متآخية في الاسلام ومتساوية في الحقوق والواجبات .

فاطمة الجامعي الحبابي : كان بودي لو حضر معنا الاستاذ عبد الكريم غلاب لاستسمحه في طرح السؤال التالي : الى اي مدى استطاع قادة الحركة الوطنية ، وبخاصة اولئك الذين تزعموا حركة التعريب ، وصاحوا جهارا ، اكثر من مرة ، بالدعوة اليه كما هو واضح تاريخياً وكما يؤكده العرض ، أقول الى اي مدى استطاع هؤلاء ان يلتزموا بهذا المبدأ في محيطهم الشخصي ؟ أعني هل اعطوا نماذج حية يقتدى بها ؟ واضيف : هل كل الشعارات التي تتخذها الأحزاب، تنبع حقاً عن ايمان يتجلى في العمل المباشر ، وعن تجسيد ملموس ، أم تظل عناوين تتزيا بها الصحف واللافتات ؟

إن احترامي الكامل لشخص الباحث ، وتقديري له كأنموذج متكامل يجعلني اربأ بنفسي أن أتشكك فيما أكده بيانه . بيد أن شيئاً يبقى في نفسي ازاء ما اتسم به العرض من وثوقية مطلقة ، ولاسيما ان الممارسة الميدانية علمتني الكثير من الأشياء .

إن معاناة شخصية تحفزني لأن أحكي ، بهذا الصدد ، حادثة وقعت لي كان بطلها احد دعاة التعريب من شخصياتنا الوطنية المرموقة (وإن كنت اشكره لأنه أفادني من حيث لم يقصد) .

ففي لقاء بالمصادفة يسألني الاستاذ الجليل عن تكويني الثقافي ومستوى دراستي، فأجيب باعتزاز : حاملة ليسانس الأدب العربي من كلية الآداب (كان الحديث ولّما يمر على تخرجي شهران ، في حزيران / يونيو ١٩٦٧) فيمتعض وجهه وينطق : الادب العربي ؟ خسارة ! ويضيف ممتعضاً من غير تريث ،« ابنتي أنا في سنك وقد حصلتْ هذه السنة على دكتوراه في الطب **بالفرنسية ، من جامعة السوربون بباريز** » . اضطربت وتغيرت ملامح وجهي ، اذ كان زادي من اللغة الفرنسية يومها ضئيلاً جداً ان لم اقل كان منعدماً . واستقطبت ذاكرتي على الفور احداثاً مشابهة ومواقف مماثلة وجدتني فيها من قبل ، وتبين لي ، بكل تأكد ، ان لا نصيب لمثلي في مغرب لا يجعل المعرّبين على الهامش فحسب ، بل يلقي بهم في الهاوية ، خصوصاً ان ذلك ينبع ممن خدعنا بهم ونحن صغار ، كما خدع بهم اباؤنا ، ولم يكونوا متعلمين مثلهم ، فأخذونا الى المدارس المعربة (التعليم الاهلي). فآليت على نفسي أن اشمر عن ذراعي ، وأدخل معركة الفرنسة مع استمرار اعتزازي بالانتساب الى حملة الدفاع عن العربية والتعريب عن صدق وايمان . وفعلاً دخلتها بعدما صدمت باحتقار من كانوا لنا مثلاً ، فيما يقولون ، وغاب عنا ما يفعلون .

وكثيرة هي الأمثلة التي يمكن أن تذكر في هذا الباب . فمعذرة مرة اخرى للباحث إن كنت قد تجاوزت حدود ما كان يجب أن يوقف عنده .

محمد دويدار : كنت اود أن اثير نقطتين فقط ، ولكن تدخل الدكتور الجنحاني اثار لدي نقطة ثالثة : النقطة الاولى تخص التقويم المفترض أن تقوّم به تجربة التعريب في المغرب الاقصى . والتقويم يفترض معرفة معقولة بالواقع المراد تقويم تجربته . فلا ورقة الدكتور غلاب ولا التعقيبات المتعلقة بها تعطينا الكثير عن الوضع الراهن للتعريب في المغرب الاقصى . ولذلك ارجو من الاخوة تزويدنا بالمزيد من المعلومات عن الوضع الراهن ، ما هو معرب وما هو غير معرب . ومحتوى ما عرّب ، والوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمعرّب ، والخريطة الاجتماعية والسياسية الحالية من وجهة نظر قضية التعريب .

والنقطة الثانية خاصة بالسؤالين اللذين طرحهما الاخ عبدالله العروي . والتعرض لهما وارد لانهما يخصان ارضية التعريب في المغرب العربي ، وفهم الارضية ضروري لفهم المشكلة التي نواجهها . فبالنسبة للوضع السابق على الاستعمار الفرنسي ، اذا كان من الصحيح ان لغة اخرى غير العربية (البربرية او التركية) هي التي سادت على الصعيد الرسمي ، فهل كان ذلك صحيحاً بالنسبة للغة التي كانت سائدة على الصعيد الشعبي ؟ خاصة وان المغرب الاقصى لم يعرف السيطرة التركية ، وانه عرف حكم اسرتين عربيتين (السعديون والعلويون) . وحتى في ظل الاستعمار الفرنسي ، كانت اللغة الفرنسية هي المسيطرة رسمياً ، وكانت المسيطرة كذلك بالنسبة للقلة المتعلمة من افراد شعب المغرب العربي . لقد كان لي حظ معايشة المجتمع الجزائري وجلت فيه من الشرق الى الغرب،

ومن الشمال الى الجنوب ، وتبين لي أن الغالبية لم يكن لها حظ من التعليم ، وأنها كانت تعبر عن نفسها بالعربية ، بالاضافة الى اللغة البربرية ، وانها تعيش نمطاً ثقافياً جزائرياً رغم التأثر بنظام القيم الفرنسي . واذا لم تكن اللغة العربية اللغة السائدة على الصعيد الشعبي فكيف نفسر ما قامت به كل حركات الاستقلال السياسي من رفع شعار العربية والتعريب ؟

اما السؤال الخاص بما اذا كانت لزعماء الاسلام العرب عند الفتح العربي سياسة في تعريب المجتمعات التي اصبحت مسلمة ، فتقديري ، رغم ايماني بضرورة التعرف الى الذات عن طريق دراسة التاريخ دراسة ناقدة ، انه يستحسن ترك هذه المسألة في ندوتنا والتركيز على الظاهرة التي تعيشها المجتمعات العربية حالياً وعلى الاخص في بلدان المغرب العربي .

أما النقطة الثالثة التي اثيرها بمناسبة ما عقب به الدكتور الجنحاني على مسألة محتوى التعريب بقوله انها مسألة لا تثار الآن ، على الاقل بالنسبة لتونس ، فإني اقول انها مسألة ، حتى وان لم تكن مثارة على مستوى النقاش ، فهي قائمة في كل ركن تثار فيه مسألة التعريب او يتم فيه التعريب . وسأضرب مثلاً ملموساً للغاية : النظر في مادة من المواد التي سيتم تدريسها في المدرسة الثانوية باللغة العربية ، كيف نتصور محتواها ؟ هل نتصوره ابتداء من موقف فكري يريد للطالب أن ينفتح على كل الفكر البشري مع ابراز الفكر العربي ومكانه ؟ ام يراد به ان نقتصر على الفكر العربي ؟ وان كان الامر كذلك ، فهل يراد للطالب معرفة كل تيارات الفكر العربي ام نقتصر فيه على تيارات دون اخرى ؟ محتوى التعريب وارد ويمثل مشكلة محورية لا يمكن فصلها عن التصور الخاص بتطور المجتمع العربي اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً .

خير الدين حسيب : اثار د. عبدالله العروي - رئيس الجلسة - تساؤلا عن دور الاسلام في انتشار اللغة العربية والتعريب. واود أن أبيّن أن هذا الجانب من الموضوع لم يكن غائباً عن اذهان الذين خططوا لهذه الندوة ، ولكنه سبق أن عولج في الندوة التي اقامها المركز حول « القومية العربية والاسلام » ، وقدم خلالها د. عبد العزيز الدوري بحثاً عن « الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب » نشر مع وقائع الندوة الاخرى في كتاب صدر عن المركز بعنوان « القومية العربية والاسلام » ، ولذلك لم نشأ اعادة بحث هذا الموضوع في هذه الندوة ثانية . ومن باب الفائدة للذين لم يطلعوا على ذلك الكتاب سيتم توزيع صورة من ذلك البحث على المشاركين في هذه الندوة .

ومن أجل عدم ترك هذا السؤال بلا جواب في هذه الندوة ، أحب أن أشير الى أن د. الدوري ، في بحثه الذي اشرت اليه ، عالج دور الاسلام في نشر العربية والتعريب وحاول الاجابة ايضاً عن السؤال : لماذا تعرب بعض الاقطار التي دخلها الاسلام ولماذا لم يعرب غيرها من التي دخلها الاسلام مثل ايران وتركيا ؟ واذا سمحتم لي أن أقرأ ما جاء في

خلاصة ذلك البحث (ص ٨٩ ـ ٩٠) من الكتاب حيث يقول :

« تناول هذا العرض عناصر التعريب وظروفه وتقدمه في العراق والشام ومصر والمغرب (الشمال الافريقي) . ويلاحظ أنه رغم وجود العامل البشري (انتشار العرب في المدن والريف) فإن اللغة والثقافة العربية كانت محوره . وهذا ينسجم والنظرة التي برزت بوضوح منذ القرن الثالث الهجري (الجاحظ) ، وترى أن اللغة والاخلاق والسجايا والشمائل هي اساس العروبة ، وهي عناصر تتمثل في الثقافة العربية . ومع وجود صلة وثيقة بين الاسلام والعربية ، فإن التعريب لم يحصل في بلاد اخرى من بلاد الخلافة ـ رغم دخولها في الاسلام وانتشار جماعات من العرب فيها ـ مثل ايران وما وراء النهر (التركستان) ومنطقة البنجاب . وليس هذا مجال التحليل التفصيلي لتوضيح ذلك ، وتكفي الاشارة الى بعض العوامل الاساسية في ايران وما وراء النهر :

١) اقتصار العرب على التجمع في مراكز مدنية متباعدة، بين مقاتلة وملاكين وتجار وعدم انتشارهم في الريف .

٢) وجود تراث ثقافي وحضاري مع ذكريات تاريخية قوية ولدت نوعاً من الوعي في فترة مبكرة .

٣) قيام لغة ادبية بدت بوادرها في اواخر القرن الثالث بصورة محدودة في الشعر والنثر . ثم سادت وصارت لغة ثقافة . وكانت هذه الخطوة أساسية في تحديد نطاق التعريب ثم ايقافه .

واكد ذلك ان اهالي هذه المناطق لم يقتصروا على دخول الاسلام ، بل حملوا فيها بعد رايته ونشروه شرقاً حتى الهند . كما أن السلطة بدأت تنتقل اليهم ، فرساً ، ثم اتراكاً بعدئذ ، منذ القرن الرابع الهجري ، وكان لذلك اثره في تأكيد الذات وتوقف التعريب .

وتكرر بعض هذه العوامل في جهات اخرى ، وبالتالي تحدد نطاق العروبة جغرافياً وبشرياً في التاريخ » .

محمد عزيز الحبابي : كان المستعمرون يمنعون الجزائريين الاهليين من أن يصبحوا فرنسيين مكتملي التفرنس. ومن ذلك انهم سموا الاهليين بـ « الفرنسيين المسلمين » ليميزوهم عن الفرنسيين « الحقيقيين » . وفي المجلس الوطني بالعاصمة قسم الاستعمار النواب الى « كوليج اول » ، و « كوليج ثان » وهو الخاص بالاهليين .

ـ المسلم ، كيف ما كانت جنسيته ، يخص اللسان العربي بقدسية . ولذلك نراها قد تعمقت في الاوساط الامازيغية (البربرية) ، لأن العربية لغة القرآن الذي كانوا يحفظونه عن ظهر قلب ويحفظون معه متوناً في الحديث وغير ذلك . ان تعلق الامازيغيين كان اعمق من تعلق العرب . . .

ـ إن دور المدارس العربية مهم في الحركة الوطنية . الا أن دور المدارس المزدوجة اللغة لم يكن اقل اهمية . ومن جهة اخرى فإن الذين درسوا في المدارس المزدوجة هم الذين يحققون التعريب.

ـ يظهر لي أن اخي الاستاذ غلاب قد ضخم قسط الحركة الوطنية الحضرية ، في حين أن الثورة التي زعزعت الاستعمار وقادت الى الاستقلال قامت بالبادية ، في اقاليم لم تكن بعد قد تسيست . واندلعت هناك الثورة استجابة لبواعث اسلامية اكثر منها سياسية .

ـ من الوجهة الفقهية،من الضروري الاشارة الى ما قام به محمد بن العربي العلوي (دوره يعادل بالمغرب دور ابن باديس في الجزائر) . فمع ابن العربي العلوي قام اتجاه فكري عربي اسلامي ، او الحركة السلفية التي غرف منها جل الزعماء المرموقين ، وعلى رأسهم علال الفاسي ومحمد الحسن الوزاني ، وعن هذه الحركة السلفية تفرعت الاحزاب السياسية التي التزمت بالاصلاح الديني والمجتمعي ، ثم غامرت من اجل الاستقلال .

اؤكد للدكتور هشام ابو قمرة ان المغرب لم يعرف اي حركة علمانية . فكل الانطلاقات كانت دائماً اسلامية : ان « الظهير البربري » ، سنة ١٩٣٠ ، هو بداية التنظيم السياسي للحركات الوطنية . وهذا الظهير اريد منه تقسيم المغرب الى شق يخضع للتشريع الاسلامي ، وشق يخضع للاعراف والعادات التقليدية ، وتكون محرمة فيه اللغة العربية ، ويكتفي باللهجات الامازيغية . وضد هذا الظهير ثار المغرب باجمعه ، امازيغ وعرباً ، فنجحوا في احباطه . اما لماذا اجهض المغاربة ذلك التقسيم ؟ فلأنه في نظر الجميع ، يحارب لغة القرآن والشرع الاسلامي .

لي تعليق على تدخل د. عبدالله العروي ، فهو يدعي أنه قبل الاستعمار الفرنسي لم يكن المغرب معرباً . اجل لقد عرف المغرب اسراً حاكمة من اصل امازيغي ، ولكن السعديين والعلويين عرب . فهل لا تكفي اربعة قرون لتعريب المغرب ؟ عجيب ، كيف أن اسرتين عربيتين لم تنجحا في التعريب ! وهناك سؤال حول هذه النقطة الاخيرة هو « باية لغة كان يكتب البلاط في مراكش وفاس ومكناس ؟ وباية لغة كانت تصدر احكام القضاة في طول المغرب وعرضه، وطوال قرون ، اي منذ أن اصبح المغرب مسلماً ؟ وحتى ايام المرابطين والموحدين والمرينيين الفت كتب بالعربية . فالى من كانت تتوجه تلك الكتب « العربية »» ؟

ان الاطر التي تحملت مسؤولية تسيير الحكم كانت ، في اغلب الاحوال ، من خريجي القرويين والمدارس الاسلامية العربية . فبأية لغة تعلموا ، وبأية لغة تعاملوا وهم في مراكز الحكم ؟

وحتى ايام حكم الأسر الامازيغية ، الفت كتب بالعربية ، بوحي من الحكام ، واحياناً باقلامهم لأنهم كانوا يحسنون « لغة القرآن » . والدليل على ذلك ما تبقى من مخطوطات من ذلك العصر . ان ابن تومرت ترك « البيدق » ، كما نرى كتاباً آخر مهماً ، هو « اعز ما يطلب » . وهو مؤلف بالعربية .

ومن جهة اخرى فإن « الذخيرة » لابن بسام تعطي انطباعاً مخالفاً لما قال الاخ العروي عن التعريب في اسبانيا المسلمة . اذ كان من ولع رجال الكنيسة والشباب

المسيحي المثقف بان يتعلموا اللغة العربية على حساب اللغة اللاتينية . وقد كان ذلك في الفترة التي تحدث عنها المناقش !

مدثر عبد الرحيم : اتفق مع د. هشام جعيط على انه كان يحسن بنا أن نوجه جميع تعليقاتنا بصورة مباشرة للبحث الاساسي المقدم من الاستاذ عبد الكريم غلاب . لكن ، بما أن الاخ الدكتور عبدالله العروي قد سمح لنفسه وهو رئيس الجلسة ، بأن يسبق جميع المعلقين باثارة سؤالين مهمين عن الموضوع ، وبما أن هذين السؤالين يمكن أن يفهما - كما قال الاخ الدكتور الجنحاني ، ورغم التفسيرات التي فسرها رئيس الجلسة - بصورة تنسف البحث المقدم، بل وكل قول يتضمن الدعوة الى تعريب المغرب ، نسفا تاماً ومن الاساس ، فقد اصبح من اللازم ، منطقياً ، ان نركز القول اولاً على هذين السؤالين :

تساءل رئيس الجلسة اولا عن دور « الزعماء العرب الذين كانوا في نفس الوقت زعماء الاسلام » كما قال في تعريب المسلمين وفق قرارات سياسية .

ويمكن أن نلخص الاجابة عن هذا السؤال كما يلي :

١ - ان « زعماء الاسلام » وإن كانوا ، بطبيعة الحال من العرب في البدء والى ما بعد قيام الدولة العباسية، فإنما كانوا - في غالبيتهم العظمى عبر القرون - من غير العرب : فكان منهم ، من حيث الاصول العرقية التي بنى عليها الدكتور كلامه، الفرس والاتراك ، والاكراد الذين كان منهم صلاح الدين ، ثم البربر من امثال المهدي بن تومرت ، وعبدالله بن ياسين ويوسف بن تاشفين وغير هؤلاء واولئك كثير من رجال الاسلام وزعماء المسلمين .

٢ - اننا نعلم أن عمر وعبدالملك قد امرا بجعل العربية لغة الدواوين والسكة والبريد فاصبحت العربية بذلك لغة الاسلام الرسمية ، ليس فقط في الدول والعهود التي كانت « الزعامة » فيها للعرب ، بل في كثير من الدول الاسلامية - عربية كانت ام غير عربية - بما في ذلك دول كتلك التي انشأها المجاهد الشهير عثمان دان فوديو في غربي افريقية وخارج المنطقة العربية كلياً ، في اثناء القرن الماضي ثم استمرت ، واستمرت العربية لغتها الرسمية والثقافية ، الى ما بعد مطلع هذا القرن العشرين .

ولا شك ان اتخاذ كثير من الدول الاسلامية - على اختلافها زماناً ومكاناً وعنصراً - اللغة العربية لغة رسمية لها ، قد لعب دوراً مهماً في توطيد اركان العربية ونشرها ، ليس فقط في البلاد التي استعربت كلية فأصبحت بذلك اجزاء لا تنفصم من الامة العربية ، بل في غيرها ايضاً من البلاد التي دخل اهلها الاسلام ثم - لذلك - استعربوا جزئياً ولحد بعيد او قريب .

٣ - كانت هنالك عوامل اخرى ، غير القرارات السياسية ، وغير مكانة العربية

الرسمية ، كان لها اكبر الاثر في نشر اللغة العربية وفي استعراب قطاعات كبيرة من المسلمين استعراباً كاملاً او جزئياً .

من اهم تلك العوامل ان العربية احتلت ، وما زالت تحتل ، مكانة خاصة في وجدان المسلمين وقلوبهم لانها اللغة التي نزل بها القرآن ، مما حفزهم ، وما زال ، لتعلمها تعميقاً لمعرفتهم به وتمكيناً لهم من ممارسة الحياة في ظل تعاليمه . ومنها ايضاً أن العربية قد صارت فيما بعد لغة الحضارة والثقافة والتجارة .

اضف الى كل ذلك الهجرات العربية . فجميع تلك الاسباب قد لعبت ادوارها في تعريب العالم الاسلامي تعريباً كاملاً كما حدث في الاجزاء التي اصبحت فيما بعد العالم العربي ، او تعريباً جزئياً فيما عداه من اجزاء العالم الاسلامي حيث استعملت اللغة العربية لغة رسمية وعلمية لعهود طويلة ، ودخلت عبارات مختلفة منها اللغات المحلية التي كتبت في كثير من الاحيان بالحروف العربية .

أما السؤال الثاني فيتصل بما حدثنا عنه رئيس الجلسة عن عدم اقتناعه بأن المغرب كان « معرباً » قبل الاحتلال الفرنسي ، وذلك لأن اكبر الاسر التي حكمت المغرب اولاً لم تكن عربية كما قال ، ثم اعقبها الاتراك الذين حكموا الاقليم نحو اربعة قرون لم يتعربوا في اثنائها .

والنقطة الاولى التي يجب الاشارة اليها في هذا السياق ، وفي زمان اصبح فيه كثير منا ينظر للتاريخ بمنظار القومية المختلطة معظم الاحيان بالعرقية والعنصرية ، ان العروبة ليست بجنس او عصبية عنصرية ، وانما هي رابطة حضارية ثقافية تقوم اساساً على عروبة اللسان التي اكتسبها ـ لدرجات متفاوتة ـ كل من آمن بالاسلام والقرآن ، فنتج عن ذلك استعراب قطاعات كبيرة من العالم الاسلامي استعراباً كاملاً كما تقدم ، كما نشأت بسببه مجموعة كبيرة من اللغات الاسلامية ـ في القارتين الآسيوية والافريقية ـ استعربت واستعرب اهلها بسبب اسلامهم لدرجات متفاوتة لعل من اهم سماتها وآثارها دخول عبارات عربية كثيرة في تلك اللغات الى جانب كونها قد كتبت بالحروف العربية . ومن بين هذه الاخيرة اللغات واللهجات الفارسية والتركية ، والاوردية ، والجاوية ، في آسيا ، والبربرية ، والهوسوية ، والسواحلية ، والصومالية ، في افريقيا .

والنقطة الثانية انه تعايشت هذه اللغات كما هو معلوم مع العربية في كثير من الاحيان والاوساط التي استعملت فيها، بما في ذلك الدول المغربية البربرية التي اشار اليها رئيس الجلسة . فقد كانت العربية اللسان الرسمي في الحكم والادارة على عهود المرابطين والموحدين والمرينيين. . . الخ دون أن يمنع ذلك رجالها ، كالمهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، من الكتابة والتحدث بلهجته الامازيغية او البربرية في الوقت نفسه .

والنقطة الثالثة انه اضافة لجعلهم العربية لغة رسمية في جميع دولهم ، فقد كانت في

ظل تلك الدول البربرية الاسلامية لغة العلم والتعلم الى جانب كونها لغة الثقافة العامة . ولعل اقرب دليل مادي على ذلك شواهد القبور المكتوبة باللغة العربية القائمة الى اليوم في مجموعات كبيرة من المقابر القديمة التي يعود بعضها لاكثر من الف سنة في طول المغرب العربي وعرضه .

واخيراً فيما يتصل بهذا السؤال ، علينا أن نتذكر أن وجود سلالات ولهجات تعود لأصول غير عربية في مبدئها امر غير موقوف على المغرب ولا محصور فيه ، بل انه وضع له نظائره في المشرق العربي الذي لا يمكن أن يشكك احد في عروبته اعتماداً على شيء من ذلك ، كما لا يصح ان يتشكك احد في عروبة المغرب او يحاول التشكيك فيها . ولنذكر ان من اول واقوى الرجال الذين رفعوا راية الاسلام والعروبة في البلاد المغربية في العصر الحديث رجال من البربر من بينهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الاب الروحي لحركة الجهاد والاستقلال الجزائري الذي صاغ شعار الثورة في عبارات عربية بالغة الدلالة ما زالت رطبة على الالسن تخفق بها القلوب كل اليوم : « شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتمي ! » .

ولو كان هذا مجال الاستقصاء والاستطراد لأمكن أن نعد عشرات من العلماء العاملين والقادة المجاهدين ، امثال الشيخ عبد الحميد ، في تونس والمغرب ومختلف بقاع المغرب العربي الكبير اثبتوا بأقوالهم واعمالهم عبر القرون أن عروبة المغرب اصيلة عريقة مهما اختلفت الاصول والاعراق ، واحبطوا باقوالهم وافعالهم السياسية القضية البربرية التي اراد بها الاستعمار أن يبعث العصبيات ليهدم رابطة العروبة والاسلام التي وجدت بين ابناء الشعب الواحد بالامس. ولا نشك أن ابناءهم ومن حملوا الراية بعدهم سيحبطون كيد الاستعمار الجديد محافظين على كيانهم التاريخي الحضاري اليوم كما فعل آباؤهم بالامس .

عبد الكريم غلاب(*) : اثار البحث الذي تشرفت بتقديمه الى « ندوة التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » كثيراً من المناقشات والتعقيبات والإضافات التي اغنى بعضها جوانب من الموضوع . ومن المؤسف أني لم أتمكن من حضور الندوة فحرمت من حيوية المناقشة التي اعتبر أن لها الاهمية الاولى في الندوة .

وإذا فاتتني المساهمة في المناقشة في اثناء انعقاد الندوة فلا يفوتني ان اسجل ملاحظاتي على ما وصلني منها مسجلاً ، مع ابداء الشكر للاخوة الاساتذة الذين اغنوا الموضوع بإضافاتهم ووجهات نظرهم .

طرح د. العروي سؤالين: اولهما يتعلق بعلاقة الاسلام بالتعريب . هل كان للزعماء

(*) تعذر على الاستاذ عبد الكريم غلاب حضور الندوة ، وقد قدم بحثه الى الندوة نيابة عنه وارسلت له فيما بعد نسخة عن التعقيبات والمناقشات التي تمت حول بحثه وطلب منه اعداد رد عليها ، وقد تفضل بارسال هذا الرد . (المحرر)

العرب اثناء الفتوحات الاسلامية سياسة تعريبية حقيقية ؟ والدكتور العروي ، مؤرخ نافذ البصيرة ، واذ القي هذا السؤال الذي يبدو عادياً ، فلا شك أنه يهدف الى العمق . وما من شك في أن احداً لا يمكن أن يقنع مؤرخاً من مقدرته درس الحضارات في مسيرتها وتنقلها ، والفتوحات ، الحضارية منها والاستعمارية ، بترديد الوقائع التاريخية - التي هو منها على بيّنة - الخاصة بانتشار العربية مع الفتوح الاسلامية في الغرب الاسلامي انطلاقاً من مكة والمدينة في بدء الاسلام ثم انطلاقاً من دمشق وبغداد في ضحى الإسلام .

ولعل الفتوح الاسلامية تختلف عن انسياح الاستعمار ، الفينيقي منه والروماني ، من جهة وعن الاستعمار الاوروبي الحديث من جهة اخرى ، فالاستعمار القديم لم تكن له سياسة لغوية . ولذلك لم تتمكن لغاته من البلاد التي فتحها ،ولو انها كانت اللغة الرسمية للدولة والادارة . والاستعمار الحديث كانت له سياسة لغوية استهدف منها تكوين المواطن المستعمَر على مثال المواطن المستعمِر ، كما استهدف تكوين المساعدين الثانويين لخدمة ادارة الاستعمار ، ثم ربط اقتصاد البلاد المستعمَرة بالوطن المستعمِر . وجماع ذلك غزو فكري واستلاب للشخصية التي يكونها المواطن بمختلف وسائل التكوين ومنها اللغة على نحو ما شرحت في العرض الذي قدمته .

اما الفتح الاسلامي فقد استهدف تكوين المواطن المسلم والمجتمع المسلم . واذا لم يكن قد وضع سياسة منهجية وبرمجة للتعريب بخطة واعية مدروسة فإن هدفه في فجر الاسلام لم يكن الا تكوين المواطن المسلم والمجتمع المسلم ، ولو ان ذلك اختلف عنه في ضحى الاسلام عندما انتقلت الدولة الاسلامية من خلافة الى « ملك عضد » ورغم هذا الانتقال السياسي فإن الفاتحين لم يكونوا - فيما احسب - يضعون منهجية واعية مدروسة للتعريب .

ولعل ذلك يعود الى شيئين ، اولهما أن الهدف لم يكن استعمارياً بالمعنى الجديد للاستعمار الذي يستهدف في مقدمة ما يستهدف مسخ الشخصية المستقلة للبلد المستعمَر وللمواطنين فيه ، وثانيهما أن السياسة المعتمدة على الخطة الواعية المدروسة اذا كان العرب قد عرفوها وطبقوها في شؤون الحرب والسياسة والادارة فانهم لم يعرفوها في شؤون الفكر والثقافة على نحو ما عرفها وطبقها المستعمرون في العصر الحديث .

على أن هناك ضوءاً اخضر أُعطي لهذا الاتجاه يتمثل في السياسة التي اتبعها النبي (ص) حينما اتخذ قراراً رائداً في احدى الغزوات ، وهو **فداء كل أسير أن يعلّم القراءة والكتابة لعشرة من الأميين** . واذا كان الفاتحون لم يتبعوا هذه المنهجية الواعية فلأنهم اكتفوا بنشر الاسلام ، وهم يعرفون بالتجربة أن الاسلام يحمل معه التعريب ، لأنه يحمل كتاباً هو القرآن ، له لغة واحدة هي العربية . ولكي يتم اسلام المسلم عليه أن يصلي بآيات منه ، وتلك هي بدء الخطة الواعية ، ولو انها ليست مبرمجة - للتعريب .

ويتبع ذلك المدرسة والادارة والعقود والقضاء والمراسلات الادارية وخطبة الجمعة والاعياد . . . الخ ولم تكن هذه الممارسات الاساسية في حياة المجتمع ، وفي حياة كل مواطن ، الا بالعربية . يضاف الى ذلك أن البلاد التي تعربت ، ما بين الخليج والمحيط ، لم تكن لها لغة او لغات وطنية لها من المساهمة الحضارية ومن التراث الفكري ما كان للفارسية والاوردية والتركية والصينية . ولذلك تعربت هذه المنطقة الواسعة بخطة اعتمدت على التعليم والثقافة والممارسة الحياتية والادارية اكثر من اعتمادها على« خطة واعية مدروسة كما كانت سياسة فرنسا في الشمال الافريقي » . وفي مداخلة د. خير الدين حسيب ما يزيد هذا الموضوع توضيحاً ، وبالاخص ما نقله من بحث د. عبد العزيز الدوري .

وثاني السؤالين هو مدى تعريب المجتمع في المغرب الكبير قبل الاحتلال الفرنسي . ويجب في البدء أن نتفق على بعض الحقائق :

١ ـ الفرق بين تعريب الفرد وتعريب المجتمع . نستطيع أن نقول ان المجتمع العراقي او السوري او السوداني معرب بقدر ما نستطيع أن نقول ان المجتمع المغربي او الجزائري او التونسي كان معرباً وما يزال . وقد لا تكون الاسر او الرؤساء الذين حكموا هذه البلاد او بعضها معربين ، وقد لا يكون كل افراد المجتمع معرّبين ، لأن العربية كانت اللغة الحضارية والثقافية والادارية ولغة المراسلات في المغرب العربي كما في المشرق العربي .

وإذا كنا نؤكد مرة اخرى ان المناقش مؤرخ نافذ البصيرة فإنا لنستغرب ان يقول في تعقيبه : ان اللسان الرسمي للاسر البربرية الكبيرة التي حكمت شمالي افريقية لم يكن اللسان العربي . طبعاً لا يهم لسان الحديث بقدر ما يهم لسان الادارة والمدرسة والجامعة (القرويين مثلاً) والمخاطبات مع المغرب والاندلس ، ولسان القضاء ، ولغة الاحكام والفتاوى وخطب الجمعة والقرآن الذي كان يحفظه الاطفال في الكتاب ويقرأونه في المساجد بعد صلاة المغرب ، والتأليف والجدل العلمي والفلسفي الذي دار في قصور ومعاهد الموحدين مع الفلاسفة الكبار كابن رشد ، والجدل الفقهي بين كبار الفقهاء في قصور ومعاهد المرابطين ، والصراع المذهبي . . . واذا استطاع الاستاذ المناقش ان يثبت أن لغة هذا النشاط جميعه لم تكن العربية فإنني اسحب علامة الاستفهام الكبرى التي وضعتها على « قراره » هذا . . . .

ولكني متأكد من أنه لا يستطيع ذلك ، فهو مؤرخ تعرّف جيداً الى المصادر العربية لتاريخ المغرب العربي جميعه ، حتى مصادر الفقه والفتوى والرحلات وكتب الشعر واللغة والنحو . . وهو يعرف دون شك أن زعماء المرابطين كانوا معرَّبين درسوا العلم والفقه والجدل بالعربية ، وان يحيى بن ابراهيم الكدالي ، ووجاج بن زلو اللمطي ، وعبدالله بن ياسين ، وهم الذين اسسوا دولة المرابطين كانوا يمارسون التعلم والتعليم بالعربية . وهو يعرف دون شك أن المرابطين والموحدين تعاملوا مع فلاسفة وعلماء وفقهاء اندلسيين ومغاربة من امثال ابن باجة وابن رشد وابن طفيل وابناء زهر وابن ميمون (من الفلاسفة) وابن

رشد الكبير وابي بكر بن العربي (من الفقهاء) وابن عربي الحاتمي وابن سبعين (من الفلاسفة الصوفيين) وكلهم كانوا معرّبين .

ولعله يعرف ما تحدث به المؤرخون العرب من أن رؤساء المرابطين من الامراء ورجال السلطة كانوا يجتمعون للسماع من ابي الحسن بن سراج ، وهو (كما تقول ترجمته) من اعلم الناس بالنحو واشعار العرب ولهجاتها . ويعرف ما يقوله المؤرخون من أن الامير سير بن علي بن يوسف بن تاشفين وأخاه ابراهيم ، والمنصور بن الحجاج اللمتوني ، وزاوى بن مناد درسوا على كثير من علماء الاندلس والمغرب . وكلهم كانوا رؤساء وولاة على كثير من مناطق المغرب والاندلس . ولعله يعرف ايضاً ان ابا يعقوب من امراء المرابطين كان يجتمع مع العلماء والفقهاء في مجالس الجدل والحوار ، وان الامير ميمون بن ياسين كان يعنى بالحديث والسماع من العلماء . وقد درس في مكة وسمع الحديث هناك وعاد الى المغرب والاندلس وحدث باشبيلية ، وهي يومئذ مدينة علم . ولعله يعرف ـ او ينبغي له ذلك ـ أن أبا بكر بن ابراهيم المسوفي الصنهاجي (صهر علي بن يوسف) كان شاعراً (بالعربية طبعاً) . وان الاميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين وزينب بنت ابراهيم بن تافلوت زوج الامير تميم بن يوسف بن تاشفين واختها حواء كن أديبات . وهذه الاسماء التي اخترناها من الطبقة الحاكمة في اسرة بربرية كبيرة تؤكد أن اللسان الرسمي لهذه الاسرة لم يكن غير عربي .

وتحدثنا الرواية العربية (وهو ما يغفله بعض المصادر الاجنبية لحاجة في نفس يعقوب) عن عدد كبير من الفقهاء والعلماء والادباء الذين أثروا الحياة الفكرية في عهد المرابطين ، واغلبهم من اصل بربري . فمن فقهائهم عبد الملك المصمودي ، وابراهيم بن جعفر اللواتي ، وابن ابي فوناس منصور بن مسلم الزرهوني، وعبدالله بن محمد بن ابراهيم النكوري . وتذكر الرواية العربية ايضاً ان يوسف بن تاشفين وابنه عليا اعتمدا على كثير من كتّاب العربية الكبار الذين عملوا في الدواوين . ومنهم عبد الرحمن بن اسباط ، وابو بكر بن القصيرة ، ومحمد بن عبد الغفور ، وعبد المجيد بن عبدون ، وابو محمد بن ابي الخصال ، وابو القاسم بن الجد (ابن الاحوب) ، وابو بكر بن محمد ، والفتح بن خاقان . فهؤلاء الادباء عملوا في البلاط المرابطي كتاباً بمثابة وزراء . ولا يمكن أن يكون اللسان الرسمي للدولة بربرياً وهي تستخدم مثل هؤلاء النابغين في الكتابة .

والأمر اكثر وضوحاً على عهد الدولة الكبرى التي ينتمي الحاكمون فيها ومؤسسوها الى اسرة بربرية ، اي دولة الموحدين التي شمل نفوذها المغرب العربي والاندلس وجزر البليار . فقد كانت الحياة العلمية والثقافية بالمغرب على عهد هذه الدولة تشبه الى حد بعيد الحياة العلمية والثقافية في بغداد على عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ، وان كانت تختلف عنها من حيث الجدية والصرامة وقلة الاهتمام بفنون الحياة الناعمة .

والمهدي بن تومرت الذي درس على الغزالي وكان على صلة به ، ودرس في مختلف

معاهد العلم بالمشرق ، كان دون شك معربا ، وكتبه تشهد على ذلك . ويذكر المؤرخون من هذه الكتب: « اعز ما يطلب » ، و « العقيدة المرشدة » و « الطهارة » . وعبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة كان مثقفاً أديباً يحاور الادباء والشعراء من اندلسيين ومغاربة على السواء . وقد تعلم على يد رائده « المهدي » اصول الدين والجدل الفلسفي . وكانت مكتبة يوسف بن عبدالمؤمن يضرب بها المثل بين المكتبات العلمية الأدبية في العالم الاسلامي . وقد ازدهر الجدل الفكري والعلمي بين الفقهاء وعلماء الحديث على عهد يعقوب المنصور . وانتصر الحديث على الفقه كما انتصر علم الكلام والجدل اللاهوتي على السلفية ، بفضل دراية المنصور نفسه ودخوله هذه المعركة الجدلية . ويذكر المؤرخون انه كان يجيد حفظ القرآن والاحاديث ويتكلم في الفقه . وله مجموعة من الفتاوى وله كتاب « الترغيب » جمع فيه احاديث تتعلق بالعبادات . وانتصر المذهب السني على المذاهب الشيعية التي كانت قد بدأت تتسرب الى المغرب العربي على يد المهدي نفسه .

ويحدثنا التاريخ الادبي لهذه الدولة عن كثير من العلماء والادباء الذين ينتمون الى اسر بربرية ، ومع ذلك درسوا وعلّموا وكتبوا في العلوم اللغوية والادبية . فقد اشتهر المغرب بمدرسة خاصة في النحو ، تحدث عنها المغفور له علال الفاسي في بحث له تقدم به الى احد المؤتمرات العالمية عقد في طهران عن النحو العربي . كانت للمدرسة المغربية آراء خاصة في قضايا نحوية ولغوية على نحو ما كانت مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة مثلاً . وعرفت مدينة مراكش في عهد الموحدين ما كان يسمى ببيت الطلبة (الطالب كان يطلق على العالم المجيد في علمه) وهو شبه « مجمع » او جامعة للعلماء خاصة .

ويذكر التاريخ من علماء النحو - خصوصاً من الاسر البربرية - ابا موسى الجزولي ، ويحيى بن مُعطي الزواوي ، ومن الفقهاء علي بن يحيى الصنهاجي . ومن المحدثين ابا الحسن علي بن محمد الكتامي ، ومن المتكلمين عثمان السلاجي ، ومن الادباء الامير (ابا الربيع) سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن الموحدي ، وابا حفص عمر السلمي ، وأبا العباس الجراوي ، وميمون بن علي الخطابي الصنهاجي ، ومن المؤرخين ابا بكر الصنهاجي (البيدق) صاحب كتاب اخبار المهدي بن تومرت .

كل ذلك يؤكد أن لسان الدولة والشعب لم يكن اجنبياً عن العربية في عهد الدولتين الكبريين اللتين تنتميان الى اسر بربرية . ولذلك فالمغرب العربي كان معرباً الى حد كبير طوال تاريخه الاسلامي العربي . ولم يحدث فيه - في اي فترة من تاريخه - مثل ما حدث او اريد له أن يحدث في عهد الاستعمار من محاولة لمسخ شخصيته العربية الاسلامية لغة وثقافة وحضارة وديناً .

ثم ان المناقش يتشكك في قلة انتشار العربية في العهد الفرنسي قياساً الى العهود السابقة (حكم الاسر البربرية والحكم العثماني في الجزائر وتونس) . والمقارنة غير ذات موضوع . فقد كان المغرب كما قلنا معرباً في جميع العهود السابقة . اما في العهد الفرنسي فقد نشأت

دولة على هامش الدولة ، ومجتمع على هامش المجتمع ، اي مجتمع الادارة الفرنسية والمدرسة والمراسلات والهاتف وحتى كتابة عنوان رسالة (الذي لم يكن يسمح بكتابته بالعربية ، ولو كانت الرسالة تنتقل من قرية مغربية او جزائرية او تونسية الى قرية مماثلة لا يسكنها الا المغاربة) وعقود الكراء والبيع والمحافظة العقارية والتسجيل . . . الخ . ولكن هذا المجتمع الاجنبي كان هامشياً رغم سيطرته الواقعية على الحياة ، ورغم تغلغل التعليم السطحي في الحياة الادارية والتجارية ، وغلبة الحديث بالفرنسية مثلاً كلما كان الامر يهم موضوعاً ادارياً او تجارياً او علمياً بين متعلمين في المدارس الفرنسية . ورغم كل ذلك فإن المجتمع في الاقطار الثلاثة ظل معرباً لساناً وفكراً ، وظلت العربية منتشرة بين جميع افراد الشعب ، وحتى عند الطبقة المتعلمة التي لم تفقد صلتها بالعربية في المدارس الثانوية المزدوجة ، فكيف بالمعربين الذين درسوا في الزيتونة وفروعها والقرويين وفروعها ، والصادقية ومثيلاتها في تونس والمغرب ، والنخبة التي درست في مدارس جمعية العلماء في الجزائر ، والنخبة الجزائرية التي كانت تدرس في المغرب او في تونس قبل ظهور تلك المدارس .

ومن كل ذلك ندرك ـ على خلاف ما يرى صديقنا ـ أن المغرب العربي كان معرباً منذ انتشار العربية مع الاسلام ، وان الدول البربرية الحاكمة لم تغيّر من مسار العربية فيه ، لأنها لم تكن ترى فرقاً بين الاسلام كعقيدة وكتاب عربي وبين الحياة المعربة ثقافياً وادارياً ودينياً . ورغم ان الهجمة الاستعمارية الامبريالية في القرن التاسع عشر كانت تستهدف تعجيم بلاد المغرب ، ورغم قرن وثلث قرن من الممارسة التعجيمية فإنها لم تبلغ الهدف منها . ولذلك وجدت الجهود التي تبذل الآن في الاقطار الاربعة (باضافة موريتانيا) ارضية صالحة ذات جذور لم تغرقها في الوحل والعفن الفترة الاستعمارية .

هذا الذي قلناه يؤيده الصديق الدكتور محمد عزيز الحبابي في مداخلته القيمة التي اتفق معه في كل ما قاله فيها حول هذه النقطة ويوضحه بصدق الدكتور مدثر عبد الرحيم الذي يسعدني ان اتبنى كل ما ورد في تدخله القيم . ويؤيده ايضاً التعليق القصير المفيد للصديق الدكتور الحبيب الجنحاني ويؤيده كذلك الدكتور محمد دويدار في تعليقه القيم وفي شهادته التي استخلصها من معايشته للشعب الجزائري الذي كان يعيش نمطاً ثقافياً جزائرياً رغم التأثر بنظام القيم الفرنسي .

ان الذي قلناه آنفاً ينطبق تماماً على **الاحكام التي اطلقها د. محمد الهادي الشريف** حين قال: « ان اللغة العربية لم تكن منتشرة كل الانتشار قبل عهد الاستعمار . . . بل كانت اللهجات العامية هي المسيطرة في مستوى الجماهير الشعبية ، واللغات الاجنبية ـ وفيها التركية ـ هي المستعملة من قبل الطبقات الحاكمة . . . ولم تنتشر اللغة العربية الفصحى الا انطلاقاً من حركة النهضة ، اي انطلاقاً من اواخر القرن التاسع عشر . . . . » .

ولعل د. الشريف يتحدث عن مغارب اخرى غير التي يعرفها العالم في شمالي افريقية. اما تونس والجزائر والمغرب، بما فيه موريتانيا، فلم تعرف غير العربية لغة ـ بالبعد الذي شرحناه ـ منذ دخلها الاسلام. فمن هم الذين كانت اللغات الاجنبية ـ ومنها التركية ـ مسيطرة عليهم قبل حركة النهضة؟ اهم فئة قليلة تعد على الاصابع من الدايات والبايات في الجزائر وتونس؟ ان مثل هؤلاء الحكام القليلي العدد لم يستطيعوا ان يتركوا لسان المشرق العربي جميعه وقد حكموه قروناً وعن قرب، فكيف استطاعوا ذلك في تونس والجزائر (المغرب لم يعرف الحكم التركي) على بعد؟ اما ما يقوله من ان اللهجات العامية (لا العربية الفصحى) كانت هي المسيطرة على مستوى الجماهير الشعبية فكلام يعود بنا الى توضيح مفهوم التعريب، وهذا ما لا سبيل اليه في هذه الندوة.

والنقطة الثانية التي يشير اليها، فيها (حسب الورقة التي بين يدي) نوع من عدم الوضوح. والا فكيف يمكن القول بأن الليبراليين الفرنسيين كانوا يريدون من وراء نشر اللغة الفرنسية الحاق الاهالي المغاربة بركب الحضارة العصرية؟ ولعله يعرف ان الفرنسيين ظلوا في الجزائر قرناً وثلث قرن، وفي تونس ثلاثة ارباع القرن، وفي المغرب ثلاثا واربعين سنة وبضعة اشهر، ولم تنشأ جامعة واحدة في الاقطار الثلاثة (ما كان يسمى جامعة الجزائر كانت دراسات عليا تابعة لاحدى الجامعات الفرنسية مخصصة تقريباً للفرنسيين)، وان المدارس الثانوية للمغربيين في كل قطر كانت تعد على الأصابع، وان الذين كانوا يحصلون على البكالوريا حتى نهاية الحرب الثانية كانوا قلة لا يعدون العشرات، وان بعضهم كان (يفر) الى فرنسا حتى يمكنه الحصول عليها هرباً من العراقيل التي كان الفرنسيون يضعونها في وجوههم، وان بعضهم كان يمنع ـ بعد الحصول على البكالوريا ـ من دراسة الطب مثلاً، لأن الطب يجب أن يظل مقتصراً على الفرنسيين. وقد ابيح لصاحب هذه التجربة دراسة الزراعة في فرنسا بعد تدخل ووساطة وبمحسوبية. فهل مع هذا يمكن أن يقول مؤرخ للعهد الاستعماري ان قصدهم كان الحاق الاهالي المغاربة بركب الحضارة العصرية؟

تعقيب د. بو قمرة يثير كثيراً من الملاحظات لانه ينطلق من الافتراضات والافكار المسبقة التي يعتبرها حقائق. وقد بذل جهداً مشكوراً في محاولة الاقناع. ومن اجل هذا الجهد الذي اشكره عليه من الاعماق ابدي الملاحظات التالية:

١ ـ لم يكن من موضوع البحث الذي قدمته للندوة «تعميق المعلومات بشكل افضل عن حركات التحرر في المغرب العربي» فهذا موضوع يفترض في المتنادين انهم قرأوا عنه. وقد كان من السهل أن أعود في تجلية هذا الموضوع الى اقرب الكتب الى كتابي مثلاً عن «تاريخ الحركة الوطنية في المغرب»، وكتاب علال الفاسي «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي»، وكتاب شارل اندري جوليان وغيرها كثير. ولكن الموضوع كما حدده مركز دراسات الوحدة العربية منظم الندوة هو «التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي»، وكل خروج عن حرفية العنوان يعتبر إخلالاً بمنهجية البحث في نظري.

٢ ـ ثم يقول : « انه ينفر من البحوث التمجيدية التي تنطلق مثلاً من ان كل حركة تحرر هي بطبيعتها نظيفة صافية المعين مناضلة من اجل القيم النبيلة كافة. . . وهي مواصلة للفكر الرسمي السائد الذي يحيط بالتقديس كل تحركات الوطنيين واتجاهاتهم » واقول : انني لم اكتب العرض الذي تقدمت به للندوة انطلاقاً من فكر رسمي، ولا كتبته لتقويم حركات التحرر ، وانما هو رصد لدور التعريب في النضال التحرري .

٣ ـ يتساءل المناقش عن الأصول الاجتماعية والفكرية لفئات حركات التحرير في المغرب العربي ليستنتج من ذلك ان هناك تناقضات بينها في نظرتها للتعريب نتيجة ثقافتها ومنظورها الغربي او العربي . وهو تساؤل وجيه يؤكده موقف بعض فئات التحرير من قضية التعريب كعلي باش حامبة . ولكن مثالاً واحداً لا يمكن أن يدعم نظرية فكيف بدعم حقيقة تاريخية . ثم هو يحاول أن يبحث عن الفروق ـ في تبني التعريب ـ بين المجموعة المناضلة التي تعلمت في الجامعات الاسلامية ـ الزيتونة والقرويين مثلاً ـ « والمجموعة ذات المنشأ الفكري الغربي التي لم يكن التعريب من مطالبها الاساسية » . واذا استثنينا الذين لم يدرسوا العربية اطلاقاً ، والذين لم يعالجوا هذا الموضوع من جانبه الفكري او من جانب الممارسة نجد أن هذا « الحكم المطلق » يقوم على اساس خاطىء . فقضية تعريب المغرب او الجزائر او تونس لم تكن موضع خلاف بين المناضلين . وليس بين ايدينا مقال او كتاب او خطاب او اطروحة تؤكد هذه « الحقيقة » التي ارسلها السيد المناقش . ولكنا نعرف من المناضلين في المغرب من هم من ذوي المنشأ الفكري الغربي امثال احمد بالفريج ، ومحمد اليزيدي ، وعمر بن عبد الجليل ، ومحمد الفاسي ، ومحمد الحسن الوزاني ، واحمد بناني ، وكلهم من قادة الحركة الوطنية ، وكلهم كانوا من دعاة التعريب نضالاً وممارسة . بل من بينهم « مصارع » . اذا صح التعبير ـ في تعريب المنظمات الدولية ، وكان له الفضل في ادخال اللغة العربية لليونيسكو هو الاستاذ محمد الفاسي . وجاء بعدهم رجال من ذوي التكوين المغربي يقودون اليوم حركة التعريب اذكر من بينهم احمد الاخضر صاحب الطريقة المعيارية في اصلاح الكتابة العربية ، ومدير معهد التعريب ، وعبد العزيز بنعبدالله الامين العام لمكتب تنسيق التعريب الذي اصدر عشرات المعاجم ويصدر مجلة « اللسان العربي » ومن بينهم السيد محمد الدويري الوزير الذي يحمل راية تعريب الادارة والاقتصاد والحياة العلمية والدكتور عز الدين العراقي وزير التربية الوطنية ، الذي يشرف الآن على تعريب التعليم دون عقده . واذا ذكرت الاستاذ محمد مزالي الذي اشرف على التعليم في تونس ازيد من عشر سنوات ، والاستاذ محمود المسعدي الذي اشرف ايضاً عشر سنوات ، فلانهما ورثا التفكير الذي كان التعريب بالتأكيد من مطالبه الاساسية .

٤ ـ ان الفئات التي قامت على حركات التحرير في المغرب العربي كانت فعلاً فئات اجتماعية وثقافية مختلفة ، وكانت بينها تناقضات طبيعية . ولا يعيبها ذلك في شيء ، بل كانت هذه التناقضات مصدر توحيد اكثر منها مصدر تمزيق . والفئات التي ناضلت في المغرب

العربي لم تكن علمانية (بالمفهوم العلمي للكلمة) . ولا نكاد نجد هذا الاتجاه في الجزائر والمغرب على الاخص . ففي الجزائر كانت جمعية العلماء مثلاً تنادي بفصل الدين عن الدولة (على عهد الاستعمار) لا من منطلق علماني ، ولكن لأن الدولة (الفرنسية) كانت علمانية . وكانت السلطات الفرنسية في الجزائر تسيء الى الاسلام باعتبارها تمثل دولة علمانية . فكانت جمعية العلماء تطالب بأن تعود شؤون الاسلام في الجزائر الى الجزائريين باعتبار أن شؤون الدولة تعود الى الفرنسيين ، وذلك انقاذاً للاسلام والمسلمين من تصرفات الادارة الفرنسية . وحزب الشعب الجزائري الذي قام بالنضال السياسي لم يعرف عنه أنه كان علمانياً ، ولا نجم الشمال الافريقي الذي نشأ عنه حزب الشعب . اما جبهة التحرير الجزائرية فإن الفكرة الاسلامية كانت من مشمولات مذهبها . نحن نعرف زعماءها من خيضر وابن بيلا حتى بومدين لم يعرف عن احد منهم أنه كان علمانياً .

وإذاكانت جماعة « تونس الفتاة » ، او كان بعض افرادها على الاخص علمانيين يستهدفون انشاء دولة على غرار الدولة الغربية ، فإن الحزب الدستوري القديم الذي ناضل بزعامة الثعالبي منذ الحرب العالمية الاولى لم يتبن هذا الفكر ، ولا الحزب الدستوري الجديد الذي ورثه وناضل منذ سنة ١٩٣٣ ولا يزال في السلطة منذ ربع قرن ، نادى بالعلمانية او طبقها الا في حدود لم تَرْقَ الى مذهب فكري او ممارسة سياسية .

أما في المغرب فإن دعوة العلمانية لم تجد سبيلاً الى الفكر الوطني الذي نشأ من الدعوة الى السلفية كثورة فكرية على التخلف الفكري وعلى السلوك المنحرف . وانطلق في النضال الوطني المواجه للاستعمار من تجربة الفرنسيين فيما يسمى (الظهير البربري) الذي حاول الفرنسيون به فصل المجموعة البربرية في المغرب ـ كما حاولوا من قبل في الجزائر ـ عن المجموعة العربية في القضاء واللغة والتعليم والدين عن طريق نشر المسيحية بين المجموعة البربرية .

وحركة التحرير في المغرب التي بدأت تحت اسم « كتلة العمل الوطني » وانتهت الى حزب الاستقلال وما تفرع عنها من هيئات سياسية لم تنزع قط الى العلمانية ، ولا دخل هذا الفكر ولا هذا المصطلح في أدبياتها ولا في شعاراتها .

٥ ـ ومن هنا مجازفة المناقش حينما زعم أن « هذه الطوائف (التي قامت بحركات التحرير) استعملت الاسلام دائماً كوسيلة لاحتواء الشعور العام في عملية احتيال **مؤقت ومقصود** . . . . ! وفي الوقت نفسه كانت طوائف اخرى تستعمل نفس المقولة لرفض اي تغيير اجتماعي وحضاري يستفيد من التجربة الانسانية . . . ! » .

إنها مجازفة كلامية خطيرة في مناقشة جادة . فالاسلام لم يستعمل (لا دائماً ولا مؤقتاً) في عملية احتيال من رجال يعرفون الاسلام ويعرفون شعوبهم المسلمة ويعرفون حقيقة مهمة هي أن الاسلام عمدة فكرية ودينية وحضارية وتاريخية في الحفاظ على كيان هذه البلاد وعلى

وحدتها وشخصيتها وخصوصيتها . وعلى صخرة الاسلام تحطمت محاولات الاستعمار (ومنطلقه صليبي) الذي اتجه الى المغرب العربي من اسبانيا والبرتغال وانكلترا ثم فرنسا وايطاليا منذ انهيار الاسلام في الاندلس قبل خمسة قرون الى العقد الثاني من القرن العشرين . والشعوب المغربية لا يمكن أن يحتويها « احتيال مؤقت ومقصود » لان الاحتيال يفتضح حتى امام شعوب ليست لها جذور حضارية . وما اظن أن شعوب تونس والمغرب والجزائر من البلاهة بحيث تنخدع بهذا الاحتيال . ثم من هي الطائفة من طوائف المناضلين التي كانت ترفض اي تغيير اجتماعي وحضاري يستفيد من التجربة الانسانية . . . ؟

٦ ـ ويطرح المناقش اشكالية العلاقة بين الاسلام والعروبة . وقد حددت هذه العلاقة في العرض ولا حاجة للتذكير بها ، وانما اريد ان أؤكد ـ فيما يخص المغرب العربي ، بل وبعض اقطار المشرق العربي التي فتحها الاسلام العربي ـ انها علاقة تكامل لا تنافر وان الاسلام لا ينظر الى العروبة نظرة عرقية سلالية ، بل نظرة حضارية فكرية .

٧ ـ النقطة الاخيرة في المناقشة تتعلق بما سماه البعد السياسي في تأخير تعريب التعليم في تونس . والتجربة التونسية كما رواها صحيحة ، والبعد السياسي فيها صحيح نجد مثيلاً له في المغرب ، وربما في الجزائر ، ولكن مع تفتح على فهم هذا البعد السياسي على حقيقته . فقد كان بعض المدارس التجريبية (الشعبة القارّة في تونس مثلاً) تتخذ « خلايا » تجريبية ايضاً . ويجب ألاّ ننسى التمزق السياسي العربي الذي لا يعرف التاريخ له مثيلاً . فلا تكاد توجد دولة عربية من دول الوطن العربي لم يسبق لها أن قطعت علاقاتها السياسية والثقافية ، وحتى علاقة النقل الجوي وتوزيع الكتاب والمجلة والصحيفة ، مع بعض الدول الاخرى . وسواء اتفقنا حول بعض الاتجاهات السياسية او اختلفنا فيجب ـ في ندوة علمية كهذه ـ ان نكون شجعاناً في معرفة الحقيقة وفي قولها ، وفي تحميل المسؤولية كاملة للذين كانوا يجهضون « التجارب » التعريبية في التعليم على الاخص ، سواء من المغرب العربي او من المشرق العربي .

وانا متفق مع المناقش في البعد السياسي لهذا التأخر في التعريب . واضيف اليه أن بعض ضحايا الغزو الفكري تولى مناصب مهمة في حقل التربية والتعليم في بعض سنوات الاستقلال في الاقطار الثلاثة ، وكانوا يعرقلون خطوات التعريب ، لان تصورهم كان قاصراً عن ان « يغامر » في ميدان التعريب . ولست انهج خطة تبريرية في معالجتي لهذا الموضوع كما يبدو من كلامه . فالبعد السياسي كان ثالث الاسباب التي سقتها عندما تحدثت في بحثي عن مرحلة الحيرة والتردد . ولكن البعد السياسي لا ينفي مطلقاً البعد الاقتصادي والتقني ، وبُعد الاقبال على التعليم واضطرار المسؤولين الى تجاوز الطاقة الاستيعابية للمعاهد التعليمية ، والى الاستعانة بالاطر الأقرب والاكثر ، والمكونين تكويناً بيداغوجياً، لا للتدريس في المدارس فحسب ، بل لتكوين المدرسين والاساتذة المغربيين ايضاً.

وأنا اخيراً متفق كامل الاتفاق على التحليل الذي اجاب به المعقب عن السؤال الذي

وضعه : «هل وجود لغة ثانية كاللغة البربرية يطرح بالفعل قضية حقيقية علمية يمكن أن تؤدي الى تصدع الكيان الاجتماعي للمجموعة البشرية المتواجدة في المغرب العربي او هو قضية وهمية فقط؟» ، وقد حللت الاجابة عن هذا السؤال في البحث . واضيف ان تجربة المغرب العربي ليست بنت اليوم . فمجتمعنا المغربي الذي تتعايش فيه اللغة العربية مع اللهجات البربرية الكثيرة حافظ على وحدته دون اي عقدة منذ الفتح الاسلامي . واكدت الثقافة (في المغرب العربي) بكل ابعادها العلمية والفكرية والفلسفية والفنية واللغوية (علوم اللغة) انها قابلة للتعايش . وما تزال الامثلة الواضحة في كبار المثقفين والعلماء والشعراء والفنانين الذين يتكلمون في المنزل - مثلاً - لهجة من اللهجات البربرية ويؤلفون ويدرِّسون ويكتبون شعرهم ومحاضراتهم وروایاتهم وقصصهم بالعربية .

واحب أن اشكر د. جعيط على اضافاته واقول له ان موضوع البحث لم يكن يتسع للحديث عن معلومات متجاوزة كتحليل ماهية الاستعمار والتعريف به ، وكتحليل الاطروحة الاستعمارية المرتكزة على الظهور بمظهر الرسالة التحضيرية التثقيفية . كما احب أن اؤكد له ، كما اكدت لزميله انني اعتبر من الاخطاء الشائعة القول بأن العنصر التثقيفي في الاستعمار الفرنسي يبرز اكثر منه في الاستعمار الانكليزي مثلاً ، والا فلنستفت الارقام . فكم طالباً تخرج من الجامعات في عهد الاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر وتونس والمغرب ؟ بل كم تلميذاً وكم قسماً مدرسياً ابتدائياً كان على عهد الاستعمار الفرنسي ؟ اننا لو استفتينا الارقام لاتضح زيف هذه الدعوى التي كان يبشر بها بعض التبريريين في العهد الاستعماري ورسخت في عقولنا كمسلمة لا تحتاج الى دليل .

ولا يفوتني في هذا التعليق ان أشيد بالاضافات القيّمة التي ابداها كل من د. مصطفى الفيلالي ود. احمد العايد ، فقد وفرا لهذه المناقشة معلومات عن محاولة تهميش معاقل العربية ، وعن النضال الذي تخوضه اقطار المغرب العربي لتعريب التعليم . واضيف ان هذا النضال يتزامن مع نضال آخر لتعريب الاقتصاد والحياة العامة . ورغم العراقيل التي تقوم في وجه هذا التعريب ، والتي تهم مصالح اجنبية ووطنية ، ورغم رواسب العهد البائد في العقلية عند بعض الذين يعتبرون العربية قاصرة عن مسايرة التطور العلمي والاقتصادي ، ورغم القصور عند بعض الذين يسهل عليهم التعامل مع اللغة الاجنبية كلما تعلق الامر بالعلم او الاقتصاد ، فإن مخطط التعريب يسير وفق تخطيط محكم في الاقطار المغربية ، وان لم يتفق عليه في معاهدات او اتفاقات دولية . ولكن كل قطر منها يستفيد من تجارب القطر الآخر عند تبادل التجارب والوثائق بين المسؤولين . واحب ان اؤكد ان العملية ليست من السهولة بحيث تتم في جيل او جيلين . يعرف ذلك كل الذين يدركون الوضعية التي تركها الاستعمار في اقطار المغرب العربي ، وهي وضعية معقدة . غير اننا نحن الذين نشهد هذا التطور عن قرب ، ندرك ان المغرب العربي سيصل لتحقيق التعريب الكامل ، لان الجهود التي تبذل الآن تستمدّ تصميمها من نضال الشعوب في سبيل التحرير ، والتخلص من رواسب الماضي جزء من هذا التعريب .

الفصل السادس

تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي

صبحي الصالح

مقدمـــة

قبل أن نتصدى لتقويم تجربة التعريب في المشرق العربي ، لا بد لنا من القاء نظرة على هذا التعريب لعلنا نبرز الدوافع الحقيقية الى الاهتمام به ، ولعلنا نكفّ عن الاعتقاد بأن ايجاد المصطلحات الفنية « التقنية » هو كل ما نتوخاه من عملياته . والى هذا تنبّه المؤتمر الرابع للتعريب الذي انعقد في طنجة (نيسان / ابريل ١٩٨١) إذ أقرّ في الفقرة الرابعة من توصياته « أنّ التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية ولا زلفى لها ، ولكنه كذلك استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعليم الانسان بلغته أقوى مردوداً وأبعد أثراً ، وأنه أحفل بالنتائج الخيّرة من الوجهتين الكمية والذاتية » . وذلك ما تبنّيناه في ندوة طرابلس بالجماهيرية الليبية (٢٥ كانون الثاني / يناير ـ ٢ شباط / فبراير سنة ١٩٧٥) حين كتبنا في بحثنا عن العربية والتعريب : « إن عملية التعريب ليست لعبة لفظية ، ولا زخرفة جمالية ، ولا انفعالات عاطفية ، ولا همسات شعرية . . . إنها على العكس من ذلك عملية علمية منهجية ، بل هي إنسانية شاملة تتخطّى الألوان المحلية والاقليمية وحتى القومية ، لأن أبرز ما فيها وأصله وأخلده الالوان الحضارية العالمية التي تؤمن بأن العلم لا أرض له ، ولا وطن له، وأن الانسان أخو الانسان في كل زمان ومكان » .

ولو تقصّينا المراحل التي تعاقبت على أساليب القدامى في التعريب ، للاحظنا أن أسلافنا في منطلقاتهم الاولى وجّهوا عنايتهم الى ترجمة ما احتاجوا اليه بمنطوقه الحرفي ، ولم ينتقلوا الى طبعه بميسم العربية ، وانزاله على صيغها وأوزانها ، الا في أطوار لاحقة تواصلت فيها الثقافات ، وتفاعلت خلالها الحضارات ، وتخطّت على أثرها لغتنا العلمية والحضارية أشكال الترجمة البدائية ، لتنصهر انصهاراً كاملاً في جوهر الشخصية العربية ، وتعبّر عن أصالتها تعبيراً رصيناً لا مكان فيه للانفعالات الذاتية والقومية . ولقد أثبتوا بصنيعهم هذا أن اللغة ، كل

لغة ، ليست اكثر من أداة اتصال بالتجربة الانسانية وأداة تحليل لها[1] ، وأن هذه التجربة نفسها عرضة للتغاير والاختلاف بين مجتمع وآخر، وبين بنية وأخرى[2] ، وأنّ ما ننشده من كل لغة انسانية (ومنها لغتنا العربية الفصحى) هو تحديد رؤ يتنا للحقائق والأشياء ، وللكون والحياة والانسان ، وفاقا لما صرّح به مارتينه في قوله الموجز الواضح « إنما نتوخى من اللغة أن نتمكّن بوساطتها من تحديد رؤ ية كل منا للعالم الذي يحيط به »[3] . وفي هذا المعنى نفسه يقول كاسيرر : « إن الانسان لا يدرك العالم ولا يفكر فيه بوساطة التعبير فقط ، بل توشك رؤ يته للعالم أن تكون محددة قبل التعبير »[4] .

على أن نظرتنا الى اللغة الانسانية على أنها تحديد مستقل لرؤ ية العالم ، لا ينبغي أن تغضّ من قيمة الترجمة بعد أن وضع لها علماء اللغة المعاصرون ضوابط ومقاييس دقيقة . فلعلّ هذه النظرة نفسها هي التي تردّ الترجمة الى حجمها الحقيقي ، واذا هي ممتنعة أو متعذرة ، مهما تك حرفية عند نقل المشاعر والأحاسيس[5] ، بينما تبدو أقرب الى ايراد الدلالة المطلوبة عند نقل مصطلحات العلوم .

أولاً : أصالة العربية في نقل الفكر الانساني واستعدادها لتعريب الألفاظ والدلالات

لا مناص لنا من الاعتراف ، مع ذلك ، بأن بعض اللغات أقدر من بعض على اقتراح المبادلات اللفظيةالمكافئة للمدلول المطلوب ، حين يثبت بالمقارنة « الألسنية » أنها كالعربية غنية بالأبنية والصيغ غناها بالاشتقاق والتوليد . وانّا لنزداد اقتناعاً بصحة هذه المقارنة اذا أجمعنا على أن الكلمة العربية ، بحكم اشتقاقها في أغلب الاحوال من المصدر ، فعّالة أكثر مما هي عليه في سائر اللغات ، « فهي تركزّ النص حول محاور تستقطب كلا منها وتشدّه اليها ، حتى ليبدو وكأنه منظومة من الوظائف « اللامركزية » التي يتباعد عنها ناظمها كلما اقتربت منه »[6] .

ولكي ندرك شدة الارتباط بين أصالة العربية في نقل الفكر الانساني وبين استعدادها الذاتي لتعريب الألفاظ والدلالات ثم تملّكها بوساطة هذا التعريب ، حسبنا ان نلقي

---

(١) انظر : صبحي الصالح ، « العربية والتعريب ،» الآداب ، السنة ٢٣ ، العدد ٢ (شباط / فبراير ١٩٧٥)، ص ٥ .

(٢) Georges Mounin, *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Bibliothèque des idées (Paris: Gallimard, 1963), pp. 58-59.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩ ، القسم الرابع .

(٦) قارن بحث : انطون مقدسي ، « التعريب في دلالته التاريخية ،» الآداب ، السنة ٢٣ ، العدد ٢ (شباط / فبراير ١٩٧٥) ، ص ١٦ .

الاضواء على ما تفتّحت لغتنا لاحتوائه واستيعابه من الفاظ اغريقية استخدمها فلاسفة اليونان لتفسير الكون والحياة والانسان . فقد عرف اسلافنا العرب من العلماء والمفكرين كيف يشقّون الطريق الى خط فكري جديد ، مستقل كلّ الاستقلال عن الخط الاغريقي ، وإن كان في البداية قد انطلق من ذلك الخطّ القديم : ذلك ما نستنتجه باطمئنان من وضعهم كلمة « جوهر » للدلالة على « أوسيا » ، ولفظ « طبيعة » ازاء « نيس » ، و « عقل » مقابل « نوس » ، و « مبدأ » للكلمة الاغريقية « ارخه » على سبيل المثال .

إن هذه القدرة الذاتية على التفتّح والاحتواء والتملّك والاستيعاب هي التي أتاحت للمصطلحات العلمية الرياضية أن تحرز في تصانيف علمائنا تقدماً كبيراً ، حتى مهّدت السبيل لنظريات الفيزياء الرياضية ، ولنظريات المعرفة الديكارتية والكنطية : « فالعرب، كما يرى بعض الباحثين[٧] ، لم يقتصروا على حفظ التراث الاغريقي ونقله سليماً معافى الى اصحابه كما يزعمون ، بل ألّفوا بين الخطين الكبيرين في تاريخ الفكر الانساني ، وهما الخطّ السامي العربي من جهة ، والخط الاغريقي من جهة اخرى . وهذا التأليف هو الذي قامت عليه الثقافة منذ عصر النهضة الى المنعطف الذي يتكوّن اليوم مع الحداثة » . إن عملية التعريب التي عادلت في نظر أسلافنا عملية « التعقيل » Rationalisation وكانت برهاناً على امكان التنسيق، بل على وجوب التنسيق بين اللفظ والرمز ، وبين الرمز والأصل ، وبين الأصل والعقل ، وبين المبدل منه والبديل ، هي التي ينبغي أن تقنعنا اليوم بأن أمارة وجودنا ووجود لغتنا لا ترتسم في حياتنا العملية ارتساماً سليماً صافياً الا إذا « حدّثنا » أساليبنا في تصوراتنا للحقائق والأشياء « تحديثاً » يبرز شخصيّتنا العربية التي لم تمت ولن تموت !

في ضوء هذه الملحوظات النظرية ، شبه الفلسفية ، تحوّلت في المشرق العربي جهود الأفراد والجماعات والمؤسسات الى الأسلوب التطبيقي العملي ، متدرّجة تدرّجاً طبيعياً من الجزئيات الى الكليات ، ومن الأفراد الى الجماعات ، ومن النزعة الاقليمية الى الاتجاه القومي ، والتقت هذه الجهود كلها على تقويم الاعوجاج ، وتذليل الصعاب التي طفقت تعترض منهجية التعريب .

ثانياً : تجربة التعريب في المشرق العربي

ومما لا ريب فيه أن تجربة التعريب تلوّنت في المشرق العربي بلون الظروف التي مرّ بها كل قطر من أقطار هذا المشرق . الا أن الوصف المشترك بين تلك الاقطار كلها أن التعريب بدأ جزئياً محلياً في كل منها على حدة ، وأنه على جزئيّته اصطبغ بالصبغة الادبية قبل العلمية ، حين تسابق الأفراد الى نقل الروايات والمسرحيات والقصائد الغربية (فرنسية وانكليزية) الى اللغة العربية . وكان هذا أول الأمر بديهياً بقدر ما كان مفيداً ، لأن التعريب لن يكتسب معناه

---

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٦ . وانظر استطراداً ما نقله المقدسي هنا من آراء هيدجر في قضايا التفتّح الذاتي والاحتواء .

الحضاري الشامل الا بترجمة الروائع الأدبية والفنية ، فبمثلها تزداد لغتنا عذوبة وسلاسة ، وتتخلّص رويداً رويداً من « التقوقع » في القوالب القديمة الجامدة « المحنّطة » .

هذه الجهود الفردية المحلية ، كانت خلال القرن التاسع عشر رداً على محاولات « التتريك » التي فرضت التركية لغة رسمية للتربية والتعليم وتكوين الاجيال العربية في تلك الحقبة من الزمان . وإنما بدأ « التعريب » يواجه « التغريب » في الشؤون العلمية عندما أنشأ محمد علي يدعو الى تعليم ما يمكن تعليمه بالعربية في مدرسة الطب في مصر (١٨٢٦ - ١٨٨٧م) . ثم تفتّح الوعي العلمي العربي في مطلع القرن العشرين باجبارية التعليم الثانوي في مصر ، والشروع في تعريب كلية الطب في سورية منذ ١٩١٩ ، والاتجاه الى تأسيس المجامع العلمية التي كان أولها مجمع دمشق سنة ١٩١٩ ، وتبعه مجمع القاهرة سنة ١٩٣٢ .

١ - التعريب والمؤسسات الرسمية

ومن يتتبّع مراحل التعريب انطلاقاً من المؤسسات الرسمية ، لا بد له من الاشادة بالقائمين على مجمع دمشق ، وفي طليعتهم رئيسه الامير مصطفى الشهابي الذي كان أول من وضع القضية في اطارها الواسع ، اذ أرّخ لكل المحاولات العربية ، الفردية والرسمية ، من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ ملاحظاً « أنّ الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح في البلاد العربية شعوراً عاماً »[٨] . والحاح الشهابي على عبارة « الشعور العام » يميط اللثام عن رغبته الواضحة المبكرة في التحوّل من « اعتباطية » التوحيد الاصطلاحي (كيفما يتهيأ ذلك التوحيد) الى « موضوعية » وحدتنا الثقافية التي هي همنا الأول والأخير . من هنا جهر رئيس مجمع دمشق بشيء من النقد لأساتذة الطب الذين ظلوا يشرحون العمليات الطبية باللغة الأجنبية أو يرتجلون شرحها بالعامية ، حاصرين استعمالهم للفصحى بتقديم الدروس الجاهزة ، كأنهم في ذلك الحين لمّا يدركوا ما في توحيد الأداة العلمية الثقافية من أهمية بالغة .

وقد نلتمس لأساتذة الطب في دمشق بعض العذر في صنيعهم ، حين نذكر أن جمهرة الطلاب في تلك الايام كانوا أكثر استيعاباً للدروس الطبية التي تشرح لهم باللغة الأجنبية ، لأن الفرنسيين استخدموا أفضل الاساليب لاغراء الناس بتعلّم لغتهم ، بينما ظل المعلمون العرب يستخدمون في تدريس العربية أشد الطرق رداءة وأكثرها سقماً وعقماً . ولم تكن الحال في مصر أفضل مما كانت عليه في دمشق ، فعند المقارنة أو المفاضلة بين الانكليزية والعربية في تلقي دروس الطب ونحوها ، اختار الطلاب اللغة الاجنبية وفضلوها على لغتهم ، مذ رأوا أترابهم في المدارس الثانوية كارهين العربية ، « كأنهم أرغموا على تعلّمها ارغاماً » ، كما عبّر عن ذلك علي الجارم فيما بعد في المؤتمر العربي الأول سنة ١٩٤٦ .

(٨) انظر في هذا الصدد : محمد رشاد الحمزاوي ، « توحيد المصطلحات او وحدة الثقافة ، » الآداب ، السنة ٢٣ ، العدد ٢ (شباط / فبراير ١٩٧٥) ، ص ١٨ .

على أن تأسيس المجامع اللغوية والعلمية قد ساعد ، ابتداء بمجمع دمشق ، على تعزيز حركة التعريب واغنائها بالدربة والمران والتجربة ، ففي مقر المجمع العلمي بدمشق ، في المدرسة العادلية الكبرى ، ألقيت سلسلة طويلة من المحاضرات بعثت في سورية والبلاد العربية المجاورة الوعي الثقافي ، وغذّت الشعور العام بوجوب التوحيد الثقافي . وكان لضمّ دار الكتب الظاهرية الى المجمع أكبر الأثر في التعرّف الى عيون تراثنا العربي . وطبع المجمع عشرات الكتب من هذا التراث ، ونشر في مجلته مئات الأبحاث ، وعني عناية خاصة بتصحيح عثرات اللسان وعثرات الأقلام ، وما برح يوالي عنايته بتهذيب اللغة العربية وتوسيع نطاق نفوذها في جميع الميادين . وقيام مجمع دمشق أغرى المسؤولين في الاردن ولبنان بانشاء مجمعين قطريين مماثلين . واذا لم تكتب لهذين حياة طويلة لأسباب لا محل هنا لذكرها ، فإن الاردن أحيا مشروع مجمعه من جديد (في تموز / يوليو سنة ١٩٧٦) باسم « مجمع اللغة العربية الأردني » كما سنرى، بينما غضّ النظر في لبنان عن تأسيس مجمع قطري خاص ، وعوّض عن ذلك باستقطاب أهل الفكر واللغة اللبنانيين وتسمية عدد منهم أعضاء مراسلين في مجمع دمشق بالقطر الشقيق .

وتقويم تجربة التعريب عن طريق المجامع اللغوية والعلمية يملي علينا أن نشيد اشادة شديدة الخصوصية بمجمع اللغة العربية في القاهرة الذي قدّم منذ تأسيسه سنة ١٩٣٢ وما يفتأ يقدّم أجلّ الخدمات التي وثبت بحركة التعريب أوسع الوثبات . لقد سعى مجمع القاهرة منذ تأسيسه الى المحافظة على سلامة اللغة العربية ، لتكون وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وانصبّت قراراته العلمية وخططه العملية على وضع منهجية التعريب في اطارها الصحيح . واذا طاب لبعضهم رميه بالعجز والكسل والقصور ، فلا ريب في أنهم تجنّوا عليه زوراً وبهتانا ، اذ لا قبل لنا باحصاء أعماله العظيمة التي تتّسع أطرها يوماً بعد يوم . فكم من ظاهرة لغوية تناولها بالدراسة والتمحيص ، وكم من دلالة بسطها ووسّعها ، وكم من مصطلح علمي او حضاري اقترحه وعمّمه ، وكم من معجم وضعه وحرّره ! حسبنا أن نتابع في مجلته ما نشر من بحوث ودراسات ، وفي مجموعات محاضراته ما تمّ اقراره من ألوف المصطلحات ، وفي اقتراحات لجانه ما دعت اليه من قياسية التضمين ، والأخذ بمبدأ القياس في الاشتقاق ، وتسويغ الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وتيسير قواعد النحو والصرف ، وتيسير الكتابة ، واختصار صور الحروف في صندوق الطباعة ، وتعميم اللغة العصرية في مراكز التعليم ووسائل الاعلام .

وفي العراق أيضاً أسس بعد المجمعين السابقين « المجمع العلمي العراقي » الذي لم يحصر أهدافه بالمحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون ، وفي احياء التراث العربي الاسلامي ، بل عني بكل من اللغة الكردية واللغة السريانية في الوقت نفسه ، كما عني بتوثيق الصلات بالمجامع العلمية والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها . وكانت هذه مزية للعراق ، أعطت للتعريب أبعاداً حضارية ساعدت على تعميق التفاعل بين الأجناس التي تساكن العرب منذ مرحلة قريبة أو بعيدة ، كما

ساعدت على ربط التعريب بالنتاج الفكري العالمي الذي لا يمكن فصله عن الطابع القومي الأصيل.

أما المجمع الأردني الذي سبقت الاشارة الى منطلقه الأول منذ عام ١٩٥٧ فقد تم تأسيسه في تموز / يوليو سنة ١٩٧٦ باسم « مجمع اللغة العربية الاردني » . وقد جعل في رأس أهدافه اشاعة الوعي اللغوي ، والمحافظة على سلامة اللغة العربية ، وتعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها بالتعاون مع الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، وترجمة الروائع العالمية ، ونشر الكتب المترجمة الى العربية ومنها ، وعقد المؤتمرات اللغوية ، واقامة المواسم والندوات الثقافية .

ومن الواضح أنّ هذه المجامع العربية ، قديمها وحديثها ، ولغويّها وعلميّها ، قد أسهمت اسهاماً ملحوظاً في دفع عمليات التعريب الى الامام ، ما دامت جميعاً صبّت عنايتها على استعادة الملامح الاصيلة للشخصية العربية ، وتنافست في المحافظة على سلامة اللسان العربي ، وحرصت على تبادل التوصيات والمقترحات حرصها على توحيد الثقافة العربية من خلال السعي الحثيث لتوحيد المصطلحات . بيد أنها كانت تصبو الى تحقيق هدف علمي حضاري ضخم توهّم كثيرون صعوبة الوصول اليه ، وهو ضمها برمتها في اتحاد يشملها ويفسح المجال لاستيعاب كل مجمع عربي يؤسس في المستقبل على مثالها . ومن دواعي السرور أن المساعي المبذولة في هذا الصدد أثمرت في ٣٠ نيسان / ابريل ١٩٧٠ يوم تأسس في القاهرة **اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذي تألف يومذاك من المجامع القائمة في كل من دمشق والقاهرة وبغداد** . وانعقدت عدة دورات لهذا الاتحاد الذي نتوقع مع الأيام أن ينتظم عن طريقة كل اتصال مجد بين تلك المجامع ، وكل تنسيق مفيد لجهودها ، وكل ضمان اكيد لتوحيد مصطلحاتها .

وقبل قيام هذا الاتحاد الذي هيمن عليه الطابع اللغوي الى جانب الدراسات الحضارية والأدبية والتاريخية ، كان قد تمّ في القاهرة سنة ١٩٥٣ تأسيس اتحاد علمي عربي ما لبث أن ضم بعد سنين قليلة عدداً كبيراً من الجمعيات العلمية وانتظمت فيه شعب خاصة بكل قطر عربي ، وكانت في الشعبة المصرية منه وحدها على سبيل المثال عشرون هيئة علمية سنة ١٩٥٥ ، وتنوّعت في تلك الهيئات فروع المعرفة والاختصاص في الرياضيات ، والطبيعيات ، والطب ، والفلك ، وعلم الحيوان والحشرات ، والجيولوجيا ، والنبات . وكان في وضع المصطلحات العربية لطائفة كبيرة من ألفاظ تلك العلوم أثر كبير في تحريك عمليات التعريب ، وفي تنمية الانتاج العلمي في بلاد العرب ، وفي اتقان الترجمة من العربية واليها ، ولا سيما حين ولد مكتب تنسيق التعريب في الرباط في نيسان / ابريل عام ١٩٦١ باشراف جامعة الدول العربية (بوساطة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) .

واستطرادنا بذكر مكتب التنسيق في الرباط لم يمرّ بخلدنا الا لأنه منبثق من مؤتمر التعريب الأول الذي كانت مؤتمراته وما تزال تعقد باشراف جامعة الدول العربية . ومن هنا يتجلى ارتباطه من بعض الوجوه بالمشرق العربي ، والا لوجب علينا أن نستطرد فنتحدث عن أكاديمية

المملكة المغربية التي يحسن أن يفيها حقّها من كلّف تقويم تجربة التعليم في المغرب العربي . ومن نافلة القول انّ قيام أكثر من خمسين جامعة عربية حديثة ضمّها منذ سنين قليلة اتحاد نشيط دائم الحركة ، وانشاء أقسام فنية للغة العربية وآدابها وحضارتها في معظم جامعات العالم ، والتبادل الثقافي بين تلك الجامعات وأقسامها الفنية ، ولا سيما في شؤون الدراسات العليا ، وتكاثر دور النشر في بلدان المشرق العربي ، وخصوصاً في لبنان ومصر ، هذا من العوامل الفعّالة التي رفدت تجربة التعريب بثراء منقطع النظير .

٢ ـ التعريب وجهود الافراد

ولو انتقلنا مرة اخرى من جهود المؤسسات الى جهود الأفراد ، ولاسيما في وضع القواميس والمعجمات (أحادية وثنائية) ، لاسترعى انتباهنا أن التأليف المعجمي الذي أفاد من جميع الظروف المواتية ، ومن جميع المراحل التي مرّت بها المؤسسات ، ومن النهضة الثقافية العارمة في المشرق العربي ، قطع في هذا المضمار شوطاً بعيداً ، حتى كدنا نقتنع بأن خطواتنا ماضية رويداً رويداً بثبات نحو تأليف المعجم التاريخي العربي المنشود، الذي لا بد أن نبذل لاستكماله الجهود المضنية من الأفراد والمؤسسات على السواء ، فعلى مثاله بدأ التفكير بتأليف المعجمات الثنائية المتطوّرة باطراد . ومن غير أن نخوض في عناوين بعض المعجمات وأسماء أصحابها ، ومن غير أن نسرف أيضاً في المديح والتقريظ ، ومن غير أن نتوهم أن المعجم المنشود برز الى الوجود ، حسبنا أن نشهد ببعض المحاولات الناجحة بوجه عام ، وحسبنا أننا في بحث نقدي مسهب لواحدة منها أكدنا بالبرهان أنها « ثورة منهجية ، وثروة لغوية »[٩] .

ان مثل هذه الثورة المنهجية هي التي تعنينا ، ولا ضير علينا حين نلتمسها ونحرص عليها اذا وقعنا من أجلها في بعض الهفوات والأخطاء ، فتلك ضريبة لا بد أن نكون مستعدين لأدائها ، حتى نجد دائماً الفرصة لاستدراك الاخطاء . لذلك كنا وما نزال ـ في تأليف المعجمات الثنائية المشتملة على الألفاظ العلمية الجارية ـ مع الذين افترضوا في المصطلح العلمي الوارد في هذه القواميس أن يكون لفظاً لا عبارة ، وأن يستخرج هذا اللفظ من مفردات اللغة وإن حكم على بعضها بأنه مهجور او ممات ، ما دام في وسع الباحثين بسط دلالته الأصلية . وربما كان ذا جدوى استشهادنا الآن ببعض الأمثلة التي دعا بها بعض المعاصرين الى التزام منهجية في صوغ المصطلحات الطبية[١٠] ، كمضاهاة الافراد اللفظي بمثله ، حين نترجم Aphasie بالصّمات ،

---

(٩) نشير هنا الى المنهل الذي اشترك في تأليفه كل من الدكتور سهيل ادريس والدكتور جبور عبد النور ، وهو معجم ثنائي « فرنسي ـ عربي » . وقد نشرنا رأينا فيه وفي صنوه **المورد** (الانكليزي ـ العربي ، تأليف الاستاذ منير البعلبكي) في كل من الآداب و ملحق النهار الأدبي (بيروت) .

(١٠) كما اشار الى ذلك الاستاذ احمد عمار في : احمد عمار ، « دعوة الى التزام خطة منهجية في صوغ المصطلحات الطبية ،» في : مجمع اللغة العربية(القاهرة) ، **مؤتمر مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، مجموعة البحوث والمحاضرات** (القاهرة : مطبعة مصر ، [د.ت.])، ص ٤٥ ـ ٥٦ .

بدلاً من العبارات المركّبة التالية : تعذّر النطق ، او احتباس الكلام ، او امتناع النطق ، وكمراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات ، حين نتحوّل بجذر Trophy الى الألفاظ العربية المقترحة لكل من الكلمات الانكليزية التالية :

Trophic Nerve, Trophic disturbance, Dystrophy, Atrophy, Hypertrophy,

وإذا هي في العربية على التوالي : عصب الاغتذاء ، حثل ، سفل ، ضمور ، ضخم[١١] .

أما أحاديو اللغات ، فيما ألّفوه من معجمات ثنائية أو كتبوه من آثار أدبية ، فنأخذ على جمهرة منهم معالجتهم قضية المصطلحات عن طريق الترجمة المحضة كأنها الوسيلة المثلى لتوحيد الثقافة ، تبنّياً منهم للأصول العربية « المحنطة » مهما تك قاصرة عن أداء المعنى المطلوب ، واستناداً منهم الى سلفية لغوية أشدّ خطراً على المصطلحات من مترادفاتها الحديثة المتكاثرة . ذلك بأن موقفنا من تحديد المراد بالتقدم العلمي هو السرّ الكامن وراء ما نشكو منه من اضطراب مصطلحاتنا . لذلك نعترف بأننا لسنا دائماً مع النزعة الموسوعية التي تأبى أن تنظر الى الحديث إلاّ من خلال القديم ، كما أننا لا نفترض أن نتملق النزعة الوطنية أو القومية حين نرى واحدة منهما راضية بالغموض على حساب القديم والحديث . وإنما الذي نبحث عنه ولا نجده غالباً هو النزعة الانشائية « الصّنعية » المبدعة التي تؤمن بأن انتشار اللغة (كل لغة) رهن بمدى اسهامها في التسارع العلمي والتقدم الحضاري ، ومشاركتها في تملّك معنى اللفظ قبل اقتراح صياغته ، مهما تكن تلك الصياغة . وذلك يعني أن كل تخلّف توصم به لغتنا مثلاً ينحصر في الباحثين العرب لا في اللغة العربية[١٢] ، ولاسيما اذا أخذت في حسباننا الطرائق التي اقترحناها لاشتقاق الألفاظ عند الحاجة اليها[١٣] .

خاتمــة

إننا على يقين من أن تجربة التعريب في المشرق العربي ـ مهما تكن قد تعثرت ، ومهما تكن قد ارتكبت من الأخطاء ، ووجّه اليها بسبب أخطائها كثير او قليل من النقد المر ـ ماضية قدماً بنجاح يدعو الى التفاؤل ، لأن نتائجها أحياناً جاوزت ما كان يتوقع منها ، خصوصاً بعد أن احتلت لغتنا مركز الصدارة في المحافل الدولية ، لا في منظمة اليونسكو وحدها ، بل في مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة أيضاً ، سواء أكانت العوامل التي أدت الى هذه النتائج حضارية خالصة ، أم سياسية واقتصادية في الوقت نفسه .

إن كثيراً مما كنا ندعو اليه بحرارة لانجاح تجربة التعريب منذ سنين معدودة ، مع شعورنا

(١١) الحمزاوي ، « توحيد المصطلحات او وحدة الثقافة ، » ص ١٩ .

(١٢) انظر : الصالح ، « العربية والتعريب ، » ص ٦ .

(١٣) انظر صور الاشتقاق في : « صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ط٩ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١) .

بصعوبة تحقيقه ، قد اصبح اليوم حقيقة واقعة ، بصورة كلية شاملة تارة ، وبصورة بطيئة جزئية آخذة بالتكامل تارة اخرى . وذلك واضح جداً في شروعنا بربط قضايا التعريب بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والادارية في عدد من الأقطار العربية . وذلك واضح ايضاً في تلك المراجع النقدية المفهرسة التي بدأنا نعرّف بوساطتها بكثير من انتاجنا الفكري العربي في أهم الاختصاصات وأشدها تنوعاً . وهل لباحث أن يجحد نتائج المؤتمرات المتوالية في البلدان المسؤولة عن اختصاصات معينة ، أو ينكر ثمرات اللجان المختصة التي بدأت تصف تراثنا القديم والحديث وتبرز قيمتها العلمية ؟

أما قضايا الاعلام (من صحافة ، واذاعة ، وتلفزة ، ومسرح وسينما وأفلام فيديو) من ذا الذي ينسى انجازاتها الضخمة التي بدأنا نتحسس آثارها وهي تؤتي كل لحظة ثمارها ؟ إن اهم ما حققته لنا وسائل الاعلام ، أو حققناه لأنفسنا عن طريقها ، يحول لغتنا عن الاساليب البالية « المحنّطة » الى ما تصح تسميته « بالعربية المعاصرة » . وأنه لانجاز عظيم جداً لا يغضّ من قيمته الا متحذلق او متفيهق يعيش في ابراج من العاج بناها له خيال سقيم ، خصوصاً بعد ما طوّعنا لغتنا ولقحناها بلقاح عصري ، واستخدمنا لتيسيرها الوسائل السمعية البصرية لتعميم الثقافة العربية الواحدة او السائرة في طريق التوحّد والانصهار ، او لتصوير الوان من « الفولكلور المحلي » ، او نماذج وأنماط جديدة من ادب الأطفال والفتيان ، او لوحات فنية تعبيرية لبعض ابطالنا القدامى والمحدثين ، او لتسجيل « برامج » اذاعية او اشرطة « فيديو » متلفزة تستثير فينا فكرة الانتماء الى الوطن والولاء للامة التي نعتز بأننا من أبنائها .

لقد بات من حقنا ، بل من حق لغتنا علينا ، ان نشيد ببداية انطلاقنا الى التحسّس الفعلي بمفهوم التعريب الذي وعينا به ذاتنا حين اعترفنا بأن العربية في جوهرها ووجودها الواقعي هي روح مجتمعنا الحقيقية ، بل هي « نحن » بكل ملامحنا وسماتنا ، وبكل صدقنا وأصالتنا . ونحن ، بعد أن وعينا ذاتنا ، لن ننام على هذه الانجازات مهما تتسارع وتتكاثر ، فما نزال في أول الطريق ، ولكنه أمامنا طريق معبّد سوف نزيل منه العقبات تلو العقبات ، متطلعين الى نهاية الشوط بعزيمة وثبات ، مطمئنين الى المستقبل ، غير باكين على ما فات .

تعقيب ١

مصطفى الفيلالي

إن التعقيب على بحث د. صبحي الصالح سهل هين من جانب اول ، بما توخاه صاحب البحث من ايجاز في شمول ودقة وعمق ، وبما سلكه من الصراحة بالقياس الى القضية المطروحة وهو عمل دقيق ، من جانب آخر بما جمعه البحث من استعراض الحقائق الموضوعية التاريخية والاستنتاجات النظرية المعمقة للبحث ، الداعية الى النقاش والاثراء .

عقد الفصل الاول لاثبات قدرة اللغة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية وما تتصف به من الكفاية الذاتية الباطنة لحل المشاكل اللغوية المستجدة، بما تملكه من طواعية صرفية وقوالب مرنة ، فتمكن علماء العرب من بلوغ اعلى مراتب التقدم العلمي في عصرهم ، ومن إحكام السيطرة على التراث العلمي الاغريقي ، وتطويعه وتعريبه وتطوير مضامينه ، وبذلك اقترنت عملية التعريب بعملية التعقيل (او الترشيد) للمعارف الانسانية . ويستنتج الباحث من ذلك ، بالمقارنة مع تجربة اسلافنا في مجال التعريب ، ما ينبغي أن تتصف به عملية التعريب في عصرنا من وجوب الاقتران بظاهرة « التحديث » في تصوراتنا للحقائق والاشياء .

وعقد الفصل الثاني من البحث لاستعراض التعريب في الشرق ذاكراً انها قامت على المؤسسات الرسمية والمجهودات الفردية معاً . مستعرضاً بصورة موجزة ما كان للمجامع العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد والاردن من اهداف ، وما انجزته من اعمال علمية لدفع عملية التعريب الى الامام ، والمحافظة على سلامة اللسان ، وتمكين العربية من استعادة قدرتها على اداء المفاهيم العلمية . وقد مهد الدارس لهذا الفصل الاساسي في بحثه بذكر الخصائص الكبرى للتعريب في الشرق ، مبيناً أنه كان عملاً جزئياً محلياً حصل في كل قطر عربي على حدة ، وتناول الاغراض الادبية الانسانية قبل الاغراض العلمية . وذلك ما حصل بالفعل في بلاد المغرب ، اذ قامت مساعي التعريب على السياسات القطرية دون تناسق ولا تعاون ، وبدأت بالاغراض الادبية ، ولم تعالج المجالات العلمية الا في مراحل لاحقة . كما اردف بياناته التاريخية في هذا الفصل بتعليقات

نظرية حول الحافز الاساسي الضامن لنجاح عملية التعريب ، وهو يراه كامناً في موقف العرب من التقدم العلمي . ويذكر في هذا المقام صراحة انه يفضل النزعة الانشائية على النزعة السلفية « التي تأبى أن تنظر الى الحديث الا من خلال القديم » ويؤمن بأن انتشار اللغة انما يكون على قدر اسهامها في النهضة العلمية .

وفي اعتقادي ان هذا التمسك بالعلم وربط التقدم اللغوي ونهضة التعريب بالنهضة العلمية ، وقلة التعويل على جدلية التلازم بين ما هو حديث وما هو سلفي ، قد يشكل حجر الزاوية في الدراسة ، وقد يكون المجال الاول لمناقشتها . ولا نريد أن نثير في هذا التعقيب قضية اصبحت اليوم مشهورة باسم قضية الاصالة والتفتح فلم يكن من شأن هذا البحث أن يتعرض لها ، الا بصورة عرضية ، كما فعل صاحبه . وقد ظهرت في ابحاث اخرى معروضة على هذه الندوة اهمية هذه القضية باعتبارها من الحوافز الكبرى، او العوائق المزمنة ، لانطلاق عملية التعريب ونجاحها . والباحث محق اذ يرى أن تحديد الموقف من « المراد بالتقدم العلمي هو السر الكامن وراء ما نشكو من اضطراب مصطلحاتنا » . واتساءل هل أن التحديث مقصور في نظره على المكاسب العلمية دون مجالات السلوك والممارسة التي تصطبغ حياتنا العصرية بها ، ام أن التحديث ينطلق من التقدم العلمي ويرتبط به ولكنه يفيض منه على مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية ومظاهر السلوك الفردي والجماعي ؟

اني اخشى أن يكون التحديث في نظر صاحب البحث مقصوراً على ميدان المعرفة العلمية فنكون من امرنا بازاء نظرة مثالية لا تأخذ في الواقع الا جوانبه المفضلة ، ولا ترى في المظاهر السلبية للتحديث التي نشكو منها في عامة المجتمعات العربية سوى جملة الرواسب ، او العثرات التاريخية التي لا مناص من دفع ثمنها على درب التقدم .

تبقى قضية اخرى مطروحة للتساؤ ل في هذا الباب من زاوية الجدوى من عملية التعريب . فقد ذهبت ادبيات التنمية الاقتصادية في العقدين الاخيرين الى اهمية التجذير الملتزم في البيئة الثقافية القومية للسياسات الانمائية تجذيراً يحفظها من التقليد ، ويضمن لها الاستمرار وطول النفس ، ويصل بين الحاضر والماضي وصل التزام وتحفز . وغني عن القول ان ذلك التجذير الثقافي عملية حضارية تتوقف في ربوعنا العربية على نهضة اللغة العربية وما يكون لنا من تصور بخصوص هذه النهضة . فقد يحق أن نقول ان التحديث الذي لا يلتزم بالماضي ـ مهما ثقلت رواسبه ـ هو تحديث فرار ، وفيه تدعيم للتبعية الحضارية ، ومحو لمعالم الذات والوجود المميز . واعتقد أنه يحق لهذه الندوة أن تناقش هذه القضية من قضايا التعريب فيما ينبغي أن يكون لنهضة اللغة العربية من سند فكري ومراجع حضارية . . ولعل بعض الابحاث المقدمة في هذه المداولات العلمية يعود بنا الى صميم هذه القضية ، ويعيدنا مرة اخرى الى طلب الميزان القسطاس لجدلية التلازم بين التحديث والتأصيل فيما يشمل اوطاننا من تغيرات حضارية .

وحقيق بنا الا نأخذ هذه التغيرات من منظار واحد مقصور على التاريخ ونزهد فيما نعيشه من واقع سيار . ولا مناص من أن اعترف بأني رأيت النظرة التاريخية قد طغت على البحث الذي نحن

بصدده ، ولم يتسع المجال فيها الى ذكر ملامح الواقع الذي انطلقت منه تجارب التعريب ، بما لهذا الواقع من ميادين اجتماعية ـ طبقية ، وسياسية ادارية ، واقتصادية ، وثقافية . وقد اكون في هذا التعقيب متأثراً اكثر مما ينبغي بأوضاع التعريب في بلاد المغرب العربي ، وذلك لأن المفهوم المغربي للتعريب ينطلق من جدلية الشمول والتركيب ، فيسحب على مجالات التعليم على اختلاف مراحله . والحياة العامة بما تزخر به من اشكالات اقتصادية وثقافية ، والادارة والدواوين الرسمية . والتعريب في جميع هذه الواجهات عمل متماسك مترابط في الزمان ، لا يصلح قيامه في احد هذه الميادين ، دون ضمان قيامه في سائر الميادين الاخرى . ولذلك فإن تحليل تجربة التعريب في المشرق العربي ، كما قدمها الباحث تبدو للمغاربة وكأنها مستغنية عن معالجة اوضاع العربية ومصاعبها في مجالات الادارة والدواوين الرسمية ، وفي مراتب التعليم وفي ميادين الحياة العامة والمعاملات الاقتصادية . لان هذه المجالات لم تكن غرضاً للغزو الثقافي الاجنبي ، ولا كانت منزلة العربية فيها مغمورة مستنقصة . فهل كانت الاوضاع ـ ولا تزال ـ على هذا النحو المتحرر في مصر ، والعراق ، والسعودية ، والاردن ، والكويت ، ولبنان ، ودول الخليج ، بما هي غرض له من غزو ثقافي ومن سطوة حضارية للهيئات الاقتصادية ـ التقنية ، كشأن سائر دول العالم الثالث ؟

كنت اود لو أن البحث شمل هذه الجوانب الاجتماعية البارزة في حياتنا العربية . ولو فعل ذلك لاستطعت أن افهم تأويل ما يراه من نجاح التعريب في بلاد المشرق « نجاحاً فوق ما كان مأمولاً » . فالواقع الذي نستفيده من تجارب المغرب العربي ، وبعض البلاد الاخرى ، وهو عجز المجتمعات التابعة عن النهوض بلغتها نهوضاً لا يتصور ان يحصل مع استمرار مظاهر الجمود والاستكانة والتواكل في مختلف معالم الحياة القومية . وكنت اتوقع من الباحث أن ينهج هذه السبل الشمولية في التحليل عندما ربط قضية التعريب بموقفنا من التحديث . واعتقادي أنه قصر التحديث على جانب المعارف العلمية ، دون سائر الجوانب التي يشملها التحديث ، وجوباً موضوعياً بحكم نسيج التبعية الذي يشمل جوانب الحياة العربية المعاصرة .

وعند هذا الحد من التحليل نصل الى نقطة اساسية في هذا التعقيب ، وهو ما ينبغي أن يكون لنا من مفهوم التعريب . ولا اعتقد أن الدارس يقصر اللغة على وظيفة التبليغ ، ويحصرها في المجالات الوظيفية ، بغض النظر عن منزلتها الحضارية . فلا يجوز أن نعتبر التعريب بمنزلة اصلاح اللغة العربية اصلاحاً فنياً تقنياً مقصوراً على فنيات المعاجم ومقاييس الالسنية . ولا جدال في أن ما حصل من ثمرات طيبة ، بفضل الجهود المبذولة في مجامع اللغة وسائر المؤسسات الرسمية ، وبفضل مجهود الافراد من معجميين وباحثين ومؤلفين ، قد حقق هذا الجانب الفني من نجاح التعريب « فوق ما كان مأمولاً » ، وذلك هو تعريب اللغة تعريباً نمطياً ، وشأنه شأن التجارب المخبرية . ويبقى ان الذي يهم الى جانب ذلك هو تعريب المجتمع العربي لتغيير جدلية التلازم بينه وبين لغته . واهم من كل ذلك في نظر العديد من اصحاب الابحاث المقدمة في هذه الندوة هو تعريب الحياة العربية في جميع مجالات المعرفة والممارسة والسلوك ، لتكون السند القويم لنهضة قومية عميقة تعين على تخليص الامة العربية من اوحال التبعية ، وتكون في الوقت نفسه الرباط

المتين لتوثيق عرى الوحدة بين الشعوب العربية على الامد الطويل الباقي .

وأنا واثق من موافقة الباحث على أن العربية انما تأخرت في اوطاننا ، بالمشرق والمغرب معاً ، يوم رضينا بعزل اللغة عن المحتوى الحضاري في خضم الحياة الاجتماعية ، وبتحنيطها في المعاجم ، وبحصرها في المنزلة الوظيفية كأداة تعبير فقط . فعندئذ اصبح من السهل أن نقبل التنظير والاختيار بينها وبين اللغات السيارة الاخرى في مجال الاداء الوظيفي ، وان نرتضي احدى اللغات الاجنبية بديلاً عن لغتنا ، ما دامت لغة السيادة التقنية والتحديث العلمي والهيمنة السياسية . وانما وقعنا في فخ هذه المعادلة الجائرة بما اقترفنا من اثم التنكر لتراثنا الحضاري ، وبما رضينا به من قطع السند بماضينا الفكري ، وبما قصرنا عليه النظر في هذا الماضي وذلك التراث من المظاهر السلبية وعوامل السكون والتحجر . ولا اعتقد أن الدارس قد غابت عنه هذه النظرة الشمولية لجوانب الموضوع ، وهو قد ذكر في عجالته أن التعريب لا يقتصر على ايجاد المصطلحات الفنية وان « ما ننشده من كل لغة هو تحديد رؤ يتنا للحقائق والاشياء وللكون والحياة والانسان » . وقد يسفر النقاش معه عن مزيد من التوضيح لآرائه في هذا الجانب الشمولي التأليفي لقضية التعريب .

وانه ليطيب لي في نهاية هذا التعقيب ان اعبر للباحث عن صدق امتناني لما اتاح لي بحثه من فرصة هذا الحوار الاخوي معه ، واعتذر له سلفاً عما قد يكون جرني اليه سوء الفهم وقصور الاحاطة من اخطاء في تأويل آرائه .

تعقيب ٢

شاكر مصطفى

استاذنا د. صبحي الصالح مقام لا يطال ثقافة واطلاعاً وسداد رأي. والصفحات التي قدمها بين يدي تقويم التعريب في المشرق العربي هي جولة خبير متمكن في افق واسع مديد. ولقد المّ بتجربة التعريب متأنياً تارة ، عجولاً اخرى ، وقدم عدداً من الآراء والخاطرات التي تستحق التقدير ، وإن كان بعضها قابلاً للمناقشة . لقد ذكر في وجيز من اللفظ وسريع من العرض : ان التعريب بدأ جزئياً محلياً ، وانه اصطبغ اولاً بالصبغة الأدبية قبل العلمية ، وأنه كان رداً على محاولات التتريك ، وانه بدأ التعريب في الشؤون العلمية منذ انشأ محمد علي تعليم الطب بالعربية . ثم تفتح الوعي العالمي في مطلع هذا القرن مع كلية الطلب في الشام والاتجاه لانشاء المجامع . ثم اسهب في دور المجامع اللغوية ليعود فيذكر العابر دور الجامعات العربية . وتوقف عند القواميس والمعاجم بوصفها من الجهد الفردي ، وخص بعضها ، عن حق ، بالتنويه . ثم وصل الى الخلاصة ليقدم في لمحات ثلاث اموراً جديدة مهمة هي دور المؤتمرات المتخصصة ، ودور وسائل الاعلام ، وشروعنا في ربط قضايا التعريب بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية .

وأحسب أن رغبة الباحث في الايجاز الشديد والمرور العابر منعته من التوقف عندما ظنه محطات صغيرة ، وكم تمنيت لو وقف عندها واطال الوقوف . وأنا في حاجة الى مثل فكرة الثاقب ونظرته الشمولية للسير المضني في الموضوع لا العبور على سطوحه ومظاهره فقط ، ولربطه بجذوره المكونة وقواه المحركة ، لا الاكتفاء بتقويم مظهره اللغوي فقط ، وبيان السداد فيما قدم من التعبير اللفظي . وما أشك لحظة في أنه يشاركني الرأي في جملة تمنيات ، ضاق به الايجاز عن ايرادها في بحثه القيم . وما اضيف الى علمه علماً ولعلي استمد منه ان اوردها وهو بها العليم العليم . فقد تمنيت مثلاً لو اقصر في المقدمتين العامتين اللتين قدم بهما للبحث حول انسانية اللغة وقدرة العربية على الاستيعاب ، واطال اطال في الخاتمة .

وتمنيت لو وضع التعريب المشرقي في اطاره التاريخي وربطه ، في مراحله الثقافية ، وفي نواحي نجاحه أو فشله ، بعوامله العميقة المشتبكة من اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية . انه ليس ظاهرة منقطعة عن الحياة والناس ولكنه حاجة حيوية عاناها آباؤ نا السابقون . ولا يمكن تقويمه الا ضمن اطرها وعواملها المفسرة . تمنيت لو تتبع المعنى او المعاني التي اخذها التعريب في المشرق ، وكشف أهدافه وتطورات تلك المعاني والاهداف ، ومدى ما حققت حركة التعريب منها ، وايان اخفقت . وتمنيت . . . وتمنيت . . . لا اني لأرجو الباحث أن يسمح لي ما دمت صغت هذه التمنيات باسمه أن ازيد على بحثه بعض الهوامش المتصلة بها ، وهي مجرد اضواء اضافية على الموضوع :

١ ـ ان التعريب المشرقي (وهو مشكل واجهته حركة النهضة العربية منذ مطالعها وحرّكت في الوقت نفسه لمواجهته) قضية قديمة عمرها من عمر النهضة العربية في المشرق ، ولها الآن قرابة القرنين . وقد ظهرت مبكرة لأنها وُضِعت منذ البدء شرطاً من شروط النهضة ، وعمل عليها ايضاً رجالها . ولقد مرت باطوار وعواصف ، ولكنها في الواقع لم تلق اي مقاومة جدية ، فيما عدا السنوات الاخيرة من العهد العثماني ، وسنوات العهد الاستعماري ، وفي الشام فحسب اكثر بكثير مما في مصر . بل على العكس كان الاجماع دوماً وراء التعريب . ولقد اعطاه الارتباط بمعنى التقدم من جهة ، والوطنية القومية من جهة اخرى ، دفعاً كبيراً . كما أن ضعف مقاومته ، سواء من العثمانية او الاستعمار او القوى المحلية من متفرنجة او رجعية ، اعطاه المزيد من الزاد والنشاط والعناد . وكانت قفزته الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية وبعد الاستقلالات .

٢ ـ ان قضية التعريب في المشرق كانت في نوع من التلخيص قضيتين او مشكلين متعانقين ، اولهما تعريب اللغة العربية بمعنى تعليمها للعرب ، وانزالها من ابراج الصيغ المتحجرة الى اسواق الناس ومدارسهم ومخابرهم واعمالهم اليومية ، وادخال المرونة والتبسيط والحركية عليها ، واعادة العلاقة العضوية بين عربي القرن العشرين ولغة التعبير عن حاجاته الجديدة . وبكلمة واحدة الخلاص من الازدواجية اللغوية الشديدة التباين بين طرق التعبير القديمة وبين حاجات التعبير الجديدة، وتكوين لغة تفاهم وتعليم وتعبير حديثة من خلال العربية نفسها . انها عملية تطوير لغوي داخلي تفرضه الحياة دوماً . وثانيهما عصرنة الموروث اللغوي ليتوافق في حضارة العصر المتجددة وتدفق آلائها المادية والفكرية ، وفتح الابواب بين التعبير العربي وبين الثقافات المعاصرة ، والاستغناء عن العون اللغوي الاجنبي في التعبير الحديث من علمي وادبي وفني . وبكلمة واحدة الخلاص من الثنائية اللغوية التي تفرض نفسها في المستويات العملية والعلمية والفكرية على السواء ، وذلك لتأكيد الهوية الثقافية القومية وتنميتها وعصرنتها . وكان المشكلان دوماً متعانقين ، ويسيران معاً فيتعثران او ينجحان بنسب متفاوتة منذ مطالع عصر النهضة في المشرق والى اليوم . والعلاقة الجدلية بين التحديث الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي الذي طلبته النهضة ، ثم مشاريع التنمية والتطور ، هي التي جعلت من التعريب المشكل التعبيري لعملية التحديث .

ومشكل التعريب بالمعنى الاول نستطيع مراقبة تطوره وتقويم هذا التطور من خلال نصوص متتالية للطهطاوي والمويلحي مثلاً ، ثم لبطرس البستاني واليازجي ، ثم للمنفلوطي وشميل ، ثم لجبران والزيات ، ثم لطه حسين . . . ثم . . ثم حتى اليوم . كما نستطيع مراقبة تطوره ايضاً وتقويم هذا التطور في وضع نص صحفي من مطالع هذا القرن مع نص آخر من العشرينات وثالث من الخمسينات ورابع من السبعينات وسادس من صحف هذا اليوم او اذاعاته . فمجرد وضع هذه النصوص بعضها امام بعض يعطي التقويم ابعاده وعمقه ، ويكشف مدى ما اخذ العربي وما اعطى في لغته التعبيرية من الترابط مع حاجاته في التعبير العصري .

ومشكلة التعريب بالمعنى الثاني مرتبطة الارتباط الجذري بدرجة التطور الثقافي (ولا سيما العلمي) في المشرق . وهذا التطور متصل بدوره بتغير طرق الانتاج وتقلبات السياسة والتحول الاجتماعي منذ الحكم العثماني الى العهد الاستعماري الى العهود الاستقلالية . انها مرتبطة بالتغير الفكري ارتباطها بالتغير الطبقي والاقتصادي والتعليمي الذي عرفته المنطقة خلال القرنين الماضيين وبعوامل هذه التغيرات ووسائلها واهدافها. ومشكلة التعريب هنا هي الوجه الآخر ، او الوجه المكمل ، لمدى التخلف العلمي والتكنولوجي في المشرق . فلا تعريب (بمعنى خلق المصطلح العلمي العربي وشيوعه)دون تقدم علمي عربي ، والمصطلح يلحق العلم والاداة ولا يسبقهما ، وتوطّد الشكل التعبيري يتبع توطد القضية التي يحتاج الى التعبير عنها .

مثال شكلي على التطور في هذه المشكلة كلمة العلم نفسها . فقد كانت في العشرينات من هذا القرن والثلاثينات لا تعني سوى اللغة والفقه والدين . وبهذا المعنى سمي مجمع دمشق سنة ١٩١٩ بالمجمع العلمي العربي . وبعد اربعين سنة اضطر المجمع أن يغير اسمه الى مجمع اللغة العربية، لانه اقتنع أنه على البساط اللغوي فحسب ، وان كلمة العلم اخذت في الوعي العام والمصطلح معنى آخر . . . وقد اخذ يظهر في المنطقة علماء يعترف بهم وان كانوا لا يفقهون في اللغة الشيء الكثير . . . .

٣ ـ بدأ التعريب في المشرق العربي حكومياً رسمياً في مصر ، مفروضاً من عل(من عهدي محمد علي واسماعيل) ، يقوم به الموظفون . بينما كان ذا طابع ديني تبشيري في الشام تقوم به الارساليات وابناء الاقليات التي تتصل بها . ولكنه تحول في اواخر القرن الماضي الى عمل من اعمال الطبقة المتوسطة العليا المتفتحة على الغرب سواء أكانت مسلمة ام مسيحية فحملت الوية النهضة، واختلطت فيها قوى الشام بقوى مصر . وبعدما كانت عملية التعريب شرطاً من شروط النهضة ، صارت في اواخر العهد العثماني والفترة الاستعمارية عملاً من اعمال المقاومة الوطنية للتتريك او الفرنسة او الانكلزة وللتغريب الثقافي. كما أن التعريب صار عملية مزدوجة تقوم بها الطبقة الوسطى ما بين مصر الى العراق ، وفيها محاولة الاخذ عن الغرب دون الاندماج فيه . ومنذ ما بعد الحرب العالمية الثانية صار التعريب مطلباً وطنياً وتربوياً عاماً بوصفه جانباً من جوانب برامج التنمية واعداد الخبرات البشرية ، فعاد مرة اخرى مهمة حكومية في الوقت الذي اضحى فيه مطلباً وعملاً من اعمال الطبقة المتوسطة الصغيرة في المشرق ؛ وصار حاجة من حاجات الشعب الثقافية العامة في

المشرق ، وتشكلت بالتدريج طبقات علمية فكرية ادبية واسعة ، بعضها من منابت فقيرة او قروية او نائية ، فأسهمت فيه .

٤ ـ بدأ التعريب علمياً لا ادبياً سواء في مصر ام في الشام . فجهود رجال محمد علي كانت علمية تقنية . وكتب بطرس عنحوري كانت في الفلك والفيزياء . واذا كان الطب قد درّس في مدرسة كلوت بك بالعربية ، فقد درّس في الجامعة الامريكية منذ انشاء كلية الطب بها سنة ١٨٦٧ ولمدة ١٥ سنة بالعربية . كما درست الصيدلة بالعربية منذ انشئت كليتها في تلك الجامعة سنة ١٨٧٠ وحتى سنة ١٨٨٠ . . .وكذلك كانت الحال في معهد الطب العربي بعد نقله من بيروت الى دمشق سنة ١٩١٩ .

والتعريب الادبي لحق التعريب العلمي ولم يسبقه . والذين عملوا في التعريب الأدبي في الفترات الاولى ، وحتى الثلاثينات ، لم يكونوا امناء في التعريب امانة العلماء . لقد عربوا حوادث القصص لا الأدب ، فاخترعوا ماجدولين اخرى وفرتر آخر حين قدموا لنا ماجدولين تحت ظلال الزيزفون وآلام فرتر . وأدب القصص الغربي بالذات نزل السوق في مجلات تخصصت به ، وفي مجموعات من روايات الجيب والقصص البوليسي قام عليها معربون محترفون ملأوا العطش الروائي لدى الناس على طريقتهم في الفهم والتقريب لا . . . التعريب .

وبعد الحرب العالمية الأولى صار للتعريب مؤسساته الرسمية . فالمجمعان في دمشق سنة ١٩١٩ وفي القاهرة ١٩٣٢ هما اللذان حملا عبء التعريب وعنيا بصورة خاصة بالمصطلحات العلمية الحديثة . لقد كانت عنايتها لغوية لفظية بلى ! ولكنهما فتحا الطريق . واول ما فعله مجمع دمشق كان تعريب المصطلحات العسكرية للجيش العربي زمن فيصل . . . إنها هي المصطلحات العربية الشائعة اليوم بين عسكريي المشرق . واعضاء هذا المجمع من الاطباء (سمح / الكواكبي / الخياط) كان كل همهم خلال اكثر من ثلاثين سنة ان يجعلوا لغة الطب عربية صميمة . ومجمع القاهرة كانت اتجاهاته معجمية شمولية في الاطار نفسه . وعلى السنّة نفسها جرى المجمع العراقي من بعد . . . .

وبعد الحرب العالمية الثانية تأثر التعريب كل التأثر باجواء الاستقلال والحرية التي شملت المنطقة ، وبتبلور البرامج الثقافية ، وبنمو التعليم الواسع ، والعملقة الشيطانية للاعلام ، فقفز قفزة واضحة ، ودخل الميدان جماعات ومؤسسات اخرى غير المجامع . دخله اساتذة الجامعات تحت ضغط الحاجة الى التعليم الطلابي ، ثم دخلته مؤسسات البحث والمجالس القومية للبحوث ، والمعاهد العليا بأنواعها . ومع تكاثر الاختصاصيين وتوسع قوى الحضارة الغربية في الغزو المادي والفكري للمنطقة ، وظهور البرامج المرحلية في التنمية ، والمشاريع الاقتصادية والثقافية ، والحاجة للخبرات البشرية المستجدة ، والاتحادات العلمية والمهنية ، فرض الواقع نفسه ودخلت عشرات المصطلحات والكلمات الجديدة لغة الناس وتعبيرهم اليومي مرغمين ، وفي الوقت الذي بقي فيه الكثيرون من الاختصاصيين يحاولون جاهدين أن يجدوا الطريق الى التعبير المهني او الاقتصادي او الفني او التقني او العسكري او الثقافي من خلال لغتهم نفسها . ولقد

خلقت لنا كل هذه العوامل لغة اخرى مشتقة من اللغة الموروثة في جانب كبير ، ومختلطة مع اللغات الاجنبية من جانب آخر . . . ألستم تتكلمونها أنتم هذه اللغة ؟

٥ ـ لحظة وقوف للمقارنة بين التعريب في المشرق والمغرب . . . فالمثل نور للمثل . بلى ان القضية في الجانبين واحدة الى حد كبير ، ومع ذلك فثمة فروق . واحسب اني لا ابعد عن الصواب ان قلت ان مشكلة التعريب في المشرق جزئية (لغوية ـ علمية) تنتظر تطور الاوضاع الثقافية ـ الاجتماعية ، والاقتصادية ـ السياسية ، لكي تحل وتتطور اللغة التعبيرية معها وبمقدارها . أما في المغرب فهي مشكلة شاملة لأنها الى جانبها اللغوي متصلة بالهوية القومية وبالاصالة التراثية وبالشخصية العربية الاسلامية ، وتتضمن العملية الجدلية القاسية المتمثلة في الخلاص من الاستلاب الثقافي الاجنبي والانفتاح في الوقت نفسه على الثقافة الاجنبية .

ومشكلة التعريب في المشرق عملية ايجابية تحاول هضم الحضارة المعاصرة . إنها طريقة للاتصال بالعصر في اطار اللغة القومية ومن خلالها . وأما في المغرب فهي تحرر ثقافي ايضاً ومحاربة للانتزاع القومي والاغتراب اللساني. إنها في المشرق مشكلة لغوية الى حد ما ومن عوامل تأكيد الذات . وأما في المغرب فقضية مصير . واذا كان الايمان يسود في المشرق بأن التعريب الكامل مسألة زمن ، فثمة في المغرب شكوك كثيرة تحيط بهذا الايمان .

٦ ـ الجهود الفردية (من علمية وادبية) التي اشتركت في عمليات التعريب في المشرق كثيرة جداً ، وذات اثر كبير جداً ، ولسنا نحصيها . فإذا نحن وضعناها جانباً وجدنا أن عبء التعريب في المشرق قد حملته مجموعات متعددة من المؤسسات والجماعات كلها صبت جهودها فيه . وإذا اقتصرنا على هذا القرن وجدنا المجامع اللغوية والعلمية ، والمؤتمرات المتخصصة ، واساتذة الجامعات ، والاتحادات العلمية والفنية والمهنية ، ومؤسسات البحوث ومعاهدها ، واصحاب المعاجم ، ووسائل الاعلام المكتوب والمسموع والمرئي . . . فإلى اي درجة نجحت ؟

إن التقويم الموضوعي ها هنا قد يكون مستحيلاً مع غياب الاحصائيات والدراسات الميدانية والاستبيانات العلمية . ولعله ايضاً يبقى صعباً لو وجدت . . . فلنعترف سلفاً ، لكي نكون علميين ، بأن التقويم الذي سوف نطرح هو مجرد تقديرات وانطباعات شخصية قابلة لكثير من الجدل ، وانها مجرد شهادة لا اكثر :

أ ـ فأما المجامع فقد كانت وما تزال تراثية المنطلق ، لغوية الاهتمام ، معزولة عن الحياة العلمية العامة . ورجالها بذلوا خير ما يملكون من الطاقة والعلم والجهد، ولكنهم ظلوا حصن المحافظة اللغوية . ولهذا ، او مع هذا ، ظلوا يفتقدون الوسيلة التي تربط اعمالهم اللغوية بالحياة العامة وديناميكيتها الموّارة ، ولم يستطيعوا اقتحام السوق العلمية الا في بعض اطرافها التي توصف احياناً بأنها متقعّرة .

ب ـ المؤتمرات المتخصصة جديدة الوجود والعمل ، جديدة الاتصالات بعضها ببعض ،

ومقصورة على الاختصاصيين الذين يقبلون دون كبير اكتراث استخدام اللغة المزدوجة بوصفها عرفاً مهنياً ، وأحياناً بوصفها ميزة في المعرفة . ومشكلة التعريب قائمة تحت أنوفها ، ولكنها لا تبذل الا اقل الجهد لحلها ، لأنها تحلها باستدعاء الوسيط اللغوي الاجنبي على الدوام .

ج ـ اساتذة الجامعات لم يصنعوا شيئاً مهماً بعد، مع أن في يدهم الصلصال الذي يكوّنون منه الغد الحضاري العربي . وقد كفتهم الجامعات القتال بقبول اللغة الاجنبية للتدريس العلمي . ويجتهد بعضهم فيحاول ويسأل ويقرر ، ولكن . . . وكما يتميز معظم العلميين العرب في المشرق بالعجز اللغوي ـ واحياناً باللغة الاجنبية كما باللغة الأم ـ كذلك يتميز العاملون في الآداب والانسانيات بأن بينهم وبين دنيا العلوم سد يأجوج ومأجوج ، او « فلاة الى غير اللقاء تجاب » . وهكذا تظل الجامعات العربية في المشرق ثنائية اللغة . وكل حزب بما لديهم فرحون . وحتى اتحاد الجامعات في التعريب « يمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل » ، فألف سياسة محلية تقطع عليه الطريق ، والف اعتراض يضع له العصيّ في العجلات .

د ـ مؤسسات البحوث والمجالس القومية والمعاهد العليا . فيها ما في الجامعات من قضية التعريب ، وفيها فوق هذا انها فرحة بما لديها من نعمة البحث في شؤون يجهلها الناس، والكلام بلغة لا يفهمها الآخرون . وآخر همومها خلق المصطلح التعبيري العربي اللازم . وماذا يفيدهم ذلك من زيادة في العلم ؟ انهم ليخشون ان يكون كلامهم بالعربية تقص فيه، وانهم ليتحاشونها عن عمد في كثير من الاحيان .

هـ ـ اصحاب المعاجم لعلهم الجنود المجهولون في هذه القضية . انها قافلة من المجلدات الاختصاصية ، قدموا عشرات الوف الصفحات ، وكتبوا مئات الوف المصطلحات المقترحة ، وصاغوا ونحتوا . ولكن المعاجم صارت مقابر ، وفشلت القافلة في اختراق سد الصين القائم بينها وبين من يجب أن ينقلوها الى الاستخدام العام . والمهتمون بالترجمة فقط (من الجامعيين الذين يكتبون لتلاميذهم ، او من العلميين الذين يضطرون الى تقديم شيء للناس) هم الذين ينفضون عنها الغبار بين الفينة والفينة ويستخرجون الكلمات وعليها صفرة الموت . ولماذا لا تموت اذا كان اصحابها الاختصاصيون لا يهتمون بأن يبعثوا فيها الحياة بالاستعمال اليومي ؟

وليس « المورد » و « المنهل » ، على ما فيهما من الجهد الرائع ، بالمعجمين الوحيدين ، فقبلهما كثيرون ساقوا قافلة الاسفار المعجمية . ولمجرد الذكرى اذكر بعضها . لدينا معجمان في الفلك لأمين المعلوف ومنصور جرداق . واثنان ضخمان في الطب، معجم الكواكبي ـ خياط ـ خاطر الثلاثي الذي اصدرته الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ ، ومعجم « حتي » الذي اصدرته الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٧ ، وقاموس طبي ثالث قدمه محمد شرف في مصر . ولدينا معجم للنبات وضعه مصطفى الشهابي ، وآخر للنبات وضعه احمد عيسى ، ومعجم الحيوان لأمين المعلوف ، والمعجم الاثري ليحيي الشهابي ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا ، والمعاجم القانونية والادارية ، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية الذي نشره يوسف خياط سنة ١٩٧٦ . ولا اذكر خط المعاجم الموازي الذي اصدره المجمع اللغوي في مصر ، ولا عشرات

المعاجم التي نشرها مكتب تنسيق التعريب في الرباط . . . فإنها من عمل المؤسسات . ولكن اتساءل ، وانا اذكر هذا الجهد الجبار كله بالتقدير ، الى اي درجة استطاعت هذه المعاجم ان تخدم لغة العلم والفكر المستخدمة فعلاً بين اهل العلم والفكر من العرب ؟ والى اي درجة تنزلت هذه المعاجم ، او بعض ما فيها ، او عشر معشار ما فيها ، على ألسنة العلماء والكتاب ولغة الناس ؟ اترك لكم أن تجيبوا فانكم تسألون كل يوم هذا السؤال وتجيبون عنه .

واخيراً نأتي الى وسائل الاعلام . انها جاءت ميدان التعريب مبكرة ، وان جاءت بقواها العنيفة متأخرة . فالصحف والدوريات اسهمت في عملية التعريب منذ اواخر القرن الماضي . ولا نستطيع أن ننسى ما قدمته مثلاً مجلة « المقتطف » او « الهلال » او « المشرق » ، ولا جهود الدوريات المماثلة التي تلتها بعد ذلك ، والمجلات السياسية الاسبوعية و « الرسالة » و « الثقافة » . . . . ولكن الدور الاعلامي الحاسم انما كان بعد الحرب العالمية الثانية ، لا حين اتسعت دائرة المطبوع ، وانفجرت دور النشر ، وسالت الكتب من كل لون وحسب ، ولكن حين غزا المنطقة المشرقية كذلك العمل الاذاعي ثم التلفزيوني غزوا متزايد السعة ، كما غزتها الاعمال السينمائية والمسرحية ، وخاصة منذ اواسط الخمسينات الى اليوم . ولأن معركة التعريب مغامرة مع اللفظ التعبيري ، ونضال لعصرنته ، كانت الوسائل المسموعة اكثر حسماً في التعريب . وكان تكرارها اليومي يضع في يدها القرار الحاسم . فنحن نُصاغ لغة وفكراً من خلالها . وبين هذا وذاك تتغير بُنانا الفكرية والاجتماعية والعلمية . ان لغة جديدة قد خرجت الى الناس منذ ربع قرن الى اليوم من خلال وسائل الاعلام المختلفة لها مصطلحاتها وصيغها واساليبها في التعبير ، من وراء السياسة والتخطيط ، ورغم انف الحدود ومن يقفون على الحدود . ولقد نقص الكم اللفظي فيها وزاد الكم الفكري ، وبرزت مفاهيم جديدة سياسية وفنية وادبية ، ونزل معها جانب من اللغة العلمية الى الناس تغيرت فيه حتى تراكيب الجمل ، وحتى موسيقى الشعر . وطه حسين الذي كان حتى الأمس أديب العصر وثورة في الاسلوب ، هو اليوم لدى كثيرين ثرثار كبير .

وبعد ، فإن التعريب في المشرق ، رغم كل الوان التفاؤل التي يقدمها ، ورغم الجهود الصادقة والقوية التي توضع في خدمته ، ما يزال في **الحجم** اقل مما تدعو الحاجة الى ان يكون ، وفي **السرعة** ابطأ من ايقاع العصر ، وفي **الدعم الرسمي** يمشي بقبقاب السياسة هنا خيزلى وهنا هيدبا ، وتارة خببا واخرى مع السلحفاة . و **الاجهزة** التي تعمل عليه قوية الافراد ضعيفة الجماعة والانتاج والاثر والاتصال بالحياة . **والتنظيم الحالي** في عمليات التعريب جهد بالغ ولا طحن كثير . فإما اعمال فردية محدودة الانتشار ، وإما رسمية محدودة التأثير والقبول ، وإما اعلامية ينقصها الكثير من الرشد والهدي وسواء السبيل .

ولأن التعريب عملية سباق مع الحضارة الحديثة ، ولأن هذه الحضارة نمو كنمو المردة ، وجنون من المبتكرات والمصطلحات مع كل فجر ، فإن السباق بين هذه المتغيرات الرهيبة وبين تلك الاوضاع السكونية ، في غياب القرار السياسي الجماعي الحاسم ، سباق مسكين النتيجة

والغد . ان التعريب سواء أكان في المشرق ام في المغرب معركة حضارة تناضل لكي تملك العصر او يسحقها العصر . وانما يحسم المعركة في اعتقادي قرار سياسي مصيري ، ومستوى علمي متزايد التقدم يدخل العربية في نخاع العصر ، واعلام واع لرسالته الثقافية ينشر هذه اللغة في الناس مع الخبز اليومي .

ومعذرة للاطالة ، فالحديث ذو شجون ، ومعذرة مرة ثانية للاستاذ الباحث على هذه الهوامش الزائدة . فما أردت أن تكون اكثر من شرح للمتن الذي قدم . ومن طبيعة المتون الاختزال ومن طبيعة الشروح الثرثرة ، وما أتيت بجديد وانما هي تذكرة . اما قال تعالى : ﴿إن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ؟

المناقشات

مدثر عبد الرحيم : اشار استاذنا الكبير الى ضرورة صوغ عربية معاصرة غير محنطة ولا جامدة ، بل متميزة بالدقة والعذوبة والسلاسة الى آخر ذلك من سمات لازمة لتمكين اهل العربية اليوم ـ وبصرف النظر عما انجزوه في الماضي ـ من المشاركة الخلاقة في العلوم والحضارة الحديثة . وهذا امر مهم بالغ الاهمية اتفق معه كل الاتفاق في تقدير اهميته وضرورة العمل لتحقيقه بصورة مستمرة دائمة التجدد .

ولكن لي تعليق بسيط على ما يقع فعلاً في هذا الصدد في مختلف اقطار عالمنا العربي اليوم اود ان اسمع رأي الاستاذ فيه . ذلك أننا اليوم نجد انفسنا امام فيض من الكلمات والعبارات المستحدثة لا شك أن بعضها سليم في بنائه وصيغه مثل « الترشيد » و « التجذير » الخ ، ولكن بعضها الآخر ـ خاصة مما تصوغه اقلام بعض الاعلاميين والكتاب الاميّين الجاهلين او المتجاهلين لقواعد اللغة والاشتقاق ـ بعيد كل البعد عن العذوبة والسلاسة بل حتى عن الصحة والدقة . والامثلة على ذلك اكثر من أن تحصى . ثم ان كثيراً من الكلمات والعبارات المستحدثة ـ سواء أكانت صحيحة نحواً واشتقاقاً ام لم تكن ـ انما تفهم اذ تفهم لاننا نعلم اصولها ومعانيها في اللغات الاوروبية التي تنقل عنها ، لا لأنها تفصح بذواتها عن مدلولاتها بوصفها عبارات وكلمات عربية مبينة . ومن امثلة ذلك عبارات منها : « عصرنة » ، و « تهميش » و « تاريخانية » .

ولذلك ـ ورجوعاً الى حديث المعجمات ـ اود أن اسأل الاستاذ عما اذا كان يرى أن من المفيد أن يتوفر بعض الراسخين في علوم العربية ، المؤمنين في الوقت نفسه بضرورة تجديدها ، على اخراج معجم او معاجم ، او دراسات معجمية او غير معجمية ، تحصي اكبر قدر ممكن من مثل هذه العبارات وتقوّمها وتصححها تباعاً ، وتعين الراغبين في صوغ المزيد منها توسيعاً لرصيدنا اللغوي الحديث ، وتجديداً للغتنا المعاصرة على المضي في تلك السبيل وهم على هدي

وبصيرة من امرهم وامر لغتهم وقواعدها في النحو والنحت والاشتقاق والتعريب ، بدلاً من الفوضى اللغوية التي صيّرت عربيتنا المعاصرة ، لا على ما نريده لها من عذوبة وسلاسة وسلامة ، بل على حال تذكّرنا في كثير من الاحيان بقول الشاعر القديم : «مثل النعامة لا طير ولا جمل» ، فلا هي عربية ولا هي غربية .

محمد رضا محرم : موجزة ورقة د. الصالح ولكنها جيدة ، ولو طالت اكثر لكانت الاستفادة منها اعظم . ذلك لأن تجارب التعريب واجتهاداته في المشرق العربي متعددة ومتنوعة ، وتحتاج الى المزيد من المتابعة والتحليل والتقويم . وكذلك فإن جهود التعريب في المشرق تواجه مشكلات غير هينة ، وتحتاج الى وقفة بل وقفات . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فإن الانفصال والتباعد بين الجهود المجمعية وبين الممارسات الفعلية ، وكذلك غيبة التنسيق بينها ، تحول جميعها دون الاستفادة الحقيقية المؤسسة على التكامل من اغلب الابداعات والانجازات والانشطة المعجمية . وكما ذكرنا اكثر من مرة في هذه الندوة ، فإن تأخر حركة ترجمة قوية وفق خطة قومية محكمة طموحة ، تخلق عوائق خطرة في طريق التعريب ، العلمي التكنولوجي منه على وجه التحديد . ففي غيبة المراجع العلمية والتكنولوجية المعربة مبرر للمتكاسلين والمتهاونين ، والمتحاملين ايضاً ، لأن يستمروا فيما هم فيه . مثلما أن هذا الغياب يلقي بشبهات على مردود عملية التعريب في الاقطار التي ذبلت فيها الالسنة الاجنبية ! حيث يجري تحميل الدعوة الى التعريب مسؤولية احداث تلك الفجوة التي تعوق امكانات الاتصال المتجدد بالعلوم والمعارف العالمية ، **وأحسب ان طرح امثال هذه المشكلات والعوائق ، وتناولها فحصاً وتحليلاً ، قد تكون فيه فائدة كبيرة ، خاصة بالنسبة للاشقاء في المغرب العربي ، حتى لا يقعوا في الاخطاء التي كان لنا وزر الوقوع فيها ، ربما بسبب فضيلة السبق في الأخذ بالتعريب .**

جيدة ايضاً تلك الصيغة التي قدمها الباحث لنظرة السلف الى التعريب ، باعتباره معادلاً للتعقيل ، ثم انتهاؤه من مقدمته هذه الى النتيجة المنطقية التي تفرض ضرورة تحديث اساليبنا في تصوراتنا للاشياء والحقائق ، ونحن نمارس اعمال التعريب ، تحديثاً يبرز شخصيتنا العربية . واجود منها ما ختم به ورقته حيث يقول : «ان الذي نبحث عنه ولا نجده غالباً هو النزعة الانشائية الصنعية المبدعة التي تؤمن بأن انتشار اللغة (كل لغة) رهن بمدى اسهامها في التاريخ العلمي والتقدم الحضاري». **وهو القول الذي يمكن أن ننطلق منه لنطالب بدور اكبر للممارسات الفعلية للتعريب ، او على الاقل لاقامة توازن معقول بين هذه الممارسات الملحة المطلوبة وبين الاستغراق في حرفيات اللغة وفنياتها .**

وهناك ملاحظة تتعلق باحدى الإحالات التاريخية التي تتضمنها ورقة الباحث ، اظنها تحتاج الى المزيد من الفحص والتدقيق ، ان لم تكن تحتاج الى مراجعة من سيادته ، حيث تقرر الورقة أن التعريب بدأ يواجه «التغريب» في الشؤون العلمية عندما أنشأ محمد علي يدعو الى التعليم بالعربية . والحقيقة أن «التغريب» كحالة ثقافية مرتبطة بالظاهرة الاستعمارية ، وإن كان لها جذور ترجع الى الوجود الفرنسي في مصر فيما بين ١٧٩٩ و١٨٠٣م ، إلاأنها لم تكتمل

وتنمو داخل مصر (ومع تأخر نسبي في اجزاء كثيرة اخرى من المشرق العربي) الا بعد التدخل الانكليزي الفرنسي في شؤون مصر في عهد الخديوي اسماعيل ، ثم استعمار مصر من جانب انكلترا عام ١٨٨٢ . هذا اضافة الى أنه يكاد يكون مستقراً في التحليل التاريخي ان محمد علي كان حاكماً برغماتياً (نفعياً) ، وكان يعنيه اساساً خلق الكوادر (الاطر) اللازمة لتحقيق طموحه ، ولم يكن له من سبيل غير تأهيل هذه الكوادر وتعليمها بالعربية ، بخاصة ان الطلائع الاولى من هذه الكوادر كانت تؤخذ من المتعلمين تعليماً اولياً في الازهر الذين لا يجيدون غير العربية. كذلك فإن محمد علي ومؤسساته، وخصوصاً قلم الترجمة ثم مدرسة الالسن، قد اعتمدوا الترجمة الى كل من اللغتين التركية والعربية ، لأن الكثيرين من تلاميذ مدارس محمد علي العالية (وكانت تسمى الخصوصية) ، وبخاصة في المجالات العسكرية ، كانوا من ابناء الاتراك والمماليك .

الحبيب الجنحاني : علل د. صبحي الصالح تفاؤله في ختام كلمته بتوصيات ندوة طنجة المنعقدة في مطلع ١٩٨١ حول تعريب مصطلحات الدراسة الجامعية بناء على التأكيد أن تعريب لغة التدريس لا يستلزمه انتماء قومي ، واعتزاز باللغة القومية ، بل تتطلبه اولاً وبالذات المبادىء التربوية .

إنني لا أرى في حقيقة الامر جدوى تذكر لقرارات هذه الندوات المختصة ، شأنها في ذلك شأن اعمال المجامع اللغوية ، لأن نتائج هذه المجهودات تبقى نظرية منعزلة عن التطبيق . واغتنم هذه الفرصة لأؤكد الدور الفعال الذي قام به الكتّاب المعاصرون ، والمجلات الثقافية ، والبرامج الاذاعية والتلفزية ، في مجال التعريب وتحديث اللغة بصفة عامة .

عبد العزيز عاشوري : ورد في تعقيب د. شاكر مصطفى ، وهو تعقيب مهم مفيد ، ما مفاده ان قضية التعريب في المشرق العربي ليست قضية مصيرية كما هو الشأن بالنسبة للمغرب . واود أن الاحظ ان المشكلة اشد حدّة في المغرب العربي لاسباب كثيرة ، ولكن تظل القضية مع ذلك مصيرية فعلاً ، سواء في المشرق او المغرب . ذلك ان اكثر اقطار المشرق ، بل ربما كلها باستثناء سوريا ، يعيش وضعاً معطلاً للتمثل العلمي على مستوى واضح ، بعزل البحث العلمي عن العربية ، وتدريس العلوم في لغات اجنبية .

إن وظيفة العمل العلمي لا تنصرف الى البحث والتعليم من اجل البحث والتعليم ، بل لها وظيفتها المهمة في تطوير العقلية ، وخدمة الثقافة الجماهيرية واثرائها باستمرار عن طريق ما يصل من نتائجها ، ولو بصفة مبسطة ، الى مستويات غير ذوي الاختصاص . فضعف الفكر العلمي في حياتنا الثقافية المعاصرة يعود في نظري ، الى اسباب متعددة ، منها عزل العمل العلمي عن المجتمع ، ونموه وتطوره في دوائر مغلقة وبلغات اجنبية. ولقد كتبت دراسات عن هجرة المؤسسات العلمية بالبلاد النامية ، لا من حيث اللغة فحسب، بل من حيث اهتماماتها ومشاغلها ايضاً . افلا تصبح القضية ، من هذا الوجه على الاقل ، قضية مصيرية بالنسبة للمشرق العربي ايضاً كما هي بالنسبة الى المغرب العربي ؟

هشام بوقمرة : لم أكن انوي التدخل في هذا النقاش ، بخاصة ان المعقبين قد استوفيا النقاط كافة التي كنت اراها غامضة او ناقصة التدقيق في ورقة الدكتور صبحي الصالح . ولكنني استمعت في النهاية الى من يدعو الى « سلاسة » اللغة وحلاوتها وعذوبتها وتدفقها . فاردت أن اتساءل عما اذا كانت توجد مقاييس علمية لمثل هذه الاشياء الذوقية ؟ طبعاً لا . علمياً يمكن أن توجد لغة سليمة او صحيحة . اما العذوبة والطلاوة والحلاوة فأمور شعرية لا تليق بمقامات البحث العلمي . بالامس استمعنا الى من يعترض على مجزرة اللغة العربية ، والمجزرة كما تعلمون يباع فيها اللحم الطري، وكذلك القديد . والبيان والسلاسة والعذوبة ـ على بالرغم من حلاوتها ـ هي من قديد اللغة ، وانا افضل اللحم الطري . لذلك ارى من واجبي ان الحّ على التعرض العابر الذي ورد في ورقة الباحث للغة المعاصرة ، فأقول اني على عكسه لا اطالب بوجودها. وهل يطالب بما هو موجود ؟ ان هذه الثقة موجودة بالفعل وهي ذات مستويات مختلفة في علاقتها بالفصحى وبالخطاب ، وهي لغة كتابتنا ومخاطباتنا في مثل هذه الندوة ، وهي لغة الواقع ، لغة الخطاب الصحافي والاذاعي والتلفزي اليومي ، وهي لا تتطلب من « اهل القديد » البلاغي الاعتراف بها ، وإن كانت بالنسبة لهم وليداً غير شرعي . ان لها اهلها ، وربما هي تطالب بحقها الفعلي في الوجود فقط .

صبحي الصالح : لقد التمس لي د. مصطفى الفيلالي عذراً في موضوع ما، ثم نقدني فيما عذرني فيه . وهذا الموضوع هو الاصالة والتفتح في عمليات التعريب . اما العذر فهو اني ربما تركت الموضوع لان زميلاً آخر كلف بحث هذه النقطة بالذات ، واما نقده لي فيما عذرني فيه فيبدو بوضوح في سائر الاسئلة التي طرحها بعد ذلك ، وهي برمتها تتعلق بهذه النقطة نفسها بشكل مباشر تارة ، وغير مباشر تارة اخرى . لذلك سأكتفي بتسليط الضوء على الخطوط العريضة تاركاً التفصيلات لغيري ممن كلفوا فيه تكليفاً خاصاً .

نقل المعقب من بحثي تفضيلي الصريح للنزعة المبدعة الخلاقة على السلفية التقليدية . وهذا هو لب المسألة في نظري ، علماً بأني هنا اميز بين نوعين من السلفية اقبل احدهما وارفض الآخر . ولا داعي لتوهم التناقض او التضارب بينهما ، فأنا ضد السلفية التي تفصم الحاضر عن الماضي ، والتي تحصر نفسها في مناخ انفعالي ضيق ، إما بسبب النزعة الدينية او القومية ، وإما بسبب انعدام المنهجية في النظر الى العلاقة بين اللغة والشؤون الحضارية التي تتفاعل معها . لكني مع « السلفية » التي تصون الاصالة ولا تمنع التفتح ، وذاك هو السبب في عنايتي بتحديد المراد « بالتقدم » لاعرف الحدود التي اقف عندها او اتجاوزها في كل ما يمس عملية التعريب ويدفعها دائماً الى الامام .

فإذا سألني المعقب (على سبيل المثال) هل التقدم في نظري مقصور على المجال العلمي ، ام ينطلق من هذا المجال ليفيض منه على سائر المجالات الاخرى ، سياسية ، واجتماعية ، وعلى مظاهر السلوك الفردي والاجتماعي ؟ فجوابي بطبيعة الحال اني لا « اتقوقع » في مجال واحد ، حتى ولو كان المجال العلمي و « التقني » ، ولا انظر من منظار واحد ، حتى ولو كان

المنظار العلمي الذي يحدد رؤيتنا للاشياء والحقائق تحديداً موضوعياً دقيقاً . وعلى هذا ، لا بد من انطلاقنا اول الامر من معيار التقدم الذي ذكرته لكي نفيض منه حتى نهاية المطاف على جميع مجالات الحياة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً . وفي بعض اقطارنا العربية التي تشكو من بقايا ضغط الاستعمار الاداري (كاقطار المغرب) لا بد ايضاً من فيض التقدم على المجال الاداري بوجه شديد الخصوصية .

من هنا لا حاجة الى مزيد من التساؤل عن اهمية « التجذير » الملتزم للسياسات الاقليمية (باعتبارها قادرة على الربط بين الماضي والحاضر) ، لاني معه ارفض ما في تحول عملية التعريب من تجذير ثقافي حضاري اذا صادف ان هذا التحول الحضاري يرادف « تحديث » الفرار والهرب ، بل « المحو » الكامل لمعالم ذاتنا العربية الاسلامية ولوجودنا المميز الاصيل .

لا حاجة بنا اذن الى الاستفاضة في جدلية التلازم بين التحديث والتأصيل ، او جدلية الشمول التركيبي او التنسيق « التأليفي » فما مر شيء من ذلك ببال الزميل المعقب الا بسبب تأثره « العفوي » ببعض المعضلات التي ما تبرح على تعقيدها في اقطار المغرب ، على حين تأخذ شكلاً آخر في جل بلدان المشرق العربي ، لاسباب وظروف متنوعة لا مجال الآن لتفصيلها ، ولم تدخل في البحث الذي كلفت تقديمه بصورة مباشرة ، كما أشار هو الى ذلك في مستهل تعقيبه .

ولقد تمنى المعقب ان يشمل بحثي هذه القضايا التي يؤلف كل منها على حدة معضلة قائمة بذاتها تستدعي كتباً ومجلدات لتفصيلها . وفي هذه العجالة لم يكن ممكناً أن اواجه الموضوع بكل هذه الدقة وكل هذا الشمول . على أن في تعقيبه شيئاً استغربه ، وكم كنت اتمنى ان لو كان صحيحاً ، وهو انه توهم ان النظرة التاريخية طغت على بحثي ، مع اني بسبب ضيق الوقت لم اتمكن من تتبع المنهج التاريخي الذي افضله عادة في مجمل دراساتي ، لان مفهوم التاريخ في نظري ليس منحصراً في سرد وقائع التاريخ (التي مضت وانقضت كما يقول النحاة عن الفعل الماضي) وليس منحصراً حتى في فلسفة التاريخ وتحليل المراحل التي ادت الى وقوع بعض الاحداث ، بل المنهج التاريخي من السعة والرحب بحيث ينظر فيه الى الواقعة الماضية ممتدة الى الحاضر امتداداً حياً كاملاً ، بفعل القوانين الداخلية التي تسير جنباً الى جنب مع تطورات الواقع الاجتماعي والحضاري ، قومياً طوراً ، وانسانياً شاملاً طوراً آخر . وعلى هذا لا اسمح لنفسي في بحث لا يزيد على عشر صفحات مطبوعة بأن الصق به صفة « المنهجية التاريخية » ، ولا حتى مجرد « النظرة التاريخية » التي لم يتح لي منها الا سرد بعض القضايا التي كانت لها بصورة او باخرى علاقة بعمليات التعريب .

ولقد احب المعقب ان ينفي عني محاولة التفسير للتلازم بين العربي ولغته ، ومحاولة حصري اللغة في وظيفتها الدلالية الصحيحة ، يقيناً منه بأني ارفض كل الوان التبعية . وقد يستغرب الزميل اذا اكدت له احياناً اني اكاد اميل في مناسبات عدة الى حصر اللغة في وظيفتها الاساسية ، واكاد اميل الى اتخاذها معايير لعصمة السنتنا من الزلل كلما لاحظت مدى الهوة السحيقة التي يسقط فيها دعاة التعريب اذ يرتكبون من الاخطاء التعبيرية في « اللغة الام » ما يؤلم

حقاً . ففي هذه الاحوال قد يخطر ببالنا ان نتوقف عملياً ـ ولو زمناً قصيراً ـ عن كل نشاط ما عدا تعلم التعبير الواضح السليم الدقيق بلغتنا التي اشتد عقوقنا لها .

واخيراً ، لنا من وضوح الرؤية للعلاقة المتكاملة بين « سلفية » الاصالة وتفتح « التقدمية » ما يحول دون وقوعنا في فخ بعض المحاولات الجائرة التي ربما تقطع سندنا الذي يربطنا بماضينا . فنحن لن نحصر لغتنا بعد « تعريبها » في المجمعات الثنائية مثلاً ، ولن « نحنطها » في صناديق بنوك المعلومات العالمية ، ولن يخدعنا ايداعها في تلك البنوك التي ستحاول تجميدها وقطع الحياة عنها ، لاننا لن نستعيض عن كلمات لغتنا بكلمات اللغات السيارة التي نضطر الى استعمالها ، بل سنقتل كل « اجنبي » دميم بإحيائنا كل « عربي » اصيل .

واما د. شاكر مصطفى فاوافقه على معظم الملاحظات التي وجهها الي لانه في بلده « سورية » قد مر بجمهرة المعضلات التي مررت بها في بلدي « لبنان » . واول ما أعترف له به هو اني اقصرت في الخاتمة العملية بينما اطلت في المقدمتين النظريتين . وليتني فعلت العكس اذن لتناولت العوامل المختلفة التي تعاقبت على قضايا التعريب في المشرق العربي سواء اكانت اجتماعية ام سياسية ام اقتصادية ، واذاً لوسعني ايضاً ان اجيب بصراحة : اين نجحت هذه التجربة واين اخفقت ؟

على انني التقي معه التقاء كاملاً في ضرورة التخلص من الازدواجية والثنائية والتعددية اللغوية ، لا بين العامية والفصحى فقط ، ولا بين الفرنسية والانكليزية معا وبين العربية ، بل بين طريقتين للصيغة العربية في الكتابة والكلام المحكي احداهما « محنطة » بالية والاخرى حديثة مرنة . والمهم اولاً وآخراً أن نطمئن الى قرب استغنائنا استغناء كاملاً عن العون الأجنبي ، باحداث تغييرات جذرية اساسية في اقبالنا على الانتاج ، وفي قياسنا السليم للدرجة التي نحتاج اليها في التطور العلمي والثقافي . واوافق على أن لنا مكسباً غير قليل في ظهور علماء كبار ينتجون في حقول اختصاصهم حتى ولو كانوا لا يجيدون اللغة العربية ولا يفهمون منها الشيء الكثير .

وأما ما ذكره عن تعريب التدريس الجامعي في جميع الحقول التي فصّلها ، فقد كان لزاماً علي ان اركز فيه على ما اراه ذا علاقة بموضوع التعريب بشكل مباشر ، مع ترك بعض القضايا الجانبية التي باتت ملك التاريخ وليس ضرورياً أن نفيض في التغني بها في مثل ندوتنا هذه . ولذلك لا مناص لي من الاقرار معه بأن في ايدي الاساتذة الجامعيين في المشرق العربي « الصلصال » الذي منه سيتكون الانسان العربي ومعالم الشخصية العربية كما نتمنى ان تكون . كما اوافقه على شيء آخر اهم من ذلك كله ، وهو ان قضية التعريب في المشرق العربي جزئية علمية ، بل اكاد اقول « اكاديمية » ، بينما هي في المغرب العربي قضية مصير . فإذا لم نفصل في الشرق بعض القضايا ذات الخطر البالغ في اقطار المغرب ، فذلك لا يمنعنا من الاعتراف بأننا امام جهد كبير وطحن صغير !

وما اثاره الصديق د. مدثر عبد الرحيم من مشكلات حول العبارات المستحدثة التي هي امارة على الفوضى اللغوية،لا مجال للنقاش حوله. ومع اني شخصياً لم استعمل في بحثي ولا تعقيبي الفاظ « العصرنة » و « العقلانية » و « التهميش » ، لأني ربما اجد مندوحة عنها بالفاظ ادق منها واكثر اصالة ونقاء ، الا أنني لا أجد بأساً في استعمال غيري لهذه الالفاظ التي لم امانع في ادخال كثير منها في المعجم الذي اؤلفه مع صديقي د. سهيل ادريس . وليس في موقفي هذا تناقض لان « سلفيتي » في النقاء اللغوي لا تعارض « تقدميتي » في التفتح العقلي . وقد اوضحت هذا في ردي على المعقب الاول بما لا حاجة الى تكرار القول فيه .

وللدكتور محرم اؤكد ان « مشكلية » التعريب لا تلزم كثرة اللجوء الى تناول المعضلات السلبية ، ان كان في وسعنا ان ندير القضايا الاساسية هنا حول الايجابيات التي تستدعي مزيداً من العمل البناء في تركيز عملية التعريب على تجارب وقعت فعلاً واثمرت لنا تحسناً كبيراً اسلوب تصورنا وتحديدنا للحقائق والاشياء . ولذلك اقول لكل من الصديقين د. عاشوري ود. الجنحاني : من كان يأخذ علي تفاؤ لي حول مدى قيام سيادة سياسية تربوية ثقافية في البلدان العربية ، ولا سيما في بلدان المشرق ، فربما اكتفي باجابته بأني شخصياً اميل بطبعي في كل شيء الى التفاؤ ل ، لاني اعتقد ان المتشائم لا يستطيع أن يصنع شيئاً ، واحاول في جميع تصرفاتي ان اتغلب على الصعاب وان اقفز فوق الجراح . واذا كان مصدر تفاؤ لي بعض ما حققه الافراد او التنظيمات الشعبية غير الرسمية ، فذلك لن يقلل من نظرتي الى المستقبل بثقة واطمئنان ، لاننا تعودنا منذ امد بعيد ان نجعل ثقتنا بالانسان العربي اكبر من ثقتنا برجال الانظمة العربية .

الفصل السابع

محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس

عبد العزيز عاشوري

مقدمة

تؤدي كلمة التعريب في اللغة العربية أكثر من معنى . غير أن ما يهمنا ـ في هذه المحاولة ـ يقتضي حصر « التعريب » في مفهوم واحد بعينه يتلخص في اعطاء اللغة العربية في بلد عربي ، منزلتها الطبيعية كلغة قومية تضطلع بمهمة التعبير ، بصفة رئيسية اساسية ، عن المضامين والمفاهيم المتداولة في المجتمع كافة ، كما تعتمد لغة رئيسية أساسية في البحث والابداع والتعليم بجميع مراحله واختصاصاته ، وتتخذ لغة عمل في الادارة والاقتصاد والاعلام ومرافق المجتمع ومؤسساته كافة . فمسألة التعريب ، بهذا المعنى ، هي مسألة صراع بين العربية كلغة قومية من جهة ، واللغة الاجنبية المهيمنة التي أحلت محلها في اداء وظيفة اللغة القومية بصفة جزئية أو كلية من جهة أخرى . وتجارب التعريب في البلاد العربية ، إنما تهدف ـ في النهاية ـ الى اقرار وضع لغوي طبيعي ، يتجاوز وضعاً لغوياً وثقافياً خاصاً فرض على هذا القطر او ذاك لاسباب تاريخية مرتبطة بالهيمنة الاستعمارية لدول امبريالية غالبة .

ولا تطمح هذه المحاولة الى التأريخ المفصل لتجربة التعريب في تونس ، باعتبارها احدى التجارب العربية المهمة في هذا المضمار ، فالمجال لا يتسع لذلك ، إنما غايتها أن تقدم عرضاً سريعاً لأهم المراحل التي عاشتها هذه التجربة محاولة أن تطرح آراء وافتراضات عن عوامل القوة والضعف وأسباب النجاح والانتكاس لتخلص في النهاية الى جملة من الاستنتاجات والمقولات لعلها تكون محل نقاش وتبادل للرأي في هذه المسألة المهمة .

أولاً : التعريب في مرحلة الحماية

وعلى الرغم من أن المحاولة ستركز على تجربة التعريب في تونس منذ استقلال البلاد سنة

١٩٥٦ ، فإن الأمر يدعو الى عرض صورة عاجلة عن الوضع اللغوي زمن الحماية الفرنسية ، وعن الوجوه التي كانت تطرح بها اذاك قضية التعريب ، على اعتبار أن التجربة التونسية في هذا المضمار قد نشأت عن وضع لغوي وثقافي واجتماعي معين ، فتضمنت امتداداً له أو رد فعل عليه .

يلاحظ المتأمل في الوضعين اللغوي والثقافي بتونس قبيل الاستقلال أن الفرنسية ، لغة المستعمر ، قد استطاعت تدريجياً وحسب مخططات معينة أن تكتسح عدداً مهماً من المواقع الطبيعية للغة الوطنية ، او لغة « الاهالي » كما كانوا يقولون . فاعتمدت عملياً لغة رئيسية وحيدة في كثير من الاحيان لأهم المؤسسات الادارية والاقتصادية ، وكانت الادارة المفرنسة تعتمد ، في التعامل مع أهل البلاد ، ممن لا يحسنون الفرنسية في مجتمع تشيع فيه الأمية ، على مترجمين تكونهم خصيصاً لهذا الغرض .

كذلك الشأن في المجال التربوي ، فقد اعتمدت الفرنسية لغة أساسية واحياناً وحيدة للتعليم بالمدارس العمومية . ويمكن تصنيف المدارس الابتدائية بتونس قبل الاستقلال ، الى مدارس فرنسية بحتة ليس للعربية فيها مكان ، ومدارس فرنسية عربية تنزل فيها اللغة القومية منزلة ثانوية فتعلم وكأنها لغة من اللغات الاجنبية . وقد ظل عدد الساعات المخصصة للعربية في هذه المدارس حتى سنة ١٩٤٩ لا يجاوز تسع ساعات من مجموع ثلاثين ساعة في الاسبوع(١) وأحدث قبيل الاستقلال صنف ثالث بجهود وطنية مكثفة عرف بـ « المدارس القرآنية العصرية » كان للعربية فيها حظ أفضل .

أما التعليم الثانوي فقد كان يشمل هو الآخر ثلاثة اصناف : معاهد ذات مناهج فرنسية بحتة ليس للعربية فيها أكثر من مكان اللغة الاجنبية الاختيارية ، ومعاهد عرفت بمعاهد التعليم الصادقي(٢) اعتمدت الازدواجية اللغوية وأحلت فيها العربية في منزلة ثانية بعد الفرنسية ، ثم التعليم الزيتوني الذي كان معرباً بصفة كاملة . وكان الطابع الديني التقليدي طاغياً على هذا الصنف الوحيد المعرب من التعليم التونسي زمن الحماية ، وكان خريجوه الكثيرون الذين ينتمون في الغالب الى فئات شعبية معرضين للتهميش والابعاد عن أي دور أساسي في المجتمع ، بدعوى أن التعليم الذي يتلقونه تقليدي لا يستجيب لمتطلبات العصر ، ولا يواكب الاهتمامات الواقعية للمجتمع ، وهو من ناحية اخرى عربي صرف لا يخضع لمقتضيات الادارة المفرنسة الخاضعة للهيمنة الاستعمارية(٣) . وكان الطلبة الزيتونيون يركزون مطالبهم الاساسية على

---

(١) انظر : انبعاثنا التربوي منذ الاستقلال (تونس : الديوان التربوي ، ١٩٦٣) ، ص ١٤ . والملاحظ أن تعديلاً جزئياً ادخل على هذا الوضع بعد ذلك نتيجة لضغوط شعبية .

(٢) نسبة الى المدرسة الصادقية التي اسست في عهد الصادق باي .

(٣) حصر الاستاذ محمد العابدمزالي كاهية ، مدير العلوم والمعارف ، الآفاق المفتوحة امام طلبة الزيتونة في الاشهاد والقضاء الشرعي والعمل بجمعية الاوقاف والتدريس بجامع الزيتونة . انظر حديثه في : المباحث (السلسلة الجديدة) ، العدد ٧ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٤٤)

عصرنة هذا التعليم المعرب وتطويره من حيث مناهجه وأساليبه ومحتواه للخروج من هذا التهميش وفتح آفاق افضل أمام خريجيه[٤] .

في هذا المناخ التربوي والاداري ، وفي جو سياسي واجتماعي يسوده صراع متواصل بين قوى الهيمنة الاستعمارية من جهة ، والقوى الوطنية المناضلة من أجل التحرر والانعتاق من جهة ثانية ، طرحت قضية التعريب في عهد الحماية الفرنسية . ودون الدخول في تفاصيل ليس هذا موضعها يمكن أن نلاحظ أن طرح قضية التعريب في هذه المرحلة السابقة للاستقلال قد تميز بجملة من الخصائص لعلها تتلخص في النقاط التالية :

١ ـ التعريب في عهد الحماية الفرنسية مطلب شعبي أجمعت على تأكيده القوى الوطنية الحية في البلاد كافة ، وان اختلفت في مدى حماستها له ونضالها من أجله . ولم يكن التعريب في هذه المرحلة مطلباً زيتونياً أو مطلب أي فئة محدودة من المجتمع . ولا نعلم أن فئة تونسية ما قد عبرت عن احترازها ازاءه أو شككت في شرعيته . فعلى المستوى السياسي تبنى الحزب الحر الدستوري القديم[٥] هذه القضية ، وأنزل الدفاع عن اللغة الوطنية في الوطن المستعمر منزلة مهمة من مشاغله . وتبنى الحزب الحر الدستوري الجديد بدوره الدفاع عن هذا المطلب الشعبي فدعا الى احلال اللغة القومية محلها الملائم باعتبارها اللغة الوطنية الحية للشعب التونسي[٦] . وعلى المستوى النقابي كان التعريب مطلباً بارزاً من مطالب الحركة النقابية . وكان « تعميم التعليم وتعريبه» ابرز شعار لنقابة التعليم يكتب على اللافتات ، ويعلق في المناسبات الرسمية ، ويثير حماسة الجماهير .

وتبرز قضية التعريب قبل الاستقلال بشكل أوضح على مستوى الحركات الفكرية التونسية ، وبخاصة في مجلتي العالم الادبي[٧] و المباحث[٨] . فقد كانت « العالم الادبي » تعالج هذه القضية بأسلوب تميز بالحدة والصرامة والرفض القاطع للوضع اللغوي المفروض .

---

(٤) انظر في هذا الموضوع :
Muhammad Abd al-Mawla, *L'Université zaytounienne et la société tunisienne* (Paris: Maisonneuve; Larose, 1971).

(٥) يعد هذا الحزب اول حركة سياسية تونسية منظمة في عهد الحماية ، وقد اسس سنة ١٩١٩ .

(٦) انظر في هذا المضمار مثلاً : افتتاحية الرسالة ، ١٣ / ١٠ / ١٩٤٩ . وهي جريدة اسبوعية تصدر باللغة الفرنسية وتعبر عن رأي الحزب الجديد .
وانظر ايضاً : البشير بن سلامة ، « لماذا التعريب ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٧ (نيسان / ابريل ١٩٧١) .

(٧) مجلة ادبية ثقافية صدر العدد الاول منها في غرة كانون الثاني / يناير ١٩٣٠ وساهم في تحريرها عدد مهم من الكتاب التونسيين .

(٨) مجلة ثقافية ادبية اسسها محمد البشروش سنة١٩٣٨ ثم اشرف على تسييرها بعد وفاته سنة ١٩٤٤ الاستاذ محمود المسعدي ، وقد جمعت هذه المجلة نخبة من الكتاب التونسيين تقلد بعضهم بعد الاستقلال مسؤوليات مهمة في الدولة .

ونشرت مقالات كثيرة في التعريب واللغة العربية ليس هذا موضع تحليلها وتفصيلها ، إنما اكتفي باستعراض فقرة من مقال لها بعنوان « الخطر على اللغة العربية في تونس » اعتبرها ممثلة للهجة « العالم الادبي » واسلوبها الحاسم في معالجة هذه القضية : « . . . والتلميذ من ابناء هذا الشعب العربي لا يقرأ جغرافية بلاده الا بأسماء افرنجية ، وهو انما يتعلم الحساب بالفرنسية كأنما يعدونه لتكوين شعب فرنسي بحت لا يمت بسبب ولا ينتسب للعروبة ، وكأنما ادارة المعارف تقوم بواجب فرنسة البلاد . . . »[9] .

وسخرت « المباحث » صفحاتها لمعالجة مسائل ثقافية مهمة ذات صلة بقضية التعريب مثل الهوية الثقافية القومية ، والمثاقفة ، او التفاعل بين الثقافات ، والوحدة الثقافية العربية ، والغزو الثقافي ، والتباس الذاتية ، ووجوه العناية بالتراث . . . وأنزلت الدفاع عن اللغة العربية واحلالها محلها الملائم كلغة قومية حية منزلة متميزة ، ونادت باعتمادها اداة أساسية في التعليم والادارة وسائر المعاملات باعتبارها عنصراً أساسياً من عناصر الشخصية الوطنية والقومية . ورفضت « المباحث » الثنائية اللغوية التي فرضها وضع استعماري حملته مسؤ ولية تحريف النهضة التونسية والخروج بها عن مسارها القومي[10] . وقد استطاعت هذه المجلة أن تلتزم بمستوى جيد من العمق والتحليل في معالجتها لهذه القضايا . واذا لاحظنا أن عدداً مهماً من كتّاب المباحث من أمثال محمود المسعدي ، وعلي البلهوان ، ومصطفى الفيلالي ، والباهي الادغم . . . كانوا يمارسون نشاطات سياسية ويتحملون مسؤ وليات ضمن الحزب الحر الدستوري الجديد ، وأن بعضهم كان يمارس نشاطات نقابية قيادية كما هو الشأن بالنسبة لمحمود المسعدي ، ولاحظنا في الوقت نفسه أن عدداً مهماً من كتّاب « العالم الأدبي » كانوا على صلة بقيادات الحزب القديم ونشاطاته أمكن أن نفترض أن المجلتين تمثلان ، بصفة تلقائية او مقررة ، السند الفكري والايديولوجي لأهم التيارات السياسية والاجتماعية في البلاد قبل الاستقلال ، وأمكننا أيضاً أن نؤكد أن التعريب كان يمثل مطلباً شعبياً اجمعت على النضال من أجله والمطالبة بتحقيقه أهم القوى السياسية والاجتماعية في البلاد . ونلاحظ من ناحية اخرى أن أغلب كتّاب « المباحث » انما هم من ذوي التكوين الثقافي المزدوج ، وبعضهم من خريجي الجامعات الفرنسية ، وان أغلب كتّاب « العالم الأدبي » إنما هم من ذوي التكوين الثقافي الزيتوني الذي يعتمد على العربية وحدها . وبذلك يتضح مرة أخرى أن التعريب لم يكن مطلب فئة ثقافية معينة .

٢ ـ ارتبطت فكرة الحداثة والمعاصرة بالدعوة الى التعريب في هذه المرحلة . ولست أعلم أن تونسيا دعا الى التعريب ، قبل الحماية أو بعدها ، بمعنى الانغلاق والانزواء ورفض التفاعل مع التيارات الثقافية الانسانية . فقد ناضل دعاة التعريب في هذه الفترة من أجل اصلاح التعليم الزيتوني والخروج به من وضعه التقليدي الى وضع يستجيب لمتطلبات التطور والعصر . وكان ادراج العلوم الصحيحة واللغات الاجنبية واعتماد الاساليب التربوية المستحدثة من العناصر

(٩) ز . بن محمد ، في : العالم الادبي، السنة ٤ ، العدد ٦٣٩ (شباط / فبراير ١٩٣٤) ، ص ٤ .
(١٠) انظر مثلاً : المباحث (السلسلة الجديدة) ، العدد ٣٥ (شباط / فبراير ١٩٤٧) .

الاساسية للاصلاح المطلوب . كانوا اذن يطالبون بتعليم اللغات الاجنبية والاستفادة منها ، ولكنهم يرفضون احلالها محل اللغة القومية باعتمادها اداة اساسية للتعليم ، وهذا مفهومهم للتعريب . ومن يراجع اليوم مجلة « المباحث » مثلاً يلاحظ انها كانت تولي، تقريباً ، في اعدادها كافة ، اهمية بيّنة للانتاج الثقافي الاجنبي فتنشر نصوصاً اجنبية مترجمة في الآداب والعلوم والفنون ، وتعرف بكتّاب كبار ، وتتناول آراء بعضهم بالنقد والتحليل . وكانت عناية « المباحث » بهذا الجانب مواكبة لعنايتها بالتراث العربي الاسلامي وذلك يؤكد تمسكها بالمعاصرة والتفتح على الثقافات الاجنبية انطلاقاً من اللغة القومية .

٣ ـ أخذ التعريب في هذه المرحلة طابع مطلب وطني مرتبط بالاستقلال والحرية ، مناهض للتبعية والاحتواء والاندماج ، مؤكد للتميز والخصوصية بالنسبة الى المستعمر ، مدافع عن الهوية الثقافية والقومية . وكثيراً ما تستعمل في المقالات المخصصة للقضية اللغوية عبارات من قبيل « الاستقلال التربوي » ، و « اللغة وطن عقلي » ، و « اللغة رابطة قومية » ، و « الزيغ عن الذاتية » ، و « هذا الشعب العربي المسالم . . . » .

وإذا كان الانتماء الوطني التونسي وارداً بصفة واضحة في عدد من المقالات التي تعالج القضية اللغوية فإن هذا الانتماء يقوم أساساً على العروبة والاسلام دون تمييز واضح بين هذين الجانبين . وهكذا يتضح أن البعد الوطني ، والبعد القومي ، والبعد الاسلامي ، كانت جميعاً عوامل متضافرة لدعم مطلب التعريب . وقد نادى بعض الكتّاب في هذه المرحلة بوحدة الثقافة العربية : « . . . هذا ولا حرج علينا اذا قلنا ان البلاد التونسية قطر عربي مسلم عليه أن يطمح الى الضرب بسهم في الوحدة الثقافية العربية . . . »(١١) .

على هذا النحو كانت تطرح قضية التعريب في عهد الحماية الفرنسية ، وبخاصة قبيل استقلال البلاد . وينبغي أن نذكّر في هذا المجال بأن هذه القوى الوطنية ، وإن لم تستطع فرض المنزلة الطبيعية المأمونة للغة القومية في عهد الحماية فقد استطاعت تونس أن تتمسك بالعربية وتحافظ عليها في أكثر من موقع . ويكفي هنا أن نشير الى المحافظة على التعليم الزيتوني المعرّب وتطويره النسبي في اتجاه المعاصرة وتوسيعه بجهود شعبية وطنية(١٢) ، أو تغذية تعليمه التقليدي بدروس علمية بالعربية كانت تقدمها المدرسة الخلدونية(١٣) . كما نشير الى ظهور الشعبة العصرية في التعليم الزيتوني ، واعداد كتب مدرسية في مختلف المواد العلمية باللغة العربية ، ودعم منزلة العربية نسبياً في المدارس الابتدائية الفرنسية العربية وظهور المدارس القرآنية العصرية . وظلت العربية في زمن الحماية اللغة الوحيدة للتأليف والابداع الفني والادبي

---

(١١) انظر : المباحث (السلسلة الجديدة) ، (نيسان / ابريل ١٩٤٥) .

(١٢) بلغ عدد الطلبة الزيتونيين في الفترة ما بين الحربين حوالى ثلاثة امثال التلاميذ المتسبين الى مدارس التعليم الرسمية . انظر :

Abd al-Mawla, *L'Université zaytounienne et la société tunisienne*, p. 141.

(١٣) أسست الجمعية الخلدونية سنة ١٨٩٧ وقد نشطت حتى سنة ١٩٥٨ .

بتونس ، كما اضطلعت بدور مهم في مستوى الاعلام والصحافة . لكن كل هذه المكاسب بقيت جزئية ولم تحقق مشروع التعريب كاملاً كما نادت به القوى الوطنية الحية في البلاد .

ثانياً : التعريب منذ الاستقلال

كان الوضع اللغوي اجمالاً على هذه الحال عندما استقلت تونس سنة ١٩٥٦ وبدأت تجربة التعريب في تونس المستقلة . ويتبيّن المتتبع لهذه التجربة انها مرت ، منذ الاستقلال وحتى اليوم ، بأربعة اطوار رئيسية سنحاول في الصفحات المتتالية ابراز ملامحها الأساسية بصفة مختصرة لا تطمح الى التأريخ المفصل لهذه التجربة المهمة .

١ ـ مرحلة التخطيط الحاسم للتعريب

حظي قطاع التربية والتعليم بعناية مؤكدة غداة استقلال تونس ، ورتب اصلاح التعليم والتخطيط لمستقبله في مقدمة الأولويات التي استأثرت بالاهتمام وسخرت لها الجهود والامكانات . وفي سنة ١٩٥٨ ، أي بعد سنتين فقط من تاريخ الاستقلال ، كان قد وضع مشروع متكامل مدروس لاصلاح التعليم والتربية ، كما وضع مخطط مرقم مفصل لهذا الاصلاح على امتداد عشر سنوات . وقد استند مشروع الاصلاح الى ثلاثة اختيارات أساسية هي : توحيد التعليم ، واعطاؤه طابعاً وطنياً من حيث لغته ومضمونه ومناهجه ، وعصرنته بحيث يتلاءم مع الواقع ، ويستجيب للحاجات الوطنية ويساير التطور ، ونشره وتعميمه على أوسع نطاق مستطاع(١٤) . ولم يكن التعريب محل جدل او تردد في هذا **المشروع الثوري للاصلاح الذي نظر الى انزال العربية منزلتها الطبيعية كلغة قومية وأداة أساسية للتربية والتثقيف على أنه** عنصر أساسي لاستقلال التعليم التونسي ، وجزء من ممارسة السيادة واستعادة الذات الوطنية بعد الاستقلال(١٥) .

على المستوى العملي قرر المشروع تعريباً كاملاً فورياً للسنتين الاولى والثانية من التعليم الابتدائي ، على أن تكون للعربية المكانة الأولى في السنوات الأربع المتبقية . كما قرر توحيد التعليم الثانوي بالغاء التعليم الزيتوني التقليدي المعرّب بصفة كاملة ، واعتماد العربية في هذا التعليم الموحد لغة اصلية للثقافة والتكوين ، تستعمل أداة لتدريس جميع المواد في شعبة (أ) القارة التي قررها المخطط أن تتسع شيئاً فشيئاً لتلغي بعد ذلك شعبة (ب) الانتقالية التي لم تزل الفرنسية تعتمد فيها اداة لتلقين اكثر المواد ، والتي حتمت الضرورة والنقص في الاطارات

---

(١٤) المخطط المشار اليه المنشور تحت عنوان : **انبعاثنا التربوي منذ الاستقلال** .

(١٥) انظر بهذا الخصوص خطاب الرئيس بورقيبة الذي القاه في المدرسة الصادقية بمناسبة اختتام السنة الدراسية في ٢٥ / ٦ / ١٩٥٨ فقد تضمن اهم اهداف الاصلاح واساليبه .

المعربة استمرارها في مرحلة انتقالية الى حين[١٦] . أما شعبة (ج) المفرنسة فقد وصفت بأنها شعبة مؤقتة ومآلها الزوال تدريجياً . وقرر المشروع أن يقع الاعتماد بصفة أساسية في تكوين الاطارات التربوية القادرة على انجاز مشروع التعريب بالاعتماد على كليات الجامعة التونسية الناشئة وعلى مدرسة ترشيح الاساتذة المساعدين التي أحدثت لدعم الاطار التربوي التونسي في مستوى التعليم الاعدادي والثانوي .

هذه اهم الملامح الرئيسية لمشروع التعريب ضمن مخطط اصلاح التعليم التونسي الذي أعد غداة استقلال تونس سنة ١٩٥٨ . وواكبت هذا المشروع عملياً انجازات اخرى لفائدة التعريب في مستوى الادارة فعربت بعض المصالح الادارية بصفة جزئية او كلية : عربت وزارة الداخلية المصالح التابعة لها كافة بصفة جريئة وحاسمة ونهائية ، وأسست وزارة الدفاع والجيش الوطني على أساس معرب منذ البداية . . . وعربت وزارة التربية القومية بصفة جزئية . . . اما المؤسسات والوزارات ذات الطابع الفني والمالي ، مثل البريد والمواصلات والفلاحة والاقتصاد والمال ، فقد ظلت لغة العمل فيها هي الفرنسية .

أما في المجال التربوي فقد بدىء فعلاً في تنفيذ المشروع الجزئي الذي أشرت الى أهم ملامحه ، فأوقف قبول تلامذة للتعليم الثانوي الزيتوني ، وأنشئت شعبة (أ) المعربة بصفة كاملة التي تدرس فيها الفرنسية كلغة حية لا كأداة لتدريس سائر المواد ، كما تدرس فيها لغة حية ثانية هي غالباً الانكليزية ، واستمر توجيه نسبة من التلاميذ الى شعبة (ب) الانتقالية على اعتبار أن ذلك حل مؤقت في انتظار توفير الاطارات المعربة القادرة على انجاز المشروع بصفة كاملة . وفتحت مدرسة تكوين الاساتذة المساعدين أبوابها لدعم الاطار التربوي التونسي ، وخصصت المنح الدراسية لطلبة بكليات الجامعة التونسية الناشئة لاعدادهم للتعليم ، وارسلت بعثات من خريجي الشعبة العصرية والشعبة العلمية بالتعليم الزيتوني الى عدد من جامعات المشرق العربي ليتخرجوا في اختصاصات علمية وأدبية ويدعموا الاطار التربوي المعرب في تونس .

وهكذا بدأ تنفيذ التعريب بصفة جادة مخططة حازمة ، ولكن هذه التجربة الطريفة الجريئة لم يكتب لها أن تعمر طويلاً اذ تعرضت بعد سنوات قليلة الى الانتكاس ، ودخلت تجربة التعريب في تونس مرحلة اخرى مغايرة ، وربما مناقضة ، سنحاول ابراز ملامحها الاساسية .

٢ ـ مرحلة الانتكاس

ينحصر الاطار الزمني لهذه المرحلة في الستينات . وقبل أن نناقش أسباب الانتكاس ونتائجه وظروفه نحاول أن نعرض باختصار أهم الاجراءات العملية التي جسمته ، والتي تم بموجبها تعطيل تجربة التعريب والانحراف عن الاتجاه الثوري الجاد لتعريب التعليم الذي قرره المخطط العشري لاصلاح سنة ١٩٥٨ .

---

(١٦) انظر : انبعاثنا التربوي منذ الاستقلال، ص ٣٢ .

تضاءلت الشعبة القارة المعربة (أ) من التعليم الثانوي شيئاً فشيئاً بعد أن كان من المقرر أن تتسع تدريجاً لتستوعب تلاميذ هذه المرحلة كافة ، والغيت نهائياً في مطلع السنة الدراسية (١٩٦٧ - ١٩٦٨) . واصبحت شعبة (ب) الانتقالية هي الشعبة القارة عملياً . وقد كان لالغاء هذه الشعبة نتائج سيئة على التلاميذ الذين سبق لهم أن وجهوا اليها ، فقد اقتضى الاختيار الجديد إبعادهم عن الاختصاصات العلمية التي لا يعتمد في تدريسها على العربية في مستوى التعليم العالي بالجامعة التونسية ، ووجه اغلبهم ، مهما كانت مواهبهم واتجاهاتهم ، الى شعبة ترشيح المعلمين التي لا تفضي الى التعليم العالي او الى الاختصاص في الآداب العربية ، وقد وجدوا صعوبات في متابعة هذا الاختصاص ايضاً وواجهوا وضعاً نفسانياً وتربوياً غير مريح[١٧] . أما الاساتذة الذين كانوا يدرسون العلوم بهذه الشعبة المعربة ، والذين كانوا في أغلبهم من مدرسي العلوم في التعليم الزيتوني المنتهي، ومن خريجي جامعات عربية أعدوا لتدريس العلوم بالعربية ، فقد كلف من يستطيع منهم تدريس العلوم بالفرنسيةوتولى البعض الآخر مهام ادارية بعيدة عن ممارسة التعليم ، وأرسل آخرون في بعثات تربوية الى بعض الأقطار الشقيقة . . .

ألغي التعريب الكامل للسنتين الأولى والثانية من التعليم الابتدائي سنة ١٩٦٨ ووقع الرجوع الى تعليم اللغة الفرنسية ابتداء من السنة الأولى من التعليم الابتدائي ، علماً بأن ساعات التعليم التي تعتمد فيها العربية تمثل بالنسبة لسائر السنوات ٥٩,٣ بالمائة في السنة الثالثة، و٣٩ بالمائة في السنوات الرابعة والخامسة والسادسة[١٨] . على أن تعليم الفرنسية بالسنتين الاولى والثانية لم يستمر طويلاً ، وسنتبيّن ذلك في قسم لاحق من هذه المحاولة . وتضاءل حظ العربية بمدارس ترشيح المعلمين ، ابتداء من السنة الدراسية (١٩٦٤ - ١٩٦٥) . فقد كانوا قبل هذا التاريخ يتلقون تكويناً مزدوجاً نصيب المواد الناطقة بالعربية فيه مقارب للنصف ، فاصبحوا يتلقون في معظمهم تكويناً عربياً نسبته ١,٥ من ١٢ والمعلمون المتربصون من ذوي اللغتين يتلقون تكويناً تطبيقياً كله بالفرنسية وتكويناً نظرياً نسبة العربية فيه ١,٥ على ٩[١٩] .

ويتجسم هذا التحول الى اتجاه مضاد للتعريب في مدارس ترشيح المعلمين في اعتماد الفرنسية لغة لتدريس مواد كانت تدرس باللغة العربية مثل التاريخ والتربية وعلم نفس الطفل .

---

(١٧) انظر بهذا الخصوص : المنجي الشملي ، « رأي في مستقبل اللغة العربية بتونس ،» **الفكر**، السنة ١٦ ، العدد ٢ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠) ، ص ٤ - ٨ .

(١٨) انظر بهذا الخصوص : نور الدين سريب ، في:

Université d'Aix-Marseille et Centre de recherches et d'études sur les société mediterranénne, *L'Unité magrébine, dimensions et perspecitves* (Paris:Centre national de la recherche scientifique, 1972).

(١٩) انظر : محمد الناصف ، « حول التونسة والتعريب او اضعف الايمان ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٧ (نيسان / ابريل ١٩٧١)، ص٨٠ .

وقد كان بعضها يدرس بالعربية منذ عهد الحماية[٢٠] ومعلوم أن المعلمين الذين يقع تكوينهم بهذه المدارس إنما يقع اعدادهم ليكونوا اطارات تربوية بالمدارس الابتدائية .

هذه اهم مظاهر الانتكاس التي تعرضت لها تجربة التعريب في تونس بدءاً من أواسط الستينات ، والتي بلغت ذروتها حوالى ١٩٦٨ . وقد أدت ، في جملتها ، الى تضاؤ ل دور اللغة العربية كأداة للتدريس والتبليغ التربوي ، والى عزلها بصفة كاملة عن اداء العلوم الصحيحة والرياضية ، وتقليص دورها في اداء العلوم الانسانية بصفة تدريجية كلما تقدمت سنوات الدراسة وتنامى النضج الفكري لدى التلميذ ، الأمر الذي يعطي انطباعاً أولياً بأنها لا تستطيع أن تضطلع حتى بأداء علوم انسانية كالتاريخ مثلاً ، الا في مراحل أولى من التعليم ، وعلى التلميذ اذا هو جاوز السنة الثالثة من التعليم الثانوي أن يعتمد في دراسته لغة أقدر على مسايرة نضجه الفكري ليدرس بها التاريخ والجغرافية والفلسفة . فإذا لاحظنا هذا ، ولاحظنا محدودية اعتماد العربية كلغة في المستوى العملي الاداري والاقتصادي أمكن أن نتصور موقف التلاميذ انفسهم من لغتهم القومية ، التي هي عملياً بالنسبة اليهم لغة أدب وتربية دينية ووطنية[٢١] .

لقد كان لهذا الانتكاس في تجربة التعريب ، وربما لأسباب اخرى، نتائج جد خطيرة على المستوى الذهني والثقافي لدى التلاميذ والطلبة وعلى اتجاهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الايديولوجية والقومية . ولقد أبرزت دراسة ميدانية قامت بها باحثة ضمن نشاطات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية عن مظاهر الازدواجية اللغوية في تونس نتائج مريعة في هذا الباب[٢٢] . واقتطف من هذه الدراسة فقرات ذات صلة مباشرة بالقضية اللغوية : « من الغريب أن نجد ٣٢,٩ بالمائة من التلاميذ الذين سئلوا يؤكدون انهم ، اذا ما انفعلوا أو غضبوا ينطقون بعبارات فرنسية . . . بينما يرى علماء النفس أن المرء اذا انساق الى عواطفه البدائية لجأ الى التعبير بلغته الأم » .

« عندما يكون الدرس بالعربية الفصحى تصبح نسبة التلاميذ الذين يستعينون بالفرنسية للفهم ارفع » .

« لقد استغربنا ان يكون ٧٢ بالمائة من التلاميذ يجدون صعوبات في الحديث بالعربية الفصحى ، بينما لا يجد صعوبات في الحديث بالفرنسية الا ٥٠ بالمائة فقط ،وفي ما يخص الكتابة فإن ٣٧ بالمائة يجدون صعوبة في الكتابة بالفرنسية بينما نسبة الكتابة بالعربية تصل الى ٦٠ بالمائة[٢٣] ؛ « يرفض بعض تلاميذ السنة الخامسة من التعليم الثانوي اللغة

---

(٢٠) انظر : محمد مزالي ، « في التونسة والتعريب ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٧ (نيسان / ابريل ١٩٧١) ، ص ٢٥ .

(٢١) انظر بهذا الخصوص : « العربية وتلامذة السنة الرابعة من التعليم الثانوي ؛» النشرة التربوية ، العدد ٢٣ (١٩٦٥) ، ص ٢٩ (مقتطفات) .

(٢٢) زهرة الرياحي ، « لغة تلاميذ التعليم الثانوي ،» في :
«Quelques aspects du bilinguisme en Tunisie,» Cahiers de C.E.R.E.S, Série linguistique, no. 3, Centre d'études et de recherches économiques et sociales, Tunisie, Novembre 1970.

(٢٣) عرض البشير بن سلامة هذه النتائج وترجم بعضها وحللها وعلق عليها . انظر : البشير بن سلامة ، « ازمة التربية القومية أزمة قيم لا ازمة تنمية ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ١٥ (شباط / فبراير ١٩٧١) ، ص ٨ وما بعدها .

العربية الفصحى متعللين ، بأنها لغة ميتة » ؛ « كلما تقدم التلاميذ في تعلمهم ، زاد حبهم للفرنسية، ٧٩,٤ بالمائة من الفتيات و ٨٤,٣ بالمائة من الشبان يختارون القراءة بالفرنسية»[٢٤] .

هذه مقتطفات من النتائج المريعة لهذه الدراسة المنذرة بالخطر . ولم تخف الباحثة نفسها استغرابها من هذه النتائج الى درجة الشك في صحتها اذ قالت : « إن مثل هذه الملاحظات تحثنا على التدبر اذ لو قدر لها أن تكون صحيحة فإنها تكون خطيرة لأنها تؤدي ، نتيجة لانتشار التعليم ، الى تقلص العربية امام الفرنسية » .

ومهما يكن من أمر فقد كانت نتائج الانتكاس في تجربة التعريب التونسية الجريئة التي خطط لها سنة ١٩٥٨ خطيرة على المستوى التربوي والفكري وربما على مستوى الانتماء الوطني ايضاً . لكن ما هي الاسباب التي دفعت الى انتكاس التجربة بهذه الصورة ، والى تضاؤل دور اللغة العربية كلغة قومية على هذا النحو؟ . إن الاجابة على هذا السؤال الخطر في الوقت الحاضر، ونحن على مقربة من التجربة ، لا يمكن أن تكون الا في صورة جملة من الآراء والافتراضات البعيدة عن الجزم القاطع ، القابلة للنقاش واعادة النظر . لذلك اكتفي هنا بالاشارة الى جملة من الظروف والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتربوية والفنية التي عايشت التجربة في هذه المرحلة ، عسى أن نجد فيها ما يعلل الانتكاس . وأجملها في النقاط التالية :

أ ـ واكب تجربة التعريب في المرحلة المشار اليها على المستوى السياسي ، توتر شديد في العلاقات الرسمية التونسية المصرية ، كان له اثره السلبي على علاقات تونس بأكثر من قطر عربي وخاصة بأقطار المشرق العربي ، وفي فترة كان للاتجاه الوحدوي الناصري فيها امتداد الى اكثر من بلد عربي . ولا تهمنا هنا أسباب هذه الخلافات ونتائجها ، انما يهمنا أن نتساءل عما اذا كان لها اثرها السلبي على تجربة التعريب في تونس وقد يكون لها اثرها الفعلي من اكثر من وجه .

وقد لا يقتصر الأمر على الجوانب الظاهرة والمتجسمة في ضعف التبادل الثقافي بين تونس وهذه الاقطار ، وتعذر تبادل التجارب التربوية بينها بصفة مجدية ، وتضاؤل البعثات التعليمية التونسية التي كانت توجه في المراحل الاولى للتجربة وخصوصاً في سنوات ١٩٥٩ و ١٩٦٠ الى جامعات بالمشرق العربي لدعم الاستعداد لانجاح التجربة بتكوين اطارات تربوية تونسية قادرة على تدريس مواد متعددة باللغة العربية ، وصعوبة تبادل الكتب وسائر المنشورات بين تونس وهذه الاقطار ، وصعوبة الاستفادة من كفايات عربية غير تونسية لدعم الاطار التربوي في تونس ، بل قد يجاوز الأمر كل هذا الى ما هو اخطر وأهم ، وربما وصل عند البعض الى مراجعة الانتماء العربي لتونس على المستوى المستقبلي والى العمل الفعلي لبناء تونس الحديثة العصرية المتطورة بمعزل عن المعطيات والارتباطات العربية كافة .

---

(٢٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ١١ .

وفي هذا الاطار من التفكير والاتجاه تصبح العربية في منزلة ثانوية ، وتصبح آثار الثقافة الفرنسية الحاضرة في الواقع التونسي وجهاً من وجوه الخصوصية والتميّز ازاء عرب آخرين ، قابلاً ، نظرياً على الأقل ، لأن يندرج ضمن فكرة التونسة ، ولا يقوّم بالضرورة على أنه سلبي . وفي هذا المناخ المتوتر في العلاقات التونسية العربية ، يصبح من السهل تحويل أي موقف قومي من قضية التعريب الى موقف سياسي مناهض . والتعريب أحببنا أم كرهنا قضية لها بعدها القومي . وهذا ما يعقّد مهمة المؤمنين بالتعريب المناضلين من أجله ، ويحرجهم ويحول دون ادائهم رسالتهم في هذا المضمار على الوجه الاكمل في ظروف مقبولة ، ويوفر الظروف الملائمة لانتعاش الاتجاهات المضادة . ومهما يكن من أمر فإن تجربة التعريب لم تكن الضحية الأولى ولا الأخيرة من ضحايا الخلافات السياسية العربية .

ب ـ تضمّن مخطط ١٩٥٨ اتجاهاً واضحاً الى المعاصرة أو عصرنة النظام التربوي . وترجم هذا الاتجاه في المخطط بدعم منزلة العلوم الحديثة في البرامج[٢٥] الفرنسية ، وبالحرص على تعليم لغة اجنبية بصفة مركزة لتكون نافذة للانفتاح على ثقافات أجنبية . لكن النافذة هذه سرعان ما تحولت الى باب رئيسي في ظل تغير للمفاهيم يقوم على تحول جذري في النظرة الى اللغة الفرنسية لدى البعض، من لغة المستعمر السابق، بكل ما يحمل ذلك من ايحاءات الهيمنة والغطرسة الاستعمارية، الى لغة المتعاون الرئيسي في المجالات التربوية والاقتصادية والفنية ، بل الى لغة المدنية والمعاصرة والتحرر من التقاليد المحلية البالية. وقد أعان على ترسيخ هذه النظرة ، وروج لها بعض المستشرقين الفرنسيين . وسنتبين ذلك في مرحلة لاحقة من هذه الدراسة .

المهم هنا أن هذه النظرة التي حملها البعض ، ومنهم من لم يكن بعيداً عن مراكز النفوذ والسلطة ، قد حدّت من تأكد « استقلال التعليم » الذي كان مطلباً وطنياً ومحل اجماع شعبي . ولم يعد هذا التوجه من الاستقلال ، في نظر البعض ، يتضمن بالضرورة استعادة المكانة الطبيعية للغة القومية في النظام التربوي الجديد . وهكذا اصبح التعريب ، حسب هذا الاتجاه ، مطلباً ثانوياً لا يحظى بما يحظى به مثلاً مطلب استعادة الاراضي المغتصبة من ايدي المعمرين الأجانب، وتحقيق الجلاء التام للجيش الفرنسي من البلاد الذي اقتضى حرباً حقيقية مع فرنسا سنة ١٩٦١ .

ج ـ واكب هذه المرحلة من تجربة التعريب في تونس وضع اقتصادي تميّز ببروز تجربة التعاضد الاشتراكي في القطاعات الاقتصادية كافة (الفلاحة ـ التجارة ـ الصناعة ـ السياحة . . .) . وقد مثل الاعلام بكل وسائله ذات التأثير البالغ دوراً مهماً في تركيز الاهتمام على الدعاية لمشروع النظام الاقتصادي التعاضدي ، والى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ورتبت قضايا الثقافة والسياسة الثقافية في منزلة ثانوية . وإذا كانت لجان الدراسات الاشتراكية

---

(٢٥) البرامج في تونس تعني ما يسمى بالمناهج في المشرق العربي .

التابعة للحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم قد فتحت مجالاً خصباً لمناقشة قضايا سياسية واقتصادية ومذهبية ، فإنها لم تفتح ملف الثقافة الا في المدة الاخيرة من عمر التجربة الاشتراكية التعاضدية التونسية . اما وزارة الشؤون الثقافية التي أسست سنة ١٩٦١ ، فقد ركزت اهتمامها على صيانة الآثار واحياء التراث الشعبي والفنون الشعبية وتنشيط الحياة الثقافية ورعاية الانتاج الثقافي التونسي الناشىء . . ولم تثر قضية السياسة الثقافية ، ومشكل اللغة القومية وجهاً من وجوهها ، بصفة جدية ، الا في لجان القطاعات الثقافية التي التأمت في صيف ١٩٧١ .

والذي أريد أن أشير اليه كاحتمال ممكن التأثير في تجربة التعريب هو أن الانصراف الكلي الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، في غياب سياسة ثقافية قومية واضحة ، جعل المسألة اللغوية في درجة ثانوية من اهتمامات المجتمع . والمهم ، ضمن هذا الاسلوب من التفكير المركز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ليس اختيار اللغة التي ينبغي أن تعتمد اداة للتربية والثقافة والعمل ، أو دور اللغة القومية ودور اللغة الاجنبية ، انما المهم هو انجاز التنمية من اجل « اللحاق بركب الحضارة»(٢٦) . ومن الواضح أن هذه النظرة تقوم على تعريف تبسيطي للغة يجعلها مجرد وعاء للمعرفة قابل للاستبدال ، وتفضي الى فصل التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن البعد الثقافي للمجتمع الذي ينجزها . وسنتعرض الى هذه القضية في قسم لاحق من هذه المحاولة .

د ـ نبه مشروع اصلاح التعليم سنة ١٩٥٨ الى مشكل الاطار التربوي الذي سيضطلع بمهمة نشر التعليم وتعميمه على اوسع نطاق واعطائه الطابع الوطني بتعريبه . وقرر المخطط أن يقع العمل على اعداد اطارات تونسية بالدرجة الاولى للاضطلاع بهذه المهمة بالاعتماد على مدرسة الاساتذة المساعدين ، وعلى كليات الجامعة التونسية الناشئة اذاك ، وعلى البعثات التي توجه الى جامعات عربية . غير أن ما حصل فعلاً ، هو أن برنامج الاصلاح ، بما فيه اختيار التعريب ، قد واجه مشكلاً حاداً في هذا المجال . ذلك أن الاطارات التي تخرجت بعد سنوات قليلة من الجامعة التونسية ومن مدرسة الاساتذة المساعدين ، على الرغم من تكوينها اللغوي المزدوج ، لم يقع اعدادها على نحو يسمح لها بتدريس المواد كافة باللغة العربية ، دون حاجة الى تكوين اضافي . . والأهم من ذلك هو أن هذه الاطارات لم تكن كافية ، من حيث عددها ، لمواجهة الحاجات المتزايدة للمدارس الاعدادية والثانوية والابتدائية التي انتشرت في هذه المرحلة فوصلت الى التجمعات السكنية كافة ، وحتى الى الارياف والبوادي بسرعة مذهلة لا نعلم لها مثيلاً في سائر التجارب التربوية العربية .

لقد حسم هذا الوضع اختياراً وطنياً أعطى تعميم التعليم ونشره المرتبة الأولى من

---

(٢٦) اورد على سبيل المثال فقرة من خطاب للسيد الهادي نويرة في المؤتمر العاشر للحزب اكد فيها هذه النظرة اذ قال : « ولذا ، وكي نتمكن من اللحاق بالقافلة يتعين علينا الارتواء من مصادر ثقافية اخرى ومن حضارات مغايرة بدلاً من الاكتفاء بارتياد المعارف عن طريق الترجمة . . وهكذا تصير اللغة التي هي اداة لنقل المعرفة ثانوية ، بل وبالاحرى مشكلة مزعومة » ، الصباح ، ٦ / ٩ / ١٩٧٩ .

الاهتمام ، فاستجاب الى تعطش المجتمع التونسي الى تعليم ابنائه وبناته كافة ، ووضع حداً للأمية الشائعة والجهل المتفشي . . ولكنه جاوز، في الوقت نفسه ، الامكانات التونسية البحتة من حيث الاطارات التربوية ، فاقتضى الاعتماد على مربين من الخارج . وقد وقع الاعتماد في سد هذه الحاجات على معاونين أجانب فرنسيين في اغلبهم ، تزايد عددهم بسرعة ليمثلوا عملياً نسبة مهمة من الاطار التربوي التونسي وبخاصة في مستوى التعليم الثانوي فأصبحوا يمثلون بين سنتي ١٩٦٥ و ١٩٧٠ نسبة تراوح بين ٣٧ بالمائة و ٤٠ بالمائة من مجموع الاطار ، وفي التعليم العالي يمثلون بين سنتي ١٩٦٢ و ١٩٧١ نسبة تراوح بين ٤٥ بالمائة و ٤٧ بالمائة من مجموع المربين في التعليم العالي[٢٧] .

هؤلاء المعاونون الفرنسيون كان لهم دور ايجابي في نشر التعليم بتونس ، ولكن كان لهم دور سلبي واضح في تجربة التعريب . ذلك أن حضورهم بهذه النسب المرتفعة عزز منزلة اللغة الفرنسية على حساب اللغة القومية ، وفرض على نحو عملي ، اعتماد الفرنسية لغة كثير من مجالات العمل والادارة بالمدارس الثانوية والكليات ، وحال دون التفكير بصفة جدية في تحقيق مشروع شامل للتعريب . ولقد كان هؤلاء المعاونون الفرنسيون ، في أغلبهم على ـ الأقل ـ يروجون باسم التقدم والمدنية ، آراء تمتهن الثقافة الوطنية واللغة القومية ، وتناهض التعريب بشكل واضح . فهو في نظرهم « ضرب من ضروب مناهضة الغرب والتعصب للعروبة ، وهو رجوع للوراء وسبب من اسباب التأخر »[٢٨] . وروّج المعاونون ايضاً ادعاء الكونية للثقافة الفرنسية . وربما كان كثيرون منهم يحملون ، رغم جميع مظاهر التقدمية ، آراء شبيهة بما صرح به السيد Fouchet الذي كان وزيراً للتربية في فرنسا لمجلة Paris Match إذ قال : « لقد خسرنا امبراطورية استعمارية ، فيجب أن نتدارك ذلك بتشييد صرح امبراطورية ثقافية »[٢٩] . بهذه الصورة افترض أن يكون للمعاونين الفرنسيين اثرهم في انتكاس تجربة التعريب في تونس .

هـ ـ عندما انحسرت شعبة (أ) المعربة شيئاً فشيئاً على عكس ما كان مقدراً لها في مخطط اصلاح التعليم ، واتسعت شعبة (ب) المزدوجة اللغة نتيجة لانتشار التعليم والاسباب التي أشرت اليها تبيّن أن هدفاً مهماً من أهداف الاصلاح قد وقع الاخلال به ، وهو « توحيد التعليم » . فقد اصبح التعليم الثانوي متضمناً لشعبتين متغايرتين ، احداهما شبيهة جداً

---

(٢٧) انظر بهذا الخصوص احصائيات اكثر تفصيلاً في : محمد مزالي ، « الالتباس الكبير او ما ابعد بين الكأس والشفاه ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٥ (شباط / فبراير ١٩٧١)، ص ٢ ـ ٣ ؛ ابن سلامة ، « لماذا التعريب ،» ص ٧٠ ، ومحمد المنجي الصيادي ، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠)، ص ١٤٠ ـ ١٤٩ .

(٢٨) انظر بهذا الخصوص : مزالي ، « الالتباس الكبير او ما ابعد بين الكأس والشفاه،» ص ١ ـ ٧ ، الذي حلل فيه كاتبه وعلق بكثير من الدقة والعمق على آراء المعاونين كما وردت في :

Esprit, vol. 38, no. 7 / 8 (Juillet - Août 1970).

التي خصصت لهذا الموضوع .

(٢٩) مزالي ، المصدر نفسه ، ص ٧ .

بالتعليم العصري الزيتوني الذي تمّ الغاؤه ، وتعتمد في اطاراتها التربوية على اساتذة هم في اغلبهم ممن كانوا يدرسون بالتعليم الزيتوني العصري او خريجين شبانا من جامعات عربية مشرقية ؛ والثانية شبيهة من حيث وضعها اللغوي على الأقل بالتعليم المزدوج اللغة السابق للاستقلال . فإذا لاحظنا ان مراكز النفوذ الاداري والجامعي انما هي بيد خريجي التعليم المزدوج ، وان مهاترات المفاضلة بين الزيتونيين والمدرسيين لم تزل آثارها ماثلة لدى البعض ، أمكن أن نتصور سهولة الانسياق الى التضحية بالشعبة المعربة لفائدة توحيد التعليم . على أنه من الموضوعية ان نلاحظ أن مثل هذا الاحتمال لا يصح بالنسبة للكثيرين من خريجي تعليم اللغة المزدوجة من يحملون مبادىء اصلب من أن تخضع لمثل هذه الاعتبارات الجزئية الفئوية . وسنرى بعضهم في مرحلة مقبلة يتبنون المناداة بتعريب التعليم ويناضلون من أجله .

هذه اذن جملة من المعطيات والظروف نفترض أن يكون لها اثرها في انتكاس تجربة التعريب في مرحلتها الاولى. وهي كما أشرت ، لا تأخذ طابع اليقين والجزم . ومهما تكن الاسباب فقد مرت التجربة بانتكاس واضح ابرزت اهم مظاهره ونتائجه في فقرات سابقة ، لتعيش بعد ذلك مرحلة جديدة اصبح فيها التعريب قضية فكرية .

٣ ـ مرحلة التعريب قضية فكرية أساسية

لم تخل الدوريات التونسية ، منذ بدء التجربة ، من مقالات تظهر من حين لآخر لتثير مسألة التعريب وتعالج جوانب أساسية او جزئية منها ، وتعبر عن مواقف من المشروع . . . لكن مسألة التعريب في تونس اصبحت ابتداء من سنة ١٩٦٩ قضية مركزية تحظى باهتمام مكثف على المستوى الفكري وتعالج في النطاق الاجتماعي والسياسي بصفة ملحة . وظهرت في هذه الفترة ، وخصوصاً في سنوات ٧٠ و٧١ و٧٢ مقالات غزيرة في الموضوع بالصحف والمجلات التونسية الصادرة بالعربية وبالفرنسية كافة . ويلاحظ المتتبع لهذه المقالات ان جريدة « الصباح » اليومية السياسية ، ومجلة « الفكر » الثقافية الشهرية ، هما اهم الدوريات التونسية التي ركزت الاهتمام على هذه القضية . وقد اصدرت « الفكر » عدداً خاصاً عن التعريب في نيسان / ابريل ١٩٧١ . اما على المستوى الاجتماعي والسياسي فقد ظهرت لوائح وتوصيات بهذا الخصوص صادرة عن منظمات نقابية وبخاصة عن نقابات التعليم ، واحتل التعريب حيزاً مهماً من اهتمامات مؤتمرات نقابة التعليم الثانوي مثلاً ، كما اثيرت القضية في مداولات مجلس الامة في اكثر من مناسبة[٣٠] ونوقشت في خطب سياسية[٣١] .

ونظم اتحاد الطلبة التونسيين اسبوعاً للتعريب بتونس كان من المقرر أن تقدم فيه جملة من

(٣٠) على سبيل المثال ، مداولات مجلس الامة في ٢٦ / ١١ / ١٩٧٠ ضمن مناقشة الميزانية .
(٣١) على سبيل المثال ، خطاب السيد الهادي نويرة ، الوزير الاول، في اطارات ولاية قابس يوم ١٩ / ٢ / ١٩٧١ .

الدراسات والمحاضرات في هذا الموضوع من ٢٣ الى ٢٦ شباط / فبراير ١٩٧١ ، لكنه لم يدم الا يوماً واحداً ثم أجل . وهكذا دخلت مسألة التعريب مرحلة جديدة اصبحت فيها قضية فكرية واجتماعية مركزية ومجالاً ثرياً سخناً للجدل والنقاش واتخاذ المواقف . ولعل أول ما يتبادر الى الذهن من الاسئلة بخصوص هذه المرحلة هو : لماذا دخلت تجربة التعريب في تونس هذا الطور ، فأصبحت قضية فكرية مركزية في هذه الفترة بالذات ؟ وسأكتفي لتعليل هذه الظاهرة بالاشارة الى جملة من الافتراضات تتلخص في النقاط التالية :

أ ـ عاشت تونس سنة ١٩٦٩ على المستوى السياسي والاقتصادي الرسمي فترة عرفت بـ « وقفة التأمل » مارست فيها نقداً ذاتياً صريحاً للسياسة الاقتصادية الوطنية ، وراجعت اختياراتها الاقتصادية بعد فشل تجربة التعاضد . وقد مارست وسائل الاعلام الرسمية وغير الرسمية هذا النقد لتبرز عوامل الفشل ومظاهره في سياسة التعاضد . وليس هذا موضع الحديث عن هذه التجربة الاقتصادية انما أشير الى أن مراجعة السياسة الاقتصادية ربما فتحت الباب لمراجعة السياسة الثقافية والتربوية ايضاً . فإذا كنا قد جاوزنا مرحلة القناعات الجازمة ، ودخلنا فترة تأمل ، ومارسنا النقد الذاتي لنراجع اختياراتنا الاقتصادية ، فلماذا لا نعيد النظر في اختياراتنا التربوية والثقافية ونفتح ملف التعريب من جديد ؟ يظهر أن انصار التعريب بالخصوص قد وجدوا في هذا الظرف المناخ المناسب لفتح الملف واثارة القضية بشكل اكثر جدية وأشد الحاحاً .

ب ـ في هذه الفترة بدأت انعكاسات المرحلة السابقة على تجربة اصلاح التعليم تظهر بجلاء لدى الطلبة وتلاميذ المعاهد الثانوية ، وكتب بشأنها بعض الدراسات الميدانية كانت بمثابة صيحات فزع اكدت اكثر فأكثر ضرورة مراجعة الاختيارات التربوية[٣٢] وأصبح البعض يكتبون عن « أزمة التربية القومية »[٣٣] . ربما كان هذا الوضع من الأسباب التي دفعت انصار التعريب الى اثارة القضية من جديد بجدية اكبر .

ج ـ تغيّرت العلاقات التونسية العربية في هذه الفترة باتجاه ايجابي ، واضطلعت تونس بدور أهم في مجال التضامن العربي ، ليس هذا موضع تحليله واستقصاء أسبابه ونتائجه . انما افترض أن يكون لهذا التحول أثره الايجابي على قضية التعريب وامكانات فتح ملفها من جديد .

ومهما يكن من أمر ، فقد اصبح التعريب في هذه الفترة قضية فكرية مركزية دارت بشأنها نقاشات مكثفة ساخنة احياناً وبخاصة في سنتي ١٩٧٠ و ١٩٧١ ، واتخذت بشأنها مواقف سنحاول ابراز ملامحها الرئيسية في الصفحات التالية دون دخول في تفاصيل لا يتسع لها المجال هنا . إن انصار التعريب، ودعاته المؤمنين به ، هم الذين اثاروا هذه القضية ودفعوا الى النقاش فيها والحوار بشأنها عندما توفر لهم المناخ الملائم لذلك كما سبق أن أشرت . ولقد اكدوا في أكثر من مقال على أن القضية ملحة ، ولم تعد تقبل الانتظار وانها ليست قضية حيوية فقط ، بل قضية

---

(٣٢) لعل من اهم هذه الدراسات دراسة : الرياحي ، « لغة تلاميذ التعليم الثانوي ، » .

(٣٣) انظر على سبيل المثال: ابن سلامة ، « ازمة التربية القومية ازمة قيم لا تنمية ، » ص ٨ .

مصيرية ، وموقف فاصل بين الكيان واللاكيان . . .[٣٤] وعرضوا فيما كتبوه في الموضوع جملة من المعطيات لدعم مطلب التعريب ، ويمكن أن نلخص اهمها في النقاط التالية :

ـ أكد مناصرو التعريب ضرورة مجاوزة التعريف التبسيطي للغة الذي يجعل منها مجرد أداة او وعاء للمعرفة قابل للتعويض والاستبدال ، وحللوا هذا المفهوم ليبينوا أنها « كائن حي له خصائصه وله عبقريته الذاتية ، ووطن عقلي له روحه وله مميزاته الطريفة . . . »[٣٥] وان لا سبيل الى الفصل بين اللغة وما تؤديه من المعاني ، وان استبدال اللغة يعني ، في هذا السياق ، وجهاً من وجوه التنكر للوطن واستبداله . . وان اللغة العربية قادرة على أن تضطلع بمهامها الحضارية والثقافية في الحاضر والمستقبل وأنها قابلة للتطور والنمو ومواكبة العصر واداء العلوم الصحيحة[٣٦] .

ـ اكد مناصرو التعريب ايضاً ان التعريب وجه من وجوه الاستقلال وتصفية الاستعمار يجب استكماله ، وطريق الى التقدم ، وخلق مجتمع متوازن لا يخضع لتبعية ثقافية ، وان لا مبرر للابقاء على امتيازات للغة المستعمر السابق بعدما انهيت الامتيازات التي منحت للأجانب منذ قرون في السلطنة العثمانية ، والتي كان منها تمييز اللغة الفرنسية على المستوى التربوي ، واعتمادها اداة ثقافية وحضارية[٣٧] .

ـ ربط كتاب تونسيون كثيرون التعريب « بالأصالة » ، على اعتبار أن اللغة عنصر أساسي من العناصر المكونة لشخصية الأمة ، وفي هذا السياق يصبح مطلب التعريب ، كما ذكر البعض « ولاء للذات القومية وارادة لحمايتها » من عوامل التحريف .

وفي هذا السياق ايضاً ظهر لدى البعض مفهوم التونسة ، اي تونسة التعليم واعطاؤه طابعاً وطنياً ، كعامل من العوامل المدعمة لمطلب التعريب المؤكدة لشرعية تحقيقه ، فكتبت مقالات كثيرة عن « التونسة والتعريب » . ويتضمن مفهوم « التونسة » لدى الذين كتبوا فيه ونادوا به من أنصار التعريب معنى المغايرة والتميّز والخصوصية بالنسبة الى الثقافة الاجنبية المهيمنة ، وبذلك يكون التعريب عنصراً أساسياً من العناصر المكونة له . لذلك حرص هؤلاء المفكرون على الربط بين التونسة والتعريب ، فاعلنوا أن التونسة « لا تعني الانفصال عن العروبة ولا تتنافى مع محبتها والاخلاص لتراثها . . »[٣٨] وأكدوا أن « التونسة دون تعريب ليست

---

(٣٤) انظر بهذا الخصوص مثلاً : ابو القاسم محمد كرو ، « التعريب ارادة وولاء ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٥ (شباط / فبراير ١٩٧١) ، ص ٢٣ .

(٣٥) انظر في هذا المجال مثلاً : مقدمة محمد مزالي لكتاب : البشير بن سلامة ، **اللغة العربية ومشاكل الكتابة** (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١) .

(٣٦) انظر : البشير التركي ، « العربية لغة علوم ،» الفكر ، السنة ١٦ ، العدد ٣ (كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٠) ، ص ٦ .

(٣٧) انظر : ابن سلامة ، « لماذا التعريب ،» ص ٥٥ ، ومحمد المنجي الصيادي ، « من ملامح التطور الفكري في المغرب العربي ،» **المستقبل العربي** ، السنة ٢ ، العدد ١٢ (شباط / فبراير ١٩٨٠) ، ص ٢٧

(٣٨) انظر : مزالي ، « في التونسة والتعريب ،» ص ٣٥ .

تونسة ، اذ لا يكفي أن يفكر المرء تونسياً ويتكلم بلغة اخرى . .»[٣٩] . وهكذا نلاحظ أن التونسة ، كمفهوم وطني ، تضمنت في هذا السياق بعداً قومياً أشمل يتجسد في تأكيد الانتماء العربي والمطالبة بالتعريب . على أن المنادين بالتونسة ، في هذا الاطار ، اكدوا أن البعد القومي المعني ليس في نظرهم اكثر من انتماء حضاري وثقافي عريق الى الامة العربية الاسلامية ، وان التعريب الذي ينادون به كعنصر لازم من عناصر التونسة ينبغي « ألا يحمل اتجاهات سياسية معينة تخرج به عن ارادة الشعب التونسي للبقاء تونسياً أي ماسكاً بمقاليد أموره مسيطراً على مصيره غير ذائب في غيره مهما كان هذا الغير . .»[٤٠] .

وهكذا يتضح أن مفهوم التونسة يتضمن ايضاً معنى التميّز والخصوصية ، على المستوى السياسي على الأقل ، ازاء سائر الاقطار العربية . وفي هذا الاطار يمكن أن نفهم المناداة بتونسة برامج الآداب واللغة العربية مثلاً بتنزيل الانتاج الأدبي التونسي فيها منزلة أفضل . .[٤١] . ولعله من المهم أن نلاحظ ان هذا البعد القطري المحلي للتونسة كان يؤكد من قبل مناصري التعريب ، في أغلب الحالات ، كرد فعل على اتجاهات مناهضة تحاول الزج بقضية التعريب في تناقضات سياسية وايديولوجية تعطلها وتصنف الداعين اليها سياسياً فتعقد مهمتهم وتشكك في مشروعية طلبهم على المستوى الوطني البحت[٤٢] ، وربما حملتهم من المواقف ما لا يقصدون ولا يتحملون . ولعله من المهم ايضاً أن نلاحظ أن اغلب الذين ركزوا على التونسة في دعوتهم الى التعريب كانوا مفكرين قريبين من السلطة الرسمية بحكم ماضيهم الحزبي او ممارساتهم السياسية وما اضطلعوا به من مسؤوليات . وان مناصرين آخرين للتعريب كانوا ينزلون التونسة منزلة ثانوية من الاهتمام ضمن ما يكتبون عن التعريب . وهؤلاء المثقفون يقتصرون في الغالب ، عندما يثيرون الموضوع من هذه الوجهة ، على أن العربية عنصر أساسي من عناصر شخصية الأمة ، ومقوّم من مقومات هويتها لا يمكن التساهل فيه ، وان لا سبيل الى استعادة الهوية الوطنية كاملة الا بتحقيق مشروع التعريب . . وحتى عندما يكتبون عن التونسة فإنهم يتجاهلون بعدها الاقليمي البحت ويركزون على بعديها العربي والاسلامي .

ـ أكد مناصرو التعريب مشروعية تحقيقه وحتمية انجازه بالاعتماد على المقارنة بتجارب أجنبية من التاريخ القديم والحديث والمعاصر تبين أهمية اعتماد اللغة القومية في بناء التقدم وبعث ثقافة وطنية قومية . وأوحت الاشارة في هذا المجال ، الى تجارب من روما واوروبا وتركيا

---

(٣٩) انظر : ابن سلامة ، « أزمة التربية القومية ازمة قيم لا تنمية ، » ص ١٢ ، والناصف ، « حول التونسة والتعريب او اضعف الايمان ،» ص ٧٨ .

(٤٠) انظر : ابن سلامة ، « لماذا التعريب ،» ص ٥٤ .

(٤١) انظر مثلاً : مزالي ، « في التونسة والتعريب ،» ص ٣٣ .

(٤٢) انظر مثلاً :

Saleh Hamazoui, «L'Arabisation, problème idéologique,» *Revue Tunisienne de Sciences Sociales*, vol. 31, no. 44 (1976).

واليابان ، وحتى اسرائيل[٤٣] . واعتمدت على الوجهة النظرية في تأكيد هذا المفهوم لضرورة الملاءمة بين الفكر والواقع واللسان ، وقدمت استشهادات بهذا الخصوص تعبر عن آراء مفكرين أجانب وبخاصة من الفرنسيين تدعم ضرورة الاعتماد بصفة أساسية على اللغة القومية . ومن الطريف ان نلاحظ ، ان التجارب العربية في التعريب قل أن وقعت الاشارة اليها في هذا المضمار .

ـ وجد مناصرو التعريب في نقد السياسة التربوية التي اعتمدت حتى سنة ١٩٧٠ مجالاً خصباً للتعبير عن آرائهم ومواقفهم وابراز ما افضت اليه هذه السياسة ـ على الرغم من ايجابياتها الكثيرة ، وبخاصة في مستوى نشر التعليم وتعميمه ـ من سلبيات كثيرة في مجال تونسة التعليم وتعريبه . فتناولوا بالدرس مسائل من قبيل لغة التعليم ودور المعاونين الاجانب وبرامج الفلسفة والتاريخ وسائر العلوم الانسانية ونوعية المتخرجين من هذا التعليم من حيث انتماءاتهم وتكوينهم الوطني .

هذه اذن أهم الاتجاهات والمواقف التي عبّر عنها مناصرو التعريب في هذه المرحلة من التجربة التونسية التي اصبح فيها التعريب قضية فكرية مركزية ، وقد عرضتها في اختصار قد يكون مملاً . أما مناهضو التعريب ومعطلوه فقد كانت لهم مواقف وآراء اخرى سنحاول عرضها باختصار في الفقرات التالية .

ولعل ما يلاحظ في هذا الباب هو أن مناهضي التعريب يفعلون اكثر مما يتكلمون ، وقد سمحت لهم مراكزهم الادارية والجامعية في حالات كثيرة أن ينزلوا اجتهاداتهم الشخصية منزلة الاختيار الوطني[٤٤] . والواقع أن اللغة الفرنسية لم تعد لدى البعض مجرد أداة مفضلة للعمل والتربية والثقافة بحكم انسجامها مع تكوينهم الاساسي ، بل تحولت الى وجه من وجوه التميّز النخبوي لدى فئة معينة استطاعت أن تمسك بمراكز النفوذ الاداري والجامعي . وفي هذا السياق يصبح الحرص على اختيار الازدواجية ، واعتماد الفرنسية اداة أساسية للعمل والتعليم والادارة ، وجها من وجوه الحفاظ على هذا التميز بكل ما ينتج عنه من امتيازات اقتصادية واجتماعية وثقافية . على أن اغلب مناهضي التعريب من هذه الفئة لا يجرؤون غالباً على التصريح برفضه انما يقولون عادة : « التعريب هدف وطني مشروع . . . » ولكن يتذرعون لتعطيل اي انجاز جدي للتعريب بمفاهيم من قبيل التزام الموضوعية واجتناب التعصب، والمحافظة على المستوى والتفتح، والحداثة، والمعاصرة، والعلاقة بين الفصحى والعامية، وتوفر الشروط الملائمة لانجاز التعريب . . . ولقد سبق أن عرضت هذه التعلات وناقشتها في مقال

---

(٤٣) انظر مثلاً : كرو ، « التعريب ارادة وولاء ، » ص ٢٣ .

(٤٤) انظر بهذا الخصوص شهادة مهمة للاستاذ محمد مزالي تتعلق بتحويل لغة التعليم في مدرسة للرياضة البدنية ببئر الباي من العربية الى الفرنسية دون اسباب موضوعية وبموجب اجتهادات شخصية، في : مزالي ، « في التونسة والتعريب ، » ص ٣٤ .

سابق عن « التعريب والهوية الوطنية »[٤٥] .

سوف لا أعود هنا لمعالجة هذه المفاهيم وعلاقتها بالتعريب ، انما اقتصر على عرض نماذج من المواقف المناهضة ، التي أمكن التعبير عنها بصفة صريحة . والملاحظ أن اصحاب هذه المواقف يكتبون في الغالب باللغة الفرنسية . قضية التعريب في نظر هؤلاء قضية شكلية مفتعلة لا تهم المضمون اصلاً بل تستخدم ـ في غياب حرية الفكر ـ تعلة لأخذ مواقف ايديولوجية[٤٦] . فالتعريب اذن مسألة شكلية ولا يجوز اعتباره مشكلة نصفها بأنها حادة او مستعجلة[٤٧] . ولقد عجب بعضهم أن يكون التعريب معياراً للاصالة وانتهى الى اعتباره بالنسبة الينا انتحاراً[٤٨] . وهكذا تكون مشكلة التعريب من المشاكل التي تشغل الافكار دون فائدة وتستهلك الطاقات دون جدوى مع أنها في المرتبة الثانية من الأهمية في مجال التنمية الوطنية[٤٩] .

والملاحظ أن مناهضي التعريب يتمسكون بهذا الموقف المتمثل في اعتباره قضية شكلية موهومة عندما تسير الامور على المستوى العلمي في اتجاه معاكس للتعريب . اما اذا اتخذت اجراءات لفائدة اللغة القومية ، مهما كانت جزئية ، فإنهم ينددون بالارتجال والاساليب الفوضوية « واتخاذ القرارات في الكواليس، ويؤكدون ضرورة الابقاء على التفتح على الثقافات الاجنبية ، ويطالبون بشدة بوقفة تأمل في انتظار تنظيم منبر على الصعيد الوطني حتى يعالج هذا المشكل الرئيسي بكل تعقداته ونتائجه في وضح النهار وبمشاركة كل الاتجاهات وكل الشرائح الاجتماعية لتحدد ، على بينة من الأمر ، أساليب التعريب ومراحله »[٥٠] .

ومن المظاهر الطريفة التي يمكن أن تلاحظ بيسر فيما دار من حوار ساخن حول التعريب خلال هذه المرحلة ، أن فئة من المناهضين الذين يدعون لأنفسهم الموضوعية يحاولون ، في مستوى الحوار ، احاطة كل المفاهيم ذات الصلة بالتعريب بالغموض والابهام ، فيطالبون انصار التعريب مثلاً بضبط مفاهيم : الذاتية ، والتميز ، والخصوصية ، والاصالة ، والاستقلال ، والشخصية والنهضة، الثقافية . . وهم بذلك انما ينزعون الى تحويل الحوار عن مساره الاصلي المتصل بالتعريب الى حوار هامشي يركز على تحديد مفاهيم مجردة . ومن تناقضات هذه الفئة انها لا ترى ضرورة لضبط المفاهيم التي تستعملها لدعم موقفها من القضية مثل : التقدمية ،

---

(٤٥) انظر : عبد العزيز عاشوري ، « اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب ،» المستقبل العربي ، السنة ٤ ، العدد ٢٧ (نيسان / ابريل ١٩٨١) ، ص ٦ .

(٤٦) انظر : Hamzaoui, «L'Arabisation, problème idéologique,» p. 176.

(٤٧) العمل ، ٣ / ١ / ١٩٧١ .

(٤٨) افتتاحية : *La Presse,* 30/12/1970.

(٤٩) *L'Action,* 1, 2/1/1971.

(٥٠) ترجمة عن الفرنسية لفقرات من لائحة صدرت عن النقابة القومية للاساتذة المحاضرين ولاساتذة التعليم العالي بتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٨١ بعنوان «L'Arabisation» وقد وقع الرد على هذه اللائحة بأكثر من مقال وتبرأ منها اساتذة منتسبون الى النقابة .

والتفتح والموضوعية، والمعاصرة ». فكأنما ترى هذه المفاهيم ذات مضامين مسلم بها[٥١]. ويستند البعض الى تمسك الاتجاه التقليدي الديني بالتعريب لحصر القضية في هذا النطاق ووصف انصار التعريب جميعاً بأنهم رجعيون ينطلقون من فكر غيبي يقوم على مفاهيم غامضة من قبيل الاصالة والاستقلال والثقافة الوطنية ويستهدف الدفاع عن لغة القرآن .

وربما حول بعض المناهضين قضية التعريب من مطلب وطني مؤكد الى قضية اقلية مهمشة من خريجي التعليم الزيتوني تبحث لنفسها عن منفذ للخروج من التهميش ، او اعتبر بعضهم أن لا تناقض بين العودة الى التعريب ونمو ثقافة مغربية فرنسية ، على اعتبار أن الفرنسية لم تعد في نظرهم لغة المستعمر السابق بل صارت اداة تثقيفية عالمية لا يمكن لأحد احتكارها . وقد روّج هذه الفكرة التي تدعي الكونية للثقافة الفرنسية بعض المستشرقين الفرنسيين بالخصوص من امثال جاك بيرك[٥٢] .

هذه اذن اهم الاتجاهات والافكار التي عبر عنها مناهضو التعريب في هذه المرحلة التي اصبح فيها التعريب قضية فكرية مركزية . ولقد كان الحوار بين أنصار التعريب ومناهضيه ساخناً احياناً الى درجة اتهام الانصار بالانغلاق والغيبية والدعوة الى اتجاهات سياسية . . ووصف المناهضين بأنهم ضحايا الاستعمار ، والمغالطون عن قصد ، واعداء الامة العربية الاسلامية . . .[٥٣] .

ويبدو أن هذا الحوار ، بكل ما أثاره من اهتمام وما سلطه من اضواء على قضية التعريب ، كان سبباً مهماً ورئيساً من الاسباب التي دفعت الى دخول تجربة التعريب في تونس مرحلة جديدة مختلفة على المستويين العملي والتطبيقي . وسأحاول في الفقرات التالية ابراز الملامح الرئيسية لهذه المرحلة الجديدة .

٤ ـ مرحلة الخطوات البطيئة الثابتة

تتداخل هذه المرحلة زمنياً مع المرحلة السابقة ، اذ يمكن أن تحدد بدايتها بسنة **١٩٧١** عندما أعلن السيد الهادي نويرة الوزير الاول اذّاك في **١٩** شباط / فبراير **١٩٧١** اي في اليوم الاول من اسبوع التعريب الذي اشرت اليه : « ان التعليم مشكل قومي يهم الامة جمعاء ، واذا اتضح لزوم مراجعة التعليم في جوهره وطرقه فسيكون نتيجة حوار ودرس عميق حتى نتوخى احسن الطرق ونجعل من تعليمنا تعليماً تونسياً بالمعنى الكامل ، المعنى الذي يتضمنه التعريف الدستوري القائل : تونس دولة دينها الاسلام ولغتها العربية » .

---

(٥١) يعد مقال : Hamzaoui, «L'Arabisation, Problème idéologique,» ـ مثالاً واضحاً لهذا الاتجاه .

(٥٢) *L'Action*, 22/3/1961.

(٥٣) انظر بهذا الخصوص : مزالي ، « في التونسة والتعريب ،» وكرو ، « التعريب ارادة وولاء ،» .

كان هذا الاعلان تعبيراً عن الموقف الرسمي من القضية ، ودعوة غير مباشرة الى وقف الاسلوب الساخن المعتمد في الحوار حولها بما تضمنه من مقالات ، ودراسات ، ومحاضرات وجدل توج بتنظيم اسبوع للتعريب . . . ليعوض بأسلوب اهدأ تقود الحوار فيه وزارة التربية القومية بحكم صلاحياتها وامكاناتها وتراجع فيه البرامج والطرق لتعدل على النحو المطلوب وتتقدم خطوات في سبيل تونسة التعليم او ما كان يسمى قبل هذه المرحلة باستقلال التعليم الذي يمثل التعريب مقوماً من مقوماته الاساسية .

نظمت بالفعل خلال سنة ١٩٧١ استشارة واسعة لمراجعة النظام التربوي ساهم فيها عدد كبير من المربين والمرشدين التربويين والمتفقدين والاداريين . . واستجوبت مؤسسات ومنظمات قومية لابداء رأيها في الموضوع . وشكلت لتنظيم هذا النقاش سبع عشرة لجنة قارة اهتمت بدراسة مشاكل التعليم من جميع وجوهها وانتهت الى وضع تقارير مهمة(٥٤) ، ومدخل الى مشاريع اصلاح النظام التربوي ، وثلاثة مشاريع لاصلاح التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي وهياكل الجامعة ونظامها(٥٥) . ليس هذا موضع دراسة هذه الوثائق المهمة وتحليلها انما يهمني هنا أن أشير الى جملة من الملاحظات :

أ ـ لم تعالج قضية التعريب في اطار هذه اللجان باعتبارها قضية مركزية أساسية ، وسبباً مباشراً من أسباب مراجعة النظام التربوي والمناهج الدراسية في مختلف المراحل ، بل تم النظر فيها باعتبارها مسألة من مسائل مهمة منها تونسة الاطار التربوي ، ومراجعة مناهج التاريخ ، وسائر العلوم الانسانية والملاءمة بين العمل التربوي والحاجات الاقتصادية للبلاد وديمقراطية التعليم .

ب ـ عبّر بعض تقارير اللجان عن احساس واضح بأن اختيار التعريب والتونسة لم يحقق في نظامنا التربوي حتى ذلك التاريخ ، على الوجه المطلوب وعللت ذلك بقلة الاطارات التونسية وبعدم ضبط مخطط واضح بعيد المدى لتونسة التعليم وتعريبه(٥٦) . ودعت الى الشروع حالاً في ضبط مخطط واضح مدروس لتعريب التعليم واعتبرت ذلك أمراً مؤكداً لا يقبل الانتظار . وعبرت لجنة اللغة العربية عن ايمانها بأن تعريب التعليم في مواده العلمية لا بد منه لأنها تعتقد أن اللغة لا تحيا الا بشمولها ميادين العلوم . (٥٧) .

ج ـ روجعت مختلف المناهج التربوية بالاعتماد على ما تضمنت تقارير اللجان من توصيات واقتراحات ولكن اختيار التعريب لم يحسم عملياً في هذه المراجعة ولم يقع البدء بانجازه

---

(٥٤) طبعت هذه التقارير في مجلد مرقون من ١٤٦ صفحة ، طبع وتفسير المدرسة الثانوية المهنية بباب العلوج في تونس عام ١٩٧٢ .

(٥٥) نشرت هذه المشاريع في اسفار مرقونة طبعت بالمدرسة المهنية بباب العلوج عام ١٩٧٢ .

(٥٦) انظر : « تقرير لجنة المذهب التربوي ،» ص ٢ .

(٥٧) انظر : « تقرير لجنة اللغة العربية ،»ص ٣١ .

حسب مخطط واضح مدروس وتأخرت المبادرات التعريبية الجادة الى مدة لاحقة فظهرت بالخصوص ابتداء من السنة الدراسية ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وتجسدت في عدد من الانجازات اهمها : تعريب التعليم الابتدائي بصفة تدريجية سنة فسنة ، وقد انتهى تعريبه بصفة كاملة في السنة الدراسية الماضية ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ فأصبحت اللغة القومية اللغة الوحيدة للاداء التربوي في السنوات الأربع الاولى ، واللغة الرئيسية للاداء التربوي في السنوات الثلاث الباقية حيث تدرس معها الفرنسية كلغة اجنبية . وعربت مادة الفلسفة في التعليم الثانوي خلال السنة الدراسية ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ايضاً بصفة كاملة ، وتم الشروع في تعريب سائر العلوم الانسانية في هذه المرحلة من التعليم . وقد اكتمل عملياً تعريب اغلب هذه المواد في السنة الدراسية الماضية . وهكذا نزلت العربية ، بموجب هذه الاجراءات ، منزلتها الطبيعية كلغة قومية في التعليم الابتدائي واصبحت في التعليم الثانوي لغة الأدب والدين والعلوم الانسانية . اما العلوم الرياضية والتجريبية فقد تواصل تدريسها باللغة الفرنسية .

بموازاة هذه الاجراءات تواصل الحوار في قضية التعريب وظهرت مقالات ودراسات مهمة لا يتسع المجال لعرض ملامحها واتجاهاتها ، انما أشير فقط الى أن مناهضي التعريب يثيرون نقاشاً حاداً كلما اتخذ اجراء عملي لفائدة مشروع التعريب . هذه اذن ، اهم المراحل والاطوار التي مرت بها تجربة التعريب في تونس ، والتي لم تزل متواصلة . ولعله من المفيد أن نخلص في نهاية عرضنا الى جملة من الاستنتاجات والآراء عن التجربة التونسية وعن تجارب التعريب في الاقطار العربية بوجه عام .

خلاصـــة

يفضي التأمل في الخطوط العامة لتجربة التعريب في تونس والتتبع لأهم مراحلها واطوارها ، والنظر في الملابسات والظروف التي اكتنفتها الى جملة من الاستنتاجات العامة الخص اهمها في الملاحظات التالية :

١ ـ تجربة التعريب في تونس تجربة مترددة لا تكاد تقطع خطوات ايجابية حاسمة حتى تواجه صعوبات تعقد مهمتها وتحول دون تحقيقها لمشروع التعريب بصفة كاملة . ولقد شبهها بعض الكتاب بتجربة سيزيف ، ويمكن أن يفسر ذلك بخضوع التجربة لعوامل متناقضة وتأثرها باتجاهات متضاربة في غياب القرار الحاسم الذي لا يقبل المراجعة . . . ولا يقبل التضحية بالمشروع من اجل اهداف اخرى من قبيل توحيد التعليم وتعميمه .

٢ ـ يمثل الانتماء العربي ، والعربي الاسلامي سنداً فكرياً طبيعياً لتجربة التعريب ، واذا كان الانتماء الوطني قد لعب دوراً أساسياً في خدمة قضية التعريب في تونس فقد تم ذلك على أساس الربط بين مفهوم التونسة ومفهوم التعريب على اعتبار ان العروبة بعد اساسي من ابعاد التونسة ، غير أن هذا الاتجاه لم يمنع البعض من تأكيد ابعاد اخرى محتملة لمفهوم التونسة من قبيل الانتماء المتوسطي والانتماء الافريقي واعتبار تونس ملتقى للحضارات عبر العصور وما يقتضيه

بناء المعاصرة من تحول جذري نادى به بعض مناهضي التعريب .

٣ ـ تجربة التعريب في تونس تجربة ثرية بما تستند اليه من ابعاد تاريخية وفكرية وبما تضمنته من حوار استمر خلال سنين متعددة واستطاع أن يساهم في بلورة افكار مهمة عن العلاقة بين اللغة القومية والثقافة الوطنية . وربما أمكن طرح قضية التعريب ضمن التجربة التونسية بصفة لم يسبق ان طرحت بها في اقطار عربية اخرى .

٤ ـ لعله من اليسير أن نستخلص من تجربة التعريب في تونس أن تجارب التعريب ، أينما كانت ، تتأثر بصفة واضحة بالمناخ السياسي والاجتماعي الذي تعالج فيه ، وأن المناخ الديمقراطي ، مهما كانت حدوده ، له تأثيره الايجابي على هذه التجربة بما يوفره من امكانات الحوار والتعبير . على أن ذلك لا يعني أن مشروع التعريب لا يمكن تحقيقه بصفة جازمة في ظل سلطة فردية متصلبة قد تفرض قراراً حاسماً لفائدة التعريب او ضده ، انما أقصد أن التعريب ، باعتباره مطلباً شعبياً جماهيرياً يستند الى شرعية تاريخية ، تتوافر له ضمانات أكثر على مستوى الدراسة والانجاز حيثما توافرت امكانات الحوار والتعبير عن الرأي . انه وجه من وجوه الارادة الوطنية والقومية .

٥ ـ استطاعت تجربة التعريب في تونس ، رغم ما واجهته من صعوبات وعراقيل ، أن تقطع خطوات مهمة بتعريب التعليم الابتدائي والعلوم الانسانية في التعليم الثانوي ، والأهم من ذلك ان الظروف الفنية لاكتمال المشروع اصبحت متوافرة بعدما تحقق الاكتفاء الذاتي في الاطارات التربوية على المستوى الوطني وبخاصة في التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي . على أن التعليم العالي لم يزل يمثل مشكلاً أساسياً في طريق التعريب . فقد ظلت الفرنسية اللغة الرئيسية للأداء التربوي ، واللغة الاساسية للبحث العلمي في نطاق الجامعة حيث يصر كثيرون على تكريس هذا الوضع واستمراره لأسباب أشرت الى بعضها في قسم سابق من هذه المحاولة

تعقيب ١

أحمد العايد

تعقيباً على ورقة الاستاذ عبد العزيز عاشوري الجدية الرصينة القيمة : « محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس »، لا يسعنا الا أن ننوّه بهذا العمل المركّز الذي استطاع ان يعالج هذا الموضوع الشائك الثري في قسمين واضحين : التعريب في مرحلة الحماية،والتعريب منذ الاستقلال .

رأى الباحث أن يتعرض ولو بايجاز الى الوضع اللغوي زمن الحماية الفرنسية ، فأتى في صفحات محدودة على اهم القضايا المطروحة ، وعلى موقف الحزب الدستوري القديم ، وعلى تبني الحزب الحر الدستوري الجديد لمسألة احلال اللغة العربية محلها الملائم باعتبارها اللغة الوطنية الحية للشعب التونسي ، ووفق في ذكر اهم المصادر والمراجع[1] .

وهذه المعطيات عن التعليم في بداية الاستعمار توضح ما عاشته تونس مدة خمس وسبعين سنة من الاستعمار اللغوي ، وبالتالي توضح ما جاء في مقالة الباحث من احالات موحية .

---

(١) للمزيد عن الموضوع اللغوي في تونس في بداية عهد الاستعمار ، انظر :

P. Foncin, «L'Enseignement en Tunisie,» *Journal Officiel de la République Tunisienne,* 8 / 3/ 1883, 5 / 4/ 1883, 10, 31 / 5 / 1883.

وهي سلسلة من المقالات تناولت التعليم العربي الاسلامي (جامع الزيتونة، المدرسة الصادقية ، المدارس القرآنية) والتعليم الفرنسي (معاهد الآباء والامهات في البعثات النصرانية ، والمعاهد الاهلية العلمانية (Laîque) والتعليم الايطالي للذكور والاناث، ومدارس الرابطة الاسرائيليلية ؛

Louis Machuel, *L'Enseignement public en Tunisie.*

والمؤلف هو المدير العام للتعليم بتونس ، وخالد قرميز ، « النخب التونسية والحماية الفرنسية ،» مجلة مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، العدد ٥٢ (١٩٥٨) (بالفرنسية) .

كذلك عالج الباحث « التعريب منذ الاستقلال » مفصلاً مقاله الى :

- مرحلة التخطيط الحاسم للتعريب .
- مرحلة الانتكاس .
مرحلة التعريب قضية فكرية اساسية .
- مرحلة الخطوات البطيئة الثابتة .

وإذ كانت مقالته تأليفاً لا تحليلاً ، وكانت محصورة في صفحات معدودة ، فقد كنت اتمنى لو ذكرت فيها مقتطفات من خطاب الرئيس بورقيبة عن مشروع اصلاح التعليم بمناسبة انتهاء السنة الدراسية ، وكان ذلك بالمدرسة الصادقية سنة ١٩٥٨ ، (واختيار « الصادقية » رمز لكل تأصيل ووطنية وتونسة) اذ قال : « اريد ان الاحظ لكم أن التعليم بالمدارس الثانوية سيكون متجهاً الى التعريب واستعمال اللغة العربية حيث تكون لغة التدريس لجميع المواد الا اذا اقتضت الضرورة والظروف وذلك لاجل مؤقت استعمال اللغة الفرنسية للاستفادة من الامكانيات التي بايدينا ريثما تعد المدارس التكوينية الاطارات الضرورية للتعليم باللغة العربية في جميع المواد » .

إن هذا الرأي الصريح لرئيس الدولة التونسية الفتية يوضح الجو الذي كان سائداً في تونس سنة ١٩٥٨ ، ويختصر المراحل الاربع التي تعرض لها الباحث الى مرحلتين :

- مرحلة التخطيط الحاسم للتعريب .
- سياسة المراحل في التطبيق .

١ - الجو السائد في تونس سنة ١٩٥٨ : اكتفي بذكر بعض المواقف :

أ - نقرأ في جريدة « العمل »[٢] جريدة الحزب الحر الدستوري الحاكم ، **٢٩** كانون الثاني / يناير ١٩٥٨ ، مقالاً عنوانه « الجامعة التونسية الحرة ومشاكل التعليم » في حفلة شاي حضرها نخبة من المسؤولين الحكوميين ومن رجال الفكر والتعليم الزيتوني من ذوي اللسان العربي والمدرسين من ذوي اللسانين العربي والفرنسي ، دار الحديث اثناءها حول مشاكل التعليم وما تتطلبه من حلول سريعة ناجعة . تكلم في هذا اللقاء كل من الاساتذة الشاذلي القليبي الذي أصبح وزير الشؤون الثقافية سنوات عديدة ، والمدير العام للاذاعة والتلفزة ، ومدير ديوان رئيس الدولة ، والطاهر قيقة الذي تحمل مسؤولية التعليم الثانوي في وزارة التربية ، والمرحوم علي البلهوان ، والعربي العنابي ، وفتحية مزالي زوجة محمد مزالي الذي كان في ذلك الوقت رئيس ديوان وزير التربية الثاني المرحوم الامين الشابي مع الاشارة ان الاستاذ محمد مزالي عين فيها بعد وزيراً للتربية القومية ثلاث مرات والسيدة فتحية مزالي من اولى المناضلات في الاتحاد النسائي

---

(٢) نجد ايضاً لمشكلة التعريب في الصباح (جريدة يومية) وفي مجلات الفكر و اللغات و التجديد و *IBLA* (مجلة الآباء البيض التي تصدر بالفرنسية عن : Institut des belles lettres arabes - Tunisie) ومجلة مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية .

التونسي وهي الآن رئيسة الاتحاد وكانت سنوات عديدة مديرة معهد تكوين المعلمات بتونس ، ومحمود المسعدي (الذي يكلف بوزارة التربية القومية مدة ١٠ سنوات من ١٩٥٨ الى ١٩٦٨) وزوجته شريفة المسعدي ، ورئيس ديوانه المقبل الطيب التريكي ، واحمد بن صالح الذي يكلف بوزارات عديدة (التخطيط والفلاحة والتجارة والتربية القومية خاصة بعد الاستاذ المسعدي ٦٨ - ١٩٦٩) . واليكم خلاصة ما قيل حول التعريب : « ومشكل التعريب او بصورة ادق تدريس العلوم باللغة العربية . . بقدر ما يتحتم علينا حلّ المشاكل الأخرى ، يتحتم علينا الحذر في حل هذه المشكلة ، اذا اعتبرنا ان بلوغ الغاية في العلوم العصرية لا يكون الا بالاستقاء من المراجع الاصلية ، والمراجع العلمية الاصلية غير عربية اللغة ، واذا اعتبرنا ان كثيراً من الامم الشرقية تفكر في تدريس العلوم باللغات الاجنبية بعد ان جربت تدريسها بلغتها القومية » .

ب - نقرأ في جريدة العمل يوم ١٤ حزيران / يونيو ١٩٥٨ تنويهاً بخطاب مدير الامن الاستاذ ادريس قيقة الذي تحمل بدوره مسؤولية وزارة التربية القومية من ١٩٧٣ الى ١٩٧٦ . في ذلك الخطاب الذي القاه في موظفي ادارته قال « بأنه لا عذر لمن يجهل العربية بعد نهاية العام الجاري ، ١٩٥٧ ، اذ ان انتهاءه سيواكب حتماً انتهاء اللغة الفرنسية في كامل ادارة الامن ، وعندها يكون التعريب قد شمل كل ميادين الادارة » .

ج - اما في الندوة الصحفية (١٦ ايلول / سبتمبر ١٩٥٧) فقد قال الاستاذ محمود المسعدي ، ثالث وزير للتربية القومية في عهد الاستقلال بعد الاستاذين جلولي فارس والمرحوم الامين الشابي ، قال فيما يخص اللغة العربية « قد اعتبرنا الواقع القومي . فمن الناحية اللغوية ارجعنا للغة العربية وظيفتها الطبيعية كاداة اساسية للتثقيف في التعليم الابتدائي ، ولا تضاف اللغة الاجنبية الا في السنة الثالثة . اما الثانوي فعماده العربية ، وتعتبر فيه لغة اجنبية اولى . . . هذا وجعلنا في التعليم الثانوي مكانة مرموقة للغات الحية . وهذا ما فرض علينا ابقاء اللغة الفرنسية ، واضفنا اليها لغة حية ثانية لتكون لابنائنا اداة اتصال بغيرهم من الشعوب والتيارات الثقافية في الخارج » .

٢ - الجو السائد في تونس في السبعينات (وبخاصة سنة ١٩٧١) : اريد ان اشير هنا الى أن الاتحاد العام لطلبة تونس نظم اسبوعاً للتعريب من ٢٣ الى ٢٧ شباط / فبراير ١٩٧١ كان من المقرر أن يقدم فيه خمسة اساتذة خمس محاضرات : « قضية التونسة والتعريب » ، « تعريب لا ازدواجية » ، « لماذا التعريب » ، « نظرات في التعريب » ، « برنامج عملي في التعريب » . ولكن هذا الاسبوع لم يدم الا يوماً واحداً ثم تأجل . واستمعنا في اليوم الاول منه ، والوحيد ، الى الاستاذ محمد مزالي في محاضرته « قضية التونسة والتعريب » تبعها نقاش صاخب وجدل عنيف . لقد قال الاستاذ مزالي الذي اعفي حين ذاك من مسؤولية وزارة التربية للمرة الاولى - إذ كلف بهذه الوزارة ثلاث مرات - في تلك الليلة : « مقومات هذه الامة (التونسية) هي : وطن متميز، دين الاسلام معتقداً وحضارة ، اللغة العربية هي وطننا العقلي واطارنا الوجداني وعنصر الذاتية . . .

التونسة ليست اقليمية ، هي تربية لتأصيل الطفل في بيئته وهذا يهيىء التفتح على العالم . . المشكل مشكل توعية . . . .

التونسة لا تتناقض مع العروبة ، لا تعني الادبار عن العالم المتمدن ، لا تتنافى مع المذهب الانساني . .
التعريب لا يعني حذف اللغات الاجنبية . . . التعريب ليس تعصباً ولا رجعية، هو تمسك بالذات ، بالشخصية . . .

نحن واقعيون لا نغامر مغامرة لغوية . . . نادى الرئيس بورقيبة يوم ١٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٠ بالاهتمام بالعربية وعاب الحديث « الفرانكو ـ عربي » ودعا الى تعريب الادارة . . . الصعوبة اذن ليست من النظام السياسي بل من حسن نية المدرسين الذين وجدوا في التعريب صعوبة . . . القضية قضية توعية . . » .

٣ ـ **الجو السائد سنة ١٩٧٨** . ونقرأ في « مجلة الفيصل » (السنة الاولى العدد الثاني) مقالا « لقاء مع محمد مزالي وزيراً (للتربية القومية) . . . واديباً » : « ولهذا سعينا عند الاستقلال الى تعريب البلاد وتعريب التعليم خاصة بطريقة مرحلية نوفّق بها بين :

ـ ضرورة تأصيل التعليم وجعله عربي اللسان ، اسلامي الحضارة ، قومي الاتجاه .
ـ الحفاظ بل الرفع من مستوى التعليم من الناحية العقلية والعلمية والتقنية خاصة والصعوبة تمثلت بالخصوص في تكوين المكوِّنين وايجاد الاطارات (الكوادر) الكفيّة القادرة على اصلاح التعليم ؛ وبالخصوص تعريبها .

ونستطيع أن نقول اليوم ان تعريب التعليم لم يعد قضية مبدأ او اختيار ، لأنه ليس من تونسي واحد يناقش في ذلك ، وانما هي قضية مراحل وامكانيات » .

تعرضنا في تبسط الى اقوال اصحاب القيادة في التعليم والتربية والثقافة والاعلام ، لما لذلك من اثر مباشر في المسار التونسي . وتعرضنا الى الجو الذي كان سائداً في تونس بُعيْد الاستقلال ، وسنة ١٩٧١ وسنة ١٩٧٨ ، وحاولنا أن نبرز ان الحكومة التونسية إن كانت خططت للتعريب في الادارة والتعليم ، فإنها توخت سياسة المراحل في التطبيق باعتبار العناصر الاساسية التالية :

ـ التعريب هو تمسك بالهوية العربية الاسلامية، وهو قضية توعية .
ـ اللغات الاجنبية تمكّن من بلوغ الغاية في العلوم العصرية ، وتمكّن من المراجع العلمية الاصيلة بدون ترجمة .
ـ التعليم التونسي تعليم موحد يعطي للمتعلمين نفس التكوين كمّا وكيفا ، وعلى سبيل المثال نأخذ بعض الارقام من التعليم الابتدائي لأن التعليم الابتدائي اساس تكوين الامة وأساس التعريب ، لاسيما وان اختيارات الحزب الاشتراكي الدستوري ـ الحزب الحاكم ـ واضحة في هذا المجال :

	١٩٥٦-١٩٥٧	١٩٧٨-١٩٧٩	١٩٨٠-١٩٨١	١٩٨١-١٩٨٢
عدد التلاميذ	٢٢٧ ٠٠٠	٩٩٤ ١٩٠	١ ٠٤٥ ٠١١	١ ٠٧١ ٠٠٠
عدد المعلمين	٥ ٤٤٠ (أ)	٢٥ ٣٤٢ (ب)	٢٦ ٩٨٩	٢٧ ٢٠٠

(أ) عدد كبير منهم من الفرنسيين .
(ب) كلهم تونسيون وتونسيات

ان هذه الاحصاءات تبرز ان عدد التلاميذ والمعلمين بلغ ٦ أمثال ما كان عليه سنة الاستقلال ، مع ان عدد السكان بلغ مثلين فقط .

ـ التعليم يقوم به تونسيون فلا بد من اعداد الاطارات الضرورية للتعليم باللغة العربية ، فتكوين الاطار التونسي هو جوهر قضية التعريب ولا يفهم التعريب بدون التونسة .

هكذا عشنا امرا ذا بال هو بدء التعريب في التعليم الابتدائي سنة ١٩٧٤ يوم أن استغنت الدولة التونسية عن المعارين الفرنسيين من مساعدين تربويين ومن متفقدين (موجهين او مفتشين) بعد ان استغنت عن المدرّسين سنة ١٩٦٩ . وهكذا اصبحت الفرنسية لغة اجنبية (لا لغة تدريس العلوم كما كانت) في الصفوف الثلاثة الاخيرة من التعليم الابتدائي ، وتخرج اول فوج من التلاميذ حسب النظام الجديد سنة ١٩٨١ . وكذلك عرّبت العلوم الانسانية (او الاجتماعية) في التعليم الاعدادي والثانوي من تاريخ الى جغرافيا الى فلسفة ، ولم تبق الفرنسية الا في العلوم والتقنيات . وعربت بعض المواد في بعض الاقسام في التعليم العالي (في كلية الحقوق والاقتصاد خاصة) . واصبح التعليم بانظمته وانواعه ومراحله ضرورة انسانية اجتماعية واقتصادية باعتباره حقاً للجميع ، فالتعليم الثانوي ضرورة والتعليم العالي جدارة ، واهم وسيلة لاعداد المواد البشرية وتنميتها ، وتطوير قطاعات المجتمع ، وتأكيد الانتماء القومي . لهذا وجهت تونس قسطاً كبيراً من اهتمامها نحو التعليم ، فخصصت ثلث الميزانية له ، وحرصت على تكوين التونسي (واحد على خمسة من السكان هو اليوم بالمدرسة من الابتدائي الى المتوسط الى الثانوي الى العالي ، اذ نجد حوالى ١٤٠٠٠٠٠ تلميذ وطالب من الابتدائي الى العالي في بلد عدد سكانه حوالى ٦٥٠٠٠٠٠ ساكن) . وحظّ العربية في هذا التكوين الموحد المنسجم حظ متزايد تزايداً مستمراً مواكباً لتكوين الاطارات التونسية ذات الكفايات المرضية بحسب الحاجات السنوية الضرورية . كذلك حرصت الدولة على تعريب الادارة التي لها صلة وثيقة بالجمهور ، كالامن ، والعدالة ، والبريد والمواصلات، والتربية ، والفلاحة[٣] .

---

(٣) استكمالاً لورقة الزميل الباحث يحسن الرجوع الى :

أ ـ وثائق وزارة التربية القومية والبرامج التي طبعت من الاستقلال حتى الآن .

ب ـ ما الف زمن الرئيس الحبيب بورقيبة من كتب عديدة ، ولاسيما مؤلف المفكر الفرنسي :

Camille Begue, *Le Message de Bourguiba*.

الذي عرّب تحت عنوان « رسالة بورقيبة » وسيصدر قريباً في تونس .

ج ـ اطروحة الاستاذ الشاذلي الفيتوري عن ازدواجية الطفل التونسي .

د ـ مقالات عديدة عن الازدواجية والتعريب والتربية في تونس في **مجلة مركز دراسات الاقتصادية والاجتماعية** ، خاصة : مقالات للاساتذة عبد المجيد عطية والطيب البكوش واحمد العايد وصالح القرمادي في العدد ٨ ؛ مقال للاستاذ بلطيفة في العدد ٩ ؛ مقالات للاساتذة صالح القرمادي واحمد العايد وهشام سكيك وزهر الرياحي في العدد ١٣ ؛ مقال للسيدة شويخة في العدد ١٩ ؛ مقال للاستاذ الصادق الساحلي في العدد ٢٤ ؛ مقال للسيدة نجاة باشا في العدد ٣٠ ، ومقالتان للاستاذ هشام سكيك في العددين ٤٤ و ٤٥ . =

الا أن السؤال الآن هو : هل التعريب في تونس يرضي التونسيين ؟ هل التعريب في تونس يسهم في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ؟ لاحظنا ان التعريب في تونس ما زال بمقدار ، سواء أكان في التعليم ام في الادارة ام في الشارع (اللافتات مزدوجة اللسان) . فما زال الامي يتكلم الدارجة تتخللها الفاظ دخيلة لا يشعر بها . وما زال المثقف (او غير الامي) يعيش الثنائية (Diglossie) و الازدواجية (Bilinguisme) ويقول : « هل حكم علي الا اكسب كل الكسب لا العربية ولا الفرنسية ؟ . . . هل اؤمن بأن العربية مقصرة وبأن ثقافتها دون الثقافة الفرنسية فاتنكر لها ؟ . . . هل اشعر بأني غريب وانا في بلادي ؟ . . . ثم هل علي ان اتجاوز جنسيتي (التونسية) واسعى الى أن اندمج في مجتمع اوسع مغربي ، او غربي ، او بحر وسطي ، او افريقي . . .؟ وهل حققت شخصيتي ام سأحققها وكيف ؟» هذه التساؤلات القلقة المأسوية عبّرت عنها في احد اجتماعات لجنة الدراسات الاشتراكية التابعة للحزب الحاكم سنة ١٩٦٨ وصدرت هذه المقالة « مشاغل الشباب » في مجلة الفكر آخر سنة ١٩٦٨ .

وما زال المسؤولون عن قطاع التربية والتعليم يؤمنون بأن تبوّأ التعليم مستوى معيناً لا ينحدر عنه امر واجب ، وبأن اللغات الاجنبية تمكن من بلوغ الغاية في العلوم العصرية والتقنيات ، وبأن التعليم التونسي الموحد يُكوّن بأطر تونسية كل التونسيين تكويناً مزودجاً منسجماً ، وبأن التعليم عنصر أساسي للوحدة الوطنية يمكّن من الاصالة والتفتح .

لكن هل حان الوقت لأن تتسع الوحدة الوطنية التونسية الى الوحدة القومية العربية ؟ هل آن الأوان لأن يصبح التفتح ، لا على الغرب ، وبخاصة فرنسا والعالم الفرانكفوني ، بل على العالم العربي بأسره ، بلغة وسطى (فصيحة بلا اعراب) مشافهة ، وبلغة فصحى موحَدة موحِدة كتابة تفي بكل المفاهيم الملموسة والمجردة في شتى الميادين من انسانيات الى تقنيات بدون تخلف عن حاجات العصر ذات الغزو اليومي ؟

لا أظن أن هذا الامل ـ كدت اقول الحلم ـ يتحقق الا اذا انجزنا ، في تونس والوطن العربي باسره ، ما يلي :

١ ـ لا بد من لغة عربية تقدم الحرف والحركة حتى نفهم ما نقرأ لا العكس . وقد اهتدى الاستاذ احمد الأخضر غزال الى طريقة وظفية تستعمل في الآلة الراقنة والطباعة والاعلاميات الالكترونية .

٢ ـ لا يمكن أن نبقي على الصناعة المعجمية التقليدية ، لا في المجامع ، ولا في الهيئات اللغوية التابعة لمؤسسات التعليم والبحث ، ولا في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي . فقد حان الوقت لكي نستعمل الحاسوب او الرتّابة Computer و Ordinateur حسب الطريقة

= هـ ـ وثائق الوزرات الاخرى المتعلقة بتعريب الادارة .

و ـ وثائق المنظمات الوطنية التي لها صلة بالموضوع (الاتحاد العام التونسي للشغل واتحاد الفلاحين واتحاد التجارة والصناعة والاتحاد النسائي التونسي والاتحاد العام لطلبة تونس) .

المعيارية ذات الشفرة العربية الموحدة للاستاذ احمد الاخضر غزال (المغربي) التي تمكن من الاتصال الآني من المكان المركزي الى المطارف الموزعة في كل الاقطار العربية . فإذاخزنت الكلمات الموحدة المتفق عليها في بنوك معطيات ، استطاع من شاء ، بفضل هذا الجهاز الالكتروني المستعمل للحرف العربي المشكول ، ان يحصل على ما يطلبه من قوائم في شتى المجالات الانسانية والعلمية والتقنية ، بشرط أن تكون هي موحدة .

٣ ـ لا يمكن أن تسير الترجمة في العالم العربي على ما هي عليه سيراً اعتباطياً فوضوياً ، بطيئاً جدياً علمياً ، او سريعاً رديئاً تجارياً . ولا بد من مؤسسة كبيرة مجهزة التجهيز العلمي العصري يعمل فيها بكل حرية وديمقراطية كل اهل الاختصاص ذوي الكفايات العلمية (بفروعها الاجتماعية والعلمية) والصناعية والتقنية ، فيترجموا في الحال ما يغزو العالم يومياً من مستحدثات لا يمكن السكوت عن الجهل بها . الا نعلم ان في الولايات المتحدة وكندا واوروبا اكثر من عشرين الف عالم عربي يجب جلبهم الى اراضيهم ودعوتهم الى الكتابة بالعربية والترجمة اليها ؟ لكن هذه الرغبة لا تتمّ الا بتوفير الأمن المالي والفكري (بحثاً وتدريساً) فالجسدي .

الا نعلم أن التعريب في قطر من الاقطار لا يمكن أن يبقى مشروعاً محدوداً منعزلاً ؟ الا ندرك أن التعريب مشروع قومي يمكن أن يتبناه رؤ ساء الدول ، اهل الحل والعقد ، اذا قدمنا لهم ادوات المعاصرة الحقيقية التي تتوقف عن عملها ومواكبتها العصر الحديث ؟

اذن لعل للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دوراً في هذا العمل المصيري في مؤسسة مختصة للترجمة وخزن المعطيات والمواكبة الحينية وتمكين من شاء من ارصدة بنك المعلومات في كل آن حسب المكان . ويومئذ فقط تعود الثقة الى النفوس ، وتصبح العربية لغةعلم وعمل فلمعان (اذ من علم وعمل لمع) بالتعاون مع لغات اجنبية من الضروري كسبها .ويومئذ تصبح العربية لغة وظفية اجرائية في كل المجالات الملموسة والمجردة ، غازية العرب كما ذكرت موحَدة موحِدة ، غازية المسلمين حيثما كانوا ، في افريقيا وآسيا واوروبا والامريكيتين ، ويومئذ تصبح العربية كما عليها ان تكون : اتصالاً مكانياً من موريتانيا الى اليمنين ، واتصالاً زمانياً مدة اربعة عشر قرناً ماضياً ، وقرون اخرى مستقبلاً ، بكل العرب والمسلمين . ويومئذ تكون الثقة ويكون الانغراس من غير استلاب ، ونكون جميعاً كما قال تعالى في سورة ابراهيم ﴿ كشجرة طية اصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ .

تعقيب ٢

أحمد العزعوزي

قدّم الكاتب عرضاً لمراحل تجربة تعريب التعليم في تونس ، وطرح افتراضات عن اسباب تقدّم مسيرة التعريب تارة ، وتأخرها طوراً . ولما كان قد حصر التجربة في ثلاث مراحل ، فإني ساحاول بدوري ، وباختصار شديد ،تفسير هذه المرحلية في تجربة تعريب التعليم في تونس ، قاصداً من وراء ذلك ابراز العوامل الاجتماعية المحركة لها .

لقد كان مشروع اصلاح التعليم في تونس سنة ١٩٥٨ جريئاً يهدف الى نشر التعليم وتوحيده وتعريبه . وهو بذلك يرمي الى احداث تحولات ذهنية وسلوكية للحدّ من التخلف الثقافي الناجم عن عهود الانحطاط ، لأن التخلف الثقافي يعيق احداث تغيير جذري في الحياة الاجتماعية كانت تتطلع اليه كل الفئات الاجتماعية كما كانت قيادة الحركة الوطنية تعتبره من اولى مهامها . وعكس المشروع ارادة وطنية متأتية من موقف تحرري ، فكانت ارادة تعريب التعليم تعبيراً عن مرامي إجماع شعبي وطني ساهم بحزم في الحركة الوطنية . وكان لزاماً على القيادة السياسية ان تأخذ بعين الاعتبار هذا الاجماع وهذه الارادة .

والملاحظ أن برنامج الاصلاح هذا طبق في مجال نشر التعليم وتوحيده ولم يلغ الا بند التعريب . وهذا عائد الى سياسة تهدف الى الاسراع في ادماج المجتمع التونسي ضمن علاقات انتاجية حديثة ، باسم التعصير والنهوض بالانسان التونسي ، وذلك بمحاصرة انماط الانتاج السابقة والقضاء عليها مع الاعتماد على ايديولوجية محبوكة في شعاراتها مكثفة في دعاياتها .

ان سياسة ازاحة القضايا الثقافية الى منزلة ثانوية التي اشار اليها الاستاذ عبد العزيز العاشوري ، هي سياسة مدركة لذاتها ـ اي مقصودة ـ وهي في الوقت ذاته سياسة طبقية تميزت بها الفئات الحاكمة في تونس وادّت الى تركيز بنية فوقية اعتمدت على تسريب انماط ثقافية وسلوكية غربية لعبت وتلعب دور المسهّل والمسرّع في عملية الاندماج ضمن التقسيم العالمي للعمل ، وتعمل على اخضاع المجتمع ثقافياً ، ومن ثمة على انتاج سلم قيم اجتماعية يجرف الفئات

الاجتماعية ، وبخاصة الوسطى منها ، الى تبنّي مفاهيم ومضامين اجتماعية سياسية قليلة الصلة بالثقافة الوطنية ، حتى يتسنى تمتين العلاقات الانتاجية الجديدة الشديدة الارتباط بالمتروبول . وهذه العملية هي بالضبط ما كانت تتطلبه في الستينات السياسة الاقتصادية التي عملت ـ تحت رعاية الدولة وبتدخلها الكثيف ـ على الاسراع ببناء قاعدة تحتية ضرورية لانبعاث طبقة بورجوازية حديثة .

بعد التخلي عن النهج الاصلاحي الذي اخذ من برنامج اصلاح التعليم سنة ١٩٥٨ توحيد التعليم ونشره واهمل التعريب ، لم تر السلطة الرسمية حرجاً في السماح بطرح مسألة التعريب خاصة . وقد تمكن دعاة الفرنكفونية (النطق بالفرنسية) من مراكز السلطة والاشراف والقرار والتسيير في الادارة وفي المؤسسات التربوية والتعليمية . غير أن الباس مطلب التعريب شعارات غامضة مثل « التونسة والاصالة »و « الشخصية والامة » كان يهدف الى صياغة فكر متميز ضمن حدود تونس الجغرافية. ولم تستطع هذه المحاولة في النهاية الا الاقرار باستعمال اللغة العربية في التعليم ولو بشكل محدّد،تاركة الادارة والمحيط للغة الفرنسية. ومن هنا شرع في التعريب بخطوات محتشمة . وتطابق هذه العودة الى استعمال اللغة العربية افول نجم عدة انظمة عربية وطنية كانت تحمل شعارات الوحدة العربية المعادية للامبريالية ، وبداية تحسن في العلاقات التونسية العربية في تناغم سياسي واضح .

إن التعريب مشروع سياسي ، والعوائق التي حالت دونه عوائق ذات صلة متينة بالبنية الاقتصادية والاجتماعية ، وقد شلّت الارادة السياسية القادرة وحدها على المضي بمشروع التعريب الى نهايته . ولا تتأتى هذه الارادة من امتلاك تصور نظري للتقدم الاجتماعي فحسب. والدليل على ذلك هو أن بعض القوى التقدمية في تونس لا تولي مسألة التعريب اهمية ، رغم امتلاكها لتصوّر شمولي للتقدم الاجتماعي ، كما لا يمكن أن تتوفر هذه الارادة لهؤلاء ما لم ينخرطوا بجدية في حركة التحرر العربي .ونجزم بأن تصوّر مشروع متكامل للتعريب وللثقافة الوطنية التحررية لا يمكن أ ن يملكه في تونس الا اولئك الذين يصبون الى التقدم الاجتماعي والتحرر الوطني في اطار الوحدة العربية المنشودة .

وشهدت مرحلة ما بعد الاستقلال في تونس انقسامات وتصدعات على مستوى الدولة واجهزتها رافقت الفرز الطبقي . غير أن هذه الانقسامات والخلافات لم تشمل مسألة الثقافة الوطنية ، ومن ثمة انزال اللغة القومية منزلتها الحقيقية . والسبب هو ان الفئات الحاكمة في تونس ، سواء منها الاصلاحية ابان الستينات او البورجوازية في ما بعد ، كانت مجمعة كلها على الوقوف موقف المعادي او اللامبالي من قضية التحرر العربي .

ومع رحيل الاستعمار وقع تنظيم الادارة على طريقته ممّا سهل نمو التركيبة الاجتماعية التي خلفها في جوف المجتمع القديم . وعمدت الدولة الجديدة الى التحديث والنهوض في علاقة شديدة الارتباط بالمتروبول ، الامر الذي خلق تشكيلة اجتماعية جديدة اندمجت فيها الطبقات

والفئات الاجتماعية بدرجة متفاوتة حسب ارتباط هذه الفئة او تلك بمستوى الاستهلاك المادي والثقافي حسب النمطية الغربية . فبقدر ما نرتقي في السلم الاجتماعي نجد الفئات اقدر على السلوك الثقافي الغربي ، فتدافع الفئات العليا والفئات المرتبطة بها عن اللغة الفرنسية بتشنج . وهذه الفئات المشرفة على ديناميكية التشكيلة الاجتماعية تعيق التعريب ونشر ثقافة وطنية ، وتعمل جاهدة على اعادة انتاج نفسها بتكريس الوسائل والمناهج التي تثبّت البنية الاجتماعية على ما هي عليه من تبعية .

وتظهر التبعية الثقافية في مجالات عديدة ، كالادارة ، والتعليم ، والمحيط ، والسلوك الاجتماعي للفئات العليا وشريحة واسعة من الفئات الوسطى . ولقد اصبحت هذه التبعية الثقافية في حكم الامور الموضوعية ، وذلك لعدة اسباب منها :

ـ ان الطموح الفردي والفئوي الى تسلق المراتب الاجتماعية محكوم بامكانية الاستيعاب الثقافي الغربي ، لأن مستوى الاستهلاك المادي مرتبط بمستوى ودرجة الاندماج الثقافي مع الغرب .

ـ ان التمايز الفئوي مقترن بحركية الفئات داخل هذه التشكيلة الاجتماعية التابعة ، وبالتالي بقدرتها على التناغم والتناسق مع الثقافة الغربية المهيمنة .

ـ إن استعمال اللغة الفرنسية في التعليم والادارة، وحتى في التخاطب ، جعل التمايز بين الافراد من داخل الفئة الاجتماعية الواحدة مرتبطاً باستعمال اللغة الفرنسية ، ممّا اعطاها ميزة اجتماعية لا ميزة ثقافية .

ـ تلعب الفئات الوسطى دوراً كبيراً في ادامة الايديولوجية المهيمنة، لان هذه الفئات في تونس حساسة لرياح الغرب، وهي دائمة الطموح الى الاندماج في نمطيته الاستهلاكية بحكم رغبتها في محاكاة الفئات العليا ، ولذلك ترى في اللغة الفرنسية وسيلتها نحو هذا الهدف . وهذا امر مفهوم عملياً لأن الاستهلاك المادي حسب النمطية الغربية ـ وهو ما يميز مظهرياً في تونس فئة اجتماعية عن اخرى ـ يتطلب صقلاً للذوق يتماشى ونوعية الاستهلاك . وبالتالي فإن امكانية استيعاب السلوك الثقافي الغربي هو مسلك ووسيلة لصقل الذوق الاستهلاكي ، وهو من ثمّ وسيلة للارتقاء الاجتماعي .

ـ إن دفاع الفئات العليا عن اللغة الفرنسية واستعمالها في كافة المجالات يوافق تشبثها المصلحي بالارتباط بالغرب ويخدم مآربها في استمرار هيمنته ، لأن اللغة الفرنسية تلعب في البلدان المسماة ناطقة بالفرنسية دوراً وظيفياً يتمثل في الحمولة الايديولوجية الضرورية لاستمرارية التبعية الاقتصادية للغرب الامبريالي .

هذه بعض الملاحظات التحليلية اوردناها باختصار شديد لمحاولة تفسير العجز البنيوي عن التعريب في تونس .

المناقشات

سعد الدين ابراهيم : هذه ليست مداخلة مضمونية ولكنها مجموعة من الاسئلة لملء فجوات في معلوماتنا نحن المشارقة عن تجربة التعريب في تونس . قبل ان القي اسئلتي اتوجه بالشكر والثناء على ورقة الاستاذ عبد العزيز العاشوري لموضوعيتها وغناها وسلاستها . كما اعبر عن تقديري للزميلين اللذين تفضلا بالتعقيب ، وبخاصة للاخ احمد العزعوزي الذي جاء تعقيبه جريئاً واضحاً .

اما الاسئلة فهي :

ـ بأي لغة كان يدور الحوار حول التعريب في الفترة من ١٩٦٩ وما تلاها ؟

ـ هل كان لتبادل الاتهامات بين انصار التعريب واعدائه ما يبرره فعلاً ؟

ـ هذا التردد . هذا المد والجزر في تجربة التعريب التونسية ، هل كان انعكاساً للصراع الاجتماعي في تونس ؟

ـ هل خرّجت المعاهد التونسية المفرنسة علماء في العلوم الصحيحة او الطب من ذوي الشهرة العالمية ؟

ـ تشيرون الى الاسبوع الذي خصصه اتحاد الطلاب التونسي لقضية التعريب والذى عقد في يومه الاول فقط ثم تأجل . . . فلماذا كان التأجيل ؟

ـ هل تعتقدون أن التعريب الآن يمشي بخطوات ثابتة الى الامام ـ ولو ببطء ـ ودونما خوف من الانتكاس ؟

هشام جعيط : اني استمتعت حقاً بالاستماع الى دراسة الاستاذ العاشوري كما الى تعقيبي د. احمد العايد والاستاذ احمد العزعوزي . فالدراسة شاملة ، تاريخية المنهج ، تناولت المراحل منذ الاستقلال ، واوضحت كثيراً من الامور ، واتسمت بالرصانة . اما التعقيب الاول فهو يعبر عن وجهة نظر قريبة من الاوساط الحاكمة صاحبة القرار ، وهو

جرس لا بد من أن نستمع اليه . وعبّر التعقيب الثاني في مضمونه ومنهجيته عن موقف الشباب ورؤيته ، بحيث اتسم هذا الثالوث التونسي بالتعددية التي ننشدها جميعاً . ولي بالطبع توضيحات وملاحظات لكوني عشت هذه المشاكل وتتبعتها عن كثب .

الحقيقة أنّ الذي حصل هو انقلاب في الاختيارات بين فترة الكفاح وفترة ممارسة الحكم . وكان في البدء موقفاً يلح على الشخصية العربية الاسلامية ويشنجها ويفخّمها للتصدي للاستعمار ، ثم دارت الدوائر فأخذ يلحّ على الصداقة مع فرنسا والغرب وروجت فكرة التعلق باللازم باللغة والثقافة الفرنسية . ما الذي وقع ؟ في منهج ما بعد الاستقلال قامت الحركة اليوسفية وجعلت الحزب الدستوري ينفصم الى شطرين . واختار التيار اليوسفي اختياراً سياسياً باتجاه التضامن مع الثورة الجزائرية والتعاطف مع القومية الناصرية ومع حركة بندونغ . وبالطبع لم يكن للتيار البورقيبي المعاكس الا أن يقدم الرؤية المعاكسة ، وهي رؤية قد توافق مزاج الرئيس بورقيبة او تتمشى ونظرته ، ولكن المسألة مسألة اختيار سياسي قبل كل شيء ، في اطار ازمة تطاحن على الحكم . وهذا الاختيار البورقيبي الذي انتصر في الواقع هو الذي حدد مستقبل تونس في الميدان السياسي والثقافي والحضاري على السواء . ولولا هذه الخلفية لم يكن لنا أن نفهم اي شيء مما جرى فيها بعد ويجري الى الآن . وحقيقة الامر أن هذا الالتزام بحلف ضمني مع فرنسا يحفظ مصالحها الاساسية لم يقتصر على تونس . ففي اعتقادي ان الشيء نفسه وقع بين المغرب وفرنسا وبين الجزائر وفرنسا . ولكن وضعية الامور الخاصة بتونس التي ذكرتها جعلت من الوضعية التونسية امراً مفارقاً للغاية .

صحيح أن الستينات ، وهي فترة استقرار بما انطوت عليه من انجازات ، كانت فترة يأس بالنسبة للغة والثقافة العربيتين ولمن ينتمي اليهما . بل كانت اكثر من هذا فترة يأس بالنسبة للثقافة عموماً . ثم ان ما جرى في السبعينات من نقاش حول التعريب ، ومن خطوات بطيئة ، ان دل على شيء فعلى تضاعف هيمنة الدولة على الجسم الاجتماعي ، وعلى فحص اعمق لمتطلبات الاجيال الجديدة . ولكن البذرة التي بذرت ما اعطت ثمرتها بعد ، ووقعت فعلاً فرْنَسةُ الطبقات المهيمنة اجتماعياً وثقافياً ، وما زالت هذه القوى تتفاعل حتى الآن .

وعلى الرغم من العلاقات المكثفة التي تجددت اخيراً مع بقية الوطن العربي، فإن الاختيار الاساسي ما زال قائماً ، وهو نبذ جهاز الدولة لفكرة القومية العربية ، وتربية جيل كامل في الخصوصية الوطنية التونسية . ومع هذا فإن قسماً من الشباب ماضٍ في سبيل التعريب . وهكذا تغدو المشكلة مشكلة اجيال ، وينصب الامل على الجيل الجديد .

مصطفى الفيلالي : يكاد الأمر يؤول بنا في هذه الندوة الى حوار تونسي ـ تونسي ذلك أننا اخترنا أن يتولى تحليل التجربة التونسية باحث تونسي ، كما اخترنا أن يعقب عليه باحثان هما ايضاً تونسيان ، وتدخل في النقاش عدد من التونسيين ، فكانت مشاركة

الاخوان المشرقيين ضعيفة . وقد يكون انحصار المشاركة في الباحثين التونسيين مدعاة الى تباين كبير في تحليل الاوضاع وتعليلها ، وذلك لامرين اثنين ، اولهما أن المشاركين معاصرون للتجربة من يوم انبعاثها الى اليوم ، والثاني ان لهم في فهمها وتأويلها حساسيات مختلفة ، مما يؤكد ان « المعاصرة حجاب » .

والـذي وددت ان اقترحه، ان نستخرج من الحـوادث التاريخيـة الخاصـة ، ومن خصوصيات الملامح لكل تجربة قطرية ، المعاني الاساسية الكبرى التي تشكل بالنسبة الى قضية التعريب **قاسماً** مشتركاً بين التجارب المغربية والتجارب المشرقية . وبهذا الاعتبـار اقترح التركيز على معنيين اثنين :

اولهما ان الديموقراطية معنى اساسي ، وان بينهاوبين قضية التعريب جدلية التزام بحيث لا يمكن أن يحصل اي نجاح لمشروع التعريب في جو يتصف بشخصنة الممارسة السياسية وتوقف القرار السياسي على ارادة رجل واحد تتأثر اموره بمؤثرات مختلفة . **المعنى الثاني** هو علاقة التعريب بالاوضاع الطبقية وملامح الطبقات الاجتماعية . فقضية التعريب هي قضية اهل المدن ، وليست قضية اهل الريف الذين لا يفهمون للتعريب معنى كما يتضح من بعض البيانات الواردة في بحث د. عبد الكريم غلاب (الفصل الخامس) .

محمد الباقي الهرماسي : اريد بدوري ان اشكر الاستاذ عبد العزيز عاشوري على مساهمته القيمة حول سياسة التعريب في تونس بما فيها من مد وجزر . ويبقى الانطباع أن **الكلام يدور وكأن المشكلة مشكلة انصار ومعارضين ، وان الحل مرتبط باصحاب القرار السياسي فقط . ولقد زادت التعليقات في الطين بلّة .**

انا معكم فيما يخص اهمية القرار السياسي ، ولكنني لا اعتبر أن اي حكومة ـ مهما كانت ـ تملك عصا سحرية تقول لعملية التعريب كن فيكون . وهذا يعني انني مع الارادية Voluntarism ولكنني لا اؤمن بالارادية المطلقة . فأنا ارى أن اختيار التعريب يأتي ضمن اختيارات اخرى لا تقل اهمية ، كالتنمية وغيرها ، وان الاولويات تتضارب ، ولا بأس أن نحاول ايجاد المرونة الكافية لخلق توازن بين هذه الاولويات ، وان نقبل المد والجزر لا بوصفهما تردداً ، ولكن كجزء من التجريب والمحاولة . كما أن علينا ألاّ نقحم جميع مشاكل التنمية والتغيير والتعقيـدات التي تنجم عنها في اشكـالية واحـدة هي اشكاليـة التعريب .

ففي رأيي أن الاختيار التعريبي في تونس لا رجعة فيه ، وان مشاغل هذا البلد تختلف كمياً عنها في البلدان العربية ولا تختلف نوعياً . وعلى كل فنحن لا نخدم قضايانا برمي الناس وتقسيمهم الى انصار واعداء ، ولا نخدمها بتبسيط الاشياء ، ولكن بالتبصّر في تعقيدات المشاكل والحلول .

الطاهر لبيب : اود الاشارة الى ان ما ذكره د. الفيلالي من ان اهل الريف لا يعرفون مشكل التعريب قد يكون صحيحاً . ولكن هذا لا يعني أن هذا المشكل غير مطروح بالنسبة اليهم ، لانهم يتحملون تبعات التبعية بما فيها التبعية الثقافية والازدواجية اللغوية .

وتعليقاً على الاستاذ العاشوري اعتقد ، اولاً ، ان مفهوم (المناهضون) يحتاج الى بعض التنسيب ، ان صح التعبير . وذلك لأنه قد يكون من بين من يسميهم بالمناهضين مفكرون او باحثون ابرزوا بعض عراقيل التعريب عن حسن نيةودفاعاً عن التعريب . هذا حتى لا يكون المناصر هو من لا يرى العراقيل والمناهض هو من يراها .

اما بخصوص تقويمه للتجربة التونسية وأنها خطت خطوات مهمة فإن تساؤلي يدور حول الحد او العتبة التي يبدو وراءها التعريب وقد اخذ طريق اللاعودة ، أي حول امكانية الانتكاس كما تساءل قبلي الدكتور سعد الدين ابراهيم . فهل ثمة مؤشرات تبين أن خطوات التعريب يصعب التراجع فيها ؟ هذا مهم في تقويم التجربة . ثم ما صلة هذه الخطوات بالمردودية كمعيار اساسي في استعمال اللغة ؟ ان الموقف من التعريب كثيراً ما كان حسب هذا المعيار ، بمعنى الجدوى او الفاعلية المباشرة . وقد ابرز الدكتور عبدالله العروي هذا الموقف وتحدث عن (ارتفاع ثمن التعريب) . والتعبير نفسه ذو دلالة .

وتعليقاً على تدخل الاستاذ العايد اشير الى أن التعريب القطاعي لا يخضع لمنطق السهولة والصعوبة . فهل هناك دليل علمي على أن تعريب الامن او العدالة او الفلسفة ايسر من تعريب قطاعات اخرى ؟ اما تساؤله عما اذا كان التعريب مرضياً او غير مرض في تونس ، فقد يكون هذا وذاك حسب المستوى والمدى الزمني المعتبر في التقويم. ففي المدى القصير قد يبدو التعريب غير مرض ، ولكنه قد يبدو خلال ذلك في مدى ابعد . وقد اشار المتدخل الى ظاهرة محيرة هي أن موقف المثقف كمثقف من التعريب يضعف كلما ارتقى الى السلطة السياسية . وقد لا يعني هذا تنكراً للموقف بقدر ما يشير الى عوامل العجز الاساسية وراء المبادرات الفردية.

واخيراً اعتقد أن تسمية الدكتور هشام جعيط اصحاب التعريب (المافيا) تسمية في غير محلها . واذا اصر على اعتبارها (مافيا) فقد كان عليه ان يضيف على الاقل أنها مافيا مضطهدة . اما حديثه عن الاستعمار الشرقي المحتمل فهو ايضاً في غير محله ، على الاقل ، لان العرب غير قادرين على أن يستعمروا !

احمد عبد الحليم : يبدو لي أن الجالية ـ الطبقة التي اشير اليها اكبر مما كنا نظن . كما اتضح ان قوى جديدة تضاف اليها وقتياً بحكم تغيير المواقع والادوار . وتتضح المواقف الطبقية التي يظن البعض انها ضرب من ضروب التعميم والتبسيط عند محك القضايا الجذرية المصيرية التي تغير موازين القوى وحقيقة الساعات العشر من ٢٤ ساعة في

الاسبوع . للعربية في المرحلة الابتدائية مسألة تثير التساؤل حول مردود المحاولة ومستقبلها .

والصعاب ؟ نعم هناك صعاب ، ولكن اين عزيمة التغلب عليها والتخطيط لجعل الحلول في متناول العزائم ؟ والصعاب لا تنزل من السماء ، والغايات العظيمة لا تحققها الا العزمات الكبار . فهل الامر امر مناهضة وتغيير ولاءات في مقابل قضية التعريب ؟ اظن ان الامر تصميم ومثابرة وخلق اسباب لبلوغ الغايات . ثم لا بد من ضرورة توكيد علاقة التلازم الجدلية بين ديمقراطية الحوار والتعريب بمعناه الشامل .

عبد العزيز عاشوري : شكراً سيدي الرئيس ، وشكراً للاحمدين المعقبين وشكراً للاخوة كافة الذين ساهموا في مناقشة الورقة التي قدمتها واحاول ان اوجز فأتعرض الى أهم النقاط التي اثيرت في التعقيبين والمناقشات الاخرى .

الدكتور احمد العايد يقول اني لم اتعرض الى الوضع اللغوي في تونس خلال زمن الاستعمار ، وهو يعلم جيداً اني اذا لم اتعرض للوضع اللغوي في عهد الاستعمار ، فلأن الورقة لا تتسع لذلك . واذا كنت لم اذكر مقتطفات من خطاب الرئيس في اصلاح التعليم فقد اشرت اليه في الدراسة ، وهو الخطاب نفسه الذي قرأ بعض مقتطفاته .

ثم اني اذكر كثيرين تحدثوا عن التعريب ولم اذكر اي اسم . ويفهم من تعقيبه كأني اصنف المنتمين الى السلطة بأنهم دائماً ضد التعريب . على العكس ، فأنا اعلم جيداً مثلاً أن الاستاذ محمد مزالي الذي ذكره مرات عديدة هو من اهم الذين تحدثوا عن التعريب وكتبوا فيه الكثير ، وانه خصص له عدداً خاصاً من مجلة « الفكر » . ثم انه نوّه بتعميم التعليم ، وهذا فخر لنا جميعاً ولا نشك في قيمته ومنزلته . ولكننا نتحدث هنا عن التعريب وقد اشرت الى ذلك في دراستي . واما بخصوص الكومبيوتر وما الى ذلك ، فهذه مسائل نتركها لمناسبات اخرى . الاخ العزعوزي قال ان مداخلته اضافات وليست مناقشات . وهذا يسهل علي الامر ، ولكن اريد القول فقط بأن بعض المعلومات مغلوطة . فالعربية لا تدرس في التعليم الابتدائي ١٤ ساعة والفرنسية ١٠ ساعات . التلاميذ في التعليم الابتدائي يدرسون في السنوات الاولى والثانية والثالثة العربية ولمدة ٢٢ ساعة فقط. وابتداء من السنة الرابعة يصبح هذا القول صحيحاً مع زيادة ساعتين للعربية تركتهما ، واحدة منهما رياضة بدنية ولكنها ناطقة بالعربية ايضاً ، وهذه الامور اعرفها جيداً .

بالنسبة للدكتور سعد الدين ابراهيم اترك الاجابة على اسئلته ، وهي هامة جداً الى مناسبة اخرى . وشكراً للدكتور جعيط على ملاحظاته واعتبره جميعاً هامة . وبالنسبة للدكتور الفيلالي فقد اثار بالفعل ناحية هامة جداً أتمّها د. الطاهر لبيب هي ان الامر يجب أن يتم على اساس المقارنة ، واننا عندما نتحدث احياناً عن سلبيات التجربة التونسية

بصراحة وموضوعية لا يعني ذلك ان سائر التجارب العربية لا تنطوي على سلبيات كثيرة ونرجو أن يكون في تقديمها ما يبين هذه السلبيات ، لأننا في وضع موضوعي لا في موقع رفع التقارير للدعاية لانواع من التجارب . ولا ادعو للتجربة التونسية ولا لغيرها ، واعلم جيداً بأنه ليس هناك من تجربة مكتملة في كل الاقطار العربية تقريباً بما في ذلك المشرق ، وقد اشرت الى هذا صباح اليوم . بالنسبة للدكتور الهرماسي اقول ان مداخلته افادتني كثيراً لمراجعة بحثي على اسس جديدة ، واعتقد باني ساستفيد من ملاحظاته .

الفصل الثامن

تقويم تجربة التعريب في المغرب

فاطمة الجامعي الحبابي

مقدمـــة

ليس الاهتمام بالتعريب ووسائله والمناهج التي يجب أن توضع لتحقيقه وليد اليوم ، فقد بلغ من الكبر عتيا ، واضحى قضية متشعبة تتضخم طولاً وعرضاً ، وتتجذر في اعماق القضايا العربية ، بل تشكل احد احجار الزاوية في كيان القومية العربية . ولست بحاجة لأن اردد هنا ما يقال عن اللغة بوصفها كيان الامة الذي يحدد هويتها الثقافية والمجتمعية ، ويعكس واقعها . فقد اصبح هذا من البديهيات المسلم بها لدى جميع الامم . فقوام اية امة هو وسيلتها التعبيرية التي بها يتم التواصل بين الافراد داخل المجتمع وعن طريقها يحصل ايضاً تواصلهم بالامم الأخرى . فبقدر ما تستطيع الامة اثبات هويتها الثقافية وفرضها عن طريق لغتها التي تناجي بها الام وليدها ولما يزل جنيناً ، وتنسج بها احلامها في شخص مولودها الجديد ، اقول : بقدر ما تفعل ذلك فإنها تكون بحق الامة التي لا تخشى الزوابع فتنخذل امامها ، ولا تهون ازاء الهياكل الضخمة فيتسرب الموت الى جذورها ، وتفلت منها الحياة والحيوية . فاللغة في المجتمع بمثابة العصب الفاعل والمنفعل في الجهاز الحسي . وان احد ابعاد مفهوم لفظة « امة » هو وعيها بحقيقتها اللغوية . فهل للامة العربية وعي بوضعها اللغوي ؟

إن ما يميز الامة العربية هو وعي ابنائها على اختلاف اقطارهم بأن كيانهم لن يكتمل ، ولن يتم استقلالهم المنشود ، الا اذا استطاعوا أن يجعلوا من لغتهم الاداة المعبرة بصدق عن حياتهم التي يمارسونها اليوم ، وعن المستقبل المزدهر الذي يتشوقون اليه . اي أن يتخلصوا من الاستلاب اللغوي الذي يعانيه الافراد في الحياة اليومية ، في السوق ، وبين جدران المنازل والمقاهي والنوادي والجامعات . . فلا يخفى على احد مكانة اللغة في المنظومة التربوية التي تنشأ حسبها الاجيال ، وتخضع لها المجتمعات . كما لا يغيب عنه دورها في تكوين الشخصية وتحديد هويتها الوطنية . وليس اعتباطاً ما بذله الاستعمار من اجل نشر الفرنسية مثلاً في شمال افريقية

على حساب اللغة القومية ، وانشاء مدارس تهمّش لغة البلاد لتكوين اجيال جديدة منفصلة عن جذورها الحضارية ، مشبعة بروح غربية تزرع القلق والاضطراب ، وتشوه الشخصية فلا هي عربية ولا هي غربية . بيد أنه لم يفلح فيها خططه ، ولم يكن للمغاربة أن يظلوا هامشيين امام مولود هجين أشل يترعرع بين ظهرانيهم وعلى مرأى من الجميع .

هكذا بادرت كل الاقطار العربية منذ أمد طويل لاحلال لغتها محل لغات المستعمر ، باذلة الجهد لسد ما في اللغة العربية من ثغرات تجعلها لا تفي بمسميات العصر ، ونهجت شرقاً وغرباً ، طريقاً مملوءاً بالاشواك ، حافلاً بأعمال تنوعت نتائجها بين سلب وايجاب . ولن يتعرض هذا الحديث الا لبعض الخطوط العريضة التي نهجها المغرب في تصديه لعملية التعريب .

أولاً : التعريب مع فجر الاستقلال

١ ـ لقد كان من نصيب المغرب أن احتضن اقدم جامعة عرفها العالم (جامع القرويين) لم تكف عن القيام بدورها التثقيفي على مر القرون . فاليها يرجع الفضل في الحفاظ على تعليم العربية وعلوم الدين عندما ارادت فرنسا القضاء على هذه اللغة . فلقد استطاعت الحلقات الدراسية التي كان يشهدها جامع القرويين أن تحافظ على اواصر متينة تربط ماضي المغرب الحضاري بحاضره وترعى هذه الاواصر من هزات الاستعمار وسيطرته اللغوية والفكرية . هكذا كان لابناء المغاربة في عهد الحماية الفرنسية مراكز لتعلم العربية ، وحفظ القرآن ، والتخلق بالآداب الاسلامية في الكتاتيب المبثوثة في بعض القرى والمدن ، وفيما كان يعرف في الوسط العامي المغربي بـ « دار فقيها » للفتيات . فكثير من رجالات الأدب والفكر الذين حملوا مشعل الوطنية والكفاح ضد الاستعمار ، قد ترددوا على هذا الجامع ، وتربعوا فوق حصر القرويين متخذين من اعمدته متكأ ، سواء بالانتماء الكلي ، او بالانتماء الجزئي (بعد الخروج من الحصص الدراسية المنتظمة في المدارس العصرية) .

والى هؤلاء وامثالهم من قادة الحركة الوطنية ، يرجع الفضل في اتخاذ موقف حازم من تشتت النشء بين ماض هدام فرضته فرنسا ، وحاضر يهدف الى البناء وخلق التوازن والقابلية للتكيف .

٢ ـ قبيل الاستقلال وبعده ، وما أن حصل المغرب على استقلاله حتى اخذ يولي اللغة الوطنية العناية الكاملة . ويعطي التعريب مدلولاً جعله يلتصق باقدس مقوماتنا الحضارية في جميع مظاهر الحياة . وفعلاً ، خص المسؤولون قضية التعريب بكامل التشجيع والمؤازرة للمعنيين . وكان من مظاهر هذا التشجيع انشاء معهد الدراسات والابحاث للتعريب سنة ١٩٦٠ لتلبية الحاجات اللغوية للمغرب المستقل[1] فطرح المعهد مفهوم التعريب المواكب ، «أي جعل اللغة

(١) انظر : العلم ، ٢٦ / ١ / ١٩٧٩ ، ص ٨ .

الفصحى تتكفل بجميع المهام التي تقوم بها اللغات الاجنبية وتضمن تبليغ المعرفة العلمية والتقنية المعاصرة لمسايرة الركب الحضاري مع احتفاظ الشعوب العربية بطابعها العربي الاسلامي » . وقد وقف المغرب في التصدي لعملية التعريب هذه امام اختيارين ، فاما أن ينكب على تعريب اجهزته بمعزل عما يجري في بقية الاقطار العربية ، واما أن ينطلق من عملية تسعى الى ربط جهود ابناء الوطن العربي ، وتضمن جمع شملهم الذي لم يألُ الاستعمار جهداً في تشتيته ، وخلق اواصر لاسترجاع مجدهم والنهوض بامتهم نهضة جماعية لمجابهة التخلف . وقد وقع اختياره على الطريقة الثانية التي اختمرت في عقد اول مؤتمر للتعريب سنة ١٩٦١ احتضنته مدينة الرباط ، وتبادل فيه كل المهتمين من رجال التعليم والمسؤولين الاداريين في مختلف اقطار الوطن العربي الخبرة والرأي ، ووضعوا المخططات والبرامج . وانبثق عن هذا المؤتمر انشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الذي اتخذ مقراً له الرباط ، وتحددت مهمته في تجميع نتائج المجامع اللغوية في البلاد العربية والهيئات والشخصيات العلمية ، وتنسيقه وتتبع كل ما يصدر من مصطلحات علمية وتعبيرات فنية في مجالات العلوم والتكنولوجيا الحديثة واعداده لعرضه على مؤتمرات التعريب قصد اقراره وتوحيده والعمل به على الصعيد الرسمي . وتبنته جامعة الدول العربية منذ تاريخ انشائه ، كما تعهدت الحكومة المغربية بتمكينه من الوسائل التي تسهل مهمته الى أن تم انضمامه التام الى حظيرة جامعة الدول العربية سنة ١٩٦١ التي اشرفت عليه مباشرة فصارت ميزانيته تصدر عن مجلس الجامعة . وانطلق منذ ذلك التاريخ يعمل ويتعثر تارة ويسير الهوينا ويركض طوراً . فما هي النتائج العملية اليوم ؟

أما معهد الدراسات والابحاث للتعريب فقد حدث فيه هو الآخر حبو وزحف حينا ، وقفز وركض حيناً آخر . لقد سعى الى اهداف ضخمة استطاع أن يحقق بعضها وتعثر كثيراً في تحقيق بعضها الآخر . ومن بين ما اخذ المعهد يعمل من أجل تحقيقه ما يلي :

أ ـ اصلاح الخطاطة العربية (فنون الكتابة والطباعة) . وقد توج الجهد الذي بذل في هذا الاتجاه بنتائج حميدة اذ توصل المعهد الى طريقة العربية المعيارية المشكولة ذات الشفرة العربية الموحدة . (العمم ـ شع) . وقد حظيت هذه الطريقة بتوصيات عربية ودولية نذكر منها التوصيات التي صدرت عن بعض المؤتمرات والاجتماعات التالية : اجتماع اليونسكو (القاهرة ١٩٧٢) ؛ اجتماع اليونسكو (بنزرت ١٩٧٩) ؛ مؤتمر كاستراب (الرباط آب / اغسطس ١٩٧٦) ؛ المؤتمر الثالث اليكسو (طرابلس ١٩٧٧) ؛ اجتماع الاليكسو بشأن استعمال اللغة العربية في الرتابات (الحاسبات الاليكترونية (القاهرة نيسان / ابريل) ١٩٧٧) ؛ مؤتمر الاليكسو (الخرطوم ١٩٧٨) .

وبفضل طريقة (العمم ـ شع) استطاع المعهد أن يتوفر على واصل ركابي (تيرمينال الحساب الاليكتروني ثنائي الابجدية) (الواصل أوروب) يستخدمه في تخزين مواد البنك العربي للكلمات . وبصدد هذا الاصلاح ما زال المعهد يلقى كل التشجيعات والدعم من كثير من الهيئات . كما حظي اكثر من مرة بمساندات مادية مهمة من صاحب الجلالة مساهمة في تغطية

النفقات المتعلقة باصلاح الطباعة العربية بطريقة الاستاذ احمد الاخضر غزال مدير المعهد[٢] .

ب ـ ومن بين الاهداف التي يسعى اليها المعهد اصلاح المعجم . ومن اجل ذلك عمل على انشاء مِجَذّة (حافظة الجذاذات او البطاقات) تعتبر حصيلة جهود ما ينيف على عشرين سنة لتنميط وتوحيد المصطلحات . ويزيد احتياطها المعجمي على مليون جذاذة ما بين مركبة وفي طريق التركيب . وتحتوي الجذاذات على تحليل وتجريب قواميس ومعاجم وقوائم الفاظ ومؤلفات مختلفة احادية اللغة وثنائية ومتعددة . ويتجلى نشاط المعهد المعجمي في المساهمة بـ :

ـ « الرصيد اللغوي » بالتعاون مع معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ، ومع قسم اللسانيات بمركز الابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس .

ـ معاجم متنوعة للتعليم الثانوي بالتعاون مع وزارة التربية الوطنية .

ـ مصورات تعليمية عن المغرب وجيشه (عربي ـ فرنسي ـ انجليزي) (لاتيني) .

ـ معجم الادارة العامة بالتعاون مع وزارة الشؤون الادارية وبالتنسيق مع اقطار المغرب العربي والمجامع العربية .

ج ـ كما بذل المعهد الجهد لانشاء بنك عربي للكلمات انطلاقاً من المجذة التي تشكل المادة الأولى لبرنامجه . وقد شرع البنك في عمله منذ (كانون الثاني / يناير ١٩٧٩ . ويندرج عمله هذا في اطار توصيات مؤتمر كاستراب الذي يرمي الى تكوين رصيد من الالفاظ المتعددة اللغات تستخرج منها العربية المعاصرة الموحدة . وعقدت بمعهد الدراسات والابحاث للتعريب جلسات شارك فيها بعض وزراء التعليم ، تستهدف في مجموعها وضع منهجية علمية حاسمة في مشاكل التعريب على صعيد التعليم والادارة . ويمثل المعهد اليوم بالنسبة للجنة الوطنية لتعريب المصطلحات التقنية سنداً هاماً لانجاز اعمالها ، كما ينظم حلقات دراسية تعرف بالمنهجية التي يتبعها في اعداد المعاجم وتدارس المشاكل التي يطرحها بعض المصطلحات .

٣ ـ بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه هو : الى اي مدى استطاع المعهد أن يسهم عملياً في التعريب بالمغرب ، وما مردودية ما يزيد على عشرين سنة من الجهد بالنسبة لتقدم التعريب وتعميمه ؟ عن هذا السؤال اجيب بأن المردودية جد ضعيفة . فالمنهجية التي سلكها المعهد للتعريب المواكب بطيئة جداً ومتعسفة ، ولن يستطيع ، والوضع كما هو ، أن يعطي الثمار التي نتوخاها منه . فالنتائج او الحصيلة ما زالت دون المرجو بكثير ودون الجهود المبذولة ، وإن كنا نقدر بحق العمل الجبار الناجح الذي استطاع أن يحققه على مستوى اصلاح الطباعة . ويكفي أن نتساءل ونحن هنا مع الاخوة التونسيين والجزائريين عن مصير « الرصيد اللغوي » مثلاً ، وهل يعمل به في المدارس الابتدائية ؟ أو هل يستفيد منه تلاميذ هذه المدارس ؟ ولعلهم جميعاً لم يروه ابداً ، كما لم يسمع به معلموهم . فما الفائدة اذن وقد استهلك من الجهود والاموال والوقت

---

(٢) الانباء ، ١٨ / ١ / ١٩٧٤ .

ما ليس يخفى . ذاك مثال بسيط جداً ويمكن أن يضاعف مئات المرات . فماذا عن التعريب بالنسبة لمختلف القطاعات في المغرب ؟

الواقع أن مفهوم التعريب في المغرب التصق بمفهوم المغربة . ويقصد بالمغربة احلال الاطر المغربية محل الاطر الأجنبية التي كانت تباشر الوظائف ابان عهد الاستعمار وبعده . هكذا كان من الاهتمامات الأولى للدولة الاستغناء ما امكن ، وفي اوجز وقت ، عن الاطر الاجنبية ، وتعويضها بالمواطنين المغاربة . ثم ما لبثت المغربة أن اتخذت منحى جديداً يهدف الى تعريب هذه الاطر ، اي أن تصبح العربية اداة التواصل والتعامل والتعليم بدل الفرنسية والاسبانية. واقترنت العمليتان في ذهن المغاربة مسؤولين وجماهير شعبية ، وادرج التعريب كهدف اساسي في اطار المغربة على صعيد الادارة والتعليم والحياة العامة .

ثانياً : اهم مراحل التعريب

وهذه لمحة موجزة عن اهم المراحل التي مر بها التعريب في كل قطاع من هذه القطاعات .

١ ـ **في الادارة** : إن التعامل بين الجهاز المسير ومختلف طبقات الشعب يتم حتماً عن طريق الادارة المختصة . فهي صلة الوصل بين المصالح ، الفردية منها والجماعية . ولقد ورث المغرب من الاستعمار جهازاً ادارياً تسيره اطر اجنبية واخرى مغربية ، وجميعها تعتمد اللغة الفرنسية او الاسبانية لغة تسيير وتعامل مع المواطنين . لكن بعد حصول المغرب على استقلاله دفعته الرغبة في تحقيق اختياراته ومطامحه الى التفكير اولاً في مغربة الاطر الادارية ثم تعريبها . واذا كانت المغربة قد تمت في ظرف وجيز لتوفر الاطر المغربية الكفيّة على جميع المستويات بما فيها الاطر الفنية المختصة[٣] ، فإن عملية تعريب الادارة لم تكن من السهولة بالقدر الذي يتصور . وفعلاً ، عاشت الادارة المغربية منذ الاستقلال الى اليوم مراحل مختلفة ونهجت شوطاً كانت تتأرجح فيه بين السلب والايجاب .

إن تعريب الادارة يعني أن تتوفر لدى الموظفين الامكانات التي تخولهم مباشرة العمل الاداري باللغة العربية ، الشيء الذي لم يتحقق في جل الموظفين خلال السنوات الاولى من الاستقلال . فكان ضرورياً أن يفكر المسؤولون في خطة للمحافظة على هؤلاء الموظفين

---

(٣) جاء في حديث للسيد وزير التجهيز والانعاش الوطني لمجلة الاقتصاد العربي - كما ورد في : العلم ، ٣٠ / ٤ / ١٩٧٩ ـ أن وزارة الاشغال العمومية كانت تضم ، ما بين الاعوام ١٩٥٦ و ١٩٥٨ ، حوالى ٤٠٠ موظف لم يكن من بينهم مغربي واحد ، فواجه آنذاك مشكل المغربة بتحد ، اذ كانت الوزارة تضم الخريجين الفنيين المختصين ، الشيء الذي كان يبدو معه استحالة مغربة هذه الاطر . لكن بعد فترة التكوين ، ولم تكن طويلة ، نجحت المغربة . ويضيف بأنه بعد أن عاد الى هذه الوزارة اخذ على عاتقه تحدياً آخر هو التعريب . وفعلاً تعتبر هذه الوزارة اول وزارة يجري تعريبها بطريقة جدية ، اذ فيها حالياً مهندسون لا يستعملون سوى اللغة العربية بفضل اتخاذ الاجراءات اللازمة لانجاح عملية التعريب .

الاداريين لما لهم من كفاية في ميدانهم ، وتمكينهم في الوقت نفسه من الحصول على مستوى معين في اللغة العربية يتحقق معه التعريب . وهكذا بعدما قررت الحكومة المغربية سنة ١٩٦٠ تعريب الادارة بالتدرج (رغم الموقف المضاد لبعض الذين تذمروا من هذا القرار ، اما خوفاً على مناصبهم او لعدم اقتناعهم بضرورة التعريب . . .) وازاء جهل الموظفين باللغة العربية وادعائهم أن عملية التعريب ستكون حاجزاً دون سير الاعمال الادارية ، قررت وزارة الاصلاح الاداري آنذاك فرض تعلم العربية على كل الموظفين واشترطت في ترقيتهم اجتياز امتحانات التعريب الاداري ، واوجدت مصلحة خاصة في الوزارة . وفعلاً سارع الموظفون الى متابعة هذه الدروس والخضوع لقانون الامتحانات . لكن لم يمض الا وقت قصير حتى انطفأ وجه هذه الحركة المتحمسة ودخلت قضية تعريب الادارة في صمت طويل استمر اكثر من عشر سنوات كانت الادارة المغربية فيها هادئة البال مستريحة للتعامل باللغة العربية كما في عهد الاستعمار(٤) .

إن سكوت المسؤولين هذا لم يكن ليعمي الانظار ، او يسكت الاصوات التي ظلت تنادي بتعريب الادارة . واحتد تذمر المواطنين بتعاقب السنوات ، أو بعمق وعيهم بأن امة مستقلة يظل استقلالها صورياً إن لم تعززه عملياً باستعمال لغتها في التعامل اليومي وعلى جميع الصعد . لأن ذلك هو ما يعبر بحق عن التخلص من النفوذ الاجنبي . ومن اصطدام المواطنين بادارة اجنبية اللغة ، وبموظفين مواطنين عاقين للغتهم . وهكذا لم يكف الجميع عن اثارة مشكل التعريب دون انقطاع . ان شعباً اراق دماءه من أجل رفع نير الاستعمار عنه لم يعد قادراً على الصمت وتحمل الاغتراب الثقافي واللغوي في عقر داره ، ولم يعد يرضى أن يطلب ابنه او صديقه كي يفهمه ما تطلبه منه ادارة الضرائب او الشرطة او البريد . فلقد ارتبط في ذهنه مفهوم الاستقلال بالتحرر من لغة الاجنبي في المعاملات اليومية ، وبالتخلص من القهر الطبقي المتأتي من اللغة .

والواقع أنه بعد مرور كل هذه السنين لم يعد التعريب في حد ذاته مشكلاً لغوياً محضاً تعوزه كفاية الموظفين في العربية ، اذ اصبحت اكثر افواج الموظفين بالادارة من خريجي المدارس المزدوجة اللغة حيث زاولوا دراستهم منذ الاستقلال . والشيء الذي كان يجري هو أن القرار كان يتجدد ليلقى هذه المرة ، خلافاً لما صادفه من فشل سنة ١٩٦٠ ، استجابة لدى الموظفين لانهم جميعاً ، او معظمهم على الاقل ، يعرفون العربية ، وبجهد بسيط يستطيعون تنمية لغتهم الادارية .

لقد اشتد نداء المواطنين بتعريب الادارة فشنوا حملة منظمة خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٣ ، واصبحت الصحف الوطنية تطالعنا بعرائض يبعث بها المواطنون من مختلف اقاليم المملكة وعمالاتها الى السيد الوزير الأول ، يطالبون فيها بحقوقهم في المواطنة ، معنوياً وعملياً ،وبالكف عن الاستخفاف بمصالحهم التي يضيع جلها لعدم توفر التواصل بينهم وبين

(٤) نستثني من هذا الوضع التعريب في القضاء حيث كان موقف السلطات حاسماً جداً . لقد تم تعريب القضاء في ظرف وجيز . وذلك لما يتسم به الامر من خطورة على المواطنين واستلابهم حقوقهم الاساسية ، خاصة وان الاغلبية الساحقة لا تعرف الفرنسية او الاسبانية .

من وكل اليهم تيسير امورهم ، كما تكشف عما يعانيه المواطنون من استلاب يرجع الى التعامل بلغة الاجانب في ابسط الحاجات اليومية .

والاطلاع على هذه الرسائل والعرائض يؤكد لنا خطورة الموقف وعمق الجرح في نفوس المواطنين ازاء التمادي في سياسة التغريب اللغوي ، كما يعكس الابعاد المختلفة التي اتخذتها قضية التعريب . ويكفي أن نورد هنا ، على سبيل المثال ، بعض عناوين نشرت تحتها هذه العرائض مع مقتطفات من هذه الرسائل حتى نتبين الروابط التي اضحت وطيدة بين التعريب وشخصية المواطن المغربي واعتبار اهمال ذلك مسا بكرامته ومقدساته واستقلاله عن النفوذ الاجنبي:

- استعمال اللغة الاجنبية يعتبر مساساً باللغة الوطنية ولغة القرآن(٥) .
- سيادة اللغة الاجنبية احتقار للغة العربية(٦) .
- اللغة العربية يجب أن تحل محل اللغة التي فرضت علينا في عهد الاستعمار(٧) .
- فرنسة الادارة ضربة موجهة للغة البلاد(٨) .
- جميع المرافق الادارية ما زالت ترزح تحت وطأة اللغة الدخيلة(٩) .
- استعمال اللغة الاجنبية يذكرنا بفترة سوداء من تاريخنا(١٠) .
- يجب رفع الاضطهاد عن لغة البلاد وتحقيق الاستقلال الفكري(١١) .

ومن المقتطفات : « إن امر امتنا لن يصلح الا اذا كان لها فكر وطني سليم اساسه الاحترام الكامل للمبادىء والأسس المهمة في كياننا . وقد تفرقنا وتشتتنا لان ثقافتنا ثقافة مصالح واتجاهات ، وليست ثقافة الشعب بلغة الشعب . . . اننا نرفض رفضاً كاملاً الاستمرار في تجاهل اللغة الوطنية التي هي من مقدسات البلاد » .

وفي رسالة اخرى الى الوزير الأول : « إن الذي يعنينا هو أن نثير انتباه سعادتكم الى أن هذه اللغة الاجنبية ما تزال تفرض نفسها في المصالح الادارية كلها . وانتم تعرفون أن مصالح المواطنين متعلقة بهذه الادارات ، كادارة الفلاحة والضرائب والتعليم والبريد والبرق والهاتف ، وكذا الشرطة والدرك ومصالح المجالس البلدية والقروية ، والمصالح التجارية . فإذا كان بعض المواطنين ، وهم قلة ، يعرفون هذه اللغة فإن الاكثرية الساحقة من المواطنين لا يعرفون هذه اللغة . ولذلك فإن مصالحهم تضيع بسبب تعصب الادارة في استعمال اللغة الاجنبية . وان استعمال اللغة الاجنبية في مصالح المواطنين المغاربة المسلمين تعتبر مساساً بالاسلام ، ومساساً بلغة القرآن وباللغة الوطنية التي يقرها الدستور »(١٢) .

---

(٥) العلم ، ٢٥ / ٥ / ١٩٧٣ .
(٦) العلم ، ٢١ / ٥ / ١٩٧٣ .
(٧) العلم ، ٢٣ / ٥ / ١٩٧٣ .
(٨) العلم ، ٣١ / ٥ / ١٩٧٣ .
(٩) العلم ، ٢٤ / ٦ / ١٩٧٣ .
(١٠) العلم ، ٩ / ٦ / ١٩٧٣ .
(١١) العلم ، ١٧ / ٦ / ١٩٧٣ .
(١٢) العلم ، ١٤ / ٧ / ١٩٧٣ .

وتفتق عن هذه الحملة اصدار الوزير الاول (في ٨ / ١٠ / ١٩٧٣) منشوراً آخر الى الوزراء وكتاب الدولة ونواب كتاب الدولة ينص على ضرورة السير في تعريب الادارة تعريباً شاملاً ، وعلى حتمية مراسلة المواطنين باللغة العربية وحدها طبقاً لما ورد في منشور الوزارة الاولى رقم ٦٩ بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٩٧٢ . ويؤكد المنشور الجديد انه بالاضافة الى الجهود المبذولة منذ فجر الاستقلال في سبيل ابراز شخصيتنا القومية الاصيلة والنهوض بمقوماتنا الروحية ، وبعث ديننا الحنيف ، وازدهار لغتنا الوطنية بالاضافة الى ذلك ، فإن الدولة ما زالت تسعى لجمع قواها لـ « تعريب كامل في تعليمنا وفي ادارتنا وفي جميع مظاهر حياتنا اليومية » . ويعقد المنشور الآمال في نجاح عملية التعريب هذه على العلماء والمثقفين والاساتذة والهيئات التي تعنى باللغة ، كمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب .

والتعريب في هذا المنشور يعني ايضاً تصحيح ما تعانيه اللغة العربية من تحريف وتشويه خطي ولغوي على واجهات بعض الدكاكين والمحلات التجارية وبعض السيارات والشاحنات والعربات . وقد كلفت لجنة من ذوي الكفاية والخبرة بالسهر على مراجعة العناوين غير اللائقة شكلاً ومعنى مع تعريب ما لا يزال مكتوباً باللغة الاجنبية . ولتحقيق التعريب في الادارة ينص المنشور على ضرورة اصدار التعليمات اللازمة لكل المصالح قصد العناية بالموضوع . وهكذا اصبح ينظر الى التعريب من زاوية الاصلاح واحترام الدين واللغة التي تحمل في طياتها مجداً عريقاً وحضارة من ألمع الحضارات البشرية .

وبوركت هذه الخطوة من جديد وامسى الجميع يأملون أن لا تقف عند منشور اداري يصدره الوزير الاول ، بل أن تتجند جميع الوزارات والمصالح لتنفيذه . وتحمس المسؤولون لنشره ثم تسرب التذبذب والتأرجح مرة اخرى الى بعض المرافق فطالعتنا وزارة الشؤون الادارية والامانة العامة للحكومة بمشروع جديد حول مرسوم التعريب الاداري احالته على المرافق الحكومية لبته ، فوجد صدى ايجابياً لدى الحكومة واتخذته لبنة اساسية لما ورد في البيان الحكومي امام مجلس النواب في دورة (تشرين الاول) اكتوبر ١٩٧٧ . واسفر الامر عن اصدار منشور جديد في ١٣ (تشرين الاول) اكتوبر ١٩٧٨ يؤكد بأنه « بناء على مقتضيات الدستور ، وتعميماً لما هو معمول به داخل المؤسسات الدستورية ، وخاصة منها مجلس النواب والمجالس الوزارية والحكومية ، وفي النصوص التشريعية والتنظيمية والمحاكم وبعض الوزارات والجماعات المحلية . . . يتحتم على السلطات المختصة بباقي الادارات والمؤسسات العمومية والجماعات المحلية أن تعمل كل ما في استطاعتها على تطبيق مبدأ اعتبار اللغة العربية وحدها لغة العمل بداخلها » وقد خطط المنشور لعملية التعريب مرحلتين يشرع في تطبيق الاولى منهما على الفور بينما ينتظر توافر الامكانات للدخول في المرحلة الثانية . وكان المطلب الاول هو أن تعد المؤسسات العمومية والادارات الوسائل في اقرب الآجال لتعريب الاعمال الادارية في الميادين التالية :

- المراسلة بين الادارة والمواطنين .
- المطبوعات النموذجية والوثائق الادارية وخاصة المسلمة للمواطنين .

- الاعمال المتعلقة بتسيير الموظفين والاعوان .
- المراسلات العادية بين المصالح .

ويهيب المنشور بكل المسؤولين الذين تتوفر لديهم الوسائل الضرورية للتعريب ان يسهروا على تعريب ما استطاعوا تعريبه في الميادين الاخرى . كما يؤكد انه يتعين على السلطات المختصة في سائر الادارات والمؤسسات العمومية أن تعمل على فرض مادة اللغة العربية في مباراة التوظيف .

ويذكر بأن وزارة الشؤون الادارية(١٣) المكلفة بتنسيق التعريب الاداري تتوفر لها الامكانات اللازمة في نطاق الاعتمادات المخصصة لرفع عدد المراكز والاقسام الخاصة بدروس التعريب الاداري التي تنظمها الوزارة كل سنة في نطاق تكوين الموظفين في اللغة العربية ، بتعاون مع وزارة التربية الوطنية ، وتكوين الاطر لوضع برامج مناسبة . ثم يلزم المنشور جميع المسؤولين بأن يكونوا عاجلاً داخل اداراتهم خلية للتعريب يكون من بين مهامها :

- جرد ما يتطلبه التعريب من حاجات ووسائل على مستوى الادارة ، كحصر قوائم المصطلحات الخاصة بالادارة العمومية .
- استطلاع حول طريقة التعريب .
- وضع مخطط زمني يوضح المراحل والخطوات .
- تعريب نماذج مستعملة داخل الادارة .
- اقامة الروابط مع وزارة الشؤون الادارية المكلفة بتنسيق التعريب ليتسنى وضع المخطط العام للتعريب الاداري في مرحلته النهائية .

وفعلاً كانت لجنة الشؤون الادارية قد كونت لجنة مشتركة بين الوزارات للسهر على توافر امكانات التعريب الناجح . وكرست المرحلة الثانية لاستعمال اللغة العربية ونشرها اجبارياً في جميع الميادين الادارية ، واعتبر كل عمل اداري ملغى اذا كان محرراً بغير اللغة العربية .

فما هي الجهود التي بذلت للعمل بهذا المنشور ؟ لقد كونت اكثرية الوزارات خلايا للتعريب، وانكبت على توفير الظروف لتعريب الكتابات وتجهيز الادارة بالآلات العربية ، وكانت تعمل في الوقت نفسه على انجاز قواميس تستعين بها . فعلى سبيل المثال نذكر قسم التعريب والترجمة في مكتب التسويق والتصدير في الدار البيضاء ، وقد ساهم هذا المكتب في

---

(١٣) لقد اسند امر استكمال تكوين الموظفين في العربية في المجال الاداري الى وزارة الشؤون الادارية التي سهرت على وضع برامج خاصة للتدريب حسب المستويات المختلفة . فأنشأت مصلحة خاصة لتنظيم دروس التعريب وفتحت مراكز في جميع نواحي المملكة بالمدن والقرى ثم عهد امر التدريس الى رجال التعليم بالنسبة للمواد العربية ورجال الادارة فيما يتعلق بالمواد الادارية . وكانت تنظم في نهاية كل سنة دراسية امتحاناً تمنح في نهايته شهادة خاصة للناجحين . بيد أن اقبال الموظفين صحبته اضطرابات وعراقيل مختلفة فكانت المردودية ضعيفة .

انجاز معجم الادارة العامة . غير أن المردودية لهذا النشاط كان يعوزها التنسيق والتطبيق العملي وتكثيف الجهود . وإن كانت النيات الحسنة تدفع ببعض الافراد الى العمل المستمر من اجل الوصول الى الهدف .

٢ ـ لم يكن نصيب التعريب في التعليم اوفر واحسن من نصيبه في الادارة . وحتى لا اطيل اقدم بعض الملامح الكبرى التي عرفها تعريب التعليم في المغرب .

إن كل المدارس التي انشئت بعد الاستقلال جعلت اللغة العربية اللغة الاولى ، بها يزاول تدريس جل المواد . وهكذا اتخذ مفهوم تعريب التعليم شكلاً آخر ، اي تعريب المواد الملقنة بالفرنسية . ونشأ عن ذلك مشكل مفاده عدم وجود الاطر لتدريس هذه المواد من ناحية ، وعدم كفايتها ـ اذا وجدت ـ للتدريس بالعربية من ناحية ثانية .

إن المغرب بعد الاستقلال ، ككل الدول الفتية ، لم يكن ليتوفر له ذلك . ومن ثمة طرح من جديد مشكل المغربة والتعريب بالتلازم . ودخل التعليم في المغرب مرحلة اضطراب وتردد استعين فيها باساتذة عرب من المشرق العربي لتدريس مواد العربية ، وباجانب فرنسيين ورومانيين وغيرهم لتدريس المواد العلمية بالفرنسية . وتأتي النتائج هزيلة في الاقسام العربية . ويعزم على تعريب المواد العلمية ، فيستعان من جديد باخوة عرب ، وتفشل التجربة مرة اخرى . ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل المشكل . فقد خاب الظن اكثر من مرة في استعانة المغرب لتعريب المواد العلمية بالاخوة المشارقة مما جعله ينهج طرق الردة اكثر من مرة ، الى أن مضى وقت طويل ولما تتم عملية التعريب الفعلي على صعيد التعليم . لكن بوادر النجاح اليوم تبشر بكل خير .

لقد اتخذت الاجهزة الرسمية للحكومة قرار تعريب التعليم الابتدائي في (تشرين الاول) اكتوبر ١٩٦٧ ، ويقضي بتدريس جميع المواد، بما فيها الرياضيات ، باللغة العربية، ويبقى تدريس الفرنسية كلغة لا كوسيلة لتلقين المواد العلمية . بيد أن هذا الاختيار كان ينقصه بعد النظر والتنسيق . اذ لم يخطط لتعريب التعليم الثانوي حتى يستقبل الافواج المعربة . وهكذا وجد المعربون المتخرجون من المدارس الابتدائية انفسهم مضطرين الى متابعة دراستهم في الثانويات حيث كانت المواد العلمية والرياضيات والفيزياء والكيمياء لا تزال تدرس باللغة الفرنسية . فوقع ضحية هذا الوضع عدد كبير من التلاميذ ، منهم من تعثر طويلاً قبل أن يصل ، ومنهم من كان ذلك سبباً في انفصاله عن الدراسة . وامام هذا الفشل اضطر المسؤولون الى أن يتراجعوا وأن يقرروا الفرنسية من جديد في السنوات الثلاث الاخيرة من التعليم الابتدائي في (تشرين الاول) اكتوبر ١٩٧٠ . ولا يخفى ما في سياسة التأرجح هذه من ضياع . فبعدما بذلت الجهود لايجاد جهاز للتعريب ألزم الوضع بذل اخرى للفرنسة . كما لا يخفى ما نشأ عن هذا الوضع من قلق الآباء ، واضطراب في التوجيه ، وتساؤل عن المستقبل ، إن لم نقل ان بعضهم عدمت لديه الثقة في كل مستقبل .

ويأتي يوم ٨ / ٦ / ١٩٧٢ فتصدر وزارة التعليم بلاغاً لتعريب التاريخ والجغرافية والفلسفة في الثانوي بمرحلتيه بعدما سبق تعريب التاريخ والجغرافية في المرحلة الأولى من السلك الثاني ولما تتوفر الاطر الكافية لانجاح العملية ، فأبدى البعض قلقه وتخوفه من فشل جديد ، واعتبر البعض الآخر أن هذا القرار صادر عن اضطرار لا اختيار لتناقص الاطر المفرنسة المستوردة لأسباب خارجة عن نطاق التعليم . وعلت احتجاجات البعض لتؤكد أن التعريب الناجح للتعليم لا يتم الا في اطار توجيه عام يستهدف تعريب الادارة والاقتصاد ، ويساعد على خلق منافذ للاطر المكونة تجعلها تحتل مكانها في ميدان التنمية . وان عملية التعريب يجب أن يخطط لها تخطيط دقيق بعيدا عن الارتجال والمجازفة . . .[١٤] .

وبالفعل وكل في السنوات الاولى من اتخاذ هذا القرار تدريس مادتي الجغرافية والتاريخ لبعض اساتذة اللغة من غير المتخصصين ، وتأرجحت النتائج بين السلب والايجاب . كما عانى بعض اساتذة الفلسفة من المتخرجين من القسم الفرنسي الكثير من المشاكل لتلقين تلاميذهم دروسهم باللغة العربية . ومهما كانت الظروف الصعبة التي مرت بها عملية التعريب فإن نتائجها اليوم مقبولة اذ عملت كليات الآداب والمدرسة العليا للاساتذة التي فتحت شعبتها المعربة في هذه المواد منذ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ على تخريج افواج معربة ، دفعة بعد دفعة ، الأمر الذي اسهم في سد الحاجات ، بل اعطى فائضاً في قسم الفلسفة .

وماذا عن المواد العلمية ؟ يعرف المغرب اليوم بالنسبة لهذه المواد تجربة جديدة حاولت أن تستفيد الى حد كبير من التجارب السابقة ، فأعدت العدة لوضع مخطط يكفل لها النجاح واعتمدت مقاييس علمية محددة المعالم واضحة الأفق تسعى الى خلق نموذج وطني للتعليم تعتبر فيه اللغة العربية اللغة الرئيسية لتلقين جميع المواد . ويبدو من ندوة عقدها السيد وزير التربية الوطنية (٢٤ / ٩ / ٧٩) انه يلتزم بتوفير الشروط الضرورية لتحقيق خطوات المخطط الذي وضعته الوزارة . انطلق المخطط من وضع اللبنات الاولى لبلوغ هدفين رئيسيين ، مغربة اطر التعليم كلها وتعريب التعليم . ومن أجل ذلك انشأت الوزارة ابتداء من الدخول الجامعي ١٩٧٨ / ١٩٧٩ مدارس عليا لتكوين اساتذة العلوم والرياضيات تنفيذاً للترتيبات التي اتخذتها الوزارة بالتعاون مع كتابة الدولة للتخطيط والتنمية الجهوية . ثم اضيفت مدرسة خامسة فبلغت القدرة الاستيعابية لهذه المدارس ٢٦٩ طالباً . والى هؤلاء ـ كما ينص على ذلك المخطط ـ تسند مهمة تعريب المواد العلمية والرياضيات في السلك الثانوي . لذا يلقن طلبة هذه المدارس حصصاً في علم المصطلحات تختلف حسب الشعب التي يتخصصون بها على شاكلة المدرسة المحمدية للمهندسين التي التزمت في برامجها منذ تأسيسها سنة ١٩٦٠ تدريس مادة الحضارة الاسلامية في السنة الاولى والثانية التحضيرية ومادة العربية التقنية (اي المصطلحات التقنية في السنوات الثلاث في سلك الاختصاص) .

---

(١٤) « بمناسبة حلول السنة الدراسية الجديدة وعلى هامش قرار وزارة التعليم الثانوي تعريب التاريخ والجغرافيا والفلسفة ، » الاتحاد الوطني ، ١٥ / ٩ / ١٩٧٢ .

وبموازاة هذا العمل قامت الوزارة بمراجعة برامج مدارس المعلمين مراجعة جذرية تستهدف الاستجابة لمتطلبات اصلاح التعليم وتعريبه . ويبدو أن هذه الخطة ستؤتي ثمارها طيبة ، اذ لم يعد التعريب والمغربة شعاراً يردد ، وخطاباً يرتجل ، وإنما وعى المسؤولون الوضع وقدروه حق قدره . ووضعوا له تخطيطاً محدوداً موقوتاً بالزمان ومنظماً باطره ومدارسه واساتذته ، واننا لمع المنتظرين ، نغرس ونسعى لان نتذوق نتائج الغرس .

وقد نستخلص من هذه الحركة المتناقضة التي شهدها تعريب التعليم خلال مختلف المراحل أن الخطورة، كل الخطورة، في الارتجال وعدم التنسيق. فلقد اضحى التعريب خلال فترة طويلة اشكالية تأتت من عدم التصور الواضح للمفهوم ككل ، ولا يمكن حلها بالتجزئة ولا بفصل القطاعات بعضها عن بعض . كما تأتت من عدم ربط التعريب باوضاع البلاد الاقتصادية والفكرية قصد نشر ثقافة وطنية تسهم في بناء مغرب على اعمدة متساوية الطول والحجم . إن انعدام هذه الرؤية الواضحة اسفرت عما عرضناه من ثغرات واضطرابات في التخطيط والتراجع ، ونهج سياسة اقل ما يمكن أن يقال فيها انها فاشلة .

إن الضرورة تحتم أن ينظر الى التعريب نظرة كلية لا تتخطى الجزئيات ، ولا يتفكك فيها الكل ليصبح لا شيء . والخطة التي قد تضمن النجاح هي التي تعمل على السير بالعملية بالتوازي في جميع القطاعات برؤى محددة وخطى ثابتة واقتناع متجذر في الاعمال بكل خطوة نقدم على قطعها . فالتجزئة وانعدام التنسيق والتذبذب والارتجال اكبر العوائق التي تحول دون المسيرة الايجابية لحركة التعريب على مستوى جميع مظاهر الحياة . فمن العبث أن يعرب التعليم ، او جزء منه ، دون أن تعرب الادارة التي سيعمل فيها المتخرجون المعربون . ومن العبث ايضاً أن يعرب الابتدائي او الثانوي وان يمهد لتعريب العالي او يوضع مخطط لتعريبه وتهيأ الادوات والوسائل الكفيلة بانجاحه . إن السير باتزان وتوازن ومهل خير من العشوائية والركض المتعب لقطع مراحل لا ينظر فيها الى الجانب الكيفي بقدر ما يراعى فيها الكم ، ولا تنبع من التنسيق وتقويم المردوديات المادية والمعنوية ، بقدر ما تنبع من الخطابات والشعارات .

إن قضية التعريب قضية متجذرة في ارضية الامة ككل . وتتشابك جذوره في الاعماق لتزداد حدة وقعها على واقعنا المر . فصحيح أن النيات حسنة ، وان الكثير من الجهود تبذل على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي ، وصحيح أن الضجة تنبيء عن حدوث شيء ، وان هذا الشيء هو الاهتمام بالتواتر بقضية التعريب . لكن هل يرجى من ذلك اكثر مما كان ؟ لا شك أن الجواب ايجابي . فالمغرب اليوم يشق طريقاً آخر في تهيئة الوسائل العلمية الكفيلة بقيام تعريب واضح . واهم هذه الوسائل هي تهيئة القواميس ووضع المصطلحات لتمكين المستعملين من المادة الخام لتعريب المواد العلمية ومظاهر الحياة المختلفة . وهذا هو العمل الذي من اجله تسعى اليوم السلطات المسؤولة بالمغرب .

لقد اقترحت وزارة التجهيز والانعاش الوطني وضع مخطط لتعريب المصطلحات المستعملة في قطاعات التجهيز وفي مختلف الوزارات الاخرى كوزارة البريد والفلاحة والداخلية والسكن

فارتأت الوزارة الاولى تكليف كتابة الدولة تكوين الاطر بعملية التنسيق ووضع هذا المخطط . فسهرت هذه الاخيرة على تكوين لجنة وطنية لتخطيط تعريب المصطلحات التقنية افتتحت اعمالها يوم ٤ حزيران / يونيو ١٩٧٩ . وقد حصرت اشغالها في تحضير عدد من المعاجم التقنية في جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية ، كما حددت خطتها لتكوين لجان ميدانية من ممثلين وزاريين ضمن مصلحة التعريب داخل كل وزارة تكون مهمتها « احصاء المصطلحات التقنية والمقابلات العربية الموجودة »[١٥] . وستتم اعمال اللجان بتنسيق وثيق مع معهد الدراسات والابحاث للتعريب .

ثم انطلقت اللجنة في اعمالها وشرعت في تكوين لجان اخرى مختصة منها : لجنة الهندسة المدنية ؛ لجنة الهندسة المعدنية ؛ لجنة الهندسة الميكانيكية ؛ لجنة الهندسة الصحية ؛ لجنة الهندسة الكيمياوية ؛ لجنة هندسة الاعلاميات ؛ لجنة الهندسة البحرية ؛ لجنة العقم الزراعي ؛ لجنة العلوم الانسانية ؛ لجنة العلوم القانونية ؛ لجنة العلوم الاقتصادية ؛ لجنة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ؛ لجنة السياحة ؛ لجنة الشؤون العسكرية ؛ لجنة الكهرو ـ حرارية .

وتجتمع هذه اللجان في دورات مضبوطة لتدارس المصطلحات والنظر في الصعوبات المنهجية التي تعترض بعض الافراد . وكثيراً ما دار النقاش بين اعضائها حول مشكل المنهجية ، وافتقاد المصادر الكفيلة بسد الحاجات الى المقابلات العربية . واصطدمت بعض اللجان بقلة الامكانات المادية والبشرية فعرفت بطئاً كبيراً في نشاطها ، واخذت تنادي بالتفرغ الجزئي لبعض الاعضاء ، وتوظيف آخرين تتوفر لديهم الكفاية اللغوية والمهارة الفنية . وقد حاولت أن تحل بعض مشاكلها فيما يخص المراجع بايفاد بعثة الى المشرق العربي قصد اقتناء ما يتوفر في الاسواق والجامعات والمكتبات من قواميس ومراجع وغيرها مما يسهل العمل ويضمن له النجاح ، وللجنة صلة ببعض رؤساء المكتبات واقسام المعاجم في الجامعات بالمشرق في الموضوع نفسه . ونظراً للاسبقية والاستعجال اللذين يطبعان بعض الميادين ، فقد راعت اللجنة ترتيباً في اخراج المعاجم واعطت الاولوية لمعجم التجهيز والرياضيات ، فمعجم الادارة العامة والاعلاميات ، فمعجم البريد والمعجم المالي والمصرفي . وتمر عملية اخراج المعاجم بمرحلتين اساسيتين ، مرحلة ثبت المصطلح العربي الموجود او وضع ما لم يوجد ، ثم احالة هذه الاعمال على لجنة الضبط اللغوي لمعهد الدراسات والابحاث للتعريب التي تسهر على مراجعة ما تتوصل اليه قبل أن تعمل على اخراجه .

وقد مرت على لجنة العمل فترة تزيد على سنتين كلها حافلة بالنشاط والانتاج ، واستطاعت بوسائلها المتواضعة أن تحقق بعض الانجازات . وانهت لجنتا البنوك والبريد والادارة معاجمها ، وهي الآن في مرحلة الضبط اللغوي . وينتظر اصدارها في اواخر السنة الحالية . واستطاعت اللجان الاخرى أن تجرد وترتب وتضع مقابلات لـ ١٣٥٠٠ مصطلح في ميدان

(١٥) كما تنص الكلمة التوجيهية التي القاها السيد كاتب الدولة في تكوين الاطر في افتتاحية اجتماع اللجنة .

الهندسة الكيمياوية والزراعية والكهرو- حرارية . وقامت لجنة العلوم الاقتصادية والسياحية والهندسة النووية بجرد وترتيب ١٠١٠٠ مصطلح يبحث عن مقابلاتها ، كما قامت لجنة الهندسة المعمارية بجرد ١٤٠٠ مصطلح . وكل هذا ينبىء بجدية العمل . ويشارك في هذه اللجان بعض اساتذة التعليم العالي التقني من معهد الزراعة والمدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة العسكرية .

وتقوم لجنة تعريب المصطلحات التقنية هذه بنشاطات ثقافية موازية تتمثل في تحضير ندوات ومحاضرات باللغة العربية في ميادين علمية وتقنية بمختلف اقاليم المملكة ، وتهدف بالاضافة الى المحتوى العلمي ، الى ترويج المصطلح واذاعته بين الشباب والطبقات الشعبية . ولها نشاط خارج النطاق الوطني . فقد ساهمت في مؤتمر التعليم المنعقد بطنجة ، وفي ندوة المركز العربي للتطوير الاداري . وقد مرت بمرحلتين اساسيتين ، الاولى تطوع افرادها للعمل ، والثانية تفرغ جزئي لبعض الاعضاء . وتسعى حالياً الى مرحلة التفرغ الكلي لعدد من الاطر حتى تستطيع انجاز اهدافها المرسومة . وقد خصت بميزانية لتوظيف عدد من المهندسين والمساعدين اذا تمت موافقة البرلمان على ميزانية تبلغ نصف مليار سنتيم في اطار المخطط الخماسي ١٩٨١-١٩٨٥ . كما اصبح لها وجود قانوني رسمي تدعيماً لحركة التعريب الشاملة التي تعمل على ايجاد الوسائل لبلوغ الغايات .

ثالثاً : مبادرات فردية في التعريب

تلك بعض جوانب الانشطة التي تعرفها حركة التعريب في المغرب على الصعيدين الرسمي والجماعي وهي في مجملها ثرية ومتنوعة . فهل يشهد المغرب اعمالاً غير رسمية على مستوى الافراد ؟ إن المبادرات الفردية للتعريب على قلتها ذات قيمة . وهي تعبر عن التعلق بمبدأ التعريب والايمان به ايماناً قوياً . وسأكتفي بالاشارة الى جهود يبذلها بعض اساتذة التعليم العالي . فمثلاً لقد صدر سنة ١٩٨٠ معجم **التربية والتعليم**[١٦] للاستاذ محمد بن شقرون . كما ساهم د. مصطفى بنيخلف مدير المعهد الوطني للاحصاء والاقتصاد التطبيقي بعدة مقالات بالعربية في ميدان الرياضيات والكشافة بالمجلة التي يصدرها المعهد[١٧] على مستوى التعليم العالي ، واصدار اول كتاب في سلسلة « التعريب والمعرفة » تحت عنوان « تمارين في الرياضيات مع اشارات حول الحلول » لطلبة قسم الرياضيات والفيزياء وقسم الفيزياء والكيمياء في كل المدارس العليا للاساتذة والمعهد الوطني للاحصاء والاقتصاد التطبيقي[١٨] . ويحتوي الكتاب

(١٦) وهو معجم فرنسي / عربي .

(١٧) مصطفى بنخليف ، « الكشافات الاحتمالية والتحويلات الاحقنية ، » (١٩٧٧) ؛ « الاختبارات معلمية وزمر سطاين ، » (١٩٧٨) ، و « الاحتمالات والاحصاء الرياضي ، » (١٩٧٥) .

(١٨) تمارين في الرياضيات مع اشارات حول الحلول ، سلسلة التعريب والمعرفة (الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، ١٩٨١) .

على تمارين تقدم في وقت واحد بالعربية والفرنسية في صفحتين متقابلتين ، اذ يرى المؤلف أن ذلك يسهل على الطالب الانتقال من لغة الى اخرى ، ويصبح الكتاب كمعجم للعبارات . وقد استعمل الرموز اللاتينية التي صادقت عليها المجموعة الدولية ، اذ يعتقد ان استعمالها داخل النص العربي يضمن التوفيق بين التعريب والانفتاح على العالم الخارجي ، مع قدرة الاستعمال السريع للمراجع المكتوبة بمختلف اللغات .

وقد سبق للاستاذ بنيخلف ان اصدر كتاباً تحت عنوان « من اجل تعريب في المستوى » عرض فيه بعض الاقتراحات التي يرى أنها جديرة بانجاح عملية التعريب في المغرب . كما أشير الى الجهود التي ما فتىء يبذلها الاستاذ محمد عزيز الحبابي في اخراج قاموسه « في مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية » وقد صدر منه الى الآن الجزء الأول الذي يتضمن الحروف (A-B-C)[١٩] وينتظر أن تصدر الاجزاء الأخرى متى توفرت لديه امكانات العمل .

إن هذه الجهود الفردية في حد ذاتها مهمة غير أنها تسكن زاوية النسيان ، ولا تجد لها صدى إن لم تلق تشجيعات من لدن الهيئات المسؤولة وما أظنها ذات حظ كبير في المغرب ولا في المشرق . إن العمل الجماعي البناء يفرض نفسه بالقوة اذ يكثر تداول المصطلح ويسعى اكثر من واحد الى اذاعته ونشره بين المستعملين الذين يتقبلون ما يستسيغونه ويرفضون ما تنفر منه اذواقهم .

وعلى العموم فإن نشاط التعريب في المغرب والجهود المبذولة من اجل تحقيقه قد اخذت تؤتي اكلها . فلقد عمت العربية جل مرافق المجتمع ، وتم تعريب التعليم في سائر مواده المتصلة بالمقدسات الوطنية في كل من الابتدائي والثانوي والعالي . كما أن انتشار العربية يتزايد اكثر فأكثر في انحاء المملكة خلال شتى الانشطة التعليمية والثقافية وبتكاثر الصحف والمجلات والاندية ، وبالشروع العملي في تعريب اكثر من المصالح والادارات في القطاعين العام والخاص ، وبوضع تخطيط محكم للشروع في تعريب المواد العلمية في قطاعات التعليم ككل .

خاتمـــة

لقد سعيت عن كثب واستبيان الى تتبع التجربة المغربية في التعريب وما صحبها من سلب وايجاب في اطارها التاريخي والمجتمعي ، ووضع الاصبع على ما صادفته من عراقيل عملت على تعثر عملية التعريب وتخطيطها ، علنا نأخذها بعين الاعتبار في قطع المراحل المتبقية .

وإن تجربتي في ممارسة تدريس مادة « العربية التقنية » ، ونقصد بها ترجمة بعض نصوص مواد علمية لتلقين مصطلحات عربية تقنية لطلبة الهندسة والعلوم في التعليم العالي ، سمحت لي

(١٩) محمد عزيز الحبابي ، المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية (الدار البيضاء :دار الكتاب ، ١٩٧٨) (عربي / فرنسي / انجليزي) .

بالتعرف الى المشاكل العملية في انتقاء المصطلح العربي المقابل من بين كثير من المقترحات ، والصعوبة الفعلية في ممارسة التعريب للمواد العلمية . كما جعلتني أؤمن بأن وضع المعاجم والمصطلحات يجب أن تتضافر فيه جهود اللغوي والمختص التقني ، فلا غنى لاحدهما عن الآخر ، كما لا غنى عن أن ننطلق في وضع مقابل للمصطلحات من سياقها في النص لا بمعزل عنه ، حتى يتم التفريق بين لونيات المصطلح . كما استخلصت من التجربة أن التعليم التقني على مستوى الجامعة يحتم ضرورة ادراج مادة التعريب في جميع الشعب العلمية المختصة كمرحلة اولى قبل أن نعرب تلقين المواد العلمية بالتدريج حتى لا يكون التعريب على حساب المستوى ، وحتى نهيىء الاجيال عملياً وذهنياً للقيام بهذه المهمة بنجاح وخطى ثابتة ، ونجد منفذاً قوياً لاستغلال جهود المجامع والهيئات في وضع المصطلحات ، فطلبة اليوم هم اطر الغد فإذا لقنوا المنهجية الحكيمة والمصطلح الصائب استعمله الطالب وعمل على نشره . كما أن تجربتي كأم اكدت لي أنه مهما كانت الجهود التي ابذلها لتلقين ابني بعض مسميات الادوات الحديثة في الحياة اليومية باللغة العربية اجدني عاجزة بدوري لأن البيئة اللغوية التي نعيش فيها تتحدث لهجة دارجة لا تنتمي الى اية لغة بعينها ، بل هي خليط من كل الاصناف .

وأصل لأقول ما أكثر الجهود وما اكبر الطاقات التي تبذل هنا بالمغرب وهناك بالمشرق ، وما اضخم عدد القواميس وقوائم المصطلحات التي تصدرها الهيئات والمراكز المختصة والجماعات والافراد . فلا تمر سنة حتى تطالعنا دور النشر بقوائم مطولة للقواميس المزدوجة والمتعددة اللغات في مختلف ميادين الفكر والمعرفة . ولكن إن كانت تلك الجهود تنبىء بمدى الشعور بالحاجة الى مواكبة الركب الحضاري والرغبة في تلافي التأخر الذي تعانيه اللغة العربية ، وتعكس النيات الحسنة في أن تنال العربية مكانتها اللائقة بها لتظل اواصر الامة العربية قوية ، فإنها في الواقع تمتاز وتتميز بالاضطراب والتناقض . فبقدر ما يبذل من الجهود الجبارة في ميدان تأليف المعاجم ، يزرع من الخلاف والصراع والتناقضات بين ابناء العالم العربي تجاه بعض المصطلحات ، بل حتى داخل البلد الواحد . فمثلاً على صعيد المغرب ، تبذل جهود مضاعفة ومضاعفة . فمركز الدراسات والابحاث للتعريب من جهة ومكتب تنسيق التعريب في العالم العربي من جهة اخرى كل منهما يقوم بالعمل نفسه لتعريب الكثير من المصطلحات المتعلقة بالمادة نفسها . ولا يخلو تعريبهما لها من اختلاف ، مع أن المسافة المكانية بينهما لا تتعدى ثلاثة كيلومترات . فلا مبرر لعدم تنسيق تلك الجهود لتوفير الطاقات المادية والبشرية . كما لا مبرر لأن يعمل اي بلد عربي بمعزل عن الآخر .

لقد آن الأوان ، إن لم يكن قد فات لأن تتخذ امثال هذه الاعمال حداً لها ، اتقاء لعواقبها اللامحمودة على العربية وابنائها . فلا يكفي أن يتوافر ابناء العربية على كذا مركزاً للتعريب او كذا معجماً في مختلف المواد ، بل المهم أن يحسن التطبيق وتتخذ الوسائل الحازمة والناجعة لتوحيد المصطلح في اقطار الوطن العربي وترويجه ، حتى لا نظل في بلبلة لا تستساغ ، نعمل على تضخم رفوف المكتبات ولا تجد المصطلحات الى سوق الاستهلاك منفذاً .

تعقيب

محمد عزيز الحبابي

نحن ضيوف هنا على مركز وظيفته الوحدة العربية . وقد ابى الا أن يطبق تجربة التوحيد على اسرة عربية ، واظنني مقتنع بأنه نجح في توحيدنا وكانت الوحدة مسبقاً كاملة والحمد لله . فلتطمئن السيدة صاحبة الورقة بأنني لست الممتحِن بل الممتحَن . ودليلي على ذلك انه حينما وصلت الى هنا ، اطّلعت على البرنامج ورأيت اسمي مكرراً مع فاطمة ومع محمد الحبابي . وانطباعي الاول كان انها نكتة امتحان حقاً . وعلى كل سنقوم بالامتحان شاكرين لمن نظمه . وكان اول ما فكرت فيه هو المحاكمة فرأيتني متهماً ولا اعرف المتهم ولا التهمة ، ومع ذلك فأنا اجابهها . ثم فهمت معنى « تعقيب » ، انه من مادة عقاب فسامح الله الذين ارادوا التعقيب او العقاب .

السيدة فاطمة الجامعي ، آخذ عنوان موضوعها ، وهذا ليس ملاحظة عليها ، ولكن تجنباً للالتباس فأنا مريض بقضية التوضيح ومحاربة الأداء . فتقويم تجربة التعريب في المغرب قد يفهم منه المغرب الكبير او ما يسمى بالمغرب العربي . لذلك اقترح على مجتمعنا الموقر أن نخصص « مغرب » لذاك البلد الذي عاصمته الرباط . اما الباقي فهناك كلمة قرآنية « مغارب » ، مشارق الارض ومغاربها ، ونطلقها من بنغازي الى نواكشوط .

وكما ذكرتني بالامتحان فسأفعل كما لو كنا في دفاع عن الاطروحة ، آخذ صفحة بصفحة ، ولكن لن اطيل . في الصفحة الاولى تقول : « لغتنا التي تناجي بها الام ولدها ولم يزل جنيناً » ، وهذا يذكرني بما قاله احد الكتاب من مواطنينا ، جان عمروش من الجزائر : « انا لا استطيع ان ابكي الا بلهجتي » ، اي لااكون انا ، ولا اجد هويتي الحقة ، امنيتي كمايقول الفلاسفة ، الا حينما اتكلم بلغتي . اذن مهما كانت ثقافتنا باللغات الاجنبية ، فلا بد من أن الوتر الحساس الداخلي حينما يكون الالم او الامل نرجع الى لغة الام .

قضية الامة كما ذكرتها السيدة فيها التباس على ما اظن ، لأن هناك تعاريف كثيرة للامة

وحصرها في اللغة قد يكون فيه شيء من الاعتباطية ، ولكن هذا شيء ثانوي . وفي نفس الورقة الاولى ، في الفقرة الثانية ، تقول السيدة : «وليس اعتباطاً ما بذله الاستعمار من اجل نشر الفرنسية » . ولا اظن ، كما قال في الصباح الاستاذ العروي ، وكما قالت الاستاذة الآن ، ان فرنسا نشرت لغتها ، وذلك من سوء حظنا ، لأنها لو فعلت لكانت المقاومة قبل الانتظار الذي انتظرناه ، ولحاربناها بلغتها وبسلاحها . ولكن كانت تعمل على تأسيس ما يسمى بمدارس ابناء الاعيان ، اي الموظفين الكبار ، والقادة ، وغير ذلك. هذه كانت البداية في بعض المدن . فأول ثانوية اسستها هي ثانوية مولاي ادريس في فاس . وبعد ربع قرن من دخول الفرنسيين للمغرب ، بدأنا نستعد لاخذ البكالوريا ، وكان في قسم البكالوريا طالبان او ثلاثة ، ولم يكن لنا تعليم عالٍ الا بعد الاستقلال . فكان على من يريد أن يتعلم أن تكون لديه الامكانات للذهاب الى الخارج ، الى فرنسا . وكان الذين يحملون البكالوريا بالمائت . اما اليوم ، فهذه السنة نجح اكثر من ٤٠ الف طالب وطالبة . فالحقيقة اذن ان فرنسا لم تكن تريد تعليمنا . نحن لم نتفرنس ، ولم لا ؟ لو كنت في مكانها ، والحمد لله على اني لست مستعمراً ، لفعلت مثلها ، لان مصلحة الاستعمار أن لا يرتقي الناس الى مستوى الوعي والتفكير في اوضاعهم . ولذلك كانت فرنسا تهيء اطراً ليكونوا وسطاء بينها وبين الشعب ، واول شهادة كان الناس يمتحنون فيها هي شهادة Certificat D'étude D'Arabe ثم الدبلوم العالي ، وقد اسس اولا للفرنسيين الذين يأتون من ال « متروبول » اي الوطن الام او الوطن الاب ، ليستطيعوا ان يحكموا المغاربة . ثم اضطروا الى وسطاء ، فأسسوا قسم الترجمة بمعهد الدروس العليا في الرباط ، ثم تأسست الاجازة في الحقوق وكان يستفيد منها الفرنسيون ، لأن حاملي شهادة البكالوريا كانوا قلة جداً ، ثم البحوث التي كانت محصورة في الاتنولوجية ، اي انهم يدرسوننا كشعب بدائي ، لأن علم السوسيولوجيا خاص بالغرب وبالراقين. اما المتخلفون فيدرسونهم من ناحية فولكلورية . ويدرسون الوشم وما معناه في اليد وفي الفرج والقفا ومعانيه السحرية الى غير ذلك . وان نكن قد استفدنا من تلك الدراسات الآن ، لأنها فتحت اعيننا على كثير من الاشياء . في الجزائر اطلعت على الخريطة اللغوية في ايام الاستعمار وبعد الاستعمار . كانت هناك بعض الامكنة معرّبة مثل قسنطينة ونواحيها ، بينما كانت العاصمة والقبائل الكبرى مفرنسة ، وكانت مزدوجة اللغة داخل الظاهرة المحددة ، ظاهرة اللغة وصلة التعريب بالقضايا الاخرى التي تكلمنا عنها . ولذلك اعتقد بأنه ليس هنالك من خلافات في واقع الامر ، وانما هي مسألة المنظور والمنطلق . فأنا انطلقت بوعي من قضايا محددة وبقدر الامكان حاولت ان اغالب استهواء البحث او الدراسة ، لأنه كان ممكناً أن اسرح في هذا الموضوع . هناك كلام على دفاع تقليدي عن اللغة العربية . وفي الحقيقة انه ليس دفاعاً تقليدياً ، واللغة العربية ليست موضع اتهام ، ولكنه في الحقيقة مؤشر على ان اللغة العربية كانت لغة جيدة ويمكن أن تكون كذلك لا اكثر . فلم يتهم اللغة العربية من ابنائها الا القليلون ، وهذه الاتهامات آتية من الخارج .

ولكني احب ان اؤكد بأني لا اقول ان التقدم اللغوي يؤدي آلياً الى تقدم ، اي الى مضمون مستقل اجتماعي ، او كما ذكرت من أن « الحرف » في تعبيرنا يدل على أن اللغة

وسيلة ، وان قدرة اللغة وعبقريتها لا تدلان على ظاهرة في حد ذاتها . ان قدرة اللغة ، اي لغة ، وعبقريتها ليستا سبيلاً الى التقدم الحضاري آلياً ، وان كان اتساع اللغة وغناها . هو من مظاهر التقدم بمعنى من المعاني ، بل هو التقدم نفسه . ولقد ظل التقدم قيمة من القيم التي خضعت وتخضع للنسبية ، ويتوقف الحكم عليها من الزاوية التي يرى منها . ومع ذلك فإن اشباع الحاجات الطبيعية الاساسية والحاجات الاجتماعية بصورة رشيدة ، وعلى مستوى شامل تتحقق به العدالة بين المجموعات البشرية ، يمكن أن يكون معياراً مقبولاً للتقدم . وهذا يعني في واقع الامر ، ان القضية المعروضة الآن هي قضية سياسية . وهذا ما نصل به الى كلام الاخ العزيز الصديق الدكتور الجنحاني في العلاقة بين اللغة والوحدة . فالواقع ان العلاقة بينهما ليست علاقة بيولوجية . الوحدة السياسية علاقة ايديولوجية ، واما وحدة اللغة العربية ، ووحدة الثقافة العربية ، ووحدة التراث العربي ، فوحدة تاريخية . ابن زيدون من الاندلس ، والمتنبي ، والاخطل الشاعر المسيحي ، وجرير ، كل العرب يقرأون لهؤلاء الاخوان . فهذا تراثهم ، وليس من احد يقول بأن ابن زيدون اسباني او انه ليس عربياً . والوحدة السياسية كما نعرفها في النظم موضوع آخر . انه موضوع ايديولوجي ، موضوع فكري وسياسي محدد ينطلق من حقائق تاريخية وموضوعية قائمة هي ان هناك وحدة في التراث ، ووحدة في اللغة ، ووحدة في العقيدة ، ووحدة في اشياء كثيرة جداً ، ووحدة ايضاً في التراب، الخ ، انه اتصال تاريخي وجغرافي .

وبعد ، فما هو الواقع الآن ؟ انه لا توجد وحدة عربية ، لكن هناك اقطار عربية ، وحضارة عربية ولغة عربية ، وثقافة عربية . كل هذه الاشياء موجودة بصورة من الصور . وكون هذه الاشياء توجد بصورة اخرى فهذا موضوع فكري . فترتيب هذه الاشياء بصورة اخرى هو موضوع فكري ، ولكن الناس يعتقدون بأن الامر الطبيعي والشيء التاريخي هو أن تترتب بطريقة معينة .

واعتقد اخيراً ان الغرض من هذه اللقاءات هو اثارة الوعي واضفاء الحيوية والحرارة والابقاء على الافكار حية ناشطة ، وانه ليس من بين اهدافنا ان نصل الى نتائج محددة ، او أن نتخذ قرارات او توصيات نرفعها الى الجهات المختصة . فنحن عبارة عن اناس مفكرين نتكلم على هوانا وكما نريد ، ونرى كيف تسير الامور وفيها توعية للرأي العام العربي وفيها ايضاً شهادة بأننا لم نكن متفرجين في هذه الاحداث .

المناقشات

عبدالله العروي : قيل مراراً في هذه الندوة انه يجب ربط مشكلة التعريب بتحليل طبقي للمجتمع العربي ، وانا بالطبع ارحب بهذا التحليل وادعو اليه . لكن اود ان الفت النظر الى انه يجب تتميم هذا التحليل الطبقي الوصفي بتحليل نفساني وكذلك بتحليل اجتماعي اكثر دقة . فلا توجد طبقة واحدة بقيت وفية لموقف واحد ازاء قضية التعريب . ولا بد اذن من ربط تغيير المواقف بتغيير الظرفية السياسية . ثم الاحظ أن كل طبقة تشمل عدة فئات ، وخاصة الفئات المهنية ، وأنه يمكن أن تقف فئات مهنية تنتمي الى طبقات مختلفة موقفاً واحداً من مناصرة او معارضة التعريب في ظرف سياسي معين .

وأريد في ملاحظة ثانية أن ألفت النظر الى ظاهرة مهمة وهي دور المرأة في القضية التي نحن بصددها . لقد كان تعليم الفتيات ضئيلاً جداً أيام النفوذ الاستعماري ، فبقي البيت بعيداً عن التأثيرات الفرنسية . لكن بعد الاستقلال ، وبسبب انتشار التعليم المزدوج ، دخلت اللغة الفرنسية الى الحياة البيتية معززة بالغزو الاعلامي الهائل . ولا أريد أن يفهم من كلامي هذا ادنى نقد لتعليم الفتيات وانما اطالب بدراسة هذه الظاهرة دراسة دقيقة وموضوعية . فنشر التعليم المزدوج يخدم في الظروف الحالية اللغة الفرنسية في المغرب الكبير عن طريق غزو الحياة البيتية .

الطاهر لبيب : انه مجرد تساؤ ل ، فقد اشار الاستاذ محمد عزيز الحبابي الى أن الهيمنة الثقافية الفرنسية لم تكن في المغرب نتيجة فرض خارجي فحسب ، بل ان شرائح اجتماعية مغربية كانت تستقبل وتستوعب ، بل تطالب بحقها في هذه الثقافة . اذا كان هذا صحيحاً تاريخياً فهذا يعدل الى حد ما المقولة الشائعة التي لا ترى في الهيمنة الاستعمارية الا طرفاً اوحد . اتمنى اذن مزيداً من التوضيح .

احمد العزعوزي : شكراً للدكتورة فاطمة على اثارتها قضية تعريب الادارة لأنها قضية حساسة جداً . فالادارة بحكم وظيفتها كجهاز حاسب لنقل الثروة وتوزيعها داخل المجتمع ، هي اداة أساسية في يد الفئات المهيمنة اقتصادياً ، وبالتالي فهي اكثر الاجهزة ارتباطاً بالطبقة السائدة . والادارة المصابة بداء التضخم في عدد موظفيها هي احد الجسور للحراك الاجتماعي . فعن طريق اعتلاء المناصب فيها يسهل الارتباط بالدوائر العليا ، وربما الاثراء عن طريق التحيلات والاختلاسات ، وكذلك عن طريق الميزات المقدمة . وبالتالي فإن مسيّريها ومعينيهم هم اكثر اعداء التعريب تشنجاً نتيجة بؤسهم الثقافي وتزلفهم لمصالح الطبقة السائدة ، وحفاظاً على مراكزهم ، وهم المفرنسون . كما انهم حريصون جداً على التراتبية الاجتماعية يعملون على اثباتها داخل المجتمع . وبالتالي فإن تعريب الادارة قضية جوهرية وهي حجر الزاوية في التعريب بالمغرب العربي . اذ كيف يمكن تعريب التعليم الجامعي دون تعريب الادارة التي تمتص خريجي الجامعة . انه موضوع جدير بالدرس .

هشام بو قمرة : مغربة الاطر . هل تعني بالضبط ما نعنيه نحن في تونس بتونسة الاطر ؟ لأن تونسة الاطر تتحمل في تونس فقط التونسة العضوية الجسمية . فقد يسمى الانسان محمداً او علياً ولكنه يتكلم بالفرنسية او الانكليزية، فهل نفس المفهوم هو المفهوم المغربي ايضاً ؟ لقد تحدثت الباحثة عن القوى الضاغطة وحملة المواطنين لتعريب الادارة عام ١٩٧٣ . فما هي الدرجة الفعلية الحقيقية لهذه القوى الضاغطة ، وهل يكفي مجرد اصدار بعض المقالات او ارسال بعض العرائض الى الجرائد لنجعل من ذلك قوة ضاغطة ؟ كنت اود ان اعرف ذلك. وحرب المصالح بين الطبقة الادارية المهيمنة والمعنيين بالامر مباشرة ، هل هي حرب متكافئة ، والى اي حد ؟ انا اعتقد بأنها ليست متكافئة ، ويبدو لي في نهاية الامر ان المغارب متشابهة . هنا استعمل كلمة للاستاذ الحبابي ولكني استعملتها حتى لا اوافقه عليها . فاكثر من مرة سمعناه يقترح علينا أن نستعمل المغارب والمشارق. وفي اعتقاده اننا نحن المغاربة نقبل بالمغارب ، ولكن يجب أن نسأل اخواننا المشارقة هل يقبلون بالمشارق ؟ لا . ومع ذلك فهو يستعملها معاً في الوقت نفسه . وعلى اية حال فإن المشارق والمغارب التي اخذها من الآية القرآنية لها معنى آخر يختلف تماماً وليس هذا مجالاً للشرح . هناك نقطة اخرى بكل سرعة ايضاً . فقد ذكر الاستاذ الحبابي الآداب الشعبية نرسلها لابنائنا . فهو يقول لماذا نرسل اللهجة المصرية الى التونسي واللهجة الليبية الى المغربي، وكذا ، وكذا ، ومن الافضل أن يسمع التونسي اللهجة التي يتكلم بها . واقول اننا لو قطعنا المسلسلات المصرية والشرقية عن التليفزيون التونسي لكانت وقفت هذه المسلسلات واحتج كل الاطفال وخرجوا الى الشارع . وعلى اية حال ، لا يضرني اطلاقاً اذا استمع ابني الى اللهجة المصرية او الى اية لهجة من اللهجات العربية .

ثم هناك قضية المرأة . وباختصار ايضاً يتحدثون عن المرأة التي ادخلت اللغة الفرنسية او اللغة الانكليزية الى البيت ، فمن هي هذه المرأة ؟ لقد اصبح عمرها اليوم٣٥ او ٤٠ سنة وإذا هي لم تتكون في انظمة التعليم الحالية ، فلننتظر قليلاً الى ما ستؤدي اليه هذه الانظمة . وانا لا احكم ، وانما المرأة التي تحدّث ابناءها بالفرنسية هي المرأة التي تعلمت في الظروف السابقة ،

حين كان لا يذهب وقتها الى المدارس الا ابناء الاعيان الذين لا يؤمنون بالعروبة . وفي النهاية اخشى أن تنتهي هذه الندوة بتوجيه برقية ولاء الى فرنسا والى الاستعمار ، لأننا استمعنا اكثر من مرة الى الدور الايجابي الذي قام به الاستعمار الفرنسي ، مرة ذكر في نشر اللغة العربية ، ومرة ذكر حين قيل ان فرنسا المسكينة لم تجبرنا على تعلم الفرنسية .

سهيل ادريس : اثار بحث د. فاطمة الجامعي الحبابي اهتمامي الكبير ، لأنه اعطى صورة عريضة عن تجربة التعريب في المغرب مع كل ما اعتور هذه التجربة من انتصارات ونكسات وعزائم وذبذبات ان دلت على شيء فهي تدل على اننا لا نستطيع ، في مسيرتنا الحضارية ، أن ننتظر القرار السياسي يأتينا به المسؤول ، بل لا بدّ من أن يكون للمثقفين العرب ، للمفكرين والادباء وحتى الشعراء ، دور كبير في تكوين « الضغط » الضروري لدفع المسؤولين ، بل ارغامهم عند اللزوم على اتخاذ القرار . ان الحاكم المسؤول لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، ولاسيما اذا كان هذا الشيء يتطلب جرأة واقداماً .

اما النقطة الثانية ، فهي تساؤل الدكتور عما آلت اليه جهود بعض المؤسسات ، كمعهد الدراسات والابحاث للتعريب ، والمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، بعد مرور زهاء عشرين سنة على قيامها . وتساؤلها يفضي حقاً الى الشك في مردودية هذه المؤسسات او ضعف هذه المردودية . واعتقادنا أن الباحثة تعرف الجواب على هذا التساؤل ، وهو أن العنصر البشري ، اي الانسان ، هو الذي تحتاجه تلك الحواسيب (جمع حاسوب) ليحاورها ويلقمها ويخزن فيها لتجيبه وتستجيب له . بمعنى أن عقل الحاسوب يظل عاجزاً اذا لم يتحدث اليه عقل الانسان .

والنقطة الثالثة التي اثارت اهتمامي الخاص هي خاتمة بحث الدكتورة التي حرمت من القائها عن تجربتها في ممارسة تدريس مادة « العربية التقنية » . واعتقد أن واضعي المعاجم لهم أن يفيدوا كثيراً من هذه التجربة التي تعاملت مع الحياة .

كان صوتاً متميزاً هذا الذي سمعناه اليوم في ندوة التعريب ، فلصاحبته التحية .

حسن احمد يوسف : اني اعتبر هذا البحث اضافة قيمة الى ما استمعنا اليه حتى الآن من تجارب بلدان المغرب العربي في التعريب. وهو دليل آخر على ما بين هذه البلدان من تشابه وعلى أن التعريب يتخذ فيها جميعاً ابعاداً تختلف عنها في دول المشرق . فهو يمتد الى ميدان الادارة والحياة العامة بالاضافة الى التعليم . وقد عالجت صاحبة البحث كل ذلك وعرضته في صورة جلية . فاستقوفتني بصورة خاصة تلك الاجراءات والتدابير التي اتخذها المغرب لتعريب الادارة وهي قرارات تعتبر سياسية ملزمة في التعامل بين وزارات الدولة وبينها وبين المواطنين .

وقد زاد ذلك من اقتناعي بأن أمر التعريب في المغرب العربي كله يتوقف على قرار سياسي من السلطة المسؤولة وعزم اكيد على تنفيذه ثم عمل في مجال التعليم يعطيه الصيغة العملية الكاملة ويجعل منه عاملاً في تعريب المجتمع كله . فللتعليم وظيفتان في هذه الحالة . وقد وقفت بنا صاحبة البحث عند ذلك واشارت الى الصعوبات التي وقفت في وجه التعريب الكامل

للتعليم ، وذكرت منها ضعف الاطر في استعمال العربية في التدريس . واشارت ايضاً الى محاولة فاشلة في الاستعانة بمعلمين من بعض بلاد المشرق العربي ، لكنها وقفت عند ذلك ولم تحاول شرح اسباب هذا الفشل . وانا اجعل هذا موضوع تساؤ ل ارجو الاجابة عليه اذا تيسر ذلك ، واتساءل ايضاً ان كانت هناك محاولة للاستفادة من اجهزة الاعلام في اسماع الكلمة العربية لافراد الشعب .

فاطمة الجامعي الحبابي : لن احاول التعرض لكل النقاط التي وردت في هذه التساؤلات ، لاني موافقة على ما جاء فيها . اما النقط التي سأقف عندها فهي التالية :

لقد قال الاستاذ عبدالله العروي بأنه لا يقبل بأي حال ما جاء في القول عن الطبقات الشعبية . واقول ان الطبقات الشعبية التي لها المصالح في استمرار الفرنسة ليست هي التي اردتها . فأنا اعني بالطبقات الشعبية ، الطبقة الكادحة الامية التي لا تعنيها لا العربية ولا الفرنسية ، والتي يعنيها فقط ان تجد لابنائها مورداً مالياً آخر الشهر ، وتتوخى ، ان في التعريب او في وجود مقعد في المدرسة ، ما يكفل لها ذلك . اما ما قصدتموه طبقات شعبية غير مسؤولة ، تؤيد الفرنسة وتتمسك بها ، فاظنهم قلة لأنهم من ذوي المصالح المادية بالذات . وهؤلاء يمكن أن يسموا رجال الاعمال مثلاً ، اي البرجوازيين الذين لهم مصالح مع الاجانب في الخارج . اما المعارضة فمن هم ؟ في اكثريتهم شعب متخلف ، ضربت الامية اطنابها فيهم ، وفهموا بأن التعريب والعربية لغة الدين ، لغة القرآن ، لغة الصالات، لغة الخطاب في الشارع ، لغة التعامل اليومي . فنحن نطالب بالعربية ، وهؤلاء اشد الناس تشبثاً ، واقولها عن يقين ، بالمطالبة بالعربية ، اعتقاداً منهم بأنها تؤيد كل المصالح . وهذا ما قصدته بالطبقات .

هناك قضية ثانية هي قضية طبقات تريد مرة أن تعرّب ومرة أن تفرنس . وهذا صحيح لأن كل هذه الطبقات تعيش في قلق ، تبحث عن شيء ما : هل سيكون التعريب حقاً في صالحنا، ونصبح في يوم ما مسؤولين ونتعامل بالعربية ؟ فإذا كان في نفسي ان اكون وزيراً او نائباً لوزير ، فهل عليّ أن اتعامل بالعربية في الخطابات والدعايات السياسية وكذا ، وكذا ، ام لا حاجة بي لذلك وعليّ ان اكون في صف المفرنسين ؟ لكننا لا نبحث على مستوى هذه الطبقات التي لها مطامع ادارية وسياسية كبرى .

واما عن المرأة التي ادخلت الفرنسية او الانكليزية الى البيت فقد قلتم بأن المرأة في اوائل الاستقلال لم تكن مثقفة ، وهذا صحيح، ولكنها لما اتيحت لها الفرصة ؛ تعلمت الفرنسية فدخلت بها الى البيت . واتساءل مع من كانت يومها تتكلم الفرنسية قبل ان يكون لها ابناء على مستوى التحدث ؟ تتحدث مع الزوج ؟ ولو رفض الزوج أن يكلمها بالفرنسية او بلغة اخرى ، لفعلت ، فهي تنساق مع وضع تعيشه . ثم اشرت في بياني الى انه اذا كان التحدث عن غير ارادة ، اي تحدث تلقائي للمرأة كمرأة بأية لغة داخل البيت ، بخليط ما ، فإن الدوافع الاجتماعية هي التي تجعلها تتحدث بتلك اللغة . اني احاول اكثر من مرة بأن اعلم ابني ، اسماء مسميات عصرية بلغة عربية ، فاجدني ، انا التي اتزعم التعريب والعربية والتعليم

بالعربية ولم اتعلم الا بالعربية ، عاجزة عن هـذا التطبيق ، لأنني اولاً لا اعـرف كل المسميات ، انا استاذة العربية ما زلت استعين بالقواميس . واؤكد لكم انني استحي حين يسألني ابني عن اسم شيء ولا اجد له جواباً بالعربية . وثانياً لأن جل ما نستعمله داخل البيت من ادوات وملابس واشياء جديد على الحضارة العربية ، وعلى البيئة المغربية . وثالثاً لأننا اذا حاولنا أن نفعل ، فإن البيئة اللغوية لا تنحصر في البيت وانما لها اطراف في حديقة البيت ، وخارج البيت وفي المدرسة ، وفي المتجر ، والسوق . . . الخ . من هنا يصعب ان نحمّل المرأة كل المسؤولية في الفرنسة ونترك الرجل معفى من هذه المسؤولية .

اشار احد الاخوة الى علاقة تعريب الادارة بالجامعة ، وهذا صحيح . ولو نظرتم الى آخر البحث لعلمتم اني اربط تعريب الجامعة وتعريب التعليم بالمستقبل العملي المباشر للاطر المتخرجة . فلا ادارة معربة من دون تعليم ، ولا تعليم معرّب بلا ادارة معربة ، اي كأننا نسير في حلقة مفرغة . التعريب كل لا يتجزأ في كل الاطارات ، فاما ان نعمل على تعريب اقتصادنا وملابسنا وكل شيء ، او ان نظل نلهج بلفظة تعريب . فحتى على مستوى المائدة ، حينما ادخل الى اي فندق ، سواء هنا ، في المغرب ام في المشرق ، لا اسمع الا الـ « البنجور » والـ «Bonsoir يا مدام» وهذا مؤسف .

الاستاذ بوقمرة ، وضع تساؤلات اشكره عليها ، واقول اني بالنسبة للمغربة ، حاولت ان اوضح مفهوم مغربة المغرب في كلمتي ، وقلت ان المراد من المغربة اولاً وبالذات تعويض الاطر المفرنسة الاجنبية بأطر مغربية ، سواء أكانت مفرنسة او معرّبة . ثم في مرحلة ثانية تعريب هذه الاطر، فكان بين التعريب والمغربة تلازم .

واما حرب المصالح فهي ككل حروب المصالح . كلنا ننطلق من مصالح مـادية وللأسف ، لان المصالح الادبية الخلقية تظل نوعاً ما في بيئتنا العربية مصالح او قضايا مثالية شيئاً ما ، اذ كل حزب بما لديهم فرحون . فاصحاب المناصب ، اصحاب السلطة ، اصحاب الادارة ، يريدون ان يتشبثوا وان يشدوا بالاسنان وليس بالانامل ، على ما لهم ، ولذا لا يفتحون الباب لغيرهم .

في قضية الحاسب او « الاوردیناتور » Ordinateur التي اثارها الاستاذ سهيل ادريس اقول ان استخدامه في قاموس المصطلحات العربية لم يسلك طريقه الواضح . واعتقد ان كل من يستعمله الآن ، او على الاقل جلهم ، يتعشقون فيه الهيكل ، هيكل « الاوردیناتور » . فهم معجبون به لانه شيء اتى من اوروبا ومن الغرب والتكنولوجيا المعاصرة ، ولم يعرفوا بأن «الاوردیناتور»هو عبارة عن مصلحة او وسيلة كسيارة ننتقل فيها،وانه يسهّل علينا عمليات بالنسبة لعلم الاجتماع ، وعلم اللغة ، عمليات في دراسة نصوص ، وعمليات تخزين مواد لاستثمارها . والح على هذا (فالاوردیناتور) وسيلة كقلم ، او كآلة نستغل بها البحث عن كلمة في اي دقيقة وفي اي مدى . فبدل ان اكلف نفسي الذهاب الى المكتبة والبحث عن القاموس الاخضر او الاحمر ، او اي قاموس واستخراج اي كلمة لاعرف هل هي موجودة ام لا ، يكفي ان اضغط على زر الاوردیناتور لاحصل على هذه الكلمة .

الفصل التاسع

تقويم تجربة التعريب في الجزائر

مصطفى الفيلالي

مقدمـــة

لا تزيد هذه المساهمة على أن تكون شهادة شاهد عاش في الجزائر ، بحكم ظروف مهنية عرضية ، مدة من الزمن صادفت اقدام الجزائر على تجربتها الفذة في التعريب . وليست هذه المساهمة تبعاً لذلك من جنس الابحاث المقدمة في هذه الندوة ، لا في شكلها اذ لم يتسع الوقت لاعداد نص مكتوب ، ولا في مضمونها ، اذ لا تعتمد المراجع الواجب اعتمادها بالقياس الى تجربة بهذه المنزلة .

وبعد ، فهو كلام من جنس ارتجالي يقوم على خواطر فردية وذكريات شخصية اكثر مما يقوم على معلومات مدققة ومراجع ممحصة . وقد قبلت ان اقوم بهذه المغامرة الفكرية لدى الندوة لامر اساسي انا به من المؤمنين، هو أنه لا ينبغي ان تغفل تجربة الجزائر في ندوة معقودة لبحث التعريب كاداة لاثبات الوجود الوطني . ولعلنا انما كنا نفكر في الجزائر اكثر من غيرها من الاوطان العربية عندما ربطنا موضوع الندوة بهدف اثبات الوجود الوطني . ذلك أن تجربة الجزائر هي في نظري اهم التجارب المغربية في ميدان التعريب . واصعبها سبيلاً ، واكثرها تشعباً ، واحوجها وسيلة ، وادعاها للرجاء والتفاؤ ل .

واني سعيد ان اقوم بهذه المحاولة بمؤازرة صديقي الدكتور محمد دويدار الذي عاش في الجزائر وتولى التدريس في جامعتها للعلوم الاقتصادية ، وعاصر مثلي تجربة التعريب . وقد تشاورنا في هذا البحث فاتفقنا على أن يشمل ثلاثة عناصر ، يتعلق اولها بسير الواقع الجزائري في فجر الاستقلال واستنطاق هذا الواقع ليكون منطلق النقاش وسنده الاول . ويفضي بنا الثاني

(*) كان من المقرر ان يقدم الاستاذ عبد الحميد المهري البحث الخاص عن « تقويم تجربة التعريب في الجزائر » وبما ان ذلك تعذر في الساعات القليلة قبل الندوة حيث لم يصل بحثه حول الموضوع . ونظراً لاهمية موضوع التعريب في الجزائر ، وتفادياً لمثل هذا النقص في الندوة ، فقد اعد الدكتور مصطفى الفيلالي هذا البحث القصير، على عجالة ، مستفيداً من تجربة وجوده في الجزائر اثناء عملية التعريب فيها .

الى تحليل ملامح التجربة الجزائرية تحليلاً اجمالياً دون الدخول في التفاصيل التي لا نريد ان نجازف فيها ، ثم نحاول أن نلتمس في العنصر الثالث ما لاقته التجربة الجزائرية من مصاعب موضوعية ومفتعلة وما تعثرت به من عقبات .

اولاً : الانطلاق من الواقع

استميحكم ان افتح هذا الباب بذكرى شخصية . فقد حضرت في احد ايام ربيع ١٩٦٣ بمطار تونس ـ قرطاج الدولي فيمن حضر لاستقبال الرئيس الجزائري احمد بن بيلّلا وهو عائد من زيارة رسمية الى القاهرة . وما أن فتح باب الطائرة وتقدم المدرج حتى برز بن بيلّلا وصاح بأعلى صوته ثلاث مرات « نحن عرب » .

لا اعتقد أن هذا الموقف الذي قد يعتبره بعض الحاضرين شذوذاً يخرج عن سنن المراسم لرجل حديث العهد بالمسؤولية موقف خال من كل دلالة . بل ارى له عمق دلالة من وجه نفسي . فهذا شاب عاش في مجتمع مكبوت ، ولما رام الثورة ، ودخل الكفاح القي عليه القبض واودع السجن طوال ست سنوات . فكانت صيحته صيحة انعتاق حين اعيدت له حريته الشخصية ، وكان انعتاقاً لاثبات هويته . ثم ان في تلك الصيحة دلالة اجتماعية سياسية القاها احمد بن بيللا باسم شعب كامل ظل منفياً في ارضه ، مقطوع الصلة عن ديار الاسلام والعروبة بما ضرب الاستعمار الفرنسي على ذلك الشعب من حصار حضاري متين ، فأرسلها صيحة الصدق المزوج بحرقة الفرقة ، وبفرحة اللقاء ، وببرد الوصول بعد طول الانتظار ، وفيها العبارة البسيطة البليغة عن الاستلاب الحضاري الذي قاساه شعب الجزائر طوال اكثر من قرن .

وقد تمثل ذلك الاستلاب الحضاري للضمير الجزائري في طمس معالم الدين بالمدن والقرى ، واستبدال المساجد بالكنائس ، وفي ما كانت القبائل الجزائرية هدفاً له من غرض التبشير النصراني ، كما تمثل في حرمان الاطفال الجزائريين من تعلم العربية قطعاً لروابط اللغة بين الجزائر وبقية اقطار الامة العربية . وتمثل الاستلاب بالخصوص في فرنسة جميع مجالات الحياة الوطنية ، الادارية والاقتصادية والثقافية ، فرنسة غزت المدن والقرى اولاً ، ثم رامت ان تتسرب الى الأرياف على ايدي المستعمرين الفرنسيين المنتشرين في الاراضي الطيبة . ولعل ظاهرة هجرة اليد العاملة الجزائرية طلباً للعمل بفرنسا ، كان رافداً لهذه الفرنسة . وما كان ذلك بارادة المهاجرين او اختيارهم ، بل كان نتيجة لحملة من الضغوط الموضوعية التي تؤثر على المهاجر المعزول وسط بيئة غير مضيافة .

ولقد نجا الريف الجزائري من هذه الفرنسة في الكثير الغالب من جهات الجزائر ، وبالخصوص في مناطق واسعة من الجهات المتاخمة للمغرب الاقصى وتونس ، فكانت الارياف بمثابة خميرة مطلب التعريب بالجزائر . كما نجا بعض الفئات الاجتماعية في المدن بسبب

تعاملها مع تونس والمغرب . وحقيق بنا الا نغفل عما كان لمعاقل العروبة والاسلام في جامع القرويين بفاس ، وجامع الزيتونة بتونس ، من عون كريم وسند مبين للمحافظة على مساكنة العربية اولاً ، ثم لتغذية التجربة ببعض الاطارات واهل الكفايات والايمان نذكر في مقدمتهم الرئيس السابق هواري بومدين الذي كان من طلاب الزيتونة قبل ان يلتحق بالازهر الشريف .

ثانياً : ملامح التجربة الجزائرية للتعريب

١ ـ هي تجربة رسمية اعتمدت على قرار سياسي رسمي تمّ اتخاذه في اعلى مستويات الدولة . وهو قرار شخصي للرئيس بومدين ، اتخذه بمحض ارادته ، وفرضه على المترددين والمتذرعين بذكر المصاعب والعقبات ، ورعاه بعنايته الشخصية . وقد ربطه في اول الامر بالعقيدة الاسلامية وبالهوية الذاتية للشعب ، وجعله فوق كل نقاش . وان لم يكن يرفض اعتبار الوسائل والمراحل . ولكنه كان يقول : التعريب اختيار للامة الجزائرية في تمسكها بذاتيتها ، وهو اختيار يستند الى شرعية التاريخ والى قوة سنده في جذور الماضي . ثم اصبح التعريب قراراً تأسيسياً اضيفت اليه شرعية الارادة الشعبية عندما صادق الشعب الجزائري على الميثاق الوطني ليكون بمثابة دستور البلاد .

٢ ـ صفة الشمول ارادة وقصداً ابتدائياً . وصفة الشمول هذه تميز التجربة الجزائرية عن تجربة البلدين الشقيقين المغرب وتونس . فقد اعتبرت الجزائر ان التعريب ينبغي أن يقوم على رابطة التلازم بين تعريب التعليم من جهة اساسية ، وتعريب الادارة العمومية من جهة ثانية ، وتعريب الشارع والبيئة الاجتماعية والاقتصادية من جهة ثالثة . ولعل هذا التلازم قد وقع اعتباره في مقياسه الزماني اكثر مما وقع اعتباره من حيث التناسق والترافق في المضمون . وكان التعبير في شيء كبير من الحذر عن رأي شخصي هو من جنس الخواطر .

٣ ـ كانت التجربة الجزائرية في منبتها مشرقية المرجع قومية السند . واذا صح هذا الافتراض فإنه يرجع في نظري الى اعتماد الجزائر في منطلق التجربة على مصر وبعض البلاد العربية الاخرى مثل فلسطين وتونس لجلب المعلمين والاساتذة الذين عهدت اليهم بتعريب التعليم والادارة . ولعل هذا الطابع الشرقي يتأكد بصفة خاصة مع مصر الناصرية اذا اعتبرنا العلاقة الشخصية بين هواري بومدين وجمال عبدالناصر ، والتجانس في بعض الاختيارات السياسية الكبرى بين مصر والجزائر ، فيما يهم نوع الحكم واسلوب الممارسة ، وفيما يتعلق ايضاً بالتصرف في الشؤون الاقتصادية .

٤ ـ وهناك السند الريفي للتجربة . وابادر فأنبه الى جانب الاجتهاد في هذا الرأي . ولكنه من اليقينات التي حملتها من اقامتي بالجزائر ، اعتماداً ظنياً على الاعتبارات التالية :

أ ـ الثورة الجزائرية لم تكن قائمة على الطبقات الوسطى الحضرية التي تعمر المدن مثلما هو

الشأن غالباً في ثورتي المغرب وتونس ، بل كانت ثورة شاملة حمل الريف القسط الاوفر من اوزارها .

ب ـ كان هواري بومدين رجلاً ريفياً متعصباً للريف ـ عاش في العاصمة غريباً فريداً منزوياً في ظني ـ مهيب الجانب من اهل المدينة . وكانت له عناية خاصة بالريف تمثلت فيما كان يقدم عليه مرات في العام من زيارة للمناطق الريفية الكبرى يصطحب فيها اكبر عدد من الوزراء فيتدارسون حاجاته المعاشية ،ويستمعون الى طلبات المواطنين ، ثم يضعون برنامجاً جهوياً للإحياء ، ويقدرون وسائل تمويله ، ثم يعلن ذلك الرئيس بومدين للعموم من ابناء تلك الجهة .

ج ـ كان في ما لاقته التجربة من احترازات ومناهضة من جانب اهل المدن في العواصم الجزائرية الكبرى ، وبخاصة من جانب البورجوازية القديمة والمستحدثة لما كانوا يعتبرونه مغامرة وغروراً من قائد عسكري ، شاهد على أن انصار التجربة هم من الريف ، حتى بالقياس الى اهل الريف الذين نزحوا اليها من القرى الريفية التي نسفها الجيش الفرنسي في الاعوام الاخيرة من حرب التحرير .

ثالثاً : مصاعب التجربة وعقباتها

ليس من الهيّن احصاء هذه المصاعب والعقبات والتجربة لا تزال سائرة في الاحقاب الاولى من عمرها ولما تؤت اكلها بصورة واضحة ملموسة . ويمكن أن نفرد بالكلام بعض المظاهر :

١ ـ جو المدن العام الذي كان يتصف بموقف الرفض في قرار مفروض بارادة سياسية واحدة تعتمد على سطوة رجل واحد يعول على مكانته في الجيش الوطني . ومن الصعب تصنيف هذه المواقف في خانة الرفض اذ لم تكن تتساوى بين طبقة الاطارات الحرة من اطباء ومحامين وصيادلة نشأوا في جو الفرنسة وعولوا على الفرنسية لغة عمل وبيئة ، وبين الطبقات الشعبية المتحمسة عاطفياً ودينياً للتجربة وهي لا تدرك ابعادها ومقتضياتها .

٢ ـ مقاومة الادارة مقاومة تكتسي اشكالاً مختلفة للتعطيل اهمها التعطيلات الاجرائية . فنحن ابناء المغرب العربي لنا في باب الحرص على الاجراءات وعلى تراكمها قصب السبق لا يجارينا فيه احد .

٣ ـ عدم توافر الاطارات القادرة والمتفهمة بالقدر الكافي وفي الوقت المطلوب .

٤ ـ يستتبع ذلك صبغة الارتجال الذي تتصف به غالبية مشاريعنا في البلاد المغربية كما هو الحال في كثير من بلاد العالم الثالث . فنحن مرغمون في كثير من الحالات ان نركب القطار وقد

انطلق في سيره . ويتعاصر الدخول في التجربة والممارسة مع التفكير والتخطيط ومع تدبر الوسائل وتوظيفها .

٥ ـ عدم التوافق زمنياً بين تعريب التعليم وتعريب الادارة والشارع . فمن سنن التنظيم المنطقي أن يسبق تعريب التعليم، ثم يلحق تعريب الادارة ، الذي يهيء بدوره لتعريب البيئة الثالثة والتاريخ . ولكن واقع الممارسة لا يسمح بهذا المنطق في ترتيب الاوليات . فإن التجربة تدل على تعايش المراحل المختلفة وتزاحمها. وليس من الهين ارجاء بعضها ، خصوصاً ان التجربة الجزائرية قد اختارت صفة الشمول وربطت رباط التزام بين تعريب الاوساط الثلاثة . ولكن الوصول الى التوافق الزماني بينها ليس باليسير .

٦ ـ تعريب التعليم العالي على غير تناسق بين التخريج وبين سوق التشغيل ، فترتبت عن ذلك بطالة فنية في مستوى حاملي شهادة الحقوق وشهادات العلوم الانسانية المتخرجين بالعربية . فكان لذلك اسوأ الأثر على تجربة التعريب في جدواها الاجتماعية وفاعليتها المهنية ، بحيث اصبح ذلك عامل توهين للتجربة ، وتقليل من الثقة بها والتعلق بنجاحها . وليست هذه القضية ، قضية الترابط بين الجامعة وسوق الشغل ، قضية خاصة بالجزائر دون غيرها من بلاد المغرب والمشرق، ولا اراها خاصة بتجربة التعريب ، بل تهم معظم جوانب التخريج الجامعي .

٧ ـ تخطي بعض جوانب الواقع الثقافي في بعض جهات الوطن التي لها خصوصيات ثقافية مثل بلاد القبائل المتعلقة باللغة البربرية . وقد ترتبت عن ذلك حوادث حصلت اخيراً في عاصمة (تيزي ٠اوزو) .

خاتمـــة

انا شاعر بما في العرض من ضعف ونقائص كثيرة ، وابادر بالاعتذار عن ذلك لما اسلفته من اسباب . ولعلكم لا تنكرون ما يكتنف كل تقويم لتجربة معاصرة لها من الاهمية ما للتجربة الجزائرية في التعريب من مصاعب بسبب تداخل العوامل الايجابية والسلبية في نسيج دقيق ليس من الهين التمييز بين ايها ابلغ اثراً في التجربة .

ثم انها تجربة حديثة لا يزيد عمرها على خمسة عشر عاماً ، وهي مدة وجيزة في عمر امة كالأمة الجزائرية عاشت اكثر من قرن في زمان الاستلاب ، وتعالج فيها الى جانب ذلك مشاكل كبرى اخرى في المجالات الادارية والاقتصادية والسياسية لاعادة بناء الوجود الوطني على سند العروبة والاسلام .

والذي اود ان اختتم به هذه الخواطر هو شعوري العميق بأن تجربة التعريب في الجزائر لاتزال رغم كل العوائق والعراقيل تفرز فيضاً غزيراً من الأمل والتفاؤ ل .

تعقيب

محمّد دويدار

كما تفضل اخي وصديقي د. مصطفى الفيلالي بالقول ، لست بطبيعة الحال بصدد التعقيب على ما قيل بشأن تجربة الجزائر اذ أن الورقة الخاصة بهذه التجربة لم تصلنا . ومن ثم يتمثل ما سأقوله في اللحظات التالية في مجموعة من الافكار بشأن قضية التعريب توصلت اليها من خلال تجربتي الخاصة في معايشة المشكلة في القطر الشقيق .

ففيما يتعلق بالمنهج اقول انه رغم ضرورة اتباع المنهج التاريخي في فهم الظواهر الاجتماعية، اذ أن الحاضر جزء من التاريخ ، والتاريخ لا يعيد نفسه ، فظاهرة التعريب التي نعيشها الآن تختلف كيفياً عن ظواهر ماضية يظن البعض أنها شبيهة . والقضية ليست قضية لغة فحسب ، والمقصود هنا هو رد الهجمة الثقافية الاستعمارية وتخطي هذا الرد بتطوير القدرة العربية على التصور والخلق الفكري والتكنولوجي تطويراً يستفيد من ايجابيات التراث الفكري لكل المجتمع البشري ، وهو ما يمثل جزءاً لا يتجزأ من تطوير القدرات العربية جميعاً ، مادية وفكرية . على أن يتم ذلك باللغة العربية بما لها من قدرات حالية واحتمالية تبرز من خلال عملية التفاعل الحضاري للمجتمع العربي .

والقضية على هذا النحو ليست بالقضية البسيطة . فهي قبل كل شيء قضية سياسية ، باعتبار أنها مطلب شعبي نابع من الانتماء الحضاري والاحساس بضرورة استرجاع الذات . واذا كان هذا المطلب قد عبر عن نفسه بوضوح قبل الاستقلال السياسي ثم خفتت اصوات التعبير عنه بعد ذلك ، فمردّ ذلك ، في اعتقادي ، ليس الى ان الجماهير تراجعت عنه ، وانما الى تقلّص وسائل تعبيرها عن نفسها سياسياً . وهنا تبرز ضرورة الديمقراطية في الممارسة السياسية . وهذا المطلب الشعبي يواجه المصالح المستقرة التي يهددها التعريب بالمعنى السابق تحديده . يهددها حالياً بقدر ما يمثل خطراً على الادارة غير المعربة ، ويهددها احتمالاً بقدر ما يمثل بديلاً لنمط التنظيم القائم. وهنا تثور مسألة الطبيعة الاجتماعية والسياسية للدولة المتخذة للقرار

السياسي . فبقدر ما هو مطلب شعبي ترى نفسها مضطرة للقول به لاكتساب ارضية سياسية . ولكن ، نظراً لتهديده للمصالح المستقرة ، لا يؤخذ به الا في حدود ، وبمضمون معين نعود اليه بعد لحظات .

والقضية ثانياً قضية ثقافية باعتبار العقلية السائدة في اطار نظام القيم الذي سودته المدرسة الاستعمارية ، واقصد المدرسة بمعناها التربوي الواسع بما احتوته من افكار محلية تساعد على طمس الهوية الثقافية وانتشار الايمان بقيم المدرسة الاستعمارية وعدم الثقة بكل ما عدا ذلك ، ومن ثم عدم القدرة على استرجاع الذات بتطويرها تطويراً حضارياً يستفيد من كل التجربة البشرية .

والقضية ثالثاً قضية اجتماعية بالمعنى الواسع ، باعتبار محتوى التعريب وما يتضمنه من قيم وافكار ومواقف بديلة . وهو محتوى لا بد من ان يربط بالتصور الخاص بتطوير المجتمع العربي اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً ، وبالدور الحضاري الذي يتعين ان يلعبه المجتمع العربي في تطور العالم . ولأضرب لذلك مثالاً : في تعريب التعليم يتم تعريب المواد ، وعند تعريبها يتضمن تصور المحتوى موقفاً من الفكر بصفة عامة . فلتحديد محتوى مادة الفلسفة مثلاً لطالب المدرسة الثانوية ، هل يكون المقصود ان يتفتح الذهن على كل الفكر البشري بما في ذلك من فكر عربي يلزم ابرازه بطبيعة الحال ، ام يكون الاقتصار على الفكر العربي ؟ واي الاتجاهات في الفكر العربي ؟ وهل يكون المقصود أن نخلق لدى الطالب نظرة ايجابيةناقدة ام يكون موقف الذهن سلبياً متلقياً بخضوع وتبعية ؟ ان ضرورة ربط محتوى التعريب بالتصور الخاص بتطوير المجتمع يبرز الديمقراطية مرة احرى كشرط لوجود الجو الصحي للحوار الفكري .

وللقضية في النهاية جانبها التقني . على الا نعتقد ان هناك تكتيكاً محايداً ، اذ يلزم من الناحية الفنية أن تراعي الاساليب الجو النفساني ، ونظام القيم المسيطر ، وبخاصة في مجال التعليم ، مع الحرص على تغيير هذا الاخير تغييراً كيفياً من حيث المناهج والطرق التربوية ، وعلى الكيفية التي تتم بها العملية التعليمية (مع ملاحظة ان المدرسة الاستعمارية قد لاقت توسعاً بعد الاستقلال السياسي) . ومن الناحية الفنية تثور مسألة اللغة كاسلوب للتعريب . واللغة في الواقع اسلوب فكر ، وبلورة لمنهج تصور ، وهي كذلك اداة لنقل الفكر والتصور .

ومن الناحية الفنية تثور في النهاية مسألة الامكانيات . فما خصص من الامكانيات المادية حتى الآن (حتى لو تغاضينا مؤقتاً عن محتوى التعريب) محدود ، الامر الذي يعطي للتعريب بُعداً كيفياً هزيلاً يستخدم بدوره في محاربة التعريب الحقيقي . وكذلك الامكانيات المتمثلة في الشخص الذي يقوم بالتعريب ويتعين فيه أن يكون فاهماً للقضية بابعادها المختلفة ، فاهماً للارضية العامة والارضية الخاصة التي يبذل فيها النشاط اليومي ، وان تكون لديه القدرة الفنية واللغوية . ووجود هذه النوعية من الاشخاص مرتبط هو الآخر بالانتماء لاصحاب المصلحة الحقيقية في التعريب بالمعنى الذي بدأنا به كلمتنا . وكل هذه التقنيات تستلزم ، للتوصل الى اكثرها فعالية وتأمين شروط استخدامها ، جواً من الحوار والحرية . وهنا ايضاً تبرز قضية الديمقراطية .

المناقشات

احمد العزعوزي : جاء في الميثاق الوطني الجزائري عن التعريب ما يلي :

ان الخيار بين اللغة الوطنية ولغة اجنبية امر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب بعد الآن ، الا فيما يتعلق بالمحتوى والوسائل والمناهج والمراحل » .

كما جاء في لائحة « التكوين والتعليم » الصادرة عن الندوة الوطنية للتعريب التي اقيمت في شهر ايار / مايو ١٩٧٥ :

« ان تطوير اللغة العربية وجعلها ملائمة للحضارة التكنولوجية وقادرة على المشاركة فيها لا يمكن أن يتم الا عن طريق الممارسة واستعمال العربية بصفة متكاملة في جميع القطاعات الوطنية سواء الفكرية منها او التقنية » .

ومنذ فجر الاستقلال (١٩٦٢) تقرر نشر التعليم وتدريس اللغة العربية في جميع المدارس والمعاهد . وفي سنة ١٩٦٣ كانت العربية تدرس ١٠ ساعات من مجموع ٣٠ ساعة في الاسبوع في التعليم الابتدائي . وفي سنة ١٩٦٤ انشيء المعهد الوطني للمترجمين . وفي سنة ١٩٦٥ كانت العربية لا تزال اختيارية في الامتحانات بالتعليم الثانوي . وقد ألّفت في هذه السنة لجنة وطنية تهتم بدراسة كل جوانب التعريب . وفي سنة ١٩٦٧ شرع في تعريب السنة الثانية الابتدائية بعد تعميم تجربة التعليم في السنة الاولى . وصدر في شهر نيسان / ابريل ١٩٦٨ مرسوم يقضي باعتبار معرفة اللغة العربية عاملاً حاسماً في الترقية بالوظيفة العمومية .

وكان الانتهاء من تعريب مادة التاريخ بالتعليم الثانوي سنة ١٩٧٠ . ولوحظ نجاح الاسلوب النموذجي التجريبي في التعريب في مدارس محدودة تدرس فيها كل المواد باللغة العربية . وفي سنة ١٩٧١ ابتدأ تنفيذ التعريب في الشعب العلمية وصدر مرسوم يلزم كل مجاز في الجامعة بمعرفة اللغة العربية .

ووقع سنة ١٩٧٢ تعريب ثلث الفصول من السنة الخامسة الابتدائية ، وثلث الفصول من السنة السادسة سنة ١٩٧٣ . وابتدىء سنة ١٩٧٤ بالتدريس باللغة العربية في كلية الحقوق والعلوم الانسانية ، وعرّبت الفلسفة والتاريخ . وفي هذه السنة اصبح اطار التعليم الابتدائي جزائرياً ، الامر الذي يسّر البدء بتعريب التعليم الابتدائي برمّته بعد التعريب التام للسنوات الثلاث الاولى منه . واما التعليم المتوسط فقد عربت فيه السنتان الاولى والثانية تعريباً كاملاً . وفي التعليم الثانوي عربت ثلث الفصول في الشعب العلمية كما عربت الشعبة الادبية كلها تعريباً تاماً .

وقد وصلت نسبة الفصول المعربة من التعليم المتوسط والثانوي حتى سنة ١٩٧٤ الى ٣٢,٢ بالمائة (١٠٦٩١٦ تلميذاً) بعدما كانت سنة ١٩٧٠ ، ٥,٤ بالمائة (١٢٧٤٧ تلميذاً) . واما في معاهد تكوين المعلمين فقد وصل عدد التلاميذ المعربين سنة ١٩٧٣ الى ٤١٣٠ تلميذاً من مجموع ٤٤٤٦ ، اي بنسبة ٨٤,٣ بالمائة ، بعدما كانت النسبة ٥٤,٤ بالمائة سنة ١٩٧١ .

وبلغ عدد التلاميذ المعربين سنة ١٩٧٥ مليونين ونصف المليون في الابتدائي و ٣٧٣ الفا في الثانوي . وتقدم في هذه السنة الى الامتحانات النهائية في التعليم الثانوي العلمي ٣٣٦٩ تلميذاً معرّباً ، و ٤٩٦٢ تلميذاً مزدوج اللغة . واما من شعبة الرياضيات فكان عدد المعرّبين المتقدمين الى الامتحانات النهائية الثانوية ١٤٢٥ تلميذاً مقابل ٣١٣٢ مزدوج اللغة .

وفي سنة ١٩٧٦ اصبحت العربية اجبارية في كل الكليات ، وعرّب التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والحقوق والاقتصاد ، والغيت المدارس الخاصة التي تعوق التعريب . وفي سنة ١٩٨٠ قارب عدد الاطفال الجزائريين الذين يجيدون العربية اربعة ملايين طفل ، وغدا ٧٠ بالمائة من مجموع ٧٤٢٠٠٠ تلميذ في التعليم العام والتقني وتكوين المعلمين معربين ، و ٥٠ بالمائة من الفصول العلمية ، و٣٠ بالمائة من الفصول المنتمية الى الشعب التقنية والتكوينية معربة .

وقد تقرر تعريب الادارة على مرحلتين الاولى من ١٩٨٠ الى ١٩٨٢ وتهم الادارات التي لها اتصال مباشر بالجمهور وتتوفر فيها الاطارات القادرة على التعريب ، والثانية من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥ وتشمل بقية الادارات .

عبدالله العروي : لقد قيل البارحة ان بحث عبد الكريم غلاب حول « دور التعريب في الحركات التحررية في المغرب العربي » يحتوي في قسمه الثاني على نظرة تبريرية . وألاحظ ان معالجة موضوع التعريب في الجزائر يتسم بصفة تبريرية اوضح . فمن يستمع الى كلام الدكتور الفيلالي من الذين لا يعرفون حقائق الامور يخرج بانطباع ان التعريب في الجزائر قد نجح تماماً ، في حين انه تعثر في تونس والمغرب الاقصى . ولا اظن أن المحاضر نفسه يجرؤ على المصادقة على هذا الاستنتاج ، كما اني لا ارى من مصلحة المعنيين بالأمر انفسهم مخاطبتهم بهذا الاسلوب

العاطفي التمجيدي . فمن المعلوم أن معارضة التعريب في تونس والمغرب مقنّعة ، في حين انها سافرة وعنيفة في الجزائر . ولذا اتعجب من كون المحاضرين كليهما تجنباً الكلام على حركة كثر الحديث عنها في الصحف هي الحركة القبائلية المطالبة بأن تتساوى اللغتان البربرية والعربية في الحياة الثقافية الجزائرية .

خيرالدين حسيب : استفساراتي تتعلق بطلب معلومات محددة عن تجربة التعريب في الجزائر والى اين وصل هذا التعريب . وقد تفضل الأخ احمد العزعوزي فقدّم بعض هذه المعلومات ، وهي تغطي جانباً من تساؤ لي ، ولكن بعضها الآخر لا يزال غير معروف والاسئلة هي :

- إلى اين وصل التعريب في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي ؟
- الى اين وصل تعريب الادارات ، واي منها تعرّب ، ولماذا لم تعرّب الادارات الاخرى ؟
- ما حال التعريب في وسائل الاعلام : الاذاعة والتلفزيون والصحف ؟

ارجو ان يتمكن الباحث او المعقّب او غيرهما من المشاركين من الاجابة عن هذه التساؤ لات .

مدثر عبد الرحيم : اود اولاً ان اهنىء الاخوين الكريمين وان اشكرهما اجزل الشكر على تقديمها عرضاً قيماً رغم قصر المدة التي أعطياها منذ أن علم ان الشخص الذي كان ينتظر ان يقدم البحث اصلاً لن يتمكن من ذلك . فقد قدّما لنا في هذا العرض البديل مجموعة مفيدة من الحقائق والافكار واثيرت بذلك في نفوسنا وعقولنا عدة تساؤ لات لطلب المزيد .

سؤ الي الآن بسيط يتعلق أساساً بما جاء في حديث الاخ الدكتور مصطفى الفيلالي من أن تجربة التعريب في الجزائر قد اتسمت بكثير من الارتجال عاق مسيرتها . فمن خلال سعيي لتجميع معلومات لبحث ظللت اعمل لاعداده حول موضوع التعريب في بلاد المغرب العربي اثناء العامين او الثلاثة اعوام الماضية ، كان انطباعي (الاولي غير المحقق طبعاً !) ان تجربة الجزائر ـ رغم ما اعتورها من انواع القصور ـ كانت ، ولعلها لا تزال ، اشد احكاماً او اقل ارتجالاً من التجارب المماثلة في تونس والمغرب . وارجو ان يتفضل الاخوان الكريمان بالتعليق او التصحيح .

هشام بو قمرة :هنالك مشكلة تبدو لي جوهرية وتتمثل في ان دول المنطقة قامت على اساس انها « دول عصرية » ترفع شعارات مثل « الديموقراطية وخدمة مصالح المواطنين كلهم دون استثناء » ، و« حق كل مواطن في التمتع بما كان ينتظر من الآمال المعلقة على الاستقلال » . ولكن كل اصلاح جذري يتطلب التضحية بجزء من المواطنين او من مصالحهم . والسؤ ال هو لماذا اذن يقبل حساب الخطأ والصواب في كل القطاعات الكبرى ، كالاجتماعية والاقتصادية ، ويرفض بالنسبة للتعريب ؟ ان هنالك عبارة متداولة وهي « معركة التعريب » . التعريب اذن حرب . ولو كانت الحرب يعلم فيها من الغالب ومن المغلوب

مسبقاً ، لما كان تاريخ ولا كانت حضارة . هناك في كل حرب خاسر ، وفي حرب التعريب لا بد من أن يكون هنالك خاسرون . وفي هذه القضية ، كما في غيرها لا بد من أن تضيع مصالح وربما اجيال .

إذاً ، والحاقاً بما سبق ، لماذا نطالب بالكمال في مجال التعريب فقط؟ ولماذا نجعل من الكمال هدفاً آنياً ؟ بمعنى آخر : هل حققت الدراسة بالفرنسية او بالازدواجية الكمال في المتخرجين ؟ لا . ومثلما تساءل د. سعد الدين ابراهيم ، لم تخرج الفرنسية او الازدواجية عباقرة ولا عظماء ، بل خرجت مجرد متعلمين متوسطين ، واحياناً تافهين . فلماذا اذن نريد من التعريب ، ومن اول ضربة وكأنه عصا موسى السحرية ، ان يحقق الكمال البيداغوجي والتخريجي ؟

القضية الاساسية التي تعرض د. الفيلالي لها هي الصدق في اتخاذ القرار السياسي في اعلى مستوى بالنسبة للجزائر من قبل الرئيس بومدين . ولا ريب ان هذا القرار كان نابعاً من صدق قومي في نطاق مشرقي يعتمد على الجماهير الريفية التي كان الرئيس الجزائري ينتسب اليها ويستمع بكل اصغاء . والمشرقية قضية سياسية تتصل بقومية الرئيس الجزائري وعروبته ووحدويته . والحديث عنها بعاطفية لا يقدح فيها على الاطلاق . والذين لاموا مقدم البحث على أن عرضه كان تعاطفياً ليسوا على صواب ، لانه اولا تحدث عن تجربة خاصة ، اي عن امر ذاتي صرف ، ولانه ثانياً لا يوجد موقف سياسي بلا عاطفة . والقضايا الكبرى كلها اساساً عواطف .

اما بالنسبة للمشرقية فتقضي النزاهة ان نقول ان الكوادر المشرقية التي وقعت الاستعانة بها على التعريب لم تكن غالباً في المستوى المطلوب . والاحظ اننا في المغرب العربي بالخصوص نعير اهمية خاصة لسلامة اللغة العربية ، ونفهم ان يتكلم شخص لا يتقنها الدارجة مثلاً ، ولكننا نستهجن كثيراً ان يخطيء استاذ للعربية فيها بفحش ، فما بالك عندما نجده احياناً يتعمد الاغراق في « صعيديته » او قرويته او لهجته ؟ وهذا ما كان يفعله بعض زملائنا المشارقة ، المصريون منهم بخاصة . وقد كانوا بذلك سلاحاً لخصوم التعريب الذين راحوا يقولون : اذا كانت نتائج التعريب التي سنصل اليها هي على غرار ما نشاهده فلا فائدة فيه .

طبعاً يمكن الاجابة ايضاً هنا بأن طلب الكمال في هذه القضية بالذات امر تعجيزي . ولكني اعتقد ان السلطات في المشرق العربي لم تول العناية الكافية لاختيار الكوادر المعارة للمغرب العربي حتى تكون في مستوى المسؤولية الحضارية الملقاة على عاتقها .

محمد عزيز الحبابي : لقد حدثنا د. الفيلالي عن بداية التعريب في الجزائر ، وانه كان قراراً من بومدين . لكن ذلك القرار لم يكن فردياً ، بل ردد صداه قدماء المجاهدين ممن لا يعرفون اللغة الفرنسية فوفدوا على الجامعة يطالبون بالتعريب . ثم هناك جمعيات العلماء وما تبقى منها ، وعلى رأسها الامام حمّاني وعبد الرحمن شيبان وفضلاء غيرهم وكانوا متحمسين

وقريبين من بومدين ويستمع اليهم . ومن جهة ثالثة كان يرافق بومدين الطالب الابراهيمي وكان متفرنساً ومستعرباً ، وكان هناك قبيلي ولكنه كان مؤمناً بالعروبة ، ومولود قاسم وكان يذهب الى القبائل ويتحدث معهم ويقول لهم بأن العربية هي المصير ، وهو الذي كوّن المناخ المعنوي لتقبل الفكرة . ولذلك فإن بومدين هو الذي اتخذ القرار ، ولكن كانت هناك عوامل محيطة به ساعدته على اتخاذه .

واما التجربة ، فقد كنت هناك في اثنائها مدة سنة في الجامعة و٤ سنوات في وزارة التعليم العالي ، وكنت اعالج هذه القضايا مباشرة بوصفي مستشاراً فيها . فكيف كان التفكير في التعريب؟لم يكن المقصود ان نعرّب دفعة واحدة، بل ان نعرّب الاساتذة. فهناك اساتذة جزائريون اكفاء لديهم المعلومات ولا يملكون المقدرة على ايصالها الى الآخرين . وكانت هناك ٣ امور لازمة للتعريب : المراجع العربية الكفيلة بأن تقوم مقام المراجع التي كانوا يعتمدون عليها باللغات الاجنبية . والمصطلحات ، وتدارك ضعف الاساتذة في اللغة العربية . ونظمت دروس في الجامعة للاساتذة في اللغة العربية ، فبدأنا بكلية الآداب والعلوم الانسانية وكنا نجمع المؤرخين ونعطيهم نصوصاً في التاريخ باللغة الاجنبية ونعينهم على ترجمتها فيتعودوا على التراكيب العربية وعلى المصطلحات وكذلك في الجغرافيا والفلسفة ، الى غير ذلك. فما الذي حصل ؟ بعد ما قبل الجميع بهذا الامر ، قالوا يجب أن نستثني في شعبة الفلسفة مثلاً قسماً يسمى علوم التربية ، ولما حصلت المصادقة على هذا الامر ذهب جل المعينين والتحقوا بهذه الشعبة حتى لا يتعربوا . وهناك مسألة اخرى فالتعريب يستلزم زيادة في استقدام الاساتذة . وجاء يومها كثير منهم وان لم يكن عددهم كافياً . واما من حيث النوع فكما قال الاخ بوقمرة كان اكثرهم يتحدثون بالدارجة . ولم تكن الدول التي ترسل الاساتذة تدرك ان هؤلاء هم وجوهها في الخارج وأنهم سيقومون بمهمة ثورية ، فكانت ترسل احياناً بعض الاساتذة الذين لا عمل لهم عندها ، ولم تنجح التجربة كما كان يؤمل منها ، ولكن في عام ١٩٧٤ ، وهذه كانت آخر سنة بالنسبة لي ، حدثت مراجعة للبرامج وللسياسة ايضاً ، اي سياسة التعريب ، بمعنى ان المبدأ يبقى ولكن يجب التدرج في الثانويات لان الاطر توفرت للثانويات اكثر من العالية . وهنا تنتهي معرفتي بالتجربة .

فاطمة الجامعي الحبابي : ما كنت اود ان اقوله قاله الحبابي لان التجربة التي عشناها في الجزائر عشناها معاً . فلقد باشرت شخصياً بتدريس اللغة العربية في الجزائر في طوري الثانوي والعالي ، وكما قال الاستاذ الفيلالي فإن القرار الاختياري الذي اتخذه بومدين للتعريب ، ما كان لينفذ او ليقطع خطوات ايجابية لو لم يجد صدى لدى الابناء والشعب الجزائري . لقد احسست فعلاً من خلال تدريسي للغة العربية هناك ، بأن الطلبة والتلاميذ كلهم كانوا يتشبثون ويرغبون في تعلم العربية عن ايمان وصدق . وهناك نقطة مهمة هي ان تشبث الشعب هذا لم يمنع من انه كانت هناك منذ ذلك الوقت طائفة تتساءل لِم العربية وقد حصلنا على استقلالنا ؟ بالاضافة الى ذلك لاحظت عن طريق الاحتكاك بالجامعة الجزائرية ، وبخاصة في كلية الآداب ، ان التعريب

كان على الاقل في الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٤ على حساب المستوى ، بحيث ان الذين كانوا في الجامعة في تلك الفترة في كلية الآداب كانوا من اطر هزيلة ليست في المستوى المطلوب . وحتى الخريجون في تلك الفترة كان مستواهم مستوى الثانوي لا المستوى الجامعي ، لقلة الاطر ، وللتسامح في نقاط الامتحانات ، والرغبة في الاسراع . كان هناك نوع من النهم قوبل بابتلاع ودون هضم . ولكن التعريب كظاهرة عامة قطع فعلاً خطوات عملاقة في الجزائر . ففي زيارتي لها مؤخراً ، عام ١٩٧٩ ، لاحظت بأنها اصبحت شيئاً آخر ، على الاقل في الحياة العامة وفي الحياة اليومية ، فكل شيء يباشر باللغة العربية .

هناك قضية هامة جداً اثارها مقدم البحث وكنت شخصياً اترقب الفرصة لاثارتها هي ظروف تعريب ابناء المغاربة ، التونسيين ، والجزائريين والمغربيين المقيمين في فرنسا . فاسمحوا لي بذلك لاني ذهبت الى هناك للاطلاع على احوال ابناء المهاجرين العرب ، واعطيت دروساً لاساتذتهم الفرنسيين حول الحضارة الاسلامية واللغة العربية ليعرفوا بأن ابناءنا هناك ليسوا منبوذين وان على هؤلاء الاساتذة ان يأخذوا بعين الاعتبار اوضاع الجالية المغربية في واقعها الثقافي والقومي واللغوي ، وان ابناءنا ليسوا معزولين عن وطنهم الام .

ولم تكن زيارتي عبارة عن محاضرات فقط ، ولكن صحبتها بزيارات ميدانية في مدارس ابتدائية واطّلعت عن كثب ، ومن خلال الحديث مع ابنائنا الصغار الذين تراوح اعمارهم بين ٤ و ١٢ سنة في المدارس الابتدائية ، على الواقع المأساوي الذي تعيشه هذه الجالية . فمنهم من لا يعرف أن لغته هي العربية ، ويكفي انه تونسي او جزائري . ومنهم من يخلط بعض الاوضاع ، فلا يعرف اذا كانت مصر دولة عربية او يهودية ؟ وزرت في قسم الشهادة الابتدائية معلمة تدرّس ما يسمى Actualités ، يعني ما جدّ في العالم من احداث ، ووجدت في القسم صورة المرحوم السادات ، فسألت : ما الموضوع هنا ؟ قالت : لقد خصصنا حصة عن السادات لأنه رجل عالمي . وقلت لاحد التلامذة الجزائريين وعمره ١٢ سنة ومهيأ لدخول الثانوية : من هو السادات ؟ فقال : انه يهودي . قلت وبعد ، اهو لا يزال حياً ؟ قال لا السادات قتله العرب . قلت : هو رئيس اي دولة ؟ قال : مصر . وسألته : لمن تتبع مصر ؟ فقال : مصر يهودي . واذا كانت الظروف الراهنة بالنسبة الى دولة عربية كمصر لها تاريخها في العروبة فكيف نسكت عن هذا التزييف لعقلية اجيالنا الصاعدة ؟ ثم ان وضع هؤلاء في معرفة اللغة العربية يكاد يكون صفراً .

محمد رضا محرم: مداخلتي هذه لا تتجه مباشرة الى تجربة التعريب في الجزائر التي احمد للزميلين الفاضلين الدكتور الفيلالي والدكتور دويدار شجاعة القبول بعرضها والتعقيب عليها بناء على رسالة انقاذ وجهتها اليهما ادارة الندوة . غير ان الحديث عن تجربة التعريب في الجزائر بكل ما يحيط بها من ظلال نفسية ووجدانية ، وما اكتنفها من مداخلات وطنية وقومية ، قد اثار في نفسي كوامن ما كان في نيتي الحديث عنها ، ولكن اجدني راغباً الآن في عرضها عليكم . وبعض كوامن النفس هذه ينتسب الى ما قبل عقد ندوتنا بينما تولد بعضها الآخر في اثنائها .

١ ـ تحدث الزميل الاول عن تصرف الرئيس بن بيللا عند عودة له من القاهرة ، وصياحه دون مراعاة لقواعد البروتوكول وهو عند اعلى سلم الطائرة : **نحن عرب . . . نحن عرب** . . . . وربط المتحدث بين حماسة الرئيس الجزائري وعودته من موقع عربي معتز بانتسابه الى العروبة ومعتز بممارساته العربية . . . وها هنا اجدني حريصاً على ان اعتذر عن ممارسات علوية مصرية لاحقة كانت تزعم ان « العرب غير متحضرين » ، وكان بعض ممارسيها يحرصون على تفضيل استخدام لغة اجنبية لا يملكون ناصيتها في الحديث الى الصحافة بدلاً من العربية ، **حتى عندما تكون الاسئلة بالعربية** . وهي مرحلة انتهت ، وأملنا ، داخل مصر ، ان لا تتكرر .

ثم وصف تجربة التعريب الجزائرية بانها مشرقية التأثر والمصادر . ومن هنا فإن لي ملاحظة على محاولات التعريب في المغرب العربي بصفة عامة هي اقرب الى التساؤ ل منها الى التقرير . **لماذا لا تستفيد التجارب المحدثة الاخرى في المغرب العربي من الانجازات العملية التي تمت في المشرق ؟ خاصة تلك التي حدثت في الدول التي كانت تابعة لفرنسا وللثقافة الفرنسية مثل سوريا ولبنان** ، بدلاً من تكرار الجهود ، مثلما يحدث في المغرب اذ تشكلت لجنة تبدأ عملها في الرابع من يونيو ١٩٧٩ ، كما ورد في ورقة د. فاطمة الجامعي ، لتهيئة واعداد وضبط معاجم مصطلحات تقنية جديدة . **اي انها بداية من الصفر بينما قدم الآخرون في المشرق** ، وفي المغرب ايضاً ، الكثير من معاجم وقواميس المصطلحات سمعنا الكثير عنها في ندوتنا هذه .

٢ ـ الدور الفرنسي الفعلي في فرض اللغة والثقافة الفرنسية في الجزائر ، وعلى وجه التحديد السلوك الرسمي الاستعماري الذي اكده الزملاء المتحدثون ، اعتبره اجابة عملية ميدانية على الروح التي ظهرت في هذه الندوة ، من حين الى حين ، والتي حاولت التماس الاعذار للاستعمار الفرنسي الرقيق اللطيف ! بل ذهبت الى حد تحميل مسؤولية الفرنسة للمرأة العربية التي لم تجد امامها من سبيل للخروج من حمأة الجهل الى نور العلم غير التعلم بالفرنسية .

محمد دويدار : لا احاول ان اجيب عن الاسئلة وانما اقدم انطباعي الشخصي بالنسبة لبعض القضايا التي اثارها الزملاء . فقضية المعارضة البربرية التي اثارها الاخ العروي ، احساسي انها مرتبطة بسؤال الدكتور هشام بوقمرة الخاص بوضع التجربة حالياً . ولمناقشة هذا الموضوع او للاجابة عنه تلزمنا الاشارة الى حدثين هامين :

الحدث الاول مرتبط بعامي ٧٥ ـ ٧٦ عندما برز ما سماه البعض وقفة في التعريب ، وما سماه البعض الآخر ردّة في التعريب ، برز بمناسبة عدم تعريب الادارة ، وعلى الاخص الادارة الاقتصادية ، وبروز مشكلة البطالة في صفوف المعرّبين والاطارات المعربة . فهذا الموقف هو الذي اثار القضية ، وبالتالي اثار احداث ٧٥، ٧٦والاضطرابات، وتدخل الجيش فيها ومن ثم قد يكون دافعاً لكي تعجل الدولة في هذه الوقفة او الردة ، لاعادة النظر .

الحدث الثاني ، هو احداث تتمثل في حادث ٧٩ الذي بدأ في تيزي ـ اوزو وانتشر او

انتقل الى العاصمة . وهنا اثيرت قضية الثقافة البربرية . وفي تصوري ان الدولة اضطرت في مرحلة تالية الى ان يصدر عنها رد فعل لا فعل . وقبل الاشارة الى رد الفعل هذا ، احب كي لا يساء مقصدي ، ان ابين ان رأيي الشخصي هو ان تفاعل الثقافات داخل المجتمع الواحد هو ظاهرة صحية ، وانه يتعين على الدولة الواعية ان تشجع هذا التفاعل ، اذا شاءت ان توجهه نحو مصلحة المجتمع . ومن هنا كان موقفي من الثقافة البربرية خاصة ، وان المطالب البربرية لم تكن لتهدّد الموقف الثقافي في القطر الشقيق ، ولكن لكي نفهم لماذا كانت المعارضة قادرة في الجزائر على ان تبلور نفسها بوضوح وتعبر عن نفسها ، يتعين علينا العودة الى يوم الاستقلال ، وكيف ان جهاز الدولة كانت تسيطر عليه العناصر البربرية ، باعتبار أن سياسة التعليم الفرنسية سابقة على الاستقلال السياسي ، وانطلاقاً من انها استطاعت نظراً لمراكزها في الدولة ان تعبر عن هذه المعارضة ، وان تأخذ صورة المعارضة الواضحة لا المعارضة المكبوتة كما اشار العروى .

ومن هنا تمكّنت ، وهذا هو الذي مكنها في المرحلة التالية من اثارة قضية الثقافة البربرية ، ولو ان تصوري هو ان قضية الثقافة البربرية تمثل مطلباً مشروعاً ومظهر صحة اكثر منه اي شيء آخر . وهنا كان ردّ فعل الدولة بالاسراع في التعريب . وقد لا يكون الرد السليم فيما يتعلق بقضية الثقافة البربرية . وهذا ما يفسر التعجيل في السنوات الاخيرة حتى بعد وفاة بومدين في اجراءات التعريب واتخاذ القرار في العام الماضي بضرورة تعريب كل الاطارات وكل برامج التعليم .

ولاستكمال الموقف الخاص بالتعريب حالياً ، فإن القضية المحورية في تصوري هي قضية محتوى التعريب ، وما اذا كان هذا المحتوى محتوى متقدماً من وجهة نظر الاغلبية ، او محتوى غير متقدم . هذا بالنسبة للقضية الاولى. اما بالنسبة لقضية الاساتذة من المشرق ، فأنا اتفق مع الدكتور بوقمرة في انه في غالب الاحيان لم يكن الكيف بالكيف الجيد . ولكني اختلف مع الدكتور الحبابي فيما يتعلق بسلوك دول المشرق . فتصوري الشخصي انها عن وعي اختارت ، لكنها اختارت بالمعايير السائدة في مجالات الدولة ، وارسلت الى المغرب العربي بمن يمثل وجهها في المشرق . وبالتالي فإن هذه في نظري قضية محورية ، اذ اساءت الى قضية التعريب في مجموعها . وهنا يتعين ان يكون الشخص الذي يسهم بعملية التعريب على مستوى المسؤولية ، في فهمه القضية حضارياً ، وفي فهمه للارضية التي يعمل فيها ولمستلزماتها ، وفي تمكنه من الناحية الفنية واللغوية الخ . ومن هنا جاءت اهمية الاختيار ، ولكن وفقاً لمعايير غير تلك السائدة في الدول التي ترسل هذه الاطارات .

عبد الكريم خليفة : هنالك نقطة اعتبرها نقطة نظام ، او قضية منهج ، رغبت في الاشارة اليها في نهاية هذه المناقشة . فإنني اذ احيي الشعب الجزائري الشقيق البطل في معركة تحريره ، وفي معركة تعريبه ، واذ اشكر الاخوة الذين عرضوا انطباعاتهم عن « تجربة التعريب في الجزائر » ، واحيي بصورة خاصة الاخ الاستاذ الفيلالي الذي عبر عن عواطفنا جميعاً تجاه الشعب الجزائري الشقيق في جهوده الصادقة في مسيرة التعريب ، اود ان اتساءل اذا كان من حقنا أن

نناقش « تجربة التعريب في الجزائر » ، في غياب الاخوة الجزائريين وفي غياب دراسة علمية عن هذه التجربة الخصبة !

مصطفى الفيلالي : لست صاحب بحث حتى اناقش فاضطر للردّ ، وما انا الا مساهم على قدم المساواة مع اخواني الحاضرين في هذه الندوة . وقد اعتمدت كما قلت في فاتحة كلامي على خواطر وذكريات ، ولم اعتمد وثائق واحصاءات وارقاماً. ومثل صديقي الدكتور دويدار والدكتور الحبابي والدكتورة فاطمة ـ كنت في الجزائر بحكم المصادفة والظروف المهنية مدة ٥ سنوات ، وشاهدت ما يقوم به شعب . وهنا اجيب عن جانب التعاطف والتمجيد الذي ذكره الدكتور العروي والدكتور هشام بو قمرة . فأنا لا ادخل موضوعاً وانا بارد ، فلا احب البرودة ، وانما اتحدث عن شيء وانا مؤمن به فأتحمس له . ولو لم اكن متحمساً لقضايا التعريب لما اخذت على عاتقي ان اشارك في هذه الندوة وان اتحدث وآخذ من وقتكم قدر ما اخذت .

إن تعاطفي مع تجربة التعريب في الجزائر لا اعتبره عاملاً شخصياً مميزاً ، بل اعتبر ان من حق كل عربي ان يتعاطف مع هذه التجربة ،لماذا؟ لسبب بسيط هو أن هذه التجربة تجربة فريدة جاءت من بعيد لشعب يحتل مكانة مرموقة في ديارنا العربية ، في الوطن العربي ، لا من حيث الموارد والنفـط ، ولكن لما قاساه وعاناه طوال اكثر من قرن ونصف قرن من غزو ثقافي وهيمنة ، يعنياننا جميعاً حيثما كنا من ديار العروبة . فكل ما يحدث في الجزائر ، ما حدث امس وما يحدث اليوم او غداً ، يهم المغاربة ويهم التونسيين ويهم كذلك اخواننا في المشرق . وطالما اننا نتحدث عن الوحدة فلا اقل من ان اقول ان هذا التماسك الموضوعي ليس من باب الائتلاف العاطفي وانما هو حقيقة واقعية نجرّها وراءنا منذ ١٤ قرناً ونريد ان نعطيها صيغاً تأسيسية وارادية ، فلا ندخل التاريخ مدبرين . هذا هو الجانب التعاطفي ـ اتعاطف لاني شاهدت الصدق الذي ذكره الدكتور الحبابي ، الصدق بكل معاني الكلمة ، لا الصدق الذي هو ضد الكذب ، وانما الصدق الذي هو المثابرة والتطابق مع الغاية والهدف . نعم ، الصدق والاصالة ، وهذه الرغبة الثمينة التي لمستها الدكتور فاطمة عند الاطفال والرجال والنساء في ان يعودوا الى حظيرة العروبة . ولو حضر بعضكم اليوم المشهود الذي افتتح فيه الجامع الاكبر في الجزائر ، وكيف قضيت الصلاة في هذا الجامع ، لبكى مثلما بكى جميع الحاضرين لانه كان يوماً من ايام الله . ولا اعتقد بأني مدفوع الى تبريره بالتعاطف . وما سأل عنه الدكتور بوقمرة والدكتور خيرالدين حسيب اجهله ، ولا ادري الى اين بلغت التجربة اليوم ، ولا لدي معلومات عما فعلته الحكومة بعد هواري بومدين او ما بلغته تجربة الادارة، ولعل الدكتور محمد دويدار يحسن الاجابة عن هذا الموضوع اكثر مني .

الفصل العاشر

التعريب في الاقطار العربية ذات الأوضاع الثقافية الخاصة

حسن أحمد يوسف

مقدمـــة

تختلف الاقطار العربية فيما بينها ، من حيث المراحل التي قطعتها حركة التعريب في كل واحدة منها . ويرجع ذلك أساساً الى عوامل تاريخية جعلت هذه اللغة بما لها من آداب ، وآثار ثقافية ، تزدهر في بعض اجزاء الوطن العربي قبل غيرها . حتى اصبحت تلك الاجزاء مصادر اشعاع حضاري وثقافي في عهد مبكر . ثم مرت بها فترة ركود في ظل النفوذ التركي اولاً ، والاستعمار الاوروبي الذي خيم على المنطقة في مرحلة تاريخية تالية ، واستمر الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ومارس غزواً ثقافياً فرض فيه قيمه على الحياة ، ولغته على انظمة التعليم .

وانتظمت البلاد العربية كلها بعد ذلك في حركات تحرر كانت فيها الدول التي اشرنا اليها اسبق من غيرها في استرداد حريتها ، والاستيلاء على مقاليد الامور فيها . فبادرت ساعية لإزالة آثار التبعية في مظاهرها السياسية والثقافية . وكان إصلاح انظمة التعليم التي هيمنت عليها اللغات الاجنبية ، من أول الميادين التي حظيت بالعناية ، فرفع في كل مكان شعار التعريب كمطلب تحرري ثقافي ، وقد تحقق قدر من ذلك بدرجات متفاوتة ، حتى بين هذه الدول السابقة في مضماره ، واحتلت العربية مكانها لغة للتعليم ، والكتاب المدرسي ، والتعبير عن الافكار ، ووسيلة لاكتساب الثقافة والتفاعل مع حضارة العصر . واصبحت اللغات الاجنبية مادة دراسية في مراحل التعليم العام ، وإن تكن قد ظلت وسيلة له ـ الى حد بعيد ـ في المرحلة العليا .

وكانت هناك مجموعة من بلدان عربية اخرى تسيطر عليها اوضاع خاصة ، من ابرز مميزاتها ازدواجية ثقافية ، يساندها وجود لغة او لغات غير عربية ، تستعمل في التخاطب على نطاق واسع . وقد كان لسياسات العزل عن تيارات الحياة في الوطن الكبير التي مارستها مع هذه الدول السلطات الاستعمارية ، خلال حقب من الزمان ، أثرها في تفاقم هذا الوضع . فتلك السياسات استهدفت اللغة العربية والثقافة القائمة عليها في المكان الاول ، في محاولة لمحو اثرهما ، باعتبارهما معاً المقوم الرئيسي للوحدة مع دول المنطقة ، والرباط الروحي ـ مع الدين ـ الذي ينتظم شعوب

الأمة كلها . فلما جاء دور هذه الدول في الاستقلال ، وبدأ عهد الانفتاح ، الفت نفسها في حالة تكاد تطمس فيها معالم انتمائها القومي ، وتضيع هويتها الثقافية ، فرفعت هي بدورها شعار التعريب ولكن بمفهوم مختلف يتجاوز ميدان التعليم ليشمل الادارة والنشاط العام في المجتمع ، وكل اوجه الحياة التي ضعفت الصفة العربية فيها ، واتخذت منه قضية تحررية تهدف في النهاية الى اعادة بناء الانسان العربي بكل جوانبه .

وقد سبقت الى التعريب وفقاً لهذا المفهوم الشمولي اقطار المغرب العربي ، متخذة منه وسيلة لتجسيد الاصالة العربية لديها . وجاءت بلدان اخرى تسير في الطريق نفسه ، نقف هنا عند اربعة منها هي : الصومال وجيبوتي وموريتانيا ، خصوصاً في الأجزاء الجنوبية منها ، والسودان (في اقليمه الجنوبي) ، لنرى تصورها للتعريب ، والجهود المبذولة فيها لتحقيقه . وتطالعنا لأول وهلة صفتان مشتركتان بينها جميعاً ، اولاهما تتعلق بالهدف ، والثانية بالاسلوب المتبع لبلوغه . اما بالنسبة للهدف ، فإنها كلها تحاول أن تصل بالانسان فيها الى ثنائية لغوية ، يكون له فيها من القدرة على استعمال اللغة العربية في صلاته العامة ، وفي عمله ، وفي سعيه لاكتساب المعرفة والتثقيف الذاتي مثل ما له في لغته المحلية ، مع الاعتماد على الاولى في علاقاته الموسعة على النطاقين الوطني والقومي . ومعنى ذلك بلوغ الفرد مستوى لا يقل فيه ، من الناحية العملية ، عمن يستعمل العربية لغة وحيدة .

والظروف التي يتم فيها السعي للوصول الى هذا الهدف تختلف باختلاف مكانة اللغة في حياة الفرد من جهة ، وتعايشها مع اللغات الاخرى في المجتمع المحلي من جهة اخرى . فالفرد قد يكون من الذين يتحدثون بالعربية الى جانب لغتهم المحلية في البيت ، او من الذين يتعلمونها كلغة جديدة عليهم . والتعايش مع اللغات الاخرى يتم في صور متعددة . ففي الصومال مثلاً ، تعايش العربية لغة واحدة هي الصومالية التي يتحدث بها جميع افراد الشعب ، وتتحدث معها بالعربية في البيت قلة منهم . وقد اصبحت الصومالية منذ عام ١٩٧٣ لغة مكتوبة ، واحتلت مكانها اداة للتعليم في المدارس وادارة شؤون الدولة في الدواوين . وهي لغة بينها وبين العربية صلة وطيدة طويلة العهد اكتسبت فيها من الكلمات العربية الاصول ما يشكل نسبة كبيرة من مفرداتها .

وفي جيبوتي لا تختلف الصورة العامة عن ذلك الا في أن السكان يتحدثون بلغتين ـ الصومالية والعفرية ـ مناصفة بينهما ، او بنسبة يزيد فيها نصيب الاولى قليلاً على الثانية . وقد قام التعايش بين العربية وهاتين اللغتين في المنطقة من قديم على اساس أن العربية لغة الدين والعلم والثقافة ، والصومالية والعفرية لاغراض الحياة العامة . الا أن الالمام بالعربية لم يقتصر على المتعلمين في المدارس وحدهم ، فالتحدث بها وفهمها يشمل قطاعات كبيرة من المجتمع في القطرين فتنتشر بينهم على نطاق اكثر اتساعاً . ويرجع الفضل في ذلك الى أن اغلبية الاطفال يرسلون الى الكتاب الذي يعرف (بالدكسي) في الصومال ، و (المعلمة) في جيبوتي ، حتى قبل سن المدرسة الابتدائية حيث يتعلمون الحروف ويحفظون سوراً من القرآن الكريم ، والى

الممارسات المحلية في اقامة التجمعات والاحتفالات الدينية التي يتغنى فيها بالاناشيد ، وكثير منها باللغة العربية .

وفي موريتانيا تحتل ثلاث لغات محلية هي البولارية والسوننكية والولوفية مركزاً يرشحها لأن تستعمل في التعليم الابتدائي مع العربية . اما في الاقليم الجنوبي من السودان حيث تنتشر عشرات اللغات بين السكان فتعمل الدولة على اختيار اوسعها انتشاراً ، وتطورها الى لغات تعليمية في المرحلة الابتدائية . وهناك اتجاه الى التركيز على تسع لغات ، بتعليم الطفل واحدة منها مع اللغة القومية ، وهي التي تتحدثها قبائل الدينكا والشلك والنوير والباري وكريش واللاتوكا والمورو والاندوقو والزاندي .

ويقوم الحرص على استعمال اللغات المحلية في اول مراحل التعليم على حجة تربوية تذهب الى أن قدرات الفهم والاستيعاب والتعبير لا تمكن تنميتها عند الطفل في تلك السن المبكرة الا عن طريق لغة البيت . كما أن هناك اعتقاداً ثابتاً بين المتحدثين بهذه اللغات بأن تطويرها يخدم القضية الوطنية الكبرى المتعلقة بتعريب مجتمعاتهم ، لأنه يزيد العلاقات العربية الافريقية في اطارها الشامل رسوخاً . خاصة وأن من بين هذه اللغات ما ساهم ، وما زال يساهم ، في نشر الثقافة والحضارة الاسلاميتين في ربوع القارة الافريقية . بل إن منها ما استعمل في تفسير القرآن وشرح الاحاديث النبوية والمساعدة على فهم كتب الفقه والأدب .

وأما السمة الثانية المتعلقة باسلوب العمل لتحقيق التعريب فيمكن وصفها بالعفوية . فهناك ، على الرغم من الرغبة المتوفرة والحماسة الملحوظة ، افتقار الى المنهجية الواضحة والتخطيط الشامل المبني على اسس علمية ودراسات للمجتمع تكشف عن حقائقه ، وتقف على ما لديه من امكانات في المجالات البشرية والفنية والمالية فكل ما حدث حتى الآن محاولات لم تزد على أن تكون اجراءات اصلاحية على مناهج الدراسة تعرضت في بعض الحالات لنكسات بسبب الاهواء السياسية المتقلبة . ويخشى من تكرار امثال هذه المحاولات أن يأتي بنتائج عكسية قد توحي باستعصاء الهدف الكبير على التحقق ، فتضعف الحماسة له .

إلا أن من البوادر المشجعة ، ما اقدمت عليه حكومة الصومال اخيراً لوضع استراتيجية يهتدى بها في العمل والتخطيط في هذا المجال على المدى الطويل ، او المتوسط ، مستعينة في ذلك بخبرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وما بدا من اتجاه جاد للأخذ بمنهج التخطيط اللغوي في الدولتين اللتين يدعو فيهما الى ذلك تعدد اللغات . فعمل السودان على انشاء مجلس قومي للتخطيط اللغوي يكون من مهامه : (١) دراسة واقع اللغات السودانية من حيث كثافة المتحدّثين بها ، واتساع رقعة انتشارها ، ومدى استخدامها في اغراض الحياة اليومية . وموقف العربية بينها جميعاً كأداة اتصال مشتركة للتفاهم بين المجموعات اللغوية المختلفة ؛ (٢) ايجاد الوسائل العلمية والعملية لنشر اللغة العربية بوصفها اللغة القومية على اوسع نطاق في كل ربوع الوطن ، وبخاصة في المناطق التي لاتتحدّث بها في الوقت الحاضر ؛ (٣) اجراء الدراسات الخاصة

بتوحيد المناهج الدراسية على مستوى القطر مع مراعاة ظروف المناطق التي لا تتحدّث بالعربية كلغة أم ، او تتحدّث بها مع لغة اخرى (كما في الاقليم الجنوبي الذي هو موضوع الاهتمام هنا) ؛ (٤) اجراء البحوث والدراسات الميدانية في مناطق مختلفة من القطر للوقوف على حقيقتها اللغوية وما يتطلبه نشر العربية فيها وازالة المواقف التي تعترض استعمالها لغة للتعليم.

وانشأت موريتانيا معهد اللغات الوطنية ، في اطار برنامج اصلاح طرحته عام ١٩٧٩ ، تعرضت فيه للتعريب ، وجعلت مهمة المعهد تطوير اللغات الافريقية ، بغرض ادخال بعضها في نظام التعليم ، فعهدت اليه بتنظيم وتطوير وتنسيق البحوث التطبيقية كافة في مجال اللغات الوطنية ، والتحضير لادخال اللغات الثلاث التي ورد ذكرها في سلك التعليم ، وتكوين الموظفين ، واعداد الادوات التربوية اللازمة ، ودراسة الانعكاسات التطبيقية والمالية التي تنجم عن استعمال هذه اللغات في التعليم والاعلام والاتصال والاقتصاد والعمل .

ويتوقف نجاح المشروعات في النهاية على تهيئة المناخ العام الذي يشجع على اتخاذها وسيلة للاتصال خارج حجرات الدراسة في المدرسة ، وبين العاملين في الدواوين ، وفي المصانع والمتاجر . ولا يتم ذلك الا بحملات وطنية يطبق فيها اسلوب المواجهة الشاملة التي تشترك فيها مؤسسات التعليم المدرسي واللامدرسي ، واجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، والتنظيمات السياسية والمهنية والاجتماعية ، ووسائل الترفيه الجماعي . وفي ضوء ذلك يمكننا أن ننظر في الوضع القائم والجهد المبذول في كل واحد من هذه البلدان .

أولاً : النماذج الاربعة

١ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية

أ ـ ينص الدستور الصومالي على أن العربية هي لغة رسمية للدولة مع اللغة الصومالية . ويقرر قانون التعليم العام الصادر عام ١٩٧٧ أن اللغة العربية مادة دراسية في كل المراحل، وأن النجاح فيها شرط في الانتقال من مرحلة مدرسية الى اخرى . ويوجه الى استعمالها فوراً وسيلة لتدريس المواد الاجتماعية والتربية الدينية ، والعمل على تعميم التدريس بها في المواد الاخرى آخر الأمر ، واتخاذها اداة التعليم في معاهد المعلمين ، حتى يتمكن المتخرجون الجدد من الاعتماد عليها عند التحاقهم بالعمل في المدارس . ويجيء بعد ذلك قرار مجلس الوزراء في آذار / مارس ١٩٨٠ بالتخطيط لحملات التعريب ، في كل مناحي الحياة ، بدءاً بالاجهزة العليا للدولة وادارات الحكومة كطليعة للعمل ونواة له . وقد كونت لجنة وطنية عليا برئاسة وزير التربية والتعليم للاضطلاع بذلك .

ومن خلال ذلك ، نستطيع أن نتبين معالم سياسة ترتكز على أن للدولة لغتين رسميتين ، وأن التعريب الشامل الذي يجري العربية على لسان المواطن مجرى الصومالية في الحياة العامة في كل

مظاهرها هو الهدف الاخير . وقد اشتملت « الخطة الخمسية الاولى لتقوية اللغة العربية » على مشروعات في ميادين التعليم في مراحله العامة والعليا ، وفي الادارة واجهزة الاعلام ووسائله . والغرض في مجال التعليم هو التوسع في استعمال اللغة العربية اداة له ، انطلاقاً من وضع احتلت فيه الصومالية والعربية محل اللغتين الاجنبيتين الايطالية والانجليزية للقيام بهذه الوظيفة . الا أن الاعتماد الاكبر منذ كتابة الصومالية كان عليها لأسباب عملية . ودور العربية اخذ في الوضوح باتساع دائرة القادرين على التدريس بها حتى تتساوى مع الصومالية في المرحلة الابتدائية ، ويزيد الاعتماد عليها في الاعدادية ،وتكون لغة التدريس،والصومالية مادة دراسية في الثانوية .

وتعتبر الصعوبة التي يجدها المعلمون الوطنيون في التدريس باللغة العربية حالياً من العقبات الرئيسية في تنفيذ هذا المخطط لوزارة التربية والتعليم . وتوجه الدولة اهتماماً كبيراً لاعداد المعلمين المؤهلين لذلك على كل المستويات . فهي في سبيل التعريب الكامل لمعهد المعلمين الابتدائي القائم . وقد عربت قسماً منه يتخرج فيه نحو ٤٠٠ معلم يشكلون ٢٠ بالمائة من مجموع المتخرجين في العام . واخذت تخطط لانشاء خمسة معاهد جديدة ، وجعلت التدريس في كلية التربية بالعربية ، وأنشأت معهد اللغة العربية في اطار كلية اللغات بالجامعة الوطنية . وزادت عدد المعلمين المستعارين للمدارس الثانوية وتدريب المعلمين ، ومن ايفاد المعلمين الصوماليين للتدرّب في جامعات البلاد العربية ومعاهدها ، متعاونة في ذلك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الافريقية والعربية ، وبعض الدول الشقيقة ، نذكر منها الجمهورية العراقية ، والمملكة العربية السعودية ، وجمهورية مصر العربية . وقد بلغت الاعداد في الوقت الحاضر نحو ٢٥٠ معلماً مستعاراً و١٠٠٠ طالب في البعثات الدراسية . والمجال الآخر الذي توليه الدولة اهتمامها هو تعريب المناهج الدراسية . وقد فرغت وزارة التربية والتعليم من ذلك لكل مراحل التعليم العام ، واعدت الكتب اللازمة ، وهي تعاني صعوبات الطباعة وضيق امكاناتها .

ويتلخص الموقف اليوم في أن اللغة العربية تحتل مكانها كمادة دراسية في كل المدارس والمعاهد ، وتستعمل وسيلة لتدريس المواد الاجتماعية ـ الجغرافية والتاريخ ـ والتربية الدينية في المدارس الثانوية والاعدادية ، مع تفاوت في مستواها بين مدرسة واخرى ، ومن مرحلة الى اخرى . فالمدارس الثانوية لا تثير مشكلة لاعتمادها على خريجي الجامعات والمعاهد العليا ـ وهؤلاء يستطيعون التدريس بالعربية على مستوى لا يقل عن مستوى غيرهم ـ ولتعزيزها موقفها بمن تسد بهم النقص من البلاد العربية الاخرى . لكننا نجد الصورة تختلف في المرحلة الاعدادية ، والصعوبة تشتد في الابتدائية ، نظراً لاعتماد المعهد الوحيد لمعلمي المرحلة الابتدائية على الصومالية ، حتى عهد قريب . وقد تحولت مدرستان ثانويتان كبريان الى التدريس بالعربية في العام الماضي ، ولحقت بهما اثنتان اخريان هذا العام الدراسي ، وستسير المدارس الاخرى على الطريق نفسه كلما سمحت الظروف بازالة الموانع الفنية .

ب ـ اما في ميدان الادارة ، فإن الاعتماد يكاد يكون كاملاً على اللغة الصومالية . واما

العربية فيعترف بها لغة للمكاتبات والعمل في كل مكان . واستعمالها في ازدياد مطرد ، ونسبة عالية من المسؤولين ومساعديهم من الموظفين يفهمونها ، واغلبية اوراق المكاتبات الرسمية واللافتات على المرافق العامة ـ إن لم تكن كلها ـ تطبع سماتها باللغتين الصومالية والعربية . الا أن الكوادر المؤهلة لابراز دور هذه اللغة في الاعمال الحكومية وما شابهها غير متوفرة . وفي سبيل سد جزء من هذا النقص انشىء معهد التعريب الاداري ، باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبادارتها ، لتدريب كوادر السكرتارية الذين تبعث بهم مصالحهم ووحداتهم على الآلة الكاتبة العربية ، وادارة الاعمال ، ومسك الدفاتر ، والترجمة بين اللغتين ، مع اعطائهم دروساً متقدمة في اللغة العربية لتحسين مستواهم ، وذلك في دورات مدتها ستة اشهر ، وبطاقة تبلغ ١٠٠ متدرب في الدورةالواحدة . وقد اكتسب خريجو الدورات الست التي مرت بالمعهد حتى الآن ثقة جعلت الطلب يتزايد لتوافرهم باعداد اكبر ، فتوسع المعهد بانشاء دورة مسائية ابتداء من هذه السنة ، وبدأ يخطط لتشتمل خدماته بعض المسؤولين في المستويات الادارية العليا ، في شكل ندوات تعين على تعزيز مركز اللغة العربية في الاعمال الرسمية ، وتجعل من قضية التعريب الكامل للادارة شغلاً لهؤلاء المسؤولين . كما بدأ يعد لفتح فصول مسائية لتقوية اللغة العربية لغير الدارسين فيه .

ج ـ واما بالنسبة للتعريب في الحياة العامة فإنه نشاط يقع فيه على اجهزة الاعلام واجب رئيسي يبدأ من واقع تبرز فيه حقيقتان هما قصور الاجهزة في وضعها الحالي وضعف دور اللغة العربية فيها . فالارسال التلفزيوني ، على ما له من اهمية ، لم يبدأ بعد ، وإن يكن الاعداد له ما يزال قائماً منذ حين ليس بالقصير . والاذاعة لا تغطي كل نواحي القطر بوضوح ، والارسال العربي فيها يبلغ اربع ساعات في اليوم على الموجة القصيرة وحدها دون المحلية . وتعتمد الصحافة العربية على جريدة يومية من ست صفحات ، تقرأ على نطاق واسع ، ولكنها لا تكفي لسد حاجة القارىء ، لا كماً ولا نوعاً . واللغة العربية غائبة تماماً عن المسرح، وليس لها في السينما غير مكان محدود لم يستطع الفيلم العربي أن ينافس فيه الافلام الناطقة بلغات اخرى . وقد بدأ برنامج لتشجيع عرض الفيلم العربي يتعاون فيه المكتب الاقليمي للمنظمة العربية في مقديشو مع وكالة الافلام الصومالية ، كوسيلة لاسماع الكلمة العربية لجماهير من الشعب قد تكون بعيدة عنها في الحياة اليومية . والخدمات المكتبية محدودة حتى الآن بمكتبة عامة صغيرة نسبياً يديرها المكتب الاقليمي كنواة لمركز ثقافي عربي ، ومكتبة اخرى لا تزيد عليها كثيراً مفتوحة في المركز الثقافي الاسلامي التابع لجمهورية مصر العربية في العاصمة ، ومكتبة عامة وطنية ، وفرع لمكتبة المركز الاسلامي في هرجيسيا ثانية مدن القطر . وهناك فرص محدودة للحصول على الكتاب ، وعلى بعض الصحف العربية ، واهمها المصرية والسعودية .

د ـ ومن اوجه النشاط الرئيسية التي تكتمل بها حلقة العمل في التعريب توفير الفرص الكافية لتعليم الكبار اللغة العربية بوسائل مناسبة وفي ظروف مؤاتية . ويحتل هذا حيزاً كبيراً في التخطيط لحملة تقوية اللغة العربية . والصورة المثلى له هي بدء حملة عامة لمحو الامية العربية على نحو ما سبق من تجربة في محو الامية الصومالية التي استفاد منها نحو مليون وربع مليون مواطن بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٥ . الا أن هذه تتطلب جهداً اكبر ، وتحتاج الى وقت اطول ، لأن الهدف هنا هو

تعليم اللغة وكتابتها في وقت واحد . وقد بدأ العمل في هذا المجال بتجربة اشترك فيها المكتب الاقليمي للمنظمة مع وزارة التربية والتعليم فاخرجا كتابين اساسيين طبقا في فصول لموظفي الدولة وبعض المؤسسات . وتعتبر التجربة رائدة التحق بها نحو٦٠٠٠ دارس واستمرت ستة اشهر كدورة اولى في برنامج حدد له ٢٤ شهراً ويفترض فيه أن يصل بالموظف الى مستوى المدرسة الاعدادية .

٢ ـ جمهورية جيبوتي

أ ـ تستند حركة التعريب في جيبوتي على الاعتراف بالعربية لغة رسمية للجمهورية ، والاعتماد عليها في تأكيد الاصالة العربية للشعب وتحقيق وحدته الوطنية ، مع الحرص على أن يتم التعريب بصورة متدرجة تتفق مع الواقع الاقتصادي للدولة وظروفها التعليمية والسياسية . وقد اعطى حصول القطر على العضوية في جامعة الدول العربية بعداً جديداً للجهود التي تبذل في هذا السبيل بما خلق من التزام بأن تكون اللغة العربية وسيلة لاداء اعمال الدولة على المستوى الوطني والاتصال على المستوى القومي ، ومدخلاً للثقافة التي توجد بين شعوب الامة . وجاء كل ذلك متفقاً مع الرغبة في احياء التراث الثقافي والحضاري العريق .

وتعزى حالة الضعف الحالية للغة العربية والثقافة العربية ، وعدم قيامها بدورهما في حياة الشعب، الى السياسة التعليمية التي انتهجت تحت الحكم الاجنبي الطويل ، فجعلت الفرنسية اللغة الرسمية للدولة ، واداة التعليم الوحيدة في المدارس ، وابعدت العربية عن المسرح بصورة كانت كافية لمحو آثارها ، لولا جهود الشعب الذاتية في انشاء الكتاتيب (المعلمة) على نطاق واسع لتحفيظ القرآن ونشر الثقافة العربية الاسلامية ، مع قيام المدارس التابعة للجمعيات الاسلامية التي تعتمد على العربية وحدها وسيلة للتعليم في نظام يشبه ما هو معروف في البلاد العربية الاخرى.

وكان طبيعياً أن يجيء مع فجر الاستقلال الاتجاه الى تعريب التعليم ، فبدأ ذلك بادخال اللغة مادة دراسية اختيارية ابتداء من الصف الثالث بالمدرسة الابتدائية ، واسند تدريسها الى معلمين غير مؤهلين علمياً او تربوياً ، وخصص لها وقت خارج برنامج الدراسة . وكانت هذه مرحلة انتقالية لم يتحقق فيها الغرض المنشود .

وبدأ الاتجاه الحقيقي نحو تعريب التعليم عام ٧٩ / ١٩٨٠ بادخال تدريس اللغة العربية بتشريع الزامي بمعدل ٤ ساعات في الاسبوع في الصفين الخامس والسادس في المدرسة الابتدائية ، على أن يتم التطبيق في وقت واحد في كل مدارس الجمهورية . وانتقل الالزام الى المدارس الثانوية والمعهد الفني في العام الدراسي ٨١ / ١٩٨٢ .ويتجه الاهتمام بعد هذا الى النزول به الى الصفوف الاربعة الاولى من المدرسة الابتدائية ، وبذلك يعم تدريس اللغة العربية كل سني التعليم العام .

وتتولى لجنة فنية للتعريب الاشراف على وضع البرنامج الدراسي واعداد المادة ، ويعهد الى مكتب تربوي عربي ملحق بمدرسة المعلمين الاضطلاع باعداد المذكرات النموذجية ، وتوجيه المعلمين وتقويم الاداء العربي . وقد تمّ وضع الكتب لجميع الصفوف التي ادخل فيها تدريس اللغة العربية ، وروعي في مادتها أن تكون من صميم بيئة الطفل بالاعتماد على رصيد لغوي من محيطه وفي نطاق استعماله في الحياة اليومية . ولم يمنع هذا من اختيار كتب قليلة مناسبة من بلاد عربية اخرى ، رغبة في التنويع ، وتوسيعاً للمدارك لمن يرغب في ذلك ويتوافر لديه الاستعداد له .

ويتم اعداد المعلمين في مركز تكوين المعلمين حيث يقضون سنتين يكون التركيز في الاولى منها على التكوين اللغوي الاساسي ، وفي الثانية على الاعداد المهني نظرياً وعملياً . وينظم المركز ندوات ومحاضرات حول تعليم الاطفال اللغة العربية التي لا يتحدثون بها في بيوتهم . ويعتمد القطر ـ وسيظل كذلك لسنوات مقبلة ـ في المدارس الثانوية على المعلمين المعارين من البلاد العربية الشقيقة ، وعلى تأهيل الجيبوتيين في الجامعات والمعاهد العليا لتلك البلدان ، نظراً لأن التعليم الجامعي والعالي لم يبدأ فيه بعد . ويسهم الصندوق العربي للمعونة الفنية في توفير المعلمين بنصيب وافر ، اذ يبلغ تعداد افراد بعثته في الوقت الحاضر ٨٤ معلماً ومعلمة . وفي القطر معلمون من بلاد عربية ، منها جمهورية مصر العربية ، والمملكة العربية السعودية التي تتزايد مساهمتها في مجال التعليم الديني ونشر الثقافة العربية الاسلامية .

إن المرحلة التي يجتازها تعريب التعليم هنا تختص في المكان الاول ، بتعليم اللغة كمادة دراسية . اما اتخاذها وسيلة للتعليم فيعتبر هدفاً لمرحلة اخرى تحتاج الى تخطيط وبرمجة خاصين لتحل العربية محل اللغة الفرنسية التي تصبح آنئذ اللغة الاجنبية الاولى .

ب ـ وفي مجال الادارة ، ما زالت الفرنسية اللغة الرسمية لاداء اعمال الدولة ، وفي المكاتبات والاتصالات على كل المستويات . وقد بدأ التفكير في ادخال اللغة العربية في الادارة الحكومية بالتدرج . ومما ييسر ذلك أن نسبة عالية من المسؤولين والعاملين في الاجهزة والمرافق العامة يتحدثون بها ويستطيعون استعمالها في تصريف مهامهم ، وأن نسبة كبيرة من الجمهور تستفيد من ذلك . ولكن هناك عقبات فنية لا بد من ازالتها ، منها عدم توفر الكادر الكتابي الذي يساعد على ذلك . والحكومة تعد لافتتاح قسم للتدريب على الآلة الكاتبة العربية في معهدها الاداري الذي يتم فيه التدريب حتى الآن بالفرنسية وحدها ، وتطلب المعونة في ذلك من المنظمة العربية على الصورة التي تمّ بها انشاء المعهد المماثل في الصومال .

ج ـ واذا القينا نظرة على الحياة العامة ، بحثاً عن العوامل المعينة على التعريب فيها ، وجدنا أن الصحيفة الوحيدة في القطر تصدر باللغة الفرنسية ، وليس هناك اي تسهيلات للطباعة بالحرف العربي . والناس يتهافتون على الصحف العربية القليلة التي تصل اليهم من بعض البلدان العربية . والبث الاذاعي والتلفزيوني يتم باربع لغات ، هي : العربية والصومالية والعفرية والفرنسية . الا أن اعتماد التلفزيون يتركز على الافلام الفرنسية، والنا س يستطيعون التقاط البرامج التلفزيونية اليمنيةفيتحولون اليها لمشاهدة الافلام العربية . والدار الوحيدة للسينما تعرض

افلاماً عربية مرتين في الاسبوع وما يتبقى من الوقت مخصص للعروض الفرنسية . وهناك نشاط لمحو الامية العربية تقوم به الجمعيات الاسلامية متعاونة مع اتحاد نساء جيبوتي الذي يتولى الاشراف على هذا النشاط بين النساء والرجال على السواء ، والاقبال عليه طيب ، ويبدو اكثر تشجيعاً في المحيط النسوي .

٣ ـ الجمهورية الاسلامية الموريتانية

تعطي موريتانيا اللغة العربية وضع اللغة الرسمية للدولة مع اعترافها باربع لغات وطنية . اما الثلاث الاخرى فهي البولارية ، والسوننكية ، والولوفية . والدولة تعمل على تقنين هذا الوضع وتأكيده في قراراتها واعمالها . وكان قد صدر قانون اصلاحي عام ١٩٧٣ جعلت العربية فيه لغة التعليم ، في كل مراحله ، واستعملت اللغات الوطنية الاخرى في الاناشيد التي يتغنى بها التلاميذ في المدرسة الابتدائية .

واختط القطر بعد ذلك منهجاً في التخطيط اللغوي تضمنه البرنامج الاصلاحي الثاني لعام ١٩٧٩ الذي من ابرز معالمه الاتجاه الى ادخال اللغات الوطنية الافريقية في النظام التربوي الوطني خلال خمس سنوات ، وانشاء « معهد اللغات الوطنية » الذي يعمل على تنظيم وتنسيق وتطوير البحوث التطبيقية في مجال هذه اللغات تمهيداً لجعلها لغات تعليمية . واتجه المعهد في المرحلة الاولى الى تكوين الموظفين واعداد الادوات التربوية اللازمة ودراسة الآثار المترتبة على هذه الخطوة في المجالات التربوية والاعلامية والاقتصادية وما يتعلق منها بالعمل والحياة العامة .

إلا أن الوضع الحالي ما زالت تهيمن عليه الفرنسية لغة للتعليم في مراحله العامة ، وفي مدرسة المعلمين العليا . ولا توجد سوى مدرستين ثانويتين يعتمد التعليم فيهما على اللغة العربية وحدها ، انشأت احداهما الجماهيرية الليبية ، والثانية عبارة عن معهد اسلامي أسسته المملكة العربية السعودية ، وهو يركز على دراسة اللغة والدراسات الاسلامية .

والهدف الآن هو احلال العربية مكان الفرنسية لغة للتعليم . ولكنها لن تكون وحدها في اي مرحلة من مراحله ، اذ يترتب على التلاميذ دراسة واحدة من اللغات الوطنية الثلاث الاخرى مع العربية . والمتوقع أن يتبلور هذا الوضع عام ١٩٨٥ ، بعد أن تستكمل تهيئة الظروف لادخال هذه اللغات بتصنيف معاجم بالكلمات التي تحتاج اليها الدراسة في كل مرحلة تعليمية ، ووضع المناهج ، واعداد المعلمين اللازمين في كل لغة ، واجراء الدراسات السيكولوجية واللغوية والاجتماعية . اما في الفترة الانتقالية الحالية فتدرس العربية وحدها في الصف الاول الابتدائي لجميع التلاميذ ، ويستمر تدريسها كذلك الى نهاية المرحلة لمن هي لغتهم الاصلية . ويعطى الآخرون ، ابتداء من الصف الثاني ، الخيار بين أن يستمروا في العربية او يتحولوا الى الفرنسية كلغة رئيسية . فإذا اختاروا هذا البديل اصبح عليهم دراسة العربية كلغة ثانية تعطى بمعدل ٧ ساعات ، وتخصص للفرنسية ٢٣ ساعة في الاسبوع .

والتخطيط لما بعد عام ١٩٨٥ هو أن تحتل اللغات الوطنية مكانها في النظام التعليمي بدل الفرنسية فيبدأ تدريسها في الصف الاول الابتدائي ، وتكون العربية هي اللغة المشتركة بين جميع التلاميذ ، وتأتي الفرنسية لغة اجنبية اولى . وهناك من يرى احتمال تدريس واحدة من اللغات الوطنية الثلاث غير العربية على اساس اختياري لمن يتحدثون بالعربية لغة اصلية . وقد قطع وضع المناهج المعربة وتوفير الكتب اللازمة لها شوطاً ، واعتمد فيه على رصيد لغوي محلي يتم اعداده في اطار لجان الرصيد اللغوي للمغرب العربي .

وفي المجال الثقافي خارج المدرسة ، نجد أن الاعتماد ما زال على الفرنسية في الادارة الحكومية . أما الصحف فتصدر بالفرنسية والعربية مناصفة وتحتل العربية المكانة الاولى في الاذاعة ، ولا يوجد ارسال تلفزيوني في القطر ، لكن المواطنين يلتقطون برامج التلفزيون السنغالي وهي بالفرنسية .

٤ ـ جمهورية السودان الديمقراطية (الاقليم الجنوبي)

أ ـ للاقليم الجنوبي من السودان وضع ثقافي يتطلب من الدولة معالجة خاصة . فاللغة العربية هي اللغة الوطنية السائدة على امتداد القطر ولغة التفاهم بين المجموعات السكانية التي تتحدث بلغات محلية . الا أن الاتفاقية الانتقالية (١٩٧٣) التي يقوم عليها الحكم الاقليمي في ذلك الشطر من القطر قد تضمنت نصاً بأن العربية هي اللغة الوطنية ، مع اعتبار الانكليزية لغة رئيسية في الاقليم الى أن تحل لغة وطنية اخرى مكانها .

وقد ظلت العربية اداة التعليم الوحيدة في المدارس النظامية في كل اجزاء القطر منذ انشائها لاول مرة ، في منتصف القرن التاسع عشر ، في ظل الحكم التركي . وتاريخها في التعليم الديني التقليدي يرجع الى ما قبل ذلك بقرون عديدة . ولم يبدأ اخضاع الاقليم لسياسة تعليمية خاصة به الا تحت الحكم البريطاني . فاستعملت الانكليزية لغة اولى بدل العربية التي لم ينقطع اعتماد التعليم عليها في باقي القطر . ووضعت ادارة اكثر المدارس في ايدي جمعيات ارسالية مسيحية متعددة . فلما تحقق الاستقلال وجدت الحكومة الوطنية ان مدارس قليلة كانت تحت الادارة المباشرة لوزارة التربية ، والاغلبية العظمى تحت اشراف الجمعيات الارسالية ، باعانة من الخزينة العامة تغطي نفقاتها كاملة . فتمّ على الفور تأميمها ووضعها تحت الادارة المباشرة للدولة . وكانت هذه اول خطوة نحو نظام تعليمي موحد في كل اجزاء القطر .

ب ـ كان الوضع اللغوي قبل الاستقلال يتلخص في أن المدارس الابتدائية تستعمل اللغة العربية وحدها ، والمتوسطة تدخل فيها الانكليزية كمادة دراسية ، والمرحلة الثانوية تعتمد على الانكليزية اداة للتعليم ، وتستمر فيها دراسة مكثفة للعربية كمادة دراسية . فلم يكن معنى التعريب عندما تمّ التحول اليه ينصرف الى ابعد من احلال العربية محل الانكليزية في التعليم الثانوي . اما بالنسبة للوضع الخاص في الاقليم الجنوبي فتختلف الصورة اختلافاً يقتضي

تعديلات جذرية . فكانت الخطوة الاولى قراراً بادخال اللغة العربية مادة دراسية في مدارس الاقليم على كل المستويات . وجاءت الخطوة الثانية محاولة لتوحيد النظام مع بقية القطر ، ووضعت خطة ممرحلة يبدأ التعريب فيها بالصف الاول في المدرسة المتوسطة ويتنقل سنة سنة الى نهاية المرحلة الثانوية . وتخضع المدارس الابتدائية لمعالجات خاصة بها .

ج ـ وقد وضع هدف التعريب الكامل للتعليم في الاقليم مع المحافظة على اللغات المحلية بين المتحدثين بها منذ البداية . فأصبح التلميذ يدرس مع العربية لغته المحلية في السنين الاولى من المرحلة الابتدائية . وقد اخذت المتطلبات الفنية في الاعتبار ، فوضع برنامج متكامل لتأهيل المعلمين من ابناء الاقليم للتدريس باللغة العربية في معهد خاص بذلك ، وبارسال افواج منهم الى المعاهد الوطنية في اجزاء القطر الاخرى حيث يعيشون ويتلقون تدريبهم في محيط عربي خالص اللغة . وبدأ تنظيم سلسلة من دورات تدريبية تحت اشراف فرق خاصة في اماكن مختلفة من الاقليم . وعهد الى فريق مؤهل باعداد المناهج المعدلة ، والاشراف على توفير الكتب التي تتولى دار خاصة للنشر توفيرها مع بعض المجلات والنشرات التعليمية . وقد بلغ العمل الآن مرحلة عربت لغة التعليم فيها في المدارس الابتدائية والمتوسطة تعريباً تاماً ، ونحو ٧٥ بالمائة من مدارس المرحلة الثانوية . واصبحت اللغة المحلية مادة دراسية للمتحدثين بها في المرحلة الابتدائية ، والانكليزية مادة دراسية في المرحلتين المتوسطة والثانوية ، والعربية اداة التعليم بصورة قريبة من الاكتمال . ومع أن كتباً خاصة قد وضعت للاقليم ، فإن استعمال الكتب المعدّة على المستوى الوطني الشامل قد تستعمل دون صعوبات تذكر . ويلاحظ أن التلاميذ الذين يكملون المنهج المعرب من بدء المرحلة الابتدائية الى نهاية الثانوية يبلغون مستويات لا تختلف عن الذين يجيئون من بيوت تتكلم العربية لغة اصلية .

د ـ اما بالنسبة للادارة الحكومية فإن الانكليزية تستعمل في المكاتبات على نطاق واسع ، وتستعمل العربية في كل الاتصالات بين حكومة الاقليم واجهزته من جهة وبين الحكومة المركزية من جهة اخرى . كما تستعمل في داخل الاقليم في حرية ، ولا تثير مشكلات ، لأن جميع القيادات والكوادر المتوسطة تستطيع التعامل بها ، وقطاعات كبيرة من الجماهير تفهمها وتلجأ اليها وسيلة للاتصال في الاسواق وبين المجموعات اللغوية المختلفة . ووسائل التدريب على اداء الاعمال بها مكفولة على كل المستويات . فجامعة جوبا ، وهي جامعة الاقليم ، واحدى جامعتين اقليميتين في القطر حتى الآن ، تحتضن قسماً للدراسات العربية يتلقى معونة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومؤسسات العون العربية .

هـ ـ وليس في الاقليم صحافة خاصة به . والذي يصدر في العاصمة على المستوى الوطني كله ـ تقريباً ـ باللغة القومية ، وينطبق ذلك على الارسال التلفزيوني والاذاعي ، الا أن هنالك اذاعة اقليمية توالي البث بالعربية واللغات المحلية وتستعمل الانكليزية بنسبة اكبر مما في البرامج الوطنية . والسينما تعتمد على الانكليزية والعربية . وتشمل برامج محو الامية وتعليم الكبار الاقليم اسوة بالاجزاء الاخرى من القطر ووسيلتها العربية واللغات المحلية والانكليزية .

ثانياً : من اسس التخطيط للمستقبل

يتضح من النماذج التي مرت بنا أن المعالم الرئيسية للعمل في مجال التعريب متشابهة الى حد بعيد . ويرجع ذلك الى أن البلدان الاربعة قد اخذت فيه بالمفهوم الشمولي الذي يمتد تأثيره الى كل مناحي الحياة في وقت واحد . الا أن هناك اختلافات بينها في مدى الالتزام ازاء العمل بسياسة معلنة من الدولة . وهذه مسألة جديرة بالعناية لأن قضية مصيرية كهذه تتطلب جهوداً كبيرة متصلة سنين عديدة ، ولا بد لها من الاستناد الى تشريع او اقرار حكومي يضمن لها وضعاً ثابتاً في نشاط الدولة ، ويعد المناخ المواتي للعمل ، ويوفر له القدر الضروري من الامكانات .

ويأتي بعد تقنين العمل ، ويبنى عليه ، تحديد الهدف الاستراتيجي الذي يعمل لبلوغه في مدى زمني معلوم . ولما كانت الدول ذات الاوضاع الثقافية الخاصة تقوم على مجتمعات متعددة اللغات فإن الهدف لن يكون سوى ثنائية لغوية يجمع فيها الفرد بين اللغة القومية ولغة محلية واحدة على الاقل ، مع الحرص على أن يكون مستواه في العربية بحيث يمكنه من التحدث بها في طلاقة لسان ودقة تعبير ، والاعتماد عليها وسيلة عمل في الديوان والمصنع والمتجر، واداة اتصال في الحياة العامة تنمّى عن طريقها العلاقات الاجتماعية ويتم بها التفاهم في الشارع. وتكون حرية الخيار بينها وبين اللغة الاخرى في احاديث الاسرة ، وهو هدف لا يتحقق الوصول اليه الا بجهد مكثف في مواجهة شاملة تقوم على تخطيط متكامل .

أ ـ وتتناول الخطة الشمولية الميادين الثلاثة ـ تعريب التعليم ، وتعريب الادارة ، وتعريب الحياة العامة ـ بالقدر نفسه من الاهتمام ، وتضع لنفسها اهدافاً مرحلية تحققها في مدد زمنية تختلف باختلاف الظروف المحلية . ومع أن المواجهة الشاملة تتطلب أن يبدأ العمل في كل الميادين في وقت واحد ، فإن بلوغ الهدف في بعضها يسبق البعض الآخر . وفي العادة يتقدم التعليم النظامي على غيره ، لأن العمل هنا واضح ومحدود وادواته هي المعلم والمنهج والكتاب . وتستطيع المعطيات التكنولوجية أن تزيد من فعالية الجهد وترفع من مستوى الاداء فيه . ويكتمل في المرحلة الثانية تعريب الادارة فتحتل اللغة العربية مكانها في دواوين الحكومة والمؤسسات شبه الحكومية . وتأتي في المرحلة التالية ميادين النشاط الاقتصادي فتتعامل المرافق التجارية والصناعية والزراعية مع الدولة وفيما بينها باللغة العربية ، وتزداد اثناء كل ذلك درجة استعمالها بين افراد الشعب الذين يكونون قد تأثروا ، الى جانب التعامل مع كل هذه الاجهزة والمرافق ، بما تقوم به وسائل الاتصال الجماهيرية ، فتصبح العربية في المرحلة الرابعة لغة الشارع والبيت .

وقد اخذت بهذا التصور اول استراتيجية متوسطة المدى يعدها قطر من الاقطار الاربعة ، هو جمهورية الصومال الديمقراطية ، لتبدأ تطبيقها مع بداية عام ١٩٨٢ . والاستراتيجية تبدو منطقية في هذا التسلسل الذي تقترحه ، لكن الحكم الصحيح عليها لن يتيسر قبل مضي عامين

على الاقل . وقد سبقت جمهورية السودان الديمقراطية في الاقليم الجنوبي فيها الى العمل وفقاً لهذا التصور ايضاً دون أن يكون لها مخطط معد ، وهي الآن في مرحلة تعريب الادارة بعدما اكتمل لها تعريب التعليم .

ب ـ وتعريب التعليم لا يدور حول نفسه . فهو وسيلة لتعريب المجتمع كله ، والنتائج التي تتحقق فيه يظهر اثرها في الميادين الاخرى . ومن هنا كانت الاهمية التي يجب أن تعطى له في اي خطة للتعريب الشامل . ومن اول مستلزماته ، كما سبقت الاشارة ، العناية بالمعلم القادر على المساهمة في حركة التعريب نوعاً وكماً . وهذا مجال يمكن الاستعانة فيه بالبلدان العربية المتقدمة في هذا المضمار . الا أن هذه الاستعانة مهما كانت درجتها تعتبر حلاً مرحلياً ، والمستقبل يعتمد على قدرة المعلم المحلي على التدريس باللغة العربية ، وعلى المساهمة الفعالة في التعريب في المجالات خارج المدرسة والاسراع به الى غايته المبتغاة . فالخطة يجب أن توفر المعلمين المؤهلين باعداد تكفي الحاجة وتزيد عليها بما يقابل احتمالات التحول عن المهنة والاستجابة للاغراءات التي تميز بها هذا العهد واصبح المعلمون من اكثر فئات العاملين تأثراً بها .

ولا ينبغي أن يقتصر الاهتمام بمعلمي اللغة العربية على الاجيال التي نستقبلها منهم ، فالعمل على تأهيل العاملين منهم حالياً لا يقل الحاحاً . وهؤلاء رصيد كبير من الممكن اصلاحه والافادة منه بالتأهيل في اثناء الخدمة الذي اصبح اسلوباً في توفير المعلمين له نتائج ايجابية في المجتمعات التي تجتاز مراحل من حياتها لا تحتمل الاقتصار على الوسائل التقليدية في سد حاجاتها . ويمكن هنا اعداد برامج لرفع كفاية المعلمين الحاليين في هذه الدول التي تقدم على التعريب الشامل لمجتمعاتها . وهذا مجال يستطيع معهد الخرطوم الدولي للغة العربية أن يتعاون فيه الى حد كبير . وفي تصورنا ـ مبدئياً ـ أن برنامجاً يتلقاه الدارس في عام قد يكفي في اغلب الحالات ، على أن يعد لذلك منهج مكثف يشتمل على القراءة الجهرية ، والقاء دروس تحت المراقبة ، وكتابة موضوعات انشائية ، مع الاعتماد في كل ذلك على الرصيد اللغوي للكتب التي يطلب من المعلم تدريسها ، والزيادة عليها بما يرى المشرفون على عملية التأهيل . وان تستغل في عملية التدريب الوسائل التكنولوجية المتطورة الى اقصى الحدود . واعداد المناهج وتوفير الكتب المدرسية ميدان آخر على جانب من الاهمية يستحق مكاناً مناسباً له في الخطة . فالكتب الاساسية للمراحل المختلفة تتطلب الاعداد وفقاً لمنهج تدرس به العربية لغير الناطقين بها ، ويعتمد فيه على رصيد لغوي من محيط التلاميذ في كل حالة ، ويشارك في وضعه معلمون ممن نالوا تدريباً في معهد الخرطوم واكتسبوا تجربة في وضع المناهج .

ج ـ وللبحوث في اطار هذا العمل دور لا يمكن اغفاله ، بل هي من الزم اللوازم ومجالاتها متعددة . وكثير منها جديد لم يطرق ، كالدراسات التي تعين على تنمية اللغات المحلية التي تتعايش مع اللغة العربية في هذه المجتمعات بغرض تطويرها وتطوير علاقاتها بالعربية في تفتح فكري ووعي بتأثيرات عملية الأخذ والعطاء المستمرة بين اللغات على التكوين الثقافي لمجتمع

معين ، خاصة وان كثيراً من اللغات الافريقية السائدة اليوم في هذه الدول قد اخذت من العربية على مر القرون من المفردات والتعابير والتصورات ما خلف صلات حضارية تفتح آفاقاً للدراسة وتعين على تحديد الهوية الثقافية للانسان المتأثر بها . ومن خلال ذلك يكون التعريب قد خدم قضية العلاقات العربية الافريقية كلها .

وتشمل هذه الدراسات العمل على وضع معاجم ثنائية بين اللغة العربية وكل واحدة من هذه اللغات . وقد تتطرق الى العلاقات الصوتية بين العربية وبعض اللغات وتقود الى جمع التراث القديم من المخطوطات العربية ، وما كتب في اللغات المحلية بالخط العربي، وهو امر ثابت على الاقل بالنسبة لتلك التي ارتبط تاريخها بنشر الدين والثقافة العربية الاسلامية في القارة الافريقية في عهد مبكّر .

د ـ ولا يمكن لخطة تعريب متكاملة أن تغفل عن الجهاز الاداري الحكومي ، اعتماداً على أن تعريبه يتم تلقائياً عن طريق تعريب التعليم عندما تظهر آثاره في كل ميادين النشاط للمجتمع . فالامر اخطر من ذلك وهو يستحق اجراءات تسرع به الخطى ، وتكسبه صفة الجدية والاهتمام الجديرين به . ومن ذلـك مثلاً ، الاشتمال على برامج لتدريب الكوادر الادارية المساعدة والعاملين في السلك الكتابي على استعمال اللغة العربية في اداء واجباتهم ، وتولي الترجمة في الحالات الضرورية ، واصدار القرارات العليا التي تلزم موظفي الخدمة العامة بتعلم اللغة وتوفر كل التسهيلات اللازمة لذلك او ـ على الاقل ـ تشجع تعلمها بحوافز قد تكون مالية في بعض المستويات وادبية في البعض الآخر . وباستصدار الاوامر التي تلزم من يعرفونها بالتعامل بها في المكاتبات الرسمية وجواز استعمال لغة اخرى معها في صورة ترجمة اذا استدعى ذلك الجهل بها من احد طرفي المراسلة .

هـ ـ اما بالنسبة لجماهير الشعب فلا اقل من مشروع وطني لتعليم اللغة للكبار كجهد يوازي ما يتم في مجال محو الامية في المجتمعات التي تتحدث بالعربية لغة اصلية . والتمييز بين المجتمعات على هذا الاساس سببه أن العمل في الحالين يختلف في اساليبه وأدواته ومداه الزمني والجهد الذي يبذل فيه . فهو في هذه الحال جهد في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها .

ووسائل الاعلام ادوات على اعظم جانب من الاهمية في التثقيف الجماهيري بصفة عامة . ولذلك فإن على الخطة أن تعطيها من الحيز وتوفر لها من الامكانات ما يتفق مع خطورتها في هذا المجال . فنصف المسؤولية عن تعريب المجتمع يقع عليها ، والتلفزيون والراديو والسينما اجهزة تستطيع أن تفعل الكثير اذا احسن استغلالها على ايدي كوادر مؤهلة مؤمنة برسالتها . والامر هنا لا يقتصر على تطوير البرامج وحده ، وانما يتعدى ذلك الى التوسع في طاقة الاجهزة بالقدر الكافي واطالة ساعات البث منها ، وربطها ببرامج التعليم المدرسي ، وتعليم الكبار . وهذه كلها وسائل سمعية بصرية تحتاج الى أن يعززها نشر الكلمة المكتوبة على اوسع نطاق عن طريق صحافة تعرف مخاطبة الجماهير وخدمات ثقافية من مراكز منبثة في التجمعات السكنية الشعبية .

خاتمـــة

وحين يصبح التعريب جزءاً من سياسة البلد يحظى باهتمام كبير ، وتوقف على تنفيذه طاقات هائلة ، فلا بد له من ضمانات لحسن استثمار الامكانات المتوفرة له ومواصلة سيره في طريقه الى الغاية المرسومة . وهذا يستوجب احداث جهاز اداري خاص بذلك تحت مظلة مجلس الوزراء يكون في وضع يمكنه من المراقبة والتوجيه واتخاذ التدابير التي تضمن تصحيح المسار كلما دعت الضرورة . وتحدد مهام هذا الجهاز بحيث تشمل :

- متابعة تنفيذ خطط التعريب الشامل .
- تنسيق الجهود المبذولة في مجالاته على المستويين الرسمي والشعبي .
- تشجيع البحوث وتقديم المعونات التي تمكنها من أن تكون عوامل حيوية في العمل واثراء للجهد فيه .
- تلقي المعونات من مصادرها الخارجية والداخلية وتوجيهها الى ميادين الخدمات التي تأتي فيها بأكبر عائد .

تعقيب ١

طه حسن النور

لقد تناول استاذنا الجليل حسن احمد يوسف ، واقع التعريب ومؤسساته ووسائله ومستقبله في الاقطار العربية الاربعة التي وصفت بأنها ذات اوضاع ثقافية خاصة وهي : جمهورية الصومال الديمقراطية وجمهورية جيبوتي والاقليم الجنوبي من السودان والاقليم الجنوبي من موريتانيا ، وقدم ، من واقع عمله في هذا الميدان كمدير للمكتب الاقليمي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بشرق افريقيا في مقديشو ، وفي ضوء تجاربه المتعددة والطويلة في هذا المجال كمسؤول تربوي قيادي في السودان ، عرضاً وافياً ومقنعاً .

وفي هذا التعقيب القصير ، لا أود أن اضيف شيئاً جديداً ، ولا ان اسجل تعارضاً في وجهات النظر ، ولكني اعبر عن بعض الاجتهادات في تناول بعض الافكار والمسلمات الاساسية في هذا المجال بشيء من التركيز والتحديد .

نظرة شمولية عن واقع هذه الاقطار

أ ـ تقع هذه الاقطار الاربعة على امتداد القارة الافريقية ، من الغرب الى الشرق محددة طرفي الحزام الاسلامي الافريقي ، من جمهورية موريتانيا الاسلامية على المحيط الاطلسي ، مارا بمالي ، وغينيا ونيجيريا والنيجر وتشاد والسودان فالصومال وجيبوتي على المحيط الهندي . وبهذا الموقع الاستراتيجي العريض في قلب القارة الافريقية ظلت هذه الدول تشكل ثغوراً هامة من ثغور الدعوة الاسلامية ، ونافذة مؤثرة من نوافذ الثقافة العربية الاسلامية الى العمق الافريقي .

ب ـ ومن هنا كان اتصالها جميعاً بالثقافة العربية ، لغة وفكراً (بنسب متفاوتة في كل منها) اتصالاً وجدانياً عميق الجذور في ضمير القطاعات الشعبية العريضة التي اعتنقت الاسلام ، واستعملت العربية اداة هامة من ادوات التعبير ، وصارت العربية بذلك لغة العبادة ولغة العلم

والتعليم ، ولغة الاتصال بين الشعب والحاكم ، ولغة السفراء بين الحكام الافارقة ولغة الاتصال الخارجي .

ج ـ ان اللغات الوطنية المستعملة في هذه البلاد نفسها ، وهي الصومالية والبولارية ، والسونكية ، والولوفية ، واللهجات الكبرى في الاقليم الجنوبي من السودان ، قد تأثرت كلها باللغة العربية في صور واشكال متعددة ، وساهم اهل هذه البلاد في الصومال وموريتانيا خاصة في تدوين لغاتها الوطنية بالحرف العربي ، وأثروا المكتبة الافريقية بآلاف المخطوطات الافريقية المدونة بالحرف العربي ، وذلك شأن غالبية اللغات الافريقية، اذ كان الحرف العربي اول الحروف التي عرفتها القارة . ولقد اعاد الاستعمار كتابة هذه اللغات الافريقية بالحرف اللاتيني خلال النصف الاخير من هذا القرن .

ولعله من الجدير بالذكر هنا أن الصومال وموريتانيا اعادتا كتابة لغاتها بالحرف اللاتيني خلال السنوات القليلة الماضية ولا ندري سبباً مقنعاً لهذا الامر الخطير في مسار التعريب في هذه البلاد .

د ـ لقد ظلت اللغة العربية وما زال من اهم لغات التخاطب الوطنية التي تربط بين الشعوب المتعددة في هذه الدول ، وبخاصة في موريتانيا والاقليم الجنوبي للسودان .

هـ ـ ان الوضع الجغرافي المميز لهذه الدول في قلب القارة الافريقية وعلى مشارف تأثير الثقافة العربية الاسلامية والثقافات الافريقية الوطنية ، تبعه بالضرورة انتماء ثقافي وسياسي وعاطفي مميز يجد تعبيراً واضحاً بين المثقفين في هذه البلاد في الانتماء الى الحضارة العربية الاسلامية والى الثقافة الافريقية بشخصيتها الثقافية المميزة بقيمها وتقاليدها الاصيلة .

و ـ ان الاستعمار الغربي وان فشل في محو الثقافة العربية الاسلامية من وجدان هذه الشعوب لارتباطها بالعقيدة ، الا انه استطاع في غيبة التأثير العربي الاسلامي الموصول من البلدان العربية الاسلامية التي اصيبت هي نفسها في مأمنها ،استطاع أن يحد من حركية هذه الثقافة العربية الاسلامية ، وأن يحصرها في اداء الشعائر الدينية وفي بعض مؤسسات التعليم الشعبي الذي ظل يحاصرها ويفقرها ويحد من فاعليتها . وذلك بجانب فتح الباب على مصراعيه للتعليم الغربي ، ولمدارس التبشير الكنسي ، وربْط سبل كسب العيش ، والمعاملات الادارية والاقتصادية والتجارية باللغات الاوروبية ، والعمل على تغيير المناخ الثقافي بكافة الوسائل والطرق الى مظاهر الحياة الاوروبية . كما عمد الاستعمار الى تكوين نخبة من المواطنين مؤمنة بهذه المفاهيم الجديدة مرتبطة بها ، مدافعة عنها بكل الوسائل والسبل .

ز ـ ان هذه الاقطار الاربعة تأتي ضمن قائمة الاقطار الاكثر فقراً في العالم ،وهي تواجه مشاكل التنمية ، ومشاكل العجز المستمر في الموازنة ، الى جانب التصدي لمشكلات التجزئة وتحديات الوحدة الوطنية ، ومعركتها في سبيل تأكيد الاصالة الذاتية والهوية الحضارية التي نحن بصدد الحديث عنها .

تلك معطيات او مسلمات لها شأن بارز في موضوع التعريب ، ففي ضوئها تتبلور ثلاثة اسئلة محددة متصل بعضها ببعض هي : التعريب : اسبابه وماهيته وكيفية تحقيقه.

فبالنسبة لاسباب التعريب ، هناك ثلاثة اهداف محورية في جميع الاقطار العربية وهي : التعريب لتأكيد الذات ومحو التبعية ، والتعريب لتحقيق الوحدة القومية ، والتعريب لتحقيق التنمية الشاملة . والاقطار الاربعة ذات الاوضاع الثقافية الخاصة هذه ، تشارك بلدان المشرق العربي في آسيا ، والمغرب العربي في افريقيا ، هذه القضايا الثلاث ، وتنفرد عنها في قضية رابعة هي : قضية التعريب لتحقيق الوحدة الوطنية . وهذه قضية شائكة لان هذه البلدان تضمّ عدة شعوب وقبائل ولغات وعادات وتقاليد ، بدرجات متفاوتة ، وتمتد شعوبها وقبائلها الى خارج حدودها السياسية . ذلك كله الى جانب عدم الاستقرار السياسي الذي لازمها منذ فجر الاستقلال . وربما عاد عدم استطاعتها تحقيق الوحدة الوطنية الى هذه الامور مجتمعة .

ومن هنا علينا أن نحدد ماذا نقصد بالتعريب بالنسبة لهذه البلاد ؟ وهو سؤ ال خطير لم تحدد آفاقه ومدلولاته حتى في الاقطار العربية التي تسعى هذا المسعى منذ عشرات السنين . وعوداً على بدء ما هو المقصود بالتعريب ؟ هل هو تعريب اللسان ؟ ربما كان ذلك اسهل جانب من جوانب القضية . ام تعريب الفكر والرؤ ية ؟ انه امر لم يحدد بعدولم يتفق عليه ، ولا سيما بمعناه الحضاري الملتزم باللغة العربية لساناً والثقافة العربية الاسلامية قيماً حضارية واسهاماً فاعلاً في الحضارة الانسانية . وآمل شخصياً أن يكون هذا موقع اتفاق على الاقل ونحن نلج ارضاً عربية خالية نسبياً من الخلافات المذهبية العرقية السائدة في هذه الاقطار العربية الاربعة .

اما بالنسبة لكيفية التعريب في هذه الاقطار ، فإن الامر قد يبدو سهلاً في ظاهره ولكنه يحتاج الى قدر من الفهم والجدية والصبر والتضحية العربية المستمرة على المستوى القومي . واركز على أن تفهم الامة العربية ان استكمال التعريب في هذه الاقطار ، هو استثمار استراتيجي للامة العربية . فهذه الاقطار ـ كما سبق الاشارة اليها ـ تعاني مشكلات التجزئة والعوز والفقر ولها اولويات ملحة لتوفير الحاجات الضرورية للمواطن من المأكل والمشرب والكساء ، والعلاج ، وتنفق في ذلك ما تملك وما لا تملك . وهنا قد تأتي مشكلة التعريب في مؤخرة الاولويات من الناحية العملية .

ومعنى هذا ان قضية التعريب في هذه البلاد لا بد من أن تعالج في اطار قومي شامل . وقناعتي الشخصية ان حسن النية ازاء التعريب في هذه البلاد موفور وربما بحماسة اكبر من حماسة بقية الاقطار العربية ، ولكن تعوزها الوسائل والامكانات . ويمكن تناول الجهد القومي في هذا المجال من خلال ثلاثة محاور أساسية ، هي :

ـ استراتيجية للتعريب واضحة الاهداف ، محددة الآفاق ، تتجه الى تعميم العربية حرفاً ولساناً في جميع المراحل التعليمية والمؤسسات الادارية وفي قطاعات المجتمع كافة ، وتتجه الى تنمية الثقافة العربية الاسلامية في تفاعل بناء مع الثقافات الافريقية الوطنية . وذلك كله في اطار خطة تنفيذية مدمجة محددة المراحل الزمنية ، على أن يبدأ التنفيذ بقرار سياسي وطني ملتزم .

ـ ان تتوخى هذه الاستراتيجية مرونة كافية في التطبيق لدى التعامل مع الاقليات العرقية واللغوية ، بحيث تكون الصلة وثيقة واضحة بين التعريب والتنمية في هذه البلاد ، وتكون هذه الاقليات قادرة على الاقتناع بأن مصالحها الاقتصادية وتقدمها المادي والاجتماعي مرتبطة بمدى انسجامها داخل النسيج الوطني .

ـ إن التعريب في هذه الاقطار الاربعة يحتاج الى تمويل سخي واطارت عربية مدربة في المعارف والعلوم كافة، ووسائل ناجعة ليست موفورة لديها بالضرورة ، وينبغي بطبيعة الحال أن تأتي من الاقطار العربية القادرة على تقديم هذا الدعم مالياً وفنياً . كما ينبغي أن يقدم هذا الدعم بصورة منتظمة ودون قيود الا الالتزام بتنفيذ الاستراتيجية المتفق عليها .

تعقيب ٢

أحمد عبد الحليم

الحق أنه من الواجب أن تخص الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة بعناية متميزة في هذا اللقاء العلمي القومي الباحث في « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » بدعوة كريمة من مركز دراسات الوحدة العربية . فهذه الاقطار العربية الواقعة كلها على رباط داكار ـ رباط الصحراء ـ او على مشارفه ، قد عانت في تاريخها الطويل اصنافاً من الاستلاب والتغريب تميزت عن سائر صنوف السيطرة الاستعمارية الجائرة التي عانتها الاقطار العربية الاخرى . اذ انها مع مشاركتها في كل ادوار السيطرة الاجنبية التي عاناها وطننا العربي ، افرد لها الاستعمار معاملة ماكرة خاصة ، **فحرص على عزلها عزلة كاملة** ، ليس فقط عن سائر اجزاء الوطن العربي ، وانما خطط لعزلة اجزاء منها عن بقية الاوطان الصغيرة التي تنتمي اليها . وعمد الى تقسيم القطر الواحد منها الى اجزاء كاد يعزلها عزلة كاملة بعضها عن بعض . كما كان الحال بالنسبة لموريتانيا والسودان حيث عزل جنوب كل منهما عن شماله ، معملاً العرقية والقبلية والاقليمية والتنوع اللغوي اسلحة الهب بها الفرقة والشتات ، وعمق الصراع الذي بلغ حد الحرب الاهلية في السودان . اما الصومال الكبير فقد اقتسمته القوى الاستعمارية بينها ، ونشرت فيه قدراً محدوداً من التعليم قامت عليه كارهة بلغاتها في محاولة للقضاء على اللغة الصومالية ، ولصد زحف اللغة العربية نحو الحياة العامة بعدما ظلت قروناً لغة العقيدة والفكر .

والتعريب بمعناه الحضاري الشامل ، وبوصفه عملية سياسية اجتماعية تشمل كل وجوه الحياة الوطنية والقومية ، وتعبير عن صحوة حضارية وصبوة عارمة للاصالة وتأكيد الهوية القومية ، وركيزة من ركائز الوحدة القومية ، واجب قومي مقدم ، بل ملاذ لا بديل له ، في تدعيم الوجود العربي وتحقيق الوحدة العربية . ولئن كان استكمال تعريب الحياة في كثير من اقطارنا مهمة تنتظر من يتصدى لها عن اقتناع سياسي كامل تعززه عزيمة صادقة واستراتيجية محددة الاهداف والوسائل والآماد، محروسة بحركة شعبية ووعي جماهيري بأهمية التعريب ومحوريته في الحياة الوطنية

وتقدمها ، فإن هذه الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة بحاجة لجهد وطني مضاعف ، وتعاون قومي يقوم على ادراك أن هذه الاقطار ثغور عربية اسلامية حرمها الاستعمار من استكمال عروبتها اصلاً . ولئن كان التعريب الذي عنيت به البحوث الاخرى قد اهتمّ في الأساس باستعادة اراضٍ عانت الاستلاب الحضاري والغزو الفكري والثقافي الذي جابه العربية ، فإن التعريب الاولي في هذه الاجزاء العزيزة من الوطن العربي قد صدّه الاستعمار الذي حال بينها وبين المد العربي ، بل سعى في حالة جنوب السودان الى اقتلاع البذور والشجيرات قبل أن تنمو ، واعلنه « منطقة مقفلة » لا يدخلها السوداني الشمالي - العربي - الا باذن خاص من السلطة الاستعمارية البريطانية . ولقد عممت الادارة البريطانية في اكتوبر عام ١٩٣٠ توجيهاً عرف بـ « السياسة حيال الجنوب » هدف الى محو كل اثر عربي واسلامي كائن ، وصد اي اثر عربي واسلامي قد يطرأ .

وهكذا نرى أن التعريب في هذه الاجزاء من الوطن العربي مواصلة لعملية تاريخية قطع الاستعمار سبيلها . وهي ضرورة لازمة لتدعيم الوحدة الوطنية في كل من موريتانيا والسودان ، وضرورة ملحة لتأكيد الانتماء الثقافي . بعد ما تأكد الانتماء السياسي للعروبة بالنسبة للصومال وجيبوتي ، بانضمامها الى الجامعة العربية والمؤتمر الاسلامي .

واذا كان استكمال التعريب في هذه الاقطار مهما في ذاته ، فإنه ضرورة لاستعادة مسيرة العربية ودعم الاسلام في الحزام الافريقي المحيط بالاقطار العربية الافريقية والممتد من السنغال الى الصومال . هذا الحزام الذي حرمته السيطرة الاجنبية من تأصيل عقيدته ومواصلة استعمال العربية لغة عبادة وعلم وثقافة ، وحرمت اهله من التفقه في الاسلام في اصوله الاساسية المكتوبة بالعربية . وهذا دور تنتظره شعوب هذا الحزام من العرب المسلمين . فلقد ظلوا قروناً يتحرقون الى تعلم العربية ، واستعادة كتابة لغاتهم بالحرف العربي الذي كان شائعاً في كتابة هذه اللغات وانتجوا به الوف المصنفات المخطوطة التي حجبت عن ناشئتهم بسبب فرض الحرف اللاتيني عليهم .

ويمكن تناول الدراسة القيمة التي اعدها الاستاذ حسن احمد يوسف مستفيداً من بحر علمه وخبرته الزاخرة ، ومن موقع الممارسة الفعلية في تعزيز حملة تقوية العربية في الصومال ، وسالف عمله في جنوب السودان ، يمكن تناولها تناولاً تقويمياً عاماً ، وتناولاً يقف عند اقسامها . والتناول العام يدلنا على أن هذه الدراسة قد اخذت بالمفهوم الحضاري الشامل للتعريب ، تعريب المدرسة والادارة والمجتمع على حد تعبيره ، وان هذا المفهوم هو الذي ساد النظرة العامة التي قدم بها للدراسة ، ونظر خلاله في النماذج الاربعة مكان البحث والتحليل ، فأوقفنا على أهم سمات الاوضاع الثقافية في هذه الاقطار ومسيرة التعريب فيها والتمايز في الاهداف والوسائل والممارسات بينها ، مختتماً الدراسة باطلالة على المستقبل اقترح فيها جملة من الأسس للتخطيط لمستقبل التعريب في هذه الاقطار .

أما اذا تناولنا مقاطع هذه الدراسة ، فإن المقدمة ، او النظرة العامة ، تكشف عن سمتين

ميزتا تجارب هذه الاقطار في سعيها للتعريب ، اولاهما ان كلاً منها تسعى لتحقيق ثنائية لغوية تكون العربية فيها لغة الثقافة والعلم والحياة العامة والعمل . ولئن صدق هذا على سعي السودان والصومال ، فإن هذه المسيرة تعتريها صعاب جمة في كل من موريتانيا وجيبوتي . واعتبر الذي حدث في موريتانيا عام ١٩٧٩ وان اتجه الى احترام اللغات الوطنية الاخرى ، وهذا امر لا اعتراض عليه ، فإنه يشكل نكسة للتعريب اذ اختير للغات الوطنية الثلاث أن تكتب بالحرف اللاتيني ، وان تستقي المصطلحات التي تفتقر اليها من العربية والفرنسية او اللغات الافريقية الاخرى . كما أن ادخالها في التعليم عام ١٩٨٥ لا يوفر وقتاً كافياً لتمام هذا العمل ، اذ ان معهد اللغات الوطنية حديث عهد وتنقصه الاطارات ذات الاعداد العالي . كما أن حركة التعريب في جيبوتي قد ابطأت المسيرة بعد انطلاق كان يؤمل له أن يتصاعد . ولعل اسباب ذلك أن بعضاً من الاساتذة العرب الذين ندبوا للاسراع بتعريب التعليم في جيبوتي عمدوا الى تعزيز مكانة اللغة الفرنسية في التعليم .

والسمة الثانية هي عفوية الممارسة التي سادت جهود هذه الاقطار . ولقد لّمح الكاتب الى البوادر ـ المشجعة التي ظهرت اخيراً ، اذ اتجه الصومال الى وضع استراتيجيته للتعريب مستعيناً بخبرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والاتجاه الذي سلكه السودان وموريتانيا في التخطيط اللغوي . وهنا نلاحظ أن توجه معهد اللغات الوطنية في موريتانيا مركّز على تطوير اللغات الافريقية بهدف ادخال ثلاث منها في نظام التعليم ، على حين أن مشروع قانون مجلس التخطيط اللغوي في السودان يتجه في الاساس الى تعزيز مكانة اللغة العربية في الحياة الوطنية ، واعمالها اداة لتكريس الوحدة الوطنية . واني اذ الاحظ هذا لا ادعو الى اهمال اللغات الوطنية الاخرى في الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة ، وانما أردت أن يفهم دور كل مؤسسة على حقيقته ، وان يعامل على هذا الاساس في اطار استثمار التنوع الثقافي لمصلحة اثراء ثقافة شعوب هذه الاقطار وتحقيق الوحدة الوطنية في كل منها على أساس يحترم كل اللغات ويحلها في المواقع الجديرة بها ، على نحو ما فعلت العربية في لقاءاتها الباكرة مع اللغات التي عايشتها وتأثرت بها واثرت فيها . في حركة اخذ وعطاء ناقصة .

والنماذج المقدمة تبشر بخير في مجال التعريب على المستويين الوطني والقومي . ولقد قدم الباحث وصفاً لكل حالة ابان مكامن قوتها وضعفها بنفس موضوعي هادىء ، ففي كل حالة وجد التعريب سنده في دستور البلاد . وفي كل حالة سبق مساعي التعريب التي بدأت بعد استخلاص الاستقلال الوطني ، قيام مدارس اهلية لتعليم العربية وبسط تعاليم الاسلام ، باعداد متفاوتة ، ودرجات متباينة من النجاعة . ولعل جنوب السودان كان أقل هذه المناطق حظاً من حيث توافر المدارس والكتاتيب التي تعلم العربية والاسلام ، بسبب السياسة البريطانية الاستعمارية التي سبقت الاشارة اليها . وركزت كل هذه التجارب على تعريب التعليم مدخلاً لتعريب المجتمع . وهذا تناول صحيح للأمر ، ولكن لا بد من أن يواكبه مجهود كبير في مجال تعليم الكبار ومحو الامية العربية بمفهوم المجابهة الحضارية الشاملة للامية ، اذ الأمية مقصد حضاري واجتماعي أساسي .

ولا يمكن تعريب الثقافة والفكر والوجدان دون تمليك الجماهير اداة المعرفة الاولى ، ودون تعظيم دورها الاجتماعي والسياسي في حركة التنمية ، بذلاً ومشاركة عادلة في ثمارها ، وفي حركة البناء الوطني والقومي المتجه الى تحقيق الوحدة والتقدم .

إن حركة التعريب ، وبخاصة في هذه الاقطار الاربعة ، بحاجة الى مؤازرة مواتية ومخططة تستخدم أجهزة الاعلام الجماهيرية في تعليم العربية ، واشاعة قيم الثقافة العربية الاسلامية ، والنهوض بوعي القاعدة الشعبية العريضة . وبدون هذا تكون عملية التعريب عملية جزئية وفوقية لاتنعم بدفء قلوب اصحاب المصلحة الحقيقية فيها ، ويفقد التعريب مغزاه الحضاري المنشود . وتشير دراسة اوضاع التعريب في هذه الاقطار الى ضرورة توفير اسبابه ومقوماته ،ذلك ان توافر الارادة السياسية ، وان تم ، فانه لا يكفي وحده . وهو بحاجة الى الارتكاز على قدرات مهنية كفيّة في كل مجالاته ومدركة لمغزاه الحقيقي والى مادة مقروءة للطالب والمعلم معاً ، واستخدام مكثف للمعينات السمعية والبصرية ، والى أن يدقق في المحتوى الثقافي والحضاري للكتب المستعملة ، وللبرامج الاعلامية المبثوثة ، والى ان تكون كل اجهزة الدولة مسخرة لخدمة التعريب .

ان اسس التخطيط للمستقبل المعروضة في الدراسة قد ابانت شروطاً اساسية لا يصلح الأمر بدونها اذ ركزت على :

أ ـ الارادة السياسية والقرار السياسي المكفول بالقانون الصادر من السلطة العليا في البلد .

ب ـ تحديد الهدف الاستراتيجي ووضع الخطة التي تأخذ بالمفهوم الشمولي للتعريب .

ج ـ اعداد منطلقات العمل ووسائله ـ وفي مقدمتها المعلم ـ للناشئة والراشدين ، واعداد الكتاب المناسب ، وتصنيف المعاجم ، واستخدام الطرق الحديثة ، واجراء البحوث ، وخاصة المقارنة والتقابلية ، بين العربية واللغات المحلية قصد تيسير تعلم العربية وتعليمها ، وتحقيق التلاحم بينها وبين اللغات الافريقية .

د ـ تأكيد دور اجهزة الاعلام والربط بينها وبين التعليم النظامي وتعليم الكبار .

هـ ـ قيام جهاز وطني للتعريب .ولقد حددت سلطات هذا الجهاز ولكن لم تشمل التخطيط الذي ارى أن يكون من اهم اختصاصاته .

لقد تناولت الدراسة ما يجب عمله على مستوى كل قطر من الاقطار الاربعة التي تناولت حركة التعريب فيها ، ولا بد من الاشارة المؤكدة مجدداً الى ضرورة اعتبار هذه المهمة قضية قومية تنهض بتبعاتها الأمة كلها ، وفق خطة قومية يكون توفير مقومات نجاحها تخطيطاً وتنفيذاً وتمويلاً مسؤولية قومية . فلقد آن الآوان لازالة المجانبة والانفصام بين ما نقول وما نفعل .

المناقشات

عبد الكريم خليفة : كان بحث الاستاذ يوسف بحثاً قيّماً وشاملاً . وقد ملأ فجوات مهمة في معلوماتنا ، فله الشكر الجزيل على ما بذل من جهد . ولكني اود أن اتساءل عن الحروف التي تتبعها الصومال في الكتابة الرسمية في الوقت الحاضر، وما هي حقيقة مشكلة هذا التغيير الخطير ؟ فكيف يمكن لدولة قبلت عضواً في الجامعة العربية ، ان تقرر السلطة فيها ترك الكتابة بالحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بديلاً عنها ؟

كما أود أن أسأل الاستاذ الكريم عن مدى حجم هذا القرار الخطير ، ومدى صداه في اوساط الشعب الصومالي ، وعن الاسباب الكامنة وراءه ، وهل هنالك محاولة جادة للرجوع عن هذا التدبير ، وكيف يمكن أن ينسجم هذا الوضع مع خطة التعريب . هذا مع العلم ان هذا القرار قد فرض قهرياً ، ودموياً ايضاً ، وفي ظروف سياسية متهمة وتكتنفها الشبهات .

مدثر عبد الرحيم :لي اربع ملاحظات او تساؤلات اود ان أتقدم بها للاخ الاستاذ حسن احمد يوسف .

١ ـ اذا كان للتعريب اعداء يكيدون له سراً وعلانية وباساليب ملتوية او صريحة في بلاد كبلاد المغرب العربي لا شك في أنها من صميم العروبة والاسلام ، فمن الجائز المحتمل أن تكون ثمة معارضة مماثلة (او لعلها تكون اقوى واعتى) في بلاد يعتبر فيها وضع العربية وضعاً خاصاً كالتي تفضلتم بتنويرنا عن احوالها في بحثكم القيم . ولكنكم لم تذكروا شيئاً عن ذلك . فهل هنالك معارضة محلية للتعريب في هذه البلاد ؟ واذا كانت الاجابة بالايجاب ، فما هي القواعد التي تنطلق منها تلك المعارضة ؟ وما هي القوى الداخلية والخارجية التي تدعمها ؟

٢ ـ ذكرتم ان دور الاستعمار في محاربة العربية والتعريب في هذه البلاد قد انتهى واصبح امراً تاريخياً . ولكننا نجد أن الاستعمار ـ حتى في بلاد كبلاد المغرب العربي ـ ما زال يعمل ناشطاً

وجاهداً لمقاومة العروبة والتعريب ، مباشرة عن طريق عملائه والمتعاونين معه لاسباب طبقية ومعاشية بعض الاحيان ، وبطرق غير مباشرة كالسعي لاحياء العصبيات القبلية (كالبربرية مثلاً) لضرب التعريب تارة اخرى . ثم ان وجود الاستعمار الجديد وتسربه (اقتصادياً وثقافياً وسياسياً) في مختلف بلاد العالم الثالث حقيقة ماثلة وان لم تكن دائماً ملموسة بينة . فهل تعنون أن الوضع في البلاد التي ذكرتم يختلف عنه في بقية بلاد العالم الثالث؟

٣ ـ اود ان اسأل عن تقديركم لمدى الدعم المقدم لقضايا العربية والتعريب في البلاد التي تحدثتم عنها من قبل البلاد العربية ، وهل تشعرون بأن البلاد العربية تقوم بواجباتها في هذا الباب على الوجه المطلوب او المتوقع ؟ اطرح هذا السؤال وفي ذاكرتي القصة التي سمعتها مراراً ايام كنت اعمل في جامعة كنو في نيجيريا ـ ونيجيريا كما يعلم الاخوة الكرام بلد ذو وزن كبير في افريقيا والعالم الثالث عامة (فسكانها نحو مائة مليون ، وهي بلد نفطي الخ) ؛ ثم ان معظم اهلهامسلمون عريقون في الاسلام اذ تأصل الاسلام في بلادهم منذ نحو الف عام وكانت العربية لغة الادارة والثقافة والتجارة بينهم الى ما بعد مطلع هذا القرن العشرين اذ هدم المستعمرون الانكليز سلطنة سوكونو الاسلامية عام ١٩٠٣ .

في هذا الاطار التاريخي والحضاري برزت في نيجيريا الشمالية قبل حوالى خمسة عشر عاماً فكرة انشاء كلية جامعية تكون مركز اشعاع للعلوم الاسلامية والعربية في جميع انحاء افريقيا الغربية . وسعياً لتوفير المال اللازم اتجه وفد من اعيان القطر الى بعض البلاد العربية واثقين انهم سيجدون العون المطلوب وزيادة . ولكنهم ، أسفاً ـ عادوا بما هو شر من الخيبة ؛ عادوا وقلوبهم مفعمة بالمرارة والحزن اذ انهم قد اسيء اليهم وعوملوا معاملة المتسولين اضافة الى ما لقوا من احباط . في تلك الظروف لم يجد الساعون لانشاء الكلية الجامعية بدأ من أن يتوجهوا للحكومة البريطانية التي استجابت استجابة مكّنتهم من اقامة المبنى المطلوب . ولا شك ان مثل هذه القصة الاليمة امر نادر الوقوع . ولا شك أن كثيراً من الجهات الرسمية والشعبية في البلاد العربية لم تكن لتسلك مثل هذا المسلك الذي لا نحتاج لوصفه بأي صفة او نعلق عليه اي تعليق ؛ حسبنا أن نذكر أنه وقع وحدث ولو مرة واحدة ما زالت تذكر كل يوم .

٤ ـ واخيراً ارجو أن يفيدنا الاخ الباحث بمزيد من المعلومات عن وضع اللغة والدراسات العربية في المؤسسات الجامعية في البلاد التي تحدث عنها .

احمد العايد : رغبة مني في أن اسهم بعض الاسهام فيما قاله الاستاذ الجليل حسن احمد يوسف « التعريب في الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة » بودي أن اذكر معطيات عشت بعضها شاهد عيان ، واستنتجت بعضها الآخر :

١ ـ بالنسبة الى جيبوتي فقد استقلت هذ الجمهورية الصغيرة في شهر حزيران / يونيو ١٩٧٧ . وهي كما نعلم مستعمَرة فرنسية منذ قرن وعشرين سنة تشتمل على سكان من العفر والعيسي والصومال والعربي اليمني . لكن ما ان اعلن الاستقلال حتى تمّ ما لم يكن في

الحسبان : عدد هائل من المدرسين الفرنسيين رغبوا في العودة الى ديارهم . وامام هذا الفراغ المخيف لمجابهة السنة الدراسية المقبلة ، استجابت جامعة الدول العربية لطلب جيبوتي واذا بصندوق المعونة الفنية للاقطار العربية والافريقية يساعد هذه الدولة الفتية ، واذا ٥٦ مدرساً ومدرسة من التونسيين ذوي التكوينين العربي والفرنسي يرسلون على الفور لسد الفراغ الطارىء ، لتعليم الفرنسية مكان الفرنسيين ، على أن يضطلعوا بتدريس العربية فيما بعد ، ولا سيما ان جيبوتي اصبحت من اقطار الجامعة العربية ، وان وزيرها الاول ووزير التربية فيها عبرا بكل وضوح عن موقف بلادهما من امر التعريب وتعليم العربية .

ثم تحولت الى المكان عينه بعثة من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في شهر نيسان / ابريل ١٩٧٨ وقدمت تقريراً فيه تصورات لبدء التعريب ببدائل مختلفة . لكن الحكومة الجيبوتية قررت في شهر ايلول / سبتمبر ١٩٧٨ عدم السرعة ، وغيرت الوزير المتحمس لقضايا تعريب التعليم وتعريب المحيط ، وانطلقت السنة الدراسية التالية بتدريس ساعات بالعربية في الصفين الاخيرين من التعليم الابتدائي ، وبعض الساعات في التعليم الاعدادي والثانوي ومدرسة تكوين المعلمين .

وهكذا كانت الفرنسية لا تزال لغة التدريس في السنوات الاولى مع أن التلميذ الجيبوتي يأتيها غالباً وقد مر بالكتّاب وحفظ جزءاً من القرآن الكريم ، وهو على بعض الاتصال باللغة العربية قولاً وكتابة . واضطر اعضاء البعثة التعليمية العربية أن يدرسوا الفرنسية وبعض سويعات بالعربية حسب امر السلطة التربوية في البلاد ، واضطر رئيس البعثة التعليمية العربية (وهو احد الثلاثة الذين قدموا تقرير سنة ١٩٧٨) ان يسير حسب اختيارات البلد . والحالة لم تتغير الى اليوم ، ولعل تغييراً سيحدث قريباً بعد ٤ سنوات من الاستقلال لخير العربية والبلاد ، ولا سيما ان تعليم العربية لا يعني حذف الفرنسية وانه مطلب جماهيري عبر عنه بحماسة تلقائية مؤثرة كل من العفر والعيسي والصومال والعربي اليمني . هذا مع العلم انه بفضل مساعدة صندوق المعونة الفنية للبلدان العربية والافريقية اصبح عدد المدرسين العرب ـ وهم تونسيون ـ ٨٦ . وهذا العدد ما زال حتماً دون المطلوب اذ ان عدد الفرنسيين يفوقه بـ ٥ مرات تقريباً .

٢ ـ بالنسبة الى موريتانيا فإن الامر ليس بالسهولة التي نظن . ان سكان الجنوب هم من السود الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية عهد الاستقلال ولهم تكوين عصري أهّلهم لأن يكونوا من قادة الدولة عهد الاستقلال في القطاعات الحيوية الاقتصادية والتربوية . . . الخ . ان « السودان » ينظرون اليوم الى « البيضان » (اولئك الذين كوّنوا تكويناً تقليدياً عربياً) نظرة التساوي ، ويسعى بعضهم الى أن يجعل من اللغات الزنجية المحلية (سوفانكي ـ بولاري ـ وولوف ـ بانبارا) لغات وطنية تدرس في التعليم الابتدائي . وهذه الرغبة التي ظهرت في السبعينات تحققت بعد سقوط الرئيس مختار ولد دادة ، فإذا « بمعهد اللغات الوطنية » يضطلع بمهمة ضبط هذه اللغات والتأليف بها ـ بالحرف اللاتيني ـ استعداداً للتدريس بها حوالى سنة ١٩٨٥ .

لذلك فإن الفرنسية عند الموريتانيين من اهل الشمال والجنوب تمكن من العمل خارج الوطن في فرنسا او في العالم الفرانكفوني . ولئن كانت حاجات الانسان الضرورية هي الغذاء والسكن والتعليم فإن الاساس هو العمل ، واللغة الفرنسية اداة العمل والعيش . وهكذا يتوقع أن تتعايش الفرنسية مع العربية ومع اللغات الوطنية المحلية ، لاسباب سياسية داخلية وخارجية ولاسباب اقتصادية .

ولعل الحلول (وما سأقوله حلم لكن لا حرج علينا من الحلم ـ بالنسبة الى مواطني جيبوتي وموريتانيا واقطار المغرب العربي الثلاثة تلك التي استعمرت من الفرنسيين، وبالنسبة الى المواطنين العرب الآخرين) هي في أن نرى يوماً سوقاً مشتركة عربية مفتوحة للعرب يتنقل فيها العامل بدون تأشيرة ، وفي أن تعرض قضية التعريب على مستوى عال ـ باعتبار تميزات كل قطر اللهجية ـ كاداة للوحدة الوطنية لكل بلاد ، واداة للوحدة القومية العربية .

محمد السعداني : لم يشر الاستاذ حسن احمد يوسف في حديثه عن موريتانيا الى الحسانية التي تستعمل في موريتانيا، وخصوصاً في شمالها . كما أنني لم اجد في بحثه اية اشارة ـ الى أن موريتانيا تعمل على أن تصبح اللغة العربية اللغة الرسمية فيها ، مع أن هناك التزاماً بذلك قبل أن تصبح عضواً في الجامعة العربية . كما لم يشر الاستاذ الى الجهود الاخرى التي يبذلها بعض الدول العربية ، مثل العراق والمغرب وتونس ، في سبيل نشر اللغة العربية في موريتانيا .

صبحي الصالح : إذا صح أن الامة العربية تؤلف اليوم ، من المحيط الى الخليج ، مجتمعاً لغوياً قائماً بذاته ، واذا كانت الاقطار العربية الاربعة التي تناولها بالدرس والتحليل مدير المكتب الاقليمي لشرق افريقيا الاستاذ حسن احمد يوسف ، تؤلف بدورها عدة مجتمعات لغوية متنوعة لا مجتمعاً واحداً ، برغم انتمائها العربي ، واذا كنا بسبب هذه الاوضاع الثقافية الخاصة في الاقطار الاربعة المذكورة نواجه كثيراً من المصاعب والعقبات تحول دون تحقيق خطوات جادة في عمليات التعريب المنشود ، فنحن نرى لزاماً علينا ، ازاء هذا كله ، أن نلتمس اكثر الوسائل اغراء بالتوحيد اللغوي ، فاسحين فيها المجال امام شعوب تلك الاقطار للعودة الى ممارسة التعبير باللغة القومية لمن كان قبل حريصاً على ذلك ، ولتشويق العاجزين عن ذلك وترغيبهم في التعبير باللغة الام ، لا بأدوات التعبير التقليدية بل بما يسمى ادوات التعريب المواكب ووسائله التي ينظر اليها من منظور وحدوي ، وهو الموضوع المثير الذي افردت له الندوة محاضرة قائمة بذاتها سوف يحدثنا عنها بعد قليل زميلنا الجليل الدكتور عفيف دمشقية .

لقد لاحظت على سبيل المثال أن ورقة اليوم اشتملت بصورة هامشية او جانبية على وصف سريع للاوضاع الفنية الاعلامية . ففي جمهورية الصومال الديمقراطية غابت العربية تماماً عن مسرح الحياة الشعبية . فليس للسينمامثلاً الا مكان محدود ، ولم يستطع الفيلم العربي أن ينافس الافلام الهندية والاخرى الناطقة بلغات اجنبية . وهناك محاولات مع وكالة الافلام الصومالية لاسماع الكلمة العربية .

كذلك الحال في جيبوتي اذ يعوّل التلفزيون في الافلام على ما نطق منها بالفرنسية ، وان كان الناس يحاولون أن يشاهدوا بعض الافلام العربية عندما يتمكنون من التقاط البرامج التلفزيونية اليمنية .

اما في الجمهورية الاسلامية الموريتانية فصحيح أن العربية تحتل فيها المكانة الاولى في الاذاعة ، ولكن انعدام الارسال التلفزيوني في القطر لا يأذن للشعب الموريتاني العربي برؤية البرامج التي تطبع في قلبه وذهنه صورة الانتماء العربي عن طريق المشاهد التلفزيونية ، ويزداد الوضع سوءاً بسبب المناصفة بين اللغتين الفرنسية والعربية في وسائل التعبير الصحافي .

وأما في الاقليم الجنوبي من جمهورية السودان الديمقراطية فيزداد احساسنا بالالم حين لا نجد في الارسال الاذاعي الا قليلاً من البرامج في اذاعة اقليمية تستخدم العربية نادراً ، ومعها بعض اللغات المحلية ، على حين تذيع اكبر نسبة من البرامج الوطنية بالانكليزية . ونجد مثل هذا في الارسال التلفزيوني .

إن الخطة الشاملة لتعريب هذه الاقطار لا يجوز أن تغفل تلك الادوات المواكبة والتي لها اكبر الاثر في نقل شعوب تلك الاقطار تدريجياً الى الاحساس الواقعي والوجداني بالانتماء العربي . وستكون لهذا الاحساس نتائج سريعة بقدر ما هي طيبة ، حتى ولو فسحنا المجال لبعض الاوضاع الفولكلورية التي كان لنا الحظ بالتعليق عليها وعلى فوائدها في مناسبات عدة .

هشام بوقمرة : ما استمعنـا اليـه في هذه الجلسة المخصصة للتعريب في الاقطار العربية ذات الاوضاع الخاصة ، هو في الوقت نفسه مفيد ومخيف . مفيد لاننا استمعنا الى معلومات حول اقطار عربية شقيقة كنا نجهل الكثير عنها وعن القضايا المصيرية التي تواجهها ، ومخيف لأن مسؤوليتنا عن التعريب في اقطارنا الخاصة ، المغربية مثلاً ، التي تحدثنا عنها خلال يومين بشيء من الرهبة والخشية ، قد بدت لنا الآن مفزعة في توسعها ، واخذت بعداً مأساوياً بالفعل .

نستطيع أن نتلمس هذا البعد بشكل اكثر حدة عندما نضعه في اطاره الحقيقي وهو المجابهة بين جهود الاستعادة الثقافية والتغلغل الحضاري للامبـرياليـة الاستعماريـة (الفرنسيـة ـ الانكليزية) ، وهي جهود موحدة ومركزة ، وبين امة عربية لا تزال تبحث ، سلطوياً ، عن وحدتها وقوة قرارها . الاستعمار لم يخف اهدافه . فمنذ الستينات صرح وزير التربية الفرنسي كريستيان فوشيه لمجلة باري ماتش الباريسية : « اننا قد خسرنا امبراطورية استعمارية ، فيجب أن نتدارك ذلك بتشييد صرح امبراطورية ثقافية » . والمشكلة اننا لا ننتبه الى المخططات الاستعمارية الا بعد دخولها حيز التنفيذ .

إني اعتقد أن هذه المجابهة مصيرية بالنسبة للمستقبل العربي كله ، وذلك لان الاستعمار الذي انحسر عن افريقيا عسكرياً ـ وقد كان خلال القرن الماضي واول هذا القرن يريد أن ينهي عبرها عملية الالتفاف على الوطن العربي ـ عاد الآن من خلال امبرياليته الثقافية في الاقطار الحدودية ليباشر الضغط على الوطن العربي والتغلغل الثقافي فيه ، اولاً لمنع التوسع الحضاري

العربي والانتشار الاسلامي في افريقيا ، وثانياً لدعم مواقعه التي لا تزال موجودة داخل الوطن العربي .

إن هذه القضية موكولة حالياً الى جامعة الدول العربية ومنظماتها المختصة . وها نحن نستمع الى ممثليها بيننا يعبرون عن المحدودية المرعبة لانشطتهم . فلا بد اذن من التوجه بنداء خاص وضغط خاص ليصبح التدخل العربي اكثر فعالية ونجاعة . ان الاموال كثيرة والكوادر موجودة ، ولكننا نعرف أنها تهدر في مجالات اخرى قد لا يكون للعروبة علاقة بها . واننا امام مسؤولية مصيرية ، فلعلنا نكون في مستواها ، تكفيراً عن انواع القصور التاريخية المسجلة علينا .

بالطبع لا بد من الاستفادة من الخيبات السابقة وتجارب التعريب العديدة في الوطن العربي ، حتى لا نقع في نفس الاخطاء ونفس النفور ونفس الانتكاس ، لاننا بالفعل في هذه الاقطار ذات الاوضاع الخاصة امام فرصة جديدة ، وهي البدء في عملية تعريب من اولها . هنا الاحظ ان محو الامية بالنسبة للعرب هو اصعب علمياً من نشر العربية لاول مرة في قبائل لا تعرفها . وهذه فرصة اخرى ، لأن الذين يتعلمون العربية لاول مرة لا يحملون معها انحرافاتها المتراكمة عبر القرون.

عبد الله ادم : سأحاول أن اكون موجزاً قدر المستطاع ، اولاً لكي اعرّف اخواني سبب وجودي في هذه القاعة . فأنا احد الاخوة المهتمين بعملية التعريب ، ورئيس جهاز صندوق المعونة الفنية للدول الافريقية والعربية . ان هذا الصندوق هو احد الاجهزة التابعة للامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومعنيّ بعملية التعريب اولاً ، ونشر الثقافة العربية في الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة، والدول الافريقية ذات الكثافة السكانية الاسلامية ، ثانياً : ونظراً للطلبات الكثيرة التي ترد الى هذا الصندوق من هذه الاقطار، ومحدودية الموارد المتاحة له ، فقد أخذ بمبدأ الانتقاء والاختيار في ضوء استراتيجيته التي تحدد الاطار العام والزمني لهذه التجربة المستمرة لمدة ٥ سنوات ابتداء من عام ١٩٧٦ . وقد اعطى الصندوق في المرحلة الحالية الاولوية لقطاع التنمية للقوى البشرية من خلال توجيه واستثمار الخبرات العربية المتنوعة ، والطاقات العلمية العربية لتنظيم برامج التدريب وتأهيل الكوادر ، وتكوين الاطارات الوطنية والمحلية مع تقديم منح دراسية في قطاعات منتقاة في ميادين الدراسة والتعليم العالي بالمعاهد والجامعات العربية ، وعلى مستوى هذه الاولوية الاولى يكون اسهام الصندوق في دعم وتعليم اللغة العربية في الدول والمجتمعات غير الناطقة بها ، وفي نشر الثقافة العربية فيها . ويمكن تلخيص نشاط الصندوق في تقديم ما مجموعه حتى الآن ٢١٣١ معلماً وخبيراً ، و ٣٥٧ منحة دراسية في اكثر من مجال .

ففي مجال التعريب اعطى الصندوق اهتماماً كبيراً لهذا الشأن ، فقد قدم وما زال يقدم ٢٦٦ مدرساً الى الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية التي نناقشها اليوم مثل جيبوتي ، والصومال ، وموريتانيا والسودان ، وبخاصة جنوبه ، ايماناً منه بأن تعزيز عملية التعريب يحتل الصدارة في تأكيد الانتماء العربي والارتباط القومي لتلك البلدان، مما يستوجب قومياً الاستمرار والدعم ثنائياً وجماعياً . وفي مجال نشر الثقافة العربية ساهم الصندوق في ادخال اللغة العربية في

بعض الدول الافريقية التي تتوق اليها باعتبارها لغة القرآن الكريم ، وذلك بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والوكالة التونسية للتعاون الفني . ومن هذه الدول : جزر القمر ، كينيا ، موريشاس ، السنغال ، النيجر . ومجموع المدرسين المرسلين حوالى ٦٠ مدرّساً ، اضافة الى تزويد جزر القمر بمطبعة عربية . واما الاقطار العربية التي نوليها اهمية كبيرة ، وبخاصة الصومال، وجيبوتي ، وموريتانيا ، فيجب على النخبة العربية أن تفهم ان لها اوضاعاً خاصة بها ، وأن هنالك واقعاً مــراً يجب أن نعالجه بكل عناية ودراسة واعية .

ففي جمهورية الصومال مثلاً اختيرت كتابة اللغة العربية واللغة الصومالية بالحروف اللاتينية قبل انضمام الصومال الى حظيرة الجامعة العربية . اقـول ذلك تصحيحاً للمعلومات فقط . فلماذا تمّ هذا مع أن الشعب مسلم ، ولسانه هو اللسان العربي ؟ هناك مؤامرة حيكت وكانت كل الاقطار العربية واعية ، ولكنها تنبهّت عندما انتهى الامر ، وهذه عادتنا في اغلب الاحيان . ولما كانت في الصومال مشكلة هي ثنائية اللغة ،وكانت اللغة العربية قد طمست طوال قرن كامل ، فقد طلبت من الأقطار العربية أن تساعدها ، منذ فجر الاستقلال ، على ايجاد وسيلة لكتابة اللغة الصومالية المنتشرة التي تربط الصوماليين بعضهم ببعض محلياً ، علماً بأن الصومال لم يكن حتى هذه اللحظة مستقلاً تماماً لأن ثلثي الشعب ما زال تحت الاستعمار . فهناك استعمار حبشي ، وحوالى ٥ ملايين صومالي لا يزالون تحت الاستعمار الحبشي ، والحبشة لا ترضى بأي وسيلة أن يتعلم هذا الشعب اللغة الصومالية ، او اللغة العربية ، وهناك حوالى نصف مليون او اكثر في كينيا . وشعب هذا وضعه يجب أن يلم نفسه في اول وهلة بأن يحاول ايجاد الوحدة الوطنية . ولكن بأية وسيلة ؟ هنالك عامل مشترك واحد او عاملان على الاقل : العامل الاسلامي واللغة المحلية . فاضطر هذا الشعب الى كتابة هذه اللغة لتكون حلقة الاتصال بينه وبين الاجزاء الاخرى موجودة ، لأن اللغة العربية تحارب ، والشيوخ الذين يدرسون القرآن لا يقدرون على ذلك علناً ، فكيف تفتح المدارس ؟

هذا هو وضع الصومال . والحكومة الصومالية قررت والتزمت قانونياً كما ذكر الاخ الباحث بأن تعرّب البلد ، رغم كل هذه الظروف ، وعادت الى حظيرتها الاصلية وهي جامعة الدول العربية . فصندوق المعونة الفنية ، بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، يحاول قصارى جهده . وفي الصومال اليوم ٦١ مدرّساً . وهناك سنوياً محاولة لزيادة مطردة لعدد الاساتذة . ونحاول بكل الوسائل أن نوفر منحاً لابناء الصوماليين الحائزين شهادات عليا لاستيعابهم في الجامعات العربية .

واخيراً ، هناك ٢٥ طالباً صومالياً حائزون شهادات جامعية نحاول ونسعى مع الجامعات العربية لاستيعابهم ليتابعوا الدراسات العليا في اللغة العربية ، في المواد الاجتماعية ، الجغرافية والتاريخ . وحتى هذه اللحظة لم نوفق .

مطلوب من هذه الدولة الفتية المجزأة أن تعرّب امة كاملة هي افقر دولة في العالم . ويبدو لي أنها مسؤولية قومية مشتركة ، وأن الاقطار العربية لا تنقصها الامكانات بل تنقصها الارادة .

فهناك صراع حضاري موجود ، ونحن نتباكى في المغرب العربي الذي يمد جيبوتي بالمدرسين ، اي نأخذ المدرسين من تونس ونرسلهم الى جيبوتي . وتونس هي التي كنا البارحة نشكو من القبضة الحديدية للثقافة الاجنبية فيها ، فما بالنا بجيبوتي ، القاعدة الفرنسية ؟ ان فرنسا لاتقبل أن يخرج طفل من جيبوتي ليذهب الى باريس حتى لتعلم اللغة الفرنسية نفسها . وقد علم بعض الكتبة في الدواوين الحكومية ، وشاءت الظروف أن يتولى هؤلاء سلطة الحكم . ولما كانوا كتبة على الآلة الكاتبة ولا يفقهون شيئاً آخر سوى اللغة الفرنسية ، فقد كان طبيعياً أن يستميتوا للبقاء في السلطة .

وقبل البارحة كنت مع الرئيس الجيبوتي ، وكنت اناقش معه نفس الموضوع هذا ، فقال لي بالحرف الواحد : لديّ ٥٠٠ مدرس فرنسي في جيبوتي ، وعندكم ٨٦ مدرساً من تونس على حساب صندوق المعونة الفنية ، فإذا اردتم فأتوا بمدرسين عرب ليحلوا محل الفرنسيين وانا على اتم الاستعداد للموافقة . قلت له بأن الذي ينقصكم هو القرار السياسي ، فأنت لا تريد التعريب خوفاً من فرنسا . قال : لا ، انا مستعد ولكن بشرط ان تحلوا محل هؤلاء المدرسين الخمسمائة ، كيف ؟ هل الاقطار العربية على اتم الاستعداد ؟ هل هي قادرة ؟ لا ، غير مستعدة وانا اكلمكم عن تجربة .

وبعض الدول التي ذكرناها توفرت لها الارادة السياسية ، وهي على اتم الاستعداد لأن تعرب البلد بكامله ، ولكن من يساعدها ؟ هنا اعود للقول بأن عملية التعريب عملية قومية وواجب قومي ، فيجب أن نتحمل المسؤولية ، وخاصة رجال الفكر العربي . واشكر مركز دراسات الوحدة العربية على هذه الندوة القيّمة التي استفدت منها كثيراً .

محمد الباقي الهرماسي : لقد تكلم احد المعلقين على وجود اعداء للعربية في المغرب العربي واريد ان اقول هنا انه لا يمكن البتة التسليم بهاته المقولة، او على الاقل التسليم بها بهذه الصورة .

صحيح ان هناك مشاكل كالخلافات حول سياسة التعريب ، وطرق التعريب ، وجديّة المسؤولين ، وان هناك مشكلة المجموعات البربرية التي يجد بعضها أن الفرنسية تخدم مصالحها وتريد فوق ذلك أن يقع الاعتراف بخصوصيتها ضمن المجتمع العربي . ولكن هذا لا يشكل امكانية رجوع في الاختيارات الثقافية الاساسية .

ونحن لا نقوم برمي هذه المجموعات بالمروق والعداء وانما بمحاولة كسبها ، خاصة ان هذه المجموعات وان كانت لا تتكلم العربية فهي لا تتصور مصيرها خارج اطار الامة .

ولعل استعمال منطق الاقناع والترغيب وعصرنة اللغة العربية من انجع الطرق لكسب هاته المجموعات . ولهذا ، ومهما كانت العصوبات والعراقيل ، فإن اختيار التعريب اختيار لا عودة عنه في المغرب .

طه حسن النور : اود ان ابدي بعض الملاحظات حول موضوعين شديدي الصلة بالبحث المقدم حول « التعريب في الاقطار العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة » :

الموضوع الاول : يتصل بأثر المدارس الاجنبية في السلبيات التي تواجه التعريب في البلاد العربية . ومن الغريب أن جميع الاقطار العربية تسمح للمدارس الاجنبية بتعليم اللغات الاجنبية في المراحل الابتدائية . وبطبيعة الحال فإن التلاميذ الذين ينتسبون لهذه المدارس هم ابناء الطبقة الميسورة في المجتمع من الاغنياء وكبار الموظفين في البلدان العربية .

والموضوع الثاني : يتصل بالتعريب في منطقة الخليج العربي ، واثر العناصر الوافدة الى هذه المنطقة في اللغة العربية المنطوقة في هذه المنطقة العربية ، وهكذا اثر المربيات « الهنديات » في تكوين الملكة اللغوية لدى الطفل العربي في هذه المنطقة .

واقترح أن تستكمل الدراسات في هذين الموضوعين حتى يكون موضوع التعريب في الوطن العربي مكتملاً في الكتاب الذي سوف يصدر عن هذه الندوة .

حسن احمد يوسف : لن أطيل سيدي الرئيس وانما أود أن أعبر عن شكري لكل من تدخل في المناقشة او أبدي رأياً حول ما ورد في هذا العرض مبتدئاً بالمعقبين اللذين ارى فيما تقدما به اسهاماً جيداً حقاً . واثني على المتحدثين الذين تعاقبوا من بعدهما .

وسأصرف الدقائق المتاحة لي في الرد على التساؤلات التي بدت منهم .ومن هذه تساؤل صدر عن الدكتور خليفة والدكتور العايد عما وراء التحول من الحرف العربي الى الحروف اللاتينية في كتابه اللغة الصومالية واللغات المحلية في موريتانيا . وهذا اتجاه مؤسف من غير شك ، ولكن ربما كان من اسبابه غفلة من الأقطار العربية لم تجعلها تقف الى جانب الدولتين في الوقت الذي كان يدور فيه التفكير في هذا التحول . ففي الصومال مثلاً لم يكن اتخاذ القرار سهلاً ، وقد جاء بعد تمحيص طويل ، وتبادل آراء بين المؤيدين والمعارضين له . بل ان فكرة استنباط حروف خاصة تمزج بين بعض الحروف العربية واللاتينية ، مع اضافة رموز لأصوات خاصة باللغة الصومالية ، قد طرحت ايضاً . ولكني لا ادري أن مؤيدي الاخذ بالحروف العربية قد وجدوا مساندة كافية من الخارج . وقد يكون هذا ايضاً صحيحاً عن موريتانيا التي لم اقف على دقائق الموقف فيها . ونحن في منادتنا بالعودة الى الحروف العربية في هذين القطرين وغيرهما محقون ، ونرجو أن نوفق يوماً ما . على أنا كمن « لم يتبينوا النصح الا ضحى الغد » .

وكنت أرجو ان يكون الدكتور مدثر في القاعة الآن ليستمع الى الرد على التساؤلات التي اثارها عن وجود معارضة للتعريب ، ومدى الدعم الذي تقدمه البلاد العربية ، ومكانة اللغة العربية في التعليم العالي . والوضع في ايجاز هو أن احداً لا يتوقع أن يكون الناس كلهم على رأي واحد في اي قضية حيوية . فهناك معارضون للتعريب في الاقطار التي هي موضع اهتمامنا هنا ، كما ظهر ذلك في بلاد اخرى في المغرب العربي، مثلاً . ولكن هذه المعارضة تبدو في سلوك يمكن وصفه بعدم المبالاة والتثاقل في التنفيذ من بعض المسؤولين لا كمعارضة سافرة ، حتى لا تكون المعارضة في مواجهة ارادة الجماهير وتيارات السياسة العامة في بعض الحالات . وأما الدعم الذي يأتي من البلاد العربية الاخرى فلا يمكن اعطاء تفصيلات دقيقة عنه هنا ، وليس من الحكمة ان نتعرض

لاحتمالات الخطأ . ولذا نكتفي بالقول ان هناك دعماً تتلقاه هذه البلدان المعنية بدرجات متفاوتة ، ولكنه في كل حالاته دون الوفاء بالحاجة بكثير . وهناك مشروعات للتعاون لم تثمر بعد . واما مكانة العربية في التعليم الحالي فقضية تواجهها البلاد العربية كلها ، ومعالجتها لا بد من أن تتم على مستوى الوطن العربي . وقد تضمنت المذكرة شيئاً عما يوجد منها في جنوب السودان متمحوراً حول جامعة جوبا ، وفي الصومال في كلية التربية معهد اللغة العربية .

ويتساءل الدكتور السعداني عن اغفال ذكر الحسانية عند الحديث عن موريتانيا ، وعدم ذكر العراق والمغرب بين الدول التي لها معلمون في جيبوتي . وابادر بالرد على الشق الثاني اولاً معتذراً عن السهو في عدم ذكر الدولتين فهذه حقيقة اغفلت ونحن نشكره على التصويت الذي ارجو أن يجد محله في الكتاب الذي يصدر عن هذه الندوة وان يتنبه المركز الى ذلك . وأما الشق الأول فإن كل ما اعرفه هو أن العربية السائدة في موريتانيا هي اللهجة الحسانية وهذا ما عنيناه عندما اشرنا الى المتحدثين باللغة العربية من المواطنين في ذلك القطر . ونرجو أن يكون هذا صحيحاً لأن معلوماتنا عن موريتانيا تعتمد على ما نقرأه ، اذ لم يكن لنا حظ التجربة او الاحتكاك المباشر بالواقع هناك .

وقد اثار الدكتور الصالح موضوع الاذاعة في جنوب السودان متسائلاً عن تركيزها على اللغة الانكليزية واللغات المحلية . ويبدو انني لم اكن واضحاً فيما قلت عنها . فأنا قد نظرت اليها كجزء مكمل للاذاعة الرئيسية في الخرطوم التي تغطي الاقليم الجنوبي ايضاً . وهي اذاعة عربية خالصة تبث ساعات طويلة في اليوم . واما الاذاعة الاقليمية في جوبا ـ عاصمة الاقليم ـ فإنها تبث الى جانب العربية باللغات المحلية والانكليزية .

وتساءل الدكتور بوقمرة كيف يكون الجهل باللغة العربية عائقاً لحملات محو الامية ، في حين أنه قد يكون معيناً لها . والذي قصدت اليه انا هو أن الحملات لن تكون مماثلة لما عرفناه في الأقطار العربية احادية اللغة . وعلى رأس تلك الحملة الشاملة في العراق ، لأنها في الحالة التي تواجهنا ستكون تعليماً للغة ولكتابتها في وقت واحد مما يتطلب تخطيطاً مختلفاً لحملاتها ، واتباع اساليب مختلفة في تنفيذها .

واخيراً ، فإني اعتبر تدخل السيد عبدالله ادم في المناقشة تأييداً لكثير من هذه الآراء .

القسم الثالث

اشكاليات التعريب ومستقبله

الفصل الحادي عشر

التعريب وخصائص الوجود العربي والوحدة العربية

عبد الله العروي

مقدمـة

قضية التعريب هي قضية اللغة في المجتمع العربي. ولم تنشأ هذه القضية عن حالة طارئة غير متوقعة ، كما أنها لن تحلّ باتخاذ بعض القرارات في حقل التربية او السياسة الاعلامية . والواقع أن كل مجتمع يعرف مشكلة لغوية ، ولكن الفرق بين مجتمع وآخر ، هو في مقدار وعي المشكلة ، ومقدار الجدية والهمة في معالجتها .

لقد ناقشنا قضية اللسان العربي منذ عقود ، لكن في اطار جعل منها فرعا من قضية أخرى نعتبرها أهم وأشمل : قضية المعتقد ، والاستمرار الثقافي ، والخصوصية القومية ، والوحدة السياسية . وكانت النتيجة أننا لم ندرك عمق المشكل وموقعه الاستراتيجي في قضايانا القومية . ولا نعني أن اللغة هي بالضرورة أساس كل تقدم علمي وحضاري . فهذا رأي واضح البطلان . وإنما نعني أن اللغة مرآة تنعكس فيها أحوال الثقافة والحضارة . فمشكل اللغة هو مشكل التخلف ، ولا يتصور تقدم حضاري اذا بقي المشكل اللغوي على حاله اليوم ، فإما أن يحل واما أن يهمل نهائيا . وسوف ادافع في هذه الصفحات عن وجهة نظر ألخصها في النقاط التالية :

- قضية التعريب هي قضية اللسان العربي في شكله الحالي .
- قضية اللسان هي انعكاس لمشكلة الوجود العربي .
- لا يمكن أن تحل القضية الا في نطاق قرار وحدوي .

ولا أعتقد ، كما يفعل الكثيرون ، أن اللسان هو الضامن للوجود القومي والمصير الواحد . بل اعتقد بالعكس أن الوجود القومي لا يتأمن الا في اطار وحدوي ، وان حلّ مشكل اللغة الذي هو في الاساس مشكل التخلف لا يكون الا على يد سلطة قومية . وقد لا أوفق في حدود هذه المساهمة الى بسط الأدلة الكافية لتبرير وجهة نظري هذه . لكن تقصيري لا يدل بالضرورة على

عدم صحة الرأي المعروض. ولذا ، أناشد القارىء أن ينعم النظر في الرأي بمعزل عن المبررات المسوقة هنا ، لأنه قد يوفق الى براهين امتن من التي اقدمها . واذا حاول صادرا عن حسن نية ، ولم ير للرأي وجها ، حق له أن يعرض عنه ويقضي بسفاهته .

أولاً : المجتمع واللغة

نتكلم منذ عقود في وطننا العربي عن التعريب ، فماذا نعني بالكلمة ، والى أي ظاهرة اجتماعية نشير بالضبط ؟ هل نعني حالة طارئة لم نعرف مثلها في تاريخنا الطويل ، ولم يعرف مثلها أي مجتمع آخر ، أم نعني حالة عادية نسبياً في تطور الثقافات ، يعانيها العرب وغير العرب اليوم كما عانتها في الماضي شعوب أخرى ؟ هذه تساؤلات أولية ، لا محيد عنها ، اذا أردنا أن نلمّ بماهية المشكلة وحدودها . وكل معالجة في نطاق غير نطاق التاريخ المقارن واجتماعيات الثقافة ، تقودنا اما الى تبسيط مجحف ، واما الى مغالطات لفظية .

لنتذكر الواقع اللغوي في روسيا القيصرية كما وصفه لنا بأطناب القصاصون الروس . لنتذكر حالة ايرلندا والهند بعد قرون من الحكم الانكليزي ، لنتذكر حالة كيبيك داخل الاتحاد الكندي ، لنتذكر مواقف الحزب الشيوعي الصيني ازاء مشكلات اللغة والثقافة والكتابة الصينية . إن مجرد ذكر هذه الامثلة ، والقائمة غير محدودة ، يلفت انتباهنا الى أن هناك مشكلا نظريا يمكن أن نطلق عليه اسم مشكل **اللسان المقعّد** داخل المجتمع المتغير . فلنرسم صورة موجزة لهذا المشكل العام .

١ ـ قبل كل شيء ، لا بد من أن نعيد الى الاذهان ، أن اللغة المكتوبة واللغة المحكية ظاهرتان اجتماعيتان مختلفتان لكل واحدة منها تعريفات وأصول وآثار خصوصية ، وأننا نتكلم هنا على الظاهرة الصوتية فقط ، فنحن نهتم مثلا بكلمة (هيدروجين) ونهمل ما اذا كان ينبغي أن نكتبها حرفا أو رقما أو رسما . بعد هذا التوضيح نطرح السؤال التالي : هل يستعمل المجتمع لغة واحدة ام لغات كثيرة[1] ؟

الواقع أنه لا يوجد مجتمع يستعمل لغة واحدة . والمستويات اللغوية متفاوتة في كل مجتمع ، نميّز هنا أربعة منها ونرتبها من الاقل الى الاكثر تجريدا واستقرارا :

ـ اللهجات ، وهي المستعملة في الحياة اليومية . وقد تكون من أصل واحد أو من أصول

(١) تفاديا لأي سوء تفاهم أحدد هنا استعمال بعض الكلمات :
ـ الكلم : أداء صوتي خاص للهجة معينة .
ـ اللهجة : تركيب كلامي ينتمي الى اصل معين ويتميز عن غيره في النطق والمفردات وبعض التراكيب
ـ اللغة : مجموعة مفردات وتراكيب تخص مجالا معينا ، مشتقة من اصل واحد او مستعارة من اصول مختلفة .
ـ اللسان : لغة مضبوطة القواعد صوتيا ، ونحويا ومعجميا ، اكتسبت عن طريق الكتابة استقرارا نسبيا .
ـ الرمز : علامة اصطلاحية للتعبير عن محسوسات أو معقولات .

مختلفة . وكونها مختلفة الاصول لا يمنع تجانس المجتمع وتوحيد الدولة . كما أن وجود دولة قوية ومجتمع واحد لا يحتم انصهار بعض اللهجات في بعض ، رغم قوة التأثيرات المتبادلة . وليس في التجربة التاريخية ما يدل على أن ظاهرة اللهجات قد تختفي في المستقبل القريب ، بل العكس هو الارجح الآن .

ـ هناك الى جانب اللهجات لسان مكتوب ، وهو لهجة وقع عليها الاختيار لسبب من الاسباب لتكون وسيلة التخاطب الرسمية . انه اذن لهجة الطبقة الحاكمة في البلاد . وقد تكون لهجة مستعملة فعلا فوق ارض الوطن ، كما وقد تكون لغة اجنبية فرضتها ظروف سياسية أو ثقافية أو دينية محددة . وتصبح اللهجة المذكورة لسانا عندما تجري عليها عملية تنميط وتقعيد تبطل مفعول التغير في مخارج الحروف والتراكيب وقاموس المفردات . وهنا تنشأ قضية الفصاحة التي تعني أساسا معارضة كل تحول من أي نوع كان .

ـ الى جانب اللسان المقعّد المستعمل في المحافل الرسمية ، تروج لغات اصطلاحية تلجأ اليها فئات متخصصة مثل أصحاب الصناعات أو المعارف . فهناك معجم البنائين ، ومعجم الاطباء والصيادلة ، ومعجم الوراقين . . الخ . وتتجدد هذه المعاجم باستمرار ، ويزداد عددها برقي المجتمع وتنوع طرز حياته . لماذا قلنا لغات ، مع أن الأمر يتعلق في الظاهر بمفردات مبتكرة أو مستعارة ؟ لأن التطور قد يتعدى احيانا المفردات الى التراكيب . أولسنا نتكلم عن لغة الفلاسفة ، ولغة النحاة ، ولغة الشعراء ؟ ويفسر بعد اللغة الاصطلاحية عن اللسان المقعد في المجتمع الواحد ميل جماعة الاختصاصيين بطبعها الى استعمال لسان أجنبي .

ـ اخيرا ، اذا كانت الصنائع والعلوم الطبيعية ، التي تصف العالم المادي المحيط بنا ، تتسبب في تعدد اللغات الاصطلاحية ، فإن العلوم النظرية التي لا تقنع بالوصف ، وتحاول الكشف عن العلل ، تعمل على ابداع الرموز . فمن المعلوم أن الرياضيات تتقدم بقدر ما تبدع من رموز . والصفر الذي ثوّر علم الحساب ليس هو الفراغ المجرد ، بل هو ذلك الرقم (او النقش) الذي يعبر عن مفهوم الفراغ المجرد بصورة دائرة جوفاء . ومن المعلوم كذلك أن الكيمياء الحديثة أنشئت عندما أبدعت رموزا حرفية تمثل الجواهر . وقضية القياس الكمي ، أساس العلم الحديث ، تتلخص في البحث عن رموز مناسبة . وكل علم حديث يحتوي على نظرية عامة في ظاهرة الكون ، والنظرية مجموعة رموز تتآلف ويتولد بعضها عن بعض حسب قواعد ثابتة . فهي اذن تماثل اللغات الاخرى ، غير أنها اكثر منها تجريدا .

٢ ـ لم نتجاوز هنا ضبط ما يجري على ألسنة الجميع . فالكل يتكلم على لغة العامة ولغة الخاصة ، لغة الصناع ولغة العلماء . غير أن البعض يظن أن هذا الكلام من قبيل الاستعارة ، وأن هذه اللغات متفرعة من لغة أصلية هي اللسان المقعّد ، أو ما يسمى بلسان التلقين ، في حين أنها كلها مستقل بعضها عن بعض . وهذا الاستقلال الفعلي هو الذي يفسر لنا ظاهرة تساكن لغات من أصول مختلفة تقوم في المجتمع الواحد بالادوار الاربعة المذكورة . فمن غير المستبعد مثلا أن نجد في مجتمع ما لهجات من اصل غير سامي ولسانا مقعّدا من أصل سامي ، ولغات اصطلاحية مختلفة

ترجع الى اصل آري ، ورموزا شبيهة برموز آسيا الشرقية ، ومع هذا فلا شيء يمنع مثل ذلك المجتمع من أن ينمو ويزدهر . وما لم نسلم بهذه الامكانية فإننا لن ندرك عمق المشكلة المستترة وراء كلمة « التعريب» .

يعرف كل مجتمع اذن اربعة مستويات لغوية . ولكن المستوى الثاني ، مستوى اللسان المقعّد ، يتميز بدور الوساطة . فاللهجات واللغات الاصطلاحية والمنظومات الرمزية تروج في محيطات ضيقة ، ولكي تنتقل من محيط الى آخر لا بد من أن تتحول ، ولو جزئياً الى اللسان المقعّد ، وهذا واضح في تلقين العلوم . فالرياضيات مثلا سلسلة رموز . لكننا نجد بين المعادلة والمعادلة المتولدة عنها جملا من اللسان المقعّد لا دخل لها بعملية الاستنباط ، وانما تستعمل للتوضيح والتبليغ وقل الشيء نفسه عندما نشاهد تجربة في مخبر . فالجمل التي ينطق بها العالم لا تدخل في العملية الفيزيائية ، وإنما هي بمثابة تعليق على التجربة . ويخطىء البعض في فهم هذه الظاهرة فيظن أن اللسان المقعّد ، لسان التعليق على الاستنتاجات المنطقية والعمليات الطبيعية ، هو اللغة الوحيدة المستعملة في المجتمع .

بيد أن اللسان المقعّد ، الذي يقوم بدور الوسيط بين بقية اللهجات واللغات يؤدي على ذلك ثمنا غاليا ، هو الجمود وعدم التطور . فبينما يتغير الكلم في المستويات الاخرى يظل على حاله في اللسان المقعّد لأنه كذلك ، ويبقى بالتالي متأخرا حكما عن تطور المجتمع ، على افتراض أن المجتمع متطور فعلاً . وينطبق وصفنا هذا على كل مجتمع . بيد أن المجتمعات متفاوتة . فبماذا يتميز مجتمع عن آخر ؟ أو بعبارة أدق كيف تنشأ المشكلة التي نطلق عليها نحن مشكلة التعريب ؟

قلنا ان اللسان المقعّد ـ لسان النحاة أو لسان التلقين ـ هو لسان وسيط ، تترجم اليه جزئيا كل لهجة فئوية عندما تتجاوز محيطها الضيق . الا أن اللسان المقعّد في مجتمع ما ، قد لا يمثل هذا الدور لسبب من الاسباب ـ والسبب في الغالب هو القهر والاستعمار ـ فيقوم بدور الوساطة لسان مقعّد دخيل . وفي هذه الحال يصبح اللسان الاول لهجة خصوصية ضمن اللهجات الفئوية الاخرى ، ويلجأ مستعملوه الى اللسان الدخيل ليدركوا مراد الفئات الاخرى الاجتماعية والحرفية .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، تكلمنا في تحليلنا على مجتمع حي متطور يزداد مع الايام اطلاعا على محيطه الطبيعي وقدرة على ابتكار النظريات والرموز . وبما أن اللسان المقعّد هو الطريق الضروري الذي يسلكه كل من يريد أن يذيع معارفه وابتكاراته ، فلا بد لهذا اللسان رغم جموده على قواعده ان يثرى بالمفردات المبتكرة . والالسن المكتوبة لا تتفاوت في حقل النحو والصرف ، وفي حقل التركيب فقط، بل في حقل القاموس ايضا ، وبخاصة قاموس الاشياء . لنتصور الآن حالة ركود مجتمعي ، ولو كان نسبيا ، فندرك للحال أن صلات اللسان باللغات الاصطلاحية واللهجات قد تضمر الى غاية الانعدام . وبما أن عملية تنميط ذلك اللسان وتقعيده مستمرة ، فإنه قد يصل الى درجة من الاستقرار تجعله يبدو وكأنه في غاية التمام والكمال .

وحينذاك يصبح هو نفسه لغة اصطلاحية يستعمل في ظروف خاصة ، ومن جانب فئة متخصصة فظاهرة الكمال اذن إنما هي الوجه الآخر لظاهرة العزلة والجمود .

٣ ـ لقد رسمنا صورة لحالة يكون فيها المجتمع راكدا نسبيا ، ويكون فيها لسان ذلك المجتمع لغة اصطلاحية تزاحمها لغات أخرى فتدعو الى تبني لسان دخيل ـ عن طواعية أو عن اكراه ـ ليقوم بدور الوسيط الذي كان من المفروض أن يقوم به اللسان الاصلي . ولقد تحققت هذه الحالة في فارس تحت الحكم العباسي ، وفي روسيا القيصرية ، وفي ايرلندا تحت حكم الانكليز ، ونجدها اليوم في الهند وفي كيبيك . وعندما نتكلم على قضية التعريب فإننا نعني حالة اجتماعية ولغوية قريبة مما وصفنا . وقد تختلف حدتها من بلد الى آخر ، ويختلف الباحثون في أسباب نشأتها : هل بدأت مع الاستعمار الاوروبي أم نشأت مع تغلب العنصر الفارسي أو التركي داخل الخلافة الاسلامية ؟ لكن ، ما لا يدع مجالا للشك ، هو أننا عندما نتكلم على التعريب لا بد لنا من أن نضعه في اطاره العام .

ثانياً : اشكالية التعريب

نستخلص من التحليل السابق أن لمشكل التعريب وجهين :

ـ كون لسان اجنبي يحل محل اللسان الاصلي في دور الوسيط بين اللغات الاصطلاحية التي تستعملها الفئات المختلفة في المجتمع .

ـ كون هذا اللسان الاصلي الذي ضبطت قواعد توليد مفرداته ، وتركيبها في جمل مفيدة ، وتغيير معانيها ، منقطعا عن اللغات التي تكون بدورها قد توقفت عن النمو بسبب جمود المجتمع .

هذان وجهان لمشكل واحد . ويبدو من السهل أن يخفي الاول الثاني ، لكن لا يمكن سبر عمق مشكل التعريب اذا لم نميز بينهما نظريا على الاقل . فالوجه الأول ظاهرة اجتماعية تنشأ عن القهر والاحتلال الاجنبيين فيصبح اللسان الدخيل عنوان التقدم والعلم والاناقة ، واللسان الاصلي سمة كل ما هو بلدي متخلف . . ونرى الموظف يخاطب الزبون بلسان الاجنبي ليظهر نفوذه ، والام تخاطب ابنها باللسان نفسه للاعلان عن انتمائها الى طبقة راقية ، والطالب يقحم الكلمات الاجنبية ليثبت ثقافته العصرية ، الى آخر المظاهر المؤسفة المضحكة التي نلاحظها اليوم في المغرب العربي ، وفي بعض الاوساط المشرقية ، والتي كانت منتشرة في اثناء القرن الماضي في روسيا .

١ ـ وللدعوة الى التعريب في هذا المجال مغزى سياسي واضح . فهي دعوة الى الوحدة الوطنية ، ومحاولة لايقاف تيار خطير يحول التقسيم الاجتماعي الى تقسيمين لغوي وثقافي . والتناقض الذي كان قائما أيام الاستعمار بين الجالية الاجنبية والشعب المستعمر يتحول الى تناقض بين النخبة الحاكمة ذات النفوذ الاقتصادي وسائر الطبقات المحكومة والمحرومة . وفي هذا الوضع

ما فيه من تبعية اقتصادية وسياسية للمجتمعات الرأسمالية المتقدمة(٢) . ولكن هذا الوجه الاجتماعي الاكثر وضوحا ، يخفي في الغالب الوجه التاريخي الذي يكتسي أهمية اكبر اذا حللنا الامور على المدى الطويل .

أ ـ ولنا دليل على التمييز بين الوجه السياسي الآني والوجه التاريخي في التجربة الصينية . فلقد وعت الصين في عهدها الحديث وعيا حادا ضرورة اصلاح لغوي كان قد حدد برنامجه معلمو القرن الماضي ، فطبقت مبادئه ابان الحكم الجمهوري الوطني ، وعممت نتائجه خلال الحكم الشيوعي ، وامحّت بذلك جميع مخلفات التمزيق ، والاحتلال الاجنبي ، والاستغلال الامبريالي ، والنشاط التبشيري . ولكن هل اعتبر الصينيون أن الاصلاح قد تم ؟ لا ، بل قالوا ان ما تبقى من القرن العشرين لا يكفي لاتمامه .لماذا؟ لأنهم يعتقدون أن التقدم العلمي والثقافي يحتم فك الارتباط التاريخي بين اللسان المقولب (لغة العاصمة بكين) وبين مجموعة الرموز التي يرجع قسم كبير منها الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة . وكان قرار الكتابة الهجائية قد اتخذ قبل أن يصل الشيوعيون الى الحكم بسنوات عديدة . ورغم ذلك لم يطبق الى الآن لأسباب تؤكد صعوبة الشكل وضرورة التروي في شأنه . ولكن كل هذا لم يدفع القادة الصينيين الى نفيه او تناسيه ، فتركوه قيد الدرس ، وأعطوا أنفسهم مهلة للتفكير ، وربما للقيام بتجارب جزئية قبل اتخاذ قرار التطبيق النهائي .

ب ـ ولنا دليل أوضح في قضية اللسان الفرنسي الحالي . فقد انتبه الفرنسيون يوما ليجدوا أن علوما بكاملها تدرّس في معاهد حرة باللسان الانكليزي ، وان المتخصصين بالاعلاميات مثلا يستعملون لغة مملوءة بالمصطلحات الأمريكية ، متأثرة في تراكيبها بالانماط الانجلوساكسونية ، الى حد أنها لم تعد تخضع لقوانين النحو الفرنسي المعهود . وأنت تقرأ الآن في صحفهم مقالات تشبه كثيرا ما نكتبه نحن عن التعريب . بل تعدت القضية ميدان الاختصاص الى الميدان الاجتماعي العام حيث بدأ قسم من الطبقة الوسطى يتأثر في لسانه بالتراكيب والمفردات الامريكية ، ويبتعد عن اللسان المتداول وهذا يعني أن لهجة بورجوازية في طريقها الى التبلور . ويدل المثالان السابقان على أن وراء القضية الاجتماعية قضية ثقافية تتعلق بحيوية المجتمع المعني، ودوره في تقدم الحضارة وتطور العلم الحديث .

٢ ـ صحيح أن قضايا اللغة لا تنفصل في جميع الاحوال عن القضايا المجتمعية . بيد أنه يجب أن نحدّد ما نعنيه بالمجتمع . واللغة مرتبطة بهيكل المجتمع ، وبتجزئته الى طبقات ، وبعلاقة كل طبقة بالسلطة في الداخل وبمراكز القوة في الخارج . لكن هذا كله يعبر عن قسم من الواقع فقط . اما القسم الآخر فهو أن اللغة مرتبطة بمستوى المجتمع بالنسبة الى ثقافة الجزء المتقدم من المعمور . فإذا كان منحطا جدا عن المستوى العالمي ، حتى ولو في ميدان واحد ، أو في مظهر واحد من مظاهر الحضارة ، طرح مشكل اللسان القومي حسب العلاقات الجدلية التي اشرنا اليها في القسم

---

(٢) يمكن تصور علاقات التبعية نفسها داخل نظام دولي اشتراكي ، ولذا فإن قضية الاستقلال الثقافي ليست مرتبطة بالنظام الاقتصادي الرأسمالي .

السابق . وخطورة المشكل مرتبطة بمقدار التخلف عن المستوى الحضاري العام فمشكل فرنسة الفرنسيين لا يشبه في العمق مشكل التعريب ، كما أن التعريب لا يضاهى في صعوبته صعوبة المشكل الايرلندي ، او حتى المشكل الصيني .

لم نشر حتى الآن الى قضية الوحدة ، وسنفصّل الكلام عليها في صفحات لاحقة . اما هنا فنكتفي بالقول ان التحليل السابق يستتبع منطقيا ، أن حل المشكل اللغوي يقتضي وجود سلطة قومية . قلنا ان الوجه الثاني للمشكل اللغوي مرتبط بالمستوى الحضاري ، وأن اللسان القومي يزدهر ، أو يضمحل ، بحسب تجدد اللغات الاصطلاحية وتعدّد الرموز العلمية . فهل يعني هذا أن أي استدراك للتخلف الحضاري يحل بالتالي مشكل اللغة ؟ من الواضح أن الامر ليس كذلك . ويكفي أن يترك المسؤ ولون الامور تجري على حالها ، ويميلوا ، لسبب اقتصادي ، الى ربح الوقت والتقليل من النفقات فيستبدلوا باللسان القومي لسانا أجنبيا . بهذه الطريقة قد يتقدم المجتمع ويستدرك الكثير مما فاته في حقل العلوم والتقنيات ، بل قد يستفيد اللسان القومي من الوضعية الجديدة فينتشر ويزيد تداوله ، ولكن كلغة خاصة الى جانب اللغات المتداولة (لغة النحاة والشعراء ، لغة العواطف والحفلات الرسمية) دون أن يسترجع موقعه المركزي كوسيط ضروري لتفاهم الفئات الاجتماعية والحرفية . ولنذكر مرة أخرى ايرلندا الحالية شاهدا على ما نقول .

٣ ـ لا يكفي اذن فهم التعريب بكل خلفياته ، كما لا يكفي وجود ظروف مواتية كقابلية اللسان العربي للاضطلاع بدور الوسيط بدليل قيامه به في الماضي أو وجود عدد كبير من المتكلمين بالعربي . اذ يجب ألاّ ننسى أن احد أسباب اخفاق حركة احياء الايرلندية هو قلة الناطقين بها . ان هذا كله لا يكفي ، ولا بد من قرار . والقرار سياسي في آخر تحليل ، ولا تجرؤ على اتخاذه الا سلطة لها نفوذ على طول الوطن وعرضه . ومن شأن اي سلطة اقليمية أن تحجم عن اتخاذ قرار بهذه الخطورة ، حتى وان قدّر لها أن تدرك مدى صلاحه .

قد يقال : ولماذا لا نرضى بما يؤ ول اليه التطور تلقائيا ، أي الازدواجية اللغوية ؟ بل لماذا لا نرحب بحالة مثل حالة الهند التي أحرزت درجة لا بأس بها من العلم والتكنولوجيا ؟ وهل هناك مصلحة حقيقية في طرح قضية التعريب ، سوى تعلق عاطفي بتراث عقيم ، وسوى مصلحة فئة قليلة من الفقهاء والأدباء والنحاة لا يتقنون شيئاً غير اللسان القديم ؟ إن الاعتراض يبدو وجيها ، ويدفع المرء الى كثير من التساؤ لات . لكننا اذا دققنا فيه ظهر أنه مبني على مغالطة ، على افتراض شيء لا وجود له في الواقع . وقد يكون الاعتراض مقبولا لو كان يتنافس بالفعل في الوطن العربي مشروع التعريب ومشروع مضاد يستهدف تطورا ثقافيا بلسان متطور غير عربي . ففي الهند منذ ثلاثين سنة ، سياسة تثقيفية مبنية على استيعاب اللسان الانجليزي ونشره والكلام على احياء اللسان الهندوستاني يعد من قبيل الدعاية السياسية . اما في الوطن العربي ، فلا نجد سوى الاهمال ، وترك الامور تتطور كما كتب لها . فليس هناك قرار تعريب جدي ، ولا قرار مضاد . وبما أن اهمال الامور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والامية ، فكل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقيا مع قرار التعريب . فمضمون القرارين واحد هو : سياسة قومية تخطط

لمستقبل عربي . من هنا يتجلى أنه غير وارد تقديم عملية التعريب أو تأخيرها عن عملية التوحيد . فالعمليتان وجهان لقرار واحد إما أن يؤخذ أو لا يؤخذ . وبما أن مشكل التعريب قائم الى الآن ، فهذا دليل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلا في أي كيان عربي .

ثالثاً : الاصلاح اللغوي رهن بسلطة قومية

اعتمدنا في التحليلات السابقة طريقة المقارنة بين تطورات متشابهة لألسن مختلفة لنبرهن على أن قضية التعريب تندرج تحت عنوان عام ، وأنها وجه خاص لقضية ثقافية يتحكم فيها التطور غير المتوازن بين عناصر المجتمع الواحد وبين المجتمعات الموجودة فوق الارض . ويمكن أن نلجأ الى طريقة اخرى معتمدين فيها على تطور اللسان العربي نفسه ونصل الى النتائج نفسها .

١ ـ إن العمل الضخم الذي قام به اللغويون المسلمون خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، يدل بوضوح على أن اللسان المعْرب ، لسان الشعر والسجع ، كان دائما ، حتى أيام الجاهلية ، لسان المحافل ، ولم يكن مستعملا في نطاق العائلة او القبيلة . ومع انتشار الكتابة وتدوين النحو حسب قواعد متأثرة بالمنطق المجرد ، تعمقت الهوة بين اللسان المكتوب واللغات المحكية ، وهي ظاهرة عامة نجدها في تاريخ كل لغة ، ونلاحظها اليوم ، بنسب متفاوتة ، في كل مجتمع ، حتى اكثرها توحدا ، واغناها بوسائل الاتصال . ويعني هذا أن مجرد تدوين لغة ما ، وجعلها لسانا مضبوطا مبنىً ومعنىً ، ينشىء تناقضا مستمرا في العلاقات بين اللسان والمجتمع . فالمجتمع يتطور ، وتتمايز فيه فئات متعارضة او متصارعة ، واللهجات تتغير . النطق والتركيب والاشتقاق . . كل ذلك يتحول باطراد ، واللسان المقعّد مجمد في القواعد التي حررها النحاة واللغويون ، فتنشأ بمجرد تدوين اللسان مشكلتان متلازمتان : مشكلة الفصاحة ومشكلة الاصلاح .

٢ ـ اللسان لهجة بين عدة لهجات متساوية ، اختيرت لاسباب عارضة لتكون مثا لاً . ولكي تمثل ذلك الدور كان لا بد من أن تكتسب قدراً كبيراً من الاستقرار ، اي ان تتطور بوتيرة ابطأ من تطور اللهجات الاخرى . فاللسان اذن ، بحكم دوره المعياري ، يتأخر شيئاً ما عن التجربة التاريخية . والناس يميلون الى الاقتصاد في النطق والسهولة في التركيب ، ويذهبون في ميدان النظريات الى نحت المصطلحات وابداع الرموز دون التفات الى قواعد الاشتقاق . كل هذا يحصل والنحاة واللغويون عاكفون على تدوين حالة سابقة من حالات المسيرة اللغوية . ومهما يكن تفتحهم فإنه يستحيل ان يعتبروا أنفسهم مجرد آلة تسجيل لكل جديد ، لأن هذا الاتجاه مناقض لمنطق صناعتهم الهادفة الى اقامة قواعد قارة للهجة التي اختيرت لساناً جامعاً . إن كتب النحو والقواميس متأخرة بالضرورة عن وضع اللغة في الزمن . وهكذا تغدو قضية الاصلاح مطروحة منذ البداية : اصلاح الحرف والنحو وطرق الاشتقاق . وبمجرد طرحها تظهر صعوبة القرار فيها لانها تبدو تراجعا عن قرار تدوين اللسان الجامع وقولبته . ولذا ، فإن قرارات اصلاح اللغة اصعب

القرارات في تاريخ كل مجتمع . ولا يجرؤ على اتخاذها الا الزعماء الاقوياء في بدء نظام قوي . ترى من اتخذ مثل هذه القرارات في تاريخ الثقافة العربية ؟ عمر بن الخطاب وعبد الملك بن مروان . . وما ان ضعف حكم العرب واستولى عليهم العجم ، حتى احجم كل حاكم عن ميدان اللسان وترك الاوضاع تسير حسب قوانينها الذاتية . ونستخلص من هذه الملاحظات ان قضية اللغة ، وهي في العمق قضية اصلاح متواصل ، ليست خاصة باللسان العربي، ولا متولدة من بنية خاصة به . فالمشكل عينه يظهر في اي مجتمع بمجرد تقعيد لهجة ما لتصبح لسانا جامعا . وإنما يكتسي الامر صفة مشكل حاد عندما تحدث ظروف تمنع من اتخاذ القرارات لتحقيق الاصلاحات اللازمة ، ومنها عدم وجود حكم قومي .

٣ ـ ماذا يحدث ، بعد ، اذ تركت الامور على حالها ؟ تتعمق الازدواجية ، اي التباعد بين المنطوق والمكتوب ، بين اللهجات واللسان ، فتستقل اللهجات بالتطور . وكل المعارف الجديدة عن المحيط الطبيعي ، والتاريخ ، والعادات ، والصنائع . . تفرغ في لغات خصوصية بمعزل عن اللسان المقعّد . وبما أن هذا لا يعرف تجديداً من الخارج ، فإنه يدخل في عهد التغييرات الداخلية : ترتب مواده حسب قواعد جديدة ، وتتغير علل النحو والصرف وطرق اشتقاق المفردات نفسها . ولما كان اللسان المقعّد مفصولاً عن الصناعات ، فإنه يصبح هو نفسه صناعة مستقلة . وهذا تجديد ظاهري عقيم لا علاقة له بالتجديد الحقيقي ، اي تجديد المدارك الطبيعية والنظرية .

وتمر هذه العملية بمرحلتين : في المرحلة الاولى لا تعرقل الازدواجية التطور والابداع الفكري ، كما حدث ايام حكم المماليك في مصر والشام ، ويبقى الوعي بضرورة الاصلاح موجوداً ، رغم عدم القدرة على انجازه ، ويجد النمو الثقافي في حيوية اللهجات وطراوة اللسان نفسه ما يساعد على ابتكار لغات خصوصية . اما في **المرحلة الثانية** فتظهر نتائج سلبية خطيرة : تتسع الفجوة بين اللسان من جهة واللهجات واللغات امن جهة اخرى ، الى حد يتعذر معه التفاهم ، ثم يصل اللسان نفسه ، بعد استحالته الى صناعة قائمة بذاتها ، الى مستوى من التنسيق والترتيب يجعله يكتسب صفة الكمال والتمام . وبعد طول الممارسة ، تستحكم هذه الصورة في اذهان النحويين واللغويين ، فلا يعودون يحسون بضرورة اي اصلاح ، لأنهم يتعاملون مع لسان مفصول عن دوافع التغيير التي لا تأتي الا من خلال التجربة المجتمعية التي تستقل بها اللغات الاصطلاحية . وهكذا نفهم عملية توقف الابداع الفكري ، اذ يخلق التنسيق المحكم للسان حساً بأنه مطابق لكل ما هو موجود . واذا كان المجتمع راكداً بالفعل انقلب الحس بسرعة الى قناعة بأنه لم يعد هناك مجال للبحث عن جديد لم يكتشف بعد . وبعد جيل او جيلين يختفي كل تطلع الى المجهول . وهنا نقصد الابداع الفكري فقط ، لان الابداع العملي في مجال الصناعات لا يتأثر حتماً بالوضع اللغوي . غير انه من الواضح ان الابتكارات الصناعية التي لم تفسر لغير الاختصاصيين بكلمات ورموز مواتية لا تتعدى نطاقها الضيق ، لا تحفظ ، فيغمرها النسيان بعد حين . وهكذا تتضح لنا بعض اسرار تاريخ العلوم والصناعات عند العرب .

٤ ـ لقد كان الوعي بضرورة الاصلاح حادا في بدء النمو الثقافي العربي ، ثم بدأ يخفت مع استمرار ركود المجتمع الى حد الانعدام ، ولم يبعث من جديد الا بعدما جاءت الصدمة الاستعمارية . ودخل المجتمع العربي في صراع مرّ مع الغرب ، وظهر التناقض بين الاوضاع اللغوية في كلا المجتمعين فكان في مستوى التناقض القائم على الصعيد العسكري والصناعي والاقتصادي . ولا نقصد ان اي لسان غربي كان أشمل تنسيقاً من اللسان العربي ، بل العكس هو الصحيح . وإنما نقصد ان اللسانين الانكليزي ، والفرنسي بدرجة اقل ، كانا اكثر التصاقاً وتأثراً باللهجات واللغات الاصطلاحية والرموز من العربي ، وان تلك المنظومات الكلامية كانت اكثر تطوراً ومرونة وغنى مما كان موجوداً عند العرب . واذا قلنا ان القاموس الانكليزي اوسع من العربي فقد لا يكون قولنا صحيحاً من الناحية العددية ، ولكنه صحيح اذا اعتبرنا المفردات الاسمية المادية ، تلك التي تتأصل في اللهجات واللغات . ومن خلال التصادم اخذت تطرح من جديد قضية الاصلاح اللغوي بعدما غابت عن افق الفكر العربي عدّة قرون .

ومن الشطط القول ان الاستعمار خلق قضية التعريب. فهذا انما خلق قضية موازية لها عرفناها بالمشكلة الاجتماعية ، اذ نزع الصفة القومية عن الطبقة الوسطى التي احدثها . واما في العمق فقد بعث الوعي بالاصلاح الذي يتحتم كلما قننت اللغة في مجتمع ما، بعد اهمال عدة قرون بسبب انهيار السلطة القومية ، وبسبب الجمود الذي خلق في الوجدان ايماناً خاطئاً بأن اللسان المكتوب يعبر عن كل ممكن في الكون . فمشكلة التعريب كما نعيشها اليوم ، ترجع في الاساس الى ان الاصلاح اللغوي الضروري في كل مجتمع لم يتحقق عندنا في القرون الماضية ، وانه لا يمكن ان يتحقق حالياً ، الا في اطار سلطة قومية تتمتّع بنفوذ قوي .

رابعاً : خطر القول بكمال اللسان

لعل القارىء قد لاحظ أن منطق التحليلات السابقة يعارض فكرة رائجة في الاوساط الثقافية العربية تقول بأن لكل لسان منطقا خاصا به لا تتغير تراكيبه دون أن تذوب خصوصية الفكر القومي . ولقد اعتمد البعض على اتجاهات معاصرة في حقل التحليل الفلسفي والنظريات اللسانية، وادعوا أن اللسان المقعّد هو خزان نظرة الى الكون خاصة بالعرب منذ أقدم عصور الجاهلية ، وأن التعلق بتلك النظرة يحتم علينا المحافظة على اللسان كما صنف في العصر الذهبي . ولا يعني الكثيرون بالتعريب سوى تعميم ذلك اللسان والمنطق المتضمن فيه . واعتقد اعتقادا راسخا أن هذا الاتجاه خاطىء منهجيا وخطر حاليا على المجتمع اذ هو محكوم عليه بأن يحارب كل تجديد ثقافي . ولما كان هذا الاتجاه مبنيا على واقع ، فإنه يظهر أول وهلة وجيها ، الا أنه لا يلبث أن يخطىء فهم ذلك الواقع وتقويمه .

لقد قلنا ان اللسان بعد عقود من التنقيح والترتيب والتصنيف يكتسي صفة الكمال

والشمول ، وتظهر قواعد التصنيف ـ المستنبطة في الغالب من حلقات تطوره ـ للأجيال اللاحقة وكأنها ليست منطق اللسان وحسب ، بل منطق الاشياء ايضا . ففي القرن الرابع الهجري ، بدا نحو البصريين وكأنه منطق العروبة ، المعارض لمنطق اليونان الذي بدا وكأنه منطق نحو اللسان اليوناني . لكن لنتخيل أن اصلاح عبد الملك قرر ضبط المصوتات وكتابتها بحروف خاصة بها واتخذ الخط الكوفي أساسا للكتابة الشائعة ؛ فهل يمكن أن يتصور احد أن النحو البصري المبني على التعليل المنطقي كان يتغلب على النحو الكوفي المبني على الاستعمال ؟

لا يقوم برهان قطعي على ان ما نتج عن ضبط المادة اللغوية وتدوينها على الصورة التي تم بها ذلك ، كان مبطنا منذ البدء في سياقها ، وأن العوارض التاريخية ، اي القرارات التي اتخذت وتلك التي لم تتخذ ، لم تقم بأي دور في التطور الثقافي الذي حصل فيما بعد . ان هناك ولا شك منطقا عاما يتحكم بجميع مستويات المنظومة اللغوية ، بمخارج الحروف ، بالصرف والنحو ، بقواعد الاشتقاق واغناء المعجم . الا أنه منطق اللغة ، وليس منطق الطبيعة ، منطق مرحلة من مراحل تطور المجتمع . ولذا ، نقول أن قواعد تنسيق اللسان تدل على تجربة تاريخية مرحلية ، ولا تدل في شيء على نظرة الى الكون تمثل افق الفكر العربي حاضرا ومستقبلا .

صحيح أننا نلاحظ أن المتكلمين الفرنسية يستعملون منطقا عقلانيا تجريديا في حين ان الناطقين بالانكليزي يميلون الى منطق تصنيفي تجريبي .وقد وجد من الفرنسيين من قرر بقوة أن الفلسفة الديكارتية متضمنة في النحو الفرنسي . والخطأ هنا في التعميم . فالصفة المذكورة تخص قسما من الناس فقط هم الساسة والصحافيون والادباء . واذا التفتنا الى اللغات الاصطلاحية في اللغتين معا ، وجدنا أصحاب الاختصاص الذين يستعملونها يعتمدون منطق الرموز التي أسست عليها اختصاصاتهم . فهل يتصور احد أن الكيماوية الحية متأثرة بمنطق اللسان الفرنسي او اللسان الانكليزي ؟ الواقع أن فرنسية البيولوجيين او انكليزيتهم متأثرتان بمنطق رموز البيولوجيا لا العكس .

إن ميتافيزيقيا اللسانيات خطرة لأنها تربط خصوصية العرب والدور الذي يمكن أن يقوموا به في العالم المعاصر بمنطق محدد تاريخيا ،وتسحب عليه صفة الوجوب والدوام دون برهان مقنع . ولقد أظهرت لنا التحليلات السابقة أن المنطق المتضمن في اللسان لا يتضح الا بعد أن ينفصل هذا الاخير عن التطورات التحتية والفوقية : تطور اللهجات وتطور اللغات الاصطلاحية . فكمال اللسان هو ، في الوقت نفسه ، دليل على انكماشه وشفافيته . وكل اصلاح يستوجب اذاً محو ذلك الاستقلال ، وبالتالي كسر ذلك الكمال الظاهر . وبالعكس ، تعني المحافظة على منطق اللسان ، على صفائه وتناسقه ، المحافظة على فراغه وعدم استيعابه للتطور . وإذا كنا نعني بالتعريب الحفاظ على صورة عارضة للعربية ، أنجزها تطور تاريخي معين ، وجمدت لاسباب سياسية واجتماعية محددة ، فإننا لن نفعل سوى المحافظة على أصل المشكل ونؤخر الاصلاح الضروري ، كما فعلنا مرارا خلال تاريخنا الطويل . ومن يقل ان اللسان المعرب شكل حتمي ، تام ونهائي ، وأنه ما كان ليكون ، ولا يمكن أن يكون ، على صورة غير الصورة التي تحققت بالفعل ، يحكم مسبقا على نفسه

بتركيز الازدواجية التي نراها اليوم على درجتين : تساكن اللسان المعرب واللهجات في الحياة اليومية ، ومزاحمة لسان أجنبي للسان المعرب في المدارس والجامعات .

خامساً : اللسان والخصوصية العربية

كثيرا ما نقف من المسائل اللغوية موقفا عاطفياً ، ظنا منا أن أي تساؤ ل ينم عن نيات خبيثة ، عن مؤامرة مبيتة على الرباط الوحيد الذي ما زال يجمع بين عرب اليوم . ولهذا الموقف مبررات كثيرة ترجع الى تجربة الاستعمار الذي حاول جادا أن يقصي اللسان العربي من حقل الحياة العامة باعتباره وعاء الوجدان القومي .

لكن العاطفة لم تعد تلعب في ظروفنا الحاضرة الدور الايجابي المعهود ، بل أصبحت حاجزا يمنع من ادراك عمق المشكلات . فعلينا اذن التحرر منها ، وبخاصة اذا كنا قد اتخذنا قرارا مؤ يدا للمشروع الوحدوي ، ولم نعد نحتاج الى سبب عاطفي نبرر به ميولنا . وعلاوة على هذا ، ينبني الموقف العاطفي على غلط منطقي اذ يساوي بين الظاهرة اللسانية وبين شكل معين يعتبره مثالا لا يمكن تجاوزه . فلماذا نظن أن اللسان المعرب الذي نتعلمه في المدارس ، والذي يختلف اختلافا كبيرا عن لسان سيبويه ، هو الصورة الوحيدة التي اتيحت منذ الازل للمنظومة اللغوية العربية ؟ لو تصورنا لسانا دون اعراب تام ، ولا علامة تأنيث ولا مثنى ، ولا جمع تكسير ـ وهو تطور عادي في تاريخ الالسن ـ درّس في المعاهد التربوية ، وكتبت به آداب رفيعة ، وحررت به مقالات علمية ، وتفاهمت به فئات مختلفة ، فهل يمكن أن نقول انه ليس لسانا ، وانه ليس عربيا ؟ ماذا يكون اذن ، ما دام يقوم بالدور المنوط بكل مادة لغوية منسقة ومقبولة ؟

١ ـ ليست النظرة السكونية الى اللسان سوى انعكاس للفلسفة الماورائية تظهر لنا بديهية ما بقينا متعلقين بالماورائيات . وبمجرد اعتناقنا نظرية حركية تطورية ندرك للحال أنه من الشطط ربط منطق ثقافة بكاملها بشكل لغوي عارض . وقد أكدنا مرارا أن مسايرة اللسان للتطورات الاجتماعية والتحولات التاريخية واقع قائم بالنسبة لكل مجموعة بشرية ولكل فترة من فترات حياتها . فمن غير المعقول أن نتصور أن المجموعة العربية وحدها غير خاضعة لهذا القانون العام ، أو نتخيل أن المشكل اللغوي قابل لحل نهائي . وما نعانيه من اختلاف اللهجات ، من صعوبة في النحو وعدم دقة في الحرف ، من تناقض في المصطلحات ، تعانيه ايضا ، ان كثيرا وان قليلا ، انكليزية الولايات المتحدة . ولكن لا احد يربط مستقبل الثقافة الامريكية بانكليزية القرون الماضية ، والمجامع المتخصصة تحاول أن تجد لكل مشكل لغوي حلا مرضيا مؤقتا ، لأنها تعلم أن التطور يخلق باستمرار مشكلات جديدة .

أ ـ لا شك أن سبب موقفنا العاطفي من التعريب هو الاحساس العميق بأنه أمر عويص لا يحل الا في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية غير متوافرة الآن . وفي الوقت نفسه يبقى اللسان

المعرب ، رغم ما فيه من ضعف ، الرباط الوحيد بين الكيانات العربية . واذا ضعف هذا الرباط ، ولو نسبيا ، فقد العرب ما يجمع بينهم دون أي مقابل ، لأن المشكلات الثقافية واللغوية ستبقى قائمة . . وهذا اعتراض قوي في الظروف الحالية ، وليس من حق احد أن يستهزىء به . وقد نقبله مضطرين ، لكن الاضطرار لا يعفينا من معرفة النتائج المترتبة عليه . ان في الحفاظ على اللسان المعرب على حالة مزية سياسية . هذا واضح . لكن فيه ايضا استمرار للازدواجية . فهو في الواقع لهجة خصوصية ، نلجأ اليها في المحافل العربية عندما نريد أن نثبت انتماءنا القومي ، وننساها كليا في غير ذلك ، في حياتنا العائلية والحرفية وحتى في معاملات الشارع .

ب ـ وهنا نتساءل : هل هناك تعادل بين الربح السياسي من الابقاء على اللسان المعرب دون اصلاح وبين ما نعرف عن تعلمه وما يواكبه من أمية ومن ميوعة في الفكر ؟ اننا نؤدي على تلقينه ثمنا مباشرا ، هو ثمن التربية الوطنية ، وثمنا غير مباشر، هو تعثر انتشار الثقافة العلمية العصرية ، فنلجأ الى المساعدة الاجنبية . وهذا السؤال يطرحه بالفعل مخططو الاقتصاد الوطني ، ويدل على تناقض قائم في حياتنا اليومية ، وهو ما يرتكز اليه ، بوعي او بغير وعي ، اعداء التعريب . وما لم يتناوله بالفحص ، ويواجهه بجد ، انصار التعريب فإنهم لن يخاطبوا انفسهم ولا غيرهم بخطاب عقلاني مقنع .

ج ـ إن اليونسكو تضع الاقطار العربية في مؤخرة لوائحها : معدل الامية فيها مرتفع ، ومعدل العلماء والباحثين والاختصاصيين منخفض . وهذا بالمقارنة لا الى مجتمعات بعيدة بل الى مجتمعات تشاركها الدين او محنة الاستعمار او التخلف الاقتصادي . ومهما تفننا في البحث عن أسباب اخرى ، فلا يسعنا أن ننفي أن يكون للعامل اللغوي أدنى دور . إن اللسان المعرب الحالي لا يوفر ، حسب كل القرائن ، وسيلة للتعبير موجزة ودقيقة ومرنة ، اي أنه لا يساعد على خلق ثقافة عصرية علمية جماهيرية في وقت وجيز .

د ـ ولا بد هنا من شد الانتباه الى نقطة مهمة هي أنه لا أحد يجزم بأن العملية ممتنعة تماما ، فكل ما نقوله هو أن ثمنها مرتفع في عالم يتحكم فيه منطق الاقتصاد ، منطق الموازنة المستمرة بين المصروفات والعوائد . اننا قد نحتفظ باللسان المعرب على حاله ونصل مع ذلك الى مستوى رفيع . ولكن بأي ثمن ؟ بأي مصروف مالي ؟ بأي جهد جسمي ؟ في أي مدة زمنية ؟ وقد نقبل أن نصرف اضعاف الانكليزي او الروسي لتخريج مهندس او طبيب، وقد نقبل ان يقضي الطفل عشر سنين ليتقن لسانه القومي ، عوضا عن خمس في فرنسا او امريكا، وقد نصل الى تكوين القدر الكافي من الاختصاصيين بالاعتماد على لسان غير قومي . . ولكن هذه كلها حلول مؤقتة لمشكل اقتصادي لا تمس في شيء المشكل الثقافي ، مشكل العبء الذي يثقل كاهل العرب في منافستهم للمجتمعات الاخرى . ثم اذا كان بعض الكيانات العربية الصغيرة والغنية قادر على تطبيق هذه الحلول فالأمر ممتنع على الباقي الذي يمثل اغلبية العرب .

٢ ـ أمام هذه الحقائق يعارض البعض فيسألون : وما القول في تجربة اليابان الذي احتفظ بلسانه وثقافته ، ومع ذلك بزّ الغرب في ميدان العمل والتكنولوجيا ؟

أعترف أني لا أعرف عن تجربة اليابان الكثير . ولكن المعترضين لا يأتون بشيء سوى ما ينشر من حين الى حين في الصحف السيارة ، وهو لا يكفي لتكوين فكرة دقيقة عن أحوال اللسان الياباني وعلاقته بالنهضة الثقافية والعلمية الحديثة . ولكي نناقش الموضوع نقاشا مجديا ، لا بد في نظري من الاجابة على الاسئلة التالية :

ـ ما هي الاصلاحات التي ادخلت على اللسان الياباني منذ ثورة الميجي ؟
ـ ما هو مقدار الازدواجية الموجودة فعلا في الحياة الثقافية اليابانية ؟ وما هو بالضبط دور اللسان الانكليزي في البحث العلمي الياباني وفي تسيير المؤسسات التي لها فروع في الخارج ؟

ـ ما هو ثمن الاستمرارية الثقافية في اليابان ؟ وبعبارة اخرى ، هل هناك علاقة بين نجاح اصلاح الميجي واستغلال اليابان لمناطق شاسعة من آسيا الشرقية لمدة اطول من نصف قرن ؟

الهدف من هذه الاسئلة هو التحقق من أشياء أولية قبل اتخاذ اليابان كمثال يحتذى . فقد تكون التجربة اليابانية خاصة لا يمكن أن تعمم . وقد يكون مظهرها لا يوافق حقيقتها الداخلية فنظن أن اليابان حلّ مشكلا ثقافيا في حين أنه حلّ بنجاح مشكلا اقتصاديا ، وذلك بثمن لم يؤ ده هو بل أداه جيرانه تحت القهر والاحتلال العسكري . دعونا نلتفت الى مثال أقرب الينا هو مثال الهند . فلقد حافظت على اللسان الهندوستاني ومع ذلك توصلت الى درجة لا بأس بها من التقدم الصناعي والتقني والعلمي . لكن الأمية منتشرة في الوقت نفسه والازدواجية عامة . ولا يظهر أن هذا الوضع قد يتغير في المستقبل القريب .

٣ ـ إن حل مشكل التعريب اذن هو في الخيار التالي : اما أن نعتبر اللسان الحالي الضامن الوحيد لخصوصية العرب فيجب أن نحافظ عليه مهما كان الثمن ، والثمن هو الازدواجية من جهة والامية من جهة ثانية ، واما أن ندرك أن خصوصية العرب تكمن في نوعية تحركهم في العالم المعاصر ، وان اللسان في صورته الحالية لا يمثل سوى مرحلة من مراحل مسيرة لغوية لا نهاية لها ، فيجوز لنا أن ندخل عليه اصلاحات في الحرف والصرف والنحو والمعجم قد يتحول معها الى لسان يختلف عن اللسان الحالي اختلاف هذا الاخير عن لغة الشعر الجاهلي .

بهذه الطريقة نقضي تدريجا على الازدواجية ، ونفنّد عمليا الاعتراضات المغرضة وغير المغرضة ، على التعريب ، ونبدع وسيلة للتفاهم سهلة طيّعة قادرة على ترويج ثقافة جماهيرية عصرية ، اي حاملة في كنهها فكرة الاصلاح الضروري المتواصل .

سادساً : اللسان والوحدة العربية

إن استمرار اللسان المعرب لا يضمن بحال استمرار النزوع الى الوحدة . وهذا ما تدل عليه تجارب مجتمعات غير عربية واحداث السنوات الاخيرة في الوطن العربي نفسه . ويجب في نظري

قلب العلاقة بين اللسان والوعي الوحدوي . فالاتجاه نحو الوحدة هو شرط التعريب في معناه الشامل ، أي خلق لسان عربي حديث جماهيري وعلمي .

١ ـ لا يشك أحد أن الرصيد اللغوي المشترك كان الباعث على بزوغ فكرة الوحدة وانتشارها ، بدليل الرقعة الجغرافية التي ازدهرت فيها . ولكن هذه العلاقة عفوية تماما ، وليس فيها شيء ضروري . الم نشاهد انبثاق حركة وحدوية ناجحة نسبيا في افريقية واوروبا مع انعدام ارث لغوي مشترك ؟ الم نر اخفاق توحيد جنوب امريكا مع وجود لغة مشتركة حية ومتطورة ؟ انه لا يكتب النجاح لأي حركة وحدوية ، إذا لم تتحقق مصلحة اقتصادية وارادة سياسية ، اذا لم يرتبط في اذهان الجماهير نجاحها بتحسين احوال المعيشة ، واذا لم يدرك الجميع أن كيانهم مرهون بوحدتهم نظرا لميزان القوى العالمي . واذا تحققت المصلحة الاقتصادية والضرورة العسكرية والسياسية وجدت الدعوة الى الوحدة آذانا صاغية ، سواء أكانت هناك لغة مشتركة او لم تكن . ولا شك أن وجودها يساعد على نشر الدعوة ، اذا كانت وسائل الاعلام قليلة ومتأخرة ، ولكن هذا كل ما في الامر .

إننا عندما نفصل بين مستقبل الوحدة واستمرار اللسان المعرب ، ننفلت من سحر هذا الاخير ، ولا نعود نفكر بالتعريب على انه فرض هذا اللسان بصورته الحاضرة على جميع الفئات لاستئصال اللهجات واللغات الاصطلاحية واللسان الاجنبي، بل ننظر الى التعريب على أنه عمليتان متلازمتان : طرد اللسان الاجنبي من المجال القومي ، واصلاح اللسان المعرب ليحل محله ، وذلك باعادة العلاقات العضوية بينه وبين اللهجات واللغات . واذا اقتنعنا بأن الوحدة متجذرة في شيء اكثر التصاقا بالواقع المحلي والعالمي من الارث اللغوي المشترك أصبحنا قادرين على قبول أي تحول في اللسان يرفضه التطور دون اشفاق على مستقبل الوحدة .

٢ ـ ولقد أثبتت تجربة الثلاثين سنة الماضية حقيقتين : **اولاً** ، أن المحافظة على اللسان المعرب كقاسم مشترك لا يساعد على تعميق الوعي الوحدوي ، **وثانياً** ، ان اللسان المعرب في صورته المكتوبة الحالية ، لا يساعد على بلورة ثقافة جماهيرية عصرية ونشرها . وامام هاتين الحقيقتين يتميز موقفان :

ـ الموقف التقليدي الذي يرى ان اللسان المعرب هو آخر سلاح بيد الوحدويين ، اذا سقط انهارت آمال الوحدة ، ولذا يجب الدفاع عنه بكل وسيلة ومهما كان الثمن : يجب الحفاظ على الحرف والنحو والاعراب ، يجب رفض آثار العامية والمصطلحات الاجنبية ، يجب أن يغزو اللسان المعرب الشارع والمعهد والمصنع والمخبز . بعبارة اخرى ، وباصطلاحنا الخاص ، يجب أن تتغلب لغة النحاة على سائر اللغات الفئوية . انه موقف رومانسي يصطدم يومياً بواقع المجتمع والتاريخ ، ويستحوذ على القلوب دون ان يقنع العقول .

ـ اما الموقف الثاني الذي لخصنا خطوطه العريضة في الصفحات السابقة فإنه ينطلق من بداهة الوحدة ، الناتجة عن معطيات اقتصادية وسياسية وعسكرية لا دخل للوضع الثقافي فيها . ومن ذلك المنطلق التاريخي / الاجتماعي ، ينظر الى الموروث اللغوي ، وبخاصة الى اللسان

المعرب ، فيرى فيه جزءاً من هياكل التخلف والانهيار . وكما نطالب باصلاح وسائل الانتاج ، وقانون الملكية ، والعائلة ، والتربية ، نطالب في الوقت نفسه باصلاح ذلك اللسان الموروث في حرفه وصرفه ونحوه . هناك اربعة قرارات ـ التوحيد ، النمو الاقتصادي ، التنظيم الاجتماعي ، الاصلاح اللغوي لا يمكن تقديم احدها على الآخر أو تأخيره عنه . فكلها تمثل وجها من وجوه الثورة القومية الشاملة ، اذا سقط واحد منها سقط الكل . ومن الواضح أنه لا بد للعرب من أن يفكروا بطريقة حديثة ، هم أنفسهم وبلسانهم ، لا كما يفكر غيرهم بلسانه فقط . واذا لم يفكروا كذلك كان نشاطهم غير اقتصادي ، واذا تأخروا اقتصاديا سقطوا فريسة للاستغلال وربما للاحتلال . وعلى هذا فالسؤال الجدي المطروح هو : أي لسان يساعد على تحديث الفكر العربي ، اللسان المعرب الموروث الجامد ، ام لسان المستقبل الذي سيتطور بعد اتخاذ قرارات الاصلاح اللازمة ؟ اني لا ادعو الى اتخاذ لهجة عامة كلسان مقعّد ، كما يظن القارىء المغرض او المتسرع ، وانما ادعو الى قبول فكرة الاصلاح وما يترتب عليه من تطور حتمي في نطاق المنظومة اللغوية العربية . ولا أحد يمكن أن يتنبأ بنتيجة هذا التطور .

خاتمــة

من هنا نرى تلازم القرار القومي واصلاح اللسان والتعريب السياسي والتعريب اللغوي . فلن يتم اي اصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على المجموعة القومية ، أي في حال لا يكون فيها القرار الوحدوي قد تم ولم يبق في شأنه اي تردد . وأما السلطات الخاضعة لمنطق الاقليمية ، فإنها لن تجرؤ على تبني الاصلاح لأنها تعتمد الازدواجية سياسة ، فتحافظ على لسان محنط لتكسب قدرا من الشرعية ، وتفتح المجال لنشر لسان أجنبي لتحقق قدرا من التحديث ، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدرا من الاستقرار الداخلي.

إن اصلاح اللسان ، في كل مجتمع وفي كل زمان ، امر خطير لا تقدم عليه الا سلطة واثقة من شرعيتها مرتاحة الى مستقبلها . وحتى في ظل تلك السلطة يبقى في الأمر قدر كبير من المخاطرة يدعو الى التفكير والروية قبل الشروع في التطبيق . واما نفي المشكل ، ومعارضة الاصلاح، وترك ما كان على ما كان . . . فمواقف جربناها في الماضي ولم ينتج عنها سوى مضاعفة المشاكل وخلق ظروف الاحتلال والاستغلال .

تعقيب ١

محمّد الباقي الهرماسي

أعتبر دراسة د. عبدالله العروي مساهمة حاسمة في طرح مشكلة التعريب . وهي ، كبقية كتاباته عن الثقافة والمثقفين والتاريخ والمؤرخين ، تمتاز بالوعي المنهجي والبعد الجدلي التحليلي والموقف النقدي ، والكل مرتبط اوثق الارتباط .

ونظراً لطبيعة الورقة وما تحتويه من مفارقات وآراء مغايرة ، وحتى لا يقع سوء فهم ، أرى لزاماً علي أن أعرض تقديماً ملخصاً للمقولات الرئيسية والمفاهيم المستعملة قبل التعرض الى تقويم هاته المقولات .

تشكل الورقة نقداً مركزاً للمفهوم السائد لعملية التعريب ولسياسة التعريب المتّبعة في اغلب الاقطار العربية . والنقد موجه الى ما يمكن أن نسميه الاتجاه الثقافاتي الدفاعي المحافظ الذي يسيطر على الساحتين الثقافية والسياسية . فبقدر ما ينظر هذا الاتجاه للغة كوعاء للوجدان العربي ورمز لخصوصيته ، يرى في عملية التعريب طرد اللسان الاجنبي من المجال القومي وتعميم اللغة العربية كما هي ، معتبراً ان الحفاظ على اللغة حفاظ على الهوية الثقافية ودفع في طريق الوحدة القومية .

ينتقد الباحث هذا الموقف بشدة ويحكم عليه بالفشل وذلك لسببين رئيسيين :

١ ـ ان اللسان المعرّب لا يوفر ، حسب كل القرائن ، وسيلة للتعبير موجزة ودقيقة ومرنة ، اي أنه لا يساعد على خلق ثقافة عصرية علمية جماهيرية في وقت وجيز .

ان الانظمة السياسية الاقليمية « تعتمد الازدواجية سياسة . فهي تحافظ على لسان محنّط لتكسب قدراً من الشرعية ، وتفتح المجال لنشر لسان اجنبي لتحقق قدراً من التحديث ، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدراً من الاستقرار الداخلي » .

فلو اتبعنا منطق الاخ الباحث حتى نتائجه النهائية لقلنا انه حتى لو نجحنا في تعميم عملية

التعريب الممارس على جميع ارجاء الوطن العربي بكل فئاته الاجتماعية لما وصلنا الى حل المشكل الثقافي، ولما قضينا على استمرار الازدواجية. وكل ما في الامر هو ان الناس والنخب خاصة سوف يلجأون الى لغة اجدادهم في المحافل العربية ويتعاملون بلغات اخرى في حياتهم اليومية.

فعوض هذا الاتجاه الثقافاتي يستعمل الدارس منطلقات مستمدة من اتجاه تاريخي سياسي يعتمد فيه على الابعاد التاريخية والاجتماعية . وضمن هذا الاتجاه تتغير المفاهيم كالتعريب ، والمشروع الوحدوي ، تغيراً يكاد يكون تاماً . فهو يقلب العلاقة رأساً على عقب .

ولا يمكن ، ولا يجب ، حصر خصوصية العالم العربي باللغة ، وخاصة في شكل لغوي عارض انجزه ظرف تاريخي معين وتجاوزته التطورات المعاصرة . فالمجتمع العربي مجتمع متخلف تبعي بما في ذلك موروثه اللغوي . وانما تكمن خصوصية العرب ـ انطلاقاً من تداركهم لتأخرهم التاريخي ـ في تحركهم الجماعي في العالم المعاصر وفي ايجاد الاساليب والصيغ الجديدة لتحقيق الغاية .

في هذا الاطار يصبح التعريب لا مجرد تعميم الموروث اللغوي ، ولكن خلق لسان حديث جماهيري وعلمي . ويتطلب بعث هذه الصيغة اللغوية الجديدة من الشجاعة الثقافية والمشروعية السياسية ما لا تقدر عليه القيادات الاقليمية . ويتبع ذلك ، منطقياً ، ان الاصلاح اللغوي والثقافي لن يتم في حالة غياب سلطة قومية .

نقطة اخيرة لاتمام الاطروحة هي أن حصر الخصوصية بالارث الثقافي واللغوي لعب دوراً نفسانياً في الحفاظ على الكيان العربي بدون شك ، بالرغم من تكريسه اللغة المحنطة والثقافة الماضوية . ولكن الطرح التاريخاني للمشروع القومي يغنينا عن هذا العكاز النفساني، ويمكننا من اقتحام العراقيل الثقافية وتكسير اللغة وبنائها من جديد . ويعتبر الباحث انه لا يمكن تصور المشروع القومي الا في سياق المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية داخل ميزان القوى العالمي . فمتى اقتنعت الجماهير بأن كيانها مرهون بوحدتها داخل وامام القوى العالمية ينقلب وزن القوى السلفية في اللغة والسياسة وتصبح عملية التغير الجذري في اللسان والثقافة ممكنة .

لقد حاولت تقديم الدراسة كعالم اجتماع مؤرخ لا كعالم ألسنية . ولست في حاجة الى الاشارة مرة اخرى الى قيمتها ويكفي أن اقول انها بقدر ما تثير الاعجاب تثير بطبيعة الحال الاسئلة .

التساؤل الاول يدوز حول الفوارق بين اللغة الرسمية وبين اللهجات واللغات الاصطلاحية. لقد قدم لنا الدارس تحليلاً مهماً يخص التأخر النسبي للسان المقعّد بالنسبة للغات التحتية والفوقية . وهذه الفوارق موجودة في جميع الازمنة وجميع المجتمعات . وسواء تكلمنا على Standard English او Standard Arabic فإن ما يجب تمييزه هو درجة هذا التأخر ، وقدرة الاختصاصيين على مجابهة المشكل، وتكييف اللغة حسب مقتضيات العصر ، وكذلك طبيعة الوحدات المكونة للمجتمع المعني . فإن اتفقنا على انعزال اللسان العربي اليوم عن الحياة ، وعلى

صعوبات على بلورة ثقافة جماهيرية عضوية ونشرها ، فهل يحق لنا أن نطبق هذا الحكم على الماضي بكامله ، وأن نقبل مقولة ان العربية كانت « دائماً ، حتى ايام الجاهلية ، لسان المحافل » ؟

٢ ـ تحتوي الدراسة على احكام وتعميمات عديدة منها ما ينطبق على جهات معينة من العالم العربي اكثر من غيرها ، مثل تلك الاحكام الصارمة على اللغة وعدم قدرتها على بلورة ثقافة جماهيرية عضوية ونشرها ، مع الاعتراف بالصعوبات الموضوعية والذاتية لجعل العربية لغة فيها من السهولة والمرونة ما يمكنها من أن تصبح لغة ابداع وثقافة . وانا اعتبر أن الاحكام لا تنطبق الا في قطاعات دون قطاعات اخرى ، وبدون شك على المغرب العربي اكثر من المشرق حيث تكيفت اللغة اكثر بكثير مما هو مفترض هنا . ويكفي أن نذكر الدور الثوري الذي قام به الصحافيون حقاً لتطويع اللغة واقحام المفاهيم الجديدة الى حد انها اصبحت عصية الفهم على من اعتاد النصوص القديمة .

وبالفعل حصل الابتعاد عن لغة الاجداد . ونحن اليوم نستعمل لغة جديدة لها تراكيبها المغايرة ولها صيغها ومصطلحاتها ، وان كنا لا نزال بعيدين عن اساليب التعابير المنشودة .

هذه مسائل تخص تعميمات تجريبية Empiric لا يصعب الاتفاق عليها ما دامت تخضع لامكانية الملاحظة الميدانية ، ولا اخالنا نختلف فيها مبدئياً . بقي تصور الباحث لاصلاح اللسان العربي ، وتفصيله للشروط السياسية للتعريب الحركي التطوري ، وهنا يبدأ بعض الاشكال .

٣ ـ فيما يخص عملية التطوير اللغوي اريد أن اقدم الملاحظات الآتية :

أ ـ ان الاصلاح النظري قد افلس ولا يمكن تصور الاصلاح الا عبر الاستعمال . فتراكم المعاجم ، واعمال المجامع المتعددة ، وكثرة المشاريع الرامية الى تغيير الحروف ، من قبل علماء مواطنين ، ومن خبراء الشركات المتعددة الجنسيات الرامية الى اقتحام السوق العربية ، دليل على عقم المنهج ما دامت هذه الجهود منعزلة عن الاستخدام العام .

ب ـ لقد ركز المقال على اشياء كالاعراب والمثنى وعلامة التأنيث . وافهم هذا التركيز على أنه يعني تبسيط اللغة عبر تيسير قواعد النحو والصرف ، والاقتصاد في الكتابة . وهذه شروط ضرورية ، ولكنها غير كافية ، لأنه لا حل جذري الا باستعمال اللغة في مستوى الصنع الابداعي . وهذا امر يخص رجالات العلم والفن والفلسفة .

ج ـ الى جانب دور الزعماء الاقوياء الذي يذكره الدارس لا بد من ذكر الدور الطلائعي الذي يقوم به رجال الثقافة لتكييف التعبير وخلق منوال لغوي جديد كالذي قام به شكسبير Shakespeare بالنسبة للغة الانكليزية .

٤ ـ واخيراً ، صحيح أن الاوضاع السياسية الراهنة لا تشجع على اخذ التأخر التاريخي مأخذ الجد ، وان اغلب القيادات تعوزها الشجاعة على مجابهة الموروث الثقافي بغية بنائه من جديد ، وانه لا نقاش في أن المعركة لن تحسم بدون القرار السياسي المصيري الذي لا التباس ولا غموض فيه .

ولكن ربط نجاح التعريب بقيام او بوجود سلطة قومية هو حل نظري لمشكل يخلق اشكالاً آخر . وكان من الاحسن والاكثر واقعية تقديم الظروف السياسية الدنيا (لا القصوى) لتحقيق الهدف ولو بطريقة مرحلية تجريبية. ومن جملة الشروط الدنيا درجة الانتماء القومي لمختلف الزعامات الموجودة. فعلى الرغم من التشاؤم المتزايد فيما يخص مستقبل العالم العربي نلاحظ ان التعريب يجد دعما وتقدما اكثر بكثير في تلك المجتمعات التي يتغلب فيها الانتماء القومي على الانتماء الوطني.

تعقيب ٢

عفيف دمشقية

أسارع في مستهل هذا التعقيب فأقول انني اوافق الزميل د. العروي على اكثر ما ورد في ورقته من آراء ، وأخص منها ثلاثة : الاول ، ان قضية التعريب هي قضية اللغة في المجتمع العربي . والثاني ، اننا لسنا الوحيدين الذين نعاني مشكلة لغوية . والثالث ، ان حل المشكلة يقتضي وجود سلطة قومية يمتد نفوذها على طول الوطن العربي ، لأنها الوحيدة القادرة على اتخاذ القرار ، وهو قرار سياسي في التحليل الاخير .

لكن لي على هذا الرأي تعديلاً قد يبدو في الشكل ، وأنا أراه في الاساس . ذلكم أن مادة القرار تصنعها وتجهزها « سلطة غير منظورة » قوامها الكتاب والشعراء الطليعيون ، والجامعيون المخلصون الدائبون ، والحاذقون في تفويت الفرص على محتكري اللغة وتجارها ومحنطيها خلف شعار القداسة والسلفية .

وأما ما اختلف فيه معه، فسأحصره في نقاط يخيل لي انها الأهم :

١ ـ ان القول بجمود اللسان « المقوعد » (وهنا الاحظ أن كلمة « المقعد » السائرة في الاستعمال تفي بعلاقة الدال بالمدلول التي توخى الباحث أن تكون تامة ناجزة) دون سائر مستويات الاداء اللغوي لا تقوم عليه ـ في حدود معرفتي ـ حجة علمية ، والا لما كانت لنا اليوم اللغة التي اتاحت للزميل كتابة ورقته ، وهي لا تخرج في اعتقادي عن نطاق اللسان المشار اليه الا بقدر ما يسمح به هذا اللسان ـ وكل لسان ـ من تحرك في مضمار الخيار الاسلوبي والابلاغية .

٢ ـ ان التباعد بين المنطوق به والمكتوب لا يبلغ غايته الا في الظروف التي تكون فيها طاقة مستخدمي النمطين على الخلق والابداع ، وقدرتهم على التفاعل مع الحضارة العالمية ، مشلولتين بفعل عوامل القهر والطغيان في جميع مرافق الحياة . ويكون الامر على النقيض تماماً من الظروف الاخرى . ولا خوف حينئذ من أن « تفرغ المعارف الجديدة في لغات خصوصية » ، لأنه لن تكون

لغات خصوصية ان كانت معارف جديدة ، اي ان كان اندماج في الحضارة العالمية ، لأن ما يسميه الزميل « اللسان المقوعد » سيتخذ منحنى آخر في مثل هذا الاندماج ويطغى على كل الخصوصيات .

٣ ـ استغرب أن يقرر الباحث غياب الاصلاح اللغوي عن افق الفكر العربي منذ قرون ، وأحيله على ما كان في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ـ وقبل ان تقوم مشكلة التعريب بمفهومها الحالي ـ من معارك في المشرق العربي بين المجددين والمحافظين ، وما اسفرت عنه من انتصارات للفريق الاول لا نزال ننعم بكثير من خيراتها الى اليوم . ذلك أن العلاقة الجدلية بين التطور الاجتماعي واللغة لا يمكن أن تتم على مستويات الاداء اللغوي دون اللسان المقعّد ، والا لما كانت الخصومات التي نعرفها بين الشعراء والكتّاب وبين « تجار اللغة » في كل زمان ومكان داخل الوطن العربي .

٤ ـ ان الجزم بأن اللسان المعرب ـ او المقعّد ـ لا يساعد على تعميق الوعي الوحدوي مبعثه المنطلق الذي انطلق منه الزميل ، وهو الافتراض بأن هذا اللسان غير قابل للتطور . فإذا اتفقنا على قابليته للتطور سقط الحكم ، وحل محله . إن اولى لبنات الوعي الوحدوي هي ازالة « الغربة » القائمة بين العربي والعربي بفعل انعدام التواصل لانعدام « القاسم المشترك » او « الراموز اللغوي المشترك » .

تعقيب ٣

عبد العزيز عاشوري

- قضية التعريب هي قضية اللغة في المجتمع العربي
- مشكل اللغة هو مشكل التخلف
- قضية التعريب هي قضية اللسان العربي في شكله الحالي
- قضية اللسان هي انعكاس لمشكلة الوجود العربي
- لا يمكن أن تحل القضية الا في نطاق قرار وحدوي .

هذه هي المنطلقات التي اعتمدها الدكتور العروي في دراسته اي العلاقة بين قضايا اللغة والوحدة والتخلف والوجود القومي . فهل يعني هذا أن مشكلة التخلف لا يمكن حلها الا بالوحدة ؟ وان المشكل اللغوي ، باعتباره مشكل تخلف ، لا يمكن أن يحل الا ضمن هذا الاطار ، اي بالوحدة ايضاً ؟ كأن الوحدة حسب هذه النظرة هي التي تضمن الوجود القومي وتحل مشكلة التخلف وتحل تبعاً لذلك المشكل اللغوي باعتباره مشكل تخلف .

وهل يعني هذا أن لا سبيل الى حل مشكل التخلف في اطار وطني ؟ وبالتالي لا سبيل الى حل المشكل اللغوي في هذا الاطار ايضاً ، وان التخلف بجميع وجوهه ، بما في ذلك المشكل اللغوي ، انما هو محكوم له او عليه بأن يستمر ويتواصل في انتظار الوحدة العربية الشاملة ؟

صحيح أن الوحدة عامل قوة في مواجهة التخلف على اختلاف وجوهه ، وصحيح ايضاً ان الانتماء القومي هو السند الامتن للتعريب ولحل المشكل اللغوي . ولكن هل يمكن أن ننفي كل امكانية لحل مشكل التخلف ، وبالتالي مشكل اللغة في المجتمع ، في اطار وطني ؟ وماذا يمكن أن نقول في كل التجارب وفي كل الانجازات التي تحقق في هذا السياق ، وفي اطار وطني ؟

من ناحية اخرى لا يمكن التشكيك في أن المشكل اللغوي في البلاد العربية انما هو مشكل تخلف. ولكنه في الوقت نفسه مشكل تبعية معطلة للارادة الحرة، والتمثل الذاتي، والاسهام

الطريف . وليست التبعية مجرد مظهر من مظاهر التخلف او نتيجة من نتائجه ، بل هي ايضاً سبب من اسباب تكوينه وتواصله واستمراره .

ولو أن ورقة الباحث اتخذت من هذا الاعتبار واحداً من منطلقاتها الاساسية الهامة في طرح قضية التعريب لاختلفت النتائج التي انتهت اليها بصفة اساسية ـ وربما انقلب بعضها انقلاباً فاصبح التعريب، باعتباره وجهاً من وجوه التخلص من التبعيةواستعادة الارادة الحرة ، عاملاً من عوامل الوحدة لا مجرد نتيجة من نتائجها ـ ولتغيرت العلاقة بين التعريب والتخلف عما هي عليه في الدراسة ، وانتفت امكانية الاختيار بين اللغة القومية ولغة اجنبية على اساس المفاضلة الاقتصادية او غير الاقتصادية . وهناك نقطة اخرى هامة في الدراسة هي أن التعريب يقتضي اصلاحاً لغوياً يضمن المرونة اللازمة للعربية حتى تكون لغة الثقافة الشعبية على اوسع مستوى . وقد اشار الى اصلاحات لتيسير اللغة مثل اعتماد الحروف المنفصلة وتجاوز الاعراب وتغيير التثنية. . . الخ .

والاحظ هنا أن الدراسة تتجاهل ماحصل من خطوات في سبيل تغيير اللغة العربية المعاصرة ، وان هذه العربية تختلف بصفة جذرية عما هي عليه العربية الكلاسيكية . والاهم من ذلك هو أن الدراسة تعتبر هذا الاصلاح اللغوي شرطاً لازماً للتعريب . وبهذه الصفة ينبغي أن يكون الاصلاح سابقاً للتعريب . أفلا يرى الزميل الباحث ان اي اصلاح جدي في هذا النطاق ينبغي أن يكون ناشئاً عن التجربة ومصاحباً له ، وليس عملاً نظرياً او مجمعياً منعزلاً عن التجربة العملية ؟ وهل تكون التجربة في غير اطار تعريب فعلي ؟ ان الدعوة الى الاصلاح اللغوي دعوة هامة وواردة بلا شك ، ولكن ليس بمعزل عن التجربة والممارسة ، وعن انجاز مشروع التعريب فعلاً .

لقد تطورت العربية المعاصرة مثلاً في مجال الاعلام بصفة اعمق من تطورها في مجال العلوم ، ويعود ذلك اساساً الى الاستعمال الفعلي للغة في مجال الاعلام وعدم استعمالها على نحو كاف في مستوى العلوم . وان روح الاصلاح والتغيير اللغوي امر مهم في نظري ، ولا سبيل الى انكار ذلك . لكن كل اصلاح جدي ينبغي أن يتم على أساس التجربة والاستعمال من جهة والا يستند الى مجرد مقاييس موجودة في لغات اجنبية على اعتبار التسليم بأنها مرجع مثالي ينبغي أن يقاس عليه .

تعقيب ٤

مدثر عبد الرحيم

أثار الاخ د. عبد الله العروي في عرضه عدداً من المسائل المهمة اجدني اتفق معه على بعضها اتفاقاً تاماً احياناً وقاصراً عن التمام احياناً اخرى ، بينما اختلف معه في بعض ما ذهب اليه اختلافاً تراوح درجاته كذلك .

وفيما يلي اوجز اهم هذه وتلك :

١ ـ اتفق معه على ان مشكل اللغة الذي نواجهه اليوم في مختلف البلاد العربية ليس مشكلاً فريداً في كل وجوهه ، بل ان له نظائر واشباها في تجارب عدد من اللغات والمجتمعات الاخرى ـ قديمة ومعاصرة ـ وانه من المفيد ان ننظر لموضوعنا ، على الاقل في بعض جوانبه ، في ذلك الاطار المقارن . واعجب ان يعود في اواخر صفحات عرضه فيناقض نفسه بنفسه اذ يصر على استبعاد تجربة اليابان من دائرة الدراسة المقارنة التي كان قد اكد اهميتها في منهجه منذ البداية . ويزداد عجبنا اذ نستذكر ان التجربة اليابانية ربما كانت من اهم التجارب واجدرها بالنظر لان اليابان نجحت في الحفاظ على لسانها وثقافتها في الوقت الذي بزّت فيه دولاً اوروبية كثيرة في ميادين العلم والتكنولوجيا . ويتضاعف عجبنا اضعافاً اذ ننظر في الاسباب التي يوردها الباحث لاستبعاده اليابان فنرى انها تعود لامور اولها ، كما يقول ، انه لا يعرف عن تجربة اليابان الكثير . ثم ان المحتجين بها ، فيما يقول ، لا يأتون بشيء سوى ما ينشر في الصحف .

٢ ـ واتفق معه ثانياً على ان مشكل اللغة في العالم العربي الحديث غير منفصل عن بقية المشاكل الاجتماعية التي وجد وتبلور في اطارها . ولكنني اختلف معه اختلافاً كبيراً في كيفية النظر للعلاقة القائمة بين اللغة وبقية العوامل المتداخلة في هيكل المجتمع . فهو يبني على منطق حتمي يبدو لي انه يقوم على نظرة تبسيطية شديدة التبسيط ، وتعسفية واعتباطية لدرجة يستحيل معها ان تقبل ان تقاس بأي مقياس من مقاييس المنطق او التاريخ . ويتضح ذلك اولاً في مقدمة عرضه حيث

يقول : « لا اعتقد كما يفعل الكثيرون ان اللسان هو ضمان الوجود القومي والمصير الواحد ، بل اعتقد بالعكس ان الوجود القومي لا يضمن الا في اطار وحدوي ، وان سلطة قومية هي وحدها القادرة على حل مشكل اللغة » .

ويبدو لي ان الموقفين اللذين يتحدث عنهما الباحث ههنا ـ ما يزعمه من أن اللسان هو ضمان للوجود القومي المصير الواحد ، ثم ما يذهب اليه من عكس للمعادلة ـ يتسم كلاهما بما ذكرت آنفاً من تبسيط مخل يبلغ درجة الاعتساف . فالحقيقة ان اللسان اساس مهم جداً في منظور الوحدة القومية ، ولكنه بالطبع ليس العامل الوحيد . وبالطريقة نفسها نقول انه لا شك في ان الوجود القومي الموحد هو خير ضمان لحل مشكل اللغة . ولكن ذلك لايعني ان حلولا جزئية خاصة ـ بل وربما طامحة للكمال ـ لا يمكن التوصل اليها في نطاق الدول المختلفة حتى قبل أن يتم التوحيد المرتجى ، وقبل أن يبرز ذلك الحاكم القوي القادر وحده ـ كما يؤكد الباحث ـ على اعادة دور عمر وعبد الملك في اصلاح اللغة ، الواجب انتظاره كما قد ينتظر المهدي او المسيح !

ويواصل الدارس بناء عرضه على الاساس الذي وضعه في اول صفحة فيصل الى قمة الحتمية ونهاية الشوط في إرجاء حل المشكل في آخر صفحات العرض حيث يقول : « هناك اربعة قرارات ـ التوحيد ، النمو الاقتصادي ، التنظيم الاجتماعي ، الاصلاح اللغوي ـ لا يمكن تقديم او تأخير احدها على الآخر » . وأحسب اننا لسنا بحاجة لاطالة القول في أنه ليس من مبرر منطقي ولا تاريخي يدعم هذه الحتمية التحديدية التي تحكم باستحالة تحقيق اي قدر من التقدم ، لا في مشكل اللغة وحدها ، بل في أي قطاع من قطاعات الحياة الاجتماعية ، الا داخل القفص الحديدي الذي صاغته يد الزميل .

٣ ـ واتفق مع الباحث ، ثالثاً على أن كل مجتمع مدني يتمخض في بعض مراحل تطوره عن عدد من اساليب التخاطب المتميزة ، وان كنت احسب أن المشاهدة تبيّن ـ خلافاً لما يقول ـ ان تلك الاساليب لا يكون بعضها مستقلا عن بعض تمام الاستقلال ، بل تتداخل فيما بينها كما تتداخل في اللهجات الدارجة واللغة الفصيحة المعتمدة في المجتمع . وفي كتابات الجاحظ التي صاغها قبل اكثر من الف عام فصول ممتعة عن هذه وعن اساليب اصحاب الصناعات المختلفة .

وقد لفتني فيما يتصل بهذا قول الزميل : « وكون اللغة الاصطلاحية تبتعد عن اللسان المقوعد (وانا افضل ان اقول « المقعد ») في المجتمع الواحد يفسر لنا كيف تميل جماعة الاختصاصيين بطبعها الى استعمال لسان اجنبي » . وهذا زعم لا دليل عليه ، وليس في مقدمته ما يفسر خاتمته . وأشد من ذلك عسراً قوله في « قضية الفصاحة »انها « تعني اساساً معارضة كل تحول من اي نوع كان » ، و « ان اللسان المقوعد ، الذي يقوم بدور الوسيط بين بقية اللهجات واللغات يؤدي على ذلك ثمناً غالياً ، الا وهو الجمود وعدم التطور . يتغير الكلم في المستويات الاخرى سوى اللسان المقوعد وذلك لأنه مقوعد ، فهو بالتالي متأخر حكماً عن تطور المجتمع » . فهذه نظرة لوظيفة القواعد في اللغة يصعب قبولها ، بل يستحيل تمام الاستحالة في تقديري . ذلك لأن جميع اساليب التخاطب والتفاهم ، سمعية كانت كاللغات اواللهجات ، ام رمزية ، ام عددية ، لا بد لها من قواعد تقوم عليها وتضبط بها مدلولاتها وتعصمها من أن تصير الى

محض الفوضى الصوتية او الرمزية . . . الخ . فقيام اللغة ـ اي لغة ـ على قواعد معينة شرط في وجودها وادائها لمهمتها في التعبير والاتصال ، وليس عيباً فيها . وانما تفسد القواعد ـ ومن ثم اللغة ـ اذا كانت متراخية غير واضحة او اذا كانت جامدة « محنطة » بحيث يتعسر معها تطور اللغة ومقدرتها على التحول واستيعاب المعاني المستجدة . ويشبه دور القواعد في ذلك دور القوانين في المجتمعات : فوجودها شرط لوجود المجتمع . وانما تعتبر صالحة او فاسدة بمدى ملاءمتها للقيم التي يقوم عليها المجتمع ، وبمدى استجابتها لدواعي التحول والتطور فيه ، مع الحفاظ في الوقت نفسه على كيان المجتمع وحمايته من التصدع والتحلل . وكما ان دور القوانين السليمة يمكن ان يلخص في ضمان ثبات المجتمع واستمراريته من جهة ، ثم في تنظيم حركته وتطوره من جهة اخرى ـ فكذلك دور القواعد والفصاحة في اللغة ، ضماناً لكيانها وثباتها من جهة ، وتنظيماً وتيسيراً لتطورها ونمائها من جهة اخرى ـ وعليه فلا يقبل موقف الباحث في تعريف دور الفصاحة في اللغة بأنها « تعني أساساً معارضة كل تحول من اي نوع كان » ، كما تصعب الموافقة على زعمه ان مصير كل لسان مقعد هو « الجمود وعدم التطور » .

لذلك كله ، فإنني على الرغم من اتفاقي التام مع الزميل على ان لغتنا المعاصرة في حاجة الى اصلاح يعيد لها حيويتها وقدرتها على التعبير الدقيق الممكن من اداء حاجات العلوم والحياة الحديثة ـ لا ارى ان السبيل الى ذلك يكون بهدم قواعد اللغة ، بل باصلاحها ، ولا بنسف اساليب البلاغة ، بل باعادة النظر فيها وتجديدها . وهدم العربية ونسفها كامنان ، بل ظاهران كل الظهور ، فيما يدعونا الباحث لتصوره من لسان يكون « دون اعراب تام ولا علامة تأنيث ، ولا مثنى ، ولا جمع تكسير » مما يصفه بأنه « تطور عادي في تاريخ الالسن » ولا نحسبه كذلك .

المناقشات

الحبيب الجنحاني : لقد فصل د. العروي بالامس بين الاهداف والوسائل انطلاقاً من نظرة ذرائعية براغماتيـة ، ويفصل اليوم بين الوجود العربي والفكر القومي وبين اللسان العربي ، وهو فصل يحتاج الى نقاش ، ومزيد من التدقيق .

وسأكتفي بالتذكير هنا ان الفكرالعربي الاسلامي الحديث ليس فكراً محافظاً يرفض الاصلاح ، كما يفهم من كلام الباحث ، بل هو فكر يناضل منذ بداية عصر النهضة في سبيل الاصلاح الجذري ، سواء كان ذلك في مجال الفكر العربي الاسلامي ، او في ميدان تحديث اللغة .

خير الدين حسيب : قدم لنا د. العروي بحثاً يقوم على اساس منطقي متماسك جداً . الا أن هذا التماسك المنطقي القوي للبحث يمثل نقطة ضعف ايضاً ، اذ ان انهيار احد اسس هذا المنطق المتماسك قد يؤدي الى انهيار كل النتائج المترتبة عليه . لقد بدا ان د. العروي يستبعد في بحثه اللغة والثقافة كمقوم من مقومات الوحدة العربية، ورتب على ذلك نتائج ومقولات كثيرة . فإذا اختلفنا مع الباحث حول ذلك ، فنكون قد اختلفنا حول النتائج التي توصل اليها . فهناك فرق جوهري بين اصلاح مرتبط بالوحدة الثقافية كمقوم من مقومات الوحدة وبالتالي فالوسائل يجب ألاّ تتناقض وتؤدي الى ما يناقض هذا الهدف ، وبين اصلاح متحرر من ، او يرفض الوحدة الثقافية كمقوم من مقومات الوحدة العربية وبالتالي قد ينتهي الى نتائج تضر بالوحدة الثقافية . فموضوع علاقة ودور اللغة والثقافة كمقوم من مقومات الوحدة العربية ، الذي استبعده الباحث ، يحتاج الى نقاش وكلام طويل ولا اشك في أن د. العروي مطلع على وجهة النظر الاخرى حوله . وما اريد قوله هو انه مع اهمية العوامل الجيوسياسية التي اشار اليها الباحث في بحثه كعامل للتوحيد الا أن دور العوامل الجيوسياسية يزداد وينقص حسب تطور الاوضاع العالمية والدولية ومع مرور

السنين . فإذا انطلقنا من منطلقه هذا فقد نصل ـ ربما نظرياً ـ الى توافر الظروف التي يقترحها بحيث ان الوحدة بين المغرب ونيجيريا تحقق بعض طموحات الدولة الكبيرة التي يتطلع اليها الباحث ، وبالتالي نكون ليس بصدد وحدة عربية وانما وحدة من نوع آخر لا علاقة لها بالوحدة العربية .

الملاحظة الاخرى هي حول ما ذكره حول التجربة اليابانية واستبعاده لها بحجة عدم دراستها واشارته الى ضرورة ان يحدثنا احد من اليابان عنها . . . الخ . هناك دراسات كثيرة ميدانية ومكتبية منشورة بالانكليزية عن التجربة اليابانية وتعالج الجوانب المختلفة لها وليس من الضروري أن نستمع الى ياباني فقط لنفهم هذه التجربة ، لذلك علينا أن نستفيد من تلك الدراسات عن اليابان لدى استعمالنا المنهج التاريخي .

محمد رضا محرم : لقد سعدت بالتعرف مباشرة على الدكتور عبدالله العروي . ولست أبالغ اذ اقول انني اتشرف بالمشاركة في التعليق على ورقته عن « التعريب وخصائص الوجود العربي والوحدة العربية » . التي تتجسد في بناء تركيبي ، مؤسس على الاسراف في توظيف المنطق ، وفيها من التجريد الكثير .

ولما كان المنطق ، كما يراه البعض واوافقهم على رأيهم ، هو اثبات الشيء وضده ، فإن البناء التركيبي الممنطق الذي يعرض فيه الباحث قضيته يحتمل كل الممكنات ، الـ « مع »و«الضد» ، اي القبول والرفض . وطريق التجريد الذي اختطه ، رغم تقريره في ورقته ان لا حل لمشكل التعريب الا من منطق تاريخي / اجتماعي ، قد فصل مشكل التعريب عن التراكمات التاريخية / الاجتماعية ، واتاح البدء من مقدمات مقبولة للوصول الى نتائج لا تتوافق مع تلك المقدمات . فللتعريب وجهان في رأيه ، **اولهما** : كون لسان اجنبي يحل محل اللسان الاصلي في دور الوسيط بين اللغات الاصطلاحية السائدة ، **وثانيهما** : كون اللسان الاصلي (المُعْرب / المقوعد كما يجب أن يقول اخواننا المغاربة) ، منقطعاً عن اللغات (اللهجات السائدة) المتوقفة عن النمو . ولكن تحليل الباحث يركز اساساً ، وربما فقط ، على ان الالتزام باللسان المعرّب يكرس الازدواجية ، بمعنى التواجد الثنائي بين اللغة الفصحى واللهجات ، بينما يسكت عن الشق الاول المتعلق باللسان الاجنبي ، الا عندما يقول انه من الشطط القول ان الاستعمار خلق قضية التعريب . وانني لازعم ان الوجه الاول ، اي احلال لسان اجنبي محل اللسان الاصلي ، هو الأحق بالاهتمام ، لا الوجه الثاني ، ازدواجية اللسان المُعْرب واللهجات التي هي ظاهرة طبيعية في كل المجتمعات ، والتي تضعف وتذبل بتحقيق المزيد من التقدم الثقافي والحضاري ، وهي المسألة التي نلاحظها الآن .

واوافق الدارس على ضرورة اجراء اصلاحات في قواعد اللسان المُعْرب ، الا انني لا اذهب معه إلى أن عدم احداث هذا الاصلاح ثمنه المباشر تعثر انتشار الثقافة العلمية العصرية واللجوء الى المساعدة الاجنبية . ذلك لأن التتبع التاريخي/الاجتماعي يؤكد ان

قدرة اللغة ، اية لغة ، يتحدّد بمقدار مساهمة اصحابها في العملية الحضارية. فهذه المساهمة الايجابية تفرض تحديثاً وتجديداً للغة ، وادخال مفردات وقواعد جديدة عليها . واذا نظرنا في كتب العلوم العربية القديمة رأينا الكثير مما استحدثه اصحاب اللغة القديمة ، ونقله الغرب عنهم ، من مثل : الجبر (Algebra) ، النظير (Nadir) . . . الخ . فتخلّف دور العربية « المقوعدة » الآن ليس سببه القواعد النحوية ، وانما غيبة ابداعنا نحن العرب . . . ثم ان احداً لا يستطيع ان يقول ان اصحاب الانكليزية كانوا في حاجة الى تغيير قواعد لغتهم لابداع كلمات ومصطلحات مثل : (Krigging) وهو مصطلح مشتق من اسم .Dr) (Krig الذي ابتدع طريقة لضبط تقدير احتياطي الخامات المعدنية ، في اطار احد العلوم الحديثة للغاية ، وهو علم الجيواحصاء (Geostatistics) . ولأنهم اصحاب الابداع العلمي ذاته ، فقد كان من الطبيعي ان يعبروا عنه لغوياً بالصورة التي يرونها مناسبة.

وفيما يتعلق بالتجربتين اليابانية والهندية ، استطيع ان اؤكد ، بناء على تعايش وسط فريق باحث يضم اغلبية هندية ، وبعض اليابانيين ، في الولايات المتحدة خلال العامين ١٩٧٩ و ١٩٨٠م ان المام اليابانيين بالانكليزية بسيط للغاية ، بينما الهنود يتقنونها اتقاناً تاماً لكونها لغة التعليم ولغة الدواوين والخطاب الرسمي في الهند . ومع ذلك فإننا لا ننكر ان التجربة اليابانية اكثر مردوداً ، تكنولوجياً، من التجربة الهندية . ولو ان الامر يتعلق بدور رئيسي لاتقان لغة اجنبية لكانت المردودات عكس الذي ذكرنا .

محمد عزيز الحبابي : يتمتع الاخ د. عبدالله العروي بمكانة مرموقة في الفكر العربي المعاصر ، لانه مؤرخ ومنظر . ولكنني اظن انه اليوم ، كان منظراً اقوى منه مؤرخاً . فلقد تناسى المؤرخ ان الاصلاح الذي قامت به اللغة العربية لم يبدأ في القرن العشرين ، فالذي وضع النقاط على الحروف وتحتها لم يكن من معاصرينا وكانت ثورة داخل اللغة وجاءت المقامات باسلوبها الركيك اللغوي المحض، وحورب حتى تخلى عنه الاسلوب المعاصر ويعلم د. العروي أن قضية الرقم ٥٤٨ مثلاً . فالعرب يقرأون حروفهم في الكتابة من اليمين وكذلك في الحساب ولو كنا حقا نتكلم العربية نقول ثماني واربعين وخمس مئة واظن لا يكون المشكل ، وهناك قضية اخرى . لقد ضرب لنا مثلاً بالالمانية وقال ان اربعة قرون وأظن انه منذ اربعة قرون لم تكن لغة المانية . فتوحيد ٣٦٠ دويلة بالمانيا لم يتم الا مع بسمارك في القرن التاسع عشر وبدأت الصعاب اللغوية في ذلك الوقت وتغلبوا عليها فيما بعد .

اذاً قضية المسافة والزمان لا تلعب الدور الكبير ، ونتذكر كيف ان الشعر العربي تأخر واصبح ركيكاً ، فاق انسان مثل نزار قباني وطوع اللغة فصارت سلسلة تتغنى بها حتى النساء عندنا في المغرب ، وجاء محمود درويش وسير اللغة عذبة ومطواعة وهكذا . واظن ان سهيل ادريس اول من يتكلم لنا عن هذا في تجربته بالآداب كيف بدأت واي لغة راقية هي الآن سهلة نتعامل بها . انا متفق مع د. العروي في الاساس،مثلاً قضية الاصلاح اذا اقتضاها الوضع وايده الخبراء ولكن ، اسأل اذا كان من المحال أن نتحدث عن المثالين

الياباني والصيني . وذلك لعوامل كثيرة ، فلماذا لا نأخذ مثالاً قريباً منا ، لغة سامية مثل العربية ، العبرية ، ووضع العبريون لغة ميتة ، حتى في الدين لم يكن اليهود البولونيون وغيرهم يتعبدون بها ، وأصبحت لغة تدريس في الجامعة وصارت لغة تكتب بها الرواية وتنال جائزة نوبل ، اذاً ، القضية هي منهج وارادة .

وهناك قضية براون تحدث عنها الآخرون ، وان الخوارزمي تطلب في كتاباته كثيراً من المشاكل التي حلت . ومجمع اللغة العربية في القاهرة اعطى قواعد تجيب عما يقلق الاخ العروي ، مثلاً قالوا برغسون ، وبما انه لا يوجد عندنا حرف «g» فنضع لحرف الكاف ثلاث نقاط ، فإذا تعذر ذلك نأخذ حرف الـ غ فيصبح برغسون الى غير ذلك وانتهى ، ولقد استعاضوا عن بعض الحروف الغربية ببعض الحروف العربية ، وفي اللغات الاجنبية نقل اللغة العربية هو الاصعب ، لأن هناك خ وح وع وغ وق وض وهي كثيرة ، في حين انه بالنسبة للغات الاجنبية قليلة تلك المقطعات الصغيرة الصوتية التي يجب أن تنقل فهذه مسألة يمكن بسهولة أن نتغلب عليها .

قضية الوحدة القائمة على السياسة والقوة العسكرية التي سيتبناها الباحث لن تتم وما اظنها ستتم ـ ونريدها ان تتم ـ لماذا ؟ لانه ارتأينا انه كلما تقوت جيوش شعب مهما يكن الا في الاوضاع الحالية ـ افتتح او تدخل في شؤون الجوار ، فالاحسن ان لا ندخل السياسة .

انت مقتنع بالاصلاح ولكن لا يهمك كيف ، نحن لا نقبل رغبة مجردة عن طريق تنفيذها اذاً لا بد من أن تستمر وتبحث عن الكيف لانك ملزم مثلنا . لماذا تريدون أن نعطي الحكومات ما ليس لها من حق ، كيف يمكن أن نطلب من وزراء ان يصلحوا اللغة ، وهم ليسوا دائماً على مستوى في اللغة والثقافة .

هشام بوقمرة : من حيث المفاهيم العامة ، تميزت ورقة د. العروي بطرح مجموعة من المقولات المتماسكة منطقياً في نطاق من الجدل الذي يبدو وكأنه لا غبار عليه . ولكن مشكلة الباحث انه يدلل غالباً على مقولاته بصورة تسيء اليها ، لان الادلة الجزئية التي عرضها قابلة كلها للنسف ، ولأن توصف بأنها هشّة او مسبوق اليها او هي في طريق الحل ، وهذا هو الشأن في موضوع الاعداد العربية وكتابة الاصوات الاجنبية بالحروف العربية . ويحسن ان أتوقف عند هذه النقطة الاخيرة فأقول ان الباحث مرجعه غربي ، ولذلك يهمه بشكل مبدئي أن تقدر اللغة العربية على تمثل الاصوات الغربية . هذه قضية وهمية ، لأن لكل لغة جهازها الصوتي والكتابي الذي وضع لاستيعاب اصواتها هي بالذات ، لاستيعاب اصوات لغة اخرى . ولماذا لا يجد الفرنسيون عيباً في ان لغتهم لا تستوعب كافة الاصوات العربية ؟ ببساطة لأن مراجعهم ذاتية . اما الزميل الباحث فينظر الى العربية من خلال لغة اخرى هي الفرنسية او الانكليزية مثلاً .

وأما القضية الكبرى التي يطرحها الباحث فهي الاصلاح الشامل . وهو يرى ان التقدم متوقف على الايمان بالاصلاح لا من خلال مراحل جزئية وانما من خلال عملية

شاملة . وفي هذه القضية فخ لأنه لا يجرؤ احد منا أن يقول انه ضد الاصلاح . ولكن الاصلاح يستعمل بالفعل كفخ لتمرير المحافظة والسلفية عندما يقصد به الابقاء على وسائل غير صالحة للتغير . والخوف من المحافظة هو الذي يدفع بالزميل الى الدعوة الى الاصلاح الشامل . لكنه ينسى ، او يتناسى ، أن الفكر العربي المعاصر الذي يتبنى الاصلاح ليس كله محافظاً ، وانما بالعكس ربما كانت التقدمية هي التي تسيطر عليه . وظني أن الباحث اراد أن يتبرأ من المد اليميني الظرفي الذي يسود الساحة العربية ، ونسي أن هذا المد لا يسنده فكر اصلاحي عربي متماسك .

والباحث ، اخيراً ، ينصب فخاً لست ادري ان كان مقصوداً ، ام انني اسأت الفهم . انه يقول لنا ان هذا الاصلاح الشامل لا يمكن أن يتم الا في ظل قرار سياسي وحدوي ، اي في ظل وحدة سياسية قوية ، وهذا كلام يضعه بالطبع في صف الوحدويين . حسناً ، ولكن لننظر الى هذه المقولة بشكل آخر . اذا كان الاصلاح الشامل لا يمكن أن يحصل الا في ظل سلطة سياسية واحدة ، واذا كانت هذه السلطة ليست من الامور المنظورة في المستقبل القريب ، افلا يعني هذا ان علينا ان نضع الوحدة على الرف ، وان ننعزل في الاقليمية ، للقيام باصلاحاتنا الشاملة كل في عقر داره ؟

فاطمة الجامعي الحبابي : بعد كل ما قيل ، وجل النقاط التي كنت اود ان اثيرها قد سُبقت اليها ، ولكن هذا لا يمنع من أن اؤكد **اولاً** في قضية الجيواستراتيجية ، ان الانطلاق من الجيواستراتيجية قد يفضي بنا الى قومية جديدة ليست قومية عربية ، بل هي نوع ثان من القوميات ، اذا الوسيلة التي تتخذ في نسج الملاءة التي هي الغاية تضبط الغاية وان كان د. العروي كما قال امس ، دائماً يصر على اتفاق الوسيلة والغاية واحياناً يخلط بينهما ، اي هو لا يفرق ولا يؤكد ، فمن الصعب علي ان افهم ماذا يريد بالقصد ، هل الفصل ام الضم؟

ثانياً : اثار مشكلة الحفاظ على الموروث واداء الثمن غالياً في تحقيق القومية العربية اعتقد ان الانطلاق الذي ينطلق منه د. العروي في كتاباته حتى الاخرى ، هو رفض بات او رفض تام للتفكير في قضية التوفيق بين ماضٍ وبين اهداف مستقبلية عبر حاضر نعيش ، فهذه بالنسبة لي تمثل اشكالية في فهم الاستاذ العروي رفضه والمرور عبره لاجل الوصول .

ثالثاً : قضية لسان الاجنبي مع اللسان القومي ، فلا احد يعتقد ان في ذلك ضرراً على اللسان القومي اذا كان اللسان القومي له من المناعة والاصالة والقوة ما يدافع به عن وجوده، ووجوده مع لسان اجنبي ، فاليوم لا يوجد مجتمع يؤمن بوحدوية اللغة ، فكل المجتمعات لها لغة ، اثنتان او ثلاث فكل لغة اضافية هي ثروة وثورة . اختصر لاصل الى نقطة خاتمة ، دخلت قراءة نص د. العروي ومعي نوع من التشكك ، هل دخلت الى قاعة لعبة مرايا ، ولست ادري اذا كان تعبيراً صحيحاً ، فكنت كلما اريد الخروج بالفكرة التي يريدها اصطدم بمرآة جانبية ، امامية ، خلفية لاصل في النهاية الى الفكرة التي ينص عليها

واعتقد بأنها ليست فكرة جديدة بالنسبة لكل ما قيل في الجلسات على الاقل هذا الاسبوع . ان مشكلة التعريب كما نعيشها اليوم ترجع في الاساس الى ان الاصلاح اللغوي الضروري في كل مجتمع لم يتحقق لا في القرون الماضية ولن يتحقق الآن ، اعتقد أن مشكلة الاصلاح هي مشكلة متفق عليها من الجميع وان الاصلاح يفرض نفسه ، وهو سائر الآن من غير أن نفكر فيه ، فنحن الآن في طريق الاصلاح ، فعمليتنا هذه تعتبر جزءاً من الاصلاح ، ثم اصل الى الاصلاح الذي يقترحه العروي وهنا شخصياً انفعل شيئاً ما ، لأني اخشى على نفسي اذا طبق الباحث الاصلاح الذي يدعو اليه،حذف المثنى والتأنيث و . . و . . ان اصل اخيراً الى ان لا افهم الاستاذ العروي وانا التي عشت معه في كتاباته الاولى في الستينات او كذا ، إلاّ افهمه رغم تتبعي ومعاصرتي له في كتاباته في ٩٦ او عام ٢٠٠٠ .

اعتقد ان الباحث جرؤ ويجرؤ على تطبيق ما ينادي به من حيث المثنى وكذا . كما جرؤ على وضع مصطلحات عروبة وان لم تدع اليها الحاجة ، فكيف سأفهم د. العروي سنة ٢٠٠٠ اذاً ؟

هشام جعيط : اكتفي بملاحظات طفيفة لاني سبقت من د. خير الدين حسيب ود. رضا محرم وقد عبرا عما اردت التعبير عنه . لكن لا بد ان اؤكد ان اليابان بالرغم من الاحتلال الامريكي لا يتكلم في الواقع الا اليابانية وهو نموذج ذو دلالة لضبطه ، في عهد « مايجي »(١) الاصلاحي ، لبنى التحديث والتعليم حتى تخرج ٨٥ بالمائة من المدارس بعد زهاء عشرين سنة من بدء الاصلاح. اما بخصوص اصلاح اللغة فقد سبق لي ان ادليت برأيي في التعليق على دراسة الدكتور السامرائي . وقد يطول بنا الكلام في شرح العلاقة بين الوحدة والتعريب فالدكتور العروي محق فيما يقوله وغير محق لأن التوحيد يسهل التعريب الشامل لكنه يؤجله الى المدى البعيد . واخيراً ، بالرغم من تقديري لتحليله لمستويات مفهوم اللغة ، اتساءل لماذا يقوم بهذا التقديم التكتيكي التلقيني لأمور معروفة ؟

الطاهر لبيب : بما أن الوقت لا يسمح الا بالقاء سؤال فلن اعلق الا بأن منطق الدكتور عبدالله العروي منطق براغماتيكي واضح . والبراغماتيكية مقاربة من المقاربات الممكنة ، ولكن مشكلتها ان حرصها على الجانب العملي يفضي الى نوع من التجريد . وقد يكون ابراز مردودية اللغة وارتفاع ثمن التعريب دون إبراز الجانب الاجتماعي والسياق السياسي هو من قبيل التجريد .

اما بخصوص الامثلة التي نصر على الرجوع اليها ، كمثال اليابان وروسيا او غيرها ، فلا بد من التساؤل عما اذا كانت اعادة هذه التجارب ممكنة في الوضع العربي الراهن .

---

(١) بدأ هذا العهد عام ١٨٦٨م . و « مايجي » كلمة من الكلمتين « مايجي تنّو » وتعنيان باليابانية « الحكومة المستنيرة » .

وهناك مثال لم يذكر رغم قربه منا وهو مثال اسرائيل وتوظيفها للغتها رغم تبعيتها ، ولكن مع شعورها بأن مصيرها مهدد .

سؤال اخير حول الابداع . فهناك اتجاه الى اعتبار العرب غير قادرين على الابداع حالياً بلغتهم في وضعها الراهن . وانا اتساءل عما ابدع العرب باللغات الاجنبية . واذا كانوا ابدعوا فليت الباحث يدلنا على ما ابدعوا ، ولمن ابدعوا .

عبدالله العروي : لقد قلت اني ربما لن اوفق في التدليل على الافكار التي اتقدم بها . ولذا فإني قد اوافق على الانتقادات التي وجهت الى دراستي لانها تفند الدلائل المسوقة اكثر مما هي رفض للتحليل كله .

فيما يتعلق بالاصلاح فإني افصل بين الاصلاحات الجزئية الهادفة في الواقع الى المحافظة على النظام اللغوي كما هو ، وبين الاصلاح الشامل الذي ينم عن استعداد تام لقبول اي اصلاح تظهر ضرورته مهما كانت نتائجه البعيدة .

وافرق بين المسيرة اللغوية وبين الصورة التي التقطت عنها في زمن معين . لماذا نظن ان تلك الصورة التي كانت اساس اللسان المقوعد (او المقعّد) هي وحدها الممكنة ؟ في هذا النطاق تصورت ان عملية التقعيد التي حصلت بالفعل لو تأخرت شيئاً بعد ان حصلت التغيرات التلقائية المألوفة في تاريخ اللغات ، مثل سقوط المثنى والتأنيث . . الخ ، لو حصل ذلك ، وهو ممكن تماماً ، لكانت صورة اللسان المعرب مختلفة تماماً عن الصورة التي ندافع عنها اليوم بكل قوة . واعجب ان يقول احد اني طلبت هذه الاصلاحات بخاصة . . هذا افتراض كان يمكن أن يتحقّق في الماضي وفي الحاضر معاً ، واذا وقع فلن ارفضه بالطبع ، لاني اقبل كل اصلاح ضروري .

اخيراً اريد ان ابين ان اهتمامي الآن يختلف عما يعبر عنه كثير من زملائي . فانا لا اهتم فقط بقدرة اللسان العربي على استيعاب الفكر المعاصر ، مع قبولي بأن اللسان المعرب الحالي قادر على الاستيعاب . ولكن هل هو قادر على الابداع ؟ ان تقدم العلوم المجردة والتجريبية مرتبط بقدرة العلماء على ابداع الرموز . فهل نعدّ الآن ، بعد دور الاستيعاب ، لدور ابداع رموز في نظامنا اللغوي ؟

اتكلم على قبول مبدأ الاصلاح الشامل الذي يعني في الواقع القدرة على الابداع ، اكثر مما اتكلم على اصلاحات جزئية هدفها فقط نقل المعلومات الشائعة في عالم اليوم الى القارىء العربي . فمثل هذا الاصلاح غير كاف ، ولا بد من ان نتجاوزه الى مفهوم اوسع واعمق ، وفي هذا الاختيار مخاطرة ، لا شك في ذلك . ولكن الفرق بيني وبين غيري في هذا الجمع هو انني اقبل المخاطرة لانني مقتنع بأننا مضطرون الى ذلك لكي نصل الى تخطي التأخر والتخلف .

الفصل الثاني عشر

التعريب والاصالة الثقافية والمعاصرة

الحبيب الجنحاني

مقدمــة

غريب حقاً أن نسمع بعض الاصوات في الوطن العربي زاعمة أن الفكر العربي المعاصر لا يزال يناقش ويبحث قضايا قد تجاوزها الزمن ، مثل الاصالة والمعاصرة، ولم يوفق طوال سنوات عديدة الى حسم الموضوع ، وتجاوزه ، وذلك في الوقت الذي بدأ فيه نمط الحضارة الغربية الراهنة ، يتحول - بفضل التطور المدهش لوسائل الاتصال الجماهيري - الى نمط حضاري كوني ، أي الى نموذج عالمي للتفكير ، والحياة ، والانتاج ، والاستهلاك .

إنه من الغريب فعلاً أن نسمع مثل هذه التهمة الموجهة الى الفكر العربي في محاولته بحث هذه القضية الخطيرة من قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، اولاً لأن الفكر العربي لا يستطيع الهروب من مواجهة قضية الأصالة والمعاصرة . فهي تمثل سمة بارزة من سمات الثقافة القومية التي لا تزال موضوع بحث وحوار ، وسيعتمد هذا الحوار طويلاً ، لأنه ليس منعزلاً عن الواقع العربي بتناقضاته ، وتحدّياته ، بل هو انعكاس له . ومن الخطأ أن يشعر المرء بالتناقض بين الاصالة والحداثة ، فلا تناقض ، ولا ثنائية ايضاً ، فليس هنالك موقف من الاصالة لا يتضمّن موقفاً من الحداثة .

وثانياً لأن ما أنتجه الفكر العربي المعاصر حول قضايا الرؤية التراثية وإشكالية تحديث المجتمع العربي لا يزال نزراً يسيراً . واذا بحثت عن القيّم بينه فستجده نادراً[1] .

(١) انظر في هذا الصدد : عبدالله العروي ، **الايديولوجية العربية المعاصرة** ، تقديم مكسيم رودنسون ، ترجمة محمد عيتاني (بيروت : دار الحقيقة ، ١٩٧٠) ؛ عبدالله العروي ، **ازمة المثقفين العرب : تقليدية ام تاريخانية ؟** ترجمة ذوقان قرقوط (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨) ؛ عبدالله العروي ، **العرب والفكر التاريخي** (بيروت : دار الحقيقة ، ١٩٧٣) ؛ طيب تيزيني ، **من التراث الى**

نذكر هؤلاء أن بعض القضايا الفكرية الكبرى استمرت على بساط البحث في تاريخ الحضارة الغربية قرناً ، بل قرنين كاملين ؛ وأن قضية الاصالة والمعاصرة هي من القضايا الفكرية الكبرى في ثقافتنا القومية وتقدم البحث فيها مرتبط بتطور الواقع العربي على جميع الصعد . ونود الاشارة هنا الى أن ما كتب حول قضايا التراث والتجديد ما فتىء يطرح مسائل ذات طابع تنظيري تشكو ـ في كثير من الاحيان ـ من السطحية والتعميم . اما المحاولات الجادة لاستقراء التراث ونقده ، والكشف عن الجوانب المضيئة فيه لربطها بالحاضر والمستقبل العربي فهي لا تزال قليلة جداً(٢) .

وهو ثالثاً منطق انهزامي هروبي ذلك الذي يحاول أن يحسم الموضوع ، ويلقي بهذه القضية الشائكة من قضايا الثقافة العربية المعاصرة على الرف ، بحجة أن الحضارة الغربية قد أخذت طريقها نحو التحول الى حضارة كونية .

اولاً : الاصالة والمعاصرة ومشكلية الهوية الحضارية

١ ـ إن قضية الاصالة ليست تراثية ، بل هي قضية حية يتفاعل معها المواطن العربي يومياً في العمل والشارع والبيت . وسماسرة النمط الحضاري الغربي يحاولون إلغاء دعامة أساسية من دعائم الفكر القومي : الاصالة الثقافية بما في هذا المفهوم من وعي تاريخي ، وانتساب الى شخصية ثقافية قومية وقفت بالامس ، وتقف اليوم ، امام محاولات الانبثاث ، والتشويه والتحدي . إنهم يحاولون طمس ذلك كله باسم التقدم التكنولوجي واللحاق بركب الحضارة المعاصرة التي تحولت الى حضارة كونية . ويتجاهلون أن النمط الحضاري الغربي الذي نشأ وتطور في ظروف تاريخية واقتصادية اجتماعية تختلف تماماً عن ظروف المجتمع العربي سيكون في الوطن العربي ، وفي جميع المجتمعات النامية ، نمطاً زائفاً مفروضاً في

الثورة: حول نظرية مقترحة في التراث العربي (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٦) ؛ «التراث العربي النظري وآفاق الثورة الثقافية في المرحلة العربية المعاصرة،» **الموقف الادبي** (دمشق) ، (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٤) ، ص ٥ ـ ٢١ ؛ محمد عمارة ، **نظرة جديدة الى التراث** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩) ؛ علي احمد سعيد [ادونيس]، **الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب** ، ٣ج(بيروت: دار العودة، ١٩٧٤، ١٩٧٧، ١٩٧٨) على الرغم من اختلافنا معه في كثير من الاحكام الغربية ؛ الحبيب الجنحاني، «الرؤية التراثية والآفاق المستقبلية ،» **شؤون عربية** ، السنة ١ ، العدد ٢ (نيسان / ابريل ١٩٨٥) ، ص ١٥٨ ، هامش رقم (٣٥) ؛ محمد العابد الجابري ، **نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسطيني** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨٠) ، وحسن حنفي ، **التراث والتجديد** (القاهرة : المركز العربي للبحث والنشر ، ١٩٨٠) .

(٢) نذكر من الاعمال القليلة في هذا المجال : حسين مروة ، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية** ، ٢ ج (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) ، و طيب تيزيني ، **مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط** (دمشق : دار دمشق ، [د.ت.]) .

ترسيخ مظاهر التبعية والاستلاب الحضاري .

٢ ـ من الطبيعي أن يستمر موضوع الاصالة والمعاصرة مطروحاً للبحث والجدل في الوطن العربي ؛ فهو مرتبط بمشكلية الهوية الحضارية التي ما زالت محيرة لضمير المواطن العربي الواقع في مركز التجاذب الشديد بين قوى العصر من جهة ، وبين واقع متخلف مهزوم مأزوم من جهة اخرى . فلا مناص للامة العربية من مواجهة صدمتين خطيرتين : صدمة الحداثة ، وصدمة مستقبل المشروع الحضاري العربي . وكلتاهما متصلتان وثيق الاتصال بالأصالة والمعاصرة .

وهكذا فسيحتد الصراع سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، وسيستمر استفحال التيه والدوران حول الذات ، والتذبذب بين الايديولوجيات المتضادة والمذاهب المتصارعة والنزعات المتباينة ، ما دام الوطن العربي يعيش تشرذماً ثقافياً ، وما دامت الثقافة العربية المعاصرة تعاني تأزماً حاداً ، والفكر العربي يفتقد الكثير من اسس منطلقاته النهضوية ؛ وما دام العمل القومي ، يشكو ظاهرة التفكك والتجزئة ؛ وما دام التناقض صارخاً بين التحديث الجزئي والعقلية التقليدية المتخلفة ؛ وما دام التوازن مختلاً في المجتمع العربي بين اهل المدر وأهل الحضر ، بين الحياة المدينية المتقدمة نسبياً ، وبين الريف الفقير المتخلف[٣] ؛ وما دام التغيير الجذري لم يهز الهياكل التحتية للمجتمع العربي هزاً هادفاً عنيفاً[٤] . فهذا النوع من التغيير هو الذي سيجعل العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي (الفكر) علاقة طبيعية موضوعية شاملة تحتم انعكاس الوجود المادي بمختلف اشكاله ومظاهره على وعي الانسان . وبذلك يكون الوعي العربي وعياً حقيقياً ، وليس وعياً زائفاً على حد تعبير مانهايم . واخيراً ، وليس آخراً ، ما دامت عمليات القمع والقهر ، وكبت الحريات الديمقراطية في الوطن العربي تزداد استشراء وضراوة ، متسترة بشتى

(٣) انظر في هذا الصدد : صلاح عيسى ، «خريطة فكرية للمستقبل العربي،» **قضايا عربية** ، العدد ٢ (ايار / مايو ١٩٧٤) ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٤) خذ مثلاً وثيقة مستقبلية في مجال حيوية من مجالات المستقبل العربي : التربية كيف تتحدث عن التغيّر :

« . . . فهو التغيّر الذي يعني ارتفاعاً بمستوى المعيشة فوق ضروراتها ، وتبدلاً في أساليب الحياة ونوعيتها يغنيها بالقيم السامية ، ويصلها بالحق والخير والجمال ، والتغيّر الذي يجمع بين الاصالة وما فيها من دلالة التمسك بخير ما في الماضي ، من اصول تعبّر عن الذاتية والابتكار، وبين التجديد ، وما يتولد عنه من أصول قائمة على الجهود الذاتية، ملائمة لطبيعة الحياة وتطوراتها » . انظر : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، **استراتيجية تطوير التربية العربية** (القاهرة : المنظمة ، ١٩٧٥) ، ص ٢٩ . انه كلام جميل ،منطقي يبعث التفاؤل في النفوس المتشككة في المستقبل العربي ، ولكنّه اسلوب غير مؤثر ، وغير مقنع لانه يسكت عن جدلية هذا التغيّر ومراحله والقوى الاجتماعية التي ستقوم به وميزات صراع هذه القوى انه مع قوى رجعية معارضة في الداخل ، ومع تحديات خارجية عنيفة ، وغيرها من القضايا التي تواجه كل رؤية مستقبلية عربي .

الاقنعة ، ومنها « الثورية » و « التقدمية » ، و « المسيرة التنموية » ، و « الدفاع عن مصالح الامة » و « تهديد الوحدة الوطنية » ، وغيرها من الذرائع التي كشف أمرها وافتضح .

٣ ـ إن القمع الداخلي، والتحدّي الامبريالي لفرض نمط حضاري زائف ، متحالفاً في ذلك مع الفئات الاجتماعية المتنفذة والمسيطرة ، ومع أنصار التجزئة والتفكك في الوطن العربي ، سيولدان عصر الاستشهاد الثقافي على حد تعبير مطاع صفدي : « فحين ينبلج عصر الاستشهاد الثقافي ، وتتوالى مواكب الشهداء الثقافيين تتحطم ايديولوجية الانحطاط ، وتبطل فعالية التدخل والرقابة من قبل عملاء الحضارة المتفوقة . وتنكسر الحلقة المفرغة بين المشاكلة والمثاقفة ، وتصير للمثاقفة اخيراً دولة سلطانية تعيد إسكان شعبها في وطنها الحقيقي : اللغة والتاريخ »(٥) .

وسيأتي هذا اللون الجديد من الاستشهاد تتمة لما قدمته الجماهير العربية المناضلة ، ولا تزال ، من تضحية غالية فوق درب التحرر والتقدم والديمقراطية . وقد يستنتج البعض مما تقدم نغمة تشاؤمية ، واستشرافاً لمستقبل عربي قاتم . إننا ـ بالعكس ـ من أشد الناس تفاؤلاً وإيماناً بالمستقبل العربي ، رغم مظاهر التأزم المر الذي يشكو منه الواقع العربي اليوم ، ورغم التحديات الداخلية والخارجية ، وفي طليعتها التحدّي التاريخي الذي تواجهه الأمة العربية منذ ما يربو عن ثلاثين عاماً : تحدي الكيان الصهيوني ، وهو تحد يفوق بكثير ذلك التحدي التاريخي الذي واجهته الامة العربية الاسلامية في اثناء فترة الحروب الصليبية .

٤ ـ ولكننا من المؤمنين بمقولة المثل العربي « من كتم داءه قتله » ، فلا بد ـ إذن ـ من كشف الادواء، وابراز التناقضات، وما يكمن وراءها من عوامل موضوعية وذاتية، وكشف قوى الصراع الداخلي وتحالفاتها المشبوهة ، حتى تتضح الرؤية ، وتتبين الجماهير العربية معالم درب المستقبل . والامة العربية لا تزال منذ عقود طويلة تقف في مفترق الطرق . ولعل محاولة الفكر الاصلاحي في مطلع النهضة الثقافية العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ايجاد المعادلة الصعبة بين الاصالة والتجديد يعدّ حجة بليغة على وقوف الامة العربية الاسلامية في مفترق الطرق منذ ذلك الزمن حول كثير من القضايا المصيرية ذات الطابع الحضاري ، فالثقافة العربية المعاصرة لا تنفك اليوم تواجه تلك المعادلة الصعبة، محاولة أن تجد لها حلاً جذرياً .

٥ ـ إن التراكم الكمي في الفكر العربي الحديث حول هذه القضايا قد أدّى ـ دون ريب ـ الى تراكم كيفي في اثناء مراحل تطور الثقافة العربية المعاصرة ، فتم التحول من الحديث عن الصراع بين القديم والجديد ، وما في هذه الثنائية من صراع زائف ، الى الحديث عن الأصالة والتجديد على اساس أن يكون التجديد هدفاً أساسياً للعقل العربي

(٥) الفكر العربي المعاصر ، السنة ٢ ، العدد ١٣ (حزيران / يونيو ـ تموز / يوليو ١٩٨١) ، ص ١٣ .

كما كان دائماً . وقد تطورت نزعة التجديد هذه من مستوى قطري الى مستوى قومي ، فاتخذت خلال العقدين الاخيرين ابعادا قومية في صفوف المثقفين في الاقطار العربية. وهكذا انتشرت نزعة التجديد في صفوف الانتلجنسيا العربية بمختلف فصائلها ، حتى اصبحت تمثل سمة بارزة من سمات الثقافة العربية المعاصرة . كما تبلور هذا الشعور بفكرة التجديد على المستوى القومي فبرزت المطالبة بتجاوز المستوى اللفظي للاعتزاز بالشخصية القومية والتراث القومي الى ممارسة هذا الاعتزاز بفهم مقوماته ، وما يحتوي عليه التراث من جوانب تقدمية مشرقة ، ومن معانٍ وظيفية تفيد في مواجهة تحديات العصر والتقدم .

لقد تحول الشعور بأزمة الثقافة العربية المعاصرة من حالة السكون والتألم الى محاولة التجاوز المناضل ، والبحث عن ثقافة عربية جديدة . وهكذا اصبح الفكر العربي المعاصر يطرح قضية المرور من التحديث الثقافي الى مرحلة « التثوير الثقافي » ، ويعدّ مرحلة ضرورية لفكّ القيد السياسي السلطوي من جهة ، وكشف الفكر التهليلي السطحي ، وهو فكر ذيلي للفعل السياسي يكف عن فهم كل ما لم يقم الملقّن السياسي بتلقينه ، ولاسيما في فترة موجات الضغط الرجعي ، وانحسار موجات المد التقدمي(٦) ، وهي المرحلة التي تم فيها المرور من النخبة المتعلمة الى الجمهور المتعلم ، وهو تطور كمّي يحمل بين طياته تطوراً كيفياً .

ولا بد من الاشارة هنا الى الملاحظتين التاليتين :

أ ـ إن هذا التطور الكيفي الذي أنتجتْه التراكمات الكمية في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة جاء انعكاساً ونتيجة حتمية لتطور البنى الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العربي منذ مطلع هذا القرن . فالانتاج الفكري لم يعد ـ حسب المنهجية الحديثة لاجتماعيات الثقافة ـ سبباً لقلق الواقع ، بل اصبح نتيجة لتطوره(٧) .

ب ـ اننا نتفق مع عبدالله العروي في الجملة التي ختم بها كتابه الجديد « مفهوم الايديولوجيات » حين يقول : « إن وضوح المفاهيم المستعملة لا توصل بالضرورة الى إدراك الواقع ، لكنها على الاقل تخلص الباحث من التساؤلات الزائفة . وما أكثر التساؤلات الزائفة في ميدان نقد

---

(٦) يبالغ بسام طيبي في نقده للكتابة العربية المعاصرة فيطلق احكاماً عامة ، ويخلط بين الفكر التهليلي السطحي المشار اليه والبعيد في انتاجه عن الكتابة التأملية ، وبين الفكر العربي المعاصر القائم على المنهج التحليلي العلمي الحديث . انظر : بسام طيبي ، « في الفكر العربي المعاصر ،» **شؤون عربية** ، السنة ١ ، العدد ١ (آذار / مارس ١٩٨١)، ص ٧٥ .

(٧) يقول ماركس : « ليست الافكار المسيطرة على حقبة ما الا ترجمة ذهنية للعلاقات المادية السائدة في تلك الحقبة » ، وهو بذلك ينفي النظرية الهيغلية التي تقلب الواقع ، وبنفيه هذا يضع الواقع على رجليه . انظر : كارل ماركس ، **الايديولوجية الالمانية** كما ورد في : عبدالله العروي ، **مفهوم الايديولوجيا (الادلوجة)** (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨٠)، ص ٦٢ .

الذهنيات»[8] . ولكن إشكالية تحديد المفاهيم ستبقى تواجه الفكر العربي المعاصر ما دام يحمل بين طياته تناقضات حادة ، وينطلق من مواقع سياسية وايديولوجية متباينة ، وما دامت هدفية العمل المستقبلي ضبابية غامضة . فكيف يمكن أن نتصور وضوحاً في المفاهيم ، وتحاشياً للتساؤلات الزائفة ، والحوار بين مختلف روافد الفكر العربي يكاد يكون منعدماً ، وهي روافد متعددة ، متنوعة ، منها الرافد الديني ، والرافد الليبرالي ، والرافد القومي بشتّى تياراته ، والرافد الاشتراكي باختلاف نزعاته ؟

٦ ـ إننا نشعر بأهمية معركة تحديد المفاهيم التي تواجه الفكر العربي اليوم ، وهي معركة ذات شأن لا مناص من خوضها رغم ما لمحت اليه من ظواهر سلبية ، وعوائق موضوعية . وعلى الرغم من اضطراب المفاهيم وتناقضها ، فقد حقق المفهوم الذي يشغلنا هنا ، أعني مفهوم الاصالة والمعاصرة ، تطوراً ايجابياً . لقد أدت جميع الجهود الى تحديد الاصالة الثقافية تحديداً يجعله متصلاً بالتجديد ، لا مخالفاً ولا مناقضاً له . فالاصالة تعني التفاعل الجدلي بين القيم التقدمية الانسانية الثابتة في التراث العربي الاسلامي وبين قضايا الحاضر ، ومشكلات المستقبل . وقد فهم كثير من الناس في الوطن العربي بفضل تلك الجهود أن التراث لا يستعاد ، وانما يمكن تمثّله وادراجه في جدلية التجربة الحاضرة . وهذا التمثّل والتطور للتراث موقف نقدي وتجاوز في الوقت نفسه .

وهكذا أصبح الربط بين التراث والتخلف ربطاً مفتعلاً عن سذاجة او عمد . وقد يضيق البعض ذرعاً بالحيرة المسيطرة على اعماق الضمير العربي اليوم بين الاصالة والمعاصرة[9] . ولكنني اعتقد أنها حيرة مباركة لا مناص منها لوضع الخطوة الاولى على الدرب الصحيح وضعاً إرادياً واعياً .

ثانياً : الاصالة والتعريب

بعد هذه الملاحظات ذات الطابع التنظيري نود أن نشير الى أننا لانهدف من وراء هذا البحث الى معالجة تطور مفهومي الاصالة والمعاصرة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة ،

---

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(٩) يقول حسام الخطيب : « ومن خلال مراقبة ما كتب ، وكذلك من خلال مراقبة كيفية تصرف العرب في هذا العصر ، أستطيع أن اقول إن ما يميز العرب هنا هو الحيرة التامة ، وفقدان النظرة الاستراتيجية او الاساسية . إذ أننا في وقت واحد نريد أن نكون اصيلين وقدامى واخلاقيين وسلفيين الى اقصى حد . وتمثلنا بماضينا وتاريخنا حي جداً ، وملح جداً في حياتنا ، وفي الوقت نفسه نريد أن نكون معاصرين ، وأن نفكر علمياً ، ان نخترع ، أن نستفيد من منجزات الحضارة ، وأن لا نحرم انفسنا من أي ناحية من نواحي اللهو او التمتع او الاستهلاك في الحياة الحديثة . كأني أرى أن هذا الشيء الذي نحاول أن نحققه اكبر من أن يتحقق » ، انظر : حسام الخطيب ، في « ندوة شؤون عربية : الفكر العربي في مواجهة العصر ، » شؤون عربية ، السنة ١ ، العدد ٢ (نيسان / ابريل ١٩٨١)، ص ٢٦٠ .

وعلاقتها بالحاضر والمستقبل . فقد سبق أن عالجنا بعض هذه الجوانب ، في مناسبات اخرى[10] ، ولكننا سنحاول ربطها بقضية التعريب بصفة خاصة . ونبادر الى القول هنا بأن مفهوم التعريب لا يقتصر ـ في نظرنا ـ على التعريب اللغوي ، بل يشمل تعريب الفكر ، وتعريب مظاهر النمط الحضاري .

١ ـ ان اعتبار اللغة مجرد اداة للقول ، او كساء للفكرة ، او وسيلة للتعبير فكرة قديمة ومتخلفة ومرفوضة . فـ « هي اداة تلقي المعرفة ، واداة التفكير ورمزه وتجسيده . انها الفكر نفسه في حالة العمل فليس هناك اذن فكر مجرّد بغير رموز لغوية . وهكذا بقدر ما تكون اللغة دقيقة وحية ومبرأة من الفوضى يكون الفكر دقيقاً وحياً ومبرأ من الفوضى »[11] . فاللغة تمثل ذاكرة الامة ، تختزن فيها تراثها ، وقيمها ، ومفاهيمها ، وهي في الوقت نفسه أداة أساسية في حركة المجتمع ونموه ، وفي انطلاقه من حاضره نحو آفاقه المستقبلية ، فهي الأداة الاولى لقيام المجتمع المتناسق المتماسك ، وهي اختزان للفكر ، وهي تعبير عنه ، واداة تبليغ له[12] . انها ـ إذن ـ اداة التواصل بين الماضي والحاضر . وهي تمثل الذاكرة الحضارية ، فهي مناط الاصالة في الثقافة العربية ، وقوام الشخصية العربية . فلا غرابة في أن تكون جميع محاولات الامس واليوم للقضاء على العربية الفصحى في كثير من أجزاء الوطن العربي ، واحلال اللهجة العامية ، او اللغة الاجنبية محلها ، تهدف أساساً الى فصل حاضر الامة العربية عن ماضيها ، وعن مظاهر الاصالة والابتكار والتحدّي في تراثها الخصب . فقد كان هذا التراث ، بغثّه وسمينه ، ملجأ للأمة العربية في العهود التي واجهت فيها التحديات التاريخية الكبرى ، وملاذها في الصمود امام الغزو الصليبي في المشرق العربي ، وامام حركة الاسترداد في بلاد الاندلس ، ومُعتصمها في اثناء محاولة الاستعمار الغربي الحديث طمس الشخصية العربية وتشويهها . وهي تحاول اليوم توظيفه ـ حسب منهج نقدي حديث ـ للصمود امام التحدي الامبريالي الصهيوني لتقويض أسس الشخصية العربية . فلا عجب اذن أن نلمس أن التيارات المعادية للتعريب ، والمتقنّعة لتبرير موقفها هذا بأقنعة شتّى ، لا تؤمن في حقيقة الامر بالامة العربية ، ماضياً ومستقبلاً ، ولا تتجاوز نظرتها آفاق الرؤية الغربية التي ربيت في احضانها .

٢ ـ إن التعريب مقوم أساسي من مقومات الاصالة الثقافية ، ولا اصالة دون تعريب .

---

(١٠) انظر : « إحياء تراث الفكر العربي دعامة اساسية لبناء مجتمع عربي حديث ، » في : الحبيب الجنحاني ، من قضايا الفكر (تونس : ١٩٧٥) ، ص ١١١ وما بعدها ، والحبيب الجنحاني ، « الرؤية التراثية والآفاق المستقبلية ، » ص ١٤٨ وما بعدها .

(١١) حسام الخطيب ، « هموم اللغة العربية في عصرنا ، » المعرفة ، العدد ١٧٨ (كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٦) ، ص ٦٥ .

(١٢) انظر : شكري فيصل ، « التطور الاجتماعي والتطور اللغوي ، » المعرفة ، العدد ١٨٣ ، (ايار / مايو ١٩٧٧) ، ص ٧ .

ومن الغريب أن نسمع من يتحدث عن الاصالة دون ربطها بالتعريب ، وكأنه من الممكن أن نخلق جيلاً وطنياً او قومياً اصيلاً دون أن يكون معرّباً في لغته وتفكيره ، وفي نمط سلوكه الحضاري، وفي رؤيته للواقع العربي والعالمي . ولا نذيع سراً اذا لاحظنا هنا أن الاستعمار الغربي ، قد نجح في تنشئة فئات تنتسب الى النخبة ، ولاسيما في اقطار المغرب العربي - وهي فئات محظوظة ومتنفذة سياسياً واجتماعياً - تؤمن بأن مصير بلدانها يجب أن يرتبط نهائياً بالغرب ، وان ارتباطها « باصالتها » لا يتجاوز في حقيقة الامر الجوانب الفولكلورية في بعض العادات. واذا طرحت عليها قضية الهوية الحضارية حاولت الهروب الى الخلط بين الثقافة العربية وثقافة الاقليات ، او الاعتراف بأن الانتساب الى هوية الحضارة العربية الاسلامية لا يمر حتماً بطريق التعريب !!

وعلى الرغم من موقعها السياسي والاجتماعي المتميّز في اقطار المغرب العربي ، فقد بدأت تشعر بالعزلة والانبتات امام موجة الوعي العروبي في صفوف الشباب خاصة ، وحدة الشعور بمأساة الشعب الفلسطيني ، وتأثير التحدي الامبريالي الصهيوني في لبنان ، ووقوع بعض الاقطار العربية في مصيدة السياسة الامريكية في الشرق العربي . ومن كان موقفه تجاه التعريب والعروبة ناتجاً عن حسن نية وضعف معرفة وادراك فقد شرع في إعادة النظر ، وبدأ يعدل ساحته موضوعياً .

٣ - ولكن هناك فئة أخرى تمثل دور العميل للحضارة الغربية قد ازداد موقفها حدة ضد التعريب ، وألقت بنفسها نهائياً في احضان قوى الاستعمار الغربي حماية لمصالحها وامتيازاتها ، واصبح التعريب عندها يعني عداوة للحضارة المعاصرة ، واعراضاً عن التقدم والحداثة !

وقد لمحنا فيما سبق الى ان لقضية التعريب في اقطار المغرب العربي مشاكلها ومميزاتها الخاصة . فمفهوم الازدواجية في المشرق العربي يعني الثنائية بين العامية والفصحى . ولكن القضية أشد تعقيداً واكثر خطراً على مستقبل الثقافة العربية ، وعلى اللغة بالذات ، بأبعادها الوطنية القومية، والاجتماعية الثقافية ؛ فالتعريب في بلاد المغرب العربي من الثنائية : العامية والفصحى ، ومن الازدواجية بين اللغة الوطنية واللغة الفرنسية . ويزداد الامر تعقيداً في بعض مناطق المغرب العربي بمحاولة فرض البربرية لغة وطنية ثانية ، واعتبار العربية لغة دخيلة ![١٣] .

---

(١٣) بدأ بعض الفئات بتحركات مشبوهة في الاعوام الاخيرة ، ولاسيما في القطر الجزائري ، بعد أن أخذ قرار القيادة السياسية المتعلق بالتعريب يشق طريقه في عالم الفعل رغم العراقيل والمناورات . فالفرق واضح بين التنوع داخل الوحدة واحترام الخصوصيات الثقافية للاقليات في الوطن العربي ، وبين التحالف مع قوى خارجية باسم الدفاع عن الهوية الثقافية للاقليات ، لضرب الوحدة الثقافية العربية ، وبلقنة الوطن العربي لغوياً وثقافياً وسياسياً . وقد حاول هذا الاتجاه في بعض اقطار المغرب العربي أن يبرز كتيار ثقافي مستقل باصدار مجلات مختصة مثل مجلة أمازيغ الصادرة بالرباط ، انظر مثلاً : العدد ٥ (١٩٨١) ، ص ٣٨ .

ومع اننا لا ننكر الجوانب الفنية لقضية التعريب في اقطار المغرب العربي، فإنها لا تهمنا هنا اذ عالجتها دراسات مختصة[14] . ولكننا نكتفي بالاشارة اولاً الى أن الصراع من أجل التعريب في المغرب العربي هو صراع سياسي اجتماعي بالذات ، صراع يحمل بين طياته محتوى طبقياً ؛ وثانياً الى ان مساهمة المغرب العربي في الابداع الذاتي للثقافة العربية المعاصرة ، وبالتالي في الثقافة الانسانية ، ستبقى محدودة عرجاء ما لم يتم التعريب في جميع المستويات .

٤ ـ وعلى الرغم من اننا لا نعالج هنا المسائل اللغوية والفنية المتصلة بالتعريب ، فلا مناص من الاعتراف بأن المشكلة اللغوية موجودة ، وقائمة ، ولكنها مشكلة قابلة للحل ، ولا يمكن أن يستنتج من الاعتراف بوجودها ان الحل يكمن في التخلي عن اللغة العربية ، وتعويضها بلهجة عامية ، او بلغة اجنبية[15] . ومن جوانب المشكلة اللغوية ضرورة تحديث اللغة ، وهو سمة اساسية من سمات الفكر العربي المعاصر. فالمتتبع لما كتب في الاعوام الاخيرة عن قضية اللغة العربية يلمس بوضوح الحاح الجميع على ضرورة نشوء لغة عربية واحدة تقضي على ثنائية الفصحى واللهجات العامية[16] ، وتكون متجاوبة مع متطلبات مجتمع عربي متطور يسير في درب الحداثة .

٥ ـ فالتعريب اذن ليس مجرد عملية لغوية او تقنية انه مرتبط بالبعد الاجتماعي[17] ،

---

(١٤) انظر : محمد المنجي الصيادي ، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠) ، احمد العزعوزي ، « الابعاد الاجتماعية والسياسية للتعريب في المغرب العربي ،» **شؤون عربية** ، السنة ١ ، العدد ٧ (ايلول / سبتمبر ١٩٨١) ، ص ١٣٠ وما بعدها ، وعبد الرحمن سلامة ، « أزمة اللغة العربية في المغرب العربي ،» **الموقف الأدبي** : (كانون الثاني / يناير ١٩٧٨) ، ص ١٠٢ وما بعدها .

(١٥) قد يبادر بعض القراء في المشرق العربي قائلاً : إن طرح القضية بهذه الصيغة طرح زائف ، لأنه من العسير أن نجد من يفكر في تعويض العربية بلهجة عامية ، او بلغة اجنبية . وقد تكون هذه الملاحظة صحيحة ، ولكن الامر يختلف تماماً في اقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس ـ الجزائر ـ المغرب الاقصى) . فهنالك بعض الفئات لا تزال تحلم الى اليوم بالتعويض عن العربية نهائياً في الحياة العملية اليومية بالفرنسية !! .

(١٦) كتب شكري فيصل في هذا الصدد يقول : « وهناك لهجات لهذه اللغة ليست قدراً من أقدارها وانما جاءت نتيجة التخلف والتباعد ، وعوامل من التمزق والكبوات الثقافية في تاريخنا ، لا بد لها من أن تذوب شيئاً فشيئاً ، وأن تتضاءل الفروق بينها وبين الفصحى . . . والقدر الطبيعي من هذه اللهجات لا يمكن الا أن يخضع امام مد ثقافي مدروس الى تضاؤل وذبول . فالتواصل الاجتماعي هو النقيض لهذه اللهجات التي ولدتها ظروف العزلة والضعف » ، انظر: فيصل، « التطور الاجتماعي والتطور اللغوي ،» ص ١١ . ولا ننسى هنا أن للهجات العامية دعاتها والمدافعين عنها بحجة جعل الثقافة شعبية ، وايصالها الى الجماهير . وقد غفلوا (او تغافلوا) عن أن دفاعهم عن العامية يعني تثبيت النزاعات المحلية ، واقامة الحواجز بين أجزاء الوطن العربي .

(١٧) انظر : الخطيب ، « هموم اللغة العربية في عصرنا ،» ص ٦٦ وما بعدها .

والبعد الثقافي ، والبعد القومي للغة[١٨] . واللغة العربية هي التي تحمل عبء انشاء الثقافة المشتركة للوطن العربي . وهي مطالبة بأن تطور نفسها حسب مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه المجتمع العربي ، ومطالبة في الوقت نفسه بأن تكون اداة التفاعل الثقافي في الوطن العربي . فبعدها القومي الوحدوي واضح ، وهو قوام الوحدة الثقافية . ولقد كتب ساطع الحصري كتاباً مفتوحاً الى طه حسين سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « بين مصر والعروبة » يقول فيه : « ... اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم ما تبقى من ضروب الوحدة »[١٩] .

ونود التساؤ ل بصدد الحديث عن البعد القومي للتعريب عما اذا كان ما نلمسه من فجوة كبيرة بين كثير من انتاج الفكر العربي المعاصر وبين حركة الجماهير وآمالها في الاقطار العربية ، يعود الى التخلف الثقافي الكبير في صفوف الجماهير العربية في هذه الاقطار ، واستشراء الامية الالفبائية بينها ، ام يعود الى اسباب اخرى ؟ إن للامية ـ دون ريب ـ دوراً ذا شأن في وجود هذه الهوة ، ولكن هناك أسباب اخرى ، من ابرزها :

ـ طغيان الطابع النخبوي على انتاج الفكر العربي المعاصر .
ـ احتكار السلطة لوسائل الاعلام الفعالة في هذا المجال ، مثل الاذاعة والتلفزة ، وإبعاد كل فكر عربي حر تقدمي عنها .
ـ غياب المناخ الديمقراطي ، كما سنرى بعد قليل .

ثالثاً : المعاصرة والتعريب

١ ـ يذهب البعض الى القول : اننا قد نفهم الصلة بين التعريب والاصالة الحضارية ، فلا يمكن أن نعزل التراث عن لغته . ولكن ما علاقة التعريب بالمعاصرة ؟ ولماذا لا ندخل معركة المعاصرة بلغت الحضارة الغربيةالمسيطرة؟ويزعم اهل هذا الرأي ان العربية عاجزة عن اللحاق بركب الحضارة التكنولوجية ، فلا مناص ـ إذن ـ من النهل من منابعها بلغتها الحية ، ولسان حالهم يقول : إن العربية في مجالات الحداثة اصبحت لغة ميّتةمثل اليونانية واللاتينية . ونسمع هذه الاصوات بين الفئات التي تعاني الانبتات الوطني والقومي والاستلاب الحضاري . ونجد هذه الدعوة الى الانفتاح الثقافي مرتبطة بالدعوة الى الانفتاح الاقتصادي والسياسي[٢٠] . فقد كتب لويس عوض في جريدة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ /

---

(١٨) انظر : عفيف دمشقية ، « العربية الفصحى اول المعالم على طريق الوحدة الكبرى ،» شؤون عربية ، السنة ١ ، العدد ٧ (ايلول / سبتمبر ١٩٨١)، ص ٥٥ وما بعدها .

(١٩) صفوان قدسي ، الهروب من القومية (دمشق : ١٩٧٩) ، ص ١١٠ .

(٢٠) انظر في هذا الصدد : جلال احمد امين ، المشرق العربي والغرب ، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية (بيروت : مركز دراسات الوحدة =

٥ / ١٩٨١ يقول : « إن سياسة الباب المفتوح عندما تمتد من مجال السلع والخدمات المستوردة الى مجال الافكار والقيم المستوردة سوف تبعث في مصر على وجه اليقين بذلك التراث الانساني العظيم من التواصل الثقافي مع بقية بني الانسان » !

وهكذا تتحول الاقليمية الثقافية ، والانسلاخ من الثقافة القومية الى تغريب ، وارتماء في احضان الغرب ، وتحلل حضاري في نهاية المطاف . وقد اصبح رفض الانفتاح الاقتصادي لدى كثير من المتخصصين بالمستقبلات العربية البديلة يقوم أساساً من منطلق حضاري ، وليس من منطلق اقتصادي فقط .

٢ ـ إننا نتفق مع جلال احمد امين فيما يذهب اليه قائلاً : « على أن الالحاح على اهمية المحافظة على القيم الحضارية الخاصة بكل امة كعنصر أساسي في مفهوم التقدم ، لا يتضمن الدعوة الى اضافة هدف حضاري الى الهدف المادي المتمثل في رفع متوسط الدخل ، واشباع الحاجات المادية فقط ، بل اننا نعتبره ايضاً شرطاً لتحقيق الهدف المادي نفسه ، ولعله هو شرطه الاساسي . ذلك أن استسلام امة لغزوة ثقافية غربية ، اذ يقترن فقدان افرادها لثقتهم في وجود اي فضل لثقافتهم الخاصة على غيرها ، قد يفقد هذه الامة في الوقت نفسه اهم شرط من شروط النهضة والتقدم »(٢١) . ولا مناص من الالحاح هنا على امرين :

أ ـ انه لا يمكن فصل الاصالة عن المعاصرة . فالعلاقة بينهما جدلية ، ولا يمكن ـ في نظرنا ـ أن نحقق حداثة عميقة شاملة في المجتمع العربي دون ربط هذه الحداثة بالاصالة التي تعني التجديد والابتكار .

ب ـ إنه لا يمكن تصور معاصرة عميقة شاملة تمس الريف والمدينة ، وتهز جميع بنى المجتمع ، دون تعريب . ويجب أن تكون اللغة العربية الاداة الفعّالة لتحقيق التغيير الجذري الشامل . فحركة التحديث التي اعتمدت اللغة الاجنبية اداة عمل في اقطار المغرب العربي قد بقيت ـ رغم الجهد المبذول ـ جزئية سطحية لم تمس الا احياء معينة في المدن الكبرى ، وبعض الفئات الاجتماعية المحظوظة . وهو تحديث مهدد بالنكسة والاخفاق لانبتاته عن اسس المجتمع وجماهيره . ومن ابرز عوامل السطحية والانبتات في مظاهر التحديث هذا عداؤه للغة القومية كوسيلة عمل يومي ، وركيزة أساسية من ركائز سياسة التحديث . واحداث السنوات الاخيرة قد أقامت الدليل اكثر من مرة على سطحية

= العربية ، ١٩٧٩) ، الفصل ٤ ، « محنة الانفتاح الجديد ، » ص ١٢٥ ، وما بعدها ، وليلى السايح ، « الاقليمية الثقافية : من الانطواء الى التغريب ، » شؤون عربية : السنة ١ ، العدد ٧ (ايلول / سبتمبر ١٩٨١) ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٢١) امين ، المشرق العربي والغرب ، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية . ص ١٥٨ وما بعدها .

التحديث المظهري المقلّد للغرب ، وعلى عجزه عن الوقوف امام موجات رد الفعل على سياسة التغريب ، والانبهار الطفولي تجاه منجزات الحضارة الغربية .

خاتمـــة

إن السؤال الطبيعي الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو : ما دور النخبة المثقفة العربية في قيادة معركة التعريب ، ولاسيما في الاقطار العربية التي ما زالت الثقافة العربية فيها تعاني من الازدواجية اللغوية والحضارية معاً ؟

ونقول ان الانتلجنسيا العربية لا تزال تعيش انسحاقاً نفسياً وفكرياً ، وتفتقد تماماً لأية قدرة على المشاركة في المسؤولية القيادية . وحين تطغى الاحداث السياسية في قطر من الاقطار العربية فإننا نجدها تقوم بدور ذيلي فوق خشبة المسرح السياسي(٢٢). وهكذا فإن العمل هو الذي يسبق الفكر في الوطن العربي ، فلا يكون الفكر هادياً ودليلاً للعمل ، بل مبرراً له فحسب . وهذا ما يفسر لنا ظاهرتين بارزتين في الفكر السياسي العربي :

- ظاهرة التضاد المزمن بين الفعل الثقافي والفعل السياسي .
- ظاهرة الانفصام بين التحليل والممارسة .

إن النخبة المثقفة العربية لا تستطيع أن تؤدي رسالتها الطلائعية في المجتمع الا في مناخ ديمقراطي حر . وديمقراطية الثقافة مرتبطة بالديمقراطية السياسية والاجتماعية . وهكذا فإن قضية الاصالة والمعاصرة وقضية الرجعية والتقدمية ، وغيرهما من قضايا الفكر العربي المعاصر ، تصبح - في نظرنا - قضايا ثانوية امام معركة الديمقراطية في الوطن العربي(٢٣). وليس هذا الرأي مجرد شعار سياسي ، بل نتيجة دراسة جميع تجارب النظم السياسية العربية منذ هزيمة العرب الاولى في فلسطين سنة ١٩٤٨ . وإننا لندرك أنّ ممارسة الديمقراطية لا تمثل علاجاً سحرياً ، ولكن لا بديل عنها في معركة النهوض والتقدم والحداثة .

---

(٢٢) إننا نعني هنا فئات معينة من المثقفين العرب . ومن الواجب الاشادة بنضال المثقفين الذين صمدوا امام جميع محاولات الاغراء والاحتواء ، وسجل لهم تاريخ الفكر العربي المعاصر مواقف بطولية في سبيل الذود عن حرية الفكر ، وعن آمال الجماهير العربية في التقدم والديمقراطية والوحدة .

(٢٣) كتب برهان غليون في هذا الصدد يقول : « وعلى هذا المستوى لن يعود لقضية العصرية والتقليدية والتقدمية والرجعية المكان الاول . فالاساس تدعيم المجتمع ككل ضد الدولة المطلقة السلطات ، وهذه هي الوظيفة الرئيسية للثقافة في مجتمع يتدهور نحو التفكك والانحلال ، وهي وظيفة تعكس توجهاً سياسياً دون شك ، وهي التوجه السياسي الاول والرئيسي الذي يجعل من الثقافة وسيلة لاعادة توزيع السلطات من جديد لصالح الاغلبية والجماعة ككل . فتقوية المجتمع هو محاصرة للدولة وسلطتها المطلقة ، وهو احياء للمبادرات القاعدية ، وبث للروح في المؤسسات والمنظمات والتضامنات الشعبية المختلفة » ، انظر : برهان غليون ، « نحو سياسة ثقافية جديدة ،» الفكر العربي المعاصر ، السنة ١ ، العدد ١ (ايار / مايو ١٩٨٠) ، ص ٢٦ .

تعقيب ١

سهيل ادريس

تناول الدكتور الحبيب الجنحاني موضوع التعريب بين الاصالة والحداثة تناولا جيدا ، وان كان يتصف بالتعميمات ، او على الاصح بالعموميات . وقد كنا نود لو أنه توقف عند كل نقطة اثارها توقفا اطول يغوص في معانيها وتفريعاتها .

وقد استغرب في مقدمة بحثه ما سماه محاولة البعض استبعاد مناقشة الاصالة والمعاصرة في الثقافة العربية، بحجة ان الزمن قد تجاوزها. ثم رد على هذا الاستبعاد بأن القضية سمة بارزة تستحق كل بحث وحوار . والواقع أننا لا نعرف باحثاً جاداً استبعد مثل المسألة التي اصبحت معادلة للصراع بين القديم والجديد ، فهي قضية مطروحة ابداً ، وستظل كذلك ما دام للامة تراث يجسد اصالتها وتعصير يجسد طموحها الدائب الى المشروع الحضاري . والحق ان الباحث يؤكد ان القضية مرتبطة بمشكلة الهوية الحضارية التي ما تزال تحير الضمير العربي الواقع في مركز التجاذب بين قوى العصر وبين واقع متخلف مهزوم ومأزوم . ثم يشير الى أن نزعة التجديد تطورت من مستوى قطري الى مستوى قومي ، فبرزت المطالبة بتجاوز المستوى اللفظي للاعتزاز بالشخصية القومية والتراث القومي الى ممارسة هذا الاعتزاز وما يحتوي عليه التراث من جوانب تقدمية مشرقة . وقد كنا نتمنى لو افاض في كيفية ممارسة هذا الاعتزاز ، لأن في الامر غموضاً شديداً .

ولكن الدارس كان اوضح وارحب نظرة حين عرّف الاصالة بأنها « التفاعل الجدلي بين القيم التقدمية الانسانية الثابتة في التراث العربي الاسلامي وبين قضايا الحاضر ومشكلات المستقبل » . ووفق كذلك حين اكد « ان التراث لا يستعاد ، وانما يمكن تمثله وادراجه في جدلية التجربة الحاضرة » ، بحيث يصبح الربط بين التراث والتخلف غير ذي موضوع.

وحين ينتقل الباحث الى الحديث عن علاقة الاصالة والمعاصرة بقضية التعريب الذي « لا يقتصر مفهومه على التعريب اللغوي ، بل يشمل تعريب الفكر وتعريب مظاهر النمط

الحضاري » يكون على حق تام حين لا يستغرب ان تكون جميع المحاولات للقضاء على العربية الفصحى واحلال اللهجة العامية او اللغة الاجنبية محلها تهدف اساساً الى فصل حاضر الامة العربية عن ماضيها وعن مظاهر الاصالة والابتكار والتحدي في تراثها الخصب ، وحين يحكم كذلك بأن التيارات المعادية للتعريب لا تؤمن بالامة العربية ماضيا ومستقبلاً ، ولا تتجاوز نظرتها آفاق الرؤية الغربية التي « ربيت في احضانها » . وهو انطلاقاً من ذلك يدين تلك الفئات « التي نشأت على يد الاستعمار الغربي بحيث اصبحت تؤمن بأن مصير بلدانها يجب أن يرتبط نهائياً بالغرب » وأن « ارتباطها باصالتها لا يتجاوز في حقيقة الامر الجوانب الفولكلورية في بعض العادات ، واذا طرحت عليها قضية الهوية الحضارية حاولت الهروب الى الخلط بين الثقافة العربية وثقافة الاقليات ، او الاعتراف بأن الانتساب الى هوية الحضارة العربية الاسلامية لا يمر حتماً بطريق التعريب » وربما ذهبت الى ابعد من ذلك ، فاعتبرت التعريب عداوة للحضارة المعاصرة ، واعراضاً عن التقدم والحداثة .

ولكن دينونة هذه الفئات يجب أن تستثني ، في اعتقادنا ، اولئك النفر من المفكرين والادباء العرب الذين لا يكتبون بغير لغتهم الا اضطراراً ، والذين لم يتخذوا اللسان الاجنبي الا وسيلة للتعبير عن انتمائهم الحقيقي للامة العربية ، امثال مالك حداد ، ومالك بن نبي ، وصلاح ستيتية ، وسواهم ، ممن لا نستطيع هنا حصرهم . فهؤلاء لا تنطبق عليهم مقولة الباحث « لا اصالة دون تعريب » .

وقد تنبّه الكاتب الى أن التعريب بين المشرق والمغرب يبرز بعض التمايزات ، وأنه في المغرب يعاني ثنائية العامية والفصحى وازدواجية اللغة الوطنية واللغة الفرنسية (علماً بأن الثنائية الاولى هي قدر جميع الامم) . ويزداد الامر تعقيداً في بعض مناطق المغرب العربي بمحاولة فرض البربرية كلغة وطنية ثانية واعتبار العربية لغة دخيلة .

ويلح الباحث على ضرورة تحديث اللغة وتوحيدها للقضاء على ثنائية الفصحى واللهجات العامية ، وهو موضوع على غاية الاهمية . ولكن البحث لم يوله التفصيل والتعميق اللذين يستحقهما : هل من الممكن حقاً القضاء على اللهجات العامية ؟ وهل يكون ذلك حقاً ضرورة لازمة في التطوير اللغوي ؟ وما هي الاساليب التي ينبغي أن يعمد اليها الاختصاصيون لتحديث اللغة ، ولو كان الحديث عن هذه الاساليب مجرد اشارات وايماءات وايحاءات ؟

إن الباحث، في القسم الاخير، يسفّه رأي الذين يقولون بأن العربية عاجزة عن اللحاق بركب الحضارة التكنولوجية ، ويرون انها اصبحت لغة ميتة مثل اليونانية واللاتينية ، ويحكم على اصحاب هذا الرأي بأنهم « يعانون الانبتات الوطني والقومي والاستلاب الحضاري » ، ويذهب الى ان « احداث السنوات الاخيرة قد اقامت الدليل على سطحية التحديث المظهري المقلد للغرب ، وعلى عجزه عن الوقوف امام رد الفعل ضد سياسة التغريب ، والانبهار الطفولي تجاه منجزات الحضارة الغربية » .

ونحن نعتقد أنه لا يكفي أن نسفّه ولا أن نحكم ولا أن ندين حين تكون لغتنا تعاني حقاً ، في معرض التحديث ، كثيراً من المصاعب يدركها المنصرفون الى وضع المعجمات الحديثة . فإن الذي لا يجد البدائل امامه يغريه كثيراً أن يستمد حاجته من مذاخر الآخرين ، دون أن يعني ذلك بالضرورة تبنيه لمعتقدات هؤلاء الآخرين ومسالكهم .

أما خاتمة البحث ، فتتساءل عن دور النخبة العربية المثقفة في قيادة معركة التعريب ، وتجيب على هذا التساؤل بأن ما يعطل هذا الدور انسحاق نفسي وفكري تعيشه ، سببه غياب المناخ الديمقراطي الحر . وفي ذلك يقول الباحث : « وحين تطغى الاحداث السياسية في قطر من الاقطار العربية ، فإننا نجدها تقوم بدور ذيلي فوق خشبة المسرح السياسي » ، ثم يؤكد قائلاً : « وهكذا فإن العمل هو الذي يسبق الفكر في الوطن العربي، فلا يكون الفكر هادياً ودليلاً للعمل ، بل يكون مبرراً له فحسب » .

ونحن نخالف صديقنا في ذلك كل المخالفة ، على الاقل في هذا الحكم التعميمي ، لانه ليس صحيحاً أن موقف الانتلجنسيا العربية موقف ذيلي . فإن الرفض والمعارضة والديمونة تميز مواقف كثير من الكتاب والمثقفين العرب تجاه الانظمة الحاكمة . ولولا ذلك لما كان في السجون العربية عدد لا بأس به من المفكرين والكتّاب . ولما كانت اصوات الاستنكار لا تزال ترتفع من كل مكان لتشجب غياب الديموقراطية وقيام القمع والارهاب. والحق ان هذا هو الدور الحقيقي للكاتب العربي اليوم : ان يوظف قلمه للمطالبة بالحرية والديمقراطية ، لا أن يخضع لعمليات القمع ، ثم يأخذ في الشكوى والانين من الانظمة القامعة ! . . . واذا كانت بعض اسلحة السلطة القامعة لا تتكافأ مع سلاح القلم ، فليس صمت القلم ، خوفاً من أن يصرع كاتم الصوت صاحبه ، دليلاً على ذيليّة هذا القلم وصاحبه . ان هذا الصمت « الموقت » هو ايضاً موقف ، لأنه اجهاض لسياسة التسبيح والتبخير التي تطلبها السلطة من المفكرين والكتّاب .

من هنا ايضاً لا نقر قول الباحث ان العمل هو الذي يسبق الفكر في الوطن العربي . ذلك أن كثيرين من الحكام العرب ، من غاب منهم ومن لم يغب ، يعترفون بأن كتابات عدد من المفكرين والادباء هي التي كانت في اساس توجهاتهم ومعتقداتهم ومواقفهم السياسية .

ولا بدّ من أن يستطيع الكتّاب والمثقفون أن يقوموا بدور فعال في معركة التعريب بالذات ، وان تؤدي اسهاماتهم المتصلة وجهودهم المتتابعة الى حمل المسؤولين على اتخاذ القرار الذي يسهّل للتعريب النجاح والانتصار .

تعقيب ٢

هشام جعيط

في الحقيقة ، ليس من الهين التعقيب على دراسة الدكتور الجنحاني لأن من الواضح أن المشكلة المطروحة « الاصالة والمعاصرة » وقع الخوض فيها الى درجة الابتذال مع ما يعنيه من تراكم وازدحام الافكار . وما هو اوضح ان اشكالية الاصالة والمعاصرة هي تساؤل الجيل ، وانها ثرية لما تحويه من تعدد الابعاد وتشعبها ، الى درجة انه يصعب السيطرة على مثل هذا الموضوع في دراسة صغيرة . فالمشكلة تتطلب كتاباً او كتباً ، وقد خاض فيها اصحاب الاقلام وما زالوا يطرحونها على بساط النظر . وقد سبق لي شخصياً أن اطنبت في الموضوع ، وهذا مما يصعب علي مهمتي كمعقب ، لانني ارتأي ان لا اجابة حاسمة على مثل هذا التساؤل الذي قد يثرى او يوضح بتطورات التفكير نفسه اكثر مما يثرى او يوضح باتخاذ موقف معين او الاقتصار على نقاط محدودة . لذا اعتبر ان الدراسة فيها قدر كبير من المجازفة ، وهي بطبيعة الحال تقود صاحبها قسراً الى نوع من التسطيح . وهكذا سأوجه اليه بعض الانتقادات ثم احاول بدوري ان افكر معكم في الموضوع بكل امانة .

١ ـ انا في الحقيقة لا احب كثيراً هذه الكلمة ، « الاصالة » ، ولا تلك الاخرى ، « المعاصرة » . كما انني اقدح في مجانية المفهومين بهذه الصفة وأفضّل قطعاً مصطلحات اخرى مثل « الهوية الثقافية » و « التحديث او الحداثة » . ذلك لان كلمة (اصالة) ، زيادة عن كونها اتخذت هنا في تونس كشعار سياسي شعبوي ، ذات منحى ارستقراطي تذكر بالتأثل ولا تستوعب المفهوم المقصود . وكذلك كلمة « معاصرة » تعني المزامنة ونحن قسراً منتمون الى عصرنا كما تعاصر في الماضي الفرس واليونان والمسيح وتبيريوس .

٢ ـ يؤكد الباحث ان المسألة ما زالت قائمة ولم يقع تجاوزها بعد ، وهذا صحيح . ولكن ليس بالشكل الذي يقع به طرحها عادة ولا بالذي يقدمه هو . فالاخ الكريم يظهر بمظهر المعبر عن تجربة تونسية اقليمية محدودة ، وعن خطاب معين من احدى فئات النظام القائم . بل اكثر

من ذلك هو يردد صدى نقاش ضمني او علني دار بالجامعة التونسية ، ويرد على خصوم لا يسميهم ينتمون الى هذا الوسط المحدود .

٣ ـ هذا لا يعني أن المشكلة بتسمية اخرى لا تبقى قائمة في جوهرها على نطاق الساحة العربية، وحتى على ساحات اخرى ، لأنها تستند على واقع ملموس ، على الاقل في اذهان الناس . هذا الواقع هو من جهة بقايا الماضي ورفض الغرب والاصرار على الاعتراف بقيمة الحضارة العربية ، ومن جهة اخرى جاذبية قوية نحو تراكيب الحداثة ، واكتساح هذه الحداثة مادياً ومعنوياً للوجود العربي . ولكن الدارس يحصر دراسته اخيراً في الدعوة الى التعريب .

٤ ـ وهنا نصل الى لب المشكلة الى نقطة الضعف الاساسية في هذا العرض ، مع تكرار الالحاح على صعوبة المشكلة فنقول : هل تساءل الباحث لماذا نتساءل عن اصالتنا لو لم يقم شك كبير وتشكيك خطير بشأن الهوية ، ان لم يكن على مستوى الامة باكملها فلدى اصناف عديدة من المثقفين ؟ وزيادة على هذا ، أليس في هذا الطرح الذي يقابل الاصالة بالمعاصرة نوع من الرفض لحسم الامور ، اما بالاعتراف بعروبتنا تماماً والالتصاق بها على الاطلاق ، واما ، على العكس ، بالانغماس الصحيح او حتى الكلي في تطورات الحداثة وانجازاتها ؟ الحداثة مع الاصالة قد تعني التردد العربي ، بل تعبر عن فصام عربي ـ « الشيزوفرينيا » ـ امام زحقة الحداثة التي ولجت الوطن العربي بقوة ، خاصة منذ الاستقلالات ، اي منذ ربع قرن تقريباً ، وتبعاً لهذا التحرر . وانا ممن يعتقدون ان الهوية كانت ـ ايام الاستعمار ـ محافظة على وجودها بسبب التهديد المباشر ، وانه بالتحرر ارتفعت الحواجز الداخلية فارتبكت الذات بقدر ما دخلت عناصر الحداثة الفكرية والحضارية والاقتصادية ، عن طواعية هذه المرة ، وليس بغزو مبيت من الطرف الآخر .

ومن هنا وجب طرح الاشكالية حسب منظور آخر ، اي بتعميق النظر اليها :

أ ـ علينا أن نقرر اولاً وجود مستوى نفساني وبعد نفساني . ويعني هذا أن العروبة موجودة ، والحداثة موجودة ، لكن مع بعض العُقد ، وان التناقض قائم قبل كل شيء في اعماق النفس . والحقيقة ان العامل النفساني لا يقل واقعية في وجوده عن العامل المادي الخارجي ، ولذا لا تغيب المشكلة بوصفها تمثّل على مسرح باطني . وما من شك في ان الشعور بالمجد التاريخي يدخل في التطور الذاتي كشعور قائم ، وكتعويض ، ولا في ان الخصوصية العربية التي تبرز بقوة لدى المشاهد الخارجي تلعب دوراً في مرض الهوية الذي يقاسي منه الانسان العربي .

ب ـ على صعيد التاريخ ، لا بد من محاولة تفهم المسيرة التاريخية التي قادتنا الى هذا الوضع وتقييمها . فمن وجهة التراث نتكلم عنه الكثير ولا نعلم عنه الا القليل، ونشتم المستشرقين ولا نحاول بجد التوغل في معرفة تاريخنا مع اتخاذ المسافة اللازمة بيننا وبينه . وهذا وارد ـ حسب معرفتي ـ في التاريخ السياسي والحضاري والثقافي على السواء . وفيما يخص الحداثة نرى الشيء نفسه . فمعرفتنا الحقيقية بماهية الغرب طفيفة ، ولم نفرق بعد ،ولا طرحنا حتى

مشكلة وجوب التفريق والفرز او عدم وجوبها ، بين الحضارة الغربية في خصوصيتها كحضارة، وبين الثقافة الغربية السياسية والاخلاقية التي انبثقت منذ عهد التنوير، وبين التركيبة الصناعية التي هي في الحقيقة تتجاوز الغرب . وكثرة الكلام على الهوية والحداثة تخفي ضعفهما معاً في الوجود العربي الذي هو وجود متأرجح دوماً بين التأكيد القوي على الذات وبين التحضير الذاتي والذي لم يرسخ الحداثة بحيث تصبح واقعاً بالجدية والسرعة المرجوة . وهكذا تكون هذه الاشكالية تعبيراً عن عجز مضاعف لا اكثر ، ولكنه قد يكون مؤقتاً .

ج ـ على المستوى الاجتماعي ـ السياسي نسجل مشكلة قيادة ، اي سوء تدبير، بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه القيادة ، ديمقراطياً كان او ديكتاتورياً او قبلياً تقليدياً . واني من انصار الديمقراطية . لكن الديكتاتورية قد تعود بالفائدة على النمو الاقتصادي بتجميع الطاقات بالقهر . والمشكلة تعود اذن الى حسن الممارسة لاي من الانظمة ، لا لهوية النظام نفسه . واغلب الظن أن الخطاب السياسي التجأ الى شعار الاصالة والمعاصرة لتمرير التحديث ، وان القيادات محتاجة الى كلا العنصرين كصيغة كاذبة سهلة للابقاء على توازن في الجسم الاجتماعي . وماذا ينتج عن هذا كله سوى أن العرب يؤجلون المشاكل ولا يحلونها ، وانهم يرفضون دفع الثمن مع ارادة التمتع بكل شيء ؟ انهم يحبون العروبة ويحبون الحداثة في آن ، كما أنهم يحبون استهلاك الحداثة دون اتخاذ الوسائل اللازمة السريعة لانتاجها . فالاشكالية اذن اشكالية قيادة وضمير شعبي ، وهي في الوقت نفسه اشكالية مثقفين . فمثلاً في الستينات والسبعينات وقع على المستوى الاخير انجذاب شديد الى الماركسية او التغريب الفكري المجحف ، ماركسية سوقية في اغلب الاحيان ، وتغريب عن ضرب من الترف الفكري السطحي . فلا غرابة عندئذ ان تقع ازمة روحية .

د ـ وتتمثل الازمة الروحية في التضارب بين الحداثة المادية والحداثة المعنوية ، في ضعف تعميق النظرة الى مجموعة القيم الموروثة ، كما في العجز عن الامعان اكثر في فتوحات الغرب في هذا المجال . فما من شك في اننا نعيش الصدام الخطير بين القيم الموروثة والقيم الجديدة . لكن هذا الصدام كان يمكن تجاوزه نسبياً بتعميق النظرة الى ذخائر القيم القديمة لدى قطاع من المجتمع ، او بالعكس الى ذخائر القيم الجديدة ، من انسانية واعية لنفسها ، وحرية ، وغير ذلك مما ينتمي الى الحقيقة الانسانية ونوعية الحياة . والآن وصل الامر بنا الى تشنيع الامور بشكل حادّ اما بالرفض التام للحضارة الغربية (الرد الاسلامي)، واما بالاحتضان التام عند بعض الفئات لما تمثّله كحضارة غربية . وفي الحالتين لا نجد في الحقيقة صدقاً في الاحتضان ، وانما جرياً وراء عقلية القوة ، لا وراء الاقتناع بمبدأ .

لقد قيل في السابق ان قليلاً من العقل يبعد عن الايمان ، وان كثيراً من العقل يقرب الى الله . ونحن نقول ايضاً ان قليلاً من الحداثة يبعد عن الهوية ، وكثير منها يقرب من الهاوية ، وان هناك مرضاً معاصراً للحداثة بل امراضاً شتى وعاها عدد من رجال الفكر في الغرب بحيث لا يمكن لنا البتة أن ننظر اليها بمنظار الغفلة والسذاجة . كما أن عزوفنا ، احببنا ام كرهنا ، عن

كل نظرة الى ماضينا سذاجة . واذا كان لا بد من السذاجة لكي لا ننزلق في الجفاف الروحي فلتكن هذه السذاجة مكتسبة ، اي من الدرجة الثانية ، اي واعية وصافية في آن .

وبعد فنحن مطالبون كمثقفين عرب في هذه الآونة بواجب اساسي هو الوضوح والذكاء وحسن الاستعداد للاستماع الى همسات الحقيقة في كل ابعادها .

المناقشات

احمد العزعوزي : يقول الباحث : « ولكن اشكالية تحديد المفاهيم ستبقى تواجه الفكر العربي المعاصر ما دام يحمل في طياته تناقضات حادة ، وينطلق من مواقع سياسية وايديولوجية متباينة » .

كلام مبهم مثله مثل كثير من المقولات التعميمية التي اتى بها في القسم الاول من تدخله . واقول :

١ ـ لا بد من تحديد اي فكر عربي معاصر يقصد الباحث ، لأن الفهم بلا تحديد يبقى غامضاً ، ان لم نقل مثالياً ، بالمفهوم الفلسفي . وهذا ما نعاني منه فكرياً.

٢ ـ اذا كان المقصود من هذا الفكر هو ذلك الذي يصبو الى النهوض والتقدم فإنه في حاجة الى مزيد من الغوص في التناقضات ، لأن مشكلته هي في عدم تمكنه تماماً من استجلاء التناقضات المحركة للمجتمع العربي ، والمعيقة لتبلور فكر جديد قادر على احداث صدمة او صدمات . . .

الطاهر لبيب : تدخلي السريع يدور حول المفاهيم ، فالاصالة من بين المفاهيم التي لم يستطع العربي تعريفها ولا التخلي عنها . وعلى كل هو مفهوم غير عملي ، ولعله يقصد به الخصوصية التاريخية .وكذلك تضايقنا الثنائية بين الاصالة والمعاصرة ، وكثير منا يطوف بين الاصالة والمعاصرة ويكتفي بالجمع بينهما بواو ليحل القضية . ثم ما معنى المعاصرة ؟ لست ادري من اول من اقترحها ، ولكنها تبدو غريبة ، وفيها بعض الاهانة للانسان العربي . فكل انسان موجود في عصره ، ولكن بطريقته . واما أن يطلب من العرب ان يكونوا في عصرهم ، فهذا مطلب غريب وان اعتنقه العرب .

على ان العلاقة بين الاصالة والحداثة كما تحدث عنها الدكتور الجنحاني ليست قضية خاصة بالعرب . فالمسألة مطروحة في كل المجتمعات عبر ممارساتها ومشاريعها ، وفي البلدان المصنعة قد يجد شق طريق عبر الريف مقاومة لتمسك الفلاحين ببعض تقاليدهم . المسألة ، في نهاية الامر ، مسألة موقف من مشروع اجتماعي اكثر مما هي موقف من اصالة ومعاصرة وذاتية وهوية . . . الخ هذه القضايا ـ ان كانت قضايا ـ يحلها المشروع حسب طبيعته ومرحلة انجازه .

ثم انّه تحدّث عن انصار ومعارضين لما يسمى بالاصالة ، وكان يجب الحديث عن مضمون هذه الاصالة . ان ممارسات كثيرة وهموماً كثيرة من هموم المجتمع العربي متوفرة باسم الاصالة . وبالمناسبة لا بد من التمييز بين مستويات ممارسة الاصالة والتحديث لانهما يرتبطان ـ نتيجة التوظيف السياسي خاصة ـ بقطاعات مختلفة . فيكون العربي اصيلاً مثلاً في السياسة او الثقافة ، وتحديثياً في الصناعة او السياحة . ثم ان المثقفين قد تختلف درجات اصالتهم حسب موضوع تفكيرهم . فلنفترض اننا اجتمعنا للحديث عن الفقه ، وعندها نرى ان اكثرنا سيكونون اكثر اصالة !

ملاحظة اخيرة : يقول الباحث ان الانتاج الفكري لم يعد ـ حسب المنهجية الحديثة لاجتماعات الثقافة ـ سبباً لقلب الواقع ، بل اصبح نتيجة لتطوره . ولست ادري اي معطيات يعتمد في هذا . على كل ، اعتقد ان الجديد نسبياً هو الاتجاه نحو اعتبار الابعاد الفكرية او النضال الفكري والايديولوجي بعداً هاماً في تغيير الواقع .

عبدالله العروي : لقد ذكر د. الجنحاني اني شاركت في نقاش مشكلة الاصالة والمعاصرة . واراني مضطراً الى القول اني لم اتطرق ابداً الى هذا الموضوع ، وانما طرحت مشكلة مختلفة تماماً . فعندما كنت ادرس الحركة الفكرية في المغرب الاقصى في اواخر القرن الماضي لاحظت تناقضاً بين ظاهرتين : الاولى ايجابية وهي رفض الاستسلام للغزو الاستعماري ، حين كانت الحركة السلفية النواة الاولى للحركة الوطنية . ولكن ـ وهذه هي الظاهرة الثانية ـ كان العلماء لا يملكون الوسائل الذهنية لفهم ماهية الخطر الاستعماري ، وهذه بالطبع ظاهرة سلبية .

ثم عندما التفت الى الحركة السلفية في الشرق وفي فترة لاحقة لاحظت ان هذا التناقض بين وضوح الرفض وجهل هوية الخصم لازم باستمرار تطور الفكر العربي منذ العهد الذي نسميه عهد النهضة . فالمشكلة بالنسبة لي هي مشكلة عدم مطابقة الوسائل للاهداف وهذا هو ما اعاق تقدم المجتمع العربي باستمرار .

امام هذا التناقض اقول : نحن غير مخيرين اذا اردنا أن نكون في مستوى العدو ، لان منطق المجابهة الحربية يفرض علينا فهم كنه العدو ومحاربته بسلاحه ، وهذا موقف براغماتي

محض . وارى أن قضية الاهداف ، او صورة المجتمع بعد ان نكون قد عرفنا كيف نجابه العدو الاستعماري بسلاحه ، قضية سابقة لاوانها . واذا قيل اني عدو الاصالة فأنا في الواقع لست معها او ضدها ، ولا اطرح المشكل بالمرة .

يقول البعض : تحتوي الوسائل في ذاتها على اهداف ستغير معالم المجتمع العربي ، ويجب رفض الوسائل المذكورة ـ اكانت مادية او ذهنية ـ للحفاظ على سمات المجتمع الاصلي . لكن : كيف يمكن التغلب على العدو اذا تعذّر على من يرفض نتائج مرتقبة بعيدة لاختيار ضروري لنا ان يجيب على السؤال التالي الملح : ما هو البديل العملي الفعلي؟ وهذه هي النقطة التي لا يجيب عليها اغلب المفكرين العرب .

طه حسن النور : في تقديري انه يمكن تناول الاصالة والمعاصرة والتحديث في منظور التعريب من ثلاث زوايا هي :

١ ـ تحديد الشخصية العربية وهويتها .
٢ ـ المشاركة في صنع التقدم والتنمية .
٣ ـ اللغة كأداة من ادوات التعبير تقوى وتضعف تناسباً مع قوة اهلها وضعفهم .

والاصالة ليست الرجوع الى الاصل كما هو دون تغيير ، وانما هو التحرك في اطار اساسيات هذا الاصل . وليس التحديث ان تنقطع من الجذور ، وهذه بدهية من البدهيات . فالامم التي لا ماضي لها لا حاضر لها ولا مستقبل . ولا اعرف امة من الامم يمكن أن تقع في هذا التصنيف .

وانا مسلم استمد الاصالة والتحديث معاً من القرآن الكريم وذلك من خلال ثلاثة معطيات هي :

أ ـ ان الله خلقنا واستخلفنا في هذه الارض ، نتبوأ منها حيث نشاء .

ب ـ وانزل فينا رسولاً كريماً خاطبه الحق عز وجل بكلمة « اقرأ باسم ربك » .

ج ـ وانزل فينا قرآن عربياً لا يزال يخاطبنا « بالذين يعقلون » و « الذين يتفكرون » و«الذين يتذكرون» و « الذين يتدبرون » . والعلم كما تعلمون محايد والتفكر اجتهاد .

اما بالنسبة للغة ، فهي اداة تقوى وتضعف بقوة اهلها وضعفهم . فاذا استطاعت « اسرائيل » على قلة سكانها ان تجعل من اللغة العبرية ، وهي لغة عبادة ولغة معابد و«حاخامات» ، لغة علمية ادبية عالمية خلال اقل من اربعين سنة ، واذا استطاع الصينيون ان يجعلوا من اللغة الصينية ، وهي لغة معقدة جداً كما يقول اللغويون ، لغة علمية ، وان يجمعوا

حولها ثمانمائة مليون من البشر ، فعلينا أن نبحث عن عجز لغتنا لا في اللغة نفسها ، وانما في شيء آخر ، هو عجزنا نحن العرب .

مدثر عبد الرحيم : اتفق مع الصديق د. هشام جعيط فيما ذهب اليه من ان كثيراً من الذين يتحدثون عن الاصالة والتراث بيننا لا يكلفون انفسهم جهد السعي للوقوف على اصول ذلك التراث وتفاصيله في المصادر الامهات . كما أن الحديث عن الموضوع نفسه قد كثر لدرجة الابتذال ، بينما شاعت بين كثير ممن يحسبون في عداد المثقفين تصورات تبسيطية سوقية لكثير من المذاهب المعاصرة كالماركسية والليبرالية . . . الخ . بل ان السوقية والابتذال قد لحقا حتى بالعلم نفسه في مجتمعنا المعاصر . وما اكثر ما نسمع ونرى صفة العلمية تضفى ـ ظلماً وافتئاتاً ـ على مشاريع وتجارب وبرامج بعيدة كل البعد عن العلم ومنهجيته ، بل انها ، على العكس ، تنمّ عن جهل بالعلم مريع ، ومغالطات طالما جافت المنطق والحكمة . الا ان المثقفين العرب المعاصرين مطالبون بالقفز او العبور فوق كل تلك الاوحال التي تحيط بالمواضيع المصيرية الهامة وبمعالجتها ، او محاولة معالجتها ، رغم كل ما قد يكتنفها من اوحال السوقية والابتذال . هذه واحدة .

والنقطة الثانية تتصل بما تقدم وهي ان الاصالة كثيراً ما تفهم في مجتمعنا المعاصر بمعنى التمسك بالتراث والسلفية : وينبيء عن ذلك انها كثيراً ما تذكر في مقابل المعاصرة. وهذا ، فيما يبدو لي ، مجاف تماماً لمفهوم الاصالة حتى في معناه اللغوي . فنحن عندما نصف رجلاً او موقفاً بأنه اصيل لا نعني انه تراثي او قديم او شيئاً من ذلك ، بل نشير الى مجموعة من الصفات العالية كالثبات ، او الروية ، والرجاحة ، والمسؤولية . . . الخ . وهي صفات ربما استقيت من اصول تراثية ، وربما كانت منابعها غير تراثية .

ومهما يكن من ذلك فإن الاصالة ، في ميادين النظر والفكر ، تتصل بصفات من اهمها استقلال الفكر وبعده عن التبعية سواء اكانت للقديم او الحديث ، للشرق او الغرب . كما أنها ، في ميادين العمل ، تتصل بصفات مماثلة من بينها الاستقلال والمقدرة على تحمل المسؤولية والقيام بالواجبات رغم ما قد يعتور سبيل ذلك من عقبات او مشقات .

فنقيض الاصالة اذن ليس المعاصرة بل التبعية وما يلحق بها او يدخل في مضمونها من معاني الذيلية والخمول والخمود . ثم ان الاصالة ـ من الناحية الايجابية ـ تتضمن معنى القدرة على الخلق والعمل والابتكار ، وعلى حيازة العناصر الممكّنة من ذلك ، وصهرها ، واعادة صياغتها بما يعبر عن قيم الذات والمجتمع المسؤولة ، وبما يساعد على سد الحاجات الشرعية اللازمة للاطراف المعنية الممكّنة لها من العيش الكريم ومواصلة المسيرة على طريق التقدم نحو مستقبل تصبح فيه السيادة حقيقة تمارس ، لا مجرد رمز او شعار . فالاصالة اذن، وان جاز او الزم ارتباطها بالتراث بوصفه مستودع الصفات التي ذكرنا ومستقاها ، لا تعني التراثية او الرجعية ، كما انها لا تناقض الحداثة او المعاصرة ، وانما تناقض التبعية وتنطوي على معاني الاستقلال والخلق والمستقبلية .

خير الدين حسيب : أود أن أبدي ملاحظتين : الاولى حول التسميات والمفاهيم . فانا ممن يعتقدون انه يجب أن لا نصرف وقتاً طويلاً في الاختلاف على التسميات ، وانما يجب ان نركز على المفاهيم والمضمون ونتفق على ذلك ، وهذا هو المهم . ولذلك فإذا ما اتفقنا ، ويبدو ان هناك قدراً غير قليل من الاتفاق ، على ما نعنيه بالاصالة والمعاصرة كما قال د. الجنحاني ، او تأكيد الهوية والحداثة كما سماها د. هشام جعيط ، فإن الاختلاف في التسمية يصبح محدود الاهمية .

والملاحظة الثانية تتعلق بما ذكره د. عبدالله العروي حول الوسائل واننا ، على حد قوله ، مضطرون لاخذ وسائل الغرب والتقدم كما هي معروفة لنا بغض النظر عن الاهداف ، وما دلل عليه من اننا مثلاً مضطرون في المعارك الحربية ان نستعمل اسلحة متكافئة لاسلحة العدو، اي ان اسلحة الخصم تفرض نوع الاسلحة التي علينا استعمالها معه والنظام العسكري المتعلق بها، اي وسائله هو . فقد لاحظت انه رغم ان د. العروي يستند الى المنهج التاريخي ، الا انه رفض النظر في التجربة اليابانية او الصينية لاختبار مدى صحة مقولته ، وهو امر يدعو للتساؤ ل ، اذ ان التجربتين اليابانية والصينية هما جزء من التاريخ ، واي منهج تاريخي لا يستطيع رفض الحديث عنهما عندما تكون لهما علاقة بموضوع البحث .

وانطلاقاً من المنهج التاريخي للدكتور العروي ، واذا ما اخذنا مقولته بأن اسلحة العدو تفرض علينا نوع السلاح الذي نستعمله ، فإنني اتساءل عن مدى صحة ذلك ، اذا ما اخذنا التجربة الفيتنامية كمثال تاريخي . فهل اضطرت فيتنام ان تستعمل في حربها مع امريكا اسلحة موازية للاسلحة الامريكية،وهو ما لم يكن متاحا او ممكنا لها،ام انها لجأت الى اسلوب حرب آخر ، هو حرب التحرير الشعبية ، واستطاعت رغم اختلاف الاسلحة كمّاً وكيفاً أن تثبت فشل امريكا وتضطرها للانسحاب ، كما وانها طورت نظام حرب جديداً خاصاً بها يختلف عن نظام عدوها (امريكا) ؟

هذا مثل ، والمثل الثاني المهم في هذا الصدد هو التجربة اليابانية في التقدم والحداثة . وهي تجربة لا يستطيع اي منهج تاريخي سليم ان يتجاهل دلالتها . فقد كنا لفترة طويلة نتصوّر اننا في عملية التصنيع والتقدم المادي التي نحاول أن نستوردها من الغرب لا بد ان نستورد معها منظومة القيم التي ترافق الآلة والتصنيع ، وانه لا خيار لنا في ذلك . ولكن تجربة اليابان اثبتت انه من الممكن لشعب او امة متخلفة ان تستورد التصنيع وتطوره وتحقق التقدم المادي مع المحافظة على منظومة القيم الخاصة بها ، بصورة عامة مع تغييرات هنا وهناك . ولست هنا في معرض الكلام للدعوة الى تطبيق التجربة اليابانية عربياً ، فذلك ما لا اقصده او اطالب به ، ولكن ما اريد استنتاجه من هذه الاشارة للتجربة اليابانية انها توصلت الى نفس اهداف التقدم المادي الغربي ، بل وتجاوزته في بعض المجالات ، بوسائل مختلفة مع المحافظة على قيمها الاساسية ودون أن تضطر الى استيراد القيم الغربية كلها . ومن هنا دلالتها بالنسبة لاطروحة

الدكتور العروي حول الوسائل والاهداف ، اي انه من الممكن ، نظرياً على الاقل، كما تدل التجربة اليابانية ، تحقيق التقدم المادي اي التحديث ، وبعضه او كثير منه قد نستورده من الغرب المتقدم ، مع المحافظة على الهوية القومية العربية او على اصالتنا بتعبير آخر ، واننا لسنا مضطرين ،نظرياً على الاقل ، الى التخلي عن هويتنا واصالتنا ، والى ان نأخذ بكل اساليب الغرب وبمنظومة القيم الخاصة به .

الحبيب الجنحاني : جواباً على تعقيب الدكتور سهيل ادريس والدكتور هشام جعيط، واسئلة بعض المشاركين في الندوة . اعتبر ما جاء في التعقيبين من ملاحظات تتمة للدراسة ، وانتهاء لها . ولذا فسأكتفي في جوابي بالرد على بعض النقاط الواردة في التعقيبين ، او ما ورد على السنة بعض الزملاء المشاركين :

١ ـ قال المعقّب الاول اننا لا نعرف باحثاً جاداً استبعد قضية نقاش موضوع الاصالة والمعاصرة كما جاء في مطلع الدراسة . واقول اني لا اعني هذه الفئة من النخبة العربية ، ولكنني اعني فئة اخرى متنفذة في كثير من الاقطار العربية ، وهي فئة من السياسيين او رجال الاعمال يرون في الحديث عن الاصالة مضيعة للوقت ، وتخلفاً عن اللحاق بركب الحضارة المعاصرة ، وهذه الفئة هي التي القت بنفسها في احضان الغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً باسم « المعاصرة » .

٢ ـ تساءل عن كيفية ممارسة الاعتزاز بالتراث ؟ واعني هنا استعمال التراث في المسرح والسينما ، وفي الانتاج الاذاعي والتلفزيوني ، وفي الكتاب المدرسي . اما قضية الكتّاب الذين كتبوا بالفرنسية ، ولا سيما في الجزائر ، فإنني اتفق معه بأنهم قد قاموا بدور فعال خلال مرحلة الكفاح التحريري للشعب الجزائري ، ولكن هذا الدور تقلص بعد الاستقلال . وقد عبر عن ذلك بكل وضوح الكاتب الجزائري المرحوم مالك حداد لأن هذه الفئة وجدت نفسها عاجزة عن مخاطبة الجماهير الجزائرية بلغتها الوطنية غداة الاستقلال .

٣ ـ اما الدور الذيلي للنخبة العربية اليوم المشار اليه في آخر الدراسة فإني اعني به اولئك المثقفين العرب الذين احتوتهم النظم الغربية هنا وهناك . ولكنني اتفق مع المعقّب على وجود نخبة مثقفة عربية حاملة لواء النضال الوطني والقومية في كثير من الاقطار العربية . ونجد في صفوفها من عاش ويلات السجون ، والملاحقة ، والهجرة دون أن تلين قناتهم ، او يتنكروا لمبادئهم . ان هذا اللون من النضال الفكري هو الذي يدعو الى التفاؤ ل والايمان بمستقبل الفكر العربي رغم مظاهر التأزم .

وانتقل الآن الى الاجابة على بعض الملاحظات الواردة في تعقيب د. هشام جعيط .

١ ـ اشار الزميل الى انني انطلق في معالجتي لقضايا التعريب وربطه بمفهومية الاصالة

والمعاصرة من تجربة ضيقة ، هي التجربة التونسية . وهذا ليس صحيحاً ، فجلّ الافكار الواردة في البحث لها صدى عميق في تاريخ تجربة التعريب بالمغرب الاقصى وبالجزائر . وقد ظهرت موجة من الردة في مجال الاصالة الثقافية حتى في اقطار عربية لم تكن فيها قضية التعريب مطروحة بالشكل المعروفة به في اقطار المغرب العربي ، كما في لبنان بعد محاولة تبرير المواقف الطائفية الانعزالية ثقافياً ، وفي مصر عندما حاول بعض المفكرين ان يربطوا الانفتاح الاقتصادي بالانفتاح الثقافي خدمة لسياسة التطبيع .

٢ ـ يقول الزميل في تعقيبه ان الحداثة ليست دائماً غزواً حضارياً ، بل هي ايضاً احتضان لمنجزات الحداثة . وانني من انصار احتضان منجزات الحضارة الحديثة لكن شرط ان يكون هذا الاحتضان عن وعي واختيار . واذا لم يتوفر هذا الشرط فإن الاحتضان يصبح اسمه الحقيقي غزواً حضارياً يؤدي في نهاية المطاف الى فقدان الشعوب المغلوبة مميزات ثقافتها الوطنية ، والى حداثة زائفة لا تتجاوز المظاهر والواجهات البراقة .

٣ ـ يتساءل الزميل : هل انتج التغريب ، او التغربن علماء ؟ ثم يجيب : نعم ، في الهند والباكستان . وهو هنا يقف عند « ويل للمصلين. . . . . »، لانه من المعروف ان اغلب هؤلاء العلماءيعملون في مؤسسات الغرب ، ودورهم في مجتمعاتهم ، وتأثيرهم في حياة شعوبهم ، دور هامشي لا يكاد يذكر ، وتأثير لا يكاد يظهر.

واود الآن الاجابة على تساؤلين طرحهما د. الطاهر لبيب :

١ ـ تساءل عن معنى الأصالة والمعاصرة قائلاً : انني لا افهم هذين المصطلحين . ومن الصعب جداً ـ في نظرنا ـ الاتفاق على محتوى هذين المفهومين ، لأنه مرتبط برؤية كل منا لهما من جهة ، وبالتطور الاجتماعي والثقافي من جهة اخرى . بل اذهب الى ابعد من هذا لأؤكد ان محتوى المفهومين مرتبط بالموقف الطبقي .

٢ ـ يتصل التساؤل الثاني بما اشرت اليه في الدراسة من ضرورة احياء الجوانب المشرقة في تراثنا ، ملاحظاً ان في ذلك اتجاهاً انتقائياً في احياء التراث . واقول انني اعني ـ بكل وعي ـ ذلك الانتقاء ، لأنني اؤمن في المرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع العربي الاسلامي بضرورة توظيف التراث في خدمة الحاضر والمستقبل . فالتراث العربي الاسلامي تراث خصب متنوع ، فيه الغث والسمين ، وتجب المحافظة عليه بغثه وسمينه . ولكن حين نصل الى سياسة نشره واحيائه في المرحلة التاريخية الراهنة فانني انتقي ما يتصل منه بقضايا الحاضر العربي ، فاختار الفكر العقلاني في معركة التحديث الفكري ، وانشرآثار المعتزلة ، وكتب الاصول ، ومؤلفات الشافعي، وابن حنبل ، وابن حزم، وابن رشد ، وابن خلدون وغيرهم كثير، ولا انشر مثلاً « الفاشوش في احكام قراقوش » ، او « قطب السرور في الانبذة والخمور » .

ان توظيف التراث يحتاج اولاً الى اطلاع واسع على ذلك التراث ، والى معرفة دقيقة بما يتصل منه بقضايا العصر . واخطر مشكلة يواجهها الوطن العربي اليوم هي مشكلة الحرية والديمقراطية ، فيجب ـ اذن ـ احياء التقاليد العريقة في تراثنا العربي الاسلامي المتصلة بمعارك الحرية وقضايا الشورى . وهكذا تكون عملية الانتقاء عملية هادفة وواعية .

الفصل الثالث عشر

أدوات التعريب المواكب ووسائله من منظور وحدوي

عفيف دمشقية

مقدمــة

لما كان كل انسان ينتمي بحكم ولادته وقدره المرسوم الى لغة من اللغات ، وكانت هذه اللغة هي التي ستطبع افكاره وعواطفه مدى حياته ، فإنها ستتيح له بالتالي أن يتواصل ويتفاهم مع اناس آخرين يشكّلون معه المجتمع اللغوي الخاص بهم . ذلك أن اللغة في أي مجتمع لغوي تمثل « راموزا » في مكنة كل فرد من افراد هذا المجتمع فكّ رموزه وفهم دلالاتها تبعاً لنوع من « عقد اجتماعي » لا يدري متى وكيف تمّ عقده . كما أن الأصرة التي تشد هؤلاء الأفراد بعضهم الى بعض تتمثّل في امتلاكهم جميعاً امكانات التعبير ذاتها ، وفي أن ما يستخدمه الفرد الواحد وسائر افراد المجموعة من كلام يوقظ في أذهان كل الاطراف الاصداء عينها .

و « المجتمع اللغوي » أهم أشكال المجتمعات لأنه يشرع الابواب لبلوغ مضامير الفكر والثقافة ، ويقلّدنا مفاتيح الممتلكات الفكرية المستودعة في الاعمال المكتوبة . ومهما تعددت صيغ المجتمع بتعدد العوامل العرقية أو السياسية أو المنفعية ، فإن العامل اللغوي يبقى انجع الوسائل وآكدها لخلق المجتمع المتماسك الذي يحس فيه كل فرد بالانتماء والولاء بشكل عفوي ، وبلا دافع من منفعة أو مصلحة . ذلك لأن « المجتمع اللغوي » أقدم اشكال المجتمعات وأشدها أصالة وعراقة . وكما قال «غونتر ابسن » فإن : « اللغة روح المجتمع الحقيقية ، وهي التي تؤلف عالماً قائماً بذاته ، ومحققاً وجوده على هذا الاساس . فالمجتمع هو « نحن » التي تعي ذاتها في اللغة وبها تتواصل »[1] .

---

(١) استفدنا كثيراً من عناصر هذه الفقرة من كتاب :
W.V. Wartburg et S. Ullmann, *Problèmes et méthodes de la linguistique*, Collection SUP (Paris: Presse Universitaire de France, 1969).

وللباحث أن يزعم أن الأمة العربية تؤلف ، من المحيط الى الخليج ، مجتمعاً لغوياً قائماً بذاته ، إذا أخذ في الاعتبار أن أساس اللحمة في هذا المجتمع هو العربية النموذجية المشتركة (الفصحى) التي هي « الراموز » المشار اليه سابقا . لكن في مقدوره كذلك الادعاء بأن هناك « مجتمعات لغوية عربية » لا مجتمعاً واحداً ، بالنظر الى شتى « اللهجات » المستخدمة في أقطار الوطن العربي ، لا لأن هذه اللهجات لا تمتّ الى « الراموز » المشترك بسبب ، وإنما لأن الرموز المستخدمة في كل قطر تتنوع وتختلف تبعاً لعوامل أهمها :

١ ـ المفاضلة النابعة عن ذوق خاص بين مفردة واخرى للتعبير عن الأمر الواحد ، كما هي الحال في « الوقت » و « الحين » و « الساعة » للدلالة على اللحظة الراهنة .

٢ ـ التحريف الصياغي أو الصوتي اللاحق بالمفردات تبعاً لقانون الاختصار الناتج عن الرغبة في اختزال الزمن من جهة ، وتمشياً مع « الجهد الأقل » من جهة اخرى ، أو تبعاً لقانون تعاقب الحروف وتبادلها ، كما في مختلف العبارات المستعملة للدلالة على اللحظة الراهنة : « هلّق » (بنطق القاف قافاً حيناً ، وهمزة حيناً آخر) ، و « هلقيت » ، و « دلوقت » (بنطق القاف قافاً حيناً ، وجيماً قاهرية مع مدّها مدّة كسر حيناً آخر) ، و « هالحين » ، و « هسّة » (بالوقف على التاء المربوطة هاء) ، أو « إسّة » (بقلب الهاء همزة ولفظ التاء المربوطة ياء ممالة) . . . الخ .

٣ ـ استخدام المفردات المستعارة أو الدخيلة من اللغات التي قدّر للعرب في شتى أقطارهم الاحتكاك بها قديماً أو حديثاً كالفارسية ، والتركية ، والايطالية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والتي شاعت في الاستعمال للدلالة على المدلول الواحد ، كـ « الطاولة » ، و « التربيزة » و « الميز » ، و « السكملة » . . . الخ لتسمية المنضدة او المائدة .

وإذا كان من غير المستطاع الوقوف في وجه « اللهجات » ، لأن ذلك من قبيل السباحة عكس التيار ، أو محاولة القضاء ـ وهي محاولة يائسة إن لم تكن مستحيلة ـ على طبيعة الأشياء ، فلا أقل من العمل الدائب والسعي المتواصل لتنشيط « الراموز » المشترك تسهيلاً لتواصل افراد الأمة العربية فيما بينهم ، وشحذ احساسهم بالانتماء والولاء لمجتمع لغوي واحد ، لأنه أمتن اشكال المجتمعات ، كما رأينا آنفاً . ولعل من بين الوسائل والأدوات الغائبة عن « التعريب ليصبح مواكباً لمتطلبات العصر والدور الذي يمكن أن يؤديه في دعم الوحدة العربية» .

أولاً : أدب الأطفال والفتيان

درجت الأمم الراقية على اعارة اطفالها وفتيانها أبلغ الاهتمام لأنهم عماد الأمة،والدم الكفيل بتجديد حياتها الى ما لا نهاية . وكان لظهور علم النفس بعامة ، وعلم نفس الطفل بخاصة ، أثره الكبير في توجيه أنظار الكتاب والشعراء الى ضرورة التنبه لـ « الكائن الصغير»

والكتابة عنه وله ، لما للأدب والمطالعة من أهمية في نموّه العقلي والخلقي والانفعالي والابداعي والاجتماعي . وكان طبيعياً أن يطّلع العرب في نهضتهم الجديدة على منجزات تلك الأمم في عالم الطفولة ، وأن يحاولوا اقتفاء خطاها في هذه السبيل ، وأن يظهر في بعض أقطار العروبة « أدب أطفال » يتفاوت في جودته تفاوتاً شديداً لغلبة التصنع عليه حيناً ، وسيطرة اسلوب الراشدين ولغتهم وألفاظهم أحياناً .

وإذا كانت الطفولة العربية تحتاج منا الى إعداد قويم يؤهلها لدخول عالم الراشدين ، ويهيّئها لرسم مستقبل الأمة التي تنتمي اليها ، فقد كان لزاماً علينا ، نحن المتطلعين الى رصّ صفوف هذه الأمة بكل ما من شأنه ترسيخ وحدتها القومية ، أن نبذل الغالي والرخيص لفهم طبيعة الناشئة ، ومراحل نموّها ، والبيئة التي تعيش وتترعرع فيها ، توصّلاً الى خلق أدب يساعدها على النضج من ناحية ، وعلى تعميق شعورها بالانتماء والولاء للعروبة من ناحية ثانية . ويقودنا هذا الى جملة امور لعلّ اكثرها الحاحاً الأمور التالية :

١ ـ أن تردف جهود المهتمين اهتماماً صادقاً (بعيداً عن التطلّع الى أي كسب أو منفعة تجارية) بأدب الأطفال في الوطن العربي بجهود خيّرة اخرى هدفها القضاء على « تجّار أدب الطفولة » الذين لا همّ لهم سوى تحويل هذه الطفولة الى « بقرة حلوب » . ولعمري فإن أقوم السبل لتوفير مثل هذا المناخ الصحي لعالم الطفولة العربية هو خلق فريق عمل من المربّين الافاضل الذين وجدوا فردوسهم المفقود في هذا العالم الساحر العجيب ، واكتسبوا الكثير من الدراية بشؤونه ، والمعرفة بتطلعات الناشئة ، والخبرة بقواميسها اللغوية ؛ ومن علماء نفس الطفل الذين وقفوا على أسرار حياته وعالمه نظرياً وعملياً ، وباتوا قادرين على توفير أطيب الأجواء الصحية له نفسانياً وعقلياً ومسلكياً ؛ ومن علماء الاجتماع الذين درسوا مجتمع الاطفال دراسة ميدانية ، الى جانب دراسته الدراسة النظرية ، فأهلهم علمهم وخبرتهم لتحديد أفضل نماذجه من الناحيتين الخلقية والاجتماعية ؛ ومن القصّاص الذين مارسوا الكتابة للاطفال والفتيان ، وزوّدتهم ممارستهم بالقدرة على اجتذابهم الى نتاجهم ، وتثقيفهم الثقافة التي تعدّهم لمواجهة المستقبل مسلّحين بكل ما يحتاجون اليه من وعي لادراك مشكلاتهم الانسانية والاجتماعية والقومية ، والسبل الآيلة الى معالجتها وحلها ؛ ومن اللغويين ـ ولا سيما المهتمين بلغة الطفل ـ العارفين بخصائص العربية وأسرارها ، القادرين على امداد حوافظ الناشئة بأصفى أساليب التعبير ، وأكثرها قدرة على صوغ الفكر ، وأبعدها عن متاهات التحذلق والتأنق الفارغ ، العاملين بصدق على تضييق الشقة بين الفصحى الشاملة ارجاء الوطن العربي ، والعاميّات المحلية المحدودة الرقعة ، بتفصيح أساليب هذه الأخيرة ، وتبسيط أساليب الاولى بشكل علمي دقيق يأخذ في الحسبان كل العوامل المساعدة على الصعيدين النفساني والاجتماعي .

٢ ـ لما كان العرب يتطلعون الى جمع شملهم وتوحيد كلمتهم فإن أول المعالم على طريق الوحدة هو تنشئة أطفالهم على هذا الأمر القومي الخطير . ولا بدّ لبلوغ هذا الهدف من الخروج

بالناشئة العربية من حدود وطنها الأصغر (القطر ، بل الجزء من القطر) الى رحاب الوطن الأكبر من المحيط الى الخليج . ولا يمكن أن يتم لنا ذلك الا بتعريفها بهذا الوطن من أقصاه الى أقصاه ، جغرافياً ، مع التركيز على دور المؤثرات المناخية في التباين بالزي والمسكن وبعض التقاليد والعادات ، وعلى الموارد الاقتصادية المختلفة باختلاف المناطق العربية ، ودور هذه الموارد في نموّ الوطن العربي وازدهاره إذا أحسن العرب استغلالها بأنفسهم واقتسام خيراتها فيما بينهم ، وبشرياً ، مع الالحاح على الشيم والمناقب التي تؤلف القواسم المشتركة بين أبناء العروبة كافة ، وتراثاً شعبياً ، مع بيان نقاط التلاقي العائدة الى اشتراك العرب في بعض هذا التراث ، ونقاط التباين الناجمة عن المؤثرات البيئية البحت .

٣ ـ يقرّر علماء النفس أن من تراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة مولعون بالمغامرة والبطولة . وهكذا يصبح المجال رحباً أمام الفريق الساعي الى اسعاد الطفولة العربية ، وتوثيق عرى الوحدة بين افرادها لبلوغ الوحدة الكبرى والاستمرار في تعزيزها حين يشبّون عن الطوق ، لأن يعرّفوهم بأبطالهم القوميين ، وبمشاهير رجال العروبة ونسائها قديماً وحديثاً ، بوصفهم « أجداداً » عرباً ، لا تبعاً لانتمائهم الى احد أقطار العروبة ، أو الى احد اقاليم الوطن العربي . ولا ندّعي أن هذا الاتجاه جديد على الأمة العربية، فأكثر الاطفال والفتيان العرب تعرّفوا ، عبر الكتب المقررة للتدريس ، الى ابطال وبطلات عظام من التاريخ العربي وأحلّوهم من نفوسهم منزلة الاكبار والاعتزاز ، فباتوا جزءاً لا يتجزأ منهم . والذي نتطلّع اليه اليوم هو أن يحل الى جانب أولئك ابطال وبطلات من التاريخ العربي الحديث ، فلا يكون أمثال عمر المختار ، وجميلة بوحيرد ، وجميلة بو باشا ، ابطالاً من « المغرب العربي » ، ولا سعد زغلول ، واحمد عرابي ، وجمال عبد الناصر ، ابطالاً من « مصر » ولا يوسف العظمة ، وابراهيم هنانو ، وجول جمال ، ابطالاً من « سوريا » ، ولا طانيوس شاهين ، وعمر حمد ، وكمال جنبلاط ، ابطالاً من « لبنان » ، ولا حسن سلامة ، وبسام الشكعة ، ودلال المغربي ، ابطالاً من « فلسطين » ، ولا . . . ولا . . . ولا . . . ، وإنما يغدو هؤلاء وغيرهم من افذاذ الأمة العربية رجالاً ونساء ، ملكاً للأمة جمعاء ، يعرفهم اطفالها ، قاصيهم ودانيهم ، ويعايشونهم ، ويفخرون بهم ويتفاخرون ، ويحتذون خطاهم في الجهاد والتضحية والفداء والشهادة لإعلاء شأن الأمة بأسرها .

٤ ـ إنه لما كانت أشكال البيئة العربية متعددة ، فقد كان من الطبيعي أن تتعدد الأسماء بتعدد المسميات ؛ كما أنه لما كانت الاقطار العربية قد عرفت تأثيرات وتداخلات لغوية مختلفة ، بفعل الجوار والتبادل التجاري ، او بفعل الانتداب والاستعمار ، فقد اصبح للمسمى الواحد أسماء تختلف من قطر الى آخر . ومن شأن ذلك بالطبع أن يخل بنظام « الرموز » المشترك ، وأن يؤدي بالتالي الى انقطاع التواصل بين أبناء العروبة في اكثر الأحيان اذا لجأ كل منهم الى راموزه المحلي . فالمعروف أن التواصل لا يمكن أن يتم بين شخصين الا اذا كانا متفقين سلفاً على العلاقة القائمة بين الدالّ والمدلول عليه ، والمتمثلة في « الراموز » المتواضع عليه منها . كما أنه

من بديهيات الامور أن يستحيل ارتسام صورة منضدة مثلاً في مخيلة طفل عربي من لبنان اذا سمع طفلاً عربياً من مصر يقول « تربيزة » ، وآخر من العراق أو الخليج يقول « ميز » ، لأنه لا يعرفها إلا باسمها المألوف في قطره : « طاولة » . وأن يستحيل تصوّر « البطيخة » مثلاً اذا سميّت « دلّاعة » كما يطلق عليها في معظم أقطار المغرب العربي ، أو « رقيّة » (بتحويل القاف الى جيم قاهرية) ، كما تسمى في العراق وبعض بلدان الخليج العربي .

ولا شك أن تعريف الاطفال العرب بمختلف اشكال البيئة في الوطن العربي الاكبر ، والحرص على اختيار أبسط المفردات وأفصحها لهذا التعريف ، وما يتفرع عنه من تعريفات بمحتويات كل بيئة ، عن طريق ربط الأشياء بأسمائها في اللغة النموذجية المشتركة ، من شأنه أن ينتقل بدلالة الاسماء على المسميات من نطاق « الخاص » - أي المحلي والاقليمي الذي سيبقى قائماً بطبيعة الحال تبعاً لمنطق الأمور - الى رحاب « المشترك » الذي سيؤلف فيما بعد « الراموز » الشامل المساعد على تسهيل التواصل بين أبناء الأمة قاطبة ، والقضاء من ثم على الحواجز اللغوية التي يحسّ معها العربي ، طفلاً ، أو يافعاً ، أو راشداً ، بالغربة تجاه شقيقه العربي اذا ما لجأ كل منهما الى راموزه وقاموسه المحليين .

٥ - على العاملين في سبيل اعداد الناشئة العربية اعداداً وحدوياً الا يقصروا جهودهم وبحوثهم على الأدب المكتوب ، من قصص ومجلات وموسوعات ورسوم مرفقة بالكلام ، بل عليهم أن يتجاوزوا ذلك الى كل ما فرزته التكنولوجيا الحديثة في حقل الوسائل السمعية - البصرية ، من شرائح تعكس على شاشة خاصة ويعلّق على ما تقدّمه من مشاهد وصور ، واسطوانات وأشرطة مسجل عليها الاغاني والاناشيد ، وأخرى بأشرطة « الفيديو » . . . الخ . ولقد كنا في لبنان نحفظ ونحن صغار ، كما كان يحفظ اترابنا في سوريا وفلسطين ، اناشيد طالما نفحتنا بعزة قومية أصيلة ، لعلّ أشدها توافقاً مع المقام الذي نحن فيه الآن نشيد مطلعه :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن الى مصر فتطوان
فلا حدّ يباعدنا ولا دين يفرّقنا
لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان ... الخ

وذلك في زمن لم تكن فيه التكنولوجيا قد بلغت ما بلغت ، فكيف بأطفالنا اليوم - والوسائل التي ذكرناها كثيرة ونعمها جليلة - اذا عممنا عليهم مثل هذه الأناشيد ، وغيرها من صنوف الابداع الفني ، مداميك أولى في صرح الوحدة الكبرى ؟

٦ - التعليم شرط أساسي لاقبال الطفل على المطالعة والاستفادة من مختلف وسائل المعرفة . وهو الى جانب رفع مستواه الفكري يقرّب تعبيره درجات من مستوى التعبير الفصيح . وعلى العاملين في سبيل التعريب ، وشد أواصر العروبة ، وتوحيد أبنائها ، ألا يدعوا وسيلة لاقناع أولي الشأن في كل جزء من أجزاء الوطن العربي بضرورة تعميم التعليم وفرضه حتى المرحلة المتوسطة (الاعدادية) على اقل تقدير . فلا يعقل أن يرسخ الشعور بالانتماء الى الوطن الاكبر ،

والولاء له ، الا اذا تعهدناه منذ نعومة الأظفار ، ولا يمكن هذا التعهّد الا بالتعليم والتربية . ولعل تشرذم أبناء العروبة ما كان ليحدث لو لم تستمت قوى التسلط الغريبة في تجهيلهم ، بسلبهم حقاً من أقدس حقوق الانسان ، حق التعلّم ، وتشجيع اللهجات المحلية ، علاوة على المحاولات الباغية لسرقة اللسان العربي من ابنائه في بعض أجزاء الوطن(٢) .

ثانياً : الاعلام العربي

بات الاعلام بشتى فروعه ، كما هو معروف ، من أقوى الدعائم لتشكيل الفكر القومي ، وتعميق الشعور بالولاء للأمة والوطن ، الى جانب انه من أهم العوامل على نشر الثقافة والمعرفة ، ووسيلة من وسائل التسلية البريئة ونشدان راحة النفس والاعصاب من عناء العمل وظروف الحياة الحديثة . ويشمل هذا الاعلام ، كما هو سائد ، الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح ، الى جانب الصحافة . ولا تشكل هذه الأخيرة بالنسبة الى الوحدة الثقافية واللغوية عقبة تذكر ، لاختيارها اللغة النموذجية المشتركة ، مع تباين طفيف في بعض الصيغ والعبارات من قطر الى آخر ، ولاعتمادها ، منذ اطلالتها على الوطن العربي مع فجر النهضة الحديثة ، أسهل الاساليب وأقربها الى متناول أعرض الجماهير العربية . كما أن الاذاعات العربية تواضعت على اخراج معظم برامجها بالفصحى المتداولة اليوم بين الناس ، أي اللغة التي يمكن أن يطلق عليها بحق اسم « العربية المعاصرة » ، والتي اثبتت قدرتها على الاستجابة لمطالب العصر ، وطواعيتها في تلبية كل ابداع مستجدّ . ولا يحق لأحد بالطبع أن يطالب هذه الاذاعات بالتخلي عن بعض برامجها المذاعة باللهجة المحكية المحلية ، لان مثل هذه المطالبة تعني القضاء على الازجال والاغاني والاهازيج الشعبية ، وعلى صور من الفلكلور لا يجوز طمسها بحال من الأحوال ، بل يجب على العكس تشجيعها وتنشيطها ، شريطة عدم طغيانها على سائر اشكال النتاج الفكري العربي .

وجلّ ما يطالب به الاذاعيون العرب في هذا المقام أن تتضافر جهودهم لانتاج برامج تصور بعض جوانب الحياة في شتى أقطار العروبة ، والواناً من الفلكلور المحلي ، بلغة فصحى سهلة ، يتم تبادلها وتداولها بين الاذاعات العربية المختلفة ، فيتسنّى لسكان القطر الذين لا تبلغهم أمواج اذاعة منها أن يتعرفوا الى أحوال اخوانهم في القطر الذي تنتمي اليه هذه الاذاعة أو تلك . وقل الأمر نفسه في البرامج التلفزيونية التي باتت تستغرق جزءاً لا يستهان به من حياة الانسان اليومية .

وأما السينما والمسرح العربيان فشأنها مختلف تماماً عن شأن سائر فروع الاعلام . ذلك أن

---

(٢) استفدنا بعض الآراء الواردة في هذه الفقرة من البحث من دراسة : عبد الرزاق جعفر ، ادب الاطفال (دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٧٩) .

نشأتها في الوطن العربي ـ وعلى الأخص في القطر المصري ـ قد تمّت في زمن كانت فيه الأمية هي السائدة ، بينما كان العلم وقفاً على قلة قليلة من الناس . ولم يكن في الامكان بالطبع المغامرة بنتاج سينمائي مفروض فيه أن يتوجه الى أوسع الجماهير ، بلغة لا تتداولها هذه الجماهير في حياتها اليومية والعامة ، وذلك لأمور لعل أهمها العامل الاقتصادي . فالمفترض في الشريط السينمائي أن يعود بالربح والفائدة على المنتج والمخرج وصاحب الصالة ، أو عدم تعريضهم للخسارة على الأقل . وبديهي أن بلوغ هذا الهدف لا يتأتى الا عن طريق تأمين دخل محترم من شبابيك التذاكر بصالات العرض ، أي باقبال اكبر عدد من المشاهدين . وليس هؤلاء بالطبع سوى عامة الناس ، غير المتعلمين على الأغلب ، الذين لا يمكنهم أن يتفاعلوا بيسر ، وبشكل عفوي ، مع أحداث من الحياة ، ونماذج من البشر يتحدثون بلغة تكاد تكون غريبة عنهم ، ولا سيما اذا امعنت في استخدام الاساليب السائدة في تلك الايام ، وهي اقرب ما تكون الى المحنّطات .

وما يقال عن السينما ينطبق الى حد كبير على المسرح . فكلاهما يفترض في المشاهد أن يعيش ما يقدم اليه من صور ووقائع وكأنه أحد أبطال الشريط السينمائي أو المسرحية . ومن الطبيعي جداً ألا يتيسر له ذلك عبر لغة كثيراً ما يقف عاجزاً عن حل رموزها لأنه لم يتلق قسطاً من التعليم يعينه على ذلك . واذا حدث أن بعض الأقطار العربية يفتح صدره اليوم للسينما والمسرح المنتجين باللهجة المصرية (القاهرية في أغلب الاحيان) ، فذلك ناتج عن غزوهما أجزاء من الوطن العربي في زمن مبكر ، واعتياد الناس رموز تلك اللهجة واستقرارها في حوافظهم بالحدس والربط بينها وبين الحركات والافعال المرافقة لها بادىء الأمر ، ثم عن طريق اتضاح دلالاتها اكثر فأكثر بفعل التكرار . نقول ذلك مع التأكيد بأن عدداً من رموز اللهجة المصرية يبقى في عداد الطلسمات بالنسبة الى غير أبناء القطر المصري ، حتى أولئك الذين طالت الفتهم للسينما والمسرح المصريين .

واليوم ، وبعدما زادت نسبة المتعلمين في الوطن العربي (نرجو أن يكون اليوم الذي لا يبقى فيه أمّي واحد على وجه الأرض العربية قريباً) ، بات من الملحّ البحث عن عربية مشتركة للسينما والمسرح . ولكي لا يتبادر الى الاذهان أن هذه « العربية » المطلوبة لغة جديدة ، أو مصطنعة ، نسارع الى القول أنها ليست شيئاً من ذلك على الاطلاق ، وأننا اذ نقترحها فمستندين الى اكثر من دعامة من دعائم تراثنا الذي نعتز به .

لقد توارثنا عن الاجداد قولهم : « لكل مقام مقال » ، وقرأنا في بعض كتب الأدب واللغة والبلاغة أنه ليس المقصود بـ « الاعراب » ـ وهي ظاهرة لا يمكن لأحد تجاهلها ، أو المطالبة بالغائها ، تحت أي ستار ، لأنها جزء لا يتجزأ من اللغة التي ورثناها معربة كابرا عن كابر ـ أن يؤمّن للمخاطب فهم مراد المتكلم بصورة عامة مطلقة ، كما يطيب لبعض النحاة أن يفعلوا ، وانما تأمين هذا الفهم في المواضع التي يخشى معها اللبس . وها هو ذا ابن الاثير ـ وهو من هو في لغة والبيان ـ يقول في كتابه « المثل السائر » ان المتكلم لو قال للمخاطب : « إن تقوم أقوم » ،

ولم يحذف « الواو » من الفعلين ، أو قال : « جاء زيد راكب » ، ولم ينوّن « زيد » تنوين الرفع ، ولا « راكب » تنوين النصب ، او قال : « ما في السماء قدر راحة سحاب » ، ولم يقم الاعراب في أواخر الكلمات ، ولا سيما تنوين النصب في « سحاب » ، لما استغلق المراد على المخاطب ، ولفهم القصد من الكلام . لكن المتكلم إن لم يقم الاعراب في « زيد » بالرفع والنصب والجر ، وفي « أحسن » بالبناء على الفتح وبالرفع ، في الصيغ الثلاث : « ما أحسن زيد » التي تدل أولاها على نفي الاحسان عن زيد ، وثانيتها على التعجب من حسنه ، والثالثة على التساؤ ل عن أحسن ما فيه ، وقع اللبس ولم يتسنّ للمخاطب تمييز القصد .

وعليه نقول ان اللغة المطلوبة للسينما والمسرح العربيين ، تأميناً لتواصل العرب وتلاقح أفكارهم وتعرفهم بعضهم الى بعض ، ينبغي أن تتوافر فيها المقومات التالية :

١ ـ إن « المقام » (في السينما والمسرح) مقام تفاعل مع أحداث الحياة اليومية يعيشها بشر مثلنا نشاطرهم أفراحهم وآلامهم ، وان « المقال » المطلوب له يجب أن يتجنّب الحذلقة التي من شأنها أن تقيم حاجزاً بين المتكلم (الممثل) وبين المخاطب (المشاهد) يمنع المشاركة الوجدانية ويقضي بالتالي على الهدف المنشود من العرض السينمائي أو المسرحي ، وأن يتحاشى كل لفظ غير مأنوس ولا متداول في الوقت الراهن ، وكل اسلوب لا يمت الى الواقع الحاضر بصلة . المطلوب باختصار « مقال » يحاكي العاميات الشائعة في الوطن العربي من حيث سهولتها واستجابتها الفورية للمواقف الانفعالية ، مع ابتعاده كل الابتعاد عن رثاثتها وعجزها عن اداء الرسالة الا الى نفر محدود من ابناء الأمة .

٢ ـ إن الاعتدال في اقامة الاعراب في أواخر الكلمات ـ الا في المواضع التي تسهّل فيها حركة الاعراب النطق ، كما في الاضافة الى المعرّفات بـ « الـ » والمفردات المبدوءة بهمزة الوصل مثلاً ، وهو ما يعرف بـ « منع التقاء الساكنين » ـ من شأنه المساعدة على رشاقة العبارة ، واختصار زمنها ، وهما أمران مطلوبان في المقام الذي نحن بصدده ، مقام التفاعل الآني البعيد عن كل كدّ للذهن في البحث عن تسلسل الروابط اللغوية ، كما هي الحال في الأدب المكتوب .

٣ ـ يجب أن ينصبّ الحرص على اقامة الاعراب داخل الكلمة للتمييز مثلاً بين « أخرج » المعلوم وصنوه المجهول ، و « ينزل » من الثلاثي وصنوه من الرباعي ، و « مكرم » المبني للفاعل والآخر المبني للمفعول. . . الخ. نظراً لما لهذا الاعراب الداخلي من أهمية في بيان المعاني المقصودة .

٤ ـ يمكن أن تكون نبرة الملفوظ بديلاً من الاعراب المتمثل في حركة آخر الكلمة . فمما لا ريب فيه أنه لا مجال للبس بين « ما أحسن زيد » التي للتعجب من حسنه ، والاخرى التي هي للسؤال عن أحسن ما فيه ، اذا لفظت كل منها كما ينبغي لها أن تلفظ . ثم ان اللغة لا تعدم وسيلة للتعبير عن نفي الاحسان عن زيد بغير صيغة « ما أحسن زيد » ، وذلك بتقديم « زيد » هذا الى أول العبارة ، أو باختيار اداة للنفي غير « ما » .

٥ ـ إن من شأن الواقع الحي الناشىء عن الحركات والمواقف المرافقة للكلام الدائر أن يختصر كثيراً من عناصر العبارة ، ويختزل الصيغ الى أبسط الاشكال (كلمة أو كلمتان احياناً) . فالاشارة الى شيء او مدّ اليد به يقوم بهما ممثل قبالة ممثل آخر يعنيان « خذه » من غير حاجة الى لفظ الفعل . كما ان نبرة الصوت المرافقة للفظ الكلمة الواحدة تدلّ دلالات متنوعة ، وتغني من جهة ثانية عن كلمات اخرى كان يجب ان تلازمها لو كان المقام غير المقام .

وغني عن البيان أنه ينبغي أن تسبق مثل هذه التجربة (التي نرجو مخلصين ألا ينظر اليها بعين الريبة ، وألا تقابل بالانفعال والافكار المسبّقة ، والتي لا تتنافى في اعتقادنا ونقاء الفصحى وبقاءها اللغة القومية الحية ما دمنا نحرص على تعليمها بالطرق السليمة لغة قراءة وكتابة كاملة الاعراب ، مستقيمة التركيب ، بل هي على العكس من ذلك تدعم الفصحى وتشدّ أزرها لانتزاعها حيزاً رحباً من النشاط الفكري والابداعي من براثن اللهجات المحلية) أبحاث لغوية رصينة تكتنه أسرار العربية ، وتقف على خصائصها في موافقة مقتضى الحال ، مسترشدة بآراء أهل الاختصاص في شتى الميادين النفسانية والفنية والتقنية ، لتتكامل الجهود ، وتؤتي التجربة أطيب الثمار والأكل . ولا ريب أن مثل هذه الابحاث كفيلة باحصاء كل صعوبة قد تخطر على بال ، وتعجز مثل هذه العجالة عن وصف الحل الناجع لها ، وقمينة بتذليل كل ما يعترض هذا الاقتراح من عقبات .

ثالثاً : مشكلات أخرى

لعل من تحصيل الحاصل القول ان الجهود الرامية الى توحيد العرب بتوحيد لغتهم اكثر من أن تحصى . كما ان الأبحاث الدائرة في هذا الفلك اكثر من أن يحاط بها في دراسة عجلى كهذة الدراسة[٣] . ولكن السمة الغالبة على ما يعرف بـ « التعريب » هي محاولة الحد من فوضى المصطلحات العلمية والتقنية الناجمة عن نقل العرب ما جدّ في العصر الحديث وما يجد كل يوم ، بسرعة مذهلة ، من مكتشفات ومفاهيم في حقلي العلوم الصحيحة والانسانية ، والعمل على توحيد هذه المصطلحات لخلق لغة علمية عربية يستوي في فهم رموزها ودلالاتها القاصي والداني من أبناء العروبة . وتلك جهود مشكورة لعمر الحق أجزل الشكر . واذا كنا نلفت الأنظار الى بعض المشكلات اللغوية بعيداً عن قضية « المصطلحات » ، فلاعتقادنا بمساس الحاجة اليها مساسها الى الابحاث الدائرة اليوم ، ولأنها في صميم « الوسائل التي تنقص التعريب ليصبح مواكباً لمتطلبات العصر والدور الذي يمكن أن يؤديه في دعم الوحدة العربية » ، كما هو ملحوظ في جردة الأبحاث المطلوبة في هذه الندوة .

---

(٣) من المفيد جداً في هذا الصدد الرجوع الى دراسة : محمد المنجي الصيادي ، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠) .

ولعلنا لا نذيع سراً إذا أكدنا أن المصطلح الجديد لا تكتب له الحياة الا بالاستعمال والشيوع ، وأنه لكي يتم استعماله لا بد أن يتقبله المستعملون بقبول حسن . ولا يمكن أن يكون قبول ما لم يكن المصطلح محدداً تحديداً دقيقاً بثلاثة امور رئيسية هي :

١ ـ الجذر الذي منه اشتق أو ارتجل ، والذي يتضمّن الشحنة الدلالية الأساسية .

٢ ـ الصيغة التي سكبت فيها مادة الجذر ، والتي تنتقل بالدلالة من المطلق العام الى المعين الخاص .

٣ ـ الزوائد التي قد تتعدى حدود الصيغة المألوفة لتزويد الدلالة بقدر جديد من التخصيص .

ولا يتيسر ذلك الا اذا سبقته أبحاث تهدف الى تحقيق الأمور التالية :

أ ـ تحديد دلالة الألفاظ ـ ولا سيما في المجالات التي ثبتت الحاجة الى العناية الفائقة بها ـ بدراستها دراسة علمية دقيقة ، تعضدها الوسائل التقنية والتكنولوجية الحديثة ، في مختلف سياقاتها اللغوية . فلا وجود للدلالة في المطلق ، ولا معنى للفظة في الفراغ ، وإنما يتحدد معناها ، او معانيها وظلال تلك المعاني ، في اطارها الطبيعي المتمثل في سياق العبارة أولاً ، ثم في سياق الموضوع العام الذي فيه استخدمت .

ب ـ الوقوف على ما تطور من الدلالات ، وما احتفظ منها باطاره الثابت كلياً أو جزئياً ، بدراسة مختلف النصوص دراسة تاريخية تتناولها في شطائر زمنية تتقارب أو تتباعد تبعاً لمنطلقات محددة تشكل عوامل تطور اجتماعي او فكري أو سياسي .

ج ـ استغلال الابحاث والدراسات المذكورة لوضع « معجم تاريخي » مؤيد بالشواهد والنصوص وشتى الاستعمالات عبر حقب زمنية معينة يأخذ بأيدي طلاب العربية والمشتغلين بتنميتها واغنائها على كل الصعد ، ويساعدهم على اكتناه دقائق الدلالات ، ويبلّغهم اهدافهم في ابقاء لغتهم القومية حية وقادرة على مسايرة حاجات العصر ، والاستجابة لكل ابداع ، باستخدام هذه اللغة استخداماً صحيحاً لا يترك مجالاً لحيرة أو لاحساس بالتردد او القصور او العجز .

وتقودنا مشكلة المصطلح العلمي الى مشكلة اخرى لعلها اكبر وأعقد ، وإن كانت تحتجب أو تكاد وراء الحاح الاولى وبروزها باستمرار تحت ضغوط تسارع الاكتشافات العالمية ، واحساس العرب بضرورة اللحاق بركب الحضارة الانسانية الشاملة ، عنينا مشكلة النقول من لغة ، أو لغات ، لها خصائصها التركيبية التي تختلف جزئياً أو كلياً عن خصائص العربية ، والتي قد يؤدي عدم الوقوف عليها الى معضلات دلالية ، بل الى عكس الدلالة المرادة في بعض الاحيان . وقد حدث مثل هذا الامر منذ مطلع النهضة الحديثة الأولى ، فتأثرت العربية بأساليب لا تمت الى أساليبها بسبب . ولا نعني بهذه الاساليب « التعابير المستعارة » من مثل (ذر الرماد في

العيون) و (الاصطياد في الماء العكر) . . . الخ فهي من قبيل المقترضات بين الأمم التي بلغت مستويات متقاربة من الرقي الفكري والحضاري ، واتسعت لغاتها ورقيت تبعاً لذلك ؛ وانما نعني طرائق نظم الكلام التي تختلف من لغة الى لغة ، والتي يفضي الجهل بها الى خلل في بلوغ الرسالة الى المرسل اليه لاختلال « الراموز » المتواضع عليه تلقائياً بين أبناء اللغة الواحدة .

وان المطالع اليوم للنتاج العربي في الحقول التي ذكرناها آنفاً يكاد يحسّ بالغربة إزاء « اللغة » التي بها كتب معظم هذا النتاج ، لا لجهله بالمصطلحات الجديدة وحسب ، وإنما للاختلال الذي أشرنا اليه أعلاه ، والذي يتمثل في نقل الصيغ الأجنبية بعجزها وبجرها ، وبغض النظر عن مطابقتها او عدم مطابقتها للصيغ العربية. واذا كان للعلوم الصحيحة والمعادلات الرياضية والفيزيائية والكيميائية لغتها وأساليبها التي هي اقرب الى اساليب البرقيات ولغتها ، فإن العلوم الانسانية تحتاج الى دراية باسرار اللغة لا تقل عن الدراية المطلوبة في مجال الأدب نفسه . ولذا فإنه لا يكفي أن يكون الناهد للكتابة في فرع من فروع هذه العلوم باللغة العربية متضلّعاً من المادة التي تدور عليها دراسته ، بل ينبغي أن يكون قادراً على نقل دقائق هذه المادة بأمانة تامة الى القارىء العربي. ولا تتوفر له هذه الامانة التي يحرص دون ريب على التحلي بها الا اذا كان يملك أولى أدواتها ، عنينا التعبير الصحيح الميسور فهمه لكل متعلم طامع في زيادة نفسه علماً ومعرفة .

ولعل الطريق الأوحد لبلوغ هذا الهدف هو قيام أبحاث علمية دقيقة تتناول بالدرس والتمحيص خصائص العربية في ضوء« علم اساليب اللغة » القائم على مبدأين اساسيين :

١ ـ « الابلاغية » التي تتضمن كل ما يتجاوز حد الكلام الموضوعي والذهني ، وحدود نقل الوقائع والافكار ، باللجوء الى عوامل تعبيرية معينة ، منها ابراز عنصر من عناصر الكلام بالتقديم او التأخير ، وتساوق العبارة ، وجرسها ، ونبرة الملفوظ ، واستخدام القيم العاطفية ، والاخرى التي تستدعي الى الذهن صوراً معينة ، كالاستعارة من سجل أدبي خالد ، أو من الامثال السائرة ، أو من الأدب الشعبي .

٢ ـ الخيار الاسلوبي المتمثل في اباحة اللغة صيغتين او اكثر للتعبير عن الفكرة الواحدة ، وتمكين المستعمل من انتقاء انسب تلك الصيغ لنقل فكرته الى المخاطب وأشدها حفولاً باللطائف والدقائق .

ومن شأن هذه الدراسات أن تتيح الوقوف على عدة امور أهمها :

ـ احصاء القيم الابلاغية والاخرى المستدعية للصور داخل عنصر اسلوبي معين في حقب زمنية شتى (الصيغ البلاغية مثلاً في الدراسات الاسلوبية التقليدية) .

ـ ما قد يكون أصاب الصيغ العربية على مر العصور من تطور ، هذا التطور الذي تكاد تطمس معالمه الدراسات النحوية التقليدية المتمحورة حول اجازة النحويين أو منعهم صيغة من

الصيغ ، أو ترجحهم بين الاجازة والمنع في ظاهرة من الظواهر التركيبية ، كالفصل مثلاً بين المضاف والمضاف اليه بعنصر كلامي .

ـ الجملة العربية والمواضع التي لا يجوز فيها التصرف بطريقة نظم عناصرها ،لاخلال هذا التصرف بالسياق ، واعاقة الوقوف على المراد منه ، نظراً لتعثّر الرسالة في الوصول الى المرسل اليه . والمقصود من ذلك كله تحاشي الاستعمالات الغريبة التي قد ترشح الى العربية بفعل النقول من اللغات الاجنبية ، أو بسلطان من أساليب تلك اللغات على المتمرس العربي بعلم من العلوم المكتوبة بها حين يطمح الى الكتابة في هذا العلم بلغته القومية التي يفترض فيها أن تبلغ الرسالة نفسها الى كل فرد من افراد الأمة ، بغض النظر عن معرفته او جهله باللغات الأخرى .

ـ المواضع التي يساعد التصرف فيها على تسريع وصول الرسالة الى جميع المرسل اليهم بالنسبة نفسها ، وتمكينهم بالتالي من التمتع بخيراتها ، وتوسيع دائرة معرفتهم وثقافتهم بثمارها الشهية الجديدة .

خاتمـــة

وبعد فإننا نكرر القول بأن ما سقناه في هذا العرض لا يحيط بجميع أدوات التعريب ووسائله ، بل يقدم نماذج لتلك الادوات والوسائل نعتقد أنها تساعد على تعزيز الوحدة اللغوية بين ابناء العروبة والناطقين بالعربية ، وهي وحدة نرى مخلصين أنها اول المعالم على طريق الوحدة القومية الشاملة ، أمنية كل عربي صادق الشعور ، صافي الانتماء ، علماً بأن « العامل اللغوي » كان وسيبقى أنجع الوسائل وأضمنها في قيام مجتمع متماسك يشعر كل فرد من افراده بالولاء له بشكل عفوي ، وبلا دافع من منفعة أو مصلحة .

تعقيب ١

عبد العزيز بنعبد الله(*)

لقد استخدم د. دمشقية في بحثه القيّم مصطلح (التعريب) للدلالة على مفهوم لم نعهده من قبل ولم يتواضع عليه العرب في استعمالاتهم اللغوية منطوقة او مكتوبة، فلقد حصرنا لمصطلح (التعريب) دلالات اربعاً : اولاها ، ما يستعمله المصطلحيون حين يتحدثون عن اللفظ (المعرّب) اي المفرد الاجنبي المنقول الى العربية بلفظه ومعناه دون شكله المكتوب . وثانيتها ، ما يظهر احياناً في الكتب المترجمة من استعمال كلمة (التعريب) كمرادف لكلمة (ترجمة) فيقال الكتاب الاجنبي من تعريب الاستاذ فلان . وثالثتها ، استخدام اللغة العربية في الادارة والتعليم في قطر بدلاً من لغة اجنبية كما هو الحال في تعريب الدواوين ايام الخليفة عبد الملك بن مروان ، وما نأمل أن يتحقق في القريب العاجل في بعض الاقطار العربية . ورابعتها ، تعريب الامصار والقبائل اي جعل استخدام اللغة العربية وسيلة تواصل حضاري وثقافي .

أما الدكتور دمشقية فنستشف من عنوان بحثه ومضمونه انه استخدم (التعريب) للدلالة على تنشيط لغة عربية فصيحة مشتركة (او ما سمّاه بـ « الراموز » المشترك) وتعميم نشرها في الوطن العربي لمعالجة ظاهرتين لغويتين يطلق عليهما علماء اللسانيات الاجتماعية اسم (الازدواجية) . وهاتان الظاهرتان هما اولاً : تعايش اللغة العربية الفصيحة في كل قطر مع لغة عربية عامية بصورة تكاملية اي ان لكل منهما استخداماتها الخاصة في المجتمع اللغوي . وثانياً ، تعدد العاميات في الوطن العربي .

ونحن نتفق مع الباحث الفاضل في كثير من الوسائل التي ذكرها في سبيل تعميم اللغة الفصيحة المشتركة في الوطن العربي «تسهيلاً لتواصل افراد الامة العربية فيما بينهم ، وشحذاً لاحساسهم

(*) نظراً لعدم تمكن د. عبد العزيز بنعبدالله من الحضور ، قدم هذا التعقيب د. عبدالكريم خليفة نيابة عنه . (المحرر)

بالانتماء والولاء لمجتمع لغوي واحد ، لانه امتن اشكال المجتمعات » كما يؤكد الباحث . ولنا ملاحظات نسوقها هنا .

أولاً : نطمح دائماً الى ارتكاز المقالات على بحوث تجريبية موضوعية او دراسات احصائية واضحة ، لكي تكون نتائج هذه المقالات اقرب الى الصواب وتوصياتها اكثر فائدة ، لا ان تقدم نظرات عامة بعضها جرب وصحح وبعضها لم يجرب . فعندما نتحدث مثلاً عن اللغة التي تستخدمها الاذاعات العربية ، لانستطيع أن نجزم بأن « معظم برامجها بالفصحى » ما لم نقم بدراسة احصائية لهذه البرامج والمدة التي يستخدمها كل برنامج . فقد وجد باحث آخر قام بمثل هذه الدراسة الاحصائية ان « معظم برامج الاذاعات في ثلاثة اقطار عربية تستخدم العامية بدلاً من الفصحى»[١] فهي كثيراً ما تستخدم العامية في الاغاني والبرامج المهنية للفلاحين والعمال ، والمسرحيات والتمثيليات الاذاعية، والبرامج الفولكلورية . ويكاد يقتصر استعمال الفصحى على البرامج الدينية والنشرات الاخبارية ، والتعليقات السياسية .

ثانياً : عندما نتحدث عن تيسير اللغة الفصحى في السينما والمسرح لتكون قريبة من افهام عامة الناس ليتفاعلوا معها بيسر ، ينبغي أن لا يغيب عن اذهاننا التمييز بين نوعين من القدرة اللغوية[٢] لدى الناطقين باللغة هما : القدرة الاستيعابية والقدرة التعبيرية . وتشير القدرة الاولى الى قابلية الناطقين باللغة رغم ضعف مستواهم الثقافي بل أمّيتهم احياناً على فهم اللغة منطوقة او مكتوبة ولو بصورة اجمالية . اما القدرة التعبيرية فهي قابلية الناطقين باللغة على التعبير بتلك اللغة شفهياً او تحريرياً. وقد تختلف القدرة الاستيعابية عن القدرة التعبيرية لدى الفرد الواحد . وبصورة عامة يتفق الباحثون على ان عامة الناس في الوطن العربي تتوافر لهم قدرة استيعابية للغة العربية الفصحى على الرغم من عدم تمكنهم من التعبير بها بصورة صحيحة او طليقة ، وذلك راجع الى أن متطلبات القدرة التعبيرية اكثر واصعب من متطلبات القدرة الاستيعابية ، والى وجود مناطق التقاء واتفاق تتفاوت كمّاً وكيفاً من لهجة الى اخرى بين الفصحى والعامية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . ولهذا كله فنحن لا حاجة بنا الى تحمل مشاق تبسيط اللغة الفصحى ومخاطره ، لأنه لعامة الناس القدرة على فهم اللغة الفصحى المعاصرة . فالرجل العامي المغربي يستمع مثلاً الى اذاعة القاهرة ويفهم مجمل الكلام وفحواه .

ونحن لا نحبذ الارتكاز على التيار الشعبي الجهوي في التعبير عن مفهوم بلغة مبسطة بدعوى الواقعية ، فهذا معناه دعم الاشتراكية في اللهجات ، وانما نقر بوجود واقعية اقليمية وواقعية مشتركة ، وندعو الى الارتفاع من الواقعية الاقليمية الى الواقعية المشتركة انطلاقاً من بساطة المصطلح دون تعميق الجانب الفني زيادة عن الحد الطبيعي المشترك .

---

(١) علي القاسمي ، « تقارب الفصحى والعامية في الوطن العربي ،» ورقة قدمت الى : مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية الاجتماعية ، ندوة الالسنية واللغة العربية ، تونس ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٨ .

(٢) حول هذا الموضوع ، انظر مثلاً مؤلفات نعوم تشومسكي وخاصة :

Naom Chomsky, *Language and Mind* (New York: Harcourt, Brace and World,([1968]).

ثالثاً : عندما نتحدث عن تيسير العربية الفصحى ، ينبغي أن نقترح خطة عمل واضحة تتبناها المجامع اللغوية العربية ويطبقها الكتّاب والمؤلفون ورجال الاعلام . وفي نظرنا ان عناصر الخطة المقترحة ترتكز على اسس ثلاثة هي :

١ ـ الاقتصار على استعمال ما هو فصيح مفهوم في عمومه او اجماله من قبل الشعوب العربية .

٢ ـ عدم استعمال ما له طابع اقليمي عميق .

٣ ـ احياء كل كلمة عامية لهااصل فصيح والعمل على تعميمها قومياً .

رابعاً : لا شك ان الاطفال يشكلون اجيال المستقبل الذين يستخدمون اللغة العربية الفصيحة اساس وحدتنا العربية وركنها المكين . وينبغي الا يغيب عن اذهاننا أن مشكل تلقين الاطفال بلغة فصيحة مشتركة هي مسألة ذات علاقة بتوحيد المصطلح الحضاري العربي وهي في شقها الاكبر مسألة محلولة تلقائياً عن طريق توحيد المؤسسات المختصة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مثال ذلك توحيد المصطلحات في خصوص الانسان وعلم الحساب ودروس الاشياء التي تنتقى منها المصطلحات العلمية في المستوى الابتدائي ، وكذلك المستوى الثانوي . والمفهوم الحضاري هنا ينصبّ على غالب المصطلحات التي تشكل القاموس الاساسي للطفل في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية . يبقى عنصر محدود له تقنية ادق لا يدخل في صلب المستويين الابتدائي والثانوي وانما يبدأ مع التعليم العالي اي مع التخصص . وهذا العنصر لا علاقة له بموضوع ادب الاطفال .

وختاماً لا يسعني الا أن اشيد ببحث الاستاذ الدكتور عفيف دمشقية لسلاسة عرضه ووضوح افكاره ومساهمته الايجابية في حركة تعميم اللغة الفصيحة المشتركة في جميع انحاء الوطن العربي .

تعقيب ٢

اسامة أمين الخولي

كاتب التعقيب ليس من علماء اللغة ، وان كان واحداً ممن درجوا على حب العربية ، وسعدوا بتحقيق قدرة متواضعة ، على التعبير عن فكره ومشاعره بها . وهو يودّ من هذا المنطلق ، ان يطرح وجهة نظر شخصية في قضية التعريب والوحدة ، لأنها وثيقة الصلة بهذا البحث ، بل وبكل موضوع الندوة .

إنه يشكّ ، بداية ، في أن **اللغة وحدها** ، كفيلة « بخلق المجتمع المتماسك ، الذي يحسّ فيه كل فرد بالانتماء والولاء بشكل عفوي (كذا !) ، وبلا دافع من منفعة او مصلحة » . فالشواهد في العالم من حولنا ، لا تؤيد هذا القول القاطع ، ان لم تنقضه . فاللغة الواحدة ، لم تمنع الرواد الامريكيين من اصل بريطاني ، أن يحاربوا شركاءهم في اللغة لتحقيق استقلالهم عنهم ، ولا هي حققت حلم هتلر في تحقيق الوحدة بين المانيا والنمسا ، ولا هي كانت عنصراً من عناصر تخفيف حدة الصراعات ، ولا اقول منعها ، بين دول امريكا اللاتينية التي تتحدث الاسبانية .

والمعقّب يشكّ بالقدر نفسه في أن تعدّد اللهجات في القطر العربي الواحد ، دع عنك الوطن العربي المترامي الاطراف من المحيط الى الخليج ، يمثل عقبة حقيقية في وجه تحقيق وحدة وطنية قوية وصامدة ، على المستويين القطري والقومي . ويذكر هنا ، على سبيل المثال ، بأن الاتحاد السوفياتي ، متعدد اللغات والحضارات والاجناس ـ وليس مجرد اللهجات ـ حقق صموداً تاريخياً في وجه غزوتين شرستين في التاريخ الحديث ، الحقتا به من الدمار والخراب ما لم تشهد البشرية مثله في هذه الحقبة من الزمن . ولا نريد أن نستطرد فنتحدث عن الهند او الصين .

ولكنه يوافق تماماً على أن اللغة كانت دواماً مسألة جوهرية ، عندما يصبح الامر أمر تأكيد للذات ، وتدعيماً للهوية الحضارية المتميّزة ، لمجتمع يقف في وجه محاولات طمس هويته او قهر ذاته . ولا نتمثل هنا بأحداث وقعت في المغرب العربي في العقود الاخيرة فقط ، بل نذكّر ايضاً

بموقف حركات التحرير والاستقلال في المشرق العربي عندما ارتأت في قرار أن تكون المراسلات الى الاجهزة الحكومية بالعربية (مع غيرها من اللغات اولاً ، ثم وحدها دون غيرها فيما بعد) فكان ذلك نصراً رائعاً لها وهي تقف في وجه محاولات طمس الهوية وقهر الذات . وفي تقدير المعقّب ، ان هذا هو الجانب الاهم في موضوع ندوتنا هذه ، اي دور التعريب في تدعيم الوجود العربي .

ومن ثم ، فإن موضوع البحث يتأثر بهاتين المسألتين اللتين تمثلان قيدين قاسيين عليه . اضف اليهما تصوّراً هو أن « الادوات المواكبة » تضيّق - بحكم التعريف - حلقة البحث أكثر فأكثر . ولا مفر ايضاً ، ونحن نتناول هذه الادوات بالذات من أن نؤكد حقيقة لا مفر من مواجهتها في هذا المجال بالذات لانه شديد التأثر بها . ونعني بها أن المجتمعات العربية ما زالت تعاني بشكل عام تفشي الامية بين افرادها . وهذه حقيقة تضيف - كما سنرى - قيداً رابعاً على امكانات الادوات المواكبة ، خصوصاً المطبوع منها[1] .

يختار البحث ادب الاطفال كأول واحدة من الادوات المواكبة ، وينصرف بحكم الضرورة الى الحديث في مضمونه ، بأكثر مما يتناول جوانبه اللغوية الصرفة . ولا خلاف على أن الاهتمام في أدب الاطفال بتعريفهم « برحاب الوطن الاكبر ، من المحيط الى الخليج .... مع التركيز على دور المؤثرات المناخية في التباين بالزي والمسكن وبعض التقاليد والعادات ، وعلى الموارد الاقتصادية » ، أو « الاهتمام في ادب الطفولة بأبطال وبطلات التاريخ العربي الحديث » ، يحققان وعياً مبكراً في الناشئة بهويتهم العربية المتميزة ، ويقوّي مشاعرهم الوحدوية في سنّ غضة ، خصوصاً اذا أكّدا ادوار هؤلاء الابطال والبطلات في الدعوة الى الوحدة العربية والنضال من اجل تحقيقها . ولا بد هنا من أن نشيد جميعاً بمبادرة مركز دراسات الوحدة العربية في اصدار سلاسل كتب الاطفال عن الوطن العربي وابطاله التي تؤكد هذين المعنيين بالذات .

الا أن توقع البحث أن تؤدي البراعة هنا في انتقاء « اصفى اساليب التعبير واكثرها قدرة على صوغ الفكر » ، أو « أن تعريف الاطفال العرب بمختلف اشكال البيئة في الوطن العربي الاكبر .... عن طريق ربط الاشياء بأسمائها في اللغة النموذجية المشتركة » ، ان توقعه أن يؤدي هذا او ذاك الى القضاء على الحواجز اللغوية التي يحسّ معها العربي بالغربة تجاه شقيقه العربي ، توقع يغلب عليه حسن الظن المفرط والتفاؤل غير المبرر ، اكثر مما تشير اليه الشواهد العملية او التجارب السابقة . ولسنا نتوقع له أن يحقق قدراً ذا قيمة كما يشير اليه البحث .

وعندما يتطرق البحث الى الاداة الثانية ممثلة في مجموعة وسائل الاعلام العربية، فإنه لا يجد مجالاً واسعاً لمزيد من التحسين في عالم الكلمة المطبوعة ، اي الصحافة . ولهذا مغزى واضح أشرنا اليه آنفاً ويحسن تأكيده هنا مرة اخرى ، الا وهو ارتباط قضية انتشار اللغة الواحدة بانتشار

---

(١) يشير البحث الى هذه القضية في ختام تناوله لموضوع ادب الاطفال . ولكن القضية اعم من هذا بكثير ، وتمسّ مجتمع الكبار بأكثر مما تشغل البال بالنسبة للصغار في الواقع العربي الراهن .

التعليم وانحسار الامية وحتى وان بقي ـ على حد تعبير البحث ـ « تباين طفيف في بعض الصيغ والعبارات من قطر الى آخر لاعتمادها . . . . اسهل العبارات واقربها الى متناول أعرض الجماهير العربية » .

ولكن البحث عندما يتطرق من هذا ، الى الاذاعات العربية ، فإنه لا يفرّق بالدقة الكافية بين البرامج ذات الصفة الخاصة ، مثل نشرات الاخبار ، او الاحاديث الدينية او العملية ، والتي تأتي بما يطلق عليه البحث اسم « العربية المعاصرة » ، وهي في حقيقة الامر اللغة « الرفيعة »(heightened language) ، أو لغة المناسبات كما هو معروف في قوانين اللغة ، لا يفرق بينها وبين برامج أخرى موجهة الى جمهور عريض بغية التسلية او الترفيه او الوصول بشكل فعّال الى عقول ووجدان غير المتعلمين . وهذه برامج لا مفر من أن تجيء باللهجة المحكية المحلية . فالقضية أشمل ، واعمق من أن تكون مجرد « القضاء على الازجال والاغاني والاهازيج الشعبية » ، كما يذكر البحث .

ويواجه البحث المشكلة نفسها عندما يتعرض للسينما فيقرّر ، بحق ، ان عامة الناس « غير المتعلمين على الأغلب » لن « يتفاعلوا بيسر وبشكل عفوي مع احداث من الحياة ونماذج من البشر يتحدثون **بلغة تكاد تكون غريبة عنهم** » (تأكيد المعقّب) . ونحن نذهب هنا الى أبعد مما يؤكده البحث من ارتباط الامر بتفشي الامية في المجتمعات العربية ، فنقول ان هذا الامر ينسحب ايضاً على المثقف الضليع في العربية الفصحى وعلى تفاعله « بيسر وبشكل عفوي » مع احداث الحياة ونماذج البشر .

ولكن الامر يختلف عندما نتحدث عن المسرح ، وان كان البحث يرى أن « ما يقال عن السينما ينطبق الى حد كبير على المسرح » . فلا بد أولاً من أن نذكّر بحقيقة تاريخية ، هي أن الوطن العربي ، قد عرف المسرح اول ما عرفه ناطقاً بالفصحى ، يؤمّه المثقفون ، وان استخدام اللهجات الدارجة فيه ، جاء متأخراً ، عندما زادت شعبيته ، وتطرق من عالم المسرحيات المترجمة عن اللغات الاجنبية ، الى تناول قضايا المجتمعات العربية المعاصرة ، اي عندما انتقل من عالم رومانسي غريب ، بعيد ، يتناول قضايا انسانية عامة ، الى واقع محلي مباشر . فلقد اقتضى هذا استخدام اللغة « الرفيعة » في الحالة الاولى واللهجة الدارجة في الثانية . بل ان المسرحية الشعرية عندما ظهرت على المسرح العربي ، كانت بحكم قانون اللغة مكتوبة باللغة « الرفيعة » ، اي الفصحى . وهذا هو الفارق الجوهري بين فن السينما الواقعي في غالبيته ، والمسرح الذي عرف شكلين منفصلين ، انعكسا على اللغة المستعملة في كل منهما . ونستطيع أن نلحظ شيئاً قريباً جداً من هذا في المسرح الاجنبي خارج الوطن العربي في اللغات الاخرى ، اذ تختص اللغة الرفيعة بنوع خاص من المسرحيات وتستخدم اللغات الدارجة واللهجات المحلية في المسرح الواقعي .

ويتطرق البحث ، في سعيه لتحقيق لغة فصحى تستخدم في الادوات المواكبة ، تكون سهلة المنال ، سريعة النفاذ الى العقل ، قادرة على مسّ شغاف الوجدان ، الى مقترحات لها سندها في اصول اللغة وبين علمائها الاقدمين لتبسيط قواعد الاعراب ، وفك اسار التزمت

السائد بيننا اليوم . وهذه محاولة محمودة تضاف الى رصيدنا ، من محاولات اخرى مماثلة دعا اليها في الماضي القريب ، اكثر من واحد من علماء اللغة ومحبّيها ، واكثر من واحد من مجامعها .

ويبقى بعد هذا في ذهن المعقّب سؤال ملحّ ، لعل مناقشات الندوة تجد له جواباً شافياً ، الا وهو لماذا «اذن ، لم يكتب لهذه المحاولات كبير نجاح حتى الآن ؟ وكيف السبيل ، بالتالي ، الى نشر الصالح منها للبقاء ؟ » .

المناقشات

هشام بو قمرة : باختصار كبير اقدم اضافتين الى ورقة الدكتور دمشقية . الاولى هي اننا في تونس ، مثلاً ، كانت عندنا حركة كشفية نشيطة جداً بعد الحرب العالمية الثانية ، وكنا اطفالاً نتعلم فيها أناشيد عربية، بدون تمييز قطري ، اذكر منها ، من الذاكرة :

هوى وطني فوق كل هوى جرى في عروقي مجرى دمي
وفي مهجتي كبرياء الجدود بناة العظائم من آدم

ومنها :

حماة الديار عليكم سلام ابت ان تذل النفوس الكرام

ومنها :

نحن الشباب لنا الغد ومجده المخلّد

هذا كان يحصل بالطبع عندما كنا تحت الاستعمار ، وفي اوج الحركة التحريرية .

الاضافة الثانية تتعلق بلغة مسلسلات الاطفال . يبث عندنا حالياً مسلسل تلفزيوني للاطفال من انجح المسلسلات : « افتح يا سمسم » . وهو يستعمل لغة عربية فصحى مبسطة ، ولا يجد الصغار اية صعوبة في متابعته . وهو مسلسل تجاري ، والتجار كانوا منذ القديم من بين عوامل نشر الحضارة .

فاطمة الجامعي الحبابي : اعتقد ان د. دمشقية طغى عليه الجانب اللغوي في البحث، وكل ما جاء في بحثه اتفق معه فيه انما اعتقد أن ذلك كان على حساب جانب الاعلام ، اي الادوات الاخرى المواكبة . ولست ادري الى اي حد يمكن أن يلاحظ هذا. ثم بالنسبة لأدب الاطفال

فإن لي تجربة تبرهن على ان ما قاله كله صحيح . ولكن يجب المزيد من العناية في تبسيط المفردات وتوحيدها .

انا شخصياً اقرأ ادب الاطفال الصغار هنا في تونس وهو انشط منه في المغرب ، فلا افهم كيف يستطيع ان يفهمه الصغير ويرفض الا ان يقرأ باللغة الفرنسية .

ثم هناك نقطة اخرى . ولست ادري الى اي مدى ستوافقون على انه كان من الممكن أن يدرج النص بين وسائل التعريب الاهتمام بقطاع السياحة فقطاع السياحة يجب المزيد من استغلاله في نشر العربية وشد روابط العرب فيما بينهم بالاحتكاك المباشر على ارضية الاقطار العربية وذلك :

١ ـ بالاهتمام بالمصطلحات المتداولة في هذا الميدان وتقريب بعضها من بعض ، سواء داخل الاقطار العربية او خارجها ، حتى نستطيع ان نأكل باللغة العربية ولا نضطر ان نأكل باللغة الفرنسية او اللغة الانكليزية في كافة اقطارنا العربية .

٢ ـ تحسين ظروف السياحة وتيسير وسائلها لاجتذاب ابناء الاقطار العربية نحوها ، وذلك بقصد المزيد من التعرف المباشر ، بدل التمادي في توجيه انظارنا او انظار شعوبنا سياحياً الى الاقطار الاجنبية، وعدم التلكؤ في تبادل الزيارات بين هذه الاقطار . وشكراً .

شاكر مصطفى : ايضاح صغير هامشي اود تقديمه تعليقاً على كلام الدكتور بوقمرة حول مسلسل « افتح يا سمسم » . فهذا المسلسل ليس بعمل تجاري اطلاقاً ولكنه علمي تربوي لم يظهر الا بعد دراسات علمية (تربوية ولغوية وسيكولوجية واجتماعية) طويلة باهظة التكاليف جداً . واشكر الدكتور بوقمرة على اثارة الموضوع فلقد كان في خاطري ان اتحدث عن هذه التجربة وان اقدمها ، بقدر ما اعلم عنها ، بوصفها نموذجاً من نماذج العمل للعثور على لغة عربية مبسطة ومشتركة بين اطفال الوطن العربي .

إن المؤسسة التي قامت بهذا العمل وانفقت عليه ـ فيما ذكر لي ـ ما يزيد على ستة ملايين دولار ، هي مؤسسة الانتاج البرامجي لدول الخليج العربي ، وهي مؤسسة غير تجارية بل مؤسسة رسمية لدول الخليج . وبالرغم من أن المسلسل هو تعريب لمسلسل امريكي معروف ، الا ان المؤسسة « عربته » ، بمعنى جعلته عربياً تماماً . فاقامت مكتباً للدراسات (وهو مكتب تربوي ـ سيكولوجي ـ لغوي ـ اجتماعي) قام بدراسات ميدانية واسعة امتدت من المشرق العربي الى المغرب ، واجرت تجارب على الاطفال في تونس والكويت كما اجرتها في عمان وغيرها . وعلى اساس تلك الدراسات وضع « معجم » لمجموعة الالفاظ المشتركة بين الاطفال العرب . . . والصحيحة لغوياً ، والمفهومة معنى ، وبنيت القطع التي تتركب منها كل حلقة من حلقات المسلسل على اساسها ، لفظاً وكتابة ، فجاءت سوية في الفهم ، وبشكل متدرج .

واذا كان المسلسل قد نجح ، فإنه يقدم لنا نموذجاً عمليا لتعريب « اللغة العربية في قاعدة

المجتمع العربي الواسع ، بدءاً بالاطفال ، كما انه يؤكد لنا بالدليل العملي ان هذا التعريب سهل وممكن » .

مصطفى الفيلالي : لن اطيل الكلام ، ولكن لا بد من ابداء شعور غريب لازمني طوال هذه الندوة ، وتأكد اليوم وانا اسمع بحث الدكتور عفيف دمشقية القيّم الذي لا اعترض عليه في شيء .

ويتلخص شعوري في ان اهتمامنا منصبّ على قسم من الامة العربية ليس هو القسم الاكبر ولا الاوفر . فنحن نتحدث فيما نتناول من مواضيع ـ او في معظمها ـ عن اهل المدن ، ولا نذكر الارياف ، واذا ذكرناها فنادراً .

وفيما يتعلق بالوسائل التي ينبغي أن توظف وتستحدث وترشّد لتكون همزة وصل وايصال بين الشباب العربي في مختلف اقطار الامة العربية ، ليس هناك اي نصيب لشباب الريف الذي لا يزال يمثل الملامح الديموغرافية للبلاد العربية على اتم صورها . فالريف لا يزال ريفياً ، واخاف أن تؤول اعمالنا هذه واصلاحاتنا الى تعميق الهوة اللغوية القائمة بين اهل المدن واهل الريف ، وان نزيد الفجوة الحضارية ، بدل ان نحاول ـ كما تفضل المحاضر ـ ردمها .

ليس هذا اعتراضاً او نقداً لما جاء في البحث ، وانما نقد لكل ما دار في هذه الندوة . فنحن ننسى ان ٦٠ او ٧٠ بالمائة من سكان البلاد العربية هم من الارياف وانهم لا يتوافر لهم التيار الكهربائي ، وبالتالي السينما او التلفزة او شيء من هذا . وربما كان هذا متوافراً في بعض ارياف تونس او المغرب ، لكنه على تخوم المدن لا بعيداً عنها .

احمد العايد : تعليقاً على ورقةد. عفيف دمشقية « ادوات التعريب المواكب ووسائله من منظور وحدوي » ، بودي ان اقول ان استعمال العربية في الفصل بالوقف دون اعراب ـ مع الحرص على عدم اللحن ـ هي السبيل السليمة تربوياً ولغوياً . ولي شهادة ميدانية في الموضوع . فقد زار احد المتفقدين (المتفقد في تونس هو المفتش او الموجه في المشرق) فصلاً في التعليم الثانوي ، وكان شرح النص عن المعري . سأل المتفقد احد التلاميذ سؤالاً عن النص فأجابه التلميذ بلغة فصيحة بدون اعراب . فتدخل استاذ الفصل وقال : تكلم بالعربية يا فلان . . فإذا بالتلميذ يقول قولاً آخر ـ باعراب سليم ـ لا صلة له البتة بالقول الاول ، قولا خاطئا معنى ، سليما مبنى . اذن كان الفهم بالنسبة الى التلميذ على قدر التلقائية والاداء العفوي السليم ، وعلى قدر التقيد بالحركات الاعرابية ، الصرفية منها والنحوية ، كان الانقباض الذهني وعدم الافهام .

واشارة الى ما قاله اخي د. بوقمرة بأن « افتح يا سمسم مشروع تجاري » ، اقول له بأن المشرفين عليه حرصوا على أن يكون محاطاً قدر الامكان بالضمانات العلمية ـ اللغوية منها والنفسية والتربوية ـ وان بعض هذه الحصص جربت ميدانياً . فقد زارني يوم كنت على رأس الادارة العامة للتعليم الابتدائي الدكتور الدنان فمكنته من اجراء تجارب ميدانية على تلاميذ احدى المدارس الابتدائية بالعاصمة غايتها « ضبط نسبة ما يفهم ومدى حماية الاطفال » . لهذا

لا نعجب ان نرى اليوم اطفالنا ـ وحتى شبابنا وكهولنا ـ يتمتعون يومياً « بنعمان » و « افتح يا سمسم » .

عفيف دمشقية : اشكر الاخوان جميعاً . ولكن لي ملاحظة لا بد من ابدائها على ما اعتقد . اسمحوا لي ان اقول ، وبكل تواضع ، ان من يريد التعقيب على بحث يجب أن يقرأه بعناية . انا قلت بأن اللهجات ستبقى ، وان محاربتها كالسباحة عكس التيار ، وهذا موجود في ورقة العمل ، ولم اقل بالقضاء على اللهجات لان هذا غير ممكن . لقد قلت بردم الفجوة بين المشترك واللهجات ثم شددت على قضية الفولكلور تشديداً كبيراً جداً ـ وقلت بأنه لا يجوز بحال من الاحوال ، وتحت اي ذريعة ، أن نقضي على الفولكلور ـ بالعكس فأنا اطالب بالزجل اللبناني كما اطالب بالزجل التونسي والمغربي . . . الخ ، ويجب ان تقام دراسات خاصة به ، بل اني اطالب باكثر من هذا . لكن هذا لا ينفي اني اريد لغة يتواصل بها العرب . واكتفي بهذه النقطة في التعليقين المباشرين . واشكر للدكتور بوقمرة معلوماته التي كنت على علم بشيء منها ولم اذكرها ،وهذا كان سهواً مني ما كان يجب ان يحصل . اما بالنسبة الى ادب الاطفال فقد كفاني الاستاذان شاكر مصطفى واحمد العايد مؤونة الرد بشأن المسلسل التلفزيوني « افتح يا سمسم » ـ وغيره من مسلسلات الاطفال ـ لأني كنت اعرف اصله والاشياء التي بذلت لانجاحه . وهو يعرض عندنا ايضاً في بيروت والاطفال يقدمون عليه بشكل غريب . وبالنسبة لقطاع السياحة فكل ما استطيع قوله باني لا استطيع الاحاطة بجميع وسائل التعريب المواكب . فالواقع ان هناك عشرات الوسائل ، بل المئات ، ولا يمكن لعجالة الاحاطة بها جميعا . بالنسبة للقطاع السياحي فانا موافق في شقه اللغوي ، اما شقه السياسي فهو يحتاج الى قرارات . واما قضية الريف التي اثارها الاستاذ الفيلالي فكانت ملاحظة جيدة جدا ، ولكني جئت في ادب الاطفال على ضرورة الاهتمام بالبيئة والمحيط . وفي مرحلة اولى يمكن اذا قضي على الامية عند الاطفال ، واصبح التعليم الزامياً ، ان يحل الادب المكتوب عن البيئة والتعريب بها ، والموارد ، والبشر ، واختلاف العادات ، بعض المشاكل ويقرّب المدينة من الريف ، فاقتضى التنويه .

الفصل الرابع عشر

تعريب الوسائل وتيسير تعلّم العربيّة

ابراهيم السامرائي (*)

مقدمــة

يبدو أن المراد بتعريب « الوسائل » جعل الوسائل التعليمية عربية لا شيء فيها من مصطلح أعجمي . والحضارة المعاصرة تتسم بسمات كثيرة من « العـالمية » ، والعـرب مضطرون ، رضوا أم ابوا ، ان يأخذوا بكثير من الوان هذه الحضارة مع الاحتفاظ بما لهم من إرث حضاري قديم . فكيف السبيل الى ذلك ؟

لا بد من أن يكون لنا نحن العرب الوسائل التي تكفل تحقيق هذه المهمة ، وتلكم الأداة الكفيلة هي « التعريب » . وليس جديداً ان نهتدي الى هذا ، فقد جدّ الغيارى من اهل الجد في مطلع هذا القرن في سلوك هذا النهج القويم . غير ان تلك المساعي غير كافية ، ولم يكن لهؤلاء الغيارى من خطة واضحة ، ولا كانوا على اتصال وثيق بينهم . كان نفر من هؤلاء يعمل في جهة من الجهات في حين ان نفراً آخر كان يعمل في جهة اخرى ، وليس من صلة بين اولئك وهؤلاء . ومن أجل ذلك لم تؤد جهود هذه العناصر الى نتائج وافية بالغرض المطلوب .

ولقد آل الامر أن تكون جملة اقطار عربية قد سلكت الدرب سلوكاً متردداً متلكئاً في تحقيق هذا الغرض ، في حين بقيت أقطار اخرى بعيدة عما يشغل القوم في الطائفة الاولى لأسباب سياسية وغير سياسية . واذا كان نفر كبير من اهل العلم قد ادركوا قيمة هذه المشكلة الثقافية وقدّروا خطرها ، فليس من شك في أن نفراً آخر غير قليل ما زال بعيداً عن ادراك هذه المشكلة ، وهو راض ، بل مقتنع ، بأن اللغة الاعجمية ، انكليزية او فرنسية ، هي الأداة الصالحة في هذه العملية الثقافية الكبيرة ، وان الخطر كل الخطر ان يصار الى العربية . ولقد سمعت شيئاً من هذا في كل مكان ، في اقطار المشرق واقطار المغرب . ولقد اوحى هؤلاء الى

(*) لم يتمكن الباحث من الحضور ، وقد قدم د. عفيف دمشقية البحث نيابة عنه . (المحرر)

المتعلمين ، او قل الى اولياء امورهم ، أن يروا ، بل أن يعتقدوا ، ان « العلم الجديد » لا يمكن أن يعلّم بالعربية .

واني لأذكر اني رأيت احداً من هؤلاء في الكويت ، وهو رجل متعلم، فأخبرني انه ذاهب الى العراق ليصحب ابنته ويعود بها بعد أن قبلت في الكلية الطبية وبلغه ان التدريس فيها بالعربية بحسب قرار الحكومة العراقية . فقلت له : ولم تفعل ذلك ؟ فأجاب انه يرى ان لا سبيل الى أن تعطى العلوم الطبية بالعربية ، وانه لا بد من لغة انكليزية ! ومن أجل ذلك عمد الى التوجه بابنته الى احدى الجامعات الاجنبية في الوطن العربي كبيروت مثلاً .

كان هذا الرجل متعلماً بل مشرفاً تربوياً في وزارة التربية في الكويت . فما بالك بغير المتعلمين من سواد الشعب ؟ وقد لا تستغرب ان تستمع في مدينة الجزائر لاسكاف تسأله عن ابنه ماذا يدرس في الجامعة فيجيبك مبتئساً متأسفاً انه يدرس موضوع الـ cartographie في الجامعة ، وللاسف (وهذا ما قاله) هو في القسم المعرّب . فقلت له : ولِمَ هذا الاسف ، ألم تكن انت ممن ناضل الاستعمار وأخذ عليه أنه ابعد الجزائريين عن لغتهم الأم ؟ فقال : نعم ، غير أن الطالب لا يتعلم بالعربية الشيء الضروري الكثير ، ويقصر ان كان تعلمه بالعربية مقارنة مع زميله الذي درس العلم في القسم الفرنسي .

مثل هذا تلقاه في كل مكان في وطننا الكبير . والخطر كل الخطر ان يكون من أهل الاختصاص في العلوم الجديدة طائفة من هؤلاء .

إن التعريب لدى هذه الطائفة من أهل العلم عمل عسير من قِبَل انهم لا يعرفون العربية[1] . فكيف يتهيأ لهم أن يعلِّموا هذه العلوم الجديدة بعربية سليمة معاصرة ؟

أقول : ان تعريب وسائل العلم ليس عسيراً لو تهيأت العناصر المؤمنة بهذه المهمة باديء ذي بدء ، ثم لو كانت هذه العناصر تعرف العربية وتلتزم باصولها التزامها باللغة الاعجمية . الا ترى أن أياً من اصحاب الاختصاص ، حملة الدرجات العلمية العالية ، لو كتب بحثاً له في الانكليزية للمشاركة بمؤتمر علمي او حلقة دراسية لما أُخِذَ عليه تجاوز في الانكليزية يمسّ الفروع بله الاصول ، وانه يجتهد مع هذا أن تكون لغة بحثه في الانكليزية مما يرتضيه زميله الانكليزي او غيره من اهل العلم في عصرنا هذا . هذا يعني انه ادرك ادراكاً صحيحاً ان البحث العلمي في العلوم الحديثة لا بد له من اداة صالحة يتم فيها الحفاظ على الأصول . فأين هذا من حال

---

(١) قلت ان بين أهل الاختصاص في العلوم الحديثة من لا يعرف العربية . وليس هذا كافياً ، فهم يرون ان اتقان العربية ليس ضرورياً ، وآلية ذلك انهم يبيحون لأنفسهم استعمال العامية في التدريس . وقد استفحل الامر فصار اهل العلوم الانسانية من اصحاب هذه الالسن الدارجة ، يستعملونها في محاضراتهم . ولو قد اعترضت عليهم لاجابوا أنهم ليسوا مدرسي لغة عربية ، كأن اللغة الفصيحة واجب مدرس العربية ليس غير . ومن العجيب ان هؤلاء يلتزمون بالأصول اللغوية وهم يستعملون اللغة الانكليزية او الفرنسية مثلاً ، ولكنهم لا يفعلون ذلك ان تحولوا الى لغتهم العربية ، وهذا شيء غريب لا نفهمه .

هؤلاء ان طلب اليهم ان يكتبوا بالعربية؟

اولاً : التعريب قديماً

١ ـ لقد ادرك الاقدمون هذه المشكلة فتوجهوا اليها مزودين بما تقتضيه من وسائل العلم فكان التعريب عندهم على النحو الآتي :

« التعريب » من بين معانيه المختلفة ، مصطلح يعني تعريب الكلم الاعجمي فتنطق به العَرَب على منهاجها ، قالوا : عَرّبَتْه العرب ، واعربته ايضاً . ولقد جروا في فهمهم لهذا المصطلح على نحو واضح ومنهج سديد .

قال الجواليقي في « المُعَرَّب » :

« اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الاسماء الأعجمية اذا استعملوها ، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجاً ، وربما أبدلوا ما بَعُدَ مخرجه ايضاً » .

والابدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم . وربّما غيّروا البناء من الكلام الفارسي الى أبنية العرب(٢) . وهذا التغيير يكون بابدال حرف من حَرْف ، او زيادة حرف ، او نقصان حرف ، او ابدال حركة بحركة ، او اسكان متحرّك ، او تحريك ساكن ، وربّما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه . فما غيّروا من الحروف ما كان بين الجيم والكاف ، وربما جَعَلُوه جيماً ، وربما جَعَلوهُ كافاً ، وربّما جعلوه قافاً ، لقرب القاف من الكاف ، قالوا : « كُرْبُج » وبعضهم يقول : « قُرْبُق » . قال ابو عمرو : سَمِعتُ الأصمعي يقول : هو موضع يقال له : « كُرْبَك » ، قال يريدون : « كُرْبَج » . وأبدلوا الحَرْف الذي بين الباء(٣) والفاء فاءً ، ورُبّما أبدَلوهُ باءً قالوا : « فالوذ » و « فِرِنـد » . وأبدلوا السين من الشين فقالوا للصحراء : « دست » وهي بالفارسية « دشت »(٤) .

وهكذا صَنَعُوا في حروف أخرى فأبدلوا اللام من الزاي في « قفشليل » وهي المِغْرَفة ، وأصلها « كفجلاز » . وقد غيّروا في الكلام الاعجمي ليأتي مناسباً للكلم في العربية . ثم انهم

---

(٢) كأنّ الاشارات القديمة الى « المعرّب » تشير الى ان الاصل « فارسي » وذلك لأن النقل من الفارسية كان كثيراً بالقياس الى ما عرّبه العرب من غيرها من اللغات الأعجمية . ومما تجب الاشارة اليه ان « المعرّب » الذي انصرف الى اغراض علمية من الأصول الفارسية قد شاع في العصور القديمة ، وأخذه غير العرب من العرب أنفسهم . وقد يكون من الطريف ان تجد الفرس استخدموا هذه « المعرّبات » العربية في كتابتهم باللغة العربية وهي ذات اصول فارسية .

(٣) يريد به الصوت الشفوي بين الباء والفاء ، وهو الباء الأعجمية التي ترسم باء معجمة بثلاث نقاط تحتية في الفارسية ، يقابل حرف الـ «p» في اللغات الغربية .

(٤) ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي ، المعرّب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، ص ٦ ـ ٧ .

ألقحوا الأبنية الأعجمية بأبنيتهم العربية . ومما ألحقوه مثلاً « درهم » ألحقوهُ بـ « هِجْرَع » ، و « بَهْرج » ألحقوه بـ « سَلْهَب » ، و « دينار » ألحقوه بـ « ديماس » ، و « اسحاق » بـ « إبهام » ، و « يعقوب » الحقوه بـ « يَرْبُوع » ، و « جَوْرَب » بـ « كَوْكب » ، و « شُبارِق » بـ « عُذافِر » ، و « رُزداق » بـ « قُرطاس » .

وربّما زادوا في الكلم او نقصوا منه ليجيء مناسباً لأبنية العرب . ومما تركوه على حاله فلم يغيّروه « خُراسان » و « خُرّم » و « كُرْكُم » .

٢ ـ هوِّن عليك أخي القارىء ، فقد اكون قد أطلت عليك في هذا العَرْض الجافي القديم ، غير أني قصدت الى شيء ذي فائدة يتصل بجهد المعرِّب في عصرنا هذا . اريد ان أقول: كان المعرِّب القديم مدركاً قضية التعريب ادراكاً واسعاً . فهو قد وجد نفسه بازاء ادوات جديدة أعجمية فماذا يصنع ؟ لقد وجد أن العربية ذات ابنية كثيرة ، وأنه لا بد واجد في هذا الحشد من الأبنية ما يوافق الأبنية الاعجمية فضم هذا الجديد الوافد الى أبنيته العربية ان وجده على اوزان تلك الابنية ، فإن لم يجده كذلك عمد الى شيء من التغيير قليل او كثير ليأتي الجديد الوافد موافقاً فيضم الى العربية . هذا من ناحية الصيغ . ثم نظر الى الاصوات فاتبع الطريقة نفسها اما وجد الكلم الاعجمي موافقاً، فإن لم يكن كذلك غير الصوت ما يشبهه او يقرب منه . وهكذا دَرَجوا في تعريب الكلم الاعجمي ، فكان لهم من ذلك قدر كبير من « المعرّب »مما اقتضته حاجة عَرضَتْ لهم في الحياة اليومية ، وما تدعو اليه من ادوات وآلات واطعمة وأشربة ، وما يدخل في باب الصنعة والحرف من ذلك . ثم كانت حضارة العرب في العصور الاسلامية وما اكتسبته في منطلقاتها وتقبلها للروافد الحضارية الاخرى . وحسبك أن تعلم ان العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة في العالم المتحضر القديم . لقد عَرَفها وكتب بها العرب مسلمون وغير مسلمين ، وعرفها وكتب بها غير العرب من المسلمين وغيرهم . بل قل ان طائفة كبيرة من هؤلاء العلماء قد ثقفوها ووقفوا على اسرارها فأحبّوها وجعلوها لغتهم المفضلة ، وبها عُرفوا لأنهم كتبوا بها ولم يخطّوا حرفاً بغيرها .

٣ ـ لقد درج العلماء طوال العصور المتصلة على هذا السنن في « التعريب » فماذا كان لهم من نتائج؟ اقول : على الرغم مما وضع الاقدمون من منهج في تعريب الكلم الأعجمي مراعين الابنية والاصوات العربية الا أنهم لم يسلموا من اوهام كثيرة منها :

أ ـ انهم لم يدركوا ادراكاً كافياً الكلمة السامية المشتركة ، وان بين العربية وجملة لغات ، هي اللغات السامية باصطلاح الباحثين من القرن الثامن عشر الى يومنا هذا ، علاقات قرابة ترجع الى اصل قديم مشترك هو السامية الأم التي لا نعرف عن اوليتها شيئاً ، وقالوا بعجمة كل لفظٍ من هذه اللغات وانه دخيل في العربية وقد عُرِّب فيها .

الا ترى انهم وهموا فعدّوا « كنيسة » مثلاً من « المعرّب » وفاتهم أن مادة « كنس » معروفة في العربية ، ومنها « كِناس » الظبي وهي مادة سامية تعني السكن والاستقرار ؟

وقالوا « جُدَّة » النهر اي شاطئه من المعرَّبات . و « الجُدَّة » أي الطريق ، لا أشكّ في عروبيّتها ، ثم في انها من المشترك الساميّ .

ولقد عرض هذا لهم فساءت نتائجهم ، وان كانوا قد وضَعوا لهم منهجاً واضحاً مبنياً على العلم في قواعد التعريب .

ومن الغريب أن نفراً من أهل هذا العصر ، وجلهم من اصحابنا النصارى من اهل الدرجات العلمية الدينية ، قد سلكوا مسلكاً غريباً مناقضاً للعلم في ادعاء « سريانية » قدر كبير من الكلم العربي . وهذا الخطأ لا يغتفر لهم بعد ان درج علم اللغات السامية المقارن ، ووضع العلماء معجمات في الموضوع هي موطن الثقة ومقطع الرأي ومعدن العلم . واذا التمسنا العذر للعلماء الاقدمين في جهلهم بهذه اللغات ووقوعهم في الخطأ فلا نلتمسه لهذه الطائفة من اهل العلم في عصرنا هذا .

لقد ابتعد هؤلاء عن العلم الصحيح حين ادعوا سريانية موادّ كثيرة مثل : قرأ وشعر وسبح وصلّى وزكّى وغير هذا كثير . وليس من شك في أن هذه المواد عربية ، وان كان لها اصل سامي قديم . لقد فات هؤلاء ان المواد التي شاعت في الآرامية السريانية وعرفت بها نحو : الكنيسة والأبيل والقسّ والقدس، وطائفة اخرى من المواد السريانية ، هي سامية ايضاً ، وان اختصت بها الآرامية السرايانية. ولهذا النفر من الباحثين مصنفات اوردوا فيها ما ذهبوا اليه من سريانية كلم كثير عرفته العربية منذ أقدم عصورها.

ب ـ ومما يوجّه الى القدامى من نقد في باب « المعرّب » أنهم خلطوا بين الأصول ، فلم يميّزوا بين ما هو سامي وبين ما هو اصل فارسي . وهذا يعني أنهم لم يعرفوا هذه اللغات معرفة العالم الذي يستطيع أن يفصل بين الاصول فيدرك الحقيقة فيقطع بالعلم الصحيح . ومن أجل ذلك كان الدارس لا يخرج برأي مفيد وهو يرجع الى تلك المصادر القديمة مثل « المعرّب » للجواليقي ، و « شفاء الغليل » للخفاجي . على ان المحدثين الذين أشرنا اليهم ممن أدّعوا سريانية كثير من الكلم العربي هم على غِرار أولئك القدامى في ابتعادهم عن العلم الصحيح . ومن هؤلاء القس يوسف حبيقة البسكنتاوي في كتابه « اللغة السريانية في لبنان وسورية »(٥) ، والبطريرك مار اغناطيوس افرام الاول برصوم في كتابه « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية »(٦) . وغيرهما .

على اننا الآن على علم أكيد بالكلم الدخيل ، وذلك للجهود المضنية التي بذلها علماء الساميات في معرفة الاصول . وبهذا يتضح لنا ان « المعرَّب » هو ما كان من لغة غير عربية وغير

---

(٥) يوسف حبيقة البسكنتاوي ، اللغة السريانية في لبنان وسورية ، ٢ ج (جونية : مطبعة الارز ، ١٩٠٢ - ١٩٠٤) .

(٦) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، الالفاظ السريانية في المعاجم العربية (دمشق : ١٩٤٨ - ١٩٥١) .

سامية . ومن هذا مثلاً ما استعاره العرب من الفارسية او ما أخذوه من الاغريقية . وأرجع فأقول : ادرك العرب، مادة « التعريب » على هذا الوجه فقالوا مثلاً ان كلمة « الفردوس » التي استعملت في لغة التنزيل من « المعرّب » ، اي انها من اصل غير عربي (هو اغريقي) اخذها العرب فبنوها على هذا البناء فصارت عربية . ومثل هذا فلسفة وموسيقى وجغرافيا وغيرها كثير .

ثانياً : التعريب اليوم

أقول : لو أننا فهمنا « التعريب » على نحو ما فهم الأوائل من علمائنا العظام فعرّبنا الأعجمي بشيء من العلاج في الأصوات والأبنية العربية لكان لنا مادة مهمة نضيفها الى المواد الأخرى العربية التي نقابل بها المصطلح الاجنبي ، ولتوفر لنا قدر كبير من المادة اللغوية على هيئة مصطلحات فنية علمية يكون مادة لما يسمى « التعريب » في عصرنا هذا . وانني لأدعو الى أن نأخذ بهذا السبيل ذي الشقين : الأول تعريب المصطلح الأجنبي على طريقة المتقدمين التي اشرنا اليها ، والثاني الافادة من المواد العربية الخالصة نصنع منها المصطلح الجديد .

اننا نواجه في عصرنا هذا مشكلة تدريس العلوم الحديثة بالعربية . وما أظن ان المشكلة على قدر كبير من الصعوبة لو أحسنّا الوصول اليها . ولسنا بدعا بين الامم اذا أردنا أن نسلك هذا الطريق . ذلك ان الأمم ، المتقدمة منها وغير المتقدمة ، سلكت هذا السبيل . فالفرنسي يدرس العلوم بالفرنسية ، والالماني بالالمانية ، والروسي بالروسية واليوغسلافي بلغته الخاصة ، والياباني باليابانية ، والتركي بالتركية ، والايراني بالفارسية ، الا ترى ان الحق يفرض علينا أن نعلم ان عربيتنا أكثر تقبّلاً للعلم الحديث من كثير من اللغات ولا سيما الشرقية منها ؟

وقد نكون فرّطنا قليلاً في التماس المصطلحات في العربية لنظائرها في اللغات الغربية واجتهدنا بكل الوسائل أن نجد لها من الكلم العربي مادة جديدة . واذا كان اوائلنا قد اشتقّوا من المهرجان والنوروز فعلَيْن هما ، مَهْرَجَ ونَوْرَزَ فلم نتلكّأ في حاضرنا فلا نقبل بالتعريب على طريقة السلف فنوفر قدراً من المصطلح « العالمي » ؟

أقول : « العالمي » لأن كثيراً من مصطلحات العلوم اصبحت عالمية ، فليس «Atomic» مثلاً مصطلحاً انكليزياً . ذلك ان الالماني والفرنسي والروسي والبلغاري والياباني والتركي والايراني يستعمله ويتخذه مصطلحاً في لغته الخاصة .

ولا أريد ان أسرف في سلوك هذا السبيل ، ولكني اقول : ان توفير المصطلحات بهذه الطريقة ، وبالبحث في العربية عن الكلم الفصيح مما استعمله القدماء ، او مما لم يستعملوه ، او مما نراه مقابلاً للمصطلح الاجنبي ، كل هذا يوفّر لنا ما نحن نفتقر اليه أشدّ الافتقار .

واذا كنا نواجه مشكلة التعريب ابتغاء ان تكون لغتنا المعاصرة لغة العلم الحديث في هذا العالم الذي يقذف كل يوم بالجديد ، فإن ذلك آت من أن لغتنا مرت بهذه التجربة فكان لها مصطلح قديم ، وأول هذا المصطلح هو المصطلح الاسلامي . ان اللغة الاسلامية هي العربية الاسلامية التي جاء بها الاسلام في « كتابه » و « سنته » ، ثم اتسع نطاقها في العلوم الاسلامية وعلى رأسها علوم القرآن الحديث .

ثم كانت تجربة اخرى مرت بها العربية ، حين واجه العرب بعد أن انتقلوا من بلادهم الى بلاد غيرها ، فاتصلوا بأمم شتى . وكان من أثر ذلك أن أخذ العرب من علوم هذه الامم ومعارفها فاضطروا الى ايجاد لون جديد هو المصطلح العلمي الذي حفلت به العربية في العصور العباسية .

وعلى هذا تأتي التجربة الحديثة في عصرنا هذا فتبرز مشكلات عدة أولاها أننا في حالة جديدة تتسم بأن العرب عامة يعانون من الازدواج اللغوي وان لكل طائفة منهم لساناً دارجاً عامياً ، بل ألسن عامية دارجة ، وانهم يتعلمون الفصيح تعلماً . وهذا التعلم قد بدأ عملية منظمة في مدارس ومعاهد بعد زوال الامبراطورية ونشوء ما يدعى بالحكم الوطني في هذه الاجزاء العربية التي انسلخت عن الامبراطورية العثمانية . لقد بدأ في هذه الحقبة التعليم النظامي للعربية في مدارس خاصة هي ابتدائية ثم اعدادية وثانوية ثم كليات ومعاهد عالية فكيف كان ذاك ؟

من المفيد ان نشير الى ان تعليم العربية في هذه المدارس والمعاهد قد سبقه مرحلة اخرى كان فيها هذا التعليم نمطاً آخر في المعاهد الدينية والحلقات التي تعقد في المساجد التي كانت تتخذ معاهد التعليم العربية والعلوم الدينية وطائفة قليلة اخرى من العلوم الدنيوية . وتعليم العربية في هذه المعاهد الدينية وحلقات المساجد له نظامه الخاص فالطالب يستمع من شيخه مادة النحو والصرف والعروض والبلاغة وشيئاً من الأدب في كتب خاصة وحواش وتعليقات . والطالب في هذه المعاهد يقرأ في الكتاب والشيخ الاستاذ يشرح ويفسر ويضيف ، او يملي على الطالب ، والطالب يكتب ما يملي عليه ، فإن كان مع الطالب جماعة من الطلاب فهم يستمعون ويكتبون ما يُملَى عليهم ، وقد يستفهمون ويسألون وهكذا ينتهي الدرس وقد حصل الطالب ان كان وحده او الطلاب ان كانوا دفعة مجتمعة مادتهم الدراسية في اي من علوم العربية .

وقد كان الكتاب الدراسي التعليمي في هذه الحقبة المتأخرة التي سبقت التعليم النظامي في المدارس الرسمية كتاباً في النحو من كتب ابن هشام او حاشية او تعليقاً لشيخ من اولئك الشيوخ المتأخرين ، وقد يكون الشيخ ازهرياً مصرياً او شيخاً شامياً او عراقياً او احداً من شيوخ المغرب العربي في القرويين او الزيتونة مثلاً . وفي هذه الكتب كتب للنحو واخرى للصرف وحاشية في العروض واخرى في البلاغة . واذا أتم الطالب هذا القدر من هذه المادة اللغوية انتقل الى علوم القرآن والحديث ثم يغادر مجموع ذلك الى علوم الدين كالفقه والاصول والعقائد والاحكام ، وقد يشدو شيئاً من علم الكلام .

ان المنهج العلمي في هذه الكتب المتأخرة وفي الحواشي والتعليقات يتسم بطابع خاص يقوم على اختلاط العلم اللغوي بشوائب لا تمت الى العلم اللغوي بصلة كما ستتبين ذلك . والطالب في درس النحو والصرف يبدأ بكتاب صغير قد يكون « الآجرومية » في الأقطار المغربية ، وقد يكون حاشية صغيرة لأحد الشيوخ في مصر او الشام او العراق ، ثم يعرف الطالب كتاب « قطر الندى » لابن هشام او « شذور الذهب » لابن هشام ايضاً ، ثم ينتقل الطالب لألفية ابن مالك في احد شروحها كشرح ابن هشام المسمى « اوضح المسالك » ، او شرح ابن الناظم بدر الدين ، او شرح ابي حيان المسمى « المنهج السالك » او شرح السيوطي مثلاً .

ومن المعلوم ان الطريقة في جملة هذه الكتب طريقة تقريرية تملي على الطالب المادة بحدودها وتقسيماتها وتفريعاتها مع تحليلات وتفسيرات ليست من اللغة . ولعل اللون المنطقي هو المتحكم في هذه التحليلات والتفسيرات . وقد يتحول الموضوع النحوي او الصرفي الى مادة منطقية بعيدة عن المادة اللغوية . وهذا النحو في هذه الكتب المتأخرة قد جمع الى المادة اللغوية مواد اخرى ليست لغوية تؤلف الاطار العام للتأليف اللغوي .

إن العلم اللغوي في هذه الحقبة التي اشرنا اليها تلك التي سبقت التعليم الجديد في المدارس الحديثة ، إرث لمادة لغوية درج فيها اللاحق على خطى السابق ، وكان هذا النحو قد سلخ من عمره اثني عشر قرناً . لقد كان السلف الاوائل قد وضعوا البداية النحوية لتكون مادة تدفع غائلة اللَّحْن الذي تفشّى في لغة المعربين من العرب بسبب مخالطتهم للأعاجم المتعربين الذين انضموا الى المجتمع الاسلامي . ومن غير شك ان نحواً وضع ليفي بهذا الغرض لا بد أن تكون مادة تعلمه موضوعية كما نقول في عصرنا هذا(٧) .

غير أنه ما لبث أن صار أحد فروع المعرفة ابتداء من اوائل القرن الثالث الهجري . وهذا يعني انه صار مادة للدرس والاجتهاد ، وصار له اصحابه ممّن عرفوا بالنحاة . ثم كان أن صار أولئك طبقات على مرّ العصور ، ثم تحوّل من موادّ يسيرة يراد بها غرضاً تعليمياً هوَ عصمة اللسان من غائلة اللحن(٨) الى مواد جديدة لا يراد منها أن تكون ضوابط يسيرة لغرض تعليمي

---

(٧) أقول : لعل العربية كانت قد تحولت الى شيء آخر من الالسن الدارجة ، أو قل : انها ربما تخففت من « الشكل الاعرابي » لولا القرآن الكريم ، فقد التزمت لغة القرآن بهذا « الشكل » وكان من الواجب أن يحافظ على نص لغة التنزيل بلفظها وشكلها واعرابها ، ومن ثم حوفظ على سائر التراث الادبي بمادته وشكله واعرابه فانتهينا الى العربية الجديدة التي كان من الطبيعي ان تبقى محافظة على « الشكل الاعرابي » كما حوفظ عليه في لغة القرآن والحديث والشعر القديم .

(٨) قلت في الهامش السابق ان الاعراب في « شكله » ، اي الحركات ، نظام عرف في العربية منذ اقدم عصورها وظهر في الشعر الجاهلي والالوان الأدبية الاخرى النثرية كالامثال وفي الرجز وغيرها . ثم جاء الاسلام فكان كتاب الله الكريم قد احتفظ بهذه الادوات الصوتية في اواخر الكلم . ولولا هذه اللغة الشريفة لكان أمر الاعراب حلية او زينة من شأنها أن تزول . ويقوّي هذا الرأي عندي ان غير العربية من اللغات السامية كانت =

معروف . ولقد ادى هذا الى ان صار النحو مادة معقدة عسيرة ، تبعد عن تناول المشكلة اللغوية . ذلك أنها اقتبست من المنطق الارسطي واساليبه ما أحال المادة اللغوية الى شيء آخر . لقد تحول النحو الى مادة جدلية تستند على العلة والمعلول ، ومن هنا كان النحو « علم الاعراب » . والى هذا أشار الزمخشري في مقدمة كتابه « المفصل » الى أن علم النحو هو الاعراب ، وأدى هذا الى أن صار طالب النحو يبحث في حركة آخر الكلمة . ولم يكتف النحاة بهذا بل بحثوا في علة الاعراب ، ومن هنا قرروا ان الاسم معرب لأنه كيت وكيت وان كل ما اشبَهَه كان معرباً. ومن أجل هذا شابه الفعل المستقبل الاسم فكان مضارعاً له .

ورب سائل يسأل : وما ضير هذه النظرة على الحقيقة اللغوية ؟ والجواب عن هذا ان شيئاً كثيراً يتصل بمادة الفعل قد اهمل . الا ترى انهم جعلوا حدّ الفعل : الحَدَث المقترن بزمن ! غير أننا لا نعرف وجه « الزمن » في باب الفعل في أيّ من كتب النحو القديم . ثم لم يكتفوا بالعلة الاولى حتى اخترعوا الثواني والثوالث من العلل . ثم كأنهم لمحوا أن الكلمة العربية « معربة » اصالة ، ولذلك اهتموا بالاعراب فنظروا اليه على انه « أثر يجلبه العامل » . ولا بد من الوقوف عند هذه النظرة لنبينّ اثر المنطق فيها .

أقول : كان الاعراب النتيجة التي ادى اليها « العامل » ، وهو السبب ، فإذا لم يَروا هذا الأثر قدّروه ، فكان الاعراب التقديري ، وهو شيء متخيّل متوهم مبني على افتراض وجود « العامل المؤثر » . فإن كانت الكلمة مما لا يقبل الحركة التي يجلبها العامل ، أي من الكلمات الساكنة الآخر ، او تلك التي لها حركتها الدائمة ، سميت مبنيّة . وهي لا بد من أن تخضع لنظام جمهرة الكلمات في العربية التي تقبل الحركة في آخرها المسماة « معرَبة » ، ومن هنا كان الاعراب « المحلي » . وهذا يعني ان الكلمة في العربية لا تفلت من حكم الاعراب .

أقول : ان المتتبّع لمواد النحو في كتبه القديمة ، واقصد بالكتب القديمة تلك التي درستها اجيالنا السابقة في باب « علوم الجادة » ، وهي التي تدخل في آلات المتعلمين حَتى جيلنا السابق ، ان المتتبع لهذه الكتب يجد مواد وطرائق بعيدة كل البعد عن النهج السليم في تحرير النحو في عصرنا ولاسيما في اللغات المتقدمة الغربية . ولا ارى حاجة لضرب الامثلة على ذلك .

ان هذه الكتب القديمة ، وجلُّها شروح للألفيّة وشروح وتعليق على شواهدها لتختلف عن نظرات النحويين المتقدمين من طبقات النحاة الاوائل ، فأين هذه من آراء الخليل بن احمد وسيبويه واضرابها من النحاة المتقدمين ؟

ومما حمل الضيم على الدراسات النحوية في عصرنا انها اتخذت الفية الامام ابن مالك

= تحفل بالاعراب في عصورها الاولى حتى اذا درج عليها المتكلمون تخففوا من هذا القيد فاستحالت الى لغات ساكنة الآخر . ويدلنا على هذه الحقيقة التاريخية ما بقي من اثر الاعراب في جملة مواد لغوية في الاكدية القديمة والعبرانية والآرامية القديمتين .

ﺷﺮﻭﺣﻬﺎ ﺍﻟﻜﺘﺐ ﺍﻟﺠﺎﻣﻌﻴﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﻳﺪﺭﺳﻬﺎ ﺍﻟﻄﻼﺏ ﻓﻀﺎﻗﻮﺍ ﺑﻬﺎ ﺫﺭﻋﺎً، ﻭﺍﻟﺸﻜﻮﻯ ﻣﺮﻳﺮﺓ ، ﻭﺍﻟﻄﺎﻟﺐ ﻗﺮﺃ ﻭﺍﻟﻤﺪﺭﺱ ﻳﺸﺮﺡ ﻛﺰﻣﻴﻠﻪ ﺍﻟﺸﻴﺦ . ﻭﻣﻦ ﻧﺘﺎﺋﺞ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺪﺭﺍﺳﺔ ﺃﻥ ﺍﻟﻜﺘﺐ ﺍﻟﻤﺪﺭﺳﻴﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺪﺍﺭﺱ ﻟﺜﺎﻧﻮﻳﺔ ﻭﺍﻻﻋﺪﺍﺩﻳﺔ ﻭﺣﺘﻰ ﺍﻻﺑﺘﺪﺍﺋﻴﺔ ﺍﺗﺒﻌﺖ ﺷﻴﺌﺎً ﻣﻤﺎ ﺟﺎﺀ ﻓﻲ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﻜﺘﺐ ﺍﻟﺘﻲ ﻳﻘﺮﺅ ﻫﺎ ﺍﻟﺪﺍﺭﺳﻮﻥ ﻓﻲ ﻟﺪﺭﺍﺳﺎﺕ ﺍﻟﻌﻠﻴﺎ .

ﻭﻻ ﻳﺤﺴﺒﻦ ﺍﻟﻘﺎﺭﻯﺀ ﺍﻧﻲ ﺍﺩﻋﻮ ﺍﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﻌﺰﻑ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﻋﻦ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻜﺘﺐ ﺍﻟﻘﺪﻳﻤﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﺭﺱ ﻟﻨﺤﻮﻱ . ﻋﻠﻰ ﺍﻧﻨﻲ ﺗﻜﻠﻤﺖ ﻋﻦ ﻣﺠﺎﻧﺒﺔ ﺍﻭﻟﺌﻚ ﺍﻟﻨﺤﺎﺓ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺧﻠﻔﻮﺍ ﺍﻟﻤﺘﻘﺪﻣﻴﻦ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻔﻦ ﺍﻟﺴﻨﻦ ﻟﻠﻐﻮﻱ ﺍﻟﺼﺤﻴﺢ . ﺍﺭﻳﺪ ﺍﻥ ﺍﻗﻮﻝ : ﺍﻥ ﺩﺍﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﻓﻲ ﻋﺼﺮﻧﺎ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﻟﻪ ﺃﻥ ﻳﺪﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﺭﺳﺎً ﺗﺎﺭﻳﺨﻴﺎً ﻓﻼ ﺑﺪ ﺍﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﺍﻟﻘﺪﻳﻢ ﻭﻛﻴﻒ ﺑﺪﺃ ﻭﻣﺎ ﺃﻧﺠﺰﻩ ﺍﻻﻭﺍﺋﻞ ﻓﻴﻪ ﻛﺎﻟﺨﻠﻴﻞ ﺑﻦ ﺍﺣﻤﺪ ﺳﻴﺒﻮﻳﻪ ﻭﺍﻟﻤﺒﺮﺩ ﻭﺍﺑﻦ ﺍﻟﺴﺮﺍﺝ ﻭﺍﻟﻤﺎﺯﻧﻲ ﻭﺍﻟﻜﺴﺎﺋﻲ ﻭﺍﻟﻔﺮﺍﺀ . ﻭﻫﻮ ﻣﻠﺰﻡ ﺃﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﻣﺬﺍﻫﺐ ﺍﻭﻟﺌﻚ ، ﺻﺮﻳﻴﻦ ﻭﻛﻮﻓﻴﻴﻦ ، ﻭﺍﺛﺮ ﻛﻞ ﻣﻨﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺴﻴﺮﺓ ﺍﻟﻠﻐﻮﻳﺔ . ﻭﻻ ﺑﺪ ﻟﻠﺪﺍﺭﺱ ﻣﻦ ﺃﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﻭﻳﻠﻢ ﺑﻤﺎ ﺃﺛﺮ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﻓﻲ ﺑﺪﺍﻳﺘﻪ ﺑﻤﺎ ﻟﻴﺲ ﻣﻦ ﻋﻠﻢ ﺍﻟﻠﻐﺔ ، ﻭﻛﻴﻒ ﺍﺳﺘﺤﺐ ﺍﻟﻨﺤﻮﻳﻮﻥ ﺃﻥ ﻳﻔﻴﺪﻭﺍ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻨﻄﻖ ﻭﻣﺎ ﺗﺼﻞ ﺑﺄﺳﺒﺎﺑﻪ ﻣﻦ ﻋﻠﻢ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻭﻏﻴﺮﻩ . ﺛﻢ ﺍﻥ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﻣﻠﺰﻡ ﺍﻳﻀﺎً ﺃﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﻃﺒﻘﺎﺕ ﺍﻟﻨﺤﻮﻳﻴﻦ ﻟﻮﺍﻝ ﺍﻟﻌﺼﻮﺭ ﻭﻛﻴﻒ ﺗﻬﻴّﺄ ﻟﻠﻨﺤﻮ ﺃﻥ ﻳﺘﺴﻊ ﻓﻲ ﺷﺮﻭﺣﻪ ﻭﺗﻌﻠﻴﻼﺗﻪ ﺣﺘﻰ ﻭﺻﻞ ﺍﻟﻰ ﻣﺎ ﻭﺻﻞ ﺍﻟﻴﻪ ﻓﻲ ﺮﻭﺡ ﺍﻻﻟﻔﻴﺔ ﻭﺍﻟﺤﻮﺍﺷﻲ ﻭﺍﻟﺘﻌﻠﻴﻘﺎﺕ ﺍﻟﻜﺜﻴﺮﺓ ﺍﻟﺘﻲ ﺣﻮﻟﺖ ﺍﻟﺸﻲﺀ ﺍﻟﻜﺜﻴﺮ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺎﺩﺓ ﺍﻟﻨﺤﻮﻳﺔ ﺍﻟﻠﻐﻮﻳﺔ ﻟﻰ ﻋﻠﻢ ﺁﺧﺮ ﻗﺪ ﻳﺒﺘﻌﺪ ﻓﻲ ﺑﻌﺾ ﺍﻻﺣﺎﻳﻦ ﻋﻤﺎ ﻫﻮ ﻋﻠﻢ ﻟﻐﻮﻱ .

ﺃﻗﻮﻝ : ﺍﺫﺍ ﻛﺎﻥ ﻫﺬﺍ ﻣﻦ ﻣﻬﻤﺔ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮﻱ ﻭﻣﻤﺎ ﻳﺸﻐﻠﻪ ﻓﻲ ﻋﺼﺮﻧﺎ ﻫﺬﺍ ، ﻭﻻ ﺳﻴﻤﺎ ﻓﻲ ﺪﺭﺍﺳﺎﺕ ﺍﻟﺠﺎﻣﻌﻴﺔ ﺍﻟﻌﻠﻴﺎ ، ﻓﻬﻮ ﻓﻲ ﺍﻟﻮﻗﺖ ﻧﻔﺴﻪ ﻣﻠﺰﻡ ﺃﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﺑﻤﺎ ﻳﺠﺐ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻠﻴﻪ ﻟﻴﻜﻮﻥ ﻋﻠﻤﺎً ﻟﻐﻮﻳﺎً ﺟﺪﻳﺪﺍً ﻳﺘﺼﻞ ﺑﺎﻟﻤﻌﻨﻰ ﺍﻟﻠﻐﻮﻱ ﻓﻲ ﻋﺼﺮﻧﺎ ﻫﺬﺍ .

ﻭﻻ ﻳﺤﺴﺒﻦ ﺍﻟﻘﺎﺭﻯﺀ ﺍﻳﻀﺎً ﺃﻧﻲ ﺍﺩﻋﻮﺍ ﺍﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﺄﺧﺬ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮﻱ ﺍﻟﺠﺪﻳﺪ ﺑﻜﻞ ﻧﻈﺮ ﺟﺪﻳﺪ ﺍﻓﺪ ﻣﻦ ﺍﻟﻐﺮﺏ ، ﻭﻟﻜﻨﻲ ﺃﺩﻋﻮ ﺍﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﺩﺍﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﺍﻟﺠﺪﻳﺪ ﺭﺟﻼً ﻭﺍﻋﻴﺎً ﻳﺆﻣﻦ ﺑـ ﺍﻟﻤﻮﺿﻮﻋﻴﺔ » ﻓﻴﺪﺭﺱ ﺍﻟﻨﺤﻮ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﻓﻲ ﻣﺎﺩﺗﻪ ﺍﻟﻌﺮﺑﻴﺔ ، ﻭﻣﺎ ﺗﻤﻠﻴﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﺣﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﻌﺮﺑﻴﺔ ﻭﻣﺴﻴﺮﺗﻬﺎ ﺘﺎﺭﻳﺨﻴﺔ ، ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﻭﺍﻗﻔﺎً ﺑﺎﺩﻯﺀ ﺫﻱ ﺑﺪﺀ ﻣﻮﻗﻔﺎً ﻣﻌﺎﺩﻳﺎً ﻟﻠﺠﺪﻳﺪ ﺍﻟﻮﺍﻓﺪ ﻣﻦ ﻐﺮﺏ ﻣﺜﻼً ﻋﻠﻰ ﺷﺪﺓ ﻣﻮﺿﻮﻋﻴﺘﻪ .

ﻫﺬﺍ ﻳﻌﻨﻲ ﺃﻥ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﺍﻟﺠﺪﻳﺪ ﻣﺜﻼً ﺍﻥ ﻳﻌﺮﻑ ﺃﻥ ﻟﻠﻐﺮﺑﻴﻴﻦ ﻣﺪﺍﺭﺱ ﻟﻐﻮﻳﺔ ﻭﻣﺬﺍﻫﺐ ﺍٓﺭﺍﺀ. ﻭﻣﻦ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﻋﻠﻰ ﺻﻠﺔ ﺟﻴﺪﺓ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺠﺪﻳﺪ ، ﻭﺍﻥ ﺗﺪﻓﻌﻪ ﺻﻠﺘﻪ ﻫﺬﻩ ﻰ ﺃﻥ ﻳﻠﻢ ﺑﺎﻟﻨﺎﻓﻊ ﺍﻟﻤﻔﻴﺪ ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺨﺪﻡ ﻋﻤﻠﻴﺔ ﺍﻟﺘﻌﻠﻢ ﺍﻟﺘﺮﺑﻮﻳﺔ ﻟﻬﺬﻩ ﺍﻟﻠﻐﺔ .

ﻭﻻ ﺃﺭﻳﺪ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺪﺍﺭﺱ ﺍﻟﺠﺪﻳﺪ ﻟﻠﻨﺤﻮ ﻣﺒﻬﻮﺭﺍً ﻣﺄﺧﻮﺫﺍً ﺑﺎﻟﺠﺪﻳﺪ ﻳﺮﻳﺪ ﺍﻥ ﻳﺤﻤﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﻌﺮﺑﻴﺔ ﺩﻭﻥ ﺃﻥ ﻳﺘﺒﺼﺮ ﻓﻴﻪ ﻓﻴﻨﻈﺮ ﻣﺎﺫﺍ ﻳﺠﺐ ﺃﻥ ﻳﺆﺧﺬ ﻭﻣﺎﺫﺍ ﻳﺠﺐ ﺃﻻ ﻳﺆﺧﺬ . ﻓﺈﺫﺍ ﻛﺎﻥ ﻟﻪ ﻫﺬﺍ ﻨﻈﺮ ﻳﻜﻮﻥ ﻗﺪ ﺃﻓﺎﺩ ﻣﻦ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﺍﻟﻠﻐﻮﻱ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ، ﻭﺍﻥ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﻟﻪ ﻣﺎ ﻧﺮﻳﺪ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻨﻈﺮ ﻓﺈﻧﻪ ﻳﻜﻮﻥ ﺣﻤﻞ ﺍﻟﻀﻴﻢ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻌﺮﺑﻴﺔ ﺍﻟﻤﻌﺎﺻﺮﺓ(٩) . ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻟﻨﺎ ﻧﺤﻮ ﺟﺪﻳﺪ ﻗﺎﺋﻢ ﻋﻠﻰ

(٩) ﻟﻘﺪ ﻫﺐّ ﺑﺄﺧﺮﺓ ﺟﻤﺎﻋﺔ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺜﻘﻔﻴﻦ ﺍﻟﻌﺮﺏ ﻳﻜﺘﺒﻮﻥ ﻋﻦ « ﺍﻟﺒﻨﻴﻮﻳﺔ » ﻓﻲ ﻣﺼﻄﻠﺢ ﺍﻟﻤﺸﺎﺭﻗﺔ ﺍﻭ « ﺍﻟﻬﻴﻜﻠﻴﺔ » ﻓﻲ ـ

فهم جديد للعربية . وهذا الفهم الجديد يتخذ من العربية التاريخية أساساً يقوم عليه البناء الجديد . وهذا الاساس هو المادة اللغوية بعيدة عما ران عليها من شوائب بعيدة كل البعد عن طبيعة اللغة .

لقد أدرك جماعة من الدارسين العرب ان العربية في عصرنا لم تملك من وسائل الدرس الحديث شيئاً ، فهي قديمة في مادتها ، وان ألبست لبوساً جديداً هو مظهر خارجي لا يتجاوز الظواهر الثانوية . غير أن هؤلاء لم يأتوا بجديد مفيد . وذلك لأنهم لم يستطيعوا الافادة من الجديد ومما يجب أن يدرس . لقد شغلوا انفسهم بالكلام على النظريات الحديثة التي كتب فيها الاوروبيون من فرنسيين وانكليز وغيرهم من علماء السويد وما يسمى بمدرسة براغ ، وما أضافه العلماء الاسكندنافيون وغيرهم ، ثم ما قام في العالم الامريكي الجديد من دراسات كثيرة اعتمدت في الغالب على انجازات الاوروبيين . ان العلم بكل هذا مفيد ، على أن يكون الباحث العربي مدركاً ادراكاً كافياً للطريقة التي بها يستفاد من هذا الجديد الوافد .

وقفة على دروس العربية

لا بد من أن ندرس العربية ونعلّمها للتلاميذ الصغار ثم للطلاب بطريقة جديدة نافعة . واذا كنا نحترم التراث القديم فمن حق التراث علينا أن نصونه ونحفظه بطريقة عقلانية ، وأن يكون بيننا وبين التراث صلة رحم قوية تتجاوز الحماسة الجوفاء الى شيء آخر نصل به التراث القديم بمسيرة حياتنا . وصون التراث يفرض علينا أن نطرح عنه الغث الباطل ونجرّد الأصيل الكريم . ومن هنا يكون علينا أن ندرسه بما يقتضي العلم . واذا كانت العربية رأس هذا التراث فمن واجبنا أن نتوجه اليها بكل نافع من أساليب الدرس . ومن العجب أننا نأخذ

= مصطلح المغاربة فعرضوا لها في علم اللغة وفي النقد الادبي وفي كثير من وجوه المعرفة . اما أهل اللغة فتكلموا على النحو التحويلي او التوليدي كما كتب فيه رأس هذه النظرية وهو تشومسكي العالم الامريكي . قلت انهم هبّوا بأخرة ، وكأن هذا العالم وجد فجأة او قل ولد فجأة وان اراءه ونظرياته هي بنت امس القريب . وما دري القارىء ان هذا العالم الامريكي قد غبر عليه اكثر من ثلاثة عقود يكتب في هذه الموضوعات وألّف كتباً عدة شرّق فيها وغرّب .

وكأن أصحابنا حين رأوا هذه الفوائد مما يتصل بالنحو التوليدي ، راحوا يفتشون ويخبطون في طريقة الافادة منها في نحو العربية ، فصاروا يؤلفون ضروباً من الجمل في اي باب من ابواب النحو ليقولوا لنا ان الجملة قد تنصرف الى انماط شتى من وجوه القول . وقد ألجأهم ذلك الى أن يأتوا بما ليس مقبولاً ولا منطوقاً به . لقد اغفلوا عن قصد ان العربية نمط واحد في بلاد العرب كافة من المغرب الى المشرق هي اللون الفصيح ، وان لا سبيل الى ادخال الالسن الدارجة في الحساب ، التي هي في مادة علم اللغة الحديث لغات مهمة بل هي اهم من العربية الفصيحة لانها اللغة التي يدرج بها الناس وبها فكرهم وسلوكهم . ومن الغريب ان هؤلاء عمدوا الى تزكية الخليل وسيبويه وغيرهما من الاوائل لأنهم وجدوا في اقوالهم شيئاً ترتضيه « البنيوية » الجديدة . اقول : ان الخير كل الخير في معرفة البنيوية الجديدة والاجتهاد فيها ان نأتي بشيء يفيد في درس العربية الجديدة التي ما زالت مناهج تعلمها بعيدة عن العلم .

انفسنا بكل جديد في العلم فندرس العلوم التطبيقية كما قررها اهل العلم الكبار وأهل النظر ونطّرح النظريات القديمة التي تجاوزها العلم الجديد . نؤمن بهذا ونباشره في الطب والفلك والفضاء والفيزياء والكيمياء ، والعلوم الانسانية كالفلسفة والاجتماع والجغرافية والتاريخ ، ولكننا لا نؤمن به اذا أردنا أن ندرس مادة لغتنا في الوانها المختلفة .

أ ـ ان النحو والصرف والعروض والبلاغة وما يتصل بالعربية اداء ورسماً من العلوم اللسانية التي سبيلها اقرار ما ورد فيها من أساليب في القول والنطق والكتابة دون أن نفلسف هذا الذي درج عليه الناس بداهة . وحبذا لو أن علماء العربية جروا على مقولة سيبويه حين سئل عن سبب بناء « أيّ » على الضم اذا اضيفت وحذف صدر صلتها فأجاب : أيّ كذا خلقت ، وذلك في قولهم : اذا مررت بهم فسلّم على أيُّهم أفضَلُ . والتعلّم يبدأ أول ما يبدأ بقراءة وتلاوة وتعلم الاصوات . ومن أجل ذلك ينبغي أن ندرس أول مادة نواجه بها الطفل ونسميها « القراءة » في مدارسنا الاولى . وهذه المرحلة تفرض علينا أن نعلّم الطفل اخراج الاصوات مخرجاً حسناً فنجتهد كل الاجتهاد في ازالة ما علق في لسانه من اصوات عامية لا تتفق والاصوات الفصيحة . ذلك أن لكل صوت في العربية الفصيحة نطقاً خاصاً ، وان كان هذا الصوت يتأثر في اخراجه بالطريقة التي جرى عليها الناس في السنهم الدارجة . ومن الطبيعي أن يكون للقروي اصوات تختلف عن اصوات ابن المدينة . ومن عدم العناية بالاصوات صار كل قطر ينطق الضاد او الظاء على طريقته ، وآل الأمر الى أن يضيع صوت الضاد(١٠) . ومثل هذا صوت الجيم قد تغير بين قطر وآخر . فالجيم اللبنانية غير الجيم في الخليج . ومثل هذا القاف وغيرها من الاصوات . وقد يكون من المفيد أن نتذكر ان « الجيم » صار من الاصوات الشمسية فإذا قالوا : يوم الجمعة ، تكاد لا تسمع صوت اللام لدى كثير من المعربين في عصرنا ، وقد نسمع هذا التجاوز في نطق المتعلمين ومدرسي العربية ولاسيما في العراق .

ب ـ وفي هذه المرحلة يشعر التلميذ بالاصوات المصوتة ، قصيرها(١١) وطويلها ، وهي

---

(١٠) من المفيد ان نشير الى ان صوت الضاد قد انبهم امره والتبس بصوت الظاء منذ قرون عدة . ودليلنا على ذلك ان غير واحد من علماء العربية في القرون الرابع والخامس والسادس وما بعد ذلك قد صنفوا مصنفات تجمع الالفاظ التي وردت بالضاد ونظائرها التي وردت بالظاء ليهتدي بها المعربون .

(١١) اقول : لا بد من البدء بتصحيح الخطأ الذي وقعنا فيه تأسّيا بما جرى عليه الاقدمون . فقد عدّوا الاصوات القصيرة « حركات » وتسميتها حركات يبعدها عن أن تكون لها قيمة صوتية . ومن أجل ذلك كانت رسوماً ثانوية تثبت فوق رسم الصوت الصامت (الحرف الصحيح) او تحته ، حتى اذا درج الطفل المتعلم شيئاً ما غابت هذه العلامات من الكتابة . وهذا خطأ كبير وقع فيه المتقدمون فوقعنا نحن فيه ، فصار المتعلم المبتدىء لا يهتدي الى الصواب اذا لم ترسم هذه « الحركات » ، ومن هنا نشأ الخطأ واللبس . ان من حق هذه الاصوات ان يكون لها مكان في بناء الكلمة ، لا ان تضاف فوق الحرف او تحته فيخفف منها فتزول فينشأ ما ينشأ من الخطأ . ان هذه الاصوات القصيرة كنظائرها الطويلة ، وهي كالاصوات الصامتة في تقرير دلالة الكلمة . فانت تعرف ان « الطّرَف » غير « الطّرْف » وغير « الطِرْف » ومثل هذا سائر مواد العربية . اقول : كان على المعلم أن يشعر الطالب في عملية التعلم بالقيمة الصوتية المهمة لهذه الاصوات ، وعلى هذا كانت تسميتها بالحركات اشعاراً للمتعلم بأنها ليست ضرورية ، ومن أجل هذا غابت في الرسم .

الفتحة والكسرة والضمة ، واصوات المد ، وهي الألف والواو والياء . وفي هذا الاشعار ايحاء للصغير بأن هذه الاصوات القصيرة هي كالاصوات الطويلة في طبيعتها وصفاتها وطريقة اخراجها وما يتصل بمخارجها في الفم . وهذا الاشعار لا يتجاوز الايحاء ولفت النظر والانتباه الى ذلك بطريقة التكرار وسماع الكلمات مقطّعة مخرّجة اخراجاً حسناً . وهذا اول تعلم الالقاء والأداء والتلاوة قبل أن يكون الطفل قد رسّخ فيه البيت والمحيط عادات غير مقبولة في الاصوات . كما يُبدأ مع الطفل اعتباراً من السنة الثانية بتأليف جُمَلٍ قصيرة لا تتجاوز الكلمتين . حتى اذا تجاوز السنة الثانية يصار الى جُمَل أطول منها تتألف من كلمتين مع ما يكملهما من جار ومجرور او ظرف او شيء غير ذلك . على أن تكون هذه الجمل قريبة كل القرب مما ألفه وسمعه في البيت او الشارع او السوق مثلاً .

على أن تستوفي هذه الجمل الاصوات الصامتة شيئاً فشيئاً وهي مرسومة في الكتاب رسماً واضحاً تستوفى فيه صور الصوت اذا كان في اول الكلمة متصلاً بما بعده ، او في وسط الكلمة موصولاً بما قبله وما بعده ، او في آخر الكلمة موصولاً بما بعده او منفصلاً عنه نحو : باب ، بيت ، اربع ، عجب .

وبتكرار هذه الكلمات في جمل موجزة مقرونة بصور جميلة يهتدي التلميذ المتعلم الى رسم الاصوات . فطريقة الرسم للاصوات العربية وكيف يكون ذلك في الكتابة ، واعني به ما يسمى في اللغة المدرسية المعاصرة « الاملاء » ، مشكلة معقدة ينبغي التدبّر لها في عملية التعلّم[١٢] منذ المرحلة الاولى في المدارس الابتدائية .

ج ـ ان الكتاب المدرسي في السنوات الثلاث او الاربع الاولى من سني الدرس ينبغي أن يكون كتاباً للقراءة والتلاوة واجادة الاداء كما أشرنا في تعلم الاصوات وضبطها ، وهو في الوقت نفسه كتاب لتعليم ما يسمى بـ « التحرير والانشاء او تكوين الجمل » . ويجب أن يكون هذا الكتاب ، ولاسيما في السنتين الثالثة والرابعة ، معيناً للمتعلم في تكوين الجمل ، ومن ثم ينبري مقلداً ومحاكياً هذا النمط من التأليف فيبدأ في تأليف جمله الخاصة . وهذه الجمل من غير شك جمل موجزة قصيرة واضحة ترمي الى المعنى بيسر ومن غير تعقيد كالتقديم والتأخير .

على أن هذه الجمل تتألف من الرصيد اللغوي الذي يعرفه المتعلم في بيته ومحيطه ثم يزاد

(١٢) ان كثيراً من المواد العربية تؤلف مشكلة في الرسم (الاملاء) فرسم الهمزة مضطرب كثيراً لاختلاف ليس في طوق المبتدىء ان يلم به ، والهمزة لم تحظ من العلماء المتقدمين بما كان لها من قيمة صوتية ، ولذلك تخففوا منها فلم يرسموها في كتابتهم . وآية ذلك ما نجده في المخطوطات العربية في رسم الهمزة، فهي اما ان تحذف اذا كانت في آخر الكلمة نحو « سماء » فترسم « سما » او ترسم ياء ان كانت مكسورة في درج الكلمة نحو « حدايق » او تكون الفاً في اول الكلمة غالباً . ثم انها لم تسمّ بهذا الاسم فكانت تسمى الالف . وللتمييز بينها وبين الف المد يقال الالف اللينة تمييزاً لها عن الالف التي هي الهمزة . ومن أجل ذلك كانت العناية برسم الهمزة ضرورية من حيث انها صوت كسائر الاصوات الصامتة ، ومن حق رسمها أن يثبت في الكلمة وان يتفق على صورة لتيسير هذا الرسم بدلاً من القواعد المعقدة الكثيرة . الا ترى انهم يكتبون : رؤوس ورءوس ؟

عليه شيئاً فشيئاً . وقد يقال : ان الرصيد اللغوي مختلف في البيئة الواحدة ، ذلك أن ابن القرية له رصيده اللغوي الذي يختلف عن رصيد نظيره ابن المدينة . ومن هنا وجب على واضعي هذه الكتب للسنوات الاربع أن يحسبوا حساب الرصيد اللغوي المشترك الذي يجمع ابناء القطر الواحد .

على أن يلتفت المعلم الى أن عملية القراءة وتعلُّمها يجب أن يصحبه تعلُّم للتجويد(١٣) . وأريد بالتجويد ان يتدرب المتعلم على حسن الالقاء . وبهذا يتم لتعلم القراءة قدر واف من الضبط اللغوي اداءً ومعرفة وفهماً والقاءً . ومن غير شك فإن المتعلم يهتدي طوال هذه السنوات الاربع الى لون من القواعد النحوية يألفه قبل أن يشار اليه بالاسم على انه « نحو » او « قواعد » كما يسمى في لغة المدارس في عصرنا .

ألا ترى أن تعلم القراءة على هذا النحو ، والتوفر على هذه الفوائد التي أشرت اليها في الاصوات والدلالة يجعل العربية وحدة ثقافية تضيف الى معارف المتعلم فوائد عدة لا ارى الحاجة تدعو الى تكرارها ؟ وقد يكون من ابرز هذه الفوائد اثراء معجم المتعلم وهو مبتدىء في أول الطريق .

ويستمر تدريب المتعلمين على القراءة الجيدة النافعة التي تهدف الى تحقيق اغراض عدة هي حسن الاداء وما يقتضيه من احسان اخراج الاصوات ، والتدريب على تأليف الجمل وزيادة المعرفة اللغوية باستعمال مجموعة من الكلم تزداد كلما تقدم المتعلم في تدرجه في المدرسة ، حتى اذا وصل الى السنة الخامسة اضيف الى الاغراض التي تهدف اليها مادة المطالعة غرض آخر هو معرفة القواعد النحوية والتطبيق الصرفي اللذين يشتمل عليهما كتاب النحو والصرف .

د ـ ولا بد لنا أن نقف على مادة الصرف والنحو ، وقد قدمت موضوع الصرف لأن التقديم شيء يقتضيه الترتيب العلمي كما سنرى . قلت لا بد من البدء بالصرف فما حقيقة هذه المادة ؟ ان الصرف يعرض للكلمة وتركيبها على صورة من الصور وما يعرض لها من تغيير في بنيتها وابدال في اصواتها . واذا كان الامر كذلك فلا بد من البدء باصغر وحدة تشتمل عليها الكلمة الصرفية ، تلكم هي الاصوات ومعرفتها .

وقبل أن نتناول هذه المادة وفق ما يقتضيه العلم الجيد النافع نرى من المفيد أن نبين مادة الصرف في الدراسة القائمة التي يتبعها الدارسون في عصرنا في المدارس كما هي مدونة في كتبهم المدرسية . ان مادة الصرف في الكتب المدرسية مبثوثة في كتب النحو لا تتبع نظاماً في توزيعها وترتيبها . فقد تجد المادة الصرفية بازاء المادة النحوية ثم تنقطع هذه المادة الصرفية وتتحول مادة

(١٣) لقد بات مفهوماً لدى كثير من الناس ان « التجويد » تلاوة القرآن بضرب من التغني والتطريب . اقول : ليس هذا هو المراد بالتجويد ذلك ان التجويد احسان التلاوة والقيام على اخراج كلمات الله تعالى اخراجاً حسناً .

الكتاب الى النحو ثم تعود مرة اخرى الى الصرف . وربما وجدت المادة الصرفية جزءاً من الموضوع النحوي . ولعل هذا ناتج عن أن الكتاب المدرسي الجديد يتبع في سرد مادته الكتاب القديم . ألا ترى ان الكتاب القديم حين يعرض لاسم الفاعل يعرض في الوقت نفسه الى عمل اسم الفاعل فيكون الموضوع صرفياً ونحوياً ؟

ولم يفطن أحد من المصنفين للكتاب المدرسي في مادة الصرف ان يعرض لشيء من الاصوات ، مع ان علم الاصوات من أهم ما يمكن ان يرجع اليه الدارس في تفهم كثير من المواد الصرفية(١٤) . على أن الاشارة الى شيء يسير من علم الاصوات ضروري في الدراسة الثانوية ، كأن يشار الى الجهر والهمس ، والاصوات القمرية والشمسية ونبذة موجزة عن مجاميع الاصوات ، نحو الاصوات الحلقية والاصوات الشفوية . وما يكون منها من طرف اللسان ، وغيرها .

وإذا كانت الدراسة الصوتية أمراً لا بد منه فقد يكون من الواجب أن يبدأ بشيء من ذلك في دراسة مادة الصرف بدءاً من المرحلة الثانوية . على ان تكون هذه الدراسة مصححة لكثير من الخطأ الذي جرى عليه المتقدمون وتبعهم اللاحقون الى ان أظلنا العصر الحديث .

ان دراسة المواد الصرفية في عصرنا في الكتب المدرسية الحديثة لا تختلف في جوهرها وموادها وتفريعاتها عن علم الصرف في الكتب القديمة . ومن دراسة الصرف ان نعرف بدءاً شيئاً من الاصوات . والاصوات كما هو معلوم قسمان : الاصوات الصامتة «Consonne»

---

(١٤) لقد كتب في الاصوات العربية جماعة من المستشرقين في عصرنا فرجعوا الى ما كتبه العرب المتقدمون كالخليل وسيبويه وابن جني ومن خلفهم من علماء اللغة وغيرهم ، ثم أضافوا الى ذلك ما وصل اليه علم الاصوات في عصرنا وما استعين عليه بمعامل الصوات (المختبرات) فدرسوا العربية المعاصرة وما يبرز فيها من مشكلات صوتية تتصل باللهجات وغيرها . ثم كتب غير واحد من الباحثين العرب وعلى رأسهم ابراهيم أنيس وجماعة من اساتذة دار العلوم في القاهرة ، وكأن كل واحد من هؤلاء يعيد ما ذكره الآخر في الكلام على الصوت الانساني وطريقة اخراجه ، والجهاز الصوتي واجزائه ، وعلاقة الصوت بعملية التنفس شهيقاً وزفيراً ، ثم الاجزاء العضوية التي يتم فيها اخراج الصوت (المخارج والاحياز) فوائد اخرى تتصل بصفات الصوت وغيرها . اقول : كل ذلك حسن وجيد ، ولكن ما فائدة ذلك في اللغة التطبيقية ؟ واذا عرفنا كل ذلك فهل عرفنا الاصوات على حقيقتها اذا علمنا ان الاصوات تختلف بين بيئة واخرى ، وبين جماعة واخرى ؟ وقد يكون الاختلاف بين فرد وآخر ، وبين عصر وعصر . فإن لم يكن من ثمرة دراسة الاصوات معرفة شيء من مشكلات العربية ، ولاسيما المسائل الصرفية ، فلا فائدة من هذه الدراسة . وفي الحال تكون الدراسة الصوتية حشو ذهن الطالب بمسائل لغوية صوتية معقدة متشابهة يحفظها الطالب في المرحلة الجامعية وسرعان ما ينساها .

قلت : ان الاصوات تختلف بين قطر وقطر، ومدينة واخرى، والمدينة والقرية ، وفرد وفرد ، وعصر وآخر ، فهل لنا ان نقول : ان علمنا بالاصوات علم يمكن أن يطمأن اليه ؟ وكيف يمكننا أن نقول : ان الصوت الفلاني كيت وكيت ، مع علمنا أن هذه الاصوات كما هو واقع جار متأثرة بالألسن الدارجة ؟ وحتى المادة العلمية التي سجلها الاوائل في الاصوات ، كيف يمكننا ان نقول انها صحيحة جيدة او أنها اصوات العرب عامة في قبائلهم المختلفة وبلادهم المترامية الاطراف ؟ على أن أهم فائدة لهذه الدراسة الصوتية ينبغي ان تكون عملية تطبيقية ، وذلك بفهم المشكلات اللغوية كما سنرى .

والاصوات المصوِّتة «Voyelle» . وهذا يعني أن نقلع وفق هذه الدراسة عن مصطلح « الصحيح » و « المعتل » ، وذلك لأن الحروف الصحاح بحسب علماء اللغة الأقدمين هي الحروف غير الواو والالف والياء . وهذا ما هو معمول به الى يومنا هذا في الدراسات المدرسية في مراحلها المختلفة . وهذا يعني ايضاً ان الالف والياء والواو ، وهي حروف « العلة » ، تقابل « الصحاح » .

ووجه الوهم في هذا التقسيم ان الصرفيين العرب قد خلطوا بين أصوات اللين والمدّ في نحو : « قالَ ويَقولُ ويَبيعُ » وبين الواو والياء في نحو : « وَجَدَ ويَسَر » . وقد يكون الخلط أكثر من ذلك لدى الاوائل الذين عدّوا الفعل المهموز نحو : « أمَرَ وسأَلَ وقَرَأ » في باب المعتل (انظر كتاب العين للخليل ، والتهذيب للازهري) . ومن المعلوم ان الواو في « وَجَد » والياء في « يَسَر » والهمزة في المهموز ، أيّاً كان موضع الهمزة ، كل ذلك من الاصوات الصامتة . وكان الحق ان يعدها الاوائل مع طائفة الحروف « الصحاح » غير المعتلة .

ولعل من باب الوهم أيضاً ان العرب خلطوا في الرسم أيضاً . فقد كانت الألف ، وهي صوت مدّ لينّ ، ترسم على هذا النحو « ا » كما في « قال » . وهذا الرسم يؤدي الهمزة عندهم قبل أن يكون لها رسم خاص هو رأس العين بعد اقتطاع ذنبه (عـ) . وكانت الواو ، وهي صوت مدّ وليـن، ترسم على هذا النحو « و » كما في « يقول » . وهذا الرسم هو نفسه في « وَجَد » . وكانت الياء ، وهي صوت مدٍّ ولين ، ترسم على هذا النحو « يـ » كما في « يَبيعُ » وهو نفسه في « يَسَرَ » . ولو أنهم خصصوا لهذا الألف الذي في « أمَرَ » ، وللواو كما في « وَجَدَ » ، وللياء كما في « يَسَرَ » ، رسوماً أخرى غير تلك التي تؤدي المدَّ واللين كما في « قالَ ويقولُ ويبيعُ » لاختلاف هذه عن تلك طبيعة وصفات ومخارجَ وأحيازا ، لكنا اليوم أسعد حالاً وأيسر في فهم كثير من مشكلات العربية(١٥) .

هـ ـ على ان التصحيح الذي تتكفل به الدراسة الصوتية المعاصرة لا يقتصر على المشكلة الآنفة . ذلك ان مما يتصل بها من حيث كونه أصواتاً مصوّتة هو موضوع ما عرف بـ « الحركات » . ولا بد لنا من أن نقف وقفة خاصة فنؤكد أن هذه « الحركات » هي أصوات مدّ قصيرة كان ينبغي أن تُضَم الى طائفة الاصوات عامة . وهذا يعني ان عدة الاصوات تصبح

---

(١٥) لعل الاقدمين قد جعلوا الرسم للألف والواو والياء من حيث كونها اصوات لين نظير الالف في « أمَرَ » والواو في « وَجَدَ » والياء في « يَسَرَ » لانهم وجدوا ان اصوات اللين في « قالَ ويقولُ ويبيعُ » تكون احداث مصادرها: « القَوْل والبَيْع » فذهبوا الى أن المدّ في هذه الافعال أصله الواو والياء في « قَوْل وبَيْع » ، ومن هنا حدث الخلط بين طبيعتين مختلفتين . فكيف يصار الى حل هذه المشكلة ؟ اقول : ينبغي ان نقطع بمسألة الأصل والفرع فنقول : ان « قال وباع » فعلان يتألفان من صوتين صامتين بينهما صوت مدّ ولين ، وليس من علاقة اصل وفرع واشتقاق بين الفعل والمصدر « قَوْل وبَيْع » فكلاهما اصل ، ولكل اصل بنية خاصة وطريقة خاصة في عدة الاصوات وبنائها وترتيبها ، وبهذا نحفظ للقيم الصوتية حقها . ولو انهم ادركوا هذه الحقيقة لاستطاعوا أن يخالفوا في الرسم فيكون للصوت المصوت رسم خاص كما يكون للواو الصامتة والياء الصامتة رسم خاص فيبتعد الخلط وتتضح المسائل .

تسعاً وعشرين مع الهمزة ثم تكون اثنين وثلاثين مع الفتحة والكسرة والضمة[١٦] . على أن يكون لها رسم يدخل في بناء الكلمة اي ان هذه الاصوات « الحركات » ترسم في « كُتِبَ » كما ترسم الكاف والتاء والباء .

ومن جراء الخلط بين اصوات اللين ، أي المدّ، وبين كونها أصواتاً صامتة كما بيّنا ، قالوا في باب الاعلال مثلاً ان : « قالَ » أصلها « قَوَلَ » و « باعَ » أصلها « بَيَعَ » وان الواو والياء تحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا الفا . ونحن نقول : ان الالف في « قال » و « باع » ليست من الواو في « قَوَل » ، ولا من الياء في « بَيَعَ » . واذا كان المصدر « قَوْل » و « بَيْع » فلا يعني هذا أن الفعل من المصدر جريا على مقولة سابقة افترضوا فيها ان المصدر اصلٌ وان الفعل فرع منه على رأي النحاة البصريين[١٧] . وقد قلت في الحاشية (١٥) ان العلاقة بين الفعل والمصدر في هذه الافعال المسماة « جوفاء » علاقة معنى ودلالة وليست علاقة تأصيل . وأقول هنا : ان درس علم الاصوات في عصرنا هذا ينبغي أن يصار فيه الى حل هذه المشكلات ونحوها لا ان يكتفي فيه بالقول بالمخارج والاحياز وطبيعة الاصوات وصفتها وطريقة اخراجها وما يتصل بذلك من اعضاء جهاز النطق .

و ـ ان باب الاعلال باب كبير في العربية أقيم كله على هذا الخلط في الاصوات فكان في جملته مصطنعاً مفتعلاً . ولنضرب على ذلك مثلاً فنقول : قالوا أصل « مبيع » « مبيوع » فكيف توصلوا الى « مبيع »؟ لقد اتبعوا طريقا طويلاً كله عبث وافتعال فقالوا : نقلت حركة الياء الى الباء وهو الصحيح الساكن ، فالتقى ساكنان فحذف الواو ، وهو واو الصيغة ثم أبدلت ضمة الباء الى كسرة لمناسبة الياء فصار « مبيع » .

وقد تقول : لم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ، ولِمَ لم تحذف الياء كعادتهم في حذف الساكن الأول ؟ ولم عدوا الواو ساكناً وهو ضم طويل ؟ ولم كانت الياء حرف علة متحركة تحولت الى مد طويل في « مبيع » ؟ كل هذا للوصول الى ما ارادوا . ولقد فاتهم أن ينظروا الى الابنية

---

(١٦) اقول : ان ادراك الاوائل ان الحركات عناصر ثانوية لا تملك هذه القيمة الصوتية التي لها في الحقيقة العلمية دفعهم الى تسميتها « حركات » اولاً ، والاعتقاد أنها ثانوية ثانياً ومن ثم ليس مهماً ألا تثبت في الرسم، وكان من ذلك ما كان من الخلط والخطأ . ألا ترى ان « كتب » لولا هذه « الحركات » لصح لها اربع صور هي «كَتْبٌ»و«كُتُب»و«كَتَبَ»و«كُتِبَ»؟ولعله لجهلهم قيمتها الصوتية الحقيقية لم يتضح لهم موضعها،فكأنها علامة أو اشارة توضع فوق « الحرف » او تحته . ولم يهتدوا الى أنها اصوات يلي كل منها الصوت السابق له كما في « كُتِبَ » فهي : كُ / تِ / بَ اي الكاف تليها الضمة والتاء تليها الكسرة والباء تليها الفتحة .

(١٧) وكان الكوفيون يرون العكس ، وعندهم ان الفعل اصل والمصدر فرع منه . ولا يهمنا أمر هذا الخلاف في عصرنا هذا . ذلك ان المصدر والفعل كلاهما مادة واحدة فهما حدث ، وهذا الحدث قد يحدده زمن خاص اذا كان فعلاً ، وقد يكون هذا الحدث غير مقترن بزمن خاص ، ولكن الاستعمال يكسبه شيئاً من الدلالة الزمنية ، وهذا هو المصدر . انظر اعمال المصدر كقولك يسرني مجيئك (اليوم او غدا) فالدلالة مستفادة من بناء الجملة .

على أنها مواد تاريخية ، وان العربية لسان مجاميع بشرية كثيرة مختلفة بعضها عن بعض . وهذا يعني أن من العرب من كان يقول : مديون ومبيوع ومصوون[18]. وهذا يعني ان الامر يتصل باللغات الخاصة ، اي « اللهجات » . فالذي يقول « مديون » هو غير الذي يقول « مدين » . وهذا يعني ايضاً ان بناء « مدين » تطور لبناء « مديون » عند قبيلة او مجموعة من القبائل ، في حين ان « مديون » « ، وهي لغة جماعة أخرى ، لم يكتب لها التطور المفترض .

ان الدراسة الصوتية تفرض علينا أن نقول للطالب : ان « مدين » ليس من « مديون » وان كلا منهما بناء قائم بذاته . وذلك ما يفرضه علينا علم الاصوات الذي يميّز بين الياء في « مدين » والياء في « مديون » لأن كلا منهما صوت يختلف عن الآخر . ومن ثمار علم الاصوات اننا نقول لطالب الصرف في عصرنا ـ لو تهيّأ لنا ذلك ـ : ان الفعل « ازدَحَمَ » و الفعل « ادّعَى » والفعل « اذدَكَرَ » كل ذلك من بناء « افتعل » مثل « اختلط » ولكن بسبب من الحرص على المماثلة في طبيعة الصوت أبدلت تاء « افتعل » دالاً بعد الزاي والدال والذال . وفي باب الابدال أمثلة كثيرة نستطيع ان نجد علة الابدال في المماثلة الصوتية ، فالصوت المجهور يلتئم مع نظيره وكذلك المهموس .

وبعد هذه البسطة من الكلام على الصرف وكيف ان ينظر اليه مستفيدين من علم الاصوات يحسن بنا أن نقف على اكبر مادة في تاريخ العربية هي مادة النحو .

قلت : ان مادة النحو قد ظلمت كثيراً في الدراسة اللغوية المتبعة في مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا . وقد أشرت الى النحو القديم منذ أن حُرِّر في مصنفات ككتاب سيبويه ، و « المقتضب » للمبرد ، و « أصول ابن السراج » ، وغير هذا من الكتب التي كتبها اللاحقون بهذه الطبقة من الاول، وكتب المتأخرين ، كالالفية وشروحها وغير ذلك من المواد التي يجب على دارس النحو أن يلم بها وافياً ليعرف تطور الكتابة النحوية ، وليلم بمنهج الاوائل ومنهج المتأخرين من النحاة . ولا بد للطالب في الدراسة العالية (الكليات) ان يعرف النحو في هذه المظانّ ، على ان هذا غير كاف ، لأن تطور العلم اللغوي يستدعي من الدارس الجديد ان يعرف النحو الجديد الذي يتفق والعلم الجديد . وعلى هذا يكون امام الطالب لونان من الدرس النحوي ، الاول : هو النحو التاريخي يدرس في مظانه القديمة دون أن يكون الدرس نقداً او مقصوراً على النقد . والثاني : النحو الجديد وهو النحو الذي نصف به الكلمة العربية مفردة ، والجملة العربية ، ومكان الكلمة وموضعها النحوي فيها .

في هذا الدرس الجديد الثاني نعزف عن الجمل المصطنعة المفتعلة التي كنا نواجهها في

---

(١٨) انظر : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥ ج (بيروت : دار صادر ، ١٣٠٠ هـ) ، مادة « صون » و « دين » و « بيع » ، وانظر ايضاً : ابو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، ٣ ج (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) .

الكتب القديمة فلا يرى الطالب مثلاً الشاهد النحوي :

قومي ذرى المجد بانوها وقد علمت　　　بكنه ذلك قحطان وعدنان

ولا ما صيغ على غراره من قولهم : زيد هندا (او هند) ضاربها هو . واذا كان الشاعر القديم مضطراً أن يقول ما قال من اللغة المفتعلة بسبب الوزن فليس قوله نظاماً يتبع فنصوغ مثالاً نحوياً على غراره .

ونعرف كذلك عن قولهم ان : « زيد قام » زيد مبتدأ خبره جملة « قام » من الفعل وضميره المستتر ، بل نقول : ان « زيد » فاعل للفعل « قام » وهو نظير قولنا « قام زيد » وليس في التقديم والتأخير مسألة نحوية . ذلك ان هذا يتصل بالاساليب ومعانيها من حيث الاهتمام بالمقدم فعلاً كان او اسماً .

وليس لنا ان نقول في قوله تعالى : ﴿ وان أحد من المشركين استجارك فأجرْه ﴾ : ان « أحد » فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور والتقدير : « وان استجارك أحد من المشركين استجارك فأجرْه » . وذلك لانهم افترضوا ان في « استجارك » الثاني ضميراً هو الفاعل يعود على « أحد » المتقدم . أما نحن فنقول : ان هذا من العبث وان « احد » هو الفاعل لـ « استجارك » المتأخر قدم عليه لغرض من اغراض الاسلوب ، ولكلام الله اسرار يهدي اليها طبيعة هذه العربية ذات الاساليب المختلفة .

ومن العبث أن نقول بباب التنازع كما في قولهم : « قعد وقام أخوك » ان الفاعل متنازع عليه من الفعلين . فقد عده البصريون للفعل الاول لأوليته ، وعده الكوفيون للفعل الثاني لقربه ، وقال كل منهم انه يحتمل الفعل الذي ليس الاسم الظاهر فاعلاً له ضميراً هو فاعله . ولو افترضنا ان مثالاً وقع في لغة الناس على هذا النحو لكان الفاعل لكليهما معاً في رأينا الجديد . ونرفض باب التنازع كما نرفض باب « الاشتغال » في قولهم : الخبز أكلته . قالوا الخبز نصب على الاشتغال لأنه مشغول عنه اي ان الفعل قد شغل بضمير الخبر المتقدم نصبه . اللهم ان هذا من العبث الكبير ، فالخبز مفعول للفعل المتأخر .

ثم اليس من العبث ان يقول الطفل الغرير في قوله : يلعبُ الولد ، ان الفعل مرفوع لتجرّده عن الناصب والجازم . الا ترى ان في قوله « لتجرده » اشعاراً بأنه أُملي عليه ان يقول بـ « العامل النحوي » ، اي ان سبب الرفع هو « التجرّد » ؟ وكيف لهذا الطفل ان يدرك السبب والعلة والمعلول ؟ ثم كيف له أن يدرك « التجرّد » ؟ انهم البسوا هذا الطفل لبوس المنطقي المتفلسف ، وهل يطيق هذا الصغير هذا المنطق ؟ ويسمون للمتعلم ، ابتداء من المبتدىء الصغير وهو الطفل ، مسميات لا يدركها . فالمضارع شيء بعيد كل البعد عن ادارك المتعلم الكبير بله الطفل الصغير .

قالوا : ان المضارع ما ضارَع الاسم اي شابهه . ولا نرى نحن الدارسين في هذا العصر وجهاً للشبه بين الفعل وهذا الاسم . وكأنهم أدركوا هذا الاضطراب فقالوا ايضاً اشبه اسم

الفاعل الثلاثي في حركاته فإن « يضرب » مثل « ضارب » في الحركات . وهل رأيت أخي القارىء مثل هذا العبث ؟ ثم قالوا : اشبهه في الاعراب لأن الاعراب اصيل في الاسماء ، والبناء اصيل في الافعال ، فلما أعرب « المضارع » شابَهَ الاسماء فسُمِّي مضارعاً أي مشابهاً ، كل هذا من العبث .

وأكثر عبثاً من ذلك أنهم لم يهتموا بزمن الفعل اهتماماً كافياً فالماضي هو زمن قضي ولا تعرف لهذا الماضي حداً في نحوهم . كما لا تعرف حدود الحاضر او المستقبل . فاين المستقبل القريب وأين المستقبل البعيد ؟ وكيف يكون الفعل مستقبلاً بالقياس الى فعل آخر في الجملة عينها وكلاهما ماض قديم ؟ ألم يُعرب العرب في جاهليتهم واسلامهم وفي كتاب الله تعالى وحديث رسوله عن خصائص زمنية كهذه ؟ لم يدرك النحوي القديم من هذا شيئاً ، افترى ان العجب كل العجب ان يظل هذا النحو قائماً فلا يصلح شيء منه ولا يؤتى بجديد مع النافع من القديم الموروث ؟

ز ـ هذا قليل من كثير يتصل بمادة النحو بما اثقل من مواد ليست من النحو وبما كتب في اسلوب قائم على عناصر ليست لغوية، هي اقرب الى اهل المنطق المتفلسفين. ونجتزىء من ذلك بالامثلة التي سقناها لنتفرغ الى شيء عن المعجم العربي فنقول : ان المعجم العربي قديم باق على قدمه ، ولم تستطع الجهود الكثيرة ان تحرر معجماً جديداً . ومن صفات المعجم القديم أنه وعاء فيه من الفوائد ما لا حصر له . فقد تكون فيه الكلمة ودلالتها واستقامتها ومشتقاتها ومعانيها الكثيرة المختلفة وما يتصل باللهجات من ذلك . وقد يكون ذلك مما لا حاجة اليه ، اي من الموضوع المصطنع الذي قذف به الوضاعون على نحو ما وضع في الثقافة العربية في الشعر والنثر والاخبار والحديث وغير ذلك من الالوان الادبية التاريخية .

أقول : ان المعجم القديم وعاء حوى الكثير من المعارف المفيدة وغير المفيدة . واذا كان وعاء فقد يكون من صفاته عدم التنظيم . فأنت لا تستطيع أن تهتدي فيه الى الفائدة المرجوّة بيسر ، وقد تستوفي المادة ولا تجد ضالّتك . والكلام كثير في هذا الباب . والذي ندعو اليه ان يكون لنا معجمات هي :

ـ معجم تاريخي يؤرخ للكلمة فيتعقبها في مسيرتها الى أن تظل حيّة او ان تموت مفيداً من النصوص المعتمدة الموثوق بها .

ـ المعجم الجديد للعربية المعاصرة . ذلك ان هذه العربية على فقرها قد اشتملت على جديد لا نستطيع ان نحمله على الخطأ بحجة « قل هذا ولا تقل ذلك » .

ـ المعجم المدرسي ، وهو جهد كبير يلزمه ضبط للرصيد اللغوي في القطر ، وفي الاقطار المختلفة ، لنضبط ما يمكن أن يؤلف مادة هذا المعجم فيرجع اليه الدارس الجديد .

ـ المعجمات الخاصة وهي معجمات العلوم والفنون والآداب .

تعقيب ١

محمّد المنجي الصيادي

تطرق الباحث في هذا العرض المطول نوعاً ، والمركز على قضايا مستمدة من فقه اللغة العربية التقليدي ، الى قضية الحضارة ودور التعريب في نشرها في العصر الحاضر ، ملاحظاً ان العمل التعريبي بدأ متفرقاً في القرن العشرين ، ومن البداية نشعر باختصاصه العميق في هذا الموضوع ، اي المسائل الصوتية والصرفية المرتبطة بها ، وكذلك قضايا النحو العربي .

وبما ان الموضوع يشير الى نقطتين فقد كان من الضروري تحديد المقصود بالوسائل التعليمية وقابلية ذلك للتطبيق . وكذلك الامر بالنسبة لموضوع تيسير العربية ، هل هو تيسير في مادة التعليم ام في الاساليب والطرق المتوخاة من طرف المعلمين لايصال المعلومات الى الطلاب ؟

وفي نطاق استقرائه اللغوي الدقيق يثير الباحث ، مستشهداً بالمأثور الفصيح ، قضية المعرب والتعريب كما قام به الاوائل ، ونرجو ان لا يكون ذلك من باب الاستطراد الذي يطغى على جوهر البحث ، وخاصة توازنه حيث اعتذر عن ذلك . وقد تفطن الى ذلك في النهاية فقال مبرراً الاقتضاب الذي طرأ على حديث عن المعاجم : « والكلام كثير في هذا الباب » في حين ان الخاتمة التي تتيح عادة فرصة لكي نخرج بحلول وآراء جديدة ، لم تحتل في البحث سوى سطر واحد . وهذا مفهوم لان عدد كلمات البحث محدد بالوقت الذي يخصص لالقائه .

ويقول بخصوص وضع المصطلحات العصرية : « ان توفير المصطلحات يكون بهذه الطريقة (يعني تعريب المصطلح الاجنبي على طريقة المتقدمين) وبالبحث في العربية عن الكلم الفصيح مما استعمله القدماء » . لا نظن ان الوضع الاصطلاحي توقف طبعاً بتوقف جهد القدماء ، والا لما قامت المجامع ، بعد الافراد والصحف ، بهذا العمل في مطلع القرن العشرين .

اما عن تعليم العربية بطريقة السماع عن الشيوخ وتدارس الكتب القديمة المتأثرة بالمنطق كما هو في المؤلفات النحوية ، فقد أطنب القول فيها . ويا حبذا لو تعرض الى الحلول التعليمية البديلة الصالحة لعصرنا ، لا للحلول اللغوية التي يمكن أن تكون جزئية تتناول كل مسألة على حدة في النحو ، او الصرف ، او رسم العربية ، او غير ذلك من موادها كما سنعود الى شرحه في حينه . وقد جاء في البحث ما يطمئن عن مصير تعليم العربية حيث قال مؤلفه : « مواد وطرائق بعيدة كل البعد عن المنهج السليم في تحرير النحو في عصرنا » ، (وذلك خلال حديثه عن كتب النحو القديمة) . لكن كان ينبغي الاشارة الى تأثير هذه الطرق في دراسة العربية في مختلف مراحل التعليم . والحل الوارد في البحث هو أن يدرس النحو على اصوله مع الاطلاع على نحو اللغات الاخرى ترقباً لاصلاح جذري لتعليم النحو والعربية جملة ، هذا الاصلاح الذي لا نعتقد انه يجب ان يتناول المادة ذاتها بقدر ما يتناول الاساليب التعليمية التي تتيح الدراسات المقارنة والابتكارات في الميدان التعليمي ان تكيف وتستسيغها مادة اللغة العربية . وبداية فإن الحديث عن تعليم القراءة العربية يجرنا الى نقد كتب القراءة وقلة مظهرها التشويقي عند الطفل ، اضافة الى تحريك التفكير والعمل من اجل ان تكون الدربة على القراءة جيدة تجذر الطفل في واقعه وتحبب اليه المطالعة . وباجمال القول ، فإن تطوير وسائل تعليم العربية يعني تبسيطها بالذات . وبذلك يمكن أن نتخلى عن الجدل العقيم المتمثل في المنازعات حول الحذف او الابقاء على بعض الابواب في النحو او غيره ، اذ لا تنوب مواد العربية بعضها عن البعض الآخر ، بل ينبغي ان تعمل متضافرة لكي يتم التدريب اللغوي على احسن وجه (مثلاً ربط المعلومات الصوتية بدروس الصرف) . وقد ذكر الباحث العيوب المترتبة على الاكثار من الدقائق النحوية والصرفية المرهقة للتلميذ دون بلوغ مأرب تعليمي معين يتمثل اساساً في ترسيخ المعلومات اللغوية . ومن الحلول المساعدة التي اتى عليها ايضاً، رسم الحركات في صلب الكلمات ، لكن كيف يطبق ذلك طباعياً ؟ ان الحلول والمقترحات لاصلاح الكتابة العربية كثيرة ولم ينفذ منها اي مشروع على الصعيد العربي . واتجه كاتب البحث ايضاً في نفس المسار الاصلاحي بالنسبة لتحديث المسائل النحوية : مثلاً التقديم والتأخير في الجملة يتعلق بالاسلوب والمغنى قبل ان يمس الوظيفة بتغيير . ومع ذلك فقد كان للصبي في المرحلة الابتدائية من المنطق الاولي ما جعله احصائياً يميل الى الحل الآتي : جملة مبدوءة باسم فهي اسمية ، جملة مبدوءة بفعل فهي فعلية . لكن في مقابل ذلك نوافقه على وجوب التخلي عن عدة ابواب في النحو (لا حذف مطلق لها) مثلاً المسائل المفتعلة كالتنازع والاشتغال انقاذاً للمتعلم من السفسطة النحوية التي لا طاقة له بها ، كأن تعلل له تسمية المضارع بمشابهته للاسم في حين انه لا مفر من تحديد ازمنة واضحة للفعل العربي .

هذا بخصوص ما يمكن ابداؤه من ملحوظات جانبية تروم الاستفهام والتساؤل وطرح معوقات تعليم العربية التي نريد نشرها في مختلف انحاء العالم بوسائل تحببها لطالبيها ، وهي ملاحظة لا تمس في شيء قيمة هذا العمل الرصين المدرع بالمعلومات اللغوية الاصيلة التي لا

تتناقض ورغبة صاحبها الصادقة في العمل من اجل توطين العربية .

أما الآفاق التي يمكن فتحها في وجه تطوير تعليم العربية اكثر مما بذلنا ونبذل من جهود لتيسير مادتها ، وهو اتجاه يمكن أن يعتبره بعض المحافظين المدافعين عن سلامتها استنقاصاً لميزاتها وتقليصاً لتأثيرها ، فمن رأينا ان محوره ينبغي ان يعتمد اولاً ، وبالذات ، على التعليم اللغوي والوسائل المستخدمة لتبليغ المعلومات الى الطالب ، مهما كانت مرحلة التعليم التي ينتمي اليها . اما اللغة العربية فمادتها جاهزة متاحة دوماً لمن يروم تلقيها على قدر طاقته الاستيعابية . ولنذكر ان التعليم الديني كان مسيطراً في الماضي على محتوى تعليم هذه اللغة . وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة ان اركان اللسان العربي «اربعة ، وهي اللغة والنحو والبيان والادب ، ومعرفتها ضرورية لاهل الشريعة ، اذ مأخذ الاحكام الفرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب . ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم . فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة» .

كان المؤدب ينطلق من تحفيظ القرآن في المدرسة القرآنية المعروفة بالكتّاب دون سابق شرح لآياته . ولم يوجد طبعاً تعليم لغوي قائم الذات مستقل بنفسه ، باستثناء التدريب على مبادىء الكتابة القرآنية على الالواح حيث يدرب الطفل على رسم الآيات التي ينبغي عليه معرفة قراءتها ثم حفظها عن ظهر قلب واستظهارها بين يدي المؤدب . وقد تمادت هذه الطريقة التلقينية المعتمدة اساساً على الذاكرة في المراحل الاخرى من الدراسة المقدمة في المدارس والمساجد . وبما أن المقررات التعليمية الواضحة كانت مفقودة ، فإن الانتقال بين مراحل التعليم لم يكن محدداً الا ابتداء من القرن التاسع عشر . ولا يعني ذلك ان التعليم اللغوي لم يتميز قط خلال القرون الموالية . فقد ذكر اسعد طلس في كتابه عن التعليم عند العرب وتاريخ المدرسة النظامية ، ان هذه المدرسة البغدادية التي انشأها نظام الملك (١٠٦٥م) رتبت مقرراً تضمن تدريس القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، واصول الفقه الشافعي والاشعري ، والعربية وعلومها ، والادب وفنونه . لكن الهدف من تأسيس هذه المدرسة كان يرمي الى الانتصار على المذهب الشيعي . وهذه ظاهرة لم يختص بها العالم العربي وحده ، بل ان العهد الوسيط الاوروبي عاش نفس النظام التعليمي القائم على القواعد الدينية بحيث تكون اللغة في خدمة تعاليم الدين.

اما اليوم فإن النهضة اللغوية التي تعيشها العربية تستهدف بلوغ مرتبة حضارية عالية . وفي حين نجد اللغات الاجنبية تخطط لنشر الحضارة المعاصرة مستجيبة لرغائب كبار المتعلمين الاجانب ، موفرة الوسائل الفنية الضرورية لبلوغ هذا الغرض ، نجد اللغة العربية في طور تطلع الى هذا الامل المنشود ، باحثة عن سبل الانتشار الذي يمر عبر تطوير اساليب تعليمها داخل مناطقها او خارجها . وتستعمل اللغات الاخرى عنصر التشويق وحب الاستكشاف والتطلع الى المعرفة لتشد اليها اقصى ما يمكن من المقبلين على تعلمها ، فيؤول بها منطق العمل الجاد الى التركيز على التجديد المستمر لوسائل تلقيها . وهذا النهج لا يعني بتاتاً شن

الحرب او التخلي عن التراث اللغوي او التنكر له ، بل العمل على تكييفه بمتطلبات العصر . ذلك ان المنهجية التي يطرحها علماء اللغة المعاصرون لا تعني صراحة وبوضوح سوى بذل الجهد العلمي الرصين من اجل ابلاغ المعلومات اللغوية من ايسر السبل ، دون ان يعني ذلك التفكير في القضاء على التعقيدات اللغوية السالفة . فالعملية لا ترتبط بتحوير، او حتى تيسير المادة اللغوية ذاتها ، بقدر ما تعني انتهاج اقوم السبل لفائدة التدريب اللغوي المأمول النتائج . ويعترف اللغويون في الغرب ان علم الحياة وعلم النفس لم يحددا بعد نظرية قائمة الذات للدربة اللغوية تؤسس على شيء آخر غير مجموعة من الافتراضات . فهل يقتضي اختبار الطرق والاساليب الخاصة بتطوير تعليم العربية بالفعل تيسير المادة التعليمية ، ام انه يحتم مراجعة جذرية للمنهجية التي يسير عليها المعلمون ، وتحددها المقررات ؟ لا نظن أن تشذيب المادة النحوية مثلاً كفيل بتحسين التعليم النحوي . بل العكس هو الصحيح ، لأن سلوك مثل هذه الحلول التبسيطية من شأنه أن يجعل المعلمين والطلاب في حل من المقررات . وبذلك نكون قد فتحنا باباً فسيحاً امام التساهل والتكاسل وبالتالي الاهمال التدريجي للاقبال على تعلم العربية . اذ كيف يمكن الحكم مسبقاً على طلاب مختلفين في قدراتهم الذهنية لاستيعاب المادة اللغوية ؟ طبعا من المعقول تأسيس انتقاء المسائل وتوزيعها على فترات التعليم المدرسي ، لأنه عمل اساسي في المنهجية التعليمية مثله مثل العمل من أجل مطابقتها مستويات المتعلمين . لكن لا يعني ذلك التخلي عن امهات المسائل اللغوية العربية التي يمكن للطفل ان يتعرف عليها في المدرسة الابتدائية ، وان تزداد لطالب الثانوية معاشرته لها في حين ان الطالب في الجامعة الذي يبغي التخصص في الدراسات العربية عليه ان يناقش الاشكالات اللغوية ويحللها ويستنبط الحلول لها . هذا اذن المفهوم الواضح للمنهجية الخاصة بتطوير وسائل تعليم العربية الميسرة في تبليغها ، الواضحة في طرق مسائلها . لكن ليس لها ان تفوز بمقاصدها وترسخ في الاذهان وتؤ ول الى نتائج مثمرة ان لم تقم وتنطلق من تأهيل المعلم الكفء لجميع مراحل تعليم العربية ، على ان يكون تأهيلاً واعياً يجعل من المعلم باحثاً متفهماً للصعاب التي تترقبه ، مدركاً انه لا مفر له من الاقدام على إعمال الفكر لانجاح تعليمه . اما الاقتصار على تلقين المبادىء او المسائل اللغوية كما تلقاها هو ، فلا طائل من ورائه . ففي المرحلة الابتدائية يعني التيسير المام المعلم وتيقظه للابتكارات الفنية التي نجحت في تعليم اللغات الاخرى وتكييفها بالعربية. مثلاً كمية المفردات والتراكيب المناسبة لهذه المرحلة جمعها الرصيد اللغوي الذي تم تحقيقه لفائدة مدارس المغرب العربي ، وطرق تعليم القراءة العربية والحلول اللازمة في شكل تطبيق تام او جزئي للنصوص المعدة للقراءة، والتحدث والمحاورة بالعربية واساليب التدريب على ذلك باستخدام الطريقة الحوارية التي تنطلق من بعض المواقف المصورة المشاهدة التي تحفز الطفل وتدفع به الى الكلام ، الخ . . .

أما في المرحلة الثانوية فالرأي ان الوصول في منتهاها الى حمل الشاب على ترسيخ عادة المطالعة في نفسه هو اقوى ثمرة يمكن قطفها ، اذا اكتسب هذه العادة عن طواعية وادراك لفائدتها الدائمة ، وهي ابلغ نتيجة تثقيفية يمكن أن يحصل عليها المعلم الذي يدرس العربية

بمختلف موادها المعلمة طبق احدث الاساليب المتلائمة وخصائص العربية ، تلك التي تكون بمثابة التحصين والدعم لتحبيب العربية الى الطالب : مثلاً لم يعد يدرس الادب في المصادر التاريخية الادبية ، بل صار المنطلق هو آثار الكاتب التي تمحور عليها علم النصوص الحديث جداً ، لان سلوك مثل هذا المنهج يتيح فرصاً فريدة متجددة يُعْمِل خلالها الطالب فكره وشعوره ، وتنزرع في نفسه الروح النقدية السليمة .

والمقررات المحددة للتعليم العالي والمتجهة الى الاختبارات والامتحانات يمكن أن تصبح سلاحاً يستخدمه الطالب للبحث في معوقات تطوير العربية ، تلك التي حدّت من نجاعتها وقدرتها الابلاغية .

كل هذه المقاصد ترتبط مباشرة باعداد المعلمين . وبذلك لا مناص من مراجعة مناهج تكوينهم داخل الدور المخصصة لذلك ، ومن فائدتها القصوى ان تتحول الى مخابر لغوية حية تتيح لكل طلابها من المعلمين الناشئين الفرص الملائمة لبلوغ مطامحهم المشروعة في ادراك القضايا الحساسة التي تتميز بها العربية ادراكاً ينبع من جهدهم وقناعتهم بان اللغة العربية لا تشكل مادة تعليمية فقط بل هي السلاح الذي تقتحم به الامة العربية الحياة المعاصرة.

تعقيب ٢

عفيف دمشقية

لا يسعني في مستهل هذا التعقيب ، الا أن أتقدم بخالص الشكر والتهنئة الى الزميل د. ابراهيم السامرائي ، وهو من هو في اللغة وشؤونها وشجونها ، على بحثه القيم . وأبادر بعد الى القول بأنني أشاطره الرأي في معظم ما بثّه في أثناء البحث ، ولاسيما الدعوة الى اعادة النظر في « التعريب » ، وادراك مفهومه كما أدركه الاوائل من علمائنا ، لتكون لنا « مادة مهمة نضيفها الى المواد الاخرى العربية » ونوفر لانفسنا قدراً من « المصطلح العالمي » ، وانتهاج اليسر في العلوم اللسانية بوصفها مساعداً على فهم « أساليب اللغة في القول والنطق والكتابة » بعيداً عن فلسفة « ما درج عليه الناس بداهة » ، والاهتمام في مراحل التعليم الاولى بـ « القراءة » ، وما يرافق ذلك من تقويم اللسان بتعليم الطفل اخراج الاصوات مخرجاً حسناً ، وجعله يميّز المصوّتات ، قصيرها وطويلها ، بالتكرار وسماع الكلمات مقطّعة ، ثم التدرج به لتأليف الجمل القصيرة فالأطول ، وان تكون الجمل قريبة كل القرب من المألوف والمتداول في بيئته ، والحرص على ان يكون الكتاب المدرسي في السنوات الثلاث او الاربع من سني الدراسة « كتاباً للقراءة والتلاوة واجادة الاداء » ، وفي الوقت نفسه لتعليم « التحرير والانشاء ، او تكوين الجمل » ، وضرورة مصاحبة التجويد ـ الذي ينبغي فهمه بالطبع على حقيقته ـ لعملية تعليم القراءة ، والاستفادة من علم الاصوات لفهم كثير من المواد الصرفية والخلاص من الخلط بين الاصول والفروع في الاشتقاق، وحل الكثير من المعضلات الناجمة عن الاعلال والتماثل بين الاصوات ، والعزوف عن التعقيدات التي فرضها النحو التقليدي في مثل قولهم بأن « زيدا » في « قام زيد » فاعل ، بينما هو متبدأ في « زيد قام » ، وان « أحداً » في « وان احد من المشركين استجارك فأجره » فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، والانتهاء الى ان « زيداً » و « أحداً » فاعلان مقدمان على الفعلين « قام » و « استجار » ، وان التقديم والتأخير يتصلان بالاساليب ومعانيها من حيث الاهتمام بالمقدّم فعلاً كان ام اسماً ، وليسا مسألة نحوية ، وتخليص الطفل من ربقة المنطق والفلسفة باعفائه من استخدام مصطلحات المعربين من مثل « التجرد عن الناصب

والجازم » ، و « مضارعة الفعل المضارع لاسم الفاعل » ، والدعوة الى الاهتمام بزمن الفعل ليدرك المتعلم الطريّ العود حدود الماضي والحاضر والمستقبل ، وكيف يمكن ان يكون احد الفعلين الماضيين مثلاً مستقبلاً في جملة بالقياس الى الفعل الآخر . . .

أقول اني اشاطر الزميل الكريم كل هذا ، وغيره مما جاء في طيات بحثه . لكنه لا يفوتني ، ان أتوقف عند بعض النقاط ، آملاً ان يرحب صدره بما سأبدي فيها :

١ ـ قد يوحي قوله « اننا في حالة جديدة تتسم بأن العرب عامة يعانون الازدواج اللغوي ، وان لكل طائفة منهم لساناً دارجاً علمياً ، بل ألسن عامية دارجة ، وانهم يتعلمون الفصيح تعلماً » ، بأمرين :

أ ـ انه أتى على آباء العرب وأجدادهم حين من الدهر كانوا موحدي اللسان . بل انهم كانوا ينظمون شعرهم وينشدونه ، ويخطبون الخطب ، ويؤلفون المواعظ والامثال والحكم ، باللسان الذي يدبّرون به شؤون حياتهم ، وبه يتواصلون . وهو أمر تدحضه ـ كما لا يخفى على الزميل ـ الوقائع والوثائق .

ب ـ ان الازدواج المشار اليه وقف على العرب وحدهم . وهذا مردود ايضاً بما يبديه الناس في كثير من انحاء العالم من صور الازدواج اللغوي ، بل التثليث والتربيع والتخميس احياناً . فهذا اللغوي الفرنسي « بيار غيرو » يقرر ان « المرسيلي » مثلاً يختزن في حافظته خمس طبقات لغوية .

ولما كان لكل أمة لغة « فصحى » ، او لغة نموذجية ، هي لغة القراءة والكتابة ، وكانت هذه اللغة مختلفة في قواعدها ، وتراكيبها ، وصيغها ، وأساليبها ، عن اللسان الدارج الميّال ـ كما هو معروف ـ الى الاختزال ، والتحريف ، ونحت كلمتين او اكثر في كلمة واحدة ، تبعاً لقانون « الجهد الاقل » ، فقد اهتمت الامم بتعليم لغاتها النموذجية ، وتعلمها ابناؤها تعلماً ، تماماً كما يتعلم العرب الفصيح .

٢ ـ اذا كنت أوافق الزميل المحاضر على انه ينبغي ان تكون « جمل الكتاب المدرسي في السنوات الثلاث او الاربع الاولى واضحة ترمي الى المعنى بيسر » ، فأنا لا اوافقه على قوله « من غير تعقيد كالتقديم والتأخير » ، لأني ارى ان علينا ـ بعكس ذلك ـ ان نفتح عيني تلميذنا اليافع على شيء من اسرار لغته ، وانها تبيح له في مجالات انماطاً تتفاوت في عددها للتعبير عن الفكرة الواحدة ، وتقسره في مجالات اخرى على نمط لا يتعداه الى غيره . كما علينا أن نؤلف بينه وبين بعض القيم « الابلاغية » و « الانفعالية » التي توفرها اللغة بطبيعة الوضع بعيداً عن الزخرفة الجوفاء والتأنقّ المتكلّف .

وسيكون هذا باعتقادي مدخلاً الى تدريس بعض الظواهر النحوية فيما بعد من هذا المنطلق بالذات ، فلا يكتفي في شرح تقديم المفعول على الفاعل ، والخبر على المبتدأ ، وخبر « كان » عليها وعلى اسمها . . . الخ ، بالقول : يتقدم كذا على كذا ، او يتأخر عنه ، وجوباً في

مواضع كذا ، وجوازاً فيما عدا ذلك ، وكأن هذه الظواهر اللغوية من رخص النحاة واجازاتهم ، بل يصار الى اشعار المتعلم بأن لغته لا تسمح له ـ هو المتكلم ـ الا بنمط واحد للتعبير عن مراده هنا ، وتفسح له في مجال الخيار بما يتلاءم وهذا المراد بين نمطين او اكثر هناك . وهكذا يصبح النحو عاملاً مساعداً على فهم اللغة وروحها ، بدل أن يكون ـ كما هو اليوم ـ « ارض العجائب » التي لا تفتح كنوزها الا لمعرب بين التلاميذ من نوع « علاء الدين » ، وآخر بين المعلمين من طراز المارد خادم « الفانوس السحري » . . .

٣ ـ لا مراء ان للاصوات القصيرة ـ « الحركات » ـ دورها في تقرير دلالة الكلمة . ولا مراء كذلك في ضرورة ملازمتها للاصوات الصامتة في الكتاب المدرسي حتى سن متقدمة من عمر المتعلم . ولا مندوحة عن القول بأن المصوّتات شكلت قديماً ، وما تزال تشكل الى يومنا ، معضلة من معضلات الرسم العربي ، وان الآراء لحلها ـ ومن بينها رأي الزميل بأن يكون لهذه المصوّتات مكان في بنية الكلمة ـ ما انفكت تراوح مكانها زمناً طويلاً لاسباب لا مجال هنا لذكرها . واعتقد شخصياً ان التشدّد في اخراج الكتاب المدرسي مشكولاً باشراف نفر من المختصين الثقات شكلاً كاملاً ، للمرحلتين الابتدائية والاعدادية ، وشكلاً جزئياً حيث يخشى اللبس ، او يتعذر تقرير الدلالة ، للمرحلتين الثانوية والجامعية ، يكاد يكون انجع السبل للخروج من المأزق في الوقت الراهن .

٤ ـ ان لفظة « كثير » في قول الزميل المحاضر : « ان كثيراً من المواد العربية تؤلف مشكلة في الرسم (الاملاء) » لم تصب كثيراً من التوفيق في رأيي . فالمعلوم ان أكثر اللغات التي نعرفها يعاني املاؤ ها مشكلات قد تفوق مشكلات الرسم العربي . ولا اقول هذا من باب التعزّي والرضوخ للأمر الواقع ، وانما أقوله من قبيل محاولة حصر المشكلة في الوقت الحاضر بحدود الصور المختلفة من قطر الى قطر لرسم الكلمة الواحدة ، كما في «مسؤ ول»و « مسئول » و « رؤ وس » و « رءوس » ، و « موسيقى » و « موسيقا » . . . الخ . سعياً لتوحيد هذه الصور ، واسهام التوحيد من ثم في « التعريب » من منظور وحدوي .

وأما بالنسبة الى «الهمزة» والاتفاق على اثبات رسمها بشكل واحد مهما كان موقعها من بنية الكلمة ، فإني اضم صوتي الى صوت الزميل ، واضيف اني ارجو ان يصار الى استغلال جهود الخبراء في الخطوط العربية لاستنباط « رمز » غير الرمز المستخدم لرسم هذا الصوت ينضم الى سائر الرموز المستخدمة لرسم الاصوات الاخرى ، ويكون من المألوف استخدامه في الكتابة باليسر الذي تكتب به سائر الرموز ، او على الاقل استنباط «حامل» للرمز الحالي لا تتغير صورته بتغير حركة الهمزة او اختلاف موقعها في بنية الكلمة كما هي الحال اليوم ، اذ يتغير « الحامل » من الف الى واو الى نبرة ، او ينعدم كلياً في بعض المواقع .

ولا يفوتني ان اذكر في نهاية هذا التعقيب بأن البحث عن السبل الآيلة الى تيسير تعلم العربية وتعريب وسائله اشمل من ان تحيط به عجالة حتى وان ذيلت بتعقيب .

المناقشات

مصطفى الفيلالي : اقتصر في هذا التدخل السريع على نقطة واحدة ، تتعلق بمحاكمة النحو العربي فيما ينبغي أن يكتسي من صبغة وظيفية ،وبضرورة تخليصه من الشوائب المنطقية .

اتساءل عن هذه الكلمة (الوظيفية) ما معناها بالقياس الى النحو واللغة ، وهل تفهم على انها حالة نستغني فيها عن السند المنطقي ، وتصبح متصلة اتصال تبعية بالجانب التطبيقي ، بالاعتبار المبدئي والتجريبي ؟ واتساءل في اي فن من فنون المعرفة يكون الجانب التطبيقي قائماً بنفسه دون سند الى مرجع نظري ؟ وهذا احد جوانب قضية فلسفية معروفة باسم العلاقة بين العلم والفن .

من نافلة القول ان نعيد الى الاذهان ان الفن ، باعتباره الطرائق العملية للممارسة ، ليس الا الترجمة التطبيقية للقوانين النظرية في المعرفة والعلم . واعترف انني لا اتصور تصوراً واضحاً ما يكون من مفهوم للعربية الوظيفية في النحو والصرف والبلاغة . فلو اقتصرنا على احدى قواعد التعريب عند ابن جني ، واعتبرنا بقياسه جملة كالجملة التالية: « اكرازته المشنة ورمسوه مرسوات مرسوات » بمعنى (داسته القاطرة ، فجمعوا اشلاءه ارباً ارباً » . لم يكن من مانع ان نعتبر هذه الجملة جملة عربية معربة ، على اساس ان الالفاظ « الحقت بابنية العرب » حسب كلام ابن جني . ومع ذلك لا يحق لنا أن نعتبر هذا الكلام عربياً ، رغم مطابقته لهذه القاعدة الوظيفية من قواعد التعريب .

وهكذا لا مناص في نظري لعلم اللغة من سند نظري منطقي لاستنباط القوانين القارة الثابتة التي تخضع لها المفردات اللغوية وتخضع لها الجملة في تركيبها .

المشكل القائم لدينا اليوم بالقياس الى ما نسميه الشوائب المنطقية ان مراجعنا النظرية في فهم آليات اللغة وضبط مقاييسها اصبحت تستند الى زاد ثقافي وفكري تطور تطوراً شاسعاً

بالقياس الى ما كان عليه زمان سيبويه والاصمعي وابن جني .

وخطر موقف الدكتور سامرائي يكمن في ان الدعوة الى هذه الوظيفية « المحدودة » ونبذ الجهد المنطقي قد يفضيان بنا الى تقديم اللهجات ورفعها الى منزلة لغات مستقلة .

اعتقد ان المطلب الملحّ اليوم لنهضة العربية نهضة لغوية فنية يكمن في استئناف المجهود المنطقي الذي بدأ به الاوائل ، ووقف زمان الركود الحضاري ، وارى أن الركود نفسه هو ترك هذا الاجتهاد العلمي الفلسفي .

احمد العايد : تعليقاً على ورقة د. ابراهيم السامرائي بودي :

١ ـ أن اعبر عن اسفي لغياب استاذنا الكريم الذي نعتبره في الجامعة التونسية احد اركان اقسامها ، وقد تخرج به طلبة كثيرون هم الآن اساتذة في الثانوي والعالي .

٢ ـ ان اصرح بأني مغتبط لما عرضه من تصور للجملة الاسمية والجملة الفعلية ، واننا نحتاج منه الى تطبيقات عملية اجرائية .

٣ ـ باني استسمحه بأن اضيف بعض الآراء على ما قاله ابتداء من ص ٤٣٩ «وقفة على دروس العربية » . فالتعليم الحي في الابتدائي هو ما ذكره الباحث . ولقد طبقنا في تونس منذ ١٥ سنة تقريباً « الطريقة الحوارية » وعممناها منذ سنوات . ومن اختياراتها :

ـ اللغة اداة تبليغ لا موضوع تحليل مجرد

ـ لا بد من اعتبار ما في واقع الطفل اللغوي من ثنائية (صراع بين الدارجة والفصيحة) وازدواجية (صراع بين الفصيحة والفرنسية)

ـ الاسبقية في التدريس للمنطوق على المكتوب وذلك بتخريج لسان التلميذ على الملف (او السجل) الشفوي الذي لا يبتعد كثيراً عن لغة الام مع الحرص على اداء الاصوات الاداء السليم. وفي تونس تؤدى كل الاصوات متميزة باستثناء « ض » فإنها تنطق « ظ » فالمعلم والتلميذ ينطقان بالاصوات العربية النطق المطلوب فلا لبس بين « قال »و « ال » وبين « ظهر » و « زهر » و « اجلسوا » و Glissu (زميلة مصرية سنة ١٩٦٤ في الجزائر العاصمة دخلت الفصل (الصف الثاني ابتدائي) وقالت لهم « اجلسوا » بالنطق المصري فما راعها الا ان رأت تلاميذها يخرجون من مكاتبهم ويتزحلقون (لانهم فهموا بالفرنسية Glissez-Vous) . فعيب هذه الزميلة انها لم تؤد صوت « ج » العربي الاداء المطلوب فالتبس الفعل العربي بفعل فرنسي (Glisser) ، وانما استعملت فعل «جلس » وكان استعمال فعل « قعد » وهو في الرصيد اللغوي للاطفال .

ـ يجب ان تكون حصة التعليم اداة طيّعة للتعبير والتبليغ والتحاور في مواقف تعليمية حية يعيشها الاطفال ، وبها يؤلفون وحدهم « حواراتهم » التي تحفظ فيها بعد وتكتب .

ـ لا بد من تدرج معجمي ضمن تدرج تركيبي تبعاً لمكتسبات الطفل اللسانية والتدرج بها

نحو اللغة الفصيحة . فمثلاً ينطلق المعلم من « الْوَلَد قَعَدَ » (الجملة الاسمية) لا من « جَلَسَ الْوَلَد » (الجملة الفعلية) لان التلميذ يستعمل الجملة الاسمية خاصة ويستعمل « قعد » لا « جلس » .

٤ ـ ان التعريب يبتدىء من المدرسة الابتدائية فعلى المعلّم ألاّ يلحن ، ولا بأس إن استعمل الوقف في كلامه المنطوق ، ولم يقف على كل حركة اعرابية آخر الكلام . اما المكتوب فحسَب القواعد الاساسية .

كذلك فإن العربية كسائر اللغات تتعلم بالاستعمال و « مصيبة اللغة اليوم » انه لا يُتكلم بها الا في الفصل . فاخطاء التلاميذ في الابتدائي والاعدادي والثانوي والعالي كثيرة سواء في الافمام أم في الاقلام . وقد قمت بدراسة يوما (مجلة مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية CERES عدد ١٣ آذار / مارس ١٩٦٨) اظهرت لي ان لحن تلاميذ شعبة أ (الشعبة العربية) اكثر من لحن تلاميذ شعبة ب (الشعبة المزدوجة) ، فلم افهم اولاً ثم اتضح لي ان اساتذة العلوم الذين يدرّسون بالعربية كثيرو اللحن غير حريصين على اللسان العربي الفصيح السليم . وهكذا تخرج لسان التلميذ متكاسلاً كثير اللحن .

وحتى لو حرص المدرس في الثانوي والعالي على ان يقول « الدولتان العظميان » فإنه يصطدم ـ رغم تدخله لدى اهل الاذاعة والتلفزة ـ بسماع « الدولتان الاعظم »، لأن المذيع متأثر بزملائه في الشرق كذلك تستمع الى « هذان مسألتان » الخ .

وهكذا نرى ان التعريب السليم يمرّ بالمدرسة من الابتدائي الى العالي ، فهي المعقل للتلقين والمحافظة .

٥ ـ اما قول المحاضر « الرصيد اللغُوي المشترك الذي يجمع ابناء القطر الواحد » فإني التمس منه العذر لاقول : يعتبر هذا الرصيد مرحلة يعتمد عليها المعلم في تدريسه (وهو ما سميته « مكتسبات الطفل اللسانية ») . لكن ينبغي ان نعتمد قريباً الرصيد اللغوي العربي (المشروع العربي الكبير الذي شرعت في انجازه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(*) على غرار « الرصيد اللغوي الوظيفي » الذي انجز في مستوى المرحلة الاولى من التعليم الابتدائي بتونس والجزائر والمغرب) . وهذا الرصيد اللغوي العربي هو بصدد الاعداد الآن حسب منهجية متميزة شاملة في نطاق ادارة التربية بالمنظمة .

٦ ـ ان طرق التعليم تختلف باختلاف المتعلمين ، فإن كان المتعلم عربياً (طفل او كهلا) فتعليمه نوع ، وان كان من غير الناطقين بالعربية (طفلا او كهلاً) فالتعليم نوع آخر . وفي نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تجدر الاشارة الى أن مشروع انجاز كتب اساسية لهذا النوع من المتعلمين ـ وخاصة ابناء الجاليات العربية المغتربة ـ هو بصدد التحقيق .

(*) بالتعاون مع معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر .

هشام جعيط : اسمحوا لي أن ابدي بعض الملاحظات على الدراسة وعلى تعقيب الدكتور دمشقية ، وقد ينطبق البعض منها على دراسة الدكتور عبدالله العروي :

١ ـ لجميع اللغات المكتوبة تقريباً مشاكل . فنحن نتكلم على مشكلة المصوتات في اللغة العربية ، وعلى سيطرة النحو ، وضرورة المعرفة قبل القراءة ، وهذا صحيح . لكن الفرنسية تشكو من عدم تطابق المنطوق مع المكتوب ، وتستلزم تكويناً طويلاً عن طريق تلقين النحو والاملاء، بينما في العربية تكون للاملاء مرتبة ثانوية .

٢ ـ للنحو معنيان في رأيي : معنى موضوعي يكمن في تركيب اللغة ، ومعنى تلقيني ، اي النحو ، كمعرفة ومنهج للسيطرة على لغة وتقنيتها . وفي المجال الاخير، نحن نشكو من عدم اصلاح منهج ضبط النحو العربي باسلوب حديث ، وبالتالي من سوء تعليمه للناشئة . اما التحوير النحوي البنيوي في صميم اللغة فيظهر لي امراً صعباً لانه يستلزم الاتفاق والاجماع ووقتاً طويلاً ليدخل اعماق الواقع . وهو اخيراً يقطعنا عن تراثنا . وبالطبع لا يمكن لنا أن نتغنى في آن بالاستمرارية الثقافية وان نتمتع بلغة سهلة معصّرة .

٣ ـ هذا يستلزم التثقيف قبل كل شيء ، اي الاكثار من المطالعة ، وبذل المجهود اولاً وآخراً . لكن الكسل هو الغالب على اكثرنا . والواقع ان لا احد اشتكى من الانهيار العصبي لانه تعلم العربية في صباه ، وقد يأتي الانهاك للطفل من تلقينه لغة اجنبية اخرى .

٤ ـ لا بد في رأيي من التسامح والتسهيل على الناس في الممارسة . ولا يمكن أن نطالب الانسان العادي بما نطالب به المثقف . وهذا شرط أساسي كي تكتسح العربية حقل الواقع والخطاب المحكي اليومي .

محمد عزيز الحبابي : لدي نقاط عابرة وسريعة . . حينما نقول تعليم العربية ، يجب في نظري ان نحدد لمن ؟ فهناك مشكلتان : مشكلة تعليم العربية للاطفال ، ولها طقوسها الخاصة ، وهنالك مشكلة تعليمها للكبار . ويجب أن توضع القضية في نطاق الوطن العربي، لان الامية شملت الشيوخ والكهول ، وحتى الاطفال . ثم لمن تعليم العربية ، للعرب والمستعربين ام للاجانب ؟ ذلك ان المشكل ليس واحداً ، فحينما نعلم عربي اللغة ، او الاصل ، لغته ، يختلف الامر عنه حين نعلم الاجانب هذه اللغة .

قضية الصعوبة التي تحدث عنها الاخ هشام جعيط ، اعتقد ان المشاكل نفسها قائمة في اللغة الفرنسية واللغة العربية اقول في كل اللغات صعوبة ، ولكن هي في العربية اكثر . وتجربتنا جميعاً هي هي ، ومن له ابناء يستطيع ان يتبين ذلك . فحينما يدخل الصبي المدرسة عندنا في المغرب وتكون مزدوجة ، يستطيع بعد ستة اشهر ان يقرأ باللغة الاجنبية ، بينما العربية لا يتهجاها الا بصعوبة كبيرة . هذه التجربة نعانيها يومياً . كذلك في النطق وغير ذلك . القضية هنا ترجع الى الحركات . وهنا اشرتم الى ما يقترحه الاستاذ ابراهيم السامرائي . لكن لا ادري هل يمكننا ان نتحدث عن اقتراح لاصلاح الكتابة وقضية الحركات وننسى او نتناسى

الطريقة التي انجزها احمد الاخضر غزال في المغرب ؟ انا لا احكم عليها حكماً تقويمياً . ولكنها موجودة في الواقع . كذلك ، اذا كان يأتي في كل اجتماع انسان بمقترح ، فمتى نستطيع ان ننفذ ؟ يجب أن ننتقد ما هو موجود ، وان ننفذه ونرى هل هو صالح ام لا ؟ اما أن نبدأ كل يوم بمبادرات جديدة، فهذا سيضيع الكثير من الطاقات والوقت . انا شخصياً لو سئلت ، ما هي الاشياء المستعجلة لتسهيل العربية ؟ لقلت : باب العدد ، لانه متشعب ، فمن ثلاثة الى عشرة كذا وكذا وغالباً ما اقع في التجربة . فعندما اذهب الى البنك واقف في الصف، وتأتي نوبتي واريد ان املأ « الشيك » ابدأ باستحضار القاعدة . . وهذا شيء صعب . انا حللت المشكلة بالنسبة لي ، ولكل واحد ان يقوم باجتهاده . فانا انصب الكلمة الاخيرة فاقول خمسة عشر درهماً ، واعرف انه يجب ان تكون كذا وكذا . ولكن افعل ذلك لكي اكتب بالعربية، والا اضطررت لكتابة « شيكي » بلغة غير عربية . واذا قلت عشرة آلاف (درهماً) فالمهم ان يفهمني المصرفي وافهمه . والمسألة الاخرى التي تقلقني هي كتابة الهمزة، وهو ما لفت نظري اليه الاستاذ دمشقية . فقواعد كتابة الهمزة تشير الى انها اذا كانت بالاول تكون على شكل كذا واذا كانت في الوسط كذا واذا كانت ساكنة كذا وكذا . . . وهذه الاشياء نحفظها وانتهى . ولكن قيل ان الهمزة نفسها وفي الكلمة ذاتها تكتب في سوريا مثلاً في الوسط وفي مصر بشكل آخر وفي المغرب بشكل ثالث نحن نكتبها على الواو بعدها واو اخرى ، ولكن يجب أن تكون القاعدة عامة . اذا يجب تسهيل قضية الهمزة متى امكن ذلك .

قضية اخرى ايضاً . كلنا نحب المرأة ولكن انا اعترف لكم انني اكره نون المرأة « نون النسوة » . وعلى صعيد آخر هناك مشكلة الارقام . فالشرقيون يأبون الا ان يكتبوا بالارقام التي لا يقبلها منطق . فالصفر نقطة والخمسة صفر ، في حين ان الارقام العالمية والتي يسميها الفرنسيون «Chiffres Arabes» والانجلو ـ ساكسون يسمونها «Arabic Numbers» تبين غير ذلك . انتم تزهدون فيها فلماذا ؟؟ بل تشعرون بأنها غير مجدية وغير اجرائية وتجعلون فوق السيارات بالقاهرة الارقام الخاصة بكم ثم الارقام العالمية بعدها ، وكذلك في بعض الامكنة . لماذا؟؟ اتفقوا مع الجميع على ارقام واحدة هي الارقام المستعملة في المغارب واظنها ناجعة وعالمية هذا من التسهيلات ايضاً .

وقضية العربية ليست كلها في النحو وفي الاملاء والصرف ، فهناك الاطفال الذين لا بد من تعليمهم . ان عدو المعنى هو الحشو وكثرة المترادفات . فحينما نتكلم ، وهذا يعنينا كلنا ، نحب ان تكون (ونحن نحب لغتنا ونحب موسيقاها) الجملة مسجعة فيها موسيقى فنكثر احياناً المترادفات للموسيقى لا للمعنى . نحن اذن نسعى الى التذوق ، ولكن على حساب المحتوى اي المعنى . هذه القضية ذهنية وكذلك الامثلة التي في كتب النحو في كتب التعلم للصغار فيها كثير من فعل (ضرب) . وهناك دائماً(ضرب زيد عمرواً) و (تقاتل الطفلان) . الا يكفي التلفزيون الذي يعلم كل يوم الغانغستيرية وكذلك الافلام التي نشاهدها في السينما ؟

ثم ان ما قاله الآن الاستاذ هشام حول الفقر في الرصيد اللغوي الذي يقدم للاطفال

شيء مهم . لذلك حينما نتساءل عن آلة ، او اي شيء في البيت او المعرض ، لا نستطيع ان نعبر عنها لاننا في صغرنا لم نتعلم تلك الكلمات الصغيرة. ولذلك يجب ان ننظر الى ان لهذه القضية ، قضية التعريب ، علاقة بالذهن العربي ، وان علينا ان « نمنطق » بداغوجيتنا وتعليمنا . فلا يكفي ان نعرب ، وانما علينا ان نعرف من سيعرب ، ولا يكفي ان نعلّم ، بل ينبغي ان نهتم بمن سيعلّم .

عبد الكريم خليفة : باعتباري رئيساً للجلسة فقد اجتهدت فاعطيت نفسي حق المناقشة بوصفي عضواً في هذه الندوة . فقد الحّ بعض الاخوة المناقشين ، على تبيان صعوبات اللغة العربية الفصيحة وتنكبوا طريق الصواب في مقالاتهم . وان النظرة الموضوعية والعلمية تبين لنا ان لغتنا الفصيحة ليست حقيقة اصعب اللغات . فنحن مثلاً اذا استثنينا بعض القواعد الاملائية القليلة جداً فيما يتعلق بالهمزة ، فإننا نجد أن لغتنا من اسهل اللغات كتابة . فنحن نكتب كما نلفظ تقريباً ، هذا اذا قارنا لغتنا الفصيحة باللغات العالمية الحية في املائها ونطقها ونحوها ايضاً . . ففي اللغة الانكليزية مثلاً نلفظ (لاف ونكتب Laugh) وغير ذلك من الامثلة الكثيرة ، وكذلك في الفرنسية امثلة تتعدى الحصر ، فتكتب حروف كثيرة لا تلفظ ، مثال ذلك الحروف (L) ، (L) ، (R) في اللفظ من كلمة (Travailler) وغير ذلك من الامثلة . . . هذا فضلاً عن قواعد النحو في الفرنسية وتصريف افعالها الشاذة ، حيث يجب ان يحفظ المتكلم بهذه اللغة ، كل فعل من هذه الافعال بتصريفه كما هو ، دون قاعدة . . . وكذلك قواعد اللغة الالمانية والانكليزية وغيرها من اللغات . حقاً لقد كان استهجاني كبيراً لسماع بعض المناقشين . ان احدهم لا تعجبه نون النسوة وآخر لا تعجبه الف التثنية . . وآخرين لا يعجبهم جمع التكسير . . وآخرين لا تعجبهم تاء التأنيث . . فالى اي حد يمكن أن يقودنا هذا المنطق ؟ لذا فلو انصفنا في مناقشتنا لقلنا إن اللغة الفصيحة ، بقواعدها المنطقية وبسهولة كتابتها ، ليست باصعب من اللغات الاخرى ، ولكل لغة صعوباتها ومشكلاتها . اقول لو انصفنا لقلنا ، ما اعقم هذه الطرق والاساليب التي تدرس بها اللغة العربية الفصيحة ، وما اسوأ هذه الكتب المدرسية التي نعدها لطلبتنا منهجاً واخراجاً ومادة ، وما اقل العناية التي تبذل في اعداد معلمي اللغة العربية بصورة خاصة ، ومعلمي المواد الاخرى بلغتهم القومية بصورة عامة . ولو انصفنا في مناقشاتنا لقلنا ايضاً ، ما اسوأ هذه السياسة التربوية التي تتبع في الوطن العربي من مشارقه الى مغاربه . . . ففي المغرب العربي مثلاً ، وتحية صادقة الى شعوبه المناضلة . . فإننا نجد ، كما سمعنا في الموضوعات التي طرحت في هذه الندوة ، بأن القطر التونسي الشقيق ، وبعد مضي خمس وعشرين سنة من الاستقلال ، فإنهم على حد تعبيرهم ، قد انجزوا تعريب المرحلة الابتدائية !! وايضاً فقد سمعت ، ان السنوات الثلاث الاخيرة من هذه المرحلة تدرس فيها الفرنسية بمعدل عشر ساعات في الاسبوع مقابل اربع عشرة ساعة للعربية . . . واسمحوا لي ان اذكر امامكم هذه الحادثة ، فقد خطر ببالي ان اسأل احد العلماء الفيتناميين عن الكيفية التي حلوا بها مشكلة اللغة في بلادهم ، وكان سؤالي للاستفهام والاسترشاد . وقد بهرني جواب ذلك الاستاذ الفاضل فقال : كان الحل

بسيطاً ، فقد قلنا في الفيتنام غداة الاستقلال ، لا فرنسية . . ودفعة واحدة وفي جميع مراحل التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي والجامعي وكنا في اثناء حرب التحرير نرسل البعثات الى مختلف البلدان ، الى انكلترا وروسيا والمانيا ، بل والى فرنسا وايطاليا ، وغيرها ، ونهتم بذلك اهتمامنا بتوجيه مقاتلينا الى ساحات القتال لمناجزة العدو . . . وكنا نطلب من كل مبعوث الى اي بلد من البلدان ان يقوم بترجمة كتابين اثنين على الاقل في مجال تخصصه الى اللغة الفيتنامية . . . وهكذا فقد حلت المشكلة اللغوية . . والامثلة كثيرة ايها الاخوة عند امم ليس للغاتها تجربة اللغة العربية ولا تاريخها في استيعاب حصيلة الفكر الانساني والحضارة العالمية.

كيف يمكن أن نرى الاصوات تتعالى بالرغم من ذلك كله تنادي بصعوبة هذه اللغة . . . ونحن نرى في الوقت ذاته بأن البلاد العربية التي تدرس من الناحية الرسمية جميع مراحل التعليم باللغة العربية ، لا تدرس بالواقع باللغة الفصيحة ، فإن جميع مواد التاريخ والجغرافيا والعلوم وغيرها تدرس في اكثر الاحيان باللغة العامية او بمزيج من العامية والفصيحة . . . اليس معلم التاريخ معلم لغة ؟ اليس معلم كل مادة هو معلم لغة في الوقت ذاته ؟ وهل هناك امة من الامم الحية تتهاون في لغتها في مؤسساتها التعليمية . . . فاللغة ايها الاخوة تكتسب اكتساباً وتحيا بالاستعمال ، ولا تحيا في بطون الكتب وعلى الرفوف . . . ولكي لا اتحدث عن بلد آخر فإنني اود التحدث عن بلدي (الاردن مثلاً) . . فبالرغم من ان الاردن لم يعرف سوى العربية في تاريخه الطويل ، بل وحتى قبل الاسلام . . . فإن الزائر الحديث الذي يمر بشوارع عمان يصدمه الواقع عندما يرى الاسماء الاعجمية التي تملأ واجهات المحلات التجارية ، بعضها مكتوب بالحروف اللاتينية وبعضها ويا للاسف ايضاً بحروف عربية . . . لا شك ان مثل هذه الظواهر التي نراها في شوارع عمان وبيروت ودمشق والقاهرة وغيرها لا تمثل واقعاً ، وانما هي ظاهرة لتشويه الشخصية القومية ، وظاهرة فاسدة لا جذور لها في واقع هذه الاقطار . . . وفي التعليم الجامعي ايضاً ، في الاقطار التي تدرس باللغة العربية في جميع مراحل التعليم ، تدرس العلوم التطبيقية بلغة اجنبية . . . ما هذه الصورة العجيبة ؟ فهذا الطالب الذي درس جميع مراحل الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية باللغة العربية ، يأتي الى الجامعة لكي يدرس على اساتذة معظمهم من العرب ان لم يكونوا من القطر نفسه ، وكل ما حول الطالب يتكلم بغير العربية ويوحي بها . . . .

انها قضية ايها الاخوة ، قضية سياسية لا علاقة لها مطلقاً باللغة من حيث هي لغة ولكنها سياسية لابقاء مؤسساتنا العلمية وبالتالي علمائنا في حالة التبعية الثقافية والفكرية ، والحيلولة بيننا وبين الوصول الى الابداع والمشاركة الحقيقية في الفكر العالمي .

ابراهيم السامرائي(*) : قلت : لا اسمي تبادل الرأي والافادة مما يقول الاخ فلان رداً بل مشاركة اخرى .

(*) ارسل المركز للباحث محضر وقائع الجلسة التي نوقش فيها بحثه ، فتفضل بارسال هذا الرد تحريرياً . (المحرر)

١ ـ **ان الازدواج اللغوي ليس وقفاً على العربية بل هو معروف في كثير من اللغات** . وانا اقرأ هذا ولكن هذا لا يمنع من القول : انه في العربية يخلق من المشكلات في التعلم ما لا نجده في غيرها من اللغات ، وذلك لاتساع الشقة بين ما يدرج عليه الناس في حديثهم وبين العربية التي ينبغي ان تُعَلم في المدارس .

٢ ـ **مشكلات النحو** : أشار احدهم الى ان المنطق ضروري في التعلم ولا بد من شيء فلسفي تقوم عليه عملية ايصال اللغة .

أقول : ان المنطق الارسطي الذي درج عليه النحاة المتقدمون ثم زاد على تراخي العصور بقي في « نحونا » المعاصر فأضر كثيراً . ذلك ان الحقائق اللغوية فيها من البداهة والانطلاق العفوي ما يبتعد عن هذه المحاكمات المنطقية المفترضة بادىء ذي بدء والمراد ان تحور اللغة كي تسايرها . وقد ادرك الغربيون ما في هذه الناحية من اوهام فجردوا نحوهم منذ قرون من آفة المنطق .

٣ ـ **مشكلات الرسم** : ويدخل في هذه المشكلات وضع شيء يتصل بالحركات فترسم اصواتاً كسائر الاصوات . وما اظن ان احداً من اللغويين في عصرنا في اي مكان ينكر هذا .

كما يدخل فيه رسم الهمزة واشياء اخرى ينبغي ان يتم اتفاق عليها بين العرب عامة .

وفي الختام اقول :

إذا كان العرب في عصرنا يؤلفون مادة كبيرة في هذا العالم الذي يأخذ بحضارة معاصرة فيها الكثير من التجانس ، فحري بهم أن يتأهبوا لها بأداة لغوية جديدة جيدة نافعة تصل ماضيهم بحاضرهم وصلاً طبيعياً .

الفصل الخامس عشر

نحو استراتيجيّة للتعريب في الوطن العربي

مصطفى الفيلالي

مقدمـــة

من باب الحذر والوضوح، الانطلاق في معالجة قضية التعريب من مفهوم شامل يجمع بين فنيات اللغة في معالجتها لقضايا الأداء المضبوط للمفاهيم الحضارية، وبين عبقرية اللغة في دلالتها على انسانية الانسان، بين مراتب الذات ومقتضيات الوجودية. ذلك أن العربية لا تزال تعاني من النظرة السكونية والمفهوم الوظيفي، مُنحصرة في التقدير الضيق لفنيات اللغة، مقصورة على وظيفة الوسيط في نقل المدلولات والمسميات، منفية عن اصالتها، مجهولة العبقرية، مجحودة الامكانات. والعربية مريضة عقوق ابنائها ـ بعدما كانت دهراً طويلاً عرضة لهجمات اعدائها.

لم تعد قضية التعريب قضية فنية تتعلق بكفاءة اللغة العربية على استيعاب المفاهيم العصرية. فما لأي واحدة من اللغات كفاءة سرمدية نهائية ساكنة، وما من لغة بين اللغات السيارة في عصرنا الا وفوقها لغة اخرى هي، في زمان معين، أوسع منها استيعاباً، وأغزر مادة، وأسبق حداثة، وأسرع تطوراً. وغني عن البيان انه قد اصبح اليوم للمفاهيم العلمية والتقنية في لباسها اللغوي سوق مبادلة كأسواق السلع تنتقل الكلمات فيها من لغة الى اخرى في غير حرج ولا حساسية قومية. ولا يخطر على بال احد أن يسم اللغة الالمانية بالعجز او الضيق لأنها أقل نحتا للكلمات العلمية من اللغة الانكليزية، ولا يحق لأحد أن يقول بأن الروسية لغة متخلفة بالقياس الى الفرنسية، ولا المجرية بالنسبة الى الروسية، ولا الاسبانية بالمقارنة مع الايطالية، ولا اليابانية اذا قيست باحدى اللغات الاوروبية الغربية.

قضية العربية هي اليوم قضية علاقة جدلية بينها وبين أبنائها اكثر مما هي قضية قدرة فنية بالنسبة الى مشاكل المعاصرة. وهي بهذا الاعتبار قضية سياسية داخلية، وقضية قومية لها انعكاساتها على اخلاقيات العرب وكفاءتهم التحريرية وشجاعتهم في الانتساب الى الاصالة الحضارية التي يتحدرون منها. إن قرناً كاملاً من المجهودات اللغوية العلمية على مستوى مجامع

اللغة العربية ، من مجمع دمشق الاول الى مجامع القاهرة وبغداد والاردن ، قد زود اللغة العربية المعاصرة بالادوات الفنية الكافية انطلاقاً من طاقاتها الذاتية . ووفق اللغويون والكتاب والالسنيون وأصحاب العلوم الصحيحة العرب الى اثراء المعجم العربي بعشرات آلاف المصطلحات العلمية نحتاً وتعريباً واقتباساً ، مما أعاد الى العربية قدرتها السالفة على حمل رسالة الانسان في الحالات المعاصرة . ولكنها قدرة بالقوة تنتظر أن تصبح قدرة بالفعل ، ولا تزال هناك طاقات استعداد وترقب لم يستفد منها المجتمع العربي ليعود الى الاعتزاز بلغته ، وينهض لها بواجب الوفاء والاخلاص ، ويخرج من أوهاد التبعية الفكرية والحضارية بالقياس الى المجتمعات الغربية .

والذي نعنيه بالتعريب في هذه الصفحات إنما هو الخطاب المفصح عن الجهد التحرري في المجتمع العربي ، والعبارة الواضحة الجريئة عن ارادة التخلص من أوحال التبعية الفكرية لسكان الوطن العربي ، كما نعني به ـ من الجانب الايجابي ـ طموح المفكرين العرب الى الحضور الفكري بعد طول الغياب عن منابر الفتوحات العلمية ، وحرصهم على المشاركة من جديد في بناء الحضارة الانسانية انطلاقا من تراثهم المشرف ، ووصلاً للسند المنقطع من تراث المساهمة الحضارية . كما نعني به أيضاً ، وبالخصوص ، التجديد العميق للخلقية القومية فيما ينبغي أن يعمر الضمائر ويرفع الرؤوس المطأطأة من نخوة الاصالة والاعتزاز بشرف الانتساب، في غير صلف ولا غرور .

فالتعريب بهذه الخصائص السلبية والايجابية مطلب مفقود في المجتمع العربي المعاصر ، ومقصد عاطفي مكبوت ، مكبل بحبال الجحد والسكون والجبن . ولئن لم تفلح الجهود المضنية طوال القرن الرابع عشر الهجري لتعزيز نهضة المجتمعات العربية بنهضة لغتهم ، فلعل ذلك راجع الى فقدان خطة استراتيجية تقوم على ما تتطلبه كل خطة من شروط الوضوح في الاهداف والتعاقد على تحقيقها ، ومن طلب للاسباب مع ارادة تسخيرها ، ومن الأخذ بطريقة المرحلية وتقويم النتائج الحاصلة في نهاية كل مرحلة .

أولاً : الانطلاق من الواقع الماثل

العنصر الاساسي في تصور استراتيجية فعالة هو استقراء الواقع الماثل ، والوقوف على كل واحدة من عناصر الاشكالية . وهو من جانب آخر الأخذ بمبدأ الصدق والصرامة في تقدير ما بين تلك العناصر من خيوط الترابط ، ومن نسيج الجدلية . وأول مظاهر الواقع العربي في فاتحة هذا القرن الخامس عشر هو أن الوطن العربي موزع الى مناطق نفوذ لغوي تهيمن الانكليزية على اقطاره الشرقية ، وتهيمن الفرنسية على جناحه الغربي هيمنة تبرز في مراتب التعليم ، وفي المعاملات الاقتصادية والمالية والثقافية ، بدرجات متفاوتة بين الشعوب والاقطار. ولا تزال العربية لغة هامشية في الكثير من مراتب التعليم ووسائل الثقافة ، وفي كل ما يتعلق بالتصرف التكنولوجي . وتضاف منافسة اللغات الجهوية ، مثل البربرية والسواحلية في بعض مناطق المغرب ، الى المنافسة الرسمية المركزة سياسياً للغات الاوروبية .

والمظهر الثاني لواقع العربية الحاضر ، هو أنها في قفص الاتهام . فالقيادات العربية تتهمها بالقصور في مجال الاداء ، وبالضيق عن الاستيعاب الكافي المتجدد للمفاهيم التقنية والعلمية الصحيحة . من أجل ذلك ، زاغت قضية التعريب عن مفهومها الشامل الى المفهوم الفني اللغوي المحدود ، وحادت عن الطلب الجاد لمواد استراتيجية النهضة ، وقعدت الشعوب العربية عن الاستفادة من ثمرات المجهود المبارك المبذول في مجامع اللغة ودور البحث ومكاتب التأليف ، وانصرفت العقول الى الجدل الشائن فيما ينبغي أن يقوم بين العربية وبين اللغات الاستعمارية المتبقية من اقتسام الادوار والنفوذ في المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية داخل الاوطان العربية .

والمظهر الثالث الملموس في المجتمعات العربية ، وبخاصة في بلاد المغرب ، يتضح فيما عليه القيادات من ثنائية المواقف بين التسليم النظري والتعلق العاطفي بحق اللغة العربية في السيادة القطرية وبين التمسك بلغة المستعمر السابق ، خوفاً من الانغلاق الفكري ، وصوناً لنوافذ الانفتاح ، وحفظاً لمراتب المستوى العلمي والتقني ، وانتساباً الى ديمقراطية الفكر والثقافة ، وكأنما اللغة العربية ارض نفي ، وموطن فقر ، وشبح فكر ، ومهجر من مهاجر الركود الحضاري ، وكأنه محكوم عليها أن تظل تلك حالها أجيالاً اخرى ، الى أن تبلغ مراتب الانعتاق والنهضة ، كما لو كانت ستبلغها بصورة تلقائية ، دون مقاصد أبنائها ، وبمعزل عن جهودهم وحزمهم .

وقد كانت العربية في ديارنا المغربية معتبرة لغة المحافظين ، ولسان الطبقات الفقيرة الجاهلة واصحاب الحرف المتخلفة ، في حين كانت الفرنسية لسان المتعلمين وذوي الشهادات العلمية وأصحاب المراتب الاجتماعية المرموقة، واداة التعبير لدى ذوي الجاه والرزق ، وكان ذلك أيام الهيمنة الاستعمارية . والغريب تظل مثل هذه الطبقية اللغوية قائمة اليوم بعد مضي ربع قرن على الاستقلال السياسي ، وان تكون اللغة عنواناً للفواصل الاجتماعية ، وان تبقى الفرنسية اداة اساسية لتعميق التبعية ، ولنحت البناء الاجتماعي بعدما استرجعنا القدرة السياسية على تغيير هذا المنكر . وهذه الظاهرة الرابعة اخطر ظواهر الوضع الراهن لقضية التعريب ، لما لها من آثار باقية في بناء المستقبل الوطني ، ولما لها من قدرة العرقلة والاعاقة لمشروع الوحدة العزبية المستند الى اللغة .

تلك الاعاقة هي المظهر الخامس لاستقراء الواقع العربي . اذ يبدو أن الفصحى في حالها الحاضرة من الشيوع ودرجات الاستعمال ، غير كفيلة بأن تكون عاملا فذا من عوامل التوحيد القومي العربي . ويرجع هذا العجز « التاريخي » الى ما بها من تفرق وتباين في درجات الاستعمال اليومي في المجالات السياسية والادارية والعلمية والثقافية ، وما تشكوه من تفرّق الحكومات العربية بشأن قضية التعريب من حيث وجوبها وتناسبها الزماني ، ومن حيث تأكدها الحضاري وامكان تطبيقها العملي ، ومن حيث مداها بين مراتب الشمول والحصر ، وباعتبار مراحل انجازها الزماني .

أما المظهر السادس والأخير في هذا العرض لقضية التعريب في مجتمعنا المعاصر فيكمن في الفجوة القائمة بين أهمية الجهد العلمي المبذول من العلماء والباحثين العرب على مدى أجيال

متعاقبة ، واتصال سند ذلك الجهد لتجديد مكانة العربية الفصحى في الحياة الفكرية والمادية للامة العربية واطلاق طاقاتها من عقال الجمود والتبعية ، وبين النتائج الزهيدة الحاصلة . إن في ذلك لمظهراً آخر من أزمة الفاعلية للفكر العربي المعاصر في قدرته على التغيير وفي مدى مساهمته في صنع القرار المهيمن على حياته الوطنية . فنحن قوم نعيش على جدلية عرجاء ومثالية بلا جناح ، نؤمن بأن توضيح معالم الحق كفيل بنصرته ، وان المنكر والباطل لا بد أن يزولا . والواقع الواضح بهذا الاعتبار أننا لم نبذل العناية الكافية لدرس العراقيل المعطلة لنصرة حق العربية في الوجود والسيادة بأوطاننا ، ولا لطلب المواد الاساسية الاستراتيجية الكفيلة بضمان النجاح لمساعينا .

ثانياً : اجراءات تمهيدية لقيام استراتيجية قومية للتعريب

لا تنطلق جهود التعريب في البلدان العربية من غير سند ، بل تعول في المجال اللغوي الفني على هذا الجهد العلمي ـ المعجمي الضخم الذي لا يزال مبذولاً منذ أكثر من قرن . وحقيق بنا وفاء لهذا المجهود الطيب المبارك أن نعمل على صونه من التلاشي وأن لا نهمل مقاصده ونتائجه . فما كانت مقاصده من جنس الابحاث العلمية المخبرية لتحقيق قضية من قضايا النحت والاشتقاق ، أو لضبط مسألة من مسائل الصرف والبناء ، بل كان التعريب يرمي الى المساهمة في التغيير الرصين للمنكر القائم المتمثل في الازدواجية اللغوية المجحفة ، وفي تقلص دور العربية بين اهلها وبنيها . ومن المفيد أن نتساءل اليوم عن مقدار ما حصل من تلك المقاصد المرسومة ، فنحاول تقويم ما دخل ميدان الممارسة بالقياس الى الكسب اللغوي ، ومن زاد المجامع المختصة الحاصل بشأنها الاتفاق العلمي ، فنطلب ذلك في كتب التدريس ، وفي الوثائق الادارية ، وفي الوسائل السمعية البصرية والادوات الثقافية ، وفي مجالات المعاملات والاقتصاد .

مثل هذا العمل التقويمي مفيد في ذاته لقياس نجاعة المجهودات المبذولة ، ومفيد من جهة ثانية لأنه يعين على تشخيص العراقيل المعطلة في مختلف الميادين العملية ، وفي مقدمتها الميدان السياسي . اذ يحق لنا أن نتساءل : هل يقوم الاجماع حقاً داخل كل قطر عربي بين فئات الشعب وصانعي القرار حول وجوب القيام بالتعريب الشامل الجريء واحقيته وتناسبه مع العصر التكنولوجي الحاضر ، مع فداحة الفجوة بين اللغات الاوروبية وبين العربية ؟ ثم هل القيادات العربية مستعدة لبذل الجهود الواجبة فكرياً ومالياًلتحقيق السيادة للعربية في الاوطان العربية ، وهل الفئات الاجتماعية المستفيدة من هيمنة اللغات الرأسمالية ـ الاستعمارية السابقة قابلة لأن تغير من موقفها ، وقادرة على التحلل من ارتباطاتها ، ومستعدة للعمل على انجاح سياسة واضحة مستمرة لتعريب الحياة العامة الوطنية ؟ ثم هل يمكن اعتبار قضية التعريب على هذا النحو الشامل العميق قضية داخلية محضة لا شأن لغير الشعوب العربية بمساندتها أو بمعاكستها ، ولا مصالح لذوي المصالح ترتبط بنجاحها أو فشلها ؟ ليست مثل هذه التساؤلات بريئة ، ولا هي من جنس المطالب النظرية المجردة ، لكن من السذاجة عدم وضعها ضمن موازين تقييم العمل العربي .

وإذا كان من الجور أن نمعن في مسلك تبريري فنلقي على الاستعمار تبعة ما في أوضاعنا جميعها من وهن ، وأن نحمل « العدو » مسؤولية ما ينتاب جهودنا من فشل ، فليس من الانصاف كذلك أن نسلك في تأويل ذلك مسلكاً تأثيمياً لأنفسنا ، وأن نبرىء القوى المنافسة لنا ، المتربصة بأوطاننا لتوهين الامة العربية من خلال القيم الحضارية الباقية المعينة على توحيد صفوفها . ولقد دلت التجربة الصهيونية المعاصرة على مقدار الاستفادة من وحدة اللغة في بناء الدولة وفي تأليف النسيج الاجتماعي بين فلول من أمم شتى شرقية وغربية . وليس من شك في أن هيمنة اللغات الاجنبية في مختلف مجالات الحياة في أوطاننا ، وضعف دور العربية بين أهلها ، يشكلان حجر الزاوية في الجهاز المضروب لتعميق التبعية الحضارية القائمة ، ولعرقلة جهود الانعتاق والوحدة القومية ، وللابقاء على عوامل الفرقة والتصدع بين شعوب الامة العربية .

ثالثاً : أدوات التشخيص لاستراتيجية مشتركة لنجاح التعريب

التعريب كمشروع قومي يرمي الى الانعتاق الحضاري وانجاح بناء الوحدة العربية حقيق بأن يكون عملاً جماعياً تشترك في التخطيط له فرق عديدة مختلفة الاختصاصات من المفكرين العرب . ولا أتصور أن يكون للتفكير الفردي في مساهمة وجيزة أكثر من دور الاشارة الى الادوات الاجمالية المعينة على تشخيص استراتيجية التعريب .

١ ـ والعامل الاساسي الاول لقيام مثل هذه الاستراتيجية المشتركة هو ، بلا شك ، حصول الاتفاق الجماعي على وجوب التعريب وحتميته التاريخية ، وامكانية انجازه في المدة الزمانية القابلة للتقدير والسيطرة . ولا يكون ذلك الاتفاق عملياً وظيفياً الا اذا حصل داخل كل قطر عربي بين الشعب وحكامه ، وبين فئات المفكرين وصانعي القرار ، فيصبح التعريب بهذا الاعتبار جزءاً من برامج الاحزاب السياسية والتنظيمات الجماهيرية ، تدعو الى تحقيقه ، وتحث الفئات الحية من الشعب الى التعلق به والى المطالبة بانجازه . ولقد كانت قضية التعريب من قضايا الاحزاب السياسية والتنظيمات النقابية زمان الاستعمار الفرنسي ببلاد المغرب . فلما تحقق الاستقلال خرجت قضية التعريب من اهتمامات التنظيمات والاحزاب، وتفرقت بشأنها كلمة المناضلين القدامى ، ومالت مواقفهم الى « الواقعية السياسية » ، وانقلب الكثير منهم الى دعاة للابقاء على اللغة الاجنبية عن ايمان واقتناع . ولله في خلقه شؤون لا يعلمها الا هو .

٢ ـ العامل الاساسي الثاني بين مواد الاستراتيجية المشتركة ، هو حصول الوفاق الشامل على مفهوم التعريب ومقاصده مفهوما حضاريا شاملا جميع ميادين الحياة القومية ، لا مفهوما وظيفيا محدودا . وان في تجربة الامة العربية ، خلال العقود القليلة الماضية ، اكثر من دليل على أن ذلك الوفاق مفقود ، وان للقادة وممارسي النفوذ مفهوما وظيفيا فنيا متحليا بملامح الواقعية السياسية لا يشاطرهم في القول به المفكرون والباحثون المتبرمون بالواقعية ، المتعلقون بمثالية المفهوم الحضاري . وما كان مثل هذا التباين في المفاهيم ليعين على جدوى الحوار في الوطن العربي الواحد حول سياسة التعريب .

٣ ـ كما ليس من شأنه أن يسهل قيام ارادة سياسية صارمة ، تجعل من التعريب خطة وطنية معممة على جميع القطاعات . وأن في قيام هذه الارادة السياسية شرطا اساسيا يمثل عاملا ثالثا من عوامل استراتيجية التعريب يعين على تذليل الصعاب وتجاوز العراقيل ، ويساعد على اسكات المعارضة، واستنهاض الحماسة في الجماهير الشعبية لفائدة التعريب باعتباره صحوة حضارية ، ومنزع اصالة ، واداة من أدوات الانعتاق الوطني ، وسبباً متيناً من أسباب الوحدة القومية .

وحيثما كانت الارادة السياسية مفقودة ، او خافتة مترددة ، فإن جميع الجهود المبذولة تكتسي طابعا هامشيا عائقا ، وتظل موسومة بفقدان شرط الشرعية الضروري لنجاح كل مشاريعنا الوطنية . ولولا ما اتصف به الرئيس الجزائري السابق من ارادة سياسية صارمة اعتبرت التعريب واجبا وطنيا ، وهدفا مقدسا لا يمكن أن يكون عرضة للجدال ، لما وجدت خطة التعريب في الجزائر سبيلها للنجاح ، ولما امكن تحقيق النتائج الايجابية الملموسة في مجال ارجاع السيادة العربية في مجتمع سيطرت اللغة الفرنسية على اجيال متعاقبة من ابنائه طوال مائة وثلاثين عاما .

٤ ـ العامل الاساسي الرابع لاستراتيجية التعريب هو تركيز المسؤولية التطبيقية لعملية التعريب في مستوى هياكل الممارسة الفكرية والثقافية والادارية والاقتصادية . فلو أن المصالح الادارية بوزارة الزراعة مثلاً دعيت الى حمل مسؤولية التعريب في كل ما يتعلق بمجالات نشاطها في مراتب تعاملها مع العموم ومع سائر المصالح الادارية الوطنية ، ودعي الى مثل هذا الجهد كل المسؤولين في مصالح القباضات المالية ، والاشغال العامة ، والكهرباء . . . لأصبح التعامل بالعربية ظاهرة اجتماعية مألوفة ، وسنة قارة وعادية في شتى مجالات الحياة الوطنية . وحينها يتضح بالممارسة مقدار ما كنا نستعظمه من مشاكل هي في ذاتها وعند التجربة مشاكل صغيرة ميسورة . ولعل من أكبر فوائد التجربة الفذة الجريئة التي أقدم عليها منذ سنوات قليلة وزير الاشغال العامة بالرباط للتعامل بالعربية وحدها اعادتها الى المشاكل والعراقيل احجامها الحقيقية ، وتبديدها ما نسجناه حولها من أوهام . ففي هذه التجربة وأمثالها دليل قاطع على أن لقضايانا الوطنية ولا شك عوامل اشكالية موضوعية ، ولكنها تتعاظم في نفوسنا وتنتفخ هياكلها على قدر ما نتخذه بازائها من مواقف ، وبحسب ما وراء هاته المواقف من استعدادات نفسية ، ومن طاقات الحزم والجرأة . ولست أذهب الى أن لنا بالقياس الى اشكالية التعريب مركبا انهزاميا . ولكني أعتقد أن العوامل السلوكية والخلقية هي أيضا من عناصر الاشكالية ، وهي عناصر موضوعية لا بد من أن تدخل في الحساب عند الاقدام على وضع استراتيجية شاملة للتعريب . . . فلو شاءت الاقدار أن يكون على رأس جميع الوزارات باحدى الحكومات العربية لمدة زمانية كافية ثلة من أهل الايمان الحازم والجرأة الرصينة والكفاءة العلمية الملتزمة تقدم في خط واحد على تعميم التعريب في جميع دواوين الحكومة على غرار ما حصل في وزارة واحدة في الرباط ، أفلا تكون لهذه التجربة مزايا خلقية وسلوكية وسياسية متعددة ، تصرف اهل الجدل عن جدلهم ، وتقيم الواقع مكان الظن ، وتعين على تشخيص العراقيل في احجامها الواقعية ، وتخرج بقضية التعريب من المخابر لتزج بها في خضم الحياة الحية وتعيد الى النفوس شيئاً من الاحترام والكرامة ؟ وبذلك يعم الايمان في طبقات الشعب بأن

التعريب مطلب ممكن التحقيق ما دامت الدولة قد وضعت رجلها في الطريق ، وتعود الى الكتاب واللغويين ورجال الفكر من أنصار العربية الثقة في جدوى ما بذلوه من جهود ، وما آمنوا به من مقاصد . وبذلك أيضاً تخفت الاصوات المعادية للتعريب ، وتسقط حجتهم .

٥ ـ ومن بين الخطوات العملية الميسورة التطبيق أن نربط بين التعريب وبين مواطن الاهتمام الكبرى ربطا وظيفيا على غرار ما يحصل في مشاريع محو الامية وتلقين القراءة والكتابة للكهول ، فنصل بين اشاعة المفردات العربية وبين مراكز الاهتمام المهني ، بالقياس الى عمال المؤسسات وموظفيها . وفي ذلك تأكيد للمقصد التطبيقي للتعريب واتاحة لفرصة التعامل المستمر بين العربية وبين مشاغل المواطن في حياته اليومية . كما أن في مثل هذا الربط الوظيفي مزية اساسية كبرى تتضح في اشاعة الشعور العام بأن التعريب ليس مجرد قضية نظرية تربوية تنحدر من المدرسة الى الشارع ، وتنطلق من نقاط اشعاع نخبوية ، بل هي قضية ملاصقة للحياة اليومية في ابسط مظاهرها ، حاضرة مع كل مواطن عربي ، حضور استمرار واستئناس تنسكب في الشرايين ، وتسقي النسيج ، وتطعم التصور ، وتغذي الخيال ، وتهيمن على الواقع .

فمن اكبر آفات العربية صفة التنميط الذي تولد من الجدل الطويل حول قضية التعريب تنميطاً لا يبعد أن يصبح تحنيطاً ، كما يفعل بالاجسام الميتة . والعربية بحاجة اليوم الى مؤمن يكسر الاصنام ، ويحطم قوالب التنميط ، ويفك عقال اللغة الكائن الخالد الحي . ولا شأن للعربية ، ولا أمل لنا في خطة استراتيجية لا تنطلق من ايمان ، ولا تنهل من معين الحب . واما الاستراتيجية الباردة الزمنية القابعة في مخابر الموازين فلا مستقبل لها في قضية التعريب، ولا رجاء فيها لنجاح اية قضية .

رابعاً : ملامح خطة قومية للتعريب

١ ـ قضية التعريب قضية قومية تهم جميع شعوب الامة العربية في مختلف اوطانها . ويرتبط هذا الاهتمام بحاضر الامة العربية ومستقبلها . وعلاقة التعريب بالاوضاع الحاضرة واضحة فيما للعربية من شأن داخلي ، وما تحتله من مرتبة بالقياس الى اللغات المستعملة الاخرى بوصفها لغة تعامل ، وعنوان حضارة ومرجعا ثقافيا ، وعروة وثقى من عرى الصيانة للذات . وجميع الشعوب العربية معنية في مستقبلها بما تصير اليه لغتهم من منزلة ، وما تؤول اليه قضاياها من حلول ، وذلك في شتى مجالات الوجود القومي : السياسي والفكري والثقافي والاقتصادي .

والشمول صفة أساسية من صفات التعريب باعتباره قضية قومية مشتركة . وذلك يدعو الى أن يكون الشمول احد الملامح الاساسية للخطة التي يعالج بها العرب قضية التعريب . ولا يجدي أن يعالج تعريب التعليم العالي في المغرب بغير ما يعالج به في الشام او في مصر . ذلك أن بعض التجارب العربية المنعزلة المنفردة في احد البلاد العربية هي اليوم حجة لبعض الحكومات العربية الاخرى وذريعة للاحجام والتردد في مواصلة التعريب . فهل يمكن أن ننجح نحن في تونس فيما لم

توفق الى النجاح فيه الجامعات المصرية بعد اجيال من الجهد ، وأن نقدم على التعريب الشامل لتعليم الحقوق او الهندسة ، في حين أن هذه العلوم لا تزال تلقن في كليات الشرق باللغة الانكليزية ؟

٢ ـ إن المعاجم موحدة ولا ريب ، والمراجع غزيرة متوافرة بلسان عربي مبين في اصناف المعرفة . وهذه ثمرة طيبة للمجهودات العلمية المباركة المبذولة من مطلع القرن الهجري الماضي . ولكن السياسات القطرية للاستفادة من ذلك الجهد العظيم سياسات متباينة ، واهل القرار في اوطاننا على مراتب متفاوتة من التيقن والاقدام ، من الاقتناع والظن ، من الحزم والتردد . وليس في البلاد العربية من دلائل على وجود رأي عام يردع سلوك القيادات فيجرها بحزمه وايمانه واجماعه واقدامه ، ويحملها على اتخاذ القرارات الوفية لهذه الملامح الشعبية . ومعروف أن الضمير العربي في صميم الجماهير الشعبية مطبوع بالميل الى الشرعية ، وبالاقتصار على خطابها المرسوم .

واول سؤال يتبادر الى الذهن بهذا الشأن هو التالي : اذا نحن اتفقنا على الجهة العلمية السياسية التي نوكل اليها وضع الخطة القومية الشاملة ، فما هي الادوات العلمية ـ السياسية التي تضمن للامة العربية التزام قياداتها ونخباتها بتطبيق البرامج المقررة ، تطبيقاً متصل الحلقات موصول السند ، في غير انتكاس ولا رجعة ، وتلتزم بتسخير الوسائل المادية ، وتوظيف الكفاءات العلمية والادارية والفنية الواجبة بمقاديرها المقررة وفي آجالها الموقوتة ؟

عند هذا المنعرج العنيد تصطدم بواقع الممارسات القطرية للسيادة جميع قرارات الاجماع العربي ، حتى ولو تعلقت بأبعد القضايا عن المساس بحقوق هذه السيادة وعن الاستنقاص من مدى حرمتها .

القضية ها هنا قضية السهر على توفير ادوات الترشيد للسلوك السياسي العربي في مستوى القيادات المسؤولة . والواقع أن هذه القيادات تسلك سلوك من لا يشعر بأنه مسؤول ، وأن وراءه رقيباً يحاسبه .

لو كان السلوك السياسي العربي محفوفاً بانذارات الخطر على طريق الممارسة لكان السير السياسي اسلم للشعوب وللقيادات معاً ، ولكان تاريخ الحكم العربي اقوم نسقاً ، وأقل عثارا ، خصوصا في زماننا المعاصر . وقد غدا توارث الحكم بين المرشحين له يخضع لقانون العنف اكثر مما يخضع لشرعية القانون . ومرد تلك المخاطر راجع قبل كل شيء الى غياب سلطان الرأي العام من الساحة السياسية العربية .

٣ ـ من أجل ذلك أرى أن الخطة القومية للتعريب ينبغي أن تستند الى رعاية الرأي العام العربي ، قبل أن تعوّل على حرمة المواثيق ، وان تستمد شرعيتها من مساندة الارادة الشعبية ، قبل أن تستمدها من العهود الرسمية . والذي يتبادر الى الملاحظة في هذا الشأن هو أن ما يعرف عند الشعوب الغربية باسم الرأي العام يكاد يكون معدوما في اوطاننا العربية . وان في تاريخنا القريب دلالة كافية على أن الحياة العامة العربية لا تتأثر في تصريف القضايا الكبرى بارادة شعبية مشتركة

ناجمة عن دراية كافية بمعطيات المشاكل وسالكة سبيلها لتبليغ موقفها عن طريق قنوات جاهزة مسخرة آمنة وفية .

ومع ذلك فإن قنوات التبليغ متوافرة في اوطاننا العربية ، تتمثل في الاجهزة الاعلامية المتعددة ، كما تتمثل في الاحزاب السياسية والتنظيمات الجماهيرية المهنية والاقتصادية . وجميع ذلك وسائل مبذولة يمكن تسخيرها لتكوين الرأي العام العربي ، وتحسيسه ، وحفز طاقاته لتمتين تعلقه وترشيد تمسكه بقضية التعريب . فلو أن الاحزاب السياسية والمنظمات الجماهرية والتكتلات البرلمانية اتخذت قضية انجاح التعريب من بين العناصر الكبرى لبرامجها الدعائية والعملية ، فربطت بينها وبين قضايا التنمية والحريات الدستورية والديموقراطية ، لاكتسبت قضية التعريب بفضل ذلك سبيلها الى الرأي العام ، وانطلقت الخطة القومية للتعريب من منطلق متين ، فاصبحت عاملا اساسيا من عوامل التغيير في المجتمع العربي المعاصر . والتغيير حاصل لا محالة ، وكلما عبرت الشعوب عن عزمها لتحقيقه ، عجزت القوى الداخلية عن مقارعة ذلك العزم ، وكذلك القوى الخارجية .

واذا كان الرأي العام العربي هو الضامن الاقوى لتنفيذ خطة التعريب ، ففي اي مدى زماني يمكن أن نتصور حصول هذا التنفيذ انطلاقا من الواقع الماثل في المجتمع العربي المعاصر ؟ فكم من حاكم عربي سمعناه يردد أن التعريب مطلب عزيز لا يمكن أن يتحقق ـ ان كتب له أن يتحقق ـ الا في المدى الطويل ، والطويل جداً ، بعد أن تكون اللغة العربية قد نهضت من جمودها ، وتقدمت على سبل التطور ، فبلغت من الطواعية والمرونة والكفاءة درجة قريبة من اللغة الانكليزية . . . إلى غير ذلك من حجج التسويف .

٤ ـ واعتقادي أن نجاح الخطة القومية للتعريب مطلب ممكن الحصول في بحر العشريتين المقبلتين ، نقبل في العشرية الأولى على تصنيف الخطة وضبط وسائل التحقيق ، وفي مقدمة هذه الوسائل اعداد الرأي العام العربي على مستوى التنظيمات الشعبية الكفيلة بتوعيته والتعبير عن ارادته ، ونفرغ من ضبط المراحل وتوزيع الاعمال بين الشعوب العربية ، وداخل هذه الشعوب ، بين المنابر العلمية والمخابر التجريبية والمؤسسات المهنية . ثم ينطلق التطبيق ووضع الخطة موضع التنفيذ من بدء العشرية الثانية ، وعلى امتداد مراحلها العملية ، فنواصل تعميم التعريب على مختلف مراتب التعليم ، ونتمم تعريب الوسائل الاعلامية وادوات الثقافة ، ونفرغ من تعريب الادارة والمصالح العمومية ، وننصرف الى تعريب المعاملات الاقتصادية والمالية والتجارية . ونبدأ في خطة التعريب والترجمة لصنوف البحوث العلمية والمخابر التجريبية . وانما نعوّل في تحقيق هذه المراحل على الثروة اللغوية المجمعة في المعاجم الحديثة ، وعلى المراجع العربية الموضوعة من قبل رجال مؤمنين في مختلف العلوم الصحيحة والانسانية ، ولا ننطلق من شيء جديد . فهي اذن خطة قومية لعمل سياسي شامل يفصح عن ارادة واضحة للاستفادة من ثمرات الجهد العلمي والفني الذي حصل في العواصم العربية على امتداد قرن كامل من الابداع ، وتدبر للنهوض بالعربية الفصحى وتيسير سبل السيادة لها في اوطانها .

٥ ـ وإنما مقصد هذه الخطة حل مشكلة سياسية تشترك فيها الامة العربية جمعاء ، وتتمثل فيما يكبل هذه الامة من اوزار التبعية الحضرية بجميع مظاهرها العلمية والثقافية والاقتصادية ، هذه التبعية التي تعبّر عنها وتزيد في تعقيدها التبعية اللغوية المتمثلة في سيادة اللغات الاستعمارية على الحياة العامة ، وفي وهن دور اللغة العربية الوطنية . فالامر يتعلق على هذا بخطة تحرير اجتماعي ترمي الى اعادة الحركية لاوضاع مغلولة بالسكونية المجمدة ، والى تمكين القومية العربية من استئناف اسباب النهضة على اساس ايصال السند المنقطع من اصالتها الحضارية . وهذا يعني أن الخطة القومية هي نقطة البداية في مسار حضاري لا نهاية له ولا توقّف فيه . والذي يهمنا أن نعمل على تحقيقه هو أن يكون تنفيذ الخطة القومية للتعريب في المدة الزمانية الموقوتة منطلق استمرار ، يخلق الحركية الحضارية المتجددة بالتوليد التلقائي ، لا نقطة سكون يؤ ول الى الجمود في خاتمة المدة الزمانية المقدرة لانجاز الخطة . فلا شأن لمستقبل القومية العربية بخطة تكون مقصورة على مشروع موقوت ليس من ورائه امتداد ، ولا يخلق حركية حضارية مستمرة . ذلك أن تيسير الوحدة القومية العربية ، وازالة العراقيل العائقة لانجازها ، وفك وثاق التبعية الحضارية ، من اوكد المقاصد المطلوبة من انجاز الخطة القومية للتعريب . وليست مثل هذه المقاصد الشريفة من جنس المطالب التي يمكن أن نضبط لتحقيقها تاريخا محدودا ، على غرار ما نفعل عندما نؤ رخ لحصول استقلال الجزائر مثلا باليوم والشهر والعام .

ثم أن خطة التعريب لا يمكن أن تكون خطة منفصلة عن غيرها من خطط العمل العربي المشترك ، قائمة بذاتها ، مقصورة على نفسها . ذلك أن حياة اللغات من حياة الشعوب ، وسيادتها من سيادتهم ، وتطورها مرآة لتطورهم . ولا أتصور أن تقوم خطة التعريب في خطاب قومي معزول عن سائر عناصر الاشكالية العربية المعاصرة . واوثق هذه العناصر اتصالا باللغة قضية التعليم والبحث العلمي ، وقضية الفجوة التكنولوجية بين العرب وبين الامم الصناعية المعاصرة . وقد بات من المسلّم به أن جميع هذه العناصر لا تنفصل عن المقومات الاساسية للتنمية في مفهومها الشامل ، ولا تنمية لامة مكبلة مكبوتة ، ابناؤ ها ممنوعون عن المشاركة الواعية الحرة في صنع مصيرهم ، وجماهيرها قابعة في منازل السفاهة والقصور، وقواها مبعثرة ، وطاقاتها معطلة عن الابداع ، وافق مستقبلها معتم مسدود .

وهكذا فإن خطة التعريب حلقة واحدة في سلسلة الحلقات المترابطة لما يمكن أن نسميه اشكالية النهضة القومية العربية ، يقوم بينها وبين سائر الحلقات الكبرى روابط تفاعل طردا وعكسا . ولا سبيل الى بناء استراتيجية ناجعة للتعريب من غير احصاء لجميع هذه العناصر المترابطة ، وتشخيص لجدلية التفاعل بينها ، وقراءة لحساب ما يمكن أن يستفيده مشروع التعريب من التصور السليم لتنمية الموارد البشرية والطبيعية ، وما لا بدّ من أن تستفيده الخطط الانمائية من مشروع التعريب لتأصيل المجهود القومي وتجذيره في القيم الحضارية الباقية ، وما لهذا المشروع ولتلك الخطط من علاقة جدلية باصلاح التعليم وتقويم المناهج التربوية .

٦ ـ لقد تضررت الأمة العربية في ربع القرن الاخير من الأخذ بمبدأ التقليد للمنهجية الغربية

الرأسمالية فيما اقدمت على انجازه من الخطط الانمائية ، فسلكت ـ كما سلكت امم عديدة اخرى من العالم الثالث ـ سبيل التبعيض ، فركزت الجهود والاستثمارات الانمائية على بعض القطاعات الاقتصادية ، وفي مقدمتها قطاع الصناعة ، دون عناية مماثلة بالقطاع الزراعي ، ولا قراءة لحساب الانعكاسات المترتبة للزراعة من آثار المجهود الصناعي المكثف ، واولت الاهتمام الاول لنمو الناتج الاجمالي المحلي دون التفات الى الانخرامات الداخلية المتعددة في التوازن بين الفئات الاجتماعية وبين جهات البلاد بعضها بالقياس الى بعض ، وحصرت العناية بالانتاج ، وأرجأت جانب التوزيع واشاعة الفائدة من ثمار المجهود الوطني بين الفئات الضعيفة والمحرومة . ولم تقرأ حساب ما لمنهجية التجزئة والتبعيض من اثر في عرقلة القوى المنتجة وتدهور مستويات الانتاجية للقوى العاملة . ولعل تدهور الانتاج الزراعي في الاوطان العربية خلال العقدين الاخيرين ، وتفاقم العجز في ميزان الزراعة بين الانتاج والاستهلاك ، وبينهما وبين التوريد ، وما يترتب على ذلك من تعميق التبعية الغذائية للامة العربية بأسرها ، النفطية منها وغير النفطية ، أشد النتائج خطرا لفشل الخطط الانمائية العربية عن الوفاء بالحاجات الاساسية . وقد اخذت بعض الاقطار العربية تراجع اصول هذه السياسة الانمائية القائمة على تقليد الانماط الغربية ، وأصبح شائعا في ادبيات التنمية في مطلع القرن الهجري الجديد ، أن المنهجية التبعيضية ليست سبيلا ناجعا لتحقيق مقاصد التنمية ، وأن اقوم سياسة انمائية إنما هي التي تتمثل في المعادلة القويمة المنسقة بين العناصر الاساسية الداخلة في اشكالية التخلف للاوطان العربية ، وأن العناصر الفكرية والسلوكية متساوية في الاهمية مع العناصر المادية والاقتصادية في هذه الاشكالية . والتعليم من ابرز تلك العناصر فيما بلغ من درجات الشمول ومراتب التوفيق والتأصل . وما هو ببالغ تلك المراتب دون استرجاع اللغة الوطنية مكانة السيادة داخل الوطن العربي .

٧ ـ من أجل ذلك ، ينبغي اعتبار الخطة القومية للتعريب عنصرا اساسيا من عناصر استراتيجية التنمية الشاملة للامة العربية ، لا تقل اهمية عن سياسة توظيف الاستثمارات أو التصرف في الموارد البشرية والطبيعية . وغني عن البيان أن استراتيجية التنمية العربية في المستوى القومي هي شيء آخر مغاير للجملة العددية الحاصلة من اضافة الخطط الانمائية الوطنية في المدة الزمانية المنسقة ، وكذلك الشأن بالقياس الى خطة التعريب القومية ، فلا تكون مقصورة على التجميع العددي او حتى على مجرد التنسيق بين سياسات وطنية متفاوتة في المدى والشمول ، مختلفة في المراجع متباينة في المنهجية .

إنما نحن بازاء عملية ادماج وبناء انشائي تأليفي يمكن أن يحصل مروراً بالمراحل التالية :

أ ـ مرحلة تقويم الاوضاع الوطنية في كل قطر من الاقطار العربية بقصد التعرف الى ثمرات مجهود التعريب ، وخصائص السياسة المتبعة في هذا الميدان ، والمستويات العلمية والفنية التي تتلاقى فيها السياسات القطرية . ويحسن التركيز في هذا التقويم على بعض الميادين الاساسية كميدان التربية والتعليم ، وميدان الادارة والمصالح العمومية ، وميدان الاعلام .

ب ـ مرحلة طلب الوفاق حول المقومات الاساسية لخطة التعريب القومية باعتبارها بناء

مستحدثاً مشتركاً ، لا يقتصر على الخطط القطرية ، وذلك فيما ينبغي أن يكون لهذه الخطة القومية من مقاصد فنية وسياسية . . . ومن آماد ومراحل تحقيق ، اعتبارا لما بين الاقطار الشرقية والغربية من تفاوت في المراحل المقطوعة ، ومن وسائل سياسية وبشرية ومادية يجب توظيفها في كل مرحلة .

ج ـ مرحلة ادماج خطة التعريب في عناصر الخطة الانمائية العربية على اساس جدلية مفتوحة لعناصر الاشكالية العربية ، ترمي بالخصوص الى توزيع الاعمال بين مختلف الاوطان العربية ، والتمييز بين عناصر الخطة التي تدخل في السياسات الانمائية القطرية وبين العناصر التي تمثل عملا قوميا مشتركا كمخابر البحوث العلمية والتقنية مثلاً .

خاتمـــة

التعريب على الدرب ، في جميع اقطار الامة العربية ، منذ عشرات السنين ، وهو درب طويل شديد الالتواء . وتجارب الشعوب العربية في التعريب متفاوتة الشمول والحصر ، بين النجاح والتعثر ، بين التردد والحزم . وقد اقترنت الصحوة الوطنية للشعوب العربية منذ فجر القرن الرابع عشر المنصرم بتمتين التعلق باللغة العربية ، وبارادة النهوض بها باعتبارها ملاذا من التجنس والذوبان ، وبصفتها سند الاصالة الحضارية . وكذلك اقترنت الصحوة الاسلامية بتجديد التمسك بلغة القرآن ، وبرفعها درجات عالية فوق سائر اللغات .

ولا غرابة في أن تقترن مطامح الوحدة القومية بالعزم على ضمان السيادة العربية في الوطن العربي ، حتى تكون من بين الادوات الكبرى لاثبات الوجود ، والتخلص من اوزار التبعية ، وتيسير الوحدة . ولا سبيل اليوم الى الفصل بين الخطاب السياسي للوحدة العربية وبين تنمية العربية وتعريب السياسات الانمائية . وتتوافر اليوم لجيلنا امكانات عريضة وثروة حقيقية تتمثل في ثمرة الجهد العلمي المتراكم الذي بذله جنود التعريب ورواد النهضة من ابناء الامة العربية . وفي ذلك اصدق عبارة عن عمق تعلق الامة بلغتها .

الواضح أن مشكلة اللغة العربية في فاتحة القرن الخامس عشر لم تعد بفضل هاته الجهود المباركة ، مشكلة لغوية تقاس بمقاييس الكفاءة الدلالية او طاقة الاستيعاب للمفاهيم ، وإنما هي مشكلة تتمثل في ضعف استفادة الشعوب العربية من طاقات لغتهم وقلة الانتفاع بثمرات المجهود العلمي المبذول . وتلك مشكلة سياسية ترجع الى نوعية العلاقة بين اللغة الوطنية وبين الفئات النخبوية واهل القيادات من ابنائها . وإذا كان من الصعب أن نلمس في الامة العربية وجود رأي عام عربي يدافع عن التعريب ، ويؤيد نجاحه ، ويسعى الى التأثير على القيادات لتوجيهها الوجهة الصالحة ، فإن الضمير العربي في معظم فئات المجتمع ، وخصوصاً في الارياف، حيّ قويّ يقظ ، وهو لا يزال مرهوب الجانب خصوصا منذ قيام ظاهرة الصحوة الاسلامية المقترنة بالتمسك بالقرآن الكريم والانتصار للعربية لغة الذكر الحكيم .

إن توعية هذا الضمير الصامت ، وتبصيره بعناصر الاشكالية القومية للتعريب ، وتمكينه من وسائل الافصاح عن ارادته . وتوفير قنوات التبليغ له ، كل ذلك كفيل بأن يجعل منه رأيا عاما قادرا أن يؤثر في توجيه الاختيارات السياسية العربية . ومثل هذا الترشيد للرأي العام العربي ينبغي أن يكون مقصدا أساسيا من مقاصد استراتيجية التعريب ، ووسيلة فذة من الوسائل الضامنة لنجاحها .

تعقيب ١

محيي الدين صابر (*)

الدراسة التي قدمها الدكتور مصطفى الفيلالي ، قائمة على بناء منهجي متماسك المنطق تتصدى للقضايا المتصلة بالتعريب ، وهي مرفودة بتصور فكري رصين للواقع العربي ، ومسنودة بخبرة بصيرة ، في الاسس السياسية والاجتماعية لهذه القضية . وهي تمتاز بالنظرة الشمولية الواسعة ، وادراك العلاقات الدقيقة لكل جوانب الموضوع ، الامر الذي يسره للدارس تجربته المباشرة في هذا الميدان ، في مختلف مستويات الالتزام والممارسة والمسؤولية ، فنياً وسياسياً واجتماعياً .

وهناك نقاط ايجابية كثيرة في ما قدم من آراء واقترح من حلول ؛ ومن ابرزها : توكيد اهمية القرار السياسي ، في قضية التعريب ؛ والالتزام القومي به ، على مستوى الدولة ، تشريعاً وممارسة ، على كل الصعد .

لقد قام التعريب بدور نضالي في معارك التحرير ؛ وبتحريك الجماهير ضد الاستعمار . وبعد الاستقلال ، كانت هناك نكسات ، واسترخاء في مواصلة المسيرة . . . وليست القضية قضية اللغة العربية وقدرتها ، ولكنها قضية العرب أنفسهم واتجاههم نحو لغتهم . كذلك فإنه من الآراء الناضجة في هذه الدراسة ، الى جانب الآراء الاخرى الكثيرة ، اعتبار الخطة القومية للتعريب عنصراً أساسياً من عناصر استراتيجية التنمية الشاملة للامة العربية ، لا تقل اهمية عن سياسة توظيف الاستثمارات والتصرف في الموارد البشرية والطبيعية .

ومن الآراء الهامة ، في اطار الاستراتيجية ، اعتبار الرأي العام العربي ؛ ضامناً قوياً لتنفيذ خطة التعريب ، وابراز الدور الشعبي في هذا الموضوع .

(*) نظراً لعدم تمكن د. محيي الدين صابر من حضور الجلسة ، قدم الاستاذ عبد العزيز عاشوري هذا التعقيب نيابة عنه . (المحرر)

ومن الجوانب الايجابية في الدراسة اعتبار قضية التعريب قضية قومية للعرب جميعاً ، وقضية شاملة ، غير قطاعية ، تشمل كل جوانب الحياة . .

فالدراسة ، من حيث التطورات التي اعتمدت عليها ، ومن حيث المسلمات التي اعتمدتها ، دراسة غنية تضيف الكثير . . ولكن ، ما هي الآليات التي يتم عن طريقها تنفيذ هذه الاستراتيجية ؟ ولا اقول وضعها . فهناك مؤسسات قومية ، يمكن قانونياً وفنياً أن تعقل ذلك . غير ان تصوراً لقنوات تحقيق هذا التطلع عمل مطلوب ايضاً . . وفيها وراء ذلك فقد كان من الممكن أن ينظر في اوجه التعريب الاخرى ، التعريب في المعنى التقليدي ، بمعنى علاقات اللغة العربية باللغات الاخرى ، واثر ذلك في حل بعض القضايا الفكرية والفنية المتصلة بتنمية اللغة العربية ، من حيث المضامين الحضارية المعاصرة . . ثم النظر فيها وراء ذلك من التعريب الاجتماعي ، اي ما يتلقى المجتمع العربي من تأثيرات حضارية ، من غير طريق اللغات ، بالتفاعل الحضاري العالمي . . .

كل ذلك يصب ، بصورة من الصور ، اما في الوحدة العربية قومياً او في دعم الوجود العربي عالمياً . . ومن الملاحظ ان الدراسة متأثرة ، بالخبرة المباشرة ؛ بواقع التعريب في المغرب العربي، وان كانت على ادراك دقيق بالواقع العربي في المواقع الاخرى .

تعقيب ٢

عبدالله العروي

تشخص دراسة د. الفيلالي بكيفية وافية ودقيقة العوائق التي تعترض تحقيق التعريب على مدى واسع في الوطن العربي ، فتبرز اولاً ان المثقفين والمسؤولين بصفة خاصة ، يهملون جهود اللغويين في تعريب المصطلحات العلمية ، في الوقت الذي يرمون فيه اللغة العربية بالعقم والغموض، والجمود . وتلفت انظارنا ثانياً الى أن هؤلاء المسؤولين الذين يقبلون مبدأ التعريب يحجمون عن اتخاذ القرار الحاسم ، فتطرح هنا مشكلة مدى استقلال الحكومات العربية في هذا الموضوع الحساس .

ثم يتطرق الباحث ثالثاً الى نقطة مهمة جداً وهي التي تتعلق بدور الرأي العام في مختلف الكيانات العربية . قد يقول البعض : لماذا لا نتجاوز نطاق المسؤولية الرسمية ونخاطب الشعب العربي موكلين اليه مهام فرض التعريب على القيادات المتقاعسة ؟ اذا فسرنا لافراد الشعب اخطار الحالة الثقافية الراهنة ، وجعلناهم يلمسون ارتباط مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية بمشكل التعريب ، فإننا نكون قد قمنا بواجبنا نحو شعبنا ، ووضعنا اللغة الوطنية تحت حماية الشعب العربي نفسه . لكن ما ان يطرح الباحث هذا التساؤل حتى ينتبه الى ان وسائل الاتصال بافراد الشعب منعدمة بالفعل على طول الوطن العربي وعرضه . فكيف نخاطب الشعب العربي بدقائق مسألة تهمه في المقام الاول اذا كانت جميع وسائل التواصل بيد سلطة اقليمية مصممة على ان تكون مخاطب الجمهور الوحيد ؟

واخيراً يلفت الباحث انتباهنا الى العائق الذي تمثله التجزئة في طريق التعريب . فكل كيان ينتظر ان يقوم كيان آخر بالتجربة ليحكم على نجاحها او اخفاقها ، في حين ان عدم الاجماع على التعريب هو السبب الاول للاخفاق .

وهكذا نرى أن الباحث يحاكم المسؤولين المتشبثين بالازدواجية والتبعية والتجزئة الاقليمية

محاكمة لا هوادة فيها معبراً بذلك عن انتمائه القومي المتميز . وهذه محاكمة لا يمكن الا الموافقة عليها موافقة تامة . الا ان الموافقة ذاتها هي بداية التساؤلات .

واذا كنا نصل حتماً الى الاعتراف بالعجز عن ارغام المسؤولين على الالتزام بتحقيق التعريب فلا مناص لنا من أن نتساءل : كيف يمكن أن نتصور خطة استراتيجية للتعريب ؟

وبالفعل نلاحظ أن المحاضر عندما يتعرض للقسم الايجابي من بحثه يكتفي بترديد تشخيصه السابق في ثوب جديد . فاسباب نجاح خطة التعريب عند الدارس هي في الواقع ظروف تقتضي مسبقاً رفع الحواجز التي تكلم عليها في القسم الاول : كيف نتجاوز التجزئة ؟ كيف نتفق على خطة تعريبية واحدة ؟ كيف نتصل مباشرة بالرأي العام العربي بعد ان قلنا ان الدولة الاقليمية تحتكر وسائل الاعلام لكي تظهر ان عملية التعريب صعبة وبعيدة التحقيق ؟ كيف نتخيل رفع الحواجز التي رأينا انها مبطنة في الواقع الاجتماعي العربي ؟ اوليس معنى الدراسة في آخر المطاف ان معركة التعريب الشامل معركة خاسرة ما لم تتحقق ثورة اجتماعية وثقافية وسياسية كاملة غير متوقفة على ارادة انصار التعريب وحدهم . فتصبح قضية التعريب قسماً من القضية الاجتماعية العامة ؟ ليس اذن لهذه الدراسة خاتمة بالمعنى الدقيق . كل ما يمكن أن يفعله صاحب البحث هو الوصول الى عتبة التغيير السياسي والاجتماعي ويترك الامور في عنق المصلحين والثوريين .وليس من المصادفة ان يخصص الباحث صفحة كاملة في نهاية دراسته لقضية النمو الاقتصادي . فمنطق التحليل الذي اختاره يقود الى اذابة المشكل اللغوي في المشكل الاقتصادي .

واذا كان الامر كذلك اصبح من غير المفيد الكلام على العقوق وثنائية التفكير والاهمال . فهذه مفاهيم وصفية لا تحليلية . وللانتقال من الوصف والمحاكمة الى التحليل ، واصدار الحكم المفضي الى العمل المخطط ، لا بد من تعيين هؤلاء المحاكمين . فما هي صفة المتنكر للغته وثقافته ؟ ما هي حيثية الزعيم الحزبي الذي يغير موقفه من التعريب من طرف سياسي الى طرف آخر ؟ لا بد اذن من التخلص من دراسة لغوية الى دراسة مجتمعية تهدف الى وصف وتحليل العملية التي تحول المنتصر للعربية الى مناهض لها ، اكان من الموظفين السامين او من ابناء فئة من فئات الشعب المحروم .

هذه دراسة لا تشكل في حد ذاتها حلاً للمشكل المطروح بقدر ما تمثل تتمة منطقية للبحث الموجود بين ايدينا . ولذا نقول في الختام انها دراسة تمهيدية لدراسة اخرى اطول واشمل . ولا اظن ان هذا نقص في فهم كاتب الدراسة لموضوعه بل هو نقص ناتج من الموضوع ذاته . وألح على هذه النقطة لكي توضع ملاحظاتي في نطاقها الحقيقي ، فأرى ان الموقف من التعريب من حيث المبدأ ينحل بالضرورة الى موقفين :

ـ اما موقف تقني خالص يقود الى الاهتمام بتقنيات تلقين العربية وانشاء المصطلحات واصلاح الرسم . . . الخ .

ـ واما موقف يمتاز بتقديم الجانب السياسي والاجتماعي فيحول بالضرورة الفحص اللغوي الى فحص اجتماعي ، اي يقضي على ذاته بأن يكون مقدمة لبحث آخر او لعلم سياسي واجتماعي متميز .

هذا منطق مفروض علينا جميعاً . ومن مزايا هذه الدراسة المفعمة بالوعي القومي الصادق ، انها ازاحت القناع عن هذا المنطق بوضوح تام . فالخلاصة الوحيدة لكل منظور سياسي واجتماعي لموضوع التعريب هي العمل السياسي .

تعقيب ٣

سعد الدين ابراهيم

هذا آخر تعقيب على آخر ورقة في هذه الندوة الغنية المثيرة الصاخبة . وليس هناك الكثير الذي يمكن اضافته الى ورقة استاذنا الجليل د. مصطفى الفيلالي التي كتبها منذ شهرين تقريباً دون ان يكون على علم مسبق بمحتوى الاوراق الاخرى التي قدمت في هذه الندوة ، ودون ان يكون على علم بفحوى المناقشات والمداخلات الساخنة التي دارت في الايام الثلاثة الماضية . ورغم ذلك فقد لمس الباحث في ورقته كل المسائل التي اثارتها الاوراق الاخرى ، ومس الاطراف العصبية المكشوفة والمستترة لما دار هنا من مناقشات . ثم صاغ من كل ذلك رؤ ية عريضة شاملة هي اقرب الى الحلم الطوباوي منها الى الخطة او حتى الى الاستراتيجية لتعريب الامة العربية في وطنها العربي الكبير من المحيط الى الخليج .

لقد انتهز الدارس مناسبة الكلام عن استراتيجية للتعريب ، وهو هدف تبدو عليه الشرعية والبراءة ، لكي يقوم « بتهريب » اشياء اخرى كثيرة عبر الحدود القطرية والعقلية والايديولوجية للمشاركين في هذه الندوة ، ولحكامهم من الرباط الى بغداد . وهو لا بد يعلم ان ما يحاول تهريبه تحت ستار التعريب ربما ستكتشفه اجهزة الامن العربية . وهي ـ كما يعرف ـ قد تخلت عن « اصالتها التراثية » ، وكانت اول المؤ سسات العربية التي اخذت بالحداثة والعصرنة . وهي لذلك اكثر اجهزة المجتمع العربي كفاءة ونجاعة .

هذا الرجل الذي يبدو وقوراً وديعاً مسالماً . . . هو في واقع الامر يحاول تهريب انقلاب حضاري سياسي اجتماعي اقتصادي لاحداث ثورة شاملة في الوطن العربي من ادناه الى اقصاه . انه يبدأ بداية لينة ليقول لنا ان التعريب ضرورة للحفاظ على الذات القومية ولتنمية هذه الذات . وبعد ان يورد حججه المقنعة بضرورة التعريب ، يقول لنا ان التعريب لكي يكون فعالاً فلا بد ان يكون قومياً ، اي على مستوى الوطن العربي كله . ثم يقول انه لكي ينجح التعريب فلا بد من ان « يعضون » في خطة التنمية الاجتماعية الاقتصادية ، بحيث يرتبط

التعريب بمردود مادي ومعنوي ظاهر وملموس للمشاركين فيه . وهو في ذلك ينطلق ضمناً من نظرية سيكولوجية عتيدة . وهي نظرية التعلم والنظرية السلوكية التي تقول ان اكتساب اللغة ، مثله مثل اكتساب اي سلوك اجتماعي ، يتوقف في تشريطه على الاستجابات المدعمة التي تعد او تلي اكتساب هذا السلوك . فالعربي المهاجر الى بلاد الغربة ، او المستغرب في بلاده ، يكتسب اي لغة اخرى غير لغة الأم بقدر ما يترتب عملياً على هذا الاكتساب من مزايا .

ومن هذه النقطة يأخذنا المهرب الكبير الى حلقة اخرى في السلسلة مفادها ان التعريب المعضون في خطة تنمية شاملة ستستفيد منه اوسع القطاعات الجماهيرية . وبالتالي فإن هذه الجماهير وحدها هي المحرك ، والضاغط ، والحارس لخطّة من ذلك النوع . ولكي يتاح للجماهير التحريك والضغط والحراسة ، لا بد من تكوّن « رأي عام » . ولن يتكوّن الرأي العام بدون ديمقراطية حقيقية . وبما ان الحكام العرب لا يسمحون بهذه الديمقراطية ، وبما انهم وضعوا العربية في قفص الاتهام (كما يقول في صفحة ٣) ، فإنه يلمح ضمناً بضرورة وضع تلك الانظمة نفسها في قفص الاتهام .

وهكذا ايها السيدات والسادة نرى ان ما بدأه الدارس باستراتيجية للتعريب في الوطن العربي قد انتهى الى مشروع حضاري ضخم لمعالجة كل هزائم الامة العربية وهمومها وازماتها . انه يطالب بتعريب قومي يذكي القومية العربية ، ويحقق التنمية الكاملة الشاملة المستقلة ، ويدفع بهذه الامة نحو الوحدة العربية ، ويؤكد العدالة الاجتماعية ، ويخلق رأياً عاماً قوياً ، يمارس الديمقراطية قولاً وفعلاً ، ويسهم في اغناء الحضارة الانسانية .

بالله عليكم . . . اذا لم يكن كل هذا الذي يدعو اليه « ثورة » فما هي الثورة ؟ والطريف في الامر هو ان الباحث ليس وحده في الدعوة الى مثل هذه الثورة . فلقد حضرت عدداً من الندوات واللقاءات حول الوطن العربي في السنوات الاخيرة . كان بعضها عن السكان ، وبعضها عن الاسلام . وبعضها عن المعاقين ، وبعضها عن المرأة . وأخرى كانت عن القومية ، واخرى عن استصلاح الاراضي والسياسات المائية ، واخرى عن الاسكان ومشكلات المدن وموضوعات اخرى . ولكن لاحظت في كل هذه المناسبات ـ على الاختلاف الشاسع في موضوعاتها ـ ان في كل منها كان هناك « مهرب » او اكثر ، حاول ان يهرب حلماً من النوع الذي يحاول محاضرنا تهريبه الى عقولنا في نهاية هذا اللقاء .

يقول لنا بعض علماء النفس انه كلما اشتد الكبت في الواقع المعيش . . . اشتدت ضخامة ووردية الاحلام . ويبدو ان هذا هو حالنا معشر المثقفين العرب في هذه الحقبة من تاريخنا . فبين الحين والحين نصحو من هذه الاحلام التي يصنعها الكبت والامل ، على عدة رصاصات تبدد جو السكون القاتم . ويطلق هذه الرصاصات في العادة شاب او شابة عربية من الجالسين في المقاعد الخلفية او التحتية ، يكون قد تسرب الى وجدانه ـ او وجدانها ـ بعض ما نتداوله نحن او غيرنا من فرسان الكلام ، وقد يكون اسم من يطلق الرصاص ليلى ، او خالد ، او غيرهما من ملايين العرب المعذبين في الارض .

معذرة . . . لقد ابتعدنا مع حلم المحاضر عن التعريب ، وحلقنا في سماوات اخرى . ولكن ربما كان الرجل على حق . وربما اخذنا ـ كما فعل ماجلان ـ في رحلة طويلة ليثبت ان الارض كروية . فالتعريب هو مشكلة مثل كل مشاكلنا الاخرى له حل ، ولكل حل ثمن . والسؤال هو : ما الثمن ؟ ومن الذي يدفع هذا الثمن ؟

المناقشات

احمد عبد الحليم : ابدأ بتأكيد موافقتي على مقال الدكتور مصطفى الفيلالي دون وقفة عند اسباب هذا الاتفاق ، اذ ان الاخوة الذين عقبوا قد اولوها عنايتهم . واذا كان المحاضر قد حاول تهريب بعض احلامنا كما نبّه الصديق سعد الدين ابراهيم ، فإني سأقول قولي صريحاً واضحاً ، وهو ان النتيجة المنطقية ، قيلت ام لم يفصح عنها ، هي تأكيد ما نادى به الأخ الطاهر لبيب من ان التعريب الامثل لا يتم الا ضمن نظام اجتماعي بديل .

ولكنه في الوقت نفسه يضعنا امام اشكال ماثل في المجتمع العربي. فهو بعد ان يؤكد ان لا شأن ولا نجاح لقضية لا يكون وراءها رأي عام واعٍ وحر وفاعل ـ وهذا حق ـ يعود فيذكر ان المشكلة التي تعوق تكوين مثل هذا الرأي العام مردها الى حقيقة ان اجهزة الاعلام في الوطن موجهة لاغراض نعلمها ، ثم يشير الى امكانية البحث عن حل على يد الاحزاب والمنظمات الجماهيرية . غير ان المشكلة الجديدة التي يواجهنا بها هي ان ما رأى فيه املاً لمخرج ، يشكل جزءاً من الصعاب امام تكوين رأي عام مستنير . ذلك ان الاحزاب في وطننا العربي نوعان :

١ـ اقطار يقوم فيها حزب واحد تشريعاً وقصداً ، او عملياً . ومشكلة هذا الوضع التماثل بين الحزب وجهاز السلطة . فالجماعة التي تسيطر على الحزب هي ذاتها التي تسيطر على جهاز الدولة وتسعى لتكريس هذا التماثل .

٢ـ اقطار تأخذ بمبدأ التعددية الحزبية . وهنا نرى ان كثيراً من الاحزاب المعارضة ، حتى العقائدية منها ، قد تحولت الى عصبيات تنظيمية اهملت التربية الفكرية ، ولا تستطيع بالتالي الاسهام الكبير في تكوين رأي عام نير . وهي في كثير من الاحيان تبدو وكأنها لا تأمل في السيطرة على السلطة فتأتي براجها رد فعل معارضاً اكثر مما تطرح بديلاً لما هو قائم ، فهي تسعى لهدمه وكفى .

هل اقول باستحالة الحل ؟ لا ، اني ارى بوادره بمبادرة الجماعة المؤمنة بالتعريب في مفهومه الشامل ، مبادرتها الى تجلية هذه القضية ولفت النظر لها وخلق رأي حولها .

الحبيب الجنحاني : اود الاكتفاء بالاشارة الى الملاحظتين التاليتين :

١ ـ إنني اتفق مع الاستاذ الفيلالي في تأكيده في خاتمة بحثه على اهمية تكوين رأي عام حر لفرض (سترجة) للتعريب في الوطن العربي . وقد ربطت في بحثي امس بين معركة التعريب ومعركة الديمقراطية ، ولا سيما في اقطار المغرب العربي .

٢ ـ ليست القيادات السياسية الحالية في اقطار المغرب العربي هي التي تؤجل منذ ربع قرن حل قضية التعريب لارتباط مصالح هذه الفئات ، وكذلك فئة واسعة من النخبة ، بمراكز القوى السياسية والاقتصادية فقط ، بل من الغريب أن نجد الموقف نفسه تقريباً في صفوف حركات المعارضة لانها تلتقي في النهاية مع الفئات الحاكمة في تبنّي النظرة الغربية لحل قضايا مجتمعاتنا ، ومنها قضية اللغة .

صبحي الصالح : التعريب على الدرب في جميع اقطار العروبة ، كما قال د. الفيلالي في خاتمة البحث القيم عن « سَتْرَجة » التعريب في الوطن العربي . واننا نشاركه في هذه النظرة المتفائلة برغم انطلاقنا من الواقع الماثل ، الذي نعيش فيه ـ كما قال ـ على جدلية عرجاء ومثالية بلا جناح .

وجدليتنا هذه هي التي تصر في مكابرة ، كلما بدأنا نشرع بالتطبيق ، على حصر مشكلتنا في التقدير الضيق لفنيات اللغة ومفهومها الوظيفي ، مع اعترافنا في هذه النقطة بالذات بأن مجهودات قرن كامل على مستوى المجامع والجامعات والاتحادات وأجهزة الاعلام واعمال الافراد لم تكن هزيلة الى الحد الذي يتوهمه مناهضو التعريب .

ان اهم ما يدعونا الى التفاؤل مع الباحث هو ما الح عليه من ربط امكانات التنفيذ والتطبيق بالرأي العام العربي (كما قال الدكتور احمد عبد الحليم ايضاً) ، لأنه الضامن الأكبر لنجاح هذا المشروع ، ولاسيما بعد صحوته الوطنية والقومية .

وما أراه من (سَتْرَجة) زمنية في بحر العَشْرَيْنِ المقبلتين قد يكون دون طموح الكثيرين الذين يودون لو اختصروا احدى هاتين العَشْرَيْن ، في مثل ما يسمونه « مشروع السنين العشر » . وشاهد هذا الطموح هو الاصرار على ابراز الدور الاعلامي الذي تضطلع به اجهزتنا الفنية المتنامية في هذه السبيل . لذلك نتمنى ان نضفي على هذه القضايا الاعلامية ما تستحقه من الاهمية البالغة في ندواتنا المقبلة حول مشكلات التعريب .

الطاهر لبيب : مشكلة عرض استاذنا الفيلالي انه لا يعارض . وقد ابدع الدكتور سعد الدين في التعبير عن ذلك ، مبيناً في الوقت نفسه ان الابداع بالعربية ممكن ، على الاقل في المؤتمرات . ولكن حدود سترجة التعريب هي في الاختلاف او التناقض بين واضعي

(السترجة) ومنفذيها . ولو كان الوضع يتطلب منهم غير ذلك . ولا بأس ان نتذكر انها ليست اول سترجة تقترح.

ضروري اذن ان نتساءل : من يضع الاستراتيجية ولمن يضعها؟ تبين من مناقشاتنا ان هناك مقاربتين مختلفتين وان تكاملتا . وكان داخل كل منها مقاربات فرعية ، الاولى ربط التعريب بالتغيير الاجتماعي السياسي . وقد بدت هذه مرجئة ، والثانية اقتراح حلول مع افتراض تواصل الانساق الاجتماعية السياسية الحالية .

أضع نفسي خارج اطار تدخلي الاول، واقترح في نطاق تسيير العجز البنيوي ، **البحث عن وسائل ترشيد القرار السياسي** . لكن مع الاضافة بأن احوج ما يحتاج اليه هذا القرار هو **التفزيع** او اطلاق صيحة فزع ، لا مجرد الاقناع بضرورة التعريب ، لان الانظمة العربية مقتنعة بذلك، او على الاقل لا تصرح بمعارضتها له .

في هذا الاطار يمكن التفكير في العمل على قيام تجمعات ضاغطة للدفاع عن العربية ، وعن سلامة استعمالها ، معتمدة في عملها على معرفة حقيقية بالقوى والشرائح الاجتماعية التي لها فائدة في التعريب ، والقوى والشرائح التي تربط معالمها ، عن وعي او دون وعي ، بالثقافة الاجنبية ولغتها . سيكون هدف هذه التجمعات الضاغطة ، كحد ادنى ، المساهمة في دفع عملية التعريب نحو الحد الذي يصبح الانتكاس معه امراً صعباً او غير ممكن .

طه حسن النور : لا يمكن لاي عربي مؤمن ملتزم بالوحدة املاً ومصيراً ان يضيف شيئاً الى بحث الاستاذ المقتدر د. مصطفى الفيلالي الا كلمتين: « موافق تماماً » . ولكن في تقديري ان فترة العشرين سنة المقترحة لخطة التعريب فترة طويلة جداً . وقد تدل على اليأس اكثر مما تدل على التفاؤ ل . لماذا ؟

١ـ لان الجماهير العربية في واقع الامر معربة فكراً ولساناً ولا تحتاج الى كثير عناء ، ولكنها تحتاج الى تعريب المناخ الاجتماعي في الادارة والاعلام ، وقد لا يحتاج الامر الى اكثر من خمس سنوات .

٢ـ ويبقى تعريب النخبة العربية ، غير المعربة ، وتعريب الاقتصاد والتجارة الدولية والعناية بالترجمة لتمكين اللغة العربية من استيعاب المصطلحات التي تنقص اللغة العربية . وهذا يحتاج الى قرار سياسي ومؤسسات عربية قادرة ، وتمويل قومي قادر ، وكل ذلك ميسور والحمد لله اذا توافرت الارادة العربية . وكل هذه الاجراءات يمكن أن تتم متزامنة في عشر سنوات على الاكثر .

وهذا ليس حلماً فقد سبقتنا امم اقل عدداً واقل عدة من امتنا العربية ولكنها موحدة الوجهة موحدة الارادة . وعلى كل حال دعني احلم بعشر سنوات يا سيدي الرئيس فالحلم حق مشروع للحاكم والمحكوم .

محمد رضا محرم : اتفق تماماً مع الدكتور الفيلالي على كل ما ورد في ورقته ، واعتبرها واحدة من الاوراق المتميزة التي قدمت في هذه الندوة واجتمعت لها فضيلتا المنهجية ، او البناء الهيكلي السليم ، والمضمون الواضح . وكم كنت أود لو كنت املك القدرة على التقريظ السلس التي أوتيها رئيس الجلسة . وكم كنت اود ايضاً لو كنت رئيس الجلسة لاقتنص خمس عشرة دقيقة اضافية فوق الخمس المخصصات لي لافيض في امتداح الورقة .

يبقى لي بعض الملاحظات العملية التي لا اقصد بها تعديلاً في الورقة ، ولا اضافة اليها ، وانما تأكيد بعض الامور التي أراها مهمة ، وارائي الح عليها ، اقتناعاً مني بأهميتها .

ان تشخيص الواقع في الورقة قد يكون اصدق في المغرب العربي منه في المشرق العربي . ولكنه يؤسس بصفة عامة على اقامة اعتبار كبير للتقدير المتدني والسائد للغة العربية وامكاناتها ، والذي يقابله اقتناع نخبوي (علمي او اقتصادي / اجتماعي) بقوة اللغات الاجنبية وسيطرتها . **والحقيقة ان صحة التشخيص السابق تبقي لنا وضع التبعية الحضارية** . وكم كنت اود لو ان التشخيص قد شمل اموراً اخرى كثيرة ، خاصة في المشرق العربي ، لو لم ننتبه اليها لانتقلنا بالتعريب **من وضع التبعية للآخرين الى اقامة غير واعية خارج دوائر الوجود او التقدم الحضاري** . وفي مقدمة ذلك يرد ضعف اللغات العلمية (الاجنبية) الذي بدأ لدينا في المشرق دون العمل على تهيئة العربية لتكون لغة علم وحضارة لنا . ويأتي في مقدمة اسباب هذا الضعف :

- سبق حركات التحرير في المشرق .
- سيادة الاستعمار الانكليزي في المشرق ، وغيبة عمليات الفرنسة القاسية التي اتبعها الاستعمار الفرنسي ، وانحصار التأييد السلبي للغة الاجنبية في النخبة دون عامة الناس .
- انفتاح المشرق مبكراً على دول غير عربية ، وايفاد مبعوثين للدراسات العليا اليها .
- اعتماد العربية لغة للتعليم الاوّلي (قبل الجامعي) في كل المشرق .

وواضح ان الاستراتيجية المقترحة تركز على الانجازات الذاتية العربية ، وعلى الجهد الداخلي، وتؤكد ضرورة الترابط الجدلي بين خطة التعريب وغيرها من خطط العمل العربي المشترك ، وتضع اولوية لكل من :

- التعليم والبحث العلمي .
- الفجوة التكنولوجية بين العربي وبين الامم الصناعية .

وتجاوز هذه الفجوة التكنولوجية لا يتم الا عن طريق التعليم والبحث العلمي ، وهذا الاخير لا يمكن تطويره ، ولا حتى المحافظة على مستواه الحالي ، بغير التواصل مع تلك الأمم المتقدمة تقنياً . **وشرط التواصل قد يكون الارتباط بلغة هؤلاء الآخرين** . والارتباط الآلي يخلق بدوره تبعية حضارية . فكيف يكون المخرج اذن ؟

يظهر واضحاً هنا دور الترجمة كمعبر معاصر ، يحول دون التبعية من جهة ، ويغطي عجز اتقان اللغات الاجنبية من جهة ثانية . ويصبح انشاء جهاز مؤسسي قومي عربي للترجمة ضرورة . . . والخبرة الحضارية المعاصرة تؤكد ذلك (الاتحاد السوفياتي مثلاً . . .) ، والخبرة التاريخية ايضاً تعضده (دار الحكمة في عهد ازدهار الخلق الفكري العربي في العصر العباسي الاول ، ثم مدرسة الالسن وقلم الترجمة في عهد محمد علي) .

مصطفى الفيلالي : اشكر جميع الاخوان الذين تدخلوا وشرفوني بالعناية بما قلت وكتبت .

سأحاول ان اجيب اجابة سريعة عن بعض التدخلات ثم هناك تعليق لي بشكل عام . صديقي د. صابر ، تحدث عن الآليات . وقد قلت في اول الامر ان وضع خطة بضبط اهدافها ووسائلها وبايجاد هذه الآليات التي تضمن لها الاستمرارية والنجاح لا يقوم على مجهود فردي وانما يقوم على نخبة من المفكرين يتضافرون ويضعون هذه الخطة .

د. العروي عاد الى قضية المضمون والمحتوى . وقد تحدثت عن ذلك وكذلك تحدث عنه د. دويدار ، وانا اوافقه على ان ما قيل في هذه الورقة حول المحتوى الحضاري بالمعنى الواسع الشمولي ، كان ضيقاً ولم اوفّه حقه . كذلك انا موافق تماماً واشرك اخي د. احمد عبد الحليم على ما قال عن الاحزاب السياسية سواء كانت في الحكم او المعارضة . وهذا ما نعيشه وقد استفدت من كلامه ، واشكره .

سيدي الرئيس ، تكرمت فقلت عن كلامي انه عبارة عن حلم ، واريد ان اذكر بما قاله احد القساوسة الارجنتينيين وهو من علماء الاقتصاد : « عندما يكون الحلم فرديا فهو اضغاث احلام ، واذا كان جماعياً فذلك بدء السير في الطريق » . واريد ان اعلق الآن على قضية الرأي العام ، فقد تضافرت الكلمات والتدخلات حولها . سيدي الرئيس لم تترك لي المجال لاعدل ما جاء في فكرة سابقة ، فقد تحدثت عن الرأي العام ، وقلت بأن الرأي العام العربيَ عاجز في وضعه الحاضر عن ان يكون عامل تجذير للواقع الحضاري الذي تعيشه الامة العربية ، لان ذلك الرأي العام غائب ، ولا اقول « منعدم » . لقد قلت انه ليس للرأي العام القنوات التي تبلغه الحقيقة وتوصل له ماهية الامور في اوقاتها ، وليست له قنوات التعبير التي يعبر بها عما يراه من اتجاهات ، وليست له القنوات التي يؤثر بها على الاحزاب السياسية . وانا موافق تماماً ، كما قلت للدكتور احمد عبد الحليم ، على ان هذه الاحزاب لا تسير في الخط .

سيدي الرئيس لقد تحدثت عن الضمير العربي ، واعتبر ان الضمير العربي هو البديل للرأي العام . فالرأي العام هو كلمة رأي اولاً ، اي قضية تفكير ، قضية آراء ، قضية محتوى فكري ، يتمثل في التصور الواضح لابعاد قضية معينة ، كقضية الكفاية الغذائية في الوطن العربي مثلاً ، او قضية التبعية التكنولوجية ، او قضية اقامة سد في مكان ما ، فالتصور الواضح هو للمعطيات الحاضرة لهذه القضية ، ولكن هذا التصور لا يكفي ، بل ينبغي ان يصادف ارضية قابلة لان

تستسيغه وتتخذ منه موقفاً . وهذا يعني مستوى معيناً من التفكير . فلا يدري ما هي تكلفة هذا السد ، وما هي انعكاساته على البيئة الزراعية في المنطقة ، وما يستوجبه من تغيير في الاوضاع العقارية والعلاقات البشرية بعضها ببعض ، وما يستوجبه من تفكيك للاوضاع العقارية للاراضي ووجوب تكثيفها الى غير ذلك .

فعندئذ ، الرأي العام هو رأي ، راي يصيب ارضية خصبة لها اسبقيات تستطيع بواسطتها ان تتخذ من ذلك الرأي ، من ذلك المعلوم الخام موقفاً يصيره ارادة سياسية وعامل تغيير . فهذا غير موجود في البلاد العربية ، وعلى كل هو اجتهاد شخصي مني .

اما الضمير العربي فهو موجود ، الضمير الذي هو عبارة عن قاسم مشترك ، الضمير الحي ، الضمير الفعال . وهذا الضمير يرتبط بعروتين اثنتين : عروة الانتساب الاسلامي ، عروة العقيدة الاسلامية ، عروة علي بوزياد ، هذا العروة ، هي عروة وثقى من عرى محمد عبده ، هذه العروة موجودة في كل ضمير ويكفي ان يغمض الانسان عينيه ليجدها حاضرة قائمة في نفسه . والعروة الثانية هي لغة العروبة والانتساب للعروبة ، وان كان الانسان يتحدث بالبربرية ،وان كان يتحدث بلغة اجنبية ، وان كان لا يحسن العربية ، فهو عربي وان كان مهاجراً في فرنسا ، ويتحدث مع زوجته وابنائه بالفرنسية فهو عربي .

هذه العـرى هي التي تشكل قطبي القوة الفعالة في الضمير العربي الذي يمكن ان يصبح عامل تغيير وبديلاً من الرأي العام ، لكن ضمن شروط هي الصحوة القومية والصحوة الاسلامية . ولا استطيع ان افرق ، واعتذر الى زميلي في مركز دراسات الوحدة العربية الدكتور خير الدين حسيب ، بين الاسلام والعروبة هذه القوة التي هي طاقة اخلاقية وطاقة تغيير متمثلة في المنهجية القرآنية ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

اريد ان اجيب بكلمة عن نقطة اساسية ذكرها د. لبيب ، واحد الاخوان الذين عقبوا ، وهي نوع التغير الذي يحصل وينبغي ان يحصل ، اي التغير الحضاري . التغير الذي نريده هو التحرك المستمر . فمتى يكون التغير ، وينقلب التعبير الاعتباطي الفجائي تغيراً حضارياً ؟ عندما يسير على نسق معين ويتصف بصفة الاستمرارية وبصفة الاستهداف . هاتان الصفتان لازمتان لترشيد التغير ، وليصبح عامل تقدم حضاري . ولقد ذكرت هذا في كلمة وجيزة ولكن الذي يجب ان نعمل على تحقيقه هو ان يكون تنفيذ الخطة القومية للتعريب في المدة الزمنية الموقوتة منطلق استمرار يخلق الحركية الحضارية المتجددة بالتوليد التلقائي ، وان لا تكون منطلق سكون يرتد الى التوقف في خاتمة المدة الزمنية المقدرة لانجاز الخطة . فلا شأن لمستقبل القومية العربية بخطة تكون مقصورة على مشروع موقوت ليس من ورائه امتداد ، ولا يخلق حركية حضارية مستمرة . ذلك ان تيسير الوحدة القومية العربية ، وازالة العراقيل العالقة لانجازها ، وفك وثـاق التبعية الحضارية ، ليست مثل هذه المقاصد الشريفة من جنس المطالب التي يمكن ان نضبط لتحقيقها تاريخاً محدوداً ، على غرار ما نفعل عندما نؤرخ لحصول الجزائر على استقلالها في اليوم والشهر والسنة .

تعقيب ختامي

هشام جعيط

ليس من باب الصدف أن تعقد ندوة عن « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي » في تونس العزيزة ، في هذا البلد العريق المعتز بعروبته ، ذلك أن الجناح المغربي من الوطن العربي اذا كان يشكو من نقص قديم في التعريب فلأنه شهد الاستعمار الاستيطاني وما يعنيه من مسخ للشخصية العربية . والمغرب العربي ناضل وجاهد من أجل استرجاع عروبته بحيث يكون لانعقاد هذه الندوة في ربوعنا المغربية معنى رمزي غزير . وقد تبع الجهاد الحربي والسياسي جهاد فكري هو اشد وطأة واطول مدى واعمق اثراً ، وندوتنا هي بذاتها مندرجة ضمن هذا الكفاح .

ولقد وقع فيها اقرار ضمني بالتزام حضاري يؤكد بالاجماع على الاسراع في التعريب ونشره الى اقصى مدى . ولكن يتبين المرء مما يستخلص من الدرس والنقاش أن ما جرى هو تحليل وتقويم وتنبؤ دون وضع استراتيجية عملية للتعريب الاشمل . وهذا لا يعني قصوراً في الاجتهاد، وإنما يعبر عن الاتجاه العام في البحث الذي اتبعته الندوة ، الا وهو طريق التفكير النظري وربط المشاكل بعضها ببعض وطرح القضايا على اوسع نطاق وتفضيل الرؤية الشمولية التجميعية على منهج الاختصاص الاكاديمي او العمل الفني المتداول بين الخبراء .

انها ندوة رجال فكر من منظرين ولغويين ومؤرخين وكتاب لم تخل منها الخبرة ولا الحوار الصريح ولا حتى الاختلاف في النظر . وهذا دليل على رشاد العقل العربي وقدرته اليوم على طرح المشاكل بكل صدق وموضوعية واخلاص للحقيقة .

ولو اردنا أن نحصر الاتجاهات الفكرية التي برزت اثناء ممارسة هذا العمل الجماعي لقلنا بوجود اتجاهين رئيسيين : الاول يربط التعريب بمشاريع متعددة كالوحدة السياسية والديمقراطية وقضية الاصالة والتحديث وازالة التبعية ، والاتجاه الثاني يقول بامكانية وجوب التعريب الفوري الشامل دون قيد او شرط . وتمحورت المحاور حول التنظير الحضاري التاريخي ، ولكن وقع ايضاً

تقويم للتجارب الجارية برقاع الوطن العربي بحسب ظروفها الخاصة . فقام المشاركون بتدقيق معنى التعريب بالمشرق العربي وبالمغرب وبالبلدان ذات الظروف الخاصة ، وظهر من وراء ذلك تباين في الاوضاع . وتطرق المشاركون ايضاً الى قضية اصلاح اللغة في سبيل تسهيل استعمالها ، ووقع مسح لأهم الانجازات وتقويم لعمل المؤ سسات المرتبة للتعريب ، وتبين اثناء ما وجه لها من النقد عجزها الحالي عن القيام بمهامها .

والذي سيطر حقاً على جو الندوة العام من وجهة اسلوب البحث هو قوة النظرة والتماسك المنطقي الثاقب احياناً والعاطفة الحماسية احياناً اخرى ، ولكنها عاطفة مكبوحة بكبول العقل وانوار العقل . ومن خلال الالتزام الاجماعي بالتأكيد على الذات العربية الملتصقة بتراث عظيم كما من خلال ما اكد عليه كثيرون من المشاركين من ارتباط حميمي بين العروبة والاسلام ، لما شحن به القرآن الحكيم من بعد للمطلق و قداسة مهيبة تتخطى الزمن وتدخل في اعماق الشعور ، برزت فكرة أن التعريب ليس فقط ضرورة تاريخية يدعمها الواقع مثلما تدعمها الرؤ ية المستقبلية بل هي ايضاً مسألة عاطفة وحب صاف لمقوماتنا الثقافية . وخرج الحاضرون بشعور تفاؤ ل بمصائر اللغة العربية فهي بخير ومستقبلها في تثبيت وجودها منوط بعهدة هذا الجيل من العرب كما بأجيال الغد . ولم نصل الى هذه النتيجة بنظرة غرة ساذجة مغفلة وانما بعد نقد وتحليل وتضارب افكار . وهذه في الحقيقة هي غاية الندوة ، اي تعميق النظرة الى واقعنا زيادة على كونها تقوي الشعور بالاعتزاز الثقافي وتعرفنا بعضنا على بعض .

ونحن نشكر لمركز **دراسات الوحدة العربية** ، وعلى رأسه مديره العام الدكتور خير الدين حسيب ، هذا السعي الايجابي الضخم والذي اتاح لنا فرصة تبادل الآراء واثراء افقنا الثقافي العربي . ونشكر السكرتارية على ما قامت به من مجهود دؤ وب مضن ونشكر ، ان سمحتم ، انفسنا لا في مقام الفخر وانما في مقام الارتياح بالقيام بالواجب المنوط بمثقفي اليوم .

ملحق
برنامج الندوة

الاحد في ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

٠٠ / ٢٠ ـ ٠٠ / ٢٢ حفلة استقبال يقيمها الدكتور خير الدين حسيب ، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية ، في نزل تونس الدولي ، على شرف السادة المشاركين في الندوة .

الاثنين في ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

٠٠ / ٨ ـ ٠٠ / ٩ التسجيـل

الجلسة الافتتاحية :

٠٠ / ٩ ـ ٢٠ / ٩ كلمة الافتتاح يلقيها الدكتور مصطفى الفيلالي، ممثل تونس لدى اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي .
كلمة يلقيها الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
كلمة يلقيها الدكتور خير الدين حسيب ، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية .

الجلسة الصباحية : رئيس الجلسة : د. مصطفى الفيلالي

٢٠ / ٩ ـ ٠٠ / ١١ : **التعريب في الوطن العربي**
(مركز / ح د ٦ / ٣)

مقدم البحــث : د. محمد المنجي الصيادي
المعقبـــون : د. مدّثر عبد الرحيم
محمد عزيز الحبابي
مناقشة عامـة :
٠٠ / ١١ ـ ١٥ / ١١ استراحــة
١٥ / ١١ ـ ٠٠ / ١٣ البعـد السيـاسي للتعـريب وصلتـه بـالـوحـدة والـديمقـراطيـة
(مركز / ح د ٦ / ١٣)
مقدم البحـث : د. الطاهر لبيب
المعقبـــون : احمد عبد الحليم
د. هشام بوقمرة
مناقشة عامـة
٠٠ / ١٣ ـ ٣٠ / ١٥ فتـرة الغـداء

جلسة بعد الظهر : رئيس الجلسة : د. شاكر مصطفى
٣٠ / ١٥ ـ ٣٠ / ١٧ الابعـاد الحضارية للتعريب
(مركز / ح د ٦ / ١٢)
مقدم البحـث : د. محي الدين صابر
المعقبـــون : د. سعد الدين ابراهيم
د. محمد رضا محرم
مناقشة عامـة :
٣٠ / ١٧ ـ ٤٥ / ١٧ استراحــة
٤٥ / ١٧ ـ ٤٥ / ١٩ مؤسســات التعـريب في الـوطن العـربي : عــرض وتحليـل وتقويم نقدي
(مركز / ح د ٦ / ١)
مقدم البحـث : عبد العزيز بنعبدالله
المعقبـــون : د. عبد الكريم خليفة
د. صبحي الصالح
مناقشة عامة

الثلاثاء في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

الجلسة الصباحية : رئيس الجلسة : د. عبدالله العروي
٠٠ / ٩ ـ ٠٠ / ١١ التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي
(مركز / ح د ٦ / ١١)

مقدم البحـث : عبد الكريم غلاب
المعقبــون : د. هشام جعيط
د. سعد الدين ابراهيم
د. هشام بو قمرة
مناقشة عامـة
۰۰/ ۱۱ ـ ۱۵ / ۱۱ استراحـة
۱۵/ ۱۱ ـ ۱۵ / ۱۳ تقويم تجربة التعريب في المشرق العربي
(مركز / ح د ٦ / ٥)
مقدم البحـث : د. صبحي الصالح
المعقبــون : د. مصطفى الفيلالي
د. شاكر مصطفى
مناقشة عامـة
۱۵/ ۱۳ ـ ۳۰ / ۱۵ فترة الغـداء
جلسة بعد الظهر : رئيس الجلسة : د. محمد السعداني
۳۰/ ۱۵ ـ ۳۰ / ۱۷ محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس
(مركز / ح د ٦ / ۸)
مقدم البحـث : عبد العزيز عاشوري
المعقبــون : د. احمد العايد
احمد العزعوزي
مناقشة عامـة
۳۰/ ۱۷ ـ ٤٥ / ۱۷ استراحـة
٤٥/ ۱۷ ـ ٤٥ / ۱۹ تقويم تجربة التعريب في المغرب
(مركز / ح د ٦ / ١٤)
مقدم البحـث : د. فاطمة الجامعي الحبابي
المعقـــب : محمد عزيز الحبابي
مناقشة عامـة

الاربعاء في ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

الجلسة الصباحية : رئيس الجلسة : د. سهيل ادريس
۰۰/ ۹ ـ ۳۰ / ۱۰ تقويم تجربة التعريب في الجزائر
(مركز / ح د ٦ / ١٥)
مقدم البحـث : د. مصطفى الفيلالي

المعقـــــب : د. محمد دويدار

مناقشة عامـة

٣/ ١٠ ـ ٤٥ / ١٠ استراحـــة

٤/ ١٠ ـ ١٥ / ١٢ **التعريب في الاقطار العربية ذات الاوضـاع الثقافية الخاصـة**
(مركز / ح د ٦ / ١٠)

مقدم البحـث : حسن احمد يوسف

المعقبـــون : د. طه حسن النور
احمد عبد الحليم

مناقشة عامـة

١٠/ ١٢ ـ ٤٥ / ١٣ **ادوات التعـريب المواكب ووسـائله من منـظور وحـدوي**

(مركز / ح د ٦ / ٤)

مقدم البحـث : د. عفيف دمشقية

المعقبـــون : عبد العزيز بنعبدالله
د. اسامة الخولي

مناقشة عامـة

٤٥/ ١٣ ـ ٣٠ / ١٥ فتـرة الغـداء

جلسة بعد الظهر رئيس الجلسة : د. عبد الكريم خليفة

٣٠/ ١٥ ـ ٣٠ / ١٧ **التعريب والاصالة الثقافية والمعاصرة**
(مركز / ح د ٦ / ٩)

مقدم البحـث : د. الحبيب الجنحاني

المعقبـــون : د. سهيل ادريس
د. هشام جعيط

مناقشة عامـة

٣٠/ ١٧ ـ ٤٥ / ١٧ استراحـــة

٤٥/ ١٧ ـ ٤٥ / ١٩ **تعريب الوسائل وتيسير تعلم العربية**
(مركز / ح د ٦ / ٢)

مقدم البحـث : د. ابراهيم السامرائي

المعقبـــون : د. عفيف دمشقية
د. محمد المنجي الصيادي

مناقشة عامـة

الخميس في ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١

الجلسة الصباحية : رئيس الجلسة : د. سعد الدين ابراهيم

٠٠ / ٩ ـ ٠٠ / ١١ **التعريب وخصائص الوجود العربي والوحدة العربية**

(مركز / ح د ٦ / ٧)

مقدم البحث : د. عبدالله العروي

المعقبـــون : د. محمد الباقي الهرماسي

د. عفيف دمشقية

عبد العزيز عاشوري

د. مدّثر عبد الرحيم

مناقشة عامة

٠٠ / ١١ ـ ١٥/ ١١ استراحـة

١٥ / ١١ ـ ١٥/ ١٣ **نحو استراتيجية للتعريب في الوطن العربي**

(مركز / ح د ٦ / ٦)

مقدم البحث : د. مصطفى الفيلالي

المعقبـــون : د. محيي الدين صابر

د. عبدالله العروي

د. سعد الدين ابراهيم

مناقشة عامة

١٥ / ١٣ ـ ٣٠/ ١٣ اختتام النـدوة

فهرس عام

(أ)

آدم ، عبدالله : ٣٣٧ ، ٣٤١
آسيا : ٣٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٨٨ ، ٢٥٨ ، ٣٢٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨
آل عثمان : ٦٤
الابجدية العربية : ١٢٠
ابراهيم سعد الدين : ٨٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ . ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩
الابراهيمي ، الطالب : ٣٠٤
ابن الاثير : ٦٠ ، ٤١٣
ابن ابي الخصال ، ابو محمد : ١٩٢
ابن ابي فوناس : ١٩٢
ابن اسباط ، عبد الرحمن : ١٩
ابن باجة : ١٩١
ابن باديس ، عبد الحميد : ١٨٦ ، ١٨٩
ابن بسام : ١٨٦
ابن تاشفين ، تميمة بنت يوسف : ١٩٢
ابن تاشفين ، سير بن علي : ١٩٢
ابن تاشفين ، يوسف : ١٨٧ ، ١٩٢
ابن تومرت ، المهدي : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢
ابن الجد ، ابو القاسم (ابن الاحوب) : ١٩٢
ابن جني: ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
ابن حزم : ٤٠٤
ابن حنبل : ٤٠٤
ابن حيان : ٤٣٨
ابن خاقان ، الفتح : ١٩٢
ابن خلدون : ٣٢ ، ٦٠ ، ٤٠٤ ، ٤٥٣
ابن رشد : ١٩١ ، ٤٠٤
ابن زيدون : ٢٨٧
ابن سبعين : ١٩٢
ابن سراج ، ابو الحسن : ١٩٢ ، ٤٤٠
ابن سلامة ، البشير : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
ابن سينا : ٩٠
ابن شقرون ، محمد : ٢٨٢
ابن صالح ، احمد : ٢٥٤
ابن طفيل : ١٩١
ابن عاشور ، محمد الفاضل : ١٥٩
ابن عبد الجليل ، عمر : ١٩٦
ابن عبد الغفور ، محمد : ١٩٢
ابن عبد المؤمن ، يوسف : ١٩٣
ابن عبدون ، عبد المجيد : ١٩٢

ابن عثمان ، عمر : ١٥٨ ، ١٧٢
ابن العربي ، ابو بكر : ١٩٢
ابن عربي الحاتمي : ١٩٢
ابن علي ، عبد المؤمن : ١٩٣
ابن القصيرة ، ابو بكر : ١٩٢
ابن مالك : ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨
ابن محمد ، ابو بكر : ١٩٢
ابن محمد ، ز : ٢٣٢
ابن مصطفى ، خير الله : ١٠٦ ، ١٧٦
ابن منظور : ٣٨ ، ٤٤٨
ابن ميمون : ١٩١
ابن الناظم بدر الدين : ٤٣٨
ابن هشام : ٤٣٧ ، ٤٣٨
ابن الهيثم : ٣١
ابن ياسين ، عبدالله : ١٨٧ ، ١٩١
ابن ياسين ، ميمون : ١٩٢
ابو زياد ، علي : ٤٩١
ابو ظبي : ١٥
ابو يعقوب : ١٩٢
اتحاد الاطباء العرب : ١٣٧ ، ١٣٨
اتحاد اطباء وجراحي الفم والاسنان العرب : ١٣٨
الاتحاد البريدي العربي : ١١٥
اتحاد التجارة والصناعة (تونس) : ٢٥٧
اتحاد الجامعات العربية : ١٣٩
اتحاد الحقوقيين العرب : ١٣٨
الاتحاد السوفياتي : ٧٤ ، ٤٢٢
اتحاد الصيادلة العرب : ١٣٨
اتحاد الطيران المدني العربي : ١١٥
الاتحاد العام التونسي للشغل : ٢٥٧
الاتحاد العام لطلبة تونس : ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢
الاتحاد العلمي الاردني : ١٢٦ ، ١٣٥
الاتحاد العلمي السوري : ١٢٦ ، ١٣٥
الاتحاد العلمي العراقي : ١٢٧ ، ١٣٥
الاتحاد العلمي العربي : ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ٢٠٦
الاتحاد العلمي المصري : ١٢٦ ، ١٣٥
اتحاد الفلاحين (تونس) : ٢٥٧
اتحاد الفيزيائيينُ والرياضيين العرب : ١٣٨
اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية : ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ٢٠٦
الاتحاد النسائي التونسي : ٢٥٣ ، ٢٥٧
اتحاد نقابات العمال : ١٣٨
اتحادات الغرف الصناعية والتجارية : ١٣٨
الاتراك : ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٤، ٦٦ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ ، ٣٤٩
احمد باشا : ١٥٩
الاخضر ، احمد : ١٩٦
الاخطل : ٢٨٧
الادارة : ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢١٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٤٨٨
ادب الاطفال : ٤٠٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
الادب العربي : ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ١٨٣
ادريس ، سهيل : ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٧٤ ، ٤٠٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨
الادغم ، الباهي : ٢٣٢
ادونيس : ٣٨٠
الاردن : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٤٦٦
ـ البحث العلمي : ١٢٣ ، ١٣٤
ـ النهضة الثقافية : ١٢٣
ارسطو : ٤٣٩ ، ٤٦٦
الازدواجية اللغوية : ١٠٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠

الازهر : ٣٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٢
اسبانيا : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ١٩٨
الاسبانيون : ٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥
استراليا : ١٥٨
الاستعمار : ١٣ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٨٥، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣
الاستعمار الاستيطاني : ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢
الاستعمار الاوروبي : ٤٧ ، ١٧٢ ، ١٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٤٩
الاستعمار البريطاني : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٤٨١
الاستعمار التركي : ١٨١
الاستعمار الحبشي : ٣٣٨
الاستعمار الفرنسي : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٤٦٩ ، ٤٨٩
الاستعمار اللاتيني : ٧١
الاستلاب : ٣٢٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢
اسرائيل : ٣٧٨ ، ٤٠٠
الاسلام : ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٩١
اسماعيل (الخديوي) : ٢١٦ ، ٢٢٤
الاشتراكية : ٢٤٠
الاشتراكيون : ٩٤
الاشتقاق : ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٣٥٥
الاصالة : ٤١ ، ١٠٣ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٦٦ ، ٤٩٣
الاصالة الثقافية : ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠٤
الاصالة الحضارية : ٨٠ ، ٣٨٨ ، ٤٦٥
اصالة العربية : ٣٤ ، ٢٠٢
الاصمعي : ٤٦٠
الاطباء العرب : ١٣٧
الاطلس (منطقة) : ١٥٥
الاعلام : ٦٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٣٦٨ ، ٤١٢ ، ٤٢٦ ، ٤٨٨
افريقيا : ٣٠ ، ٤٥ ، ٧١ ، ٧٩ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٨٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣
افريقيا الغربية : ١٥٦ ، ١٦١
الافغاني ، جمال الدين : ٩٠ ، ١٦٠
افلاطون : ٣١ ، ١٣١
الاقطار العربية
انظر
البلدان العربية
الاقليات : ٢١٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢
الاقليات العرقية : ٣٢٧

الاقليات اللغوية : ٣٢٧
الاقليات المسلمة : ١٥٦
الاقليات غير المسلمة : ١٥٦
الاقليمية : ١٥٥ ، ٣٦٠
الاقليمية الثقافية : ٣٨٩
الاكاديمية المصرية للعلوم : ١٢٦
اكاديمية المملكة المغربية بالرباط : ١١٣ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢٠٧
اكاديميوس : ١٣١
الاكراد : ٣٠
المانيا : ١٥٥ ، ٤٢٢ ، ٤٦٥
اليكسو
انظر
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الامارات العربية المتحدة : ٢٣
الامازيغيون : ٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ٣٨٦
الامبراطورية العثمانية : ٤٣٧
الامة : ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٣٨٥
الامة الاسلامية : ١٥٥
الامة التونسية : ٢٥٤
الامة الجزائرية : ٢٩٥ ، ٢٩٧
الامة العربية : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠
الامة العربية الاسلامية : ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٣٨٢
امريكا
انظر
الولايات المتحدة الاميركية
امريكا الشمالية : ٧١
امريكا اللاتينية : ٤٢٢
الامم المتحدة
انظر
هيئة الامم المتحدة
الامويون : ٣٠ ، ٥٩
الامية : ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٣٥١ ، ٣٨٨ ، ٤١٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩
امين ، جلال احمد : ٣٨٨ ، ٣٨٩
امين ، محمد شوقي : ١٣٣
الانتلجنسيا العربية : ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣
الاندقو (قبيلة) ٣١١
الاندلس : ٣٠ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٨٧
- التعريب : ٣١ ، ٥٦
الانسان العربي: ٨٠ ، ٩١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٣١٠ ، ٣٩٨
انكلترا
انظر
بريطانيا
انيس ، ابراهيم : ٤٤٥
اوروبا : ٣٠ ، ، ٤ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٦٨ ، ٢٥٨
الاوروبيون : ٧٢ ، ٤٤١
ايران : ١٨٤ ، ١٨٥
ايطاليا : ١٩٨ ، ٤٦٥
ايرلندا : ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١
الايوبي ، صلاح الدين : ١٨٧

(ب)

الباري (قبيلة) : ٣١١
باش حامبه ، علي : ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٩٦
باكستان : ٤٠٤
باي ، لوسيان : ١٨٠
البحث العلمي : ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٤٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٤٨٩

البحر الابيض المتوسط : ١٢٧ ، ١٣٥
البحرين : ٢٣
البربر : ٣١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣
البرتغال : ١٩٨
البرتغاليون : ٤٧ ، ١٦٢
برصوم ، اغناطيوس افرام : ٤٣٥
برغسون : ٣٧٥
بريطانيا : ٥٦ ، ٦١ ، ٦٤ ، ١٥٣ ، ١٩٨ ، ٢٢٤ ، ٤٦٥
البريطانيون : ٤٧ ، ٤٤١
بسمارك : ٣٧٤
البشروش ، محمد : ٢٣١
البصريون (النحاة) : ٤٤٧ ، ٤٤٩
البطالة : ٣٠٦
البكري ، محمد توفيق : ١٣٣
البكوش ، الطيب : ٢٥٦
البلاذري : ٤٦
البلدان العربية : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣
بلطيفة : ٢٥٦
البلهوان ، علي : ٢٣٢ ، ٢٥٣
بلوم ، ليون : ٩٤
بناني ، احمد : ١٩٦
بنبلا ، احمد : ١٩٧ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦
البنجاب : ١٨٥
بنعبدالله ، عبدالعزيز : ٥٥ ، ٦٢ ، ١١٣ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٩٦ ، ٤١٩ ، ٤٩٦
البنك الاقليمي للكلمات (كندا) : ١١٥
البنوك الدولية للمصطلحات : ١١٥
بنيخلف ، مصطفى : ٢٨٢ ، ٢٨٣
بو باشا ، جميلة : ٤١٠
بوحيرد ، جميلة : ٤١٠
البورجوازية : ٩٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣٥٠
بورقيبة ، الحبيب : ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣
بو قمرة ، هشام : ٦٠ ، ٦٣ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٧٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧
بومدين ، هواري : ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٤٧٠
بونابرت ، نابليون : ١٦٨
بيت الحكمة : ٨٥
بيرك ، جاك : ٢٤٨
بيكون : ٣١

(ت)

التبعية : ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٤٠١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣
التبعية الاقتصادية : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١٠٨ ، ٢٦١
التبعية الثقافية : ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ٢٦١ ، ٤٦٥
التبعية الحضارية : ٤٨٩ ، ٤٩١
تبيريوس : ٣٩٤
التتريك : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٤
التجذير : ٢٢٦
التجزئة : ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٣٨١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨١
التحديث : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،

٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ،
٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٩٣
التخلف : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٥٣ ،
١٦١ ، ١٩٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ،
٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤٧٥
التخلف الاقتصادي : ٧٦ ، ٣٥٧
التخلف التكنولوجي : ٨٣ ، ٨٥
التخلف الثقافي : ٢٥٩ ، ٣٨٨
التخلف السياسي : ٧٦ ، ٧٧
التراث العربي الاسلامي : ٧٢ ، ٨٨ ، ١٢٤ ،
١٣١ ، ١٣٤ ، ٢٣٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
الترجمة : ٣١ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١١٣ ،
١١٩ ، ١٤٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،
٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٥٨
تركستان : ١٨٥
التركي ، البشير : ٢٤٤
تركيا : ٥١ ، ١٨٤
التريكي ، الطيب : ٢٥٤
تشاد : ١٥٦ ، ٣٢٤
التشرذم : ١٣ ، ١٦٤
تشومسكي : ٤٤١
التضمين : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ٢٠٥
التعددية اللغوية: ١٦ ، ٢٢٧
التعريب الاجتماعي : ٧٩ ، ٨٣
التعريب الادبي : ٢٠٣ ، ٢١٧
تعريب التعليم:١٢٠،١٦٢،١٦٣، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٨ ، ٢٥٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠
تعريب التعليم الابتدائي : ٢٥٠، ٢٥١
التعريب التجريبي : ٣٦
تعريب التعليم العلمي الجامعي : ١٢٤ ، ١٣٥ ،
١٣٨
التعريب الجزئي : ٣٥ ، ٤٠
التعريب الحضاري : ٣٢
التعريب الشامل : ٣٥، ٦٧ ، ١٠٣
التعريب الظرفي : ٤٠
التعريب العلمي : ٣٢ ، ٤١ ، ٢٠٣ ، ٢١٧ ،
٢٢٣
التعريب العمودي : ٣٧
تعريب العلوم : ١٨٠
التعريب اللساني : ٧٩ ، ٨٣ ، ٩١
تعريب المجتمع : ٧٨ ، ٣٣٠
تعريب المصطلحات العلمية والفنية : ١٢٤
التعريب المواكب : ٤٠٧
التعليم : ٣٥،٤٩،٥٣،٥٦، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٧ ،
٦٩ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ،
١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٩٨
- تونس : ٢٣٤ ، ٢٤٦، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦٦
- الجزائر : ٢٩٥ ، ٢٩٧
- جيبوتي : ٣١٥ ، ٣٣٠
- السودان : ٣١١
- الصومال : ٣١٢ ، ٣١٣
- فيتنام : ٤٦٥
- المغرب : ١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢
- موريتانيا : ٣١٧ ، ٣١٨
التعليم الابتدائي
- تونس : ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ،
٢٦٦
- الجزائر : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
- الصومال : ٣١٠
- المغرب : ٢٧٨
- المغرب العربي : ١٥٤ ، ١٨١
- موريتانيا : ٣١١
التعليم الثانوي : ٣٩
- تونس : ١٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣ ، ٤٢٨
- الجزائر: ٣٠٠ ، ٣٠١
- مصر : ٢٠٤

- المغرب : ٢٧٨ ، ٢٧٩
- المغرب العربي : ١٦٢
التعليم الديني : ٤٥٣
التعليم العالي : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٥٥
- تونس : ٢٣٦ ، ٢٤١
- الجزائر : ٢٩٧ ، ٣٠٢
- المغرب : ٤٧١
التعليم العربي : ١٥٩ ، ١٦٠
التعليم العلمي : ١١٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠
التعليم المعرب : ٣٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢٣١
التعريب : ٣٤ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٧٥ ، ٣٢٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤
التقدم : ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢
التقدم الحضاري : ٧٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣
التقدم العلمي : ٢٠٨ ، ٢١١
التقدمية : ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٣٨٢
التكنولوجيا : ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٩
التنمية : ١٦ ، ٣٥ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٢٦٤ ، ٤٠٠ ، ٤٧٣
التنمية الاقتصادية : ٧٥ ، ٢١١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
التنميط اللغوي : ١١٥
تونس : ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٧١ ، ٤٩٣
- جمعية ابن خلدون : ٣٢
- الحركة النقابية : ٢٣١
- الحماية الفرنسية : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢
-الريف : ٢٦٤ ، ٢٦٥
- عدد الاساتذة : ٢٥٥ - ٢٥٦
- عدد السكان : ٢٥٦
- عدد الطلاب : ٢٥٥ ، ٢٥٦
التونسة : ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩
تونس الفتاة (جمعية) : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٩٧
التونسيون : ١٠٥ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٤
تيزيني، طيب : ٣٧٩ ، ٣٨٠

(ث)

ثانوية مولاي ادريس (فاس) : ٢٨٦
الثنائية اللغوية : ٣٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧
الثعالبي : ١٩٧
الثقافة : ٧١ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥
الثقافة الاجنبية : ١٠٠ ، ١٠٤
الثقافة الاسلامية : ٣١١
الثقافة الانسانية : ١٠٠ ، ٣٨٧
الثقافة البربرية : ٣٠٧
الثقافة الجزائرية : ٣٠٢
الثقافة الصينية : ٣٤٦
الثقافة العربية : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٦٩ ، ٧٣ ،

٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ،
١٨٥ ، ٢٠٩ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ،
٣٥٣، ٣٥٤ ، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩١ ، ٣٩٢
الثقافة العربية الاسلامية : ١٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
١٥٩ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٣٣١
الثقافة العربية المعاصرة : ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧
الثقافة الغربية : ١٠٨ ، ٢٦١ ، ٣٩٦
الثقافة الفرنسية : ٣٤ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ،
٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٨ ،
٣٠٦
ثورة اتاتورك : ٦٤
ثورة الاطلس : ١٦١
الثورة الايرانية : ٦٦
الثورة الجزائرية : ١٦٨ ، ٢٦٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥
الثورة الريفية : ١٦١
ثورة الصين (١٩٤٩) : ٨٧
الثورة العربية (١٩١٦) : ١٣٢
ثورة الميجي : ٣٥٨ ، ٣٧٧

(ج)

الجابري ، محمد العابد: ٣٨٠
الجاحظ : ٥٧ ، ٥٩ ، ١٨٥ ، ٣٧٠
الجارم ، علي : ٣٢ ، ٢٠٤
الجامعة الاردنية : ١٢٥، ١٣٥ ، ٢٠٦
الجامعة الاسلامية ، ١٠٦ ، ١٧٦
الجامع الاكبر (الجزائر) : ٣٠٨
جامعة اكس ـ آن ـ بروفانس : ١٥٧
الجامعة الاميركية في بيروت : ٢١٧ ، ٢١٩
الجامعة التونسية : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٣٩٥ ، ٤٦٠
جامعة الجزائر : ١٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥
جامعة الدول العربية : ٦٩ ، ٧٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٣٦ ، ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣١٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ،
٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨١
جامع الزيتونة : ٥٤ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٠ ،
١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ،
١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٩٥ ، ٤٣٧
جامعة السوربون : ١٨٣
الجامعة السورية : ١٣٦
جامعة عليكره (الهند) : ١٢٨
جامعة القرويين : ٥٤ ، ٧٢ ، ١٢٨ ، ١٥٩ ،
١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ،
١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٥ ، ٤٣٧
جامعة كنو (نيجيريا): ٣٣٣
جامعة اليرموك : ١٢٥ ، ١٣٥ ، ٢٠٦
الجاهلية : ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣
جبران ، جبران خليل : ٢١٦
جبهة التحرير الجزائرية : ١٩٧
الجبوري ، عبدالله : ١٣٤
الجراوي ، ابو العباس : ١٩٣
جرداق ، منصور : ٢١٩
جرير : ٢٨٧
الجزائر : ١٠٩ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
١٥٣ ، ١٥٤، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ،
٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٠٨، ٣٨٦، ٣٨٧ ، ٤٠٣ ،
٤٠٤، ٤٣٢، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٩١
ـ البحث العلمي : ١٣٩
ـ التعريب : ٢٩٣ ـ ٣٠٨
ـ جمعية العلماء : ٣٢
ـ عدد الطلاب : ٣٠١
ـ الميثاق الوطني : ٢٩٥ ، ٣٠٠
الجزائري ، عبد القادر : ١٥٨ ، ١٧٢
الجزائريون : ٩٠ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٣٠٥
جزر البليار : ١٩٢
جزر القمر : ٣٣٨

الجزولي ، ابو موسى : ١٩٣
جعيط ، هشـام : ٥٨ ، ٨٩ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨
جماعة الحاضرة (تونس) : ١٦٠
جمال ، جول : ٤١٠
الجمعية الاردنية للعلوم : ١٢٦
جمعية البحوث العلمية العراقية : ١٢٧
الجمعية البيطرية المصرية : ١٢٦
جمعية البيطريين العراقية : ١٢٧
الجمعية الجيولوجية المصرية : ١٢٦
جمعية خريجي كليات العلوم : ١٢٦
جمعية خريجي المعاهد الزراعية : ١٢٦
الجمعية الخلدونية : ٢٣٣
الجمعية الزراعية العراقية : ١٢٧
جمعية الزراعيين الفنيين الاردنية : ١٢٦
الجمعية الطبية العراقية : ١٢٧
الجمعية الطبية المصرية : ١٢٦
جمعية علم الحيوان بالجمهورية العربية المتحدة : ١٢٦
جمعية العلماء (الجزائر) : ١٧٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧
جمعية علوم الحياة العراقية : ١٢٧
جمعية العلوم الرياضية السورية : ١٢٦
جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية (العراق) : ١٢٧
جمعية العلوم الفيزيائية السورية : ١٢٦
الجمعية الكيمياوية السورية : ١٢٦
الجمعية الكيميائية العراقية : ١٢٧
الجمعية الكيميائية المصرية : ١٢٦
جمعية الكيميائيين الصناعية : ١٢٧
الجمعية المصرية لتاريخ العلوم : ١٢٦
الجمعية المصرية لعلم الحشرات : ١٢٦
الجمعية المصرية لعلم الحيوان : ١٢٦
الجمعية المصرية للصحة العقلية : ١٢٦
الجمعية المصرية للعلوم الوراثية : ١٢٦
الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية : ١٢٦
الجمعية المصرية للانتاج الحيواني : ١٢٦
الجمعية المصرية للتأمين : ١٢٦
الجمعية المصرية للعلوم المكروبيولوجية : ١٢٦
الجمعية المصرية للنظائر المشعة : ١٢٦
جمعية الملاحة الفلكية : ١٢٦
جمعية المهندسين الاردنية : ١٢٦
جمعية المهندسين العراقية : ١٢٧
جمعية المهندسين المصريين : ١٢٦
الجمعية النباتية المصرية : ١٢٦
جنبلاط ، كمال : ٤١٠
الجنحاني ، الحبيب : ١٦ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤ ، ٢٨٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٨
الجواليقي ، ابو منصور موهوب بن احمد : ٤٣٣ ، ٤٣٥
جوليان ، شارل اندري : ١٩٥
جيبوتي : ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
ـ السكان : ٣٣٣
ـ محو الامية : ٣١٧

(ح)

الحاج صالح ، عبد الرحمن : ١٨١
الحاسبات الآلية : ٧٧ ، ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٥٧
الحاسبات الالكترونية : ١٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٢
الحبابي، فاطمة الجامعي : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٧٦ ، ٤٢٦ ، ٤٩٧
الحبابي ، محمد عزيز : ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٧٤ ، ٤٦٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧

الحبشة : ٣٣٨
حبيقة ، يوسف : ٤٣٥
حتي ، يوسف : ٢١٩
الحداثة : ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤
حداد ، مالك : ٣٩٢، ٤٠٣
حركة نجم الشمال الافريقي : ١٧٢
الحركة الوطنية التونسية : ١٥٤ ، ١٥٩
الحركة الوطنية المغربية : ١٥٧
الحركة اليوسفية : ٢٦٣
الحروب الصليبية : ٣٨٢ ، ٣٨٥
الحروف العربية : ٤٧ ، ٧١ ، ١٨٨ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧٥ ، ٤٦٥
الحروف اللاتينية : ٤٧ ، ٧١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٤٦٥
الحرية : ٢١٧ ، ٢٣٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥
حرية الانتقاء : ٦٤
الحرية الفكرية : ٢١
حرية المناقشة : ٢١
حزب الاستقلال (المغرب) : ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٩٧
الحزب الاشتراكي الدستوري : ٢٤٠
الحزب الحر الدستوري الجديد : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢
الحزب الحر الدستوري القديم : ٢٣١ ، ٢٥٢
الحزب الدستوري : ١٧٢ ، ١٩٧ ، ٢٦٣
حزب الشعب الجزائري : ١٩٧
حسيب ، خيرالدين : ١٥ ، ١٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
حسين ، طه : ٥٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٣٨٨
الحصري ، ساطع : ٣٣ ، ٣٨٨
الحضارة الاسلامية : ٣١ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٣١١
الحضارة الانسانية : ١٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ١٢٧ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤
الحضارة الاوروبية : ٣٥ ، ٦٤، ١٠٦
الحضارة الحديثة : ٢٢٠ ، ٢٢٢
الحضارة الرومانية : ٣٤ ، ٥٢ ؛ ٦٦
الحضارة العالمية : ٤٢ ، ٧٦
الحضارة العربية : ٣٠ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٨٧، ٢٩٢ ، ٣٩٥
الحضارة العربية الاسلامية : ٨٨ ، ٩٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢
الحضارة الغربية : ٨٧ ، ١٠٦ ، ٢١٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦
الحضارة المعاصرة : ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٣
الحكم العباسي : ٣٤٩
حمد ، عمر: ٤١٠
الحمزاوي ، محمد رشاد : ٢٠٤ ، ٢٠٨
حنفي ، حسن : ٣٨٠

(خ)

الخطابي ، محمد بن عبد الكريم : ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٩٢
الخطيب ، حسام : ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧
الخطيب ، عدنان : ١٣٢
الخفاجي : ٤٣٥
خلف الله ، محمد احمد : ١٣٣
الخليج العربي : ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٢ ، ٤٨٣
خليفة ، عبد الكريم : ٥٦ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٨١ ، ٣٠٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ ، ٤١٩ ، ٤٦٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
الخوارزمي : ٣٧٥
الخولي ، اسامة امين : ٤٢٢ ، ٤٩٨
الخياط : ٢١٧
خير الدين التونسي : ١٥٩
خيضر : ١٩٧

(د)

دار الحكمة : ٤٩٠
دار فقيها : ٢٧٠
دار الكتب الظاهرية : ١١٦
الدايات : ١٩٥
الدراسات العربية الاسلامية : ١٢٨ ، ١٤٢
درويش ، محمود : ٣٧٤
دمشقية ، عفيف : ٣٣٥ ، ٣٦٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩
الدواوين : ٣٠ ، ١٩٢ ، ٢١٢
الدوري ، عبد العزيز : ٥٩ ، ١٨٤ ، ١٩١
الدوريات : ٤٢
ـ الآداب : ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
ـ الاتحاد الوطني : ٢٧٩
ـ الاقتصاد العربي : ٢٧٣
ـ الانباء : ٢٧٢
الاهرام : ٣٨٨
ـ باري ماتش : ٣٣٦
ـ التجديد : ٢٥٣
ـ التونسي : ١٧٦
ـ الثقافة : ٢٢٠
ـ الرسالة : ٢٢٠
ـ الرسالة(تونس) : ٢٣١
شؤون عربية : ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
ـ الصباح : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣
ـ العالم الادبي : ٢٣١ ، ٢٣٢
ـ العلم : ٢٧٠ ، ٢٧٣، ٢٧٥
ـ العمل (تونس) : ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
فكـر : ٥٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦
الفكر العربي المعاصر : ٣٨٢ ، ٣٩٠
ـ الفيصل : ٢٥٥
قضايا عربية : ٣٨١
ـ اللسان العربي : ١٢٧ ، ١٩٦
ـ اللغات : ٢٥٣
ـ المباحث : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
ـ مجلة مجمع اللغة العربية : ١٣٤
ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني : ١٢٤ ، ١٣٥
ـ مجلة المجمع العلمي العراقي : ١٢٣ ، ١٣٤
ـ مجلة مجمع اللغة العربي في دمشق : ١١٦
ـ مجلة مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٤٦١
ـ المستقبل العربي : ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٩ ، ٢٤٤، ٢٤٧
ـ المشرق : ٢٢٠
ـ المعرفة : ٢٨٥
ـ مغرب : ٩٤
ـ المقتطف : ٢٢٠
ـ الموقف الادبي : ٣٨٠ ، ٣٨٧
ـ النشرة التربوية : ٢٣٧
ـ الهلال : ٢٢٠
ديكارت : ٢٠٣
الديلم : ٣٠
الديمقراطية : ١٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٧٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧، ٤٩٣
ديمقراطية التعليم : ٥٧
الديمقراطية الفكرية : ١٠٠ ، ١٠٤
الدينكا (قبيلة): ٣١١
دويدار ، محمد : ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨
الدويري ، محمد: ١٩٦

(ذ)

الذاتية العربية : ١٥٥ ، ٤٩٤
الذيلية الحضارية : ٨٤

(ر)

الرأسمالية : ٣٥٠ ، ٤٦٨
الراموز : ٤٠٧، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٩
الرأي العام العربي: ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠
الرموز : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٨
رودنسون ، مكسيم : ٣٧٩
روسيا : ٨٩ ، ١١٢ ، ٣٧٧ ، ٤٦٥
روسيا القيصرية : ٣٤٦ ، ٣٤٩
الرياحي ، زهرة : ١٠٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣
الريف (المغرب العربي) : ١٥٥

(ز)

الزاندي (قبيلة) : ٣١١
الزبيدي : ٣٨
زغلول ، سعد : ٤١٠
الزمخشري : ٤٣٩
الزواوي ، يحيى بن معطي : ١٩٣
الزيات ، احمد حسن : ٢١٦
الزياني ، حمو : ١٦١
زينب بنت ابراهيم بن تافلوت : ١٩٢

(س)

ساحل العاج : ١٥٦
الساحلي ، صادق: ٢٥٦
السادات ، انور : ٣٠٥
السامرائي ، ابراهيم: ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٩٨
ستيتية ، صلاح : ٣٩٢
سريب ، نور الدين : ٢٣٦
سقراط : ١٣١
السعداني ، محمد : ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٤٩٧
السعديون : ١٨٣ ، ١٨٦
السعودية : ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦
سعيد، علي احمد
انظر
أدونيس
سكيك ، هشام : ٢٥٦
السلاجي ، عثمان : ١٩٣
سلامة ، حسن : ٤١٠
سلامة ، عبد الرحمن : ٣٨٧
السلطنة العثمانية : ٢٤٤
السلفية : ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٣٩٩
السلمي ، ابو حفص عمر : ١٩٣
سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن الموحدي : ١٩٣
سمح ، حسني : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢١٧
السنغال : ١٥٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨
السودان : ١٣٩ ، ١٥٦ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦
ـ الاقليم الجنوبي : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١
ـ التعليم : ٣١٨
ـ الحرب الاهلية : ٣٢٨
ـ الحكم البريطاني : ٣١٨
ـ الحكم التركي : ٣١٨
ـ القبائل : ٣١١
ـ محو الامية : ٢٣٠
سوريا : ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٣٠٦، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٦٣
السويد : ٤٤١
سيبويه : ٣٥٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠
السينما : ٥٣ ، ٦٢ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨
السيوطي : ٤٣٨

(ش)

الشابي ، الامين : ٢٥٣ ، ٢٥٤

الشاوي ، سلطان : ٨٦
الشافعي : ٤٠٤
الشام : ٣٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٣٥٣ ، ٤٣٨ ، ٤٧١
شاهين ، طانيوس : ٤١٠
الشخصية التونسية : ١٥٩ ، ١٦٠
الشخصية الثقافية العربية : ٣٣ ، ٧٩
الشخصية الجزائرية : ١٥٩
الشخصية العربية : ١٨ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٩٣
الشخصية العربية الاسلامية : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢١٨
الشخصية العربية المغربية : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١
شرف ، محمد : ٢١٩
الشريف ، محمد الهادي : ٩٢ ، ١١٠ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥
الشعبة الاولى للترجمة والتأليف (دمشق) : ١٣٢
الشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الجيولوجيا : ١٢٦
الشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الطبيعة : ١٢٦
الشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الفلك : ١٢٦
الشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلوم الحياة : ١٢٦
الشعر الجاهلي : ٢٩ ، ٣٥٨ ، ٤٣٨
شكسبير : ٣٦٣
الشكعة ، بسام : ٤١٠
الشلك (قبيلة) : ٣١١
شمال افريقيا : ٣ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧
الشملي ، المنجي : ٢٣٦
الشهابي ، مصطفى : ٣٢ ، ٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٩
الشهابي ، يحيى : ٢١٩
شيبان ، عبد الرحمن : ٣٠٣

(ص)

صابر ، محيي الدين : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩
الصالح ، صبحي : ٥٧ ، ٦٢ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧
الصراع العربي البربري : ١٥٨
صفدي ، مطاع : ٣٨٢
صليبا ، جميل : ١٤٨ ، ٢١٩
الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الافريقية والعربية : ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
الصنهاجي ، ابو بكر ابراهيم : ١٩٢ ، ١٩٣
الصنهاجي ، علي بن يحيى : ١٩٣
الصنهاجي ، ميمون بن علي الخطابي : ١٩٣
الصهيونية : ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٦٩
الصومال ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١
ـ الدستور : ٣١٢
ـ محو الامية : ٣١٤
الصومال (قبيلة) : ٣٣٣ ، ٣٣٤
الصيادي ، محمد المنجي : ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٨٧ ، ٤١٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
الصين : ٨٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٤٠٢ ، ٤٢٢
الصينيون : ٨٧ ، ٣٥٠ ، ٤٠٠

(ض)

الضمير العربي : ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩١

(ط)

الطب : ٣٢ ، ٥١ ، ٥٤ ، ١١٨ ، ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٦٢
طلس ، اسعد: ٤٥٣
طيبي ، بسام : ٣٨٣

(ظ)

الظهير البربري: ١٨٦ ، ١٩٧

(ع)

العائلة : ٣٥٢ ، ٣٦٠
عاشوري ، عبد العزيز : ١٦ ، ٥٥ ، ١٠٨ ،
١١٢ ، ١٤٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩
العالم الثالث : ٩٣ ، ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٩٦ ، ٣٣٣
العايد ، احمد : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٩ ، ٢٥٢ ،
٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٩٧
عبدالله بن الحسين (الامير) : ١٣٤
عبدالله بن محمد بن ابراهيم النكوري : ١٩٢
عبد الحليم ، احمد : ١٠٣ ، ١١٢ ، ٢٦٥ ،
٣٢٨ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
عبد الرحيم ، مدثر : ٦٤ ، ٦٥ ، ١١١ ، ١٨٧ ،
١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٣٠٢ ، ٣٣٢ ،
٣٤٠ ، ٣٦٩ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩
عبد الرزاق ، جعفر : ٤١٢
عبد الملك بن مروان: ٣٠ ، ٤٦ ، ١٨٧ ، ٣٥٣ ،
٣٥٥ ، ٣٧٠ ، ٤١٩
عبد الناصر ، جمال : ١٧٣ ، ٢٩٥ ، ٤١٠
عبد النور ، جبور : ٥٨ ، ٢٠٧
عبده ، محمد : ١٦٠ ، ٤٩١
عثمان دان فوديو : ١٨٧
عرابي ، احمد : ٤١٠
العراق : ٢٣ ، ٨٩ ، ١٢٢ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ،
١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٥ ،
٣٤١ ، ٤١١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢
العراقي ،عز الدين : ١٩٦
العرب : ١٣ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٧٧ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ،
١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ،
٢٢٠ ، ٢٥٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٦ ،
٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ،
٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ،
٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،
٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ ،
٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦
العروبة : ١٣ ، ١٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٥٦ ،
١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
١٩٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،
٢٥٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
٣٣٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ،
٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩١
عروبة الجزائر : ١٨٩
العروبة اللغوية : ١٦٩
عروبة المغرب : ١٨٩
العروي ، عبد الله : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،
٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٦٢ ، ٤٨٠ ،
٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩

العزعوزي ، احمد : ١٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٨٧ ، ٣٩٨ ، ٤٩٧
العصبية القبلية : ٣٣٣
العصر الاموي : ٣٠
العصر العباسي : ٤٣ ، ٨٥
عصر محمد علي : ٣٢ ، ٥١
عصر النهضة : ٢٠٣ ، ٣٧٢ ، ٣٩٩
عصور الانحطاط : ٣١
عطية ، عبد المجيد : ٢٥٦
العظمة ، يوسف : ٤١٠
العفر (قبيلة) : ٣٣٣ ، ٣٣٤
العقل العربي : ٥٩ ، ٣٨٢
العلم : ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٨
علم الاصوات : ٤٤٧ ، ٤٤٨
علم الشريعة : ٤٥٣
العلماء العرب : ٨٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠
العلمانية : ٤٧ ، ١٩٧
العلوم الانسانية : ٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٤٤٢
العلوم الرياضية : ٦٩ ، ٧٧
العلوم الطبيعية : ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ١١٨
العلويون : ١٨٣ ، ١٨٦
عمار ، احمد : ٢٠٧
عمارة ، محمد : ٣٨٠
عمر بن الخطاب : ٤٦ ، ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٧٠
عمر المختار : ٤١٠
عمروش ، جان : ٢٨٥
العمل العربي المشترك : ٧٥
العمم - شع (طريقة) : ٢٧١
العنابي ، العربي : ٢٥٣
عنتره : ١٤٧
عنحوري ، بطرس : ٢١٧
عوض ، لويس : ٣٨٨
عيتاني ، محمد : ٣٧٩
عيسى ، احمد : ٢١٩
عيسى ، صلاح ، ٣٨١
العيسي (قبيلة) : ٣٣٣ ، ٣٣٤

(غ)

غلاب ، عبد الكريم : ١٦ ، ٢٠ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ١٨٩ ، ٢٦٤ ، ٤٩٧
غونتر ، ابسن : ٤٠٧
غزال ، احمد الاخضر : ١٨١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٤٦٣
الغزالي : ٦٠ ، ١٩٢
الغربة اللغوية : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٦
غليون ، برهان : ٣٩٠
غيرو ، بيار : ٤٥٧
غينيا : ٣٢٤

(ف)

فارس : ٢٩ ، ٣٤٩
فارس ، جلولي : ٢٥٤
الفارو (القس) : ١٨٢
الفاسي ، علال : ١٦٠ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٥
الفاسي ، محمد : ١٩٦
الفتح الاسلامي : ١٥٥ ، ١٩٠
الفتح العربي : ٣٤ ، ١٨٤
الفتوحات الاسلامية : ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٠
الفتيح ، احمد : ١٣١
الفراء : ٤٤٠
الفراهيدي ، الخليل بن احمد : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦
الفرس : ٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٩٤ ، ٤٣٣
فرنسا : ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٤ ، ١١٥ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ،
١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ،
٢٩٠ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ،
٤٦٥ ، ٤٩١
- المقيمون المغاربة : ٣٠٥
- المهاجرون العرب : ٣٠٥
الفرنسة : ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،
١٨٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
٢٩٦ ، ٣٥١ ، ٤٨٩
الفرنسيون : ٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،
١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ،
٢٨٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٣
فريج ، احمد بلا : ١٩٦
الفكر العربي : ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٥١ ،
٦٦ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٤ ،
٢٩٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ،
٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٠٣
الفكر العربي المعاصر : ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤٦٨
فلسطين : ٢٩٥ ، ٤١٠ ، ٤١١
- الشعب الفلسطيني : ٣٨٦
- هزيمة ١٩٤٨ : ٣٩٠
الفنان العربي : ٣٢
فوشيه ، كريستيان : ٣٣٦
فيتنام : ٤٠٢ ، ٤٦٤
الفيتوري ، الشاذلي : ١٠٩ ، ٢٥٦
فيصل بن الحسين : ١٣٩ ، ٢١٧
فيصل ، شكري : ٣٨٥ ، ٣٨٧
الفيلالي ، مصطفى : ١٥ ، ١٩ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ،
١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٩ ،
٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ،
٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ،
٤٩٩
الفيلم العربي : ٣١٣ ، ٣٣٥
فيليب ، لويس : ١٥٩
الفينيقيون : ٥٥

(ق)

قابادو ، محمود : ١٥٩
قاسم ، مولود : ٣٠٤
القاسمي ، علي : ٤٢٠
القبائل : منطقة) : ١٥٥
القبائل الجزائرية : ٢٩٤
القبائل العربية : ٣٠
قباني ، نزار : ٣٧٤
القبلية : ١٥٥ ، ١٥٦
القبيلة : ٣٥٢
قدسي ، صفوان : ٣٨٨
القرآن الكريم : ٢٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ،
١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨١ ،
١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٤٨ ،
٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٤٠٠ ،
٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤
قرقوط ، ذوقان : ٣٧٩
القرمادي ، صالح : ٢٥٦
قرميز ، خالد : ٢٥٢
القصاصون الروس : ٣٤٦
قطر : ٢٣
قلم الترجمة : ٨٥
القليبي ، الشاذلي : ٢٥٣
القومية : ١٧٦ ، ٤٨٤
القمر الصناعي العربي : ٧٥ ، ١٤٤
القومية الجزائرية : ١٥٩
القومية العربية : ١٦ ، ١٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٢٦٩ ،
٣٧٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٤ ، ٤٩١

قيس (قبيلة) : ٣١
قيقه ، ادريس : ٢٥٤
قيقه ، الطاهر : ٢٥٣

(ك)

كاسيرر : ٢٠٢
الكتاب العربي : ٧٥ ، ٣٣١
الكتابة العربية : ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢٠٥
الكتامي ، ابو الحسن علي بن محمد : ١٩٣
كتب
ـ آلام فرتر : ٢١٧
ـ الاجرومية : ٤٣٨
ـ اخبار المهدي بن تومرت : ١٩٣
ـ ادب الاطفال : ٤١٢
ـ اركان النهضة الادبية بتونس : ١٥٩
ـ ازمة المثقفين العرب : تقليدية ام تاريخانية ؟ : ٣٧٩
ـ استراتيجية تطوير التربية العربية : ٣٨١
ـ اصول ابن السراج : ٤٤٨
ـ اعز ما يطلب: ١٩٣
ـ الالفاظ السريانية في المعاجم العربية : ٤٣٥
ـ ألفية ابن مالك : ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨
ـ انبعاثنا التربوي منذ الاستقلال : ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
ـ أوضح المسالك : ٤٣٨
ـ الايديولوجية العربية المعاصرة : ٣٧٩
ـ بين مصر والعروبة : ٣٨٨
ـ تاريخ الحركة الوطنية في المغرب : ١٣٥
ـ تاريخ المجمع العلمي العربي : ١٣١
ـ التراث والتجديد : ٣٨٠
ـ الترغيب : ١٩٣
ـ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي : ٣٤ ، ٤٥ ، ٢٤١ ، ٣٨٧ ، ٤١٥
ـ تعريف موجز باعمال معهد الدراسات والابحاث للتعريب : ١٣٩
ـ التهذيب : ٤٤٦
ـ الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والابداع عند العرب: ٣٨٠
ـ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٩٥
ـ الخصائص : ٤٤٨
ـ دراسات في فقه اللغة : ٢٠٨
ـ دليل مصطلحات المواصفات القياسية العربية : ١٣٧
ـ الذخيرة : ١٨٦
ـ رسالة بورقيبة : ٢٥٦
ـ الشخصية التونسية : ١٥٩ ، ١٦٠
ـ شذور الذهب : ٤٣٨
ـ شفاء الغليل : ٤٣٥
ـ الطريقة المعيارية في اصلاح الكتابة العربية : ١٩٦
ـ العرب والفكر التاريخي : ٣٧٩
ـ العقيدة المرشدة : ١٩٣
ـ الفاشوش في احكام قراقوش : ٤٠٤
ـ قضايا الفكر : ٣٨٥
ـ قطب السرور في الانبذة والخمور : ٤٠٤
ـ قطر الندى : ٤٣٨
ـ كتاب العين : ٤٤٦
ـ كليلة ودمنة : ٣١
ـ لسان العرب : ٤٤٨
ـ اللغة السريانية في لبنان وسورية : ٤٣٥
ـ اللغة العربية ومشاكل الكتابة : ٢٤٤
ـ ماجدولين تحت ظلال الزيزفون : ٢١٧
ـ المثل السائر : ٤١٣
المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، اعضاؤه ، اعماله : ١٣٤
ـ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، ١٩٣٧ ـ ١٩٦٢ : ١٣٢ ، ١٣٣
ـ مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً : ١٣٢
ـ مجموعة القرارات العلمية من الدورة الاولى الى الدورة الثامنة والعشرين : ١٣٣
ـ المشرق العربي والغرب : ٣٨٨ ، ٣٨٩
ـ مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر

الوسيط : ٣٨٠
ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : ١٣٣
ـ المعجم الاثري : ٢١٩
ـ معجم الفاظ القرآن الكريم : ١١٧، ١٢٠، ١٣٤
ـ معجم الثياب : ١٢٠
ـ معجم الحيوان : ٢١٩
ـ المعجم الطبي الموحد : ١٣٧
ـ المعجم العربي الموحد لمصطلحات الحاسبات الالكترونية : ١٣٧
ـ المعجم العسكري الموحد : ١٣٦
ـ المعجم الفلسفي : ٢١٩
ـ المعجم الكبير : ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٣
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية : ١٣٦
ـ المعجم الوسيط : ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٣
ـ المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم : ٤٣٣ ، ٤٣٥
ـ المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية : ٢٨٣
ـ المفصل : ٤٣٩
ـ مفهوم الايديولوجيا : ٣٨٣
ـ المقتضب : ٤٤٨
ـ مقدمة ابن خلدون : ٤٥٣
ـ من اجل تعريب في المستوى: ٢٨٣
ـ من التراث الى الثورة : حول نظرية مقترحة في التراث العربي : ٣٧٩ ـ ٣٨٠
ـ المنهج السالك : ٤٣٨
ـ المنهل : ٥٨ ، ٦١ ، ٢٠٧ ، ٢١٩
ـ مؤتمر مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ مجموعة البحوث والمحاضرات : ٢٠٧
ـ المورد : ٦١ ، ٢٠٧ ، ٢١٩
ـ الموسوعة العربية : ٧٤
ـ نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسطيني : ٣٨٠
ـ النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية : ٣٨٠
ـ نظرة جديدة الى التراث : ٣٨٠
ـ الهروب من القومية : ٣٨٨
الكتب الدراسية : ٣٦ ، ١٤٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤
كتلة العمل الوطني : ١٩٧
الكدالي ؛ يحي بن ابراهيم : ١٩١
كرو ، ابو القاسم محمد : ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨
كريش (قبيلة) ٣١١
الكسائي : ٤٤٠
كلوت بك : ٢١٧
كندا : ٧١ ، ٢٥٨
كنط : ٢٠٣
الكواكبي ، عبد الرحمن : ٢١٧ ، ٢١٩
الكوفيون (النحاة): ٤٤٧ ، ٤٤٩
الكويت : ٢٣ ، ٢١٢
كيبيك : ٣٤٦ ، ٣٤٩
كينيا : ٣٣٨

(ل)

اللاتوكا (قبيلة) : ٣١١
لبنان : ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٣٠٦ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٤٢
ـ الطائفية : ٤٠٤
لبيب ، الطاهر : ١٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣٧٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٦
اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة : ١٣٤
لجنة التأليف والنشر (العراق) : ١٣٤
اللجنة السودانية للتعريب : ١٣٩
اللسان: ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠
ـ قرارات اصلاحه : ٣٦٠ ، ٣٧٠
اللسان الاجنبي : ٣٦١

اللسان الانجليزي : ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨
اللسان الدخيل : ٣٤٩
اللسان العربي : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٤١٢ ، ٤٦١
ـ اركان : ٤٥٣
اللسان الفرنسي : ٣٥٥
اللسان المعرب: ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨
اللسان المقعد : ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨
اللسان الهندوستاني : ٣٠٨
اللسان الياباني : ٣٥٨
اللغات الاصطلاحية : ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣
اللغات الافريقية : ٣١٢
اللغات السودانية : ٣١١
اللغة : ٢٠ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٨٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٦٥
ـ المستويات اللغوية : ٣٤٨
اللغة الأرامية : ٣٠، ٨٩ ، ٤٣٥
اللغة الاسبانية : ٥٣ ، ٥٥ ، ١٥٤، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢٧٣ ، ٤٦٥
اللغة الاكادية : ٨٩
اللغة الالمانية: ٣٣ ، ٧٧ ، ٤٦٥
اللغة الانكليزية : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤ ، ٤٠٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣
اللغة الاوردية : ٤٥
اللغة الايطالية : ٣١٣ ، ٤٠٨ ، ٤٦٥
اللغة البانبارية : ٣٣٤
اللغة البربرية : ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٣٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤٦٦ ، ٤٩١
اللغة البولارية: ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤
اللغة التركية : ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ١٣٢ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٤٠٨
اللغة الجاوية : ٤٥
اللغة الروسية : ٣٣ ، ٧٧
اللغة السريانية : ٣٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ١٤٢ ، ٤٣٥
اللغة السنسكريتية : ٨٦
اللغة السواحلية : ٣٠، ٤٥ ، ١٥٦ ، ٤٦٦
اللغة السوفانكية : ٣٣٤
اللغة السوننكية : ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٥
اللغة السويدية : ٧٧
اللغة الصومالية : ٤٥ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠
اللغة الصينية : ٨٧ ، ٣٤٦ ، ٤٠٠
اللغة العبرية : ٥٣ ، ٤٠٠
اللغة العامية : ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧، ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥
اللغة العربية : ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،٦٥ ، ٦٦،٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،٧٣ ،٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٨

- تيسير العربية : ٤٢٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٤
- فقه اللغة : ٤٥١
- المعجم : ٤٥٠
- المقومات : ٣٧٢

اللغة العربية الفصحى : ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥

اللغة العربية المعاصرة : ٣٦٨ ، ٤٤٠

اللغة العفرية : ٣١٠ ، ٣١٦

اللغة الفارسية : ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٦

اللغة الفرنسية : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠

اللغة الفصحى : ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣

اللغة الكردية : ١٢١ ، ١٤٢

اللغة اللاتينية : ٨٦ ، ١٨٧ ، ٣٨٨

اللغة الموريتانية : ٣٤٠

اللغة الوولفية : ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤

اللغة اليابانية : ٧٧ ، ٨٧ ، ٣٧٧ ، ٤٦٥

اللغة اليونانية : ٣٠ ، ٤٧ ، ٨٦ ، ٣٨٨

اللمطي ، ووجاج بن زلو : ١٩١

اللهجات : ٩٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢، ٣٥٣ ،

٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٤٠٨ ،
٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠
اللهجات الافريقية : ١٥٦
اللهجات الامازيغية : ١٨٦
اللهجات الاوردية : ١٨٨
اللهجات البربرية : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
١٨٨ ، ١٩٩
اللهجات التركية : ١٨٨
اللهجات الجاوية : ١٨٨
اللهجات السواحلية : ١٨٨
اللهجات الصومالية : ١٨٨
اللهجات العامية : ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥
اللهجات العربية : ٧٢
اللهجات الفارسية : ١٨٨
اللهجات المحلية : ٤١٢ ، ٤١٥
اللهجات الهوسوية : ١٨٨
اللواتي ، ابراهيم بن جعفر : ١٩٢
ليبيا : ٢٣ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٨٠

(م)

ماجلان : ٤٨٥
ماركس : ٣٨٣
الماركسية : ٣٩٦ ، ٤٠١
المازني ، ابراهيم عبد القادر : ٤٤٠
ماسينون : ١١٦
المافيا : ٢٦٥
مالي : ١٥٦ ، ٣٢٤
المأمون : ١٩٢
مايجي
انظر
ثورة مايجي
المبرد : ٤٤٨
المتنبي : ٢٨٧
المثقفون العرب : ٢٢ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ١٤٥ ،
١٥٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٨٤
المجتمع : ٣٥ ، ٣٦ ، ١٠٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ،
٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ،
٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٤٢٢
المجتمع الاسلامي : ٤٠٤ ، ٤٣٨
المجتمع التونسي : ١٩١ ، ٢٤١
المجتمع الجزائري : ١٨٣، ١٩١
المجتمع السوداني : ١٣٩، ١٩١
المجتمع السوري : ١٩١
المجتمع العراقي : ١٩١
المجتمع العربي : ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ،
٨٤ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٢ ،
٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٤ ،
٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦
المجتمع المغربي: ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،
١٧٩ ، ١٩١
مجلس التخطيط اللغوي في السودان : ٣٣٠
مجمع بغداد
انظر
المجمع العلمي العراقي
مجمع دمشق
انظر
مجمع اللغة العربية في دمشق
المجمع العلمي العراقي : ١١٥ ، ١٢١، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٥
ـ ديوان الرئاسة : ١٢٢
ـ شروط العضو العامل : ١٢٢
ـ اللجان : ١٢٣
المجمع العلمي العربي
انظر
مجمع اللغة العربية في دمشق
المجمع العلمي الهندي : ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٢
مجمع اللغة العربية الاردني : ١٢٣ ـ ١٢٥ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٠٦
مجمع اللغة العربية في دمشق : ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٤٦٦
مجمع اللغة العربية في القاهرة : ١١٦ ـ ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩
المجمع المصري للثقافة العلمية : ١٢٦
محرم ، محمد رضا : ٦٠ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٤٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٣٠٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٦
محمد علي : ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٤٩٠
محو الامية : ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧ ، ٤٧١
المحيط الى الخليج : ٥٥ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٨٣
المخطوطات العربية : ٧١ ، ٣٢٢
مدرسة الالسن : ٨٥ ، ٤٩٠
مدرسة باردو : ١٥٩
مدرسة البصرة : ١٩٣
المدرسة الخلدونية : ١٠٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٣٣
المدرسة الصادقية : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
مدرسة الطب في مصر : ٣٢ ، ٥١ ، ٢٠٤
مدرسة الكوفة : ١٩٣
المدرسة النظامية : ٤٥٣
مدكور ، ابراهيم : ١٣٣
المدنية العربية : ١٦٩
المرابطون : ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢
المرأة : ١٤٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨٤
مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس : ٢٧٢
مركز الدراسات والابحاث للتعريب (الرباط) : ١٨١
مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية : ١٠٩ ، ٢٣٧
مركز التوثيق في جامعة الموصل : ١١٥
المركز الثقافي الاسلامي (الصومال) : ٣١٤
مركز دراسات الوحدة العربية : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٨٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
ـ الدراسات : ٢٥
ـ المطبوعات : ٢٤ ، ٢٥
مروة ، حسين : ٣٨٠
المرجئة : ١٠٤ ، ١١١
المرينيون : ١٨٦ ، ١٨٨
مزالي ، فتحية : ٢٥٣
مزالي ، محمد : ٥٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦
المستشرقون : ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٣٩٥ ، ٤٤٥
المسرح : ٦٢ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤
المسرح العربي : ٥٣ ، ٥٨ ، ٤٢٤
المسعدي ، شريفة : ٢٥٤
المسعدي ، محمود : ١٩٦ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤
المشرق العربي : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٧٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤١ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤
ـ التعريب : ٢٠١ ، ٢٢٨

مصر : ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٧، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٦ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٩٥ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦، ٣٥٣ ،
٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٣٨ ،
٤٦٣
المصريون : ٣٠٣
المصطلح العلمي العربي : ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٩
المصطلحات : ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٨١ ،
٨٨ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ،
٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٣٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٤١٥ ،
٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٨
المصطلحات الاجنبية : ٣٣ ، ٧٤ ، ١٤٨، ٣٣٩ ،
٤٣٩
المصطلحات التقنية : ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
المصطلحات الطبية : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ٢٠٧
المصطلحات العربية: ٣٩، ١٣٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٤
المصطلحات العسكرية: ٢١٧
المصطلحات العلمية : ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ،
٥٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤، ١٢٥ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢٧١ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٦٦، ٤٨٠
المصطلحات الموحدة : ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠
مصطفى ، شاكر : ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،
٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧
المصمودي ، عبد الملك : ١٩٢
المعاصرة : ٧٨ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،
٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
٤٠٣ ، ٤٠٤
المعتزلة : ٤٠٤
المعتصم : ٨٩
المعلم : ٣٣١
المعلمة : ٣١٠
المعلوف ، امين : ٢١٩
معهد بورقيبة اللغات الحية (تونس) : ١١٥
معهد التدريب الاداري (الصومال) : ٣١٤
معهد التعريب : ١٩٦
معهد التعريب في الجزائر : ١٥٠
معهد تكوين المعلمات بتونس : ٢٥٤
معهد الخرطوم الدولي للغة العربية : ٣٢١
معهد الدراسات والابحاث للتعريب : ١١٥ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
٢٨٤ ، ٢٩٠
معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر : ١١٥ ،
١٣٩ ، ٢٧٢ ، ٤٦١
معهد اللغات الوطنية (موريتانيا) ٣١٢ ، ٣١٧ ،
٣٣٤
معهد اللغة العربية (الصومال) ٣١٣ ، ٣٤١
المعهد الوطني للاحصاء والاقتصاد التطبيقي : ٢٨٢
المعهد الوطني للمترجمين : ٣٠٠
المغرب : ٣٨ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ،
١٨١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٦٣ ، ٢٦٩ ـ ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥، ٣٤١ ، ٣٧٣ـ ، ٤٢٧ ،
٤٦١ ، ٤٦٢
ـ الاحوال الشخصية : ١٥٧
ـ التعريب : ٢٦٩ ـ ٢٩٢
ـ الحركة الوطنية : ١٦٦ ، ٢٧٠
ـ الحماية الفرنسية : ٢٧٠
المغرب الاقصى : ١٠٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٩
المغرب العربي : ٣٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٨٩ ، ١٠٤ ،
١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ،
٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
٣٤٩ ، ٣٦٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤١٠ ،
٤١١ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ ،
٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩
ـ التعريب : ٢٠١ ـ ٢٢٨
ـ حركات التحرر : ١٥٣ ـ ١٧٥ ، ١٩٩
المغربة : ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢
المغربي ، دلال : ٤١٠
مقدسي ، انطون : ٢٠٢ ، ٢٠٣
المكتب الاقليمي للمنظمة العربية في مقديشو : ٣١٤
المكتب الدائم لتنسيق التعريب : ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٢ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ،
٢٢٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠
مكتب الدراسات والابحاث للتعريب (المغرب): ١٤٦
المكتبة العربية المركزية : ٧٤
الملك ، فؤاد : ١٣٣
المماليك : ٤٧ ، ٢٢٤ ، ٣٥٣
المؤتمر الاسلامي : ٣٢٩
مؤتمر الالكسو (الخرطوم ، ١٩٧٨) : ٢٧١
مؤتمر الالكسو (طرابلس ، ١٩٧٧) : ٢٧١
مؤتمر التعريب (١٩٦١) : ٢٧١
مؤتمر التعريب الاول (١٩٦١ ، الرباط) : ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ١١٣ ، ١٣٥ ، ٢٠٦
مؤتمر التعريب الرابع (طنجة ، نيسان / ابريل ١٩٨١) : ٤١ ، ٥٨ ، ٢٠١
مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي (بغداد) : ٤٢ ، ١٣٩
مؤتمرات
المؤتمر الثقافي العربي الاول (١٩٤٦) : ٣٢
المؤتمر العربي الاول (١٩٤٦) : ٢٠٤
مؤتمر العلماء العرب من الفيزيائيين والرياضيين : ١٣٨
مؤتمر القمة العربي (عمان) : ٧٤
مؤتمر كاستراب (الرباط ، ١٩٧٦) : ٢٧١
مؤتمر وزراء التربية العرب (صنعاء ، ١٩٧٢) : ٣٨
مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب : ١٢٩ ، ١٨٠
الموحدون : ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣
المورو (قبيلة) : ٣١١
موريتانيا : ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٥٨ ، ٣١٠ ،
٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
موريشاس : ٣٣٨
مؤسسات التعريب : ١١٣ ـ ١١٥
المهري ، عبد الحميد : ٢٩٣
منتصر ، عبد الحليم : ١٢٧
المنصور بن الحجاج اللمنوني : ١٩٢
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ١٥ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ٢٠٦ ،
٢٥٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ،
٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٨١ ، ٤٦١ ،
٤٩٥
المنظمة العربية للعلوم الادارية : ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧
المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس : ١٣٧
منظمة العمل العربية : ١١٥
المنهجية : ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٥ ،
٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ،
١٦٤ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ،
٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٦١ ،

٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٤٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٩١
المنهجية التاريخية : ٢٢٦ ، ٢٦٢ ، ٢٩٨ ، ٣٧٣ ، ٤٠٢
المنهجية العلمية : ٦٤ ، ٧٢ ، ٤٥٤

(ن)

الناصرية : ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣
الناصف ، محمد : ٢٣٦ ، ٢٤٥
النجار ، محمد علي : ٤٤٨
النخبة : ٣٤ ، ٤١ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ٣٤٩ ، ٣٨٦
النخبة العربية : ٣٣٨ ، ٤٨٨
النخبة المثقفة العربية : ٥٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣
النخبة المغربية : ٦٧
ندوات
- الالسنية واللغة العربية : ٦٧
- تجربة دولة الامارات العربية المتحدة : ٢١
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية: ١٤ ، ٢٠ ، ٦٦
- دور الادب في الوعي القومي ودعم الوحدة العربية : ٢١
- دور التعليم في الوحدة العربية: ٢١
- القومية العربية في الفكر والممارسة: ٢١
- القومية العربية والاسلام : ٢١ ، ١٨٤
- متطلبات التكامل الاقتصادي العربي في المجال النقدي : ٢١
- المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية : ٢١
- المواصلات في الوطن العربي: ٢١
الندوة الوطنية للتعريب (١٩٧٥) : ٣٠٠
نظام الملك : ٤٥٣
النمسا : ٤٢٢
النهضة : ١٧ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧
النهضة العربية : ١٣ ، ١٦ ، ٣١ ، ٤٣ ، ١٥٣ ، ٢١٥
النوبة : ٣١ ، ٤٦ ، ٦٥
النور ، طه حسن : ١٤٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩ ، ٤٠٠ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨
النوير (قبيلة) : ٣١١
نويرة ، الهادي : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨
النيجر : ١٥٦ ، ٣٣٨
نيجيريا : ١٥٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٧٣

(هـ)

هارون الرشيد : ١٩٢
هتلر : ٤٢٢
الهرماسي ، محمد الباقي : ١١٠ ، ١١٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٣٩ ، ٣٦١ ، ٤٩٩
هنانو ، ابراهيم : ٤١٠
الهند : ٨٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٨٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٤ ، ٤٠٤ ، ٤٢٢
- الامية : ٣٥٨
الهوسة : ١٥٦
الهوية الثقافية : ٢٣٣ ، ٣٩٤
الهوية الحضارية : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢
الهوية العربية : ١٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٢٥٥
هيئة الامم المتحدة : ٧٧ ، ١١٦ ، ٢٠٨
هيغل : ١٦٨

(و)

الوحدة : ١٦ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٦٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٢ ، ٤٧٦ ، ٤٩٣

الوحدة الثقافية : ٧٠ ، ٩١ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ٣٧٢ ، ٤١٢
الوحدة الثقافية العربية : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨
الوحدة العربية : ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٩٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤ ، ٤٩١
ـ مضمون : ٧١
الوحدة القومية : ١٧ ، ٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٤٧٠
وحدة اللسان : ٧٠
وحدة اللغة العربية : ٧٢ ، ٢٨٧ ، ٤١٨
الوحدة المصرية السورية : ١٣٢
الوحدة المغربية : ١٧٠
الوحدة الوطنية : ٧٣ ، ٧٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٩
ـ اركان : ٧٩
الوزاني ، محمد حسن : ١٨٦ ، ١٩٦
وسائل الاعلام : ٧٠ ، ٧٥ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٣٨٨ ، ٤٨١
الوطن العربي : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤
ـ الامية : ٣٥٧
ـ مؤسسات التعريب : ١١٣ ـ ١٥١
الوكالة التونسية للتعاون الفني : ٣٣٨
وكالة الرابط الدولي (روما) : ١١٥
الولايات المتحدة الامريكية : ٥٥ ، ٢٥٨ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢
ولد داده ، مختار : ٣٣٤

(ي)

اليابان : ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٤٠٢
اليابانيون : ٣٧٤
اليزيدي ، محمد : ١٩٦
اليهود : ١٥٦ ، ١٥٩ ، ٣٧٥
يوسف ، حسن احمد : ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٤٩٨
اليونان : ٣٩٤
اليونيسكو : ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٣٥٧

(A)

Abd al-Mawla, Muhammad ٢٣١ ، ٢٣٣

(B)

Begue, Camille ٢٥٦

Books

— Language and Mind ٤٢٠

— Le Message de Bourguiba ٢٥٦
— Problèmes et méthodes de la linguistique ٤٠٧
— Les Problèmes théoriques de la traduction ٢٠٢
— Tolède correfour des civilisations ٥٢
— L'Unite magrébine, dimensions et perspective ٢٣٦
— L'Université Zaytounienne et la société tunisienne ٢٣١ ، ٢٣٣

(C)

Chomsky, Naom ٤٢٠
C.I.L.F. ١١٥

(F)

F.I.T. ١١٥
Foncin, P. ٢٥٢
Fouchet ٢٤١

(H)

Hamzaoui, Saleh ٢٤٥ ، ٢٤٨

(I)

INTERPART ١١٥
INFOTERM ١١٥
ISO ١١٥

(M)

Mounin, Georges ٢٠٢

(P)

Periodicals

L'Action ٢٤٧ ، ٢٤٨
— Esprit ٢٤١
— IBLA ٢٥٣
— Journal Officiel de la République Tunisienne ٢٥٢
— Paris Match ٢٤١
— La Presse ٢٤٧
— Revue Tunisienne de Sciences Sociales ٢٤٥

(S)

SEMENS ١١٥

(U)

Ullmann, S. ٤٠٧

(W)

Wartburg, W.V. ٤٠٧



من منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة الثقافة القومية:

- حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨٠ ص ـ ٣٦ ل.ل./ ٣ $) .... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ ص ـ ٩٦ ل. ل. / ٧ $) .... د. عصمت سيف الدولة
- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٤٠ ل.ل./ ٤ $) .... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية سياسية (٤)
  (١٢٨ ص ـ ٢٦ ل.ل./ ٢ $) .... د. احمد فارس عبد المنعم

مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية:

- موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١)
  (٥٤٠ ص ـ ٢١٦ ل. ل. / ١٢ $) .... د. علي محافظة
- تطور الفكر القومي العربي (٤٠٨ ص ـ ١٦٤ ل.ل./ ١١ $) .... ندوة فكرية
- الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها (جزءان)
  (١٢٩٦ ص. تجليد عادي ٥٢٠ ل.ل. تجليد فني ٥٨٠ ل.ل./ ٣٩ $) .... د. محمد لبيب شقير
- تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨))
  (٣٦٠ ص ـ ١٤٤ ل. ل./ ١١ $) .... مجموعة من الباحثين
- نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٧))
  (٤٠٨ ص ـ ١٦٤ ل. ل. / ١٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي (٥٤٨ ص ـ ٢٢٠ ل.ل./ ١٤ $) .... ندوة فكرية
- التصحر في الوطن العربي (١٧٦ ص ـ ٧٠ ل.ل./ ٤ $) .... د. محمد رضوان الخولي
- كيف يصنع القرار في الوطن العربي (٢٦٠ ص ـ ١٠٤ ل. ل. / ٦ $)............ د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- صناعة الانشاءات العربية (٣٩٢ ص ـ ١٥٦ ل. ل. / ٩ $)............ د. انطوان زحلان
- التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (٨٧٢ ص ـ ٣٩٢ ل.ل./ ٢١ $) .... ندوة فكرية
- السياسات التكنولوجية في الاقطار العربية (٥٢٨ ص ـ ٢١٢ ل.ل./ ١٢ $) .... ندوة فكرية
- الفلسفة في الوطن العربي المعاصر (٣٣٦ ص ـ ١٣٤ ل. ل. / ٨ $) .... ندوة فكرية
- نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة (١٩٦ ص ـ ٧٨ ل.ل./ ٤ $) .... د. علي خليفة الكواري
- الاعلام العربي المشترك: دراسة في الاعلام الدولي العربي (١٦٤ ص ـ ٦٦ ل.ل./ ٤ $). د. راسم محمد الجمال
- صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية... طبعة ثانية
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٨)) (٢٢٠ ص ـ ٨٨ ل.ل./ ٥ $) .... د. سامي مسلّم
- ازمة الديمقراطية في الوطن العربي (٩٢٨ ص ـ ٤١٨ ل.ل./ ٢٠ $) .... ندوة فكرية
- التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل... طبعة ثانية
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ١٤٤ ل. ل. / ٩ $)............ مجموعة من الباحثين
- التكوين التاريخي للامة العربية: دراسة في الهوية والوعي (٣٣٦ ص ـ ١٣٤ ل. ل./ ٨ $) د. عبد العزيز الدوري
- دراسات في القومية العربية والوحدة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥))
  (٣٨٤ ص ـ ١٥٤ ل. ل. / ٩ $)............ مجموعة من الباحثين
- الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي (١٥٢ ص ـ ٦٠ ل.ل./ ٣ $). د. محمد رضا محرم
- البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين ... طبعة ثانية
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ١٤٤ ل. ل. / ٩ $)............ د. عبدالله عبد المحسن السلطان

هذا الكتاب

يحتوي هذا الكتاب حصيلة الوقائع الكاملة لبحوث ومناقشات ندوة « التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية » ، وهي الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، وانعقدت في تونس خلال الفترة من ٢٣ ـ ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ . وقد شارك فيها نحو خمسة وثلاثين باحثاً في مشرق الوطن العربي ومغربه .

إن موضوع التعريب متعدد الجوانب ، وتأخذ مشكلته أبعاداً مختلفة في المشرق العربي عنها في المغرب العربي، وهو ـ اضافة إلى جانبه اللغوي الألسني ـ قضية فكرية ـ ثقافية لها أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية . فاللغة ـ في الاساس ـ ليست رموزاً ولا مواصفات فنية وحسْب ، ولكنها إلى جانب ذلك منهج فكر وطريقة نظر واسلوب تصور ، انها رؤية متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة ويرفدها تكوين نفسي مميز .

وضمن هذا المفهوم والاطار الواسع للتعريب عالجت الندوة الموضوع في خمسة عشر بحثاً ، خصصت أربعة ابحاث منها حول « اطار التعريب العام ومفاهيمه » وستة ابحاث لدراسة « تجارب التعريب » في الوطن العربي ، وخمسة ابحاث لمعالجة « اشكاليات التعريب ومستقبله » .

وتشير ابحاث الندوة ومناقشاتها بوضوح إلى أن مشكل التعريب لا يهم المغرب العربي فحسب ـ نظراً للظروف الاستعمارية التي مر بها ـ بل انه يهم العرب جميعاً . ولذلك يجب التفكير به كمشكلة عربية وليست خاصة بالمغرب العربي فقط . وهكذا نفكر جميعاً وبمنطق علمي في التعريب ،لا كمشكلة عاطفية وانما كمشكلة لها صلة بالوحدة العربية في اطارها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وبالتوجه العربي ازاء الشرق والغرب ، وبمستقبل العرب كأمة موحدة لا يفرقها اختلاف في لغة التعليم أو في لغة الادارة والحياة العامة .

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية « سادات تاور» شارع ليون

ص.ب. : ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان

تلفون : ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤

برقيا : « مرعربي»

تلكس: ٢٣١١٤ مارابي

الطبعة الثانية

الثمن

